



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المعهد العالي للدعوة والاحتساب

قسم الدعوة

## منهج العلماء في مناقحة أئمة المسلمين من خلال مصنفاتهم

دراسة تحليلية على عينة من مصنفات المتقدمين والمتأخرين

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة

إعداد الطالب

خالد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز الصبيح

إشراف

أ. د عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الطويل

الأستاذ في قسم الدعوة

العام الجامعي

١٤٤٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فلما علم بالضرورة من الدين أنه: لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة<sup>(١)</sup>، جاءت الشريعة حائثةً وأمراً بلزوم أمرها، فأمرت بتنصيب الأئمة، ولزوم الطاعة والجماعة؛ لما يترتب على ذلك من مصالح عاجلة وآجلة للعباد في معاشهم، وأمر معادهم.

وصيانةً لحق الأئمة على الناس، وحق الناس على الأئمة، أمر الشارع الحكيم بالنصيحة التي وسمها بالدين، فقال ﷺ: ((الدين النصيحة))، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: ((الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))<sup>(٢)</sup>، وقد قدم النصيحة للولادة على العامة؛ إشارة لأهمية الأمر وعظم مكانه<sup>(٣)</sup>.

من أجل ذلك قام العلماء الناصحون بواجب النصيحة لولايتهم، وأمرائهم، كل على قدر استطاعته، وما انتهى إليه علمه فيه مستصحبين في ذلك الضوابط الشرعية، والآداب المرعية. وتعددت صور المناصحة في ذلك وتنوعت أساليبها، فكان من أوسعها باباً، وأقومها سبيلاً، طريق التصنيف، ومسلك التأليف، الذي وُجد في الأمة في بكور تاريخها إبان صدر التأليف،

(١) جاء نحو ذلك عن عمر ﷺ، رواه أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبدالصمد الدارمي في سننه، باب في ذهاب العلم برقم [٢٥٧] (١/٣١٥)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ/٢٠٠٠ م.

(٢) رواه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري في صحيحه = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، كتاب الإيثار، باب أن الدين النصيحة برقم [٧٤] (١/٧٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٣) انظر: شرح الأربعين النووية، تأليف: محمد بن صالح العثيمين (ص ١٣٩)، الناشر: دار الثريا، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٢٥ هـ.

حيث كان ابتداءً في طيّ أسفار العقيدة، وكتب الفقه، حتى خُص في كتاب واحد، ومصنف مستقل بداية القرن الثاني الهجري، واستمر حتى الوقت المعاصر<sup>(١)</sup>، والمكتبة الإسلامية حافلة بالعشرات من كتب المناصحة لملوك الإسلام وأمرائه التي شارك فيها أعلام الأمة، وفقهاؤها، وقضاتها، وكذا ملوكها، وأدباؤها، وفلاسفتها.

إن القارئ في تلك المصنفات العظيمة والمتأمل فيها، ليدرك بحق عظم هذه الأسفار، وجلالة تلك المصنفات، بما حوته من راسخ العلم، وبديع النهج، ونظام الترتيب الذي ضبط سير التأليف فيها، حتى خرجت في حلة قشبية، وثوب حسن، تجل في ترتيب أبوابها، وتفريع مسائلها، مع أصالة مصادرها، وتنوع وسائلها، والتفنن في أساليبها.

وقد أشار عليّ فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالله بن إبراهيم الطويل - الذي أكرمني الله بإشرافه على رسالتي - باستخلاص المنهج الدعوي من تلك المصنفات، واستنباط المسار الذي يسلكه المصنفون في دعوتهم بتلك المؤلفات، من خلال استخراج القضايا، والأساليب، والوقوف على المصادر، والخصائص، والمعالم، وغير ذلك مما يكتمل به نظام المنهج؛ إذ إن تلك المصنفات قائمة على منهج دعوي رصين، وطريق واضح، تضبط له معالمه ومناراته التي تحدده، فاستخرت الله ﷻ ثم شرعت في إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ "منهج العلماء في مناصحة أئمة المسلمين من خلال مصنفاتهم. دراسة تحليلية على عينة من مصنفات المتقدمين والمتأخرين".

وإن مما ينبغي قوله في هذا الصدد: إن أهمية هذه الدراسة ومكانتها ازدادت عند الباحث مع الاطلاع والتفتيش عن نفائسه المكنونة في طيّه، والوقوف على مخطوطاته المخبأة في خزاناتها، وقد يسر الله لي زيارة دار الكتب المصرية بالقاهرة، فاطلعت على جم غفير من المخطوطات في نصيحة أئمة المسلمين. كما قمت بزيارة المكتبات المركزية في جامعة الأزهر، وجامعة القاهرة،

(١) انظر: الآداب السلطانية - دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي - تأليف: عز الدين العلام (ص ٨)، الناشر:

عالم المعرفة، د. ط، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

وجامعة عين شمس، وجامعة المنصورة، وزيارة مكتبة الإسكندرية وغيرها من المكتبات العامة أو التجارية بجمهورية مصر العربية، وهذا ما كشف لي أهمية هذه المصنفات، وأثرها على الواقع المعاصر الذي نافر بعضُ أهله المنهجَ السلفي في معاملة الحكام.

ولقد سعت جهدي أن أقدم رسالة شاملة كاشفة عن المنهج المضمن في مصنفات المناصحة - عينة الدراسة -.

#### - أسباب اختيار الموضوع:

١. الحاجة إلى استنباط المنهج الصحيح، وتقريره في مناصحة أئمة المسلمين من خلال مؤلفات العلماء.

٢. ربط الدعوة وطلبة العلم في موضوع المناصحة بالكتب والمؤلفات الأصيلة في هذا المجال؛ لأن الاتباع والبصيرة يكونان بالعلم، وليس بالعواطف والآراء المرسلة.

٣. إزاحة الجهل عن بعض طلبة العلم بمنهج العلماء في مناصحة أئمة المسلمين.

٤. المشاركة في إيجاد دراسة تعنى بمؤلفات مناصحة أئمة المسلمين وجمع شتاتها في دراسة واحدة؛ رغبة في إثراء هذا الفن العلمي وتأصيله.

#### ثانياً: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق العديد من الأهداف التي تمثلت في الآتي:

#### أ. أهداف الجانب النظري:

١. بيان منزلة الإمامة في الإسلام.

٢. التعرف على أهمية مناصحة أئمة المسلمين، ومشروعيتها.

٣. بيان أهم ضوابط المناصحة لأئمة المسلمين، والوقوف على أبرزها.

٤. إبراز أهم المصنفات في مناقحة أئمة المسلمين ودراستها.
٥. التعرف على نشأة التأليف في مناقحة أئمة المسلمين، وتاريخه، وتطوره، ومراحله.
٦. بيان أهم أسباب التأليف في مناقحة أئمة المسلمين.
٧. التعرف على أهم المجالات الدعوية في موضوع التصنيف بمناصحة أئمة المسلمين.
٨. دراسة أهم المصنفات في مناقحة أئمة المسلمين عند أصحاب المذاهب الأربعة، واستخراج أبرز خصائصها.

#### ب. أهداف الجانب التحليلي:

١. التعرف على مصادر الاستدلال، والاستشهاد في مصنفات مناقحة أئمة المسلمين لدى المتقدمين والمتأخرين.
٢. رصد أبرز الأساليب التي انتهجها، وحث عليها العلماء في مصنفات مناقحة أئمة المسلمين.
٣. الوقوف على أبرز القضايا الدعوية في مصنفات متقدمي المصنفين في مناقحة أئمة المسلمين ومتأخريهم.
٤. إظهار وجه العلاقة بين منهج المتقدمين والمتأخرين في مناقحة أئمة المسلمين من خلال مصنفاتهم.
٥. إبراز أوجه الاستفادة من منهج العلماء في مناقحة أئمة المسلمين بالعصر الحاضر من خلال مصنفاتهم.

#### ثالثاً: تساؤلات الدراسة:

بُنيت الدراسة على جملة من التساؤلات المتعلقة بالبحث، ومن أهمها:

#### أ. التساؤلات المتعلقة بالجانب النظري:

١. ما منزلة الإمامة في الإسلام؟

٢. ما مشروعية مناصحة أئمة المسلمين؟
  ٣. ما الضوابط المنهجية في مناصحة أئمة المسلمين؟
  ٤. متى نشأ التأليف في موضوع المناصحة لأئمة المسلمين؟ وما تاريخه؟ وكيف تطور؟
  ٥. ما أسباب التأليف في مناصحة أئمة المسلمين؟
  ٦. ما المجالات الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين؟
  ٧. ما أبرز المصنفات في مناصحة أئمة المسلمين عند أصحاب المذاهب الأربعة؟
  ٨. ما أبرز خصائص المصنفات في مناصحة أئمة المسلمين في المذاهب الفقهية الأربعة؟
- ب. التساؤلات المتعلقة بالجانب التحليلي:

١. ما مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب مناصحة أئمة المسلمين؟
٢. ما الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين؟
٣. ما أبرز القضايا الدعوية عند متقدمي المصنفين في مناصحة أئمة المسلمين ومتأخريهم؟
٤. ما وجه العلاقة بين كتب المتقدمين والمتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين؟
٥. ما أبرز أوجه الاستفادة من نتائج الدراسة في العصر الحاضر؟

#### رابعاً: الدراسات السابقة:

من خلال زيارتي لعدد من الجامعات، والمكتبات العامة، ومراكز البحوث والدراسات، في داخل المملكة وخارجها، وبعد الاطلاع على ما لديها من فهارس، وقواعد للمعلومات، ومحركات بحثية، وكذا التواصل مع المختصين في مجال دراستي، لم أقف على دراسة علمية متخصصة تناولت منهج العلماء في مناصحة أئمة المسلمين من خلال التأليف والتصنيف، إنما

عُثرت على بعض الرسائل الجامعية، والدراسات والبحوث التي تتفق مع هذه الدراسة في إطارها العام، الذي لا يحول دون دراسة الموضوع وبحثه. وتُبين الدراسة ذلك فيما يأتي:

**الدراسة الأولى:** منهج الدعوة في وعظ الحكام من العصر العباسي الأول حتى بداية العصر المملوكي وأثره في الدعوة إلى الله<sup>(١)</sup>.

اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة، تناول في التمهيد دراسة الحقبة الزمنية محل الدراسة، أما الباب الأول فقد جعله في فصلين، ركّز في الفصل الأول على معالم ما انتهجه السلف من الدعوة وهم يعظون الحكام، من مبتدأ دولة العباسيين سنة (١٣٢هـ) حتى نهاية خلافة الهادي سنة (٢٤٧هـ).

وأما عن الفصل الثاني فذكر فيه أهم المواعظ التي وعظ بها الدعوة الحكام، بداية من عهد الرشيد سنة (٢٤٣هـ) حتى نهاية العصر العباسي سنة (٦٥٦هـ)، مستلهماً من ذلك معالم المنهج الدعوي.

وفي الباب الثاني سلط الباحث الضوء على مواعظ الدعوة في العصر العباسي الثاني، وجعله في ثلاثة فصول، تناول في الفصل الأول: منهج الدعوة في وعظ خلفاء العصر الثاني، وفي الفصل الثاني: منهج الدعوة في وعظ الحكام من غير الخلفاء في العصر العباسي الثاني، أما عن الفصل الثالث فقد خصصه الباحث لإيراد نماذج من وعظ الدعوة للحكام الأيوبيين.

(١) رسالة دكتوراه للباحث: محمد عبد الواحد شلتوت، قسم الدعوة، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة

أما عن الباب الثالث فحديثه منصب على مدى تأثير منهج الدعوة في وعظ الحكام على الدعوة الإسلامية في الجوانب: الفكرية، والواقعية، والعلمية، والتربوية، مديلاً بحثه برؤية لموعظةٍ عصريةٍ في ضوء الواقع المعاصر.

الفرق بين دراستي وهذه الدراسة:

تتفق هذه الدراسة مع الدراسة المقدمة في الإطار العام، وهو مسألة النصح والاحتساب على الحكام، وتختلف عنها في أمور هي:

١- أن الدراسة السابقة قصرت القول على الوعظ الذي يُعد جزءاً من النصح، ودراستي شملت مفهوم النصح العام، فقصدت رسومً منهجه الموضوعات المتعلقة بالعقيدة، والتشريع والأحكام، والأخلاق، والسياسة الشرعية، مع المواعظ التي تناولتها تلك الدراسة.

٢- تستخرج الدراسة السابقة معالم المنهج من أفعال السلف التي روتها كتب التاريخ، والتراجم، وبعض الرسائل المختصرة التي صنفت في ذلك، أما دراستي فإنها ترسم معالم المنهج من واقع المصنفات التي ألفت في المناصحة، أعني: مجتمع الدراسة وعينتها.

٣- وفي الحد الزمني فإن مبدأ الدراسة السابقة يبدأ من القرن الثاني الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري، أما دراستي فقد ابتدأت من القرن الخامس الهجري حتى الوقت المعاصر، وضمت مصنفات من مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، في حين أن الدراسة السابقة اقتصرت على مواعظ السلف في المشرق الإسلامي.

٤- ركزت الدراسة الحالية على كل ما يتعلق بمصنفات المناصحة، فدرست النشأة، والتطور،

وأسباب التأليف، واستخلاص أهم الخصائص لبعض المصنفات، وهذه لا علاقة للدراسة السابقة بها؛ لاختلاف محل الاستشهاد والمنهج بينهما.

الدراسة الثانية: المنهج الدعوي في مناصحة أئمة المسلمين في ضوء الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

ترسم الدراسة المنهج الدعوي لمناصحة أولياء الأمور على ما يجب أن يكون عليه الحال، وتعتمد على نص الوحيين ومنهج السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان في تقرير ذلك.

وقد اشتملت الدراسة على فصل تمهيدي تناول فيه الباحث مشروعية المناصحة وأهميتها، وستة فصولٍ أخرى، تطرق في الأول: إلى أصناف القائمين بمناصحة أئمة المسلمين وصفاتهم، وفي الثاني: إلى موضوعات مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بذواتهم وبغيرهم، أما الثالث: فقد تناول فيه الباحث وسائل المناصحة وأساليبها، وخصص الفصل الرابع: في العوائق التي تحول دون المناصحة وسبل التغلب عليها، كما جعل الفصل الخامس: لضوابط المنهج الدعوي العامة والخاصة في مناصحة أئمة المسلمين، وختم دراسته بفصل تناول فيه الآثار المترتبة على الالتزام بالمنهج الدعوي في مناصحة أئمة المسلمين، وأوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر.

الفرق بين دراستي وهذه الدراسة:

تُعد هذه الدراسة من المراجع التي أفدت منها في هذه الرسالة؛ وذلك للتوافق الضمني بينها وبين دراستي؛ حيث اتفقت مع بحثي في الفصل الأول من الباب النظري الذي بحث فيه مشروعية مناصحة أئمة المسلمين وضوابطها، وقد تناولها الباحث في المبحث الأول من الفصل

(١) رسالة دكتوراه للباحث: زيد بن عبد الرحمن العثمان، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢٩-١٤٣٠هـ.

التمهيدي، وفي الفصل الخامس من دراسته.

أما عن الاختلاف بين دراستي والدراسة السابقة فيكمن في كون الدراسة السابقة دراسة تأصيلية، حيث قام الباحث بجمع ما يتعلق بموضوع الدراسة من نصوص الكتاب والسنة، وتذكير سلف الأمة، مستخدماً في ذلك منهجي الاستقراء والاستنباط؛ ليرسم بذلك منهجاً واضحاً يبيناً لمناصحة أئمة المسلمين، أساسه الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح لكل من أراد أن يقوم بمناصحة الأئمة والسلاطين.

بينما تأخذ دراستي مسلكاً آخر، وهو استنباط منهج المناصحة عند العلماء من خلال مصنفاتهم، مستخدماً في ذلك المنهج الاستقرائي التحليلي للوصول إلى نتائجه، مع الالتزام بمجتمع الدراسة وعينتها؛ ولذا تباينت الدراستان، حيث سلطت دراستي الضوء على المصنفات، وتاريخها، ونشأتها، وتطورها، وأسباب التأليف فيها، وخصائص بعض كتبها، والوقوف على مصادرها، وأبرز قضاياها وأساليبها ونحو ذلك.

### الدراسة الثالثة: منهج أئمة الدعوة في النصح للحاكم<sup>(١)</sup>:

تضمنت الدراسة تمهيداً وسبعة فصول، تناولت في الفصل الأول: ضوابط منهج أئمة الدعوة في النصح للحاكم، وفي الفصل الثاني: منهج أئمة الدعوة في بيان حقوق الحاكم وواجباته، أما الفصل الثالث: فقد تطرقت فيه إلى منهجهم مع المخالفين في باب النصيحة، كما تناولت في الفصل الرابع: المضامين الدعوية التي حوتها رسائلهم، أما الفصل الخامس: فقد بحث فيه الأساليب الدعوية ووسائلها في نصح أئمة المسلمين عند أئمة الدعوة، وخصصت

(١) رسالة دكتوراه للباحث: محمد بن غالب العمري، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين،

الجامعة الإسلامية ١٤٣٢هـ.

الفصل السادس: لبيان منهج أئمة الدعوة في معالجة بعض الأخطاء المخالفة للمنهج الصحيح في النصح للحاكم، خاتمة القول بفصل في بيان الآثار الشرعية، والفكرية، والاجتماعية، والسياسية، والأمنية المترتبة على المنهج الصحيح في مناصحة الحكام.

الفرق بين دراستي وهذه الدراسة:

تتفق دراستي مع هذه الدراسة في الإطار العام، وهو بيان المنهج المستنبط من طريقة العلماء في النصح للأئمة والمسلمين.

أما أوجه الاختلاف فإن البحث مقصور على منهج أئمة الدعوة فحسب، من زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله ومن جاء بعده، بينما تقصد هذه الدراسة منهج العلماء عامة من القرن الخامس الهجري حتى وقتنا المعاصر.

كما أن الدراسة السابقة اعتمدت رسائل أئمة الدعوة المضمنة في المطولات محلاً للاستشهاد والاستنباط في رسم المنهج، أما دراستي فإنها اعتمدت المصنفات المؤلفة في المناصحة على وجه التحديد، من القرن الخامس الهجري حتى الواقع المعاصر؛ ولذا لم تكن رسائل الأئمة محلاً لدراستي في التاريخ، والنشأة، والتطور، وأسباب التأليف، والتحليل عامة؛ لأنها لم ترق إلى درجة المؤلف، كما هو مشروط في البحث.

الدراسة الرابعة: المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين. تاريخها، أسبابها، موضوعاتها<sup>(١)</sup>:

(١) بحث محكم من إعداد: أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطويل، منشور في مجلة الدراسات الدعوية، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [٩]، شعبان ١٤٣٨ هـ.

هذه الدراسة عبارة عن بحث محكم تناول فيه المؤلف المصنفات التي خصصها مؤلفوها للكتابة حول نصيحة ولاية الأمور وأئمة المسلمين، ببيان تاريخها، وأبرز أسبابها، وأهم موضوعاتها، والبحث يقع في ٤٤ صفحة، ويُعد البحث نواة هذه الدراسة ومنبتها، وقد اتفقت دراستي مع البحث في أسباب التصنيف والموضوعات، ودراسة التاريخ، لكن بشيء من التوسع الذي تقتضيه درجة التناول البحثي، وفارقت دراستي هذا البحث المبارك فيما بقي من أبواب البحث، ومباحثه، ومطالبه.

#### خامساً: منهج الدراسة:

تهدف دراسة الباحث إلى استخراج منهج العلماء في مناصحة أئمة المسلمين واستنباطه من خلال مصنفاتهم، وذلك بتتبع الشواهد، والنصوص، والمسائل، والأساليب التي ضمنها المؤلفون كتبهم واستقرائها، ومن ثم تحليل المحتوى للوصول إلى نتائج إحصائية دقيقة تحدد رسم ذلك المنهج، وعليه فإن الباحث استخدم منهجي البحث الكمي والكيفي في دراسته وفق ما يأتي:

١- المنهج الاستقرائي، يعرف بأنه: تتبع جزئيات كلها أو بعضها؛ للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً<sup>(١)</sup>، ولا يلزم من التتبع الاستقصاء، بل قد يكتفي الباحث بأن يدرس نماذج متنوعة، يستنبط منها كليات عامة.

٢- منهج تحليل المحتوى: وهو من أنسب المناهج التي يمكن استخدامها في تحليل هذه المصنفات؛ بتحليل دقيق لمضامين تلك المؤلفات وما تضمنته من شواهد، ومسائل، وأساليب في تحديد معالم المنهج الصحيح في المناصحة.

(١) انظر: المدخل إلى مناهج البحث العلمي، تأليف: محمد محمد قاسم (ص ٦٠)، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت

- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م.

سادساً: مجتمع الدراسة وحدودها:

المجتمع الذي تهدف الدراسة إليه هو الكتب المطبوعة التي ينص عنوانها على لفظ النصيحة أو ما يرادفها من لفظ الوعظ والتذكير لأئمة المسلمين، فإن لم ينص عليها في عنوان الكتاب وكانت الكتب مندرجة في ذات الموضوع، فإنها تُعد داخل إطار الدراسة، شريطة أن ينص المؤلف على لفظ النصيحة أو ما يرادفها في مقدمة كتابه أو سبب تأليفه، ويدخل في إطار الدراسة الكتب التي عنيت بتقعيد منهج المناصحة لأئمة المسلمين وتأصيله.

- حدود الدراسة:

أما حدود الدراسة فقد قسمها الباحث بالاعتبار الزمني والموضوعي والمذهبي:

أ- الحد الزمني:

- جعل الدارس الحد الزمني للمتقدمين فيها يبدأ من أول القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن العاشر الهجري؛ وذلك لازدهار التصنيف والتأليف في هذه الفترة، ومشاركة العلماء من المذاهب الفقهية الأربعة فيه، وهذا بلا شك يُثري المادة العلمية للبحث، وينفي باحتياج الدراسة<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين لعبدالله الطويل (ص ٣)، وانظر: دوافع التأليف في كتب أدب الملوك في العصر العباسي الأخير، إعداد: نوفل محمد نوري (ص ٨٥)، بحث منشور في مجلة التربية والعلم، المجلد (١٨)، جامعة الموصل - العراق، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد [٤]، سنة ٢٠١١م؛ وانظر: مقدمة تحقيق ودراسة أ. د. رضوان السيد على الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تأليف: ابن الحداد، محمد بن منصور بن حبش (ص ٢٢ - ٢٣)، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م.

وللاستزادة انظر: دولة الخلافة: دراسة في التفكير السياسي عند أبي الحسن الماوردي، تأليف: سعيد بن سعيد العلوي، الناشر: دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د. ط، ٢٠١٠م؛ وانظر: في مصادر التراث السياسي

وأما زمن المتأخرين، فيبدأ من بداية القرن الحادي عشر الهجري حتى العصر الحاضر.

ب- الحد المذهبي: تناولت الدراسة مصنفات المذاهب الأربعة في مناصحة الحكام.

ج- الحد الموضوعي: المؤلفات المتعلقة بمناصحة أئمة المسلمين، سواء أكان منصوصاً عليها في العنوان، أم في مقدمة الكتاب وسبب تأليفه.

أما مصطلح المتقدمين والمتأخرين في البحث فهو نسبي إضافي بالنسبة لتاريخ الدراسة مع بداية التأليف في هذا الفن، فإن الدارس لم يقف على حد جامع مانع مجمع عليه لمصطلح المتقدمين والمتأخرين في كلام أهل العلم، فمصطلح التقدم والتأخر عند المحدثين مثلاً لا يحمل الحد نفسه عند الفقهاء، وهو عند كل مذهب بحد، بل إنه في بعض الأحيان يكون مصطلح التقدم والتأخر خاصاً بمؤلف معين، يقول الشاطبي رحمته الله: "... وأما ما ذكرت لكم من عدم اعتمادي على التأليف المتأخرة فلم يكن ذلك مني بحمد الله محض رأي، ولكنها اعتمدت بسبب الخبرة عند النظر في كتب المتأخرين، وأعني بالمتأخرين: كابن بشير...<sup>(١)</sup>، فالقصد هو تعيين الإمام الشاطبي رحمته الله لحد التقدم والتأخر عنده، وهو أمر نسبي إضافي.

وعليه فإن الباحث جعل حد التقدم في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين، مبدأ مشاركة العلماء من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن العاشر الهجري، وزمن المتأخرين من بداية القرن الحادي عشر الهجري حتى العصر الحاضر.

الإسلامي - دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل - تأليف: محمد نصر عارف، الناشر: منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى ١٩٩٤م؛ وانظر: دليل مصنفات السياسة الشرعية والأحكام السلطانية، إشراف: د. يوسف الخزيم، مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م،

(١) المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تأليف: أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (٣/٣٢)، تحقيق: محمد حجي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

## سابعاً: عينة الدراسة وأدواتها:

قام الباحث بحصر كتب المتقدمين والمتأخرين المطبوعة في مناصحة أئمة المسلمين، واختيارها وفق المنهج المتبع في هذا البحث، وترشيح عينة عمدية لمجموعة من تلك المصنفات<sup>(١)</sup>.

ثم عمد الباحث إلى اختيار عينة عمدية من مجتمع الدراسة لكتب المتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين، وذلك بانتخابها من الكتب المحصورة، بداية من القرن الحادي عشر الهجري حتى العصر الحاضر، وفق المنهج المتبع في الدراسة.

## أداة الدراسة:

أما أدوات الدراسة فإنها "استمارة تحليل المحتوى" لمناسبتها لموضوع الدراسة، وذلك من خلال جمع المعلومات والمعالم لمنهج المناصحة في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين وتحليلها، وفق الخطوات الآتية:

١. تصنيف المحتويات المبحوثة بما يتلاءم مع تساؤلات البحث.
٢. تصميم استمارة التحليل: حيث قمت بإعداد استمارة تحليل؛ لتوفر له إطاراً محدداً لتسجيل المعلومات التي تفي بمتطلبات البحث، وبما يتوافق مع أغراض التحليل.
٣. تصميم جداول التفرغ: وفيها قمت بتفرغ المعلومات من استمارة التحليل تفرغاً كمياً<sup>(٢)</sup>.

(١) قام الباحث بالوقوف على الكتب والمصنفات المؤلفة - على حد علمه - في باب مناصحة أئمة المسلمين من خلال جرد كتب دليل المصنفات في هذا الباب وزيارة المكتبات ومعارض الكتب وقراءة مقدمات التحقيق في بابها، وكذا مراجعة أهل العلم والاختصاص في هذا الشأن.

(٢) انظر: البحث العلمي، تأليف: د. محمد شفيق (ص ٢١٦)، الناشر: المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية - مصر، د. ط، ٢٠٠١م.

- منهج الكتابة:

راعى - بعد توفيق الله - في هذه الدراسة عدة أمور، منها:

١- قمت بعزو الآيات الكريمة إلى سورها، مع كتابة رقم الآية في الهامش، والالتزام بالرسم

العثماني.

٢- خرّجت الأحاديث النبوية عند أول وورد لها، وإذا دعت حاجة الاستدلال به في موضع

آخر فإني لا أشير إليه بـ "سبق تخريجه".

٣- إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما

اجتهدت في تخريجه، مع نقل الحكم عليه عن متقدمي المحققين أو متأخريهم.

٤- اتبعت في حال النقل من المصادر أو المراجع قواعد المنهج العلمي المعلومة، حيث أقوم

في العزو الأول بالإشارة في الهامش إلى اسم الكتاب، ثم مؤلفه، ثم رقم الصفحة والجزء

- إن وجد -، ثم المحقق - إن وجد -، ثم الناشر، ثم مدينة النشر، ثم بلد النشر، ثم

رقم الطبعة، ثم سنة الطبع. وما بعدها فإني أكتفي بذكر اسم الكتاب ومؤلفه ورقم

الصفحة أو الجزء - إن وجد -، وسواء ذكر اسم الكتاب ومؤلفه في المتن أم لم يذكر

فإني أذكرهما كاملين في الحاشية.

٥- اتبعت في حال النقل عن المصدر بالنص الإحالة بذكر اسم الكتاب، والجزء، والصفحة،

وفي حال النقل بالمعنى بذكر ذلك مسبقاً بكلمة: انظر، وإن تعدد العزو بالمعنى فإني

أعيد تكرارها.

٦- حرصت أن يكون ذكر اسم الكتاب في الحاشية إلا في النقل عن كتب عينة الدراسة ومجتمعها، فإني أذكر اسم الكتاب مع مؤلفه - غالباً - في المتن؛ من أجل ربط ذهن القارئ بمقصود البحث، وهي طريقة لا تخالف قواعد المنهج العلمي في البحث كما هو معلوم.

٧- حرصت على عزو المعلومة إلى أكثر من مرجع رغبة في الإثراء العلمي، ودعمًا للمسألة محل الاستشهاد، مع مراعاة ترتيب المصادر والمراجع في الحاشية ترتيباً تاريخياً قدر الإمكان.

٨- عزوت النصوص إلى مصادرها الأصلية مباشرة، فإن لم أتمكن من ذلك قمت بعزوها إلى من نقلت عنهم.

٩- أعدت ذكر بعض النقول أكثر من مرة؛ لاختلاف موضع الشاهد منها.

١٠- حرصت قدر المستطاع أن تتميز هذه الرسالة بأصالة المصادر؛ لذا بذلت الوسع في جعل أولوية الاستشهاد بكتب السلف.

١١- مهدت لبعض الموضوعات بما يوطئ لأصل الفكرة، كما ذيلت مباحث الباب النظري بخلاصة ما جاء فيها.

١٢- اجتهدت في تبين ما ورد في البحث من ألفاظ غريبة، أو مصطلحات بحاجة إلى إيضاح.

١٣- اقتصر في ذكر سنة الوفاة على الأسماء المتعلقة بمجتمع الدراسة، أو من تربطهم بهم علاقة تؤثر على دراسة السياق التاريخي وتطوره للمصنفات.

١٤- حرصت على سلامة البحث من الناحية اللغوية، والنحوية، والإملائية قدر الإمكان.

- ١٥- اعتنيت بعلامات الترقيم قدر الإمكان.
- ١٦- اعتمدت في النصوص الأقواس التالية: للآيات الكريمت ﴿﴾، وللسنة الشريفة (())، أما الآثار، وسائر الاقتباسات، مع أسماء الكتب في المتن فقد جعلت لها " "، وللتواريخ وأرقام الصفحات في الحاشية ( )، وللإيضاح داخل الاقتباس ورقم الحديث في الحاشية [ ] .
- ١٧- لم أترجم للأعلام، ولم أعرف بالفرق، والطوائف، والبلدان الواردة في البحث؛ لكثرة الأسماء مع طول البحث، وفي كتب التراجم، ومعاجم البلدان، ومصنفات الملل والنحل كفاية عن ذلك.
- ١٨- وضعت فهرس تقرب الاستفادة من البحث، وتسهّل الرجوع لموضع المعلومة.

تاسعاً: تقسيمات الدراسة:

تتكون خطة الدراسة من مقدمة، وباين، وخاتمة، وفهارس:

المقدمة وتشمل ما يأتي:

١. أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
٢. أهداف الدراسة.
٣. تساؤلات الدراسة.
٤. الدراسات السابقة.
٥. منهج الدراسة.
٦. مجتمع الدراسة وحدودها.
٧. عينة الدراسة وأدواتها.
٨. تقسيم الدراسة.

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة.

المبحث الثاني: منزلة الإمامة في الإسلام.

الباب الأول: الجانب النظري:

الفصل الأول: مشروعية مناصحة أئمة المسلمين وضوابطها:

المبحث الأول: مشروعية مناصحة أئمة المسلمين.

المبحث الثاني: ضوابط مناصحة أئمة المسلمين.

الفصل الثاني: تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره وأسبابه:

المبحث الأول: تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره.

المبحث الثاني: أسباب التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين.

الفصل الثالث: مجالات التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وأنواعها:

المبحث الأول: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد.

المبحث الثاني: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بالمسائل المتعلقة بالتشريع والأحكام.

المبحث الثالث: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمواضيع الوعظ والأخلاق.

المبحث الرابع: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل السياسة الشرعية.

الفصل الرابع: التصنيف عند أصحاب المذاهب الأربعة في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها:

المبحث الأول: مصنفات الحنفية في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها.

المبحث الثاني: مصنفات المالكية في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها.

المبحث الثالث: مصنفات الشافعية في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها.

المبحث الرابع: مصنفات الحنابلة في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها.

الباب الثاني: الجانب التحليلي:

الفصل الأول: إجراءات الدراسة وتحليلها ونتائجها.

المبحث الأول: إجراءات الدراسة التحليلية.

المبحث الثاني: نتائج الدراسة التحليلية.

الفصل الثاني: تحليل نتائج الدراسة التحليلية ومناقشتها.

المبحث الأول: تحليل نتائج الدراسة التحليلية.

المبحث الثاني: مناقشة نتائج الدراسة التحليلية.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس.

## شكر وتقدير

وبعد: فإن الحمد والشكر أوله وآخره، ظاهره وباطنه، لله الذي هو أحقُّ به وأهله، فلولا  
لم يكن شيءٌ شيئاً، فله الحمد في الأولى والآخرة. ثم الشكر لمن أمرني الله بشكرهما، والديّ  
الكريمين، وأبويّ الرحيمين - جزاهما الله عني خير ما جزى والدأ عن ولده - .

وأشكر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله بن إبراهيم الطويل المشرف على هذه الرسالة،  
اعترافاً بحقه، و عرفاناً بفضلته علي.

كما أشكر فضيلة المناقشين الكريمين على ما أمضياه من وقت، وبذلاً من جهد في تقويم  
هذا البحث وتسديده وتصويبه.

والشكر موصول لهذه الجامعة المباركة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأخص  
المعهد العالي للدعوة والاحتساب ممثلاً بعميده، ووكلائه، وقسم الدعوة الذي تخرجت فيه، ولا  
يفوتني الوفاء لأهله، فإن للعميد السابق فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن إبراهيم الزهراني رحمته الله،  
وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الحسين، وفضيلة الدكتور أحمد بن علي الخليلي، وفضيلة  
الشيخ فهد بن علي الصفيان، والدكتور سعود بن نايف آل علي، أيادي عليّ في دراستي، فرحم  
الله من غدا إلى ربه، وأمدّ في عمر الباقيين على طاعته.

وللشكر محلٌّ لا يضيق بزوجي وأهل بيتي، وإخوتي وأخواتي، الذين بذلوا ما بذلوا من  
أجل إتمام هذه الرسالة.

ولأصحاب الفضيلة: الدكتور عبد الإله بن صالح المديميغ، والدكتور حامد بن عبد الله  
الحصيني، والدكتور خالد بن إبراهيم السعيد، وفضيلة الشيخ محمد بن حسن الحفظي، وفضيلة

الشيخ عبد الإله بن عبد الله السنان، وفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبد الله الحمد يد عليّ  
تستوجب الشكر والثناء.

وختاماً: فغني عن القول الاعتراف بالقصور في هذا الباب العظيم، ولكنني لم آل جهداً في  
استكمال مباحثه، وفصوله، وأبوابه، قدر وسعي - وإحراز المقل على قدر جهده - وإني أسأل  
الله أن يغفر الزلل، وأن يستر الخلل، وأن يصلح النية والعمل، ويتوج البحث بالقبول، ويكسوه  
البركة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله،  
وصحبه أجمعين.

## التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة.

المبحث الثاني: منزلة الإمامة في الإسلام.

## المبحث الأول

### التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف العلماء في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: تعريف المناصحة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الرابع: تعريف الأئمة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الخامس: التعريف بمناصحة أئمة المسلمين.

المطلب السادس: تعريف المصنف في اللغة والاصطلاح.

## المطلب الأول

## تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح

أولاً: المنهج لغة:

تذكر كتب الغريب واللغة عدة معان ومفاهيم للمنهج، ومن ذلك:

يقول ابن فارس رحمته الله: "النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول: النهج: الطريق. ونهج لي الأمر: أوضحه. وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج. والآخر: الانقطاع، وأتانا فلان ينهج، إذا أتى مبهوراً منقطع النفس، وضربت فلانا حتى أنهج، أي: سقط؛ ومن الباب نهج الثوب وأنهج: أخلق ولما ينشق؛ وأنهجه البلي" (١).

وقال ابن منظور رحمته الله في اللسان: "(نهج) طريق نهج: بين واضح... وطرق نهجة، وسبيل منهج: كنهج. ومنهج الطريق: وضحه. والمنهاج: كالمنهج. وفي التنزيل قال رحمته الله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (٢)، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً، والمنهاج: الطريق الواضح. واستنهج الطريق: صار نهجاً... ونهجت أنهج نهجاً، ونهج الرجل نهجاً... وأنهجت الدابة: سرت عليها حتى انبهرت... النهج، بالتحريك، والنهيج: الربو، وتواتر النفس من شدة الحركة... ونهَجَ الثوب ونَهَجَ، فهو نهج، وأنهج: بلي ولم يتشقق، وأنهجه البلي، فهو منهج... (٣)".

(١) معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مادة (نهج) (٥/٣٦١)، تحقيق: عبدالسلام

محمد هارون، الناشر: دار الفكر، دمشق، د. ط، ١٩٧٩م.

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٨).

(٣) لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة (نهج) (٢/٣٨٣)، دار صادر، بيروت،

الطبعة الأولى د.ت؛ وانظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

وعرفه مجمع اللغة العربية بأنه: "الخطة المرسومة"، وتابعه المعجم الوسيط عليه ووصفه بالاستحداث<sup>(١)</sup>.

ويتضح مما سبق أن للمنهج في اللغة عدة معانٍ يمكن إجمالها فيما يأتي:

١ - الطريق المستقيم البين الواضح.

٢ - الاقتفاء والاتباع.

٣ - الخطة المرسومة.

٤ - الانقطاع.

٥ - البلى.

وتُعد المعاني الأول والثاني والثالث هي المعاني الموافقة لعنوان الدراسة.

ثانياً: تعريف المنهج في الاصطلاح العام:

يشق المعنى الاصطلاحي تعريفه من بعض معاني المنهج اللغوية، حيث تدور معانيه حول

الفارابي، مادة (نهج) (٣٤٦/١)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م؛ وانظر: المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مادة (نهج) (ص ٨٢٥)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، والدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ؛ وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، مادة (نهج) (١٣٤/٥)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، ١٩٧٩م؛ وانظر: القاموس المحيط، تأليف: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة (نهج) (ص ٢٠٨)، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.

(١) انظر: المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة (نهج) (٩٥٧/٢)، الناشر: دار الدعوة، القاهرة

- مصر.

الوضوح والبيان، والاقتفاء والاتباع، والتخطيط والرسم، وهي من المعاني الغالبة في كلمة "منهج"، كما جاءت بذلك المعاجم القديمة والخاصة والحديثة.

وعلى الرغم من كثرة التعاريف للمنهج، إلا أن الباحث يجدها متقاربة في المضمون وإن اختلفت صياغتها ومبانيها، ومن تلك التعاريف:

- ١ - قيل بأنه: "النشاط المنظم للإنسان في أي جانب من جوانب حياته"<sup>(١)</sup>.
- ٢ - وقيل بأن المنهج هو: "مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة؛ لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم"<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - وقيل في تعريفه أيضاً بأنه: "الطريق المؤدي إلى التعريف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، والتي تهيمن على سير العقل، وتحد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة"<sup>(٣)</sup>.

وتأسيساً على ما مضى فإن المنهج في جميع التعاريف تجتمع فيه أصول أربعة، وهي:

١ - الطريقة والمسار المعنوي.

٢ - القواعد الضابطة.

(١) المنهج السلفي، تأليف: مفرح بن سليمان القوسي (ص ٢٢)، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) العلامة الشيخ عبدالرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي، إعداد: د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالله السديس (ص ٣٠٠)، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، دار الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [٥٨] ١٤٢٠هـ.

(٣) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، تأليف: عثمان بن علي حسن (١/ ٢٠)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣- العقل وطريقة التفكير.

٤- الهدف والغاية.

ويرى بعض المفكرين، أن مصطلح "منهج" مأخوذ من الفكر اليوناني القديم، ويعني: الطريق الذي يؤدي إلى هدف ما، ويظهر عندهم أن أول من استعمل مصطلح "منهج" هو الفيلسوف اليوناني "أرسطو"، وقد أسسه على قاعدتين:

القاعدة الأولى: وهي منطقية، تبدأ بالمسلّمات، ثم تنتقل إلى طبقات الاستنتاج المنطقي الجازمة، لتنتهي بالخلاصة والنتائج.

القاعدة الثانية: وهي إجرائية، وتبدأ بالمشاهدة والملاحظة الدقيقة، ثم تنتقل إلى استنباط التعميمات في سلم متصاعد، حتى يصل إلى المبادئ الأولية، ويعني هذا التععيد الأرسطي أن المستتبع يكتشف بالاستقراء، ثم يؤسس معرفته في شكل استنتاج واستنباط<sup>(١)</sup>.

ويرى الباحث أن المنهج أقدم من الفكر اليوناني، وأنه موجود مع نزول الشرائع على البشرية، كما قال ﷺ: ﴿إِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>(٢)</sup>، يقول الشيخ محمود محمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ فِي معرض كلامه عن المنهج: "وأقول لك غير متردد: إن الذي كان عندهم<sup>(٣)</sup> لم يكن قط عند أمة من سابقة الأمم حتى اليونان، وأكاد أقول لك غير متردد إنهم بلغوا في ذلك مبلغاً لم تدرك ذروته الثقافة الأوروبية الحاضرة اليوم، وهي في قمة مجدها وازدهارها وسطوتها على العلم والمعرفة.

(١) انظر: علم الاجتماع الأدبي منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، تأليف: أنور عبد الحميد الموسى (ص ٢٣)،

الناشر: دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، د. ط، ٢٠١١ م.

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٨).

(٣) أي: أمة الإسلام.

كنت أستشف شطري المنهج كما وصفتهما تلوح بوادره الأول منذ عهد علماء صحابة رسول الله ﷺ ومن حفظت عنهم الفتوى منهم<sup>(١)</sup>، بل إن بوادره وأصوله موجودة كما تقدم مع نزول الوحي، فالمنهج والوحي متلازمان.

ثالثاً: تعريف المنهج في اصطلاح الدعوة:

يعرف علماء الدعوة المنهج الدعوي بعدة تعريفات، ومن ذلك:

١- أن المنهج الدعوي يطلق ويراد به: "الطريق المبين الواضح، الذي يجب السير عليه في تبليغ دعوة الحق ونشر الإسلام بين البشر، على نحو ما أراده الله عز وجل في كتابه الكريم، وكما أوضحه وبينه رسول الله ﷺ في السنة المطهرة"<sup>(٢)</sup>.

٢- وعرفه آخرون بأنه: "طرق الدعوة ومعالها التي رسمها الكتاب الكريم، وبينت أصولها السنة النبوية، وبها اهتدى الصحابة والتابعون لهم بإحسان"<sup>(٣)</sup>.

٣- وقيل بأنه: "طريق الدعوة الواضح المستقيم، المبني على الأصول الصحيحة الثابتة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وآثار السلف الصالح، الذي سلكه النبي ﷺ وصحابته

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، تأليف: محمود شاعر (ص ٣٣ - ٣٤)، الناشر: مكتبة الأسرة، القاهرة، د. ط، ١٩٩٧م.

(٢) هذا التعريف مستفاد من محاضرة دراسية للدكتور: عبدالحق إساعيل، انظر: منهج الدعوة في وعظ الحكام لمحمد شلتوت (ص ٨).

(٣) منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، تأليف: أ. د. عبدالحق هنداوي (ص ١٠)، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

الكرام وأئمة الهدى من بعدهم" (١).

وهذه التعاريف الثلاثة متقاربة متشابهة، غير أنها لم تتناول أسس المنهج ومعاله وأصوله التي تحده.

وتصوغ الدراسة من خلال الاطلاع على جملة من الحدود والتعريفات للمنهج الدعوي، فتقول بأنه: مجموعة الأصول، والقواعد، والوسائل، والأساليب المستمدة من الكتاب، والسنة، وهدى سلف الأمة، التي يسير عليها الدعوة لإيصال الحق والهدى للناس.

---

(١) منهج الدعوة السلفية في بناء عقيدة المسلم، إعداد: محمد عبدالرزاق خير الدين (١ / ٣١)، رسالة غير منشورة

مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدعوة بكلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،

١٤٢٢هـ.

## المطلب الثاني

## تعريف العلماء في اللغة والاصطلاح

أولاً: العلماء لغة:

العلماء: جمع عالم، وهو: اسم فاعل من (علم)، قال ابن فارس رحمته الله: "(علم) العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره من ذلك العلامة، وهي معروفة، يقال: علّمت على الشيء علامة، ويقال: أعلم الفارس، إذا كانت له علامة في الحرب... والعلم: الشق في الشفة العليا، والرجل أعلم، والقياس واحد؛ لأنه كالعلامة... والعلم: نقيض الجهل، وقياسه قياس العلم والعلامة"<sup>(١)</sup>.

ويقول الفيروزآبادي رحمته الله في القاموس: "علمه، كسمعه، علماً، بالكسر: عرفه، وعلم هو في نفسه، ورجل عالم وعلیم، والجمع: علماء وعلام، كجهال... والعلمة والعلم، محرتين: شق في الشفة العليا، أو في إحدى جانبيها، علم، كفرح... وأعلم الفرس: علق عليه صوفاً ملوناً في الحرب، ونفسه: وسمها بسيمها الحرب كعلمها، والعلامة: السمة... ومعلم الشيء، كمقعد: مظنته، وما يستدل به"<sup>(٢)</sup>.

وفي البصائر: "... والعلم ضربان، الأول: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه..."<sup>(٣)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (علم) (٤/١٠٩-١١٠).

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة (علم) (ص ١١٤٠)، وانظر: الصحاح للجوهري، مادة (علم)

(٥/١٩٩٠)، وانظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (علم) (١٢/٤١٦-٤١٩).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، باب

بصيرة في علم (٤/٨٨)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: دار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء

التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، ١٩٩٢ م.

وجاء عند ابن الأثير رحمته الله: "... وفيه: ((يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي))، قال سهل أو غيره: ((ليس فيها معلم لأحد))<sup>(١)</sup>، المعلم: ما جعل علامة للطرق والحدود...، وقيل المعلم: الأثر، والمعلم: المنار والجبل...<sup>(٢)</sup>.

ويتضح مما سبق أن أصل الكلمة يرجع إلى معنيين هما: الوسم، والإدراك الذي هو نقيض الجهل بالشيء<sup>(٣)</sup>، والعلم واضح المعنى حتى ذهب بعض علماء اللغة إلى " أنه لا يجد لظهوره وكونه من الضروريات"<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: العلماء اصطلاحاً:

إن مصطلح العلماء يبدو واضحاً وضوح المعنى اللغوي، وقد نقل ابن حجر رحمته الله فائدة عن القاضي أبي بكر بن العربي رحمته الله فقال: "بدأ المصنف بالنظر في فضل العلم قبل النظر في حقيقته، وذلك لاعتقاده أنه في نهاية الوضوح فلا يحتاج إلى تعريف"<sup>(٥)</sup>.

(١) متفق عليه، رواه محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي في صحيحه = الجامع الصحيح المختصر، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة برقم [٦١٥٦] (٥/٢٣٩٠)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المناققين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض برقم [٢٧٩٢] (٤/٢١٥١).

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة (علم) (٣/٢٩٢).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (علم) (١٢/٤٢٠).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، أبي الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، مادة (علم) (٣٣/١٢٦)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، باب قول النبي ﷺ: ((الدين النصيحة)) (١/١٤٠)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، ١٣٧٩هـ.

وقد وقف الباحث على جملة من التعريفات التي توضح هذا المصطلح، منها:

- ١- ما عرفه أبو حيان التيمي رحمته الله بقوله: "الخائف لله تعالى، العالم بسنته وحدوده وفرائضه"<sup>(١)</sup>، وفي هذا التعريف دور، فإنه عرّف العالم بالعالم.
  - ٢- ومن تعريفاته قول ابن جماعة رحمته الله عن العلماء بأنهم: "العالمون الأبرار، المتقون، الذين قصدوا بعلمهم وجه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه بسوء نية، أو خبث طوية، أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلاب"<sup>(٢)</sup>، وهذا من باب حد الشيء بفائده ومقصوده؛ إذ لا يعني فوات الخشية انتفاء العلم على الحقيقة.
  - ٣- وقال ابن القيم رحمته الله في تعريفه لهذا المصطلح بأن العلماء هم: "فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال من الحرام"<sup>(٣)</sup>.
- ويتضح من خلال التعاريف أن المراد بالعلماء هم علماء الشريعة، وأن لفظ العلماء إذا أطلق فإنه يصير إلى حملة الكتاب والسنة، العارفين بمعانيها، والعالمين بفتحها، كما قال رحمته الله: ﴿إِنَّمَا

(١) جامع بيان العلم وفضله، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي (٢/ ٨٢٢)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تأليف: بدر الدين محمد بن جماعة الكفاني (ص ٧٣)، تحقيق: عبدالسلام عمر علي، الناشر: مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م،

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (١/ ٨)، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿١﴾<sup>(١)</sup>، قال بعض المفسرين: "العلماء يعني: العلماء بالله"<sup>(٢)</sup>، إذ شرط الخشية معرفة المخشي، والعلم بصفاته، وأسمائه، وأفعاله<sup>(٣)</sup>، وشرائعه وحدوده ومحابه وما يكره؛ ولذا قال ﷺ: ((إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي))<sup>(٤)</sup>، كما أن العلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً، ولم يتركوا مالاً، إنما تركوا العلم بالله وشرائعه<sup>(٥)</sup>؛ ولذا كان الوارث حاملاً لما تركه المورث.

أما عن الترجيح بين التعاريف فإن أقرب التعاريف للدراسة هو تعريف ابن القيم؛ لأنه عرف الشيء بحقيقته وذاته، أما بقية التعاريف فإنها أوضحت المعنى بفائده ومقصوده وأثره، فحدت العالم وعرفته بلزوم الإخلاص وحسن النية، مع العمل بالعلم ومقارنته بالخشية، وهذا من التوسع في باب التعريف، وقد جرى مجرى "سلب اسم الشيء أو مسماه لانتفاء مقصوده وفائده، وإن كان موجوداً، وهو باب واسع وأمثله كثيرة في الكتاب والسنة"<sup>(٦)</sup>.

وعليه فإن المقصود بالعلماء في هذه الدراسة هم علماء الشريعة فحسب، من المحدثين

(١) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٣/٥١٠)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف: ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٤/٤١٨)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب برقم [١١١٠] (٢/٧٨١).

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (٣/٢٣٠)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، د. ط، ١٤٢٦ هـ.

(٦) روائع التفسير، تأليف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (٢/١٤٢)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.

والفقهاء، والمفسرين، وأهل الوعظ والتذكير منهم، وكلُّ مشتغلٍ بعلوم الشريعة كلها أو بعضها  
فإن مصنفه داخلٌ في إطار هذه الدراسة.

## المطلب الثالث

## تعريف المناصحة في اللغة والاصطلاح

أولاً: المناصحة لغة:

تذكر كتب اللغة للمناصحة عدة معانٍ، منها: الملاءمة بين شيئين والإصلاح لهما، وتخليص الشيء من الغش وتنقيته، قال ابن فارس رحمته الله: " (نصح) النون والصاد والحاء أصل يدل على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما. أصل ذلك الناصح: الخياط، والناصح: الخيط يخاط به، والجمع نصاحات، وبها شبهت الجلود التي تمد في الدباغ على الأرض...، ومنه النصح والنصيحة: خلاف الغش، ونصحته أنصحته، وهو ناصح الجيب لمثل، إذا وصف بخلوص العمل، والتوبة النصوح منه، كأنها صحيحة ليس فيها خرق ولا ثلمة"<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور رحمته الله في اللسان: " (نصح) نصح الشيء: خلص، والناصح: الخالص من العسل وغيره. وكل شيء خلص، فقد نصح...، والنصح: نقيض الغش، مشتق منه: نصحه وله نصحا ونصيحة ونصاحة ونصاحية ونصحا، وهو باللام أفصح؛ قال رحمته الله: ﴿ وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>؛ ويقال: نصحت له نصيحتي نصوحا أي أخلصت وصدقت، والاسم النصيحة...، والناصح: السلك يخاط به...، ويقال للإبرة: المنصحة، فإذا غلظت فهي الشعيرة؛ والنصح: مصدر قولك نصحت الثوب إذا خطته. قال الجوهري: ومنه التوبة النصوح"<sup>(٣)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (نصح) (٥/ ٤٣٥)، وانظر: أساس البلاغة، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، مادة (ن ص ح) (٢/ ٢٧٥)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

(٢) سورة الأعراف، الآية (٦٢).

(٣) لسان العرب لابن منظور، مادة (نصح) (٢/ ٦١٥ - ٦١٧)، وانظر: الصحاح للجوهري، مادة (نصح) (١/ ٤١١)، وانظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة (نصح) (ص ٢٤٤).

وقال الراغب الأصفهاني رحمته: "قال رحمته: ﴿تُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَصُوحًا﴾<sup>(١)</sup>، من أحد هذين الوجهين؛ إما الإخلاص وإما الأحكام"<sup>(٢)</sup>.

وعند التأمل في التعريفات اللغوية السابقة يجد الباحث أن مدار معاني النصيحة يعود إلى أصليين وهما:

١ - الخلوص والصدق والنقاء، الذي هو نقيض الغش.

٢ - الالتئام والإصلاح والرفاء الذي هو نقيض الخلل والنقص.

ويبدو للباحث أنه لا فرق بين النصيحة والمناصحة، وإن كانت الأخيرة تدل على المقابلة بين الطرفين، حيث جاء في تاج العروس للزبيدي: "النصح والنصيحة والمناصحة: إرادة الخير للغير وإرشاده له، وهي كلمة جامعة لإرادة الخير"<sup>(٣)</sup>.

#### ثانياً: النصيحة اصطلاحاً:

عرف العلماء النصيحة في الاصطلاح بتعريفات متقاربة يكمل بعضها بعضاً، تدور جميعها حول: إرادة الخير للمنصوح، والإخلاص له، والصدق معه، وبذل منتهى الوسع في إرشاده، ومن هذه التعريفات:

١ - قال الخطابي رحمته: "النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي: إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها"<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة التحريم، الآية (٨).

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (نصح) (ص ٨٠٨).

(٣) تاج العروس للزبيدي، مادة (نصح) (٧/ ١٧٥).

(٤) معالم السنن، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (٤/ ١٢٥)، الناشر: المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى ١٩٣٢ م، وانظر: تعظيم قدر الصلاة، تأليف: محمد بن نصر بن

٢- وقال الفخر الرازي رحمته الله: "حقيقة النصح: الإرشاد إلى المصلحة، مع خلوص النية من شوائب المكروه"<sup>(١)</sup>، وهذا التعريف مع وضوحه إلا أنه قصر النصح على القول دون الفعل.

٣- وقال أبو عمرو بن الصلاح رحمته الله: "النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً"<sup>(٢)</sup>، وهذا من أجمع التعاريف لمصطلح النصيحة.

٤- وعرفها الجرجاني رحمته الله بقوله: "النصيحة هي: الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد"، وقال أيضاً: "النصح: إخلاص العمل عن شوائب الفساد"<sup>(٣)</sup>، وكأنه قصر النصح على الأعمال، والنصيحة على الأقوال.

ويمكن أن يصاغ من هذه التعاريف تعريف يجمع أطرافها، فيقال بأن النصيحة هي: الإرشاد إلى مصلحة المنصوح له، بتخليص النية من شوائب الغش والمكروه، مع صدق القيام له بوجوه الخير إرادة وفعلاً.

الحجاج المروزي أبي عبدالله (٢/ ٦٩١)، تحقيق: عبدالرحمن عبدالجبار الفيرواني، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، تأليف: أبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (١٤/ ٢٩٧)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.

(٢) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمایته من الإسقاط والسقط، تأليف: عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبي عمرو (١/ ٢٢١)، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.

(٣) التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني (ص ٢٤١)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

### ثالثاً: علاقة التعريف الاصطلاحي بالمعنى اللغوي:

عند التأمل في المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ النصيحة، فإن العلاقة بين الوضعين اللغوي والاصطلاحي تبدو واضحة وجليّة؛ إذ إن النصيحة كما تقدم ترجع إلى أصلين لغويين هما:

١- الالتئام وسدّ الخلل، كما يفعل الخياط بالثوب، وهذا المعنى موجود في الوضع الاصطلاحي، فإن الناصح يسدّ خلل المنصوح بتكميله في أخلاقه وصفاته وجميع أحواله.

٢- الخلوص والنقاء، وهو مأخوذ من تخليص العسل وتصفيته، وهذا أيضاً موجود في حال الناصح مع المنصوح، فإن الناصح أولاً مأمور بتصفية إخلاصه وصدقه للمنصوح بالإرادة، ثم إنه مأمور بتخليص المنصوح من شوائب الفساد والمكروه<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: الألفاظ ذات الصلة:

يستخدم مصنفو كتب المناصحة بعض الألفاظ المرادفة لكلمة النصيحة، مثل: مصطلح الوعظ أو التذكير، وترى الدراسة مناسبة توضيح هذين المصطلحين لدخولهما في ذات المجال.

#### ١- الوعظ:

تتناول الدراسة مفهوم الوعظ لغة واصطلاحاً؛ لإيجاد وجه العلاقة والفرق بينها وبين المناصحة.

#### أ- الوعظ لغة:

الوعظ في اللغة مشتق من: وَعَظَ، يَعِظُ، عِظَةٌ، وموعظةً، ووعظاً، ومن معانيه: التذكير،

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/١٦٧).

والتخويف، والزجر<sup>(١)</sup>، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: " (الوعظ) الواو والعين والطاء: كلمة واحدة. فالوعظ: التخويف، والعظة الاسم منه، قال الخليل: هو التذكير بالخير وما يرق له قلبه"<sup>(٢)</sup>. وفي تهذيب اللغة: " وكذلك الوعظ، والرجل يتعظ إذا قبل الموعدة حين يذكر الخير ونحوه، مما يرق لذلك قلبه، يقال: وعظته عظة، ومن أمثالهم المعروفة: لاتعطيني وتعظني أي: اتعظي ولا تعظي"<sup>(٣)</sup>.

وجاء في مفردات غريب القرآن: "الوعظ: زجر مقترن بتخويف"<sup>(٤)</sup>.

ومما تقدم يتضح أن معاني الوعظ ترجع إلى ترادف معنوي، وهو: الزجر والتخويف، والنصح والتذكير بالعواقب وبما يلين له القلب، مع الأمر بالخير والوصية به.

#### ب- الوعظ اصطلاحاً:

لم تتباين أقوال العلماء في إيضاح معنى الوعظ اصطلاحاً، وإنما جاءت مختلفة في الطريقة والبيان بين التخصيص والتعميم، والتقييد والإطلاق، والإشارة والتفصيل، بل جاء بعضها مكتفياً بتفسير الكل ببعض أجزائه، ومن هذه التعاريف:

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة (وعظ) (ص ٦٩٩)، وانظر: مختار الصحاح، تأليف: زين الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي، مادة (وعظ) (ص ٣٤٢)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، والدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة ١٩٩٩م؛ وانظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس، مادة (وعظ) (٦٦٥/٢)، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (وعظ) (١٢٦/٦)

(٣) تهذيب اللغة، تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبي منصور، مادة (وعظ) (٩٣/٣)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (وعظ) (ص ٨٧٦).

١- تعريف ابن الجوزي رحمته الله بقوله: "الموعظة: تخويف يرق له القلب"<sup>(١)</sup>، وهذا تعريف مختصر؛ لأنه عرف العام ببعض أجزائه، فلم يذكر الترغيب، والأمر، والنهي، ونحو ذلك.

٢- ومنه تعريف ابن القيم رحمته الله بقوله: "الموعظة الحسنة هي: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"<sup>(٢)</sup>، وهو تعريف جيد إلا أنه اقتصر على الترغيب والترهيب في الوسائل، ولم يتناول الوعظ بالفعل.

٣- وعرفها الطاهر بن عاشور رحمته الله بقوله: "هي الأقوال المشتملة على العظات والعبر التي ترقق القلوب وتهذب النفوس، وتقنعهم بصحة ما تدعوهم إليه، وترغبهم في الطاعة لله، وترهبهم من معصيته"<sup>(٣)</sup>.

والتعريف المختار عند الباحث هو التعريف الأخير؛ لاشتماله على أساليب الوعظ ومضامينه، ومحل خطابه، وغايته، وإن كان يؤخذ عليه الاقتصار على الأقوال دون الأفعال، فإن الموعظة لا تقتصر على القول وحده، بل هي شاملة للفعل والقول على حد سواء، كما قال رحمته الله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) القصاص والمذكرين، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ص ١٦٢)، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨ م.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٢/١٤٩)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦ م.

(٣) التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٤/٢٦٠)، الناشر: الدار التونسية، تونس، د. ط، ١٩٨٤ م.

(٤) سورة البقرة، الآية (٦٦).

## ج- الفرق بين الوعظ والمناصحة:

يلحظ المتأمل في مصنفات العلماء تناوب لفظي المناصحة والوعظ في الاستعمال، فيرى مرة الاستعاضة بلفظ النصيح عن الوعظ، ومرة أخرى يرى تفسير الوعظ بالنصح. ولا شك أن بين اللفظين علاقة واقتراناً. "فمفهوم الوعظ يقترب من مفهوم النصيحة فيما يتعلق بالتأثير على عاطفة المنصوح، فالوعظ يخاطب القلب ويرقق المشاعر، وهذا جزء من خطاب النصيحة"<sup>(١)</sup>. إلا أن وجود الفرق النسبي قائم بين اللفظين، وهذا يبين عند تأمل الناظر في وضع اللفظين اللغوي، واستعمالها الشرعي أيضاً، وقد حاول الباحث أن يقف على بعض الفروق بين النصيحة والوعظ من خلال التأمل في معاجم اللغة وتفسير العلماء واستعمالهم لها، ومما ظهر له من ذلك:

١- أن بين لفظي النصيح والوعظ عمومياً وخصوصاً مطلقاً، فالنصح أعم من الوعظ من حيث الإرادة والوسيلة والغاية، فالنصيحة تعني: إرادة مطلق الخير الديني والدنيوي للمنصوح، مع المحبة والصدق والإخلاص، ويستعمل الناصح فيها كل ما يوصل الخير إلى المنصوح من الوسائل الحسية والمعنوية المباشرة وغير مباشرة، أما الوعظ فمقصود على التذكير بالخير والتحذير من الشر ترغيباً وزجراً بما يكون به صلاح القلب واستقامته، "وهو ما يعني أن مفهوم الوعظ يندرج ضمن مفهوم النصيحة، ويعد جزءاً منه، أو مرحلة من مراحل النصيح، أو شكلاً من أشكاله"<sup>(٢)</sup>.

٢- أن مفهوم النصيحة متعلق بإرادة الخير للمنصوح، فإذا تخلف هذا الشرط فإنها حينئذ لا تعد نصيحة ولو وصل الخير للمنصوح، أما الوعظ فمتعلق بأسلوب الخطاب

(١) أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي - دراسة تحليلية - إعداد: هيام عبدالفتاح عزب (ص ٦٠)، رسالة

غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية،

قسم العلوم السياسية عام ٢٠٠٦م.

(٢) المصدر السابق (ص ٦٠).

والأثر المراد، ولا علاقة له بالإرادة، بل قد يصدر من غير ذي إرادة أصلاً، كما روي عن النبي ﷺ: ((كفى بالموت واعظاً))<sup>(١)</sup>، وكقولهم في المثل العربي "السعيد من وعظ بغيره والشقي من به اعظ"<sup>(٢)</sup>، وقولهم: "ما وعظ امرأ كتجاربه"<sup>(٣)</sup>.

٣- أن النصيحة أعم متعلقاً في مفعولها من الوعظ، وهذا تابع لعموم معناها كما قال ﷺ: ((الدين النصيحة))، قلنا: لمن يا رسول الله؟، قال: ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))<sup>(٤)</sup>، فالنصح إذاً يكون لله وللكتاب، والوعظ لا يكون فيهما كما

(١) رواه الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني في الموطأ برقم [٢٦٦] (٦/٨٥)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العسبي في مصنفه برقم [٣٤٣٢٩] (٧/٧٨)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، وأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَ وَجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي في شعب الإيمان، باب الزهد وقصر الأمل برقم [١٠٠٧١] (١٣/١٣٥)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

قال أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/٣٠٨): "وفيه الربيع بن بدر وهو متروك" تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، د. ط، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

وضعه محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١/٢) الناشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

(٢) مجمع الأمثال، تأليف: أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (١/٣٤٣)، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٣) المصدر السابق (٢/٣٢٧).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة برقم [٥٥] (١/٧٤).

هو معلوم.

## ٢- التذكير:

تتناول الدراسة بيان مفهوم التذكير في اللغة والاصطلاح؛ للوقوف على وجه العلاقة بينه وبين مصطلح المناصحة.

### أ- التذكير لغة:

تذكر كتب اللغة عدة معانٍ للتذكير، فمن ذلك:

قال ابن فارس رحمته الله: " (ذكر) الذال والكاف والراء أصلان، عنهما يتفرع كلم الباب. فالمذكر: التي ولدت ذكراً. والمذكر: التي تلد الذكران عادة..."

والأصل الآخر: ذكرت الشيء، خلاف نسيته، ثم حمل عليه الذكر باللسان، ويقولون: اجعله منك على ذكر، بضم الذال، أي لا تنسه. والذكر: العلاء والشرف، وهو قياس الأصل"<sup>(١)</sup>.

وجاء في تهذيب اللغة: " الذُّكْرُ: الحفظ للشيء تَدْكُرُهُ، والذُّكْرُ: جري الشيء على لسانك، وقال الفراء: يكون الذكرى بمعنى الذكر، ويكون بمعنى التذكير في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾"<sup>(٢)</sup>"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الأصفهاني رحمته الله في المفردات: "والذكرى: كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر، قال

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (ذكر) (٢/٣٥٨-٣٥٩)، وانظر: أساس البلاغة للزمخشري، مادة (ذكر)

(١/٣١٤)، وانظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة (ذكر) (٢/١٦٣).

(٢) سورة ص، الآية (٤٦).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري، مادة (ذكر) (١٠/٩٤-٩٦)، وانظر: المصباح المنير للفيومي، مادة (ذكر) (١/٢٠٨).

﴿رَحْمَةً مِّمَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> في أي كثيرة، والتذكرة: ما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والإمارة، قال الله ﷻ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>"(٥).

ويتبين مما سبق أن معاني الذكر تدور في اللغة حول الحفظ والاسترجاع والجريان، والعلو والشرف مجازاً.

### ب- التذكير اصطلاحاً:

يكاد يكون التذكير والوعظ من المترادفات التي لا تختلف إلا في مبنى الكلمة؛ ولذا تجد كتب اللغة والغريب والتفاسير وشروح السنة تفسر الوعظ بالتذكير، والتذكير بالوعظ، جاء في النظم المستعذب: "قوله: (ذَكَرَهُمَا) أي: وَعَظَهُمَا، قال الله ﷻ: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup> وسمي الواعظ المذكر، وكذا المؤذن وأصله من الذكر ضد النسيان"<sup>(٧)</sup>.

ومع هذا فقد ذهب ابن الجوزي ﷻ إلى التفريق بين التذكير والوعظ فعرفه تعريفاً خاصاً يفارق به الوعظ فقال عنه بأنه: "تعريف الخلق نعم الله عليهم، وحثهم على شكره، وتحذيرهم من مخالفته"<sup>(٨)</sup>، فالتذكير على رأي ابن الجوزي ﷻ - وإن اشترك مع الوعظ في التحذير من

(١) سورة ص، الآية (٤٣).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٥).

(٣) سورة المدثر، الآية (٤٩).

(٤) سورة عبس، الآية (١١).

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (ذكر) (ص ٣٢٩).

(٦) سورة الذاريات، الآية (٥٥).

(٧) النظم المستعذب في تفسير غرائب ألفاظ المهذب، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركني، أبي

عبدالله، المعروف بابن بطال (١٩٢/٢)، تحقيق: مصطفى عبدالحفيظ سالم، الناشر: المكتبة التجارية، مكة

المكرمة، د. ط، ١٩٩١ م.

(٨) القصاص والمذكرين لابن الجوزي (ص ١٦١).

العقوبة، والحث على الخير - فإنه يفارقه بالتعريف والحث.

والحاصل - على رأي الباحث - أن ورود التذكير في القرآن جاء على ما ذهب إليه ابن الجوزي رحمته الله، كما قال رحمته الله: ﴿وَذَكَّرَهُمْ بِأَيْتِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبي بن كعب رضي الله عنهما ومجاهد رحمته الله وقتادة رحمته الله: "بنعم الله"<sup>(٢)</sup>.

وجاء أيضاً موافقاً لمعنى الوعظ العام جملة وتفصيلاً كما قال رحمته الله: ﴿إِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>، قال الطبري رحمته الله في تفسيرها: "ووعظي إياكم بحجج الله وتنبهي إياكم على ذلك..."<sup>(٤)</sup>، وقال رحمته الله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٥)</sup>، قال الطبري رحمته الله: "إن في فعل الله ذلك كالذي وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجا يتذكرون به"<sup>(٦)</sup>، وكان ابن الجوزي رحمته الله في تفريقه هذا قد فسر العام ببعض أفراده.

فالتذكير إذاً هو الوعظ، والوعظ هو التذكير سواء بسواء كما جاء مستعملاً في كتب العلم ومصنفات الإسلام، وعليه فإن القول في التفريق بين التذكير والنصيحة كالقول السابق في الفرق بين النصيحة والموعظة.

(١) سورة إبراهيم، الآية (٥).

(٢) تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن، تأليف: محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٤/٣٣٥)، تحقيق: محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٣) سورة يونس، الآية (٧١).

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (١٥/١٤٧)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥) سورة الزمر، الآية (٢١).

(٦) تفسير الطبري (٢١/٢٧٧)

## المطلب الرابع

## تعريف الأئمة في اللغة والاصطلاح

أولاً: الأئمة لغة:

الأئمة جمع إمام، وأصل كلمة (إمام) من (أمّ)، قال ابن فارس رحمته الله: "(أمّ) وأما الهمز والميم فأصل واحد، يتفرع منه أربعة أبواب، وهي: الأصل والمرجع والجماعة والدين، وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة، وهي: القامة، والحين، والقصد... قال الخليل: الأمام القدام، يقول: صدرك أمامك... والإمام: كل من اقتدي به وقدم في الأمور، والنبى صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، والقرآن إمام المسلمين"<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور رحمته الله في اللسان: "والإمام: كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين... والجمع أئمة، وإمام كل شيء: قيمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية... وأمت القوم في الصلاة إمامة، وأتم به أي: اقتدى به... والإمام المثل، وإمام الغلام في المكتب: ما يتعلم كل يوم. وإمام المثل: ما امتثل عليه. والإمام: الخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه"<sup>(٢)</sup>.

وجاء في المفردات في غريب القرآن: "والإمام: المؤتم به، إنساناً كان يقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً، أو غير ذلك، محقاً كان أو مبطلاً، وجمعه: أئمة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنثَىٰ بِإِمْهَمٍ﴾"<sup>(٣)</sup>، أي: بالذي يقتدون به... والأئمة: القصد المستقيم، والتوجه نحو مقصود، وعلى

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (أمّ) (١/٢١ - ٣٠).

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة (أمم) (١٢/٢٤ - ٢٥)، وانظر: الصحاح للجوهري، مادة (أمم) (٥/١٨٦٥)،

وانظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة (أمم) (ص١٠٧٧).

(٣) سورة الإسراء، الآية (٧١)

ذلك، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾<sup>(١)</sup>"(٢).

ومن جميع ما تقدم يلحظ تقارب مدلولات كلمة الإمام ومعانيها عند أهل اللغة، فهي تدور حول معنى التقدم، والاقتران، والقصد.

### ثانياً: الأئمة اصطلاحاً:

عرف العلماء مصطلح الإمام وبينوه في مصنفاتهم، وقد جاء بعضها مختصراً يقارب الحد اللغوي، وجاء بعضها الآخر مفصلاً، وجميعها متقارب المعنى، متشابه المضامين، ومن تلك التعريفات:

١ - ما عرفه بعضهم بقوله: "الإمام: الواحد الذي به ارتباط المسلمين أجمعين"<sup>(٣)</sup>، وهذا التعريف قصر المصطلح على الخليفة الذي يجمع جميع الأمة، وهو شيء لم يكن بعد خلافة بني أمية.

٢ - وقال بعض العلماء إن الأئمة: "هم من يقومون بأمر المسلمين من أصحاب الولايات"<sup>(٤)</sup>، وهذا حد مختصر لم يفرق فيه بين الإمامة العظمى الواحدة، وبين النيابة في الولايات.

٣ - وقيل في تعريفها أيضاً بأن الإمام: "من عقدت له الإمامة عن اختيار من الأمة، أو غلبة

(١) سورة المائدة، الآية (٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (إم) (ص ٨٧).

(٣) غياث الأمم في التياث الظلم، تأليف: عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، أبي المعالي، ركن الدين، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، ط ٢، ١٤٠١ هـ (ص ١٧٧).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٣٨/٢)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٣٩٢ هـ.

منه، على أن يتوفر فيه شروط الإمامة"<sup>(١)</sup>.

والتعريف الأخير هو أوضح التعاريف للإمام وأبينها الذي ترجحه الدراسة؛ لاشتماله على نوعي الإمامة: الشورية والجزيرية.

وهنا تلزم الإشارة إلى أن تسمية الإمام تأتي مرادفة لألفاظ أخرى وهي: الخليفة، والملك، وأمير المؤمنين، والسلطان، والحاكم<sup>(٢)</sup>، وكل أصحاب تلك الأسماء يصدق عليه لفظ الإمام، ويندرج في اسم الإمام أيضاً ما استحدث من مصطلحات جديدة مثل: رئيس الدولة، ونحوها<sup>(٣)</sup>. وكذا من يلي الإمام رتبة من أصحاب الولايات؛ لأنهم نواب الإمام، ولهم من الوصف على قدر تفويضهم، قال الونشريسي رحمته الله: "اعلم أن للحكام الذين تجري على أيديهم الأحكام ولايات وخططاً، أولها وأجلها: الخلافة الكبرى والإمامة العظمى، وولاية الوزارة، وولاية القضاء، وولاية الشرطة، وولاية الإمارة على البلاد، وولاية الإمارة على الجهاد، وولاية المظالم، وولاية الحسبة والسوق، وولاية الردة، وولاية المدينة، وولاية عقود الأنكحة والفسوخ، وولاية التحكيم، وولاية السعاية وجباية الصدقة، وولاية الخرص، وولاية صرف النفقات والقروض المقدرة على مستحقيها، وإيصال الزكاة لأصنافها، وقسمة الغنائم، وإيصال مال

(١) النصيحة لأولي الأمر وأعوانهم ورعيته من خلال القرآن الكريم، إعداد: د. صالح عسكر (ص ٣٣٨٦)، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢م.

(٢) انظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تأليف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (١/١٣)، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، الناشر: مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

(٣) انظر: الاستفتاء الشعبي بين الأنظمة الوضعية والشريعة الإسلامية، تأليف: د. ماجد راغب الحلو (ص ١٢)، الناشر: مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

الغائبين إليهم..."<sup>(١)</sup>.

وبناء عليه فإن حدود الدراسة تشمل الكتب المصنفة في مناصحة أصحاب الولاية العظمى من الحكام، والملوك، والسلاطين ونحوهم، وكذا من ناب عنهم في شيء من أمور الولاية كالوزارة، والقضاء، والشرط ونحوها.

---

(١) الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، تأليف: أحمد بن يحيى الونشريسي (ص ٢١ - ٢٢)،

نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، الناشر: لافوميك، الجزائر، د. ط، د. ت.

## المطلب الخامس

### التعريف بمناصحة أئمة المسلمين

وقف الباحث على تعريفات كثيرة لمصطلح "مناصحة أئمة المسلمين" - وهو مقصود الدراسة -، ومن أبرز تلك التعريفات:

١- ما قاله المروزي رحمته الله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحب طاعتهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة كلهم، وكرهية افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعرازهم في طاعة الله" (١).

٢- وكذا ما نقل عن النووي رحمته الله في قوله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم" (٢).

٣- وما قاله ابن الصلاح رحمته الله: "النصيحة لأئمة المسلمين أي: لخلفائهم وقادتهم، ومعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به، وتنبههم في رفق ولطف، ومجانبة الخروج عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك" (٣).

٤- وقد أوضح الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ رحمته الله معنى المناصحة لأئمة المسلمين فقال: "والنصيحة لأئمة المسلمين: أمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله، وطاعتهم في المعروف، والنصح لهم باطناً وظاهراً، وعدم مشاقتهم ومنازعتهم، وتحريم الخروج

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/٦٩٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٣٨).

(٣) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح (١/٢٢٢)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١/١٣٨).

عليهم" (١).

٥- ونقل عن الشيخ عبدالله بن حميد رحمته الله في مفهوم المناصحة للأئمة قوله: "معنى النصح لهم: تنبيههم عند الغفلة، وإرشادهم عند الهفوة، وغرس محبتهم في قلوب الرعية، ورد القلوب الشاردة إليهم" (٢).

ويمكن أن تجمل معاني المناصحة لأئمة المسلمين من خلال تعريفات العلماء لها في الأمور الآتية:

- ١- اعتقاد إمامتهم، ومن لم يعتقد إمامتهم فليس بناصح لهم (٣).
- ٢- طاعتهم في المعروف مع الحث على طاعتهم والدعاء لهم.
- ٣- محبتهم وتحبيبهم إلى قلوب الناس.
- ٤- إجلالهم وتوقيرهم واللفظ معهم.
- ٥- معاونتهم على البر والتقوى بتذكيرهم والتلطف في وعظهم.
- ٦- الدفاع عنهم وحفظ ولايتهم.

فهذه كلها تفسر وتوضح معنى النصيحة لأئمة المسلمين؛ إذ النصيحة ليست مقصورة على إسداء الوعظ والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يفهم البعض، بل إنها شاملة شمول دلالة لفظ النصيحة، لتعم كل خير مقدور يجب بذله للمنصوح إرادة وفعلاً وقولاً.

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام (١٤/٢٩٧)، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، د.ن،

الطبعة السادسة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٢) المصدر السابق (١٥/٤٣٠)

(٣) انظر: شرح الأربعين النووية لابن عثيمين (ص ١٢٠).

## المطلب السادس

### تعريف المصنف في اللغة والاصطلاح

أولاً: المصنف لغة:

المصنّف اسم مفعول للفعل (صنّف)، ومصدره (تصنيف)، ويدور مفهوم التصنيف في اللغة بين معنيين، هما: التمييز، والطائفة من الشيء<sup>(١)</sup>، قال ابن فارس رحمته الله: "الصاد والنون والفاء أصل صحيح مطرد في معنيين، أحدهما: الطائفة من الشيء، والآخر: تمييز الأشياء بعضها عن بعض.

فالأول: الصنف، قال الخليل: الصنف طائفة من كل شيء....

والأصل الآخر: قال الخليل: التصنيف: تمييز الأشياء بعضها عن بعض، ولعل تصنيف الكتاب من هذا، والغريب المصنف من هذا، كأنه مُيّزَت أبوابه فجعل لكل باب حيزه. فأما أصله في لغة العرب فمن قولهم: صنفت الشجرة، إذا أخرجت ورقها"<sup>(٢)</sup>.

وجاء في القاموس المحيط: "الصنف، بالكسر والفتح: النوع، والضرب، جمعه: أصنافٌ وصنوفٌ...، وصنفته تصنيفاً: جعله أصنافاً، وميز بعضها عن بعض...، والمصنف من الشجر: ما فيه صنغان من يابس ورطب..."<sup>(٣)</sup>.

وجاء في النهاية لابن الأثير رحمته الله: "صنف) وفيه: ((فلينفضه بصنفة إزاره؛ فإنه لا يدري

(١) انظر: العين، تأليف: أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، مادة (صنف) (١٣٢/٧)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت؛ وانظر: تهذيب اللغة للأزهري، مادة (صنف) (١٤٢/١٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (صنف) (٣/٣١٣-٣١٤).

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة (صنف) (ص ٨٢٨-٨٢٩)، وانظر: مختار الصحاح للرازي، مادة (صنف) (ص ١٧٩)، وانظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (صنف) (٩/١٩٨).

ما خلفه عليه))<sup>(١)</sup>؛ صنفه الإزار - بكسر النون - : طرفه مما يلي طرفه" <sup>(٢)</sup>.  
ومما تقدم يتبين أن التصنيف يعني تمييز الأنواع عن بعضها، وضم النظائر والأشباه إلى بعضها.

### ثانياً: التصنيف اصطلاحاً:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للتصنيف عن معناه اللغوي؛ ولهذا فإن أهل اللغة لما أوضحوا معنى التصنيف لغة قالوا: "ولعل تصنيف الكتاب من هذا"<sup>(٣)</sup>.  
وقد عُرف التصنيف الاصطلاحي بأنه:  
١- "تأليف صنف من العلم. ولا يقال للكتاب إذا تضمن نقض شيء من الكلام مصنف؛ لأنه جمع الشيء وضده، والقول ونقيضه"<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي في سننه، باب الدعوات برقم [٣٤٠١] (٤٧٢/٥)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ، وقال: "وحدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ"، ورواه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا قام عن فراشه ثم رجع إليه واضطجع برقم [١٠٦٦٠] (٣٢٨/٩)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبدالله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/١٨٤)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة (صنف) (٣/٥٦).

(٣) مجمل اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين، باب (صنف) (١/٥٤٣)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

(٤) الفروق اللغوية، تأليف: أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ص ١٤٥ -

١٤٦)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.

٢- وقيل بأنه: "جعل الشيء - أي المؤلف - أصنافاً متميزة"<sup>(١)</sup>.

٣- وقيل: "تأليف الكلام لتحريره نشرًا ونظمًا"<sup>(٢)</sup>.

ويبدو للباحث أن التعريف الثالث هو الراجح؛ لاشتماله على أنواع التأليف من جمع، وشرح، واختراع، ونظم، ونشر، وتحقيق، وتتميم وغير ذلك، أما التعريفان الآخران فقد بنيا على المعنى اللغوي، حيث اقتصر على الكتب التي سلمت من الخلاف، ورتبت على الأبواب، ويأتي الكلام عنه في تعريف التأليف، وبيان أوجه الاتفاق والافتراق بينه وبين التصنيف.

ثالثاً: المصنفات في مناصحة أئمة المسلمين:

وقف الباحث على عدة تعريفات لمصنفات مناصحة أئمة المسلمين جميعها لمؤلفين

معاصرين؛ إذ لم يقف الباحث على حد لها عند المتقدمين، فمن تلك التعريفات:

١- قول بعضهم بأنها: "تلك المؤلفات التي يسترشد بها أولو الأمر في سياسة الملك وتدبير أمر الرعية"<sup>(٣)</sup>، وهذا تعريف مختصر، حيث قصر تلك الكتب على رسم السياسة وتدبير الملك.

٢- وعرفها آخرون بأنها: "نصائح سياسية تسدى إلى الأمير أو ولي العهد حتى يكون سياسياً ناجحاً، وتقوم على قاعدة أخلاقية ترتبط بالدين"<sup>(٤)</sup>، وهذا التعريف لم يف

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، تأليف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (٣٣/١)، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

(٢) أبجد العلوم، تأليف: أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١/١٢٠)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.

(٣) الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، تأليف: د. عبدالرحمن بدوي (ص ٥)، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ومطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٩٥٤ م.

(٤) ملامح يونانية في الأدب العربي، تأليف: إحسان عباس (ص ١٤٣)، الناشر: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٣ م.

بالمقصود؛ لأنه قصر غاية الوعظ على النجاح السياسي.

٣- ويذهب بعض المشتغلين بدراسة هذا النوع من المصنفات إلى تعريفها بقوله إنها: "مجموعة من النصائح العملية، والقواعد السياسية والأخلاقية المفيدة في كيفية تسيير شؤون السلطنة بدءاً من أعلى قممتها (السلطان)، إلى أسفل هرمها (العامة)، بهدف دوام الحكم، والحيلولة دون انهياره"<sup>(١)</sup>، وهذا التعريف أيضاً لا يخلو من النقد؛ لأنه لم يتطرق إلى الجانب الوعظي لتلك الكتب، كما أن غاية التأليف فيه لا تتفق مع مراد العلماء من تصنيفهم.

وعند التأمل في تلك التعاريف السابقة يجد الباحث أنها تجتمع في وحدة موضوعية يمكن أن تصاغ في نقطتين، هما:

١- أنها موجهة إلى أئمة المسلمين.

٢- أنها تناقش موضوع النصيحة والإصلاح الديني والأخلاقي والسياسي للدولة.

ويمكن للباحث أن يصوغ تعريفاً لذلك النوع من المصنفات من رؤية دعوية، فيقال بأنها: تلك المؤلفات التي تهدف إلى إرشاد الأئمة وأعاونهم، ووعظهم وتذكيرهم، في شأن القيام بحق الإمامة على المراد الشرعي؛ للمحافظة على الحكم ودوام صلاحه.

رابعاً: الألفاظ ذات الصلة بالتصنيف:

التأليف:

يجد الباحث أن مصطلح "التأليف" هو أقرب الألفاظ وأشبهها معنى بمصطلح "التصنيف"، حتى أنه يستعمل في كتب أهل العلم بالمناوبة مع لفظ "التصنيف" للدلالة على ذات المعنى.

(١) السلطة والسياسة في الأدب السلطاني، تأليف: عز الدين العلام (ص ٥)، الناشر: دار أفريقيا الشرق، الدار

البيضاء - المغرب، د. ط، ١٩٩١م.

## التأليف لغة:

يدور معنى التأليف حول الضم، والجمع، والوصل، والترتيب، قال ابن فارس رحمته الله في مقاييس اللغة: "الهمزة واللام والفاء أصل واحد، يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضاً. قال الخليل: الألف معروف، والجمع الآلاف... وكل شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألفتها تأليفاً"<sup>(١)</sup>.

وفي تهذيب اللغة: "وألفت بينهم تأليفاً، إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وألفت الشيء: وصلت بعضه ببعض، ومنه: تأليف الكتب، وألفت الشيء أي: وصلته"<sup>(٢)</sup>.

وفي مفردات القرآن: "والمؤلف: ما جمع من أجزاء مختلفة، ورتب ترتيباً قدم فيه ما حقه أن يقدم، وآخر فيه ما حقه أن يؤخر"<sup>(٣)</sup>.

## التأليف اصطلاحاً:

لا يفارق المعنى الاصطلاحي للتأليف معناه اللغوي كثيراً، وقد مر في إيضاح معناه لغة قول بعضهم: "منه تأليف الكتب"<sup>(٤)</sup>، وللعلماء تعاريف كثيرة للتأليف فمن ذلك:

١ - تأليف الكتاب هو: "ضم بعضه إلى بعض حروفاً، وكلمات، وأحكاماً، ونحو ذلك من الأجزاء"<sup>(٥)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (ألف) (١/١٣١).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري، باب (لف) (١٥/٢٧٢)، وانظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (ألف) (٩/١٠)، وانظر: المصباح المنير، مادة (ألف) (١/١٨)، وانظر: تاج العروس للزبيدي، مادة (ألف) (٢٣/٣٣).

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (ألف) (ص ٨١).

(٤) تاج العروس للزبيدي، مادة (ألف) (٢٣/٣٣).

(٥) شرح مختصر الروضة، تأليف: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبي الربيع، نجم الدين

(١/٩٢)، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٢- وقيل عنه بأنه: جعل الأشياء بحيث يطلق عليها اسم الواحد، وقد يقال: التأليف جمع أشياء متناسبة<sup>(١)</sup>.

٣- وعرف أيضاً بأنه: "إيقاع الألفة بين الكلام، مع التمييز بين الأنواع"<sup>(٢)</sup>. والذي يظهر أن هذا التعريف إلى التصنيف أقرب منه إلى التأليف.

٤- ويرى بعضهم أن التأليف هو: "إيداع فيض الضمائر في الأوراق، فيقول أهل الفنون المعتنون بإيداع ما يحصل في ضمائرهم من ذلك في بطون الأوراق بهذه الكتابة؛ لتعم الفائدة في حصوله للغائب والمتأخر، وهؤلاء هم المؤلفون"<sup>(٣)</sup>.

ومما سبق يمكن أن يصاغ تعريف للتأليف فيقال بأنه: اجتهاد ذهني، وإعمال عقلي، في ضم المسائل والعلوم والأفكار، وجمعها بين دفتي الكتب.

فالتأليف إذاً: هو ضم المسائل والعلوم والأفكار سواء أكانت من علم المؤلف نفسه وفيض ضميره، أم كانت نقلاً عن غيره، شريطة أن يبين فيه وجه التحقيق والتكميل والنقد، ولذا قيل: اجتهاد ذهني وإعمال عقلي، احترازاً من النقل المرسل بلا فهم ولا تحقيق ولا تنقيح.

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (ص ٥٠)، وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبدرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (١/٨٩)، الناشر: عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، وانظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي (١/٢٨٨)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (١/٣٥)، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد، د. ط، ١٩٤١م.

(٣) تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تأليف: عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ص ٧٢٩)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

## الفرق بين التصنيف والتأليف:

عند النظر في التعاريف والحدود، وكتب الفروق والشروح، يُدرك الناظر بأن هناك اضطراباً ملحوظاً في إيجاد الفرق بين مصطلحي التأليف والتصنيف، وسببه - والله أعلم - كامن في محاولة الربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، مع التناقض العملي لتلك الحدود والفروق عند التطبيق والممارسة.

وقد قيل في الفرق بينهما:

١- "أن التأليف إيقاع الألفة بين الكلام مع التمييز بين الأنواع، والتصنيف أعم منه، إذ هو جعل الشيء أصنافاً متميزة، وقد يستعمل كلٌّ منهما مكان الآخر"<sup>(١)</sup>، فجعل التصنيف هنا أعم من التأليف، فهو تأليف مبوب ومجزء على حسب موضوعاته.

٢- وقال آخرون: بأن "التأليف أعم من التصنيف؛ وذلك أن التصنيف تأليف صنف من العلم، ولا يقال للكتاب إذا تضمن نقض شيء من الكلام مصنف؛ لأنه جمع الشيء وضده، والقول ونقيضه، والتأليف يجمع ذلك كله؛ وذلك أن تأليف الكتاب هو جمع لفظ إلى لفظ، ومعنى إلى معنى فيه، حتى يكون كالجملية الكافية فيما يحتاج إليه، سواء كان متفقاً أو مختلفاً، والتصنيف مأخوذ من الصنف ولا يدخل في الصنف غيره"<sup>(٢)</sup>، فالتصنيف على هذا القول أخص من التأليف؛ لأنه لا يخرج عن الحد الوصفي الذي رسم له، ولا يضم بين دفتيه ما يعارض وحدة موضوعه، وترجيح مؤلفه واختياره.

٣- وقال بعضهم بأن: التصنيف يفارق التأليف في كونه من إنتاج المصنف نفسه؛ ليخرج بذلك الجمع والنقل، قال أبو هلال العسكري رحمته الله: "وأما التصنيف، فالمشهور أنه: ما

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة (١/٣٥).

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص ١٤٥-١٤٦).

كان من كلام المصنف<sup>(١)</sup>؛ ولذا درج بعض المتقدمين على إطلاق لفظ المصنف على الماتن، والمؤلف على الشارح تخریجاً عليه، وفي البجيرمي رحمته الله على الخطيب رحمته الله قال: "قوله: "قال المؤلف" كان المناسب أن يقول الشارح: "قال المصنف" بدل قوله "المؤلف" بناء على ما اشتهر من إطلاق المصنف على الماتن، والمؤلف على الشارح، لكن المصنف يقال له: مؤلف أيضاً<sup>(٢)</sup>، وعليه أيضاً فإن التصنيف على هذا القول أعم من التأليف.

٤ - ويذهب بعض المعاصرين إلى عكس القول السابق فيجعل التأليف هو ما كان من فعل الكاتب بالأصالة، فيقول: "المؤلف هو: ذلك الكاتب الأصلي لأي عمل أدبي أو علمي، أو ذلك المبدع أو المفكر أو المبتكر أو الصانع، مع مسؤوليته عن المحتويات التي يقدمها. أما التصنيف فيعرف بأنه: جعل الشيء أصنافاً متميزة، ومن ثم فإن جمع مادة علمية معينة في كتاب معين، أو ترتيب مادة يعد تصنيفاً، فتجميع الحديث النبوي في القرون الأولى في جوامع وسنن... يعد تصنيفاً، وفاعل ذلك يسمى مصنفاً لا مؤلفاً؛ لأنه في هذه الأحوال يقوم بعمل تحليل وتبويب للألفاظ والمعاني، وهي في الوقت نفسه ليست من إبداعه ونشأته، بل هي نصوص ومفردات سابقة، قام على خدمتها وتصنيفها حسب ما ارتأى"<sup>(٣)</sup>.

والذي يظهر - والله أعلم - أن التأليف والتصنيف بينهما خصوص وعموم مطلق، كما ذكر ذلك صاحب الفروق؛ ذلك أن التأليف هو مطلق الضم، أما التصنيف فهو جعل كل نوع على شاكلته، مع جريان استعمال كل منهما عرفاً مكان الآخر، قال صاحب كشف الظنون: "وقد

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص ٧٨).

(٢) تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، تأليف: سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي المصري الشافعي (١/ ٢١)، الناشر: دار الفكر، د. ط، ١٩٩٥ م.

(٣) الفرق بين المصنف والمؤلف، إعداد: محمد شوقي، جواب على سؤال، منشور على موقع الألوكة، تاريخ الزيارة:

يستعمل كلُّ منهما مكان الآخر<sup>(١)</sup>، والمتأمل في مؤلفات العلماء قديماً وحديثاً لا يجد مشاحة في استعمال لفظ التصنيف مكان التأليف، ولفظ التأليف مكان التصنيف، مع وجود الفرق النسبي من حيث الوضع اللغوي والاصطلاحي عند بعضهم.

---

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة (١/٣٥).

## المبحث الثاني

### منزلة الإمامة في الإسلام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مشروعية الإمامة.

المطلب الثاني: حقوق الإمامة.

المطلب الثالث: مقاصد الإمامة الدينية والدنيوية.

تمهيد:

لما كان شرف الأسباب وعظم خطرهما متعلقاً بمسبباتها وغاياتها، كانت مناصحة الأئمة وموعظة الملوك من أجل مراتب النصيحة، وأعظم أبواب الوعظ؛ لتعلقها بصلاح الإمامة التي "جعلت نيابة عن الله في عباده وبلاده، وتنفيذ أوامره وأحكامه، وقد كان يقوم به الأنبياء، ثم قام بها بعدهم الخلفاء"<sup>(١)</sup>؛ ولذا كانت مصنفات المناصحة تستهل مضامينها ببيان منزلة الإمامة وأحكامها، وعظم مكانة الملوك وعلو رتبهم، تنبيهاً على شرف ما يكتبون فيه، يقول القلعي رحمته الله في "تهذيب الرياسة": "وقد ابتدأت ذلك بذكر وجوب الإمامة، وعدم الاستغناء عن الولاية، وما يجب لهم على الكافة من الطاعة والموالاتة، والله تعالى الموفق للانتظامه والقيامه، والمعين على إتمامه واختتامه"<sup>(٢)</sup>.

(١) المصباح المضيء في خلافة المستضيء، تأليف: عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبي الفرج ابن الجوزي (ص ٨٩)، تحقيق: د. ناجية عبدالله إبراهيم، الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

(٢) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تأليف: محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي (ص ٧٣)، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، الناشر: مكتبة النار، الزرقاء - الأردن، د. ط، ١٩٨٥م؛ وانظر: آداب الملوك، تأليف: أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ص ٣٣-٤٨)، تحقيق: د. جليل العطية، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٠م؛ وانظر: نصيحة الملوك، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ص ٣٣-٣٦)، تحقيق: أ. د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ؛ وانظر: سراج الملوك، تأليف: أبي بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (ص ١٤)، الناشر: دار الاستقامة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، وانظر: المنهج السلوك في سياسة الملوك، تأليف: عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله، أبي النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (ص ١٦٣-١٦٨)، تحقيق: علي عبدالله موسى، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء، د. ط، د. ت؛ وانظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٨٩-١٢٣)؛ وانظر: آثار الأول في ترتيب الدول، تأليف: الحسن بن عبدالله العباسي (ص ٥٧-٦١)، قام بتحقيق نصوصه، وتخرير أحاديثه، والتعليق عليه: الدكتور عبدالرحمن عميرة، الناشر: دار الجليل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى

=

وإن مما يدل دلالة مباشرة على ما تحظى به الإمامة من مكانة عظيمة عند المسلمين، هو كثرة التصنيف والتأليف في باب السياسة الشرعية، الذي تعد الإمامة موضوعه الرئيس، ومهما اختلف منزع المؤلفين في هذا الباب، فإن النظام الذي ينظم موضوعاتها، هو الحرص الشديد على الحفاظ على بقاء الإمامة وصيانتها، حيث تختلف مشارب المتناولين لها في مصنفاتهم تبعاً لوجهة المصنفين العلمية، ومرادهم من ذلك التصنيف، وقد توزعت إسهامات المؤلفين في هذا الباب خلال عصر التدوين بين ثلاثة أنواع علمية وهي: الأحكام السلطانية، والفلسفة السياسية، والآداب السلطانية - نصائح الملوك - وما زالت هذه النصوص التي بين أيدينا، والتي ترجع إلى تلك الفترة شاهد على هذا النوع والتعدد، وكاشفة لمعانيه وخصائصه<sup>(١)</sup>، وقد اجتهد بعض الباحثين في استقرار أسماؤها وعناوينها، وإخراجها من بطون الفهارس وخزائن المخطوطات في كتاب مستقل<sup>(٢)</sup>.

لقد حفلت خزائن المخطوطات، ومكتبات العالم بمؤلفات كثيرة جداً في موضوعات الإمامة، سواء ما كان منها متعلقاً بالفقه السياسي وهو ما يطلق عليه بالأحكام السلطانية، أو ما كان متعلقاً بالأخلاق والآداب وحسن تدبير الملك وهو ما يطلق عليه المختصون اسم الآداب

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م؛ وانظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (ص ٨ - ٧٨)، وانظر: بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاية الأمور وسائر الرعية، تأليف: محب الدين أبي حامد محمد بن أحمد المقدسي الشافعي (١٠٦ / ١٢٨ -)، تحقيق: سالم بن طعمه بن مطر الشمري، أصل الكتاب: رسالة ماجستير - قسم الاحتمساب - كلية الدعوة والإعلام - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤١٦ هـ؛ وانظر: تحرير السلوك في تدبير الملوك، تأليف: أبي الفضل محمد بن عبد الوهاب السنباطي المشهور بابن الأعرج (ص ٢٣ - ٢٩)، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية - مصر، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م.

(١) سيأتي بيان هذا مفصلاً في الفصل الثاني من الباب الأول (ص ٢٤٥ - ٣٧٩).

(٢) الكتاب هو: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف. وقد وقف الباحث على دليل آخر يقارب هذا المؤلف، وهو: دليل مصنفات السياسة الشرعية والأحكام السلطانية، اللجنة العلمية بمركز ابن الأزرق.

السلطانية أو نصيحة الملوك، وعلى كلا التسميتين فإن " ما تم التعرف عليه ودراسته من مصادر التراث السياسي لا يتعدى عند جميع المؤلفين فيه أكثر من ١٨٪، ولم يتعد عند أي منهم أكثر من ٦٪ من مجمل الكتابات الإسلامية في علم السياسة"<sup>(١)</sup>، فالمتداول بين يدي الدارسين والمتخصصين لا يشكل أكثر من عشرين بالمائة، من مجموع ما عُلم من تلك المصنفات<sup>(٢)</sup>.

إن مئات الكتابات المدرجة في موضوع السياسة الشرعية أو الآداب السلطانية أو نصيحة الملوك أو الفلسفة السياسية، التي يشهدها العالم الإسلامي بدءاً من ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) المؤسس لهذا الفن من التصنيف إلى أحمد بن إسماعيل البرزنجي الحسيني (ت ١٣٣٢هـ) في المشرق العربي، ومن المرادي (ت ٤٨٩هـ) أول من أسس القول فيها في المغرب الإسلامي إلى غاية الكتابات السياسية المخطوطة والمحفوظة التي انتعشت في مغرب القرن التاسع عشر<sup>(٣)</sup>، تشهد لهذه الأمة حرصها البالغ الشديد على القيام بحفظ هذا الحق الشرعي، الذي يحصل به حفظ مصالح الدين والدنيا، والتي أجمعت الشرائع قاطبة على حمايتها وحراستها.

وتتناول الدراسة في هذا المبحث مشروعية الإمامة وحقوقها، والوقوف على مقاصدها

الدينية والدينيوية الظاهرة من خلال المطالب الآتية:

(١) في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ٥٨).

(٢) وقد وقف الباحث في رحلته البحثية لجمهورية مصر العربية على عدد كبير من المخطوطات في هذا الموضوع، والتي تستلزم من الباحثين في مجال الدعوة والسياسة الشرعية، جدية البحث والتحقيق لهذا الموروث العظيم في هذا الباب، وإعادة قراءته وخدمته بالشرح والتعليق والتحقيق.

(٣) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٨).

## المطلب الأول

### مشروعية الإمامة

أجمع العلماء على وجوب إقامة ولي أمر المسلمين وتنصيبه، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا النجدات من الخوارج، وهشام بن عمرو الفوطي - وإليه ينسب الهشامية من المعتزلة -، والأصم وهو من كبار المعتزلة أيضاً، وقد نقل غير واحد من العلماء هذا الإجماع<sup>(١)</sup>، ولم يعدوا كلام هؤلاء خارقاً له عندهم؛ لكونهم من أهل الأهواء الذين لا يعتد بكلامهم في مسائل الاعتقاد، ولمصادمتهم صحيح المنقول المتفق على قبوله.

وإقامة ولي أمر للمسلمين واجب لا مرية فيه، وبه تنعقد مصالحهم الدينية والدنيوية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع؛ لحاجة بعضهم إلى بعض"<sup>(٢)</sup>.

وقد دل الكتاب والسنة والإجماع ومقاصد الشرع على ذلك، وشهد به العقل والفطرة، قال الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمته الله: "إنابة ولي أمر عام للمسلمين يتولى شؤونهم وتنظم به أمورهم ويجمع شملهم واجب على المسلمين، ويجب عليهم أن يختاروا من بينهم من يصلح للقيام بواجب الأمة، وإن لم يكن في الأمة من يصلح لذلك إلا واحد تعين عليهم أن يقيموه والياً عاماً عليهم، وتعين عليه أن يتقبل تولي هذا المنصب؛ حفاظاً لكيانها، وتحقيقاً لما ينهض بها

(١) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري (ص ١٢٥)، عني بتصحيحه: هلموت ريتز، الناشر: دار فرانز شتاينز، بمدينة فيسبادن - ألمانيا، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ص ١٢٩)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

سياسة وتديراً، وثقافة وعلماً، وإنتاجاً وكسباً... والحكمة في ذلك رعاية مصلحة الأمة... وقد شهدت الفطرة بضرورة إقامة ولي عام على المسلمين على مصالحهم... ويبدل وسعه في توحيد كلمتهم ولم شعثهم، بل عرف الإنسان أن اتخاذ القيادة وضرورتها أمر جبلت عليه الحيوانات العجاوات، فإننا لا نكاد نجد طائفة من الحيوانات على اختلاف أنواعها... إلا اتخذت لنفسها قيادة تنظم مسيرها وعملها... وتنصيب الولاة والأئمة أمر معروف طبعت عليه القبائل والأمم...<sup>(١)</sup>؛ ولذا لا توجد أمة وبر ولا مدر إلا وهي تجتمع على أميرٍ أو رئيسٍ تطيعه وتسمع له.

### الأدلة على وجوب إقامة الإمام:

تقدم أن إقامة ولي أمر للمسلمين واجبة بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، ومقاصد الشريعة، وشهود العقل والفطرة عليه؛ ولذا كان أمر الإمامة والجماعة من أوضح واضحات الإسلام التي أجمع المسلمون على وجوبها، وقد استدلل العلماء على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع ومقاصد الشريعة.

### أولاً: النصوص القرآنية:

١ - قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال القرطبي رحمه الله: "هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة ليعلم له ويطاع؛ لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة، إلا ما روي عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه

(١) منهج الشيخ عبدالرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إعداد: أحمد بن علي الزامل عسيري (١/٥٤٧)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية عام ١٤٣١ هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٠).

ومذهبه" (١).

٢- قوله ﷺ: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢)، أورد الطبري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أن أولى الأمر هم الأمراء"، ثم قال في تفسيره: "أولى الأقوال في ذلك بالصواب قوله من قال: هم الأمراء والولادة فيما كان الله طاعة، وللمسلمين مصلحة" (٣)، وقال ابن كثير رحمه الله: "الظاهر - والله أعلم - أن الآية عامة في جميع أولى الأمر من الأمراء والعلماء" (٤).

وجه الدلالة من الآية في وجوب تنصيب الإمام: أن الله - سبحانه - أوجب على المؤمنين طاعة أولى الأمر؛ لما يترتب على ذلك من انتظام مصالح الناس الدينية والدنيوية، ووجود هذا المعنى في تنصيب الإمام أبين، فيدخل في الوجوب بقياس الأولى، كما أن تحقيق الوجوب في الطاعة لا يكون إلا بتحقيق وجود الإمام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وفي شرح المقاصد: وجوب طاعته ومعرفته بالكتاب والسنة، وهو يقتضي وجوب حصوله وذلك بتنصيبه (٥).

(١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (١/٢٦٤)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

(٢) سورة النساء، الآية (٥٩).

(٣) تفسير الطبري (٨/٥٠٢).

(٤) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (٢/٣٠٤)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب علمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(٥) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام، تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني (٢/٢٧٥)، الناشر: دار المعارف النعمانية، باكستان، د. ط، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٣- قوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: ﴿فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وكل الآيات الدالة على أمر الله لنبيه ﷺ بأن يحكم بالكتاب، فيها دلالة على وجوب تنصيب الإمام؛ لأن خطاب الرسول ﷺ خطاب لأُمَّته ما لم يرد مخصص لذلك، وهنا لا يوجد دليل على التخصيص، فيكون الخطاب عاماً لسائر المسلمين بوجوب الحكم بما أنزل الله، ولا يمكن أن يقام الحكم إلا بإقامة الإمامة؛ لأن ذلك من مهامها، كما أنه لا يمكن أن يطبق الشرع في الأحكام والقضاء إلا بها، بل لا يجوز إقامة حدٍ إلا بإمام، قال الشيرازي رحمه الله: "لا يقيم الحدود على الأحرار إلا الإمام أو من فوض؛ لأنه لم يقم حد على حر على عهد رسول الله ﷺ إلا بإذنه، ولا في أيام الخلفاء إلا بإذنهم؛ ولأنه حق لله - تعالى - يفتقر إلى الاجتهاد، ولا يؤمن في استيفائه الحيف فلم يجز بغير إذن الإمام"<sup>(٤)</sup>.

٤- قوله ﷺ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(٥)</sup>، يخبر الله ﷻ في هذه الآية أنه أرسل رسله بالآيات الواضحة، وأنزل معهم الكتب والميزان؛ ليقوم أمر الناس بالعدل الذي لا يستقيم إلا بالقوة والسلطان،

(١) سورة النساء، الآية (١٠٥).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٩).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٨).

(٤) المهذب في فقه الإمام الشافعي، تأليف: أبي اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (٣/ ٣٤١)، الناشر:

دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت.

(٥) سورة الحديد، الآية (٢٥).

وهذا لا يستقيم لأتباع الرسل إلا بسultan مطاع، وسيف مصلت، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: " فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي، والسيف الناصر، فالكتاب يبين ما أمر الله به وما نهى عنه، والسيف ينصر ذلك ويؤيده"<sup>(١)</sup>، ولما كان أمر العدل وبلاغ الرسالة أمراً واجباً على الأمة، ولا يمكن قيامه إلا بإمام، دل ذلك على وجوب تنصيب الخلفاء والأمراء والأئمة.

٥- قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَرَبُّهُمُ الْعَلِيُّ وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴾<sup>(٢)</sup>، قال الإمام الطبري رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾: " إن وطنا لهم البلاد فقهرها المشركين وغلبوهم عليها، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>(٣)</sup>، وهذا لا يكون إلا بسultan وإمام، وقد كان ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في الخلفاء من بعده، إذ لا يمكن أن يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الشرائع إلا بقهر سلطان ينفذ فيهم أمر الكتاب ونهيه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: " إن الله تعالى أوجب الأمر بالعرف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد، والعدل، وإقامة الحج، والجمع، والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، لا تتم إلا بالقوة والإمارة"<sup>(٤)</sup>؛ ولذا كان تنصيب الأئمة واجباً على الأمة؛ لتقوم بفريضة الله عليها، وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) مجموعة الرسائل والمسائل، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (١٣٤/٥)، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، ومحمد الأنور أحمد البلتاجي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٢) سورة الحج، الآية (٤١).

(٣) تفسير الطبري (١٨/٦٥١).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٣٩٠/٢٨)، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

المنكر.

وكل آيات القصاص والأحكام وآيات وجوب الحكم بما أنزل الله، وكذا الآيات الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد التمكين، هي دالة على وجوب تنصيب الأئمة والخلفاء والأمرء؛ لأن قيامها على الأرض فريضة، وهذه الفريضة مفتقرة إلى الإمامة افتقار المشروط إلى الشرط.

ثانيا: نصوص السنة النبوية:

النصوص الدالة على وجوب إقامة إمام وتنصيب حاكم على المسلمين يستقيم به أمر دينهم وحال معاشهم كثيرة جداً، وتقتصر الدراسة في هذا المقام على بعضها، فمن ذلك:

١ - ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»<sup>(١)</sup>، ومعنى هذا الحديث "أنه يجب على الإنسان أن يجعل له إماماً، ولا يحل لأحد أبداً أن يبقى بلا إمام؛ لأنه إذا بقي بلا إمام بقي من غير سلطان، ومن غير ولي أمر، والله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا الذي مات وليس في عنقه بيعة شاذ خارج عن سبيل المؤمنين؛ لأن المؤمنين لا بد أن يكون لهم أمير مهما كانت الحال"<sup>(٣)</sup>؛ ذلك أن الدين لا يقوم كيانه إلا بجماعة، ولا ينظم نظام الاجتماع إلا بسultan مطاع، قال الشيخ عبد الله العنقري رحمته الله: "وقد علم بالضرورة من

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند الظهور برقم [١٨٥١] (٣/١٤٧٨).

(٢) سورة النساء، الآية (٥٩).

(٣) لقاء الباب المفتوح للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١/٢٢)، لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس، بدأت في أواخر شوال ١٤١٢ هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١ هـ، وكانت مسجلة في أشرطة، ورقم الجزء هو رقم اللقاء.

دين الإسلام: أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة...<sup>(١)</sup>.

وإذا تقرر أن قيام الدين موقوف على الاجتماع، والاجتماع متوقف على وجود سلطان مطاع، وأن لزوم السمع من الإيمان، وتركه من الجاهلية، دل ذلك على وجوب تنصيب الأئمة والملوك والخلفاء.

٢- وما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم))<sup>(٢)</sup>.

وقد استدلل العلماء بهذا الحديث على وجوب نصب الأئمة والأمراء والولاة والحكام حتى يقوموا برعاية مصالح المسلمين وترتيب أمورهم؛ لأن الشريعة التي أمرت بالتأشير في السفر مع قلة العدد؛ لانتظام أمر المسافرين، لا تدع الأمر به لمصلحة المسلمين عامة<sup>(٣)</sup>.

٣- وما رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: ((لينقضن عرى الإسلام عروة

(١) الدرر السنية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم (٦١/٩).

(٢) رواه أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني في سننه، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم برقم [٢٦٠٨] (٣/٣٦)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، د. ت، ورواه سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني في المعجم الأوسط، برقم [٨٠٩٣] (٨/٩٩ - ١٠٠)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، د. ط، د. ت، ورواه أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب السفر، باب القوم يؤمرون أحداً إذا سافروا برقم [١٠٣٥١] (٥/٤٢٢)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧/٣٦٣)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٢٨/٦٥)، وانظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٢٩).

عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة<sup>(١)</sup>، وهذا الحديث ظاهر الدلالة في أن أول ما يرفع من رسوم الدين من أعمال الناس هو الحكم بما أنزل الله<sup>(٢)</sup>، ويدخل فيه بالضرورة وجود الخليفة الذي يقوم بهذا الواجب، وقد قرن نقضه بنقض الصلاة وهي واجبة، فدل على وجوبه، ووجوب وجود من يقوم به.

٤- ومن الأدلة حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من حديث طويل ((إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة))<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم [٢٢١٦٠ / ٣٦ / ٤٨٥]، والبيهقي في شعب الإيمان، فصل في فضل الجماعة والألفة وكرامية الاختلاف والفرقة وما جاء في إكرام السلطان وتوقيره برقم [٧١١٢ / ٢٣ / ١٠]، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، ورواه أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع في المستدرک على الصحيحين برقم [٨٤٤٨ / ٤ / ٥١٦] من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٣٦٩)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: مجموع فتاوى العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (٩/٢٠٥)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، د. ط، د. ت.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة برقم [٤٦٠٧ / ٤ / ٢٠٠]، ورواه الإمام أحمد في مسنده برقم [١٧١٤٥ / ٢٨ / ٣٧٥]، ورواه سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني في المعجم الكبير برقم [٦١٨ / ١٨ / ٢٤٦]، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر،

=

وقد أجمع الخلفاء الراشدون والصحابة قاطبة ﷺ على وجوبها، حيث بادروا في إقامتها فور وفاة النبي ﷺ، قبل تجهيزه وتشيعه، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لحسم الأمر فيها، إلى أن انتهى بهم الأمر إلى مبايعة الصديق ﷺ، وقد أقر المسلمون بهذه البيعة، مما يدل على أنهم مجمعون على ضرورة وجود إمام أو خليفة<sup>(١)</sup>، قال في المواقف: "إنه تواتر إجماع المسلمين في الصدر الأول بعد وفاة النبي ﷺ على امتناع خلو الوقت من إمام"<sup>(٢)</sup>، وعليه فإن سنة الخلفاء الراشدين التي أمرنا النبي ﷺ بلزومها، أبانت عن وجوب تنصيب الإمام، بل وجوبها على الفور لا على التراخي، لمقتضى المصلحة العامة في شأن الدين والدنيا.

وكل الأحاديث الآمرة بوجوب طاعة ولي الأمر في غير معصية، وتحريم الخروج عليه، وقتل من جاء ينازعه بعد تنصيبه، تقتضي وجوب وجود الإمام؛ إذ إن وجوده من أبين الضرورات التي هدى إليها العقل والفطرة وطبع الناس، ولا يهاري في ذلك من خبر أحوال الأمم وعوائد الخلق.

### ثالثاً: الإجماع:

أجمع سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وأهل السنة والجماعة، وجمهور الطوائف المنتسبة للإسلام، على أن تولية الإمام وتنصيب الحاكم فرض وواجب على المسلمين، وأن وجوبه جاء

الطبعة الثانية، د. ت؛ ورواه عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي في سننه، باب اتباع السنة برقم [٩٦] (١/٢٢٨)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ/ ٢٠٠٠ م؛ ورواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين برقم [٣٢٩] (١/١٧٤)، وقال: "هذا حديث صحيح ليس له علة"، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٤٩٩).

(١) انظر: تفسير القرطبي (١/٢٦٤).

(٢) المواقف، تأليف: عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي (٣/٥٧٥)، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، الناشر: دار الجليل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.

من الشارع، وليس بمقتضى العقل كما زعم بذلك بعض أفراد المعتزلة.

وقد نقل هذا الإجماع طائفة من العلماء، منهم ابن حزم رحمته الله حيث يقول: "اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج، على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ، حاشا النجدات من الخوارج، فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة..."<sup>(١)</sup>. وقال الماوردي رحمته الله: "وعقدها - أي الإمامة - لمن يقوم بها واجب بالإجماع، وإن شذ عنهم الأصم"<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي رحمته الله: "وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين، حتى قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك، وقالوا لهم: إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش، ورووا لهم الخبر في ذلك، فرجعوا وأطاعوا القريش، فلو كان فرض الإمامة غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها، ولقال قائل: إنها ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم، فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمر ليس بواجب"<sup>(٣)</sup>. وقال في موضع آخر: "ولا خلاف في وجوب ذلك - أي تنصيب الإمامة - بين الأمة ولا بين الأئمة"<sup>(٤)</sup>.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٧٢/٤)، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.

(٢) الأحكام السلطانية، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (١٥/١)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، د. ط، د. ت.

(٣) تفسير القرطبي (١/٢٦٤).

(٤) المصدر السابق (١/٢٦٤)

وقال النووي رحمته الله: "وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة"<sup>(١)</sup>.  
ويقول ابن خلدون رحمته الله: "نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام"<sup>(٢)</sup>.

وقد حكى هذا الإجماع غير أولئك من العلماء، منهم: الجويني رحمته الله<sup>(٣)</sup>، والشهرستاني رحمته الله<sup>(٤)</sup>، والقاضي عياض رحمته الله<sup>(٥)</sup>، والإيجي رحمته الله<sup>(٦)</sup>، والهيثمي رحمته الله<sup>(٧)</sup>، وليس في بيان وجوبها شبهة عند عالم معتبر، "والمخالف مصادم للنصوص، والإجماع، فلا حاجة إلى المناظرة معه، والاشتغال بالرد عليه"<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٥ / ١٢).
- (٢) تاريخ ابن خلدون (ص ٢٣٩ - ٢٤٠).
- (٣) انظر: غياث الأمم للجويني (ص ٢٢).
- (٤) انظر: الملل والنحل، تأليف: محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (١ / ١٤٠)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤٠٤ هـ.
- (٥) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، تأليف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبي الفضل (٥ / ٥٤٤)، تحقيق: يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- (٦) انظر: المواقف للإيجي (٣ / ٥٨٥).
- (٧) انظر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تأليف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبي العباس (١ / ٢٥)، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي، وكامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- (٨) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، تأليف: شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٤ / ٣٤٨)، تحقيق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

وقد نقل القاضي عبدالجبار رحمته وهو من أئمة المعتزلة، إجماع الأمة على ذلك أيضاً، فقال: "اتفقت الأمة على اختلافها في أعيان الأئمة أنه لا بد من إمام يقوم بهذه الأحكام، وينفذها"<sup>(١)</sup>، مما يدل على أن هذه المسائل جلية الأمر، واضحة الحكم، عند المخالف فضلاً عن الموافق.

#### رابعاً: مقاصد الشريعة ومقتضى العقل وسلامة الفطرة:

تقدم أن ثبوت نصب الأئمة ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وأن المخالف في ذلك متكلف القول، بعيد المنزع، مصادم للنصوص، يقول الجويني رحمته: "منصب الإمام عند الإمكان واجب، وذهب عبدالرحمن بن كيسان إلى أنه لا يجب، ويجوز ترك الناس أخياًفاً"<sup>(٢)</sup>، يلتزمون اتئلافا واختلافا، لا يجمعهم ضابط، ولا يربط شتات رأيهم رابط، وهذا الرجل هجوم على شق العصا، ومقابلة الحقوق بالعقوق، لا يهاب حجاب الإنصاف، ولا يستوعر أصواب<sup>(٣)</sup> الاعتساف<sup>(٤)</sup>، ولا يسمى إلا عند الانسلاال عن ربة الإجماع، والحيد عن سنن الاتباع، وهو مسبوق بإجماع من أشرفت عليه الشمس شارقة وغاربة، واتفاق مذاهب العلماء قاطبة"<sup>(٥)</sup>.

وقد انتظم نظام الشرع على وجوبها، وبيان فرضها في منطوق النص ومفهومه، وعلى أصول الاستدلال وتوابعها، وصدق ذلك العقل وأيدته الفطر، وتتناول الدراسة تأييد الوجوب وتأكيد النظر في مقاصد الشريعة وغاياتها، وصريح العقل السليم مع سلامة الفطر.

(١) شرح الأصول الخمسة، تأليف: القاضي عبدالجبار (ص ٧٥١)، تعليق: الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: د. عبدالكريم عثمان، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٢) الأخياف: الناس المختلفون في أخلاقهم وأشكالهم. انظر: جمهرة اللغة لابن دريد، مادة (خياف) (١/٦١٨).

(٣) الأصواب: جمع صوب، والصوب: القصد. انظر: تهذيب اللغة للأزهري، مادة (صوب) (١٢/١٧٧).

(٤) الاعتساف: مصدر عسف، والعسف: "ركوب الأمر بغير روية وركوب الفلاة وقطعها على غير توخي صوب ولا طريق مسلوكة". تهذيب اللغة للأزهري، مادة (عسف) (٢/٦٤).

(٥) غياث الأمم للجويني (ص ٢٢-٢٣).

أ- مقاصد الشرع:

إن العالم الفقيه الذي أدرك المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمه<sup>(١)</sup>، لا يشك في فرض الإمامة ووجوبها، وأن بقاء الناس فوضى بلا إمام، وشتاتاً بلا اجتماع، هو عين الشر والبلاء في أمر الدين والدنيا.

ومن تأمل في نصوص الكتاب والسنة، وأمعن التدبر فيها، أدرك أن " مقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم: دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، وما لهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"<sup>(٢)</sup>، وحفظ هذه الضرورات الخمس محل إجماع الأمة، بل سائر أمم الأنبياء قاطبة، والشرائع إنما جاءت من أجل تحقيقها والحفاظ عليها، يقول الشاطبي رحمته الله: "قد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد"<sup>(٣)</sup>.

ومن استقر فهمه على ذلك، أدرك أن نصيب الإمامة في حفظ تلك الضرورات هو نصيب غالب، وحظ راجح، يقول ابن حزم رحمته الله: "وقد علمنا بضرورة العقل وبديته أن قيام الناس بما

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (٢/٢١)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، د. ط، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م.

(٢) المستصفي، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (١/١٧٤)، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

(٣) الموافقات، تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي (١/٣٨)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

أوجبه الله من الأحكام عليهم في الأموال، والجنايات، والدماء، والنكاح، والطلاق، وسائر الأحكام كلها، ومنع الظالم، وإنصاف المظلوم، وأخذ القصاص، على تباعد أقطارهم وشواغلهم، واختلاف آرائهم، وامتناع من تحرى في كل ذلك ممتنع غير ممكن... وهذا الذي لا بد منه ضرورة وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها، فإنه لا يقيم هناك حكم حق ولا حد، حتى قد ذهب الدين في أكثرها، فلا تصح إقامة الدين إلا بالإسناد إلى واحد أو أكثر من واحد، فإذا لا بد من أحد هذين الوجهين؛ فإن الاثنين فصاعدا بينهما ما ذكرنا، فلا يتم أمر البتة، فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا لإسناد إلى واحد فاضل عالم حسن السياسة قوي على الإنفاذ...<sup>(١)</sup>.

ويؤكد ذلك إمام الحرمين الجويني رحمته الله في قوله: "ولا يرتاب من معه مسكة من عقل أن الذب عن الحوزة، والنضال دون حفظ البيضة، محتوم شرعاً، ولو ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع، ويزعهم وازع، ولا يردعهم عن اتباع خطوات الشيطان رادع، مع تفنن الآراء، وتفرق الأهواء، لانتثر النظام، وهلك العظام، وتوثبت الطغام<sup>(٢)</sup> والعوام، وتحزبت الآراء المتناقضة، وتفرقت الإرادات المتعارضة، وملك الأردلون سراة<sup>(٣)</sup> الناس، وفضت المجامع، واتسع الخرق على الراقع، وفشت الخصومات... ولا حاجة إلى الإطناب بعد حصول البيان، وما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن"<sup>(٤)</sup>.

ولو أن الأمر بتنصيب الأئمة وإيجاب إقامتهم على الناس لم يثبت للأمة دليل معين، ولم يُشاهد في الشريعة بأصل خاص منصوص عليه، لكان النظر في مقصد الشارع حيال حفظ الضرورات الخمس الكبرى، وصيانة حماها، كافياً وشافياً في إثبات وجوبها؛ لأن "الدنيا والأمن

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ٧٢).

(٢) الطغام: "أوغاد الناس". الصحاح للجوهري، مادة (طغم) (٥/ ١٩٧٥).

(٣) سراة: "سراة كل شيء: ما ارتفع منه وعلا". تهذيب اللغة للأزهري، مادة (سري) (١٣/ ٣٨).

(٤) غياث الأمم للجويني (ص ٢٣-٢٤).

على الأنفس والأموال لا ينتظم إلا بسُلطان مطاع، فتشهد له مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة، وإن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مطاع، دام الهرج، وعم السيف، وشمل القحط، وهلكت المواشي، وتعطلت الصناعات، وكان كل من غلب سلب، ولم يتفرغ أحد للعبادة والعلم إن بقي حياً"<sup>(١)</sup>.

وقد استقر علم الراسخين على ذلك، وثبت عليه إجماعهم، فكان من العلم الضروري الذي لا يحتمل خلافهم، ولا يتسع لهم معه الرد، قال الشيخ سعد بن عتيق رحمته الله: "وقد علم بالضرورة من دين الإسلام: أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وأن الخروج عن طاعة ولي أمر المسلمين من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد"<sup>(٢)</sup>.

كما أن القارئ لنصوص الشريعة بإمعان الفقيه، والمتأمل فيها بنظر طالب الحق، الذي يأخذ النصوص بمجموعها كما يأخذ الجسد الكامل، لا يشك ولا يرتاب في أن الشريعة جاءت لرعاية مصالح العباد، وتحقيق النفع الآجل والعاجل لهم، ودفع الشر الآجل والعاجل عنهم أيضاً، سواء أكان ذلك بالرفع العام، أم التقليل والتخفيف، يقول الشاطبي رحمته الله: "والشريعة ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، ودرء المفاسد عنهم"<sup>(٣)</sup>، ومن استقر عنده هذا الأصل الأصيل، والركن الركين، علم أن تولية الأمراء، وإقامة الملوك والحكام، من أعظم الأمور التي تحصل المصالح وتكملها في معاش العباد ومعادهم، وتدفع المفاسد وتقللها في أمر دين العباد ودنياهم، يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "إن الإمام يفسد قليلاً ويصلح الله به

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ص ١٢٨)، وضع حواشيه: عبدالله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.

(٢) الدرر السنية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم (٩/ ١٤٣).

(٣) الاعتصام، تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (١/ ١٥٠)، تحقيق: سليم

ابن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

كثيراً، وما يصلح به أكثر مما يفسد، فما عمل فيكم من طاعة الله فله الأجر وعليكم الشكر، وما عمل فيكم من معصية الله فعليه الوزر وعليكم الصبر" (١).

ولذا من فهم مراد الشرع، وأدرك المعاني والحكم التي رامتها الشريعة في مقاصدها، وفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، تبين له أن الإمامة واجب شرعي وضرورة دنيوية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: إن "الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، ورجحت خير الخيرين بتفويت أدناهما، وهذا من فوائد نصب ولاية الأمور، ولو كان على ما يظنه الجاهل لكان وجود السلطان كعدمه وهذا لا يقوله عاقل فضلاً عن أن يقوله مسلم، بل قد قال العقلاء: ستون سنة من سلطان ظالم خير من ليلة واحدة بلا سلطان، وما أحسن قول عبدالله بن المبارك:

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقوانا (٢) " (٣)

ب- وجود الإمامة من مقتضيات العقل وسلامة الفطر:

إن الله خلق الإنسان مَدَنياً بالطبع، يميل إلى الاجتماع، ويستوحش من العزلة، وأجرى سبحانه سنته الكونية على العباد باحتياج بعضهم إلى بعض، فجعلهم في القدرات درجات، وفي المكانة على تفاوت، قال الله سبحانه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) رواه عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، باب النهي عن الخروج على الأئمة والأمراء وخلعهم، وسبهم، والطعن عليهم، وما جاء من التغليب في ذلك برقم [١٣٨] (٢/٣٩٥)، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دارالعاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

(٢) البيت لعبدالله بن المبارك في ديوانه (ص ٢٢)، تحقيق: سعد كريم الفقي، الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر - المنصورة، د. ط، دأت.

(٣) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٣٠/١٣٦).

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴿٣٢﴾<sup>(١)</sup>، قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ فِي قوله ﷺ: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾: "ليستسخر هذا في خدمته إياه، وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل، يقول: جعل - تعالى ذكره - بعضاً لبعض سبباً في المعاش في الدنيا"<sup>(٢)</sup>. وهذا أمر مشتم عليه عوائد الناس، فترى الحاضرة في قُراهم ومدنهم، والبدو في أحيائهم، لا يشذون عن الاجتماع، ولا يندون عن الائتلاف، وقد أحسن القائل:

الناس للناس من بدو ومن حضر  
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً<sup>(٣)</sup>

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "كل بني آدم لا تتم مصالحهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع"<sup>(٤)</sup>.

غير أن هذا الاجتماع يفتقر إلى قوة القاهرة تتمع نزعة العدوان الإنساني، وتحمي الضعيف عن سَورة غضب القوي الباطش، وفي هذا يقول الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم  
ولا سراة إذا جهالهم سادوا<sup>(٥)</sup>

وكل من ظن أن أمر الناس يستقيم بلا أمير، وأن مصالحهم تتم من غير اجتماع ينظمهم، فهو مكابر على الحقيقة الظاهرة، ومصادم لمتقضى العقل الصريح، يقول إمام الحرمين الجويني رَحِمَهُ اللهُ: "ولا يرتاب من معه مسكة من عقل أن الذب عن الحوزة، والنضال دون حفظ البيضة،

(١) سورة الزخرف، الآية (٣٢).

(٢) تفسير الطبري (٢١/٥٩٥).

(٣) البيت لأبي العلاء المعري في اللزوميات (٢/٢٧٧)، تحقيق: أمين عبدالعزيز الخانجي، الناشر: مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ومكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.

(٤) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٢٨/٦٢).

(٥) البيت للأفوه الأودي في ديوانه (ص ٦٦)، تحقيق: د. محمد ألتونجي، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة

محتوم شرعاً، ولو ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع، ولا يزعهم وازع، ولا يردعهم عن اتباع خطوات الشيطان رادع، مع تفنن الآراء، وتفرق الأهواء، لانتشر النظام، وهلك العظام، وتوثبت الطغام والعوام، وتحزبت الآراء المتناقضة، وتفرقت الإيرادات المتعارضة، وملك الأذليون سراة الناس، وفضت المجامع، واتسع الخرق على الراقع، وفشت الخصومات، واستحوذ على أهل الدين ذوو العرامات، وتبددت الجماعات، ولا حاجة إلى الإطناب بعد حصول البيان، وما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن" (١).

والناس على اختلاف مللهم، وتفاوت عقولهم، مجتمعون على تولية الأمراء، ووجود السلطة الحاكمة، على تباين صورها وأشكالها، ولا تكاد تنزل بأرض، أو تدخل بلداً، إلا وجدت ذلك ظاهراً فيها، بل إن عدمه فيها يجعلها غير صالحة ولا آمنة، يقول الأحنف بن قيس رحمته الله: "لا ينبغي للعاقل أن ينزل بلداً ليس فيها خمس خصال: سلطان قاهر، وقاض عدل، وسوق قائمة، ونهر جار، وطيب عالم" (٢).

كما أن النزوع إلى اتباع القائد ليس مما فطر عليه الإنسان فحسب، بل هو موجود ومستقر حتى عند بعض الدواب، فالإبل تسير مع قائدها، والنحل مع ملوكها، وهكذا. إن حكم تنصيب الأئمة، وفريضة الله في إقامة سلطانه على الناس، بين الوجوب، ووضح الفريضة، لا حجة لمخالفه، ولا دليل مع القائل بسواه، فالكتاب، والسنة، والإجماع، والمقاصد، والعقل، والفطرة، والسنن الكونية دالة على وجوبه، أمرة بتنصيبه، وقد صدق الإمام القرطبي رحمته الله حين قال: "ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم، حيث كان عن الشريعة أصم" (٣)؛ لأنه رد قولاً لا يسوغ فيه الاجتهاد، وليس في القول بضده

(١) غياث الأمم للجويني (ص ٢٣ - ٢٤).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيثار، كتاب شعب الأيمان، باب فصل في فضل الإمام العادل وما جاء في جور برقم [٦٩٩٣] (٩/٤٨١).

(٣) تفسير القرطبي (١/٢٦٤).



## المطلب الثاني

### حقوق الإمامة

إن بيان منزلة الإمامة، والحفاظ على حرمتها، والإبقاء على مكانتها، لا يكون بالكلام المرسل، ولا بالدعاوى غير المصدقة بالأفعال؛ ولذا كان من الواجب أن يبين عن أهم الحقوق اللازمة لأداء حق الولاية، والتي ثبتت بدلالة الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح - رحمهم الله -، ومن هذه الحقوق:

#### ١ - حق البيعة:

وهي أصل الحقوق التي يُبنى عليها ما بعدها، وتثبت بها الأحكام والواجبات بين الراعي والرعية، والبيعة كما يعرفها ابن خلدون رحمته الله بقوله: "هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد" <sup>(١)</sup>.

ويلزم من حق البيعة اعتقاد إمامة القائم بمنصب الإمامة، والاعتراف بحكمه، سواء أكان بالتغلب أم الاختيار <sup>(٢)</sup>.

إن حق البيعة في الإمامة فريضة على كل مسلم، لا يسع عبداً مكلفاً يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ليلة وليس في عنقه عهد لأهلها، قال الإمام البرهاري رحمته الله: "من ولي الخلافة بإجماع الناس عليه، ورضاهم به، فهو أمير المؤمنين، لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن عليه

(١) تاريخ ابن خلدون (ص ٢٦١).

(٢) انظر: شرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين (ص ١٢٠).

إماماً برأ كان أو فاجراً... هكذا قال الإمام أحمد رحمته الله (١).

وقد دلت نصوص الوحيين على وجوب الوفاء لهذا الحق، وحرمة نكثه ونقضه، فمن ذلك: قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٢)، وقوله ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (٣)، وقوله ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٤)، ونصّ الكتاب العظيم على التحذير الخاص من نكث البيعة فقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُولِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٥).

كما دلت السنة المطهرة على وجوب عقدها وحرمة الغدر بها، وبينت ذلك بأحاديث صحيحة وصریحة، فعن نافع رحمته الله قال: "لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر رضي الله عنهما حشمه وولده فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة»، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ﷺ، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ﷺ ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه، ولا بايع في هذا الأمر، إلا كانت الفيصل بيني وبينه" (٦)، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: "وفي هذا الحديث: وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه ولو جار في حكمه، وأنه لا ينخلع

(١) شرح السنة، تأليف: الحسن بن علي بن خلف البرهاري أبي محمد (ص ٥١)، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

(٢) سورة المائدة، الآية (١).

(٣) سورة النحل، الآية (٩١).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٣٤).

(٥) سورة الفتح، الآية (١٠).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه برقم [٦٦٩٤]

(٣٦٠٣/٦).

بالفسق" (١).

وكل من ادعى غير ذلك، ورأى بقاء المسلمين بغير إمام ولا جماعة، مع مُكِنَّة الناس من ذلك، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وتمسك بعري الجاهلية الأولى، وقد كان الصحابة ﷺ يحرصون غاية الحرص على عقد البيعة للإمام المسلم؛ لأنه دين يدينون الله به، وقد جاء عبد الله بن عمر رضي الله عنه إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان، زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتكَ لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)) (٢)، ومعنى مات ميتة جاهلية أي: على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم (٣).

إن البيعة للإمام الذي انعقدت له أسباب الإمامة عهد وميثاق ودين، يُسأل عنه العبد يوم القيامة؛ ولذا كان الكاذب فيه الذي خالف سره علانيته متوعداً بأشد الوعيد والعذاب، مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنياه، إن أعطاه ما يريد وفي له وإلا لم يف له، ورجل يبايع رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لقد أعطي بها كذا وكذا فصدقه، فأخذها، ولم يعط بها)) (٤)، قال ابن حجر رحمته الله: "وفي الحديث وعيد شديد في نكث البيعة والخروج على الإمام،..." (٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر فأجره على الله، ومن

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/٧١-٧٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الامارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند الظهور برقم [١٨٥١] (٣/١٤٧٨).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢٣٨-٢٤٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من بايع رجلاً لا يبايعه إلا للدنيا برقم [٦٧٨٦] (٦/٢٦٣٦).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٣/٢٠٣).

كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال، فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعه عصاهم، فما له في الآخرة من خلاق" (١).

## ٢- حق السمع والطاعة:

إن قيام الإمامة وتمثلها في الأمير الحاكم، والسلطان القائم بها، يقتضي وجوب السمع والطاعة له، في المنشط والمكروه، والعسر واليسر، وعلى أثره من الناس ما لم يأمر بمعصية. والسمع والطاعة للإمام مجمع على وجوبه عند أهل السنة والجماعة (٢)، وهو أصل من أصولهم التي باينوا بها أهل البدع والأهواء، وألفوا في ذلك التصانيف، وبوبوا عليه الأبواب، حتى "قل أن ترى مؤلفاً في عقائد أهل السنة إلا وفيه النص على وجوب السمع والطاعة لولاية الأمر، وإن جاروا وظلموا، وإن فسقوا وفجروا" (٣).

والكتاب والسنة والإجماع كما تقدم دال على ذلك بأصح العبارة وأوضح الدلالة، فمن ذلك من القرآن العظيم: قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٤)، يقول ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيرها بعد أن ساق الأقوال في أولي الأمر هل هم العلماء أو الأمراء: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاية؛ لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاية فيما كان لله طاعة، وللمسلمين

(١) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٦/٣٥ - ١٧).

(٢) انظر: إجماع السلف في الاعتقاد، تأليف: حرب الكرمانى (ص ٤٦ - ٤٧)، تحقيق: أسعد الزعترى، الناشر: مكتبة دار الإمام أحمد، القاهرة - مصر الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٣) هيبه ولي الأمر واجب شرعي وضرورة دنيوية، تأليف: د. دغش بن شبيب العجمي (ص ٤٥)، الناشر: دار الخزانة، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

(٤) سورة النساء، الآية (٥٩).

مصلحة" (١).

وقال الشوكاني رحمه الله في قوله ﷺ: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾: "الأئمة، والسلاطين، والقضاة، وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية، والمراد: طاعتهم فيما يأمرون به، وينهون عنه، ما لم تكن معصية" (٢).

وأما الأحاديث فكثيرة، أُورد طرفاً يسيراً منها:

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)) (٣).
- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة)) (٤).
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((إنها ستكون أثرة وأمور تنكرونها)) قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم» (٥).
- وعن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن جده، قال: "بايعنا رسول الله ﷺ على

(١) تفسير الطبري (٨/ ٥٠٢)

(٢) فتح القدير، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١/ ٥٥٦)، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] برقم [٦٧١٨] [٦/ ٢٦١١]، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية برقم [١٨٣٥] [٣/ ١٤٦٦].

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم [٦٧٢٣] [٦/ ٢٦١٢].

(٥) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام برقم [٣٤٠٨] [٣/ ١٣١٨]، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء برقم [١٨٤٣] [٣/ ١٤٧٢].

السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم" (١).

ولا يشك عاقل ذو حكمة، ولا مؤمن ذو بصيرة، أن لزوم طاعة الأمير، والاستقامة على أمر الجماعة، باب كل خير، وأن تركه أساس الشرور الدينية والدينية، يقول العلامة صدر الدين السلمي رحمته الله: "وقد رُوينا في الأحاديث الصحاح التي بلغت حد التواتر، أو كادت أن تبلغه: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة لولي الأمر، ومناصحته، ومحبته، والدعاء له، ما لو ذكرناه لكان بها حله الناظر، وسأمة الخاطر، فاقصرنا على ما أوردناه واكتفينا بما بيّناه" (٢).

ويقول الحافظ ابن رجب رحمته الله: "وأما السمع والطاعة لولاية أمور المسلمين، ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم" (٣). وإن مما يجدر الإشارة إليه، والتنبيه عليه، أن طاعة ولاية الأمر من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولذا كانت طاعته واجبة ما لم يأمر بمعصية، أو يلزم بمنكر، فإذا أمر بمعصية لم يطع في تلك المعصية، ويبقى حق إمامته وطاعته فيما سوى ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "أنهم لا يوجبون طاعة الإمام في كل ما يأمر به، بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة، فلا يجوزون طاعته في معصية الله وإن كان إماماً عادلاً، وإذا أمرهم بطاعة الله فأطاعوه، مثل أن

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب كيف يبایع الإمام الناس برقم [٦٧٧٤] (٦/٢٦٣٣)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية برقم [١٧٠٩] (٣/١٤٧٠).

(٢) طاعة السلطان وإغاثة اللفهان، تأليف: صدر الدين السلمي (ص ٤٥-٤٦)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (٢/١١٧)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

يأمرهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصدق، والعدل، والحج، والجهاد في سبيل الله، فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله، والكافر والفاسق إذا أمر بما هو طاعة لله، لم تحرم طاعة الله، ولا يسقط وجوبها لأجل أمر ذلك الفاسق بها، كما أنه إذا تكلم بحق لم يجز تكذيبه، ولا يسقط وجوب اتباع الحق لكونه قد قاله فاسق" (١).

إن الله ﷻ أنزل طاعة الأئمة منزلة الفرائض على العباد، ورتب على ذلك الثواب والعقاب، وبوأها مبرأً الحق اللازم الذي لا مناص للناس عنه، فمن استقام عليه أُجِر، ومن قصر فيه ذُحِر، قال الإمام البلقيني رحمه الله: "فإذا كانت طاعته سبباً للجنة، ومعصيته سبباً للهلاك، فيجب له توفير الاحتكام، والانقياد لأمره والاستسلام" (٢)، وشواهد الوقائع تدل بلا مرية على أن من ناكف أمرهم، وخرج عن طاعتهم في المعروف، غوى وهوى، والموفق من وفقه الله للحق، وحبب إليه العمل به، وأعاناه عليه.

### ٣- حق التوقير والمناصرة:

إن المسؤولية التي تتحملها الإمامة عظيمة وكبيرة، ولا يمكن لها أن تؤدي الحق الذي عليها، وتقوم بواجبها على الوجه المطلوب الذي تتحقق معه المصلحة المرجوة، إلا إذا تمتعت بعنصري القوة وهما:

أ- التوقير والمهابة.

ب- المناصرة والتأييد.

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٣/ ٣٨٧)، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

(٢) مجموعة الرسائل البلقينية - المجموعة الثانية، تأليف: سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني (ص ٥٠١ - ٥٠٢)، تحقيق: أحمد فؤاد الحمير، الناشر: دار أروقة، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤ م.

أ- التوقير والمهابة:

إن من أهم المقاصد التي جاء بها الإسلام، وأقرها شريعة ومنهاجاً فيه، صيانة جناب الإمامة، وحفظ مهابة السلطان ونوابه، فقد سدَّ الإسلام كل طريق يؤدي إلى الانتقاص من أبهة الحكم، وعلو مكانة السلطان؛ لأن ذهاب الهيبة مؤذن بشر مستطير، وفساد عريض، قال الماوردي رحمته الله: "الرهبنة تمنع خلاف ذوي العناد، وتحسم سعي أهل الفساد؛ حذراً من السطوة، وإشفاقاً من المؤاخذة، وذلك أقوى الأسباب في تهذيب المملكة، فإن زالت عنهم، زال حكمها معهم، فلان واشتدوا، وهان واعتزوا، فاستسهلوا معصيته، واستقلوا طاعته، وصارت أوامره فيهم لغواً، وزواجه لهواً، وقد قيل: من إمارات الجد حسن الجد، وإذا جمع بين الرغبة والرهبنة، قادمهم الرجاء إلى طاعته، وصددهم الخوف عن معصيته، وانبسط فيهم الأمل، وكثر منهم الوجل، فعز سلطانه واستقام أعوانه" <sup>(١)</sup>، وفي أثر الهيبة على استقرار أمن البلدان يقول ابن عثيمين رحمته الله: "وإذا سقطت هيبة السلطان فسدت البلدان، وحلت الفوضى، والفتنة، والشر، والفساد، ولو كان هذا الذي يغتاب ولادة الأمور بقصد الإصلاح، فإن ما يفسد أكثر مما يصلح، كما يترتب على غيبته لولادة الأمور أعظم من أي ذنب ارتكبه...". <sup>(٢)</sup>

وقد كان من عقيدة أهل السنة والجماعة، ومذهب السلف الصالح، احترام الأئمة وإجلالهم، قال الإمام الداني رحمته الله: "وواجب الانقياد للأئمة، والسمع والطاعة لهم في العسر

(١) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ص ٢٧٥ - ٢٧٦)، تحقيق ودراسة: أ.د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان (٤٣/٢١)، الناشر: دار الوطن، ودار الثريا، د. ط، ١٤١٣هـ.

واليسر، والمنشط والمكره، وإعظامهم، وتوقيرهم" (١).

ويقول ابن جماعة رحمته الله في معرض ذكر حقوق الإمام: "الحق الرابع: أن يعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بها يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله تعالى له من الإعظام؛ ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم، ويلبون دعوتهم، مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم، فليس من السنة" (٢).

وليس في هذا مرية ولا شك، فهو أمر يتفق عليه العقلاء، ويرى فريضته الفقهاء، فقد أورد ابن مفلح رحمته الله قول ابن حزم رحمته الله حيث قال: "اتفقوا على توقير أهل القرآن والإسلام، والنبوي صلى الله عليه وسلم، وكذلك الخليفة، والفاضل، والعالم" (٣).

ولتحقيق هذه المصلحة والمقصد السامي، جاءت الأحاديث والآثار متكاثرة في الحث على حفظ جناب هيبة الإمامة فمن ذلك:

- عن زياد بن كسيب العدوي رحمته الله، قال: كنت مع أبي بكر رضي الله عنه تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكر رضي الله عنه: اسكت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من أهان سلطان الله في الأرض أهانته

(١) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تأليف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (١/٢٤١)، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، الناشر: دار الإمام أحمد، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

(٢) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تأليف: أبي عبدالله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (١/٦٣)، قدم له: عبدالله بن زيد آل محمود، تحقيق ودراسة وتعليق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، الناشر: دار الثقافة، قطر - الدوحة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، تأليف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبي عبدالله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (١/٤٠٨)، الناشر: عالم الكتب، د. ط. د. ت.

الله))<sup>(١)</sup>.

قال ابن كمال باشا الرومي الحنفي رحمته الله: "يعني: من أهان السلطان الذي سلطه الله على الخلق، ووضع أزمة الأمور في يديه، وجعل أمر خلقه إليه، ورفع شرفه، وأهان الله؛ لأنه كالمعارض لله تعالى في فعله، وإهانتته: أن يعصيه، أو لا يرتسم أمره ونهيه، أو يسمعه مكروهاً، أو يغتابه، أو يحط من درجته التي جعلها الله تعالى له، وبالعكس من ذلك من أكرم سلطانه أكرمه الله تعالى؛ لأنه وافق الله تعالى فيما فعله، وأطاعه، ولم يتعد طوره، ولم يتجاوز حده. لا جرم أنه ظفر بالسعادة الأبدية بإكرام الله تعالى إياه"<sup>(٢)</sup>.

- وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال: "لما خرج أبو ذر إلى الربذة، لقيه ركب من أهل العراق، فقالوا: يا أبا ذر، قد بلغنا الذي صنع بك، فاعقد لواء يأتك رجال ما شئت. قال: مهلاً مهلاً يا أهل الإسلام، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيكون بعدي سلطان فأعزوه، من التمس ذله، ثغر ثغرة في الإسلام، ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما

(١) رواه الترمذي في سننه، أبواب الفتن، برقم [٢٢٢٤] (٧٢/٤)، وقال: "هذا حديث حسن غريب"، والإمام أحمد في مسنده برقم [٢٠٤٣٣] (٧٩/٣٤)، ورواه أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري في مسنده برقم [٩٢٨] (٢١٠/٢)، تحقيق: محمد بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م؛ ورواه البيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب الرعاة، باب النصيحة لله ولكتابه وسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وما على الرعية من إكرام السلطان المقسط برقم [١١٦٥٩] (٢٨٣/٨)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٧٦/٥)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٢) شرح رياض الصالحين، تأليف: شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الحنفي (٣/٦٦٢)، الناشر: وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ.

كانت))<sup>(١)</sup>.

- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: " إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط"<sup>(٢)</sup>.

وأثار السلف في هذا الباب كثيرة، فلا تكاد تجد كتاباً في العقيدة ذا سند أو غير ذي سند، إلا وهو حافل بذكرها، ومستوف البحث فيها، ومن ذلك:

- ما قاله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: محذراً من احتقار ولي الأمر أو التقليل من شأنه: " ما مشى قوم شبراً إلى السلطان ليدلوه إلا أذلهم الله"<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أبو بكر بن أبي عاصم الضحاك في السنة، باب في ذكر السمع والطاعة برقم [١٠٧٩] [٥١٣/٢]، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، وصححه الألباني في ضلال اللجنة في تخريج السنة (٥١٣/٢)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب إنزل الناس منازلهم برقم [٤٨٤٣] [٢٦١/٤]، ورواه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري في الأدب المفرد، باب إجلال الكبير برقم [٣٥٧] [ص ١٣٠]، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب الرعاة، باب النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وما على الرعية من إكرام السلطان المقسط (٢٨٢/٨)، قال أبو زكريا محيي الدين النووي في التبيين في آداب حملة القرآن (٢٧/١): " هو حديث صحيح " تحقيق: محمد الحجار، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (١٤٨/١)، الناشر: دار الصديق، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

(٣) رواه الداني في الفتن، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، برقم [١٢٩] [٣٨٦/٢]، ورواه محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي في شرح السنة، كتاب الإمارة والقضاء، باب الصبر على ما يكره من الأمير ولزوم الجماعة برقم [٢٤٦٢] [٥٤/١٠]، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م؛ ورواه أبو بكر أحمد بن عمرو البصري البزار في مسنده، برقم [٢٨٤٨] [٢٦٦/٧]، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد،

=

- وقال طاووس بن كيسان رضي الله عنه: "من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد"<sup>(١)</sup>.
- وقال ابن المبارك رضي الله عنه: "من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته"<sup>(٢)</sup>.
- وقال سهل بن عبدالله رضي الله عنه: "لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم"<sup>(٣)</sup>.
- إن أداء الحقوق لأهلها، وزجر نزعة العدوان في الناس، لا تقوم إلا بسلطان مطاع، ولا طاعة لمن لا حرمة له ولا رهبة، قال القرافي رضي الله عنه: "ضبط المصالح العامة واجب، ولا تنضبط إلا بعظمة الأئمة في نفس الرعية، ومتى اختلف عليهم أو أهينوا تعذرت المصلحة"<sup>(٤)</sup>؛ ولذا كانت

وصبري عبدالحالوق، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

(١) رواه أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري البجلي الصنعاني في مصنفه برقم [٢٠١٣٣] [١١/١٣٧]، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، ورواه أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى، برقم [٦٦٤] [ص ٣٨٢]، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، د. ط، د. ت، وفي شعب الإيمان برقم [٧٨٩٣] [٦/١٩٨].

(٢) سير أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (١٧/٢٥١)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

(٣) تفسير القرطبي (٥/٢٦٠)، وانظر: البحر المحيط الشجاع في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، تأليف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي (٣٢/٥٠)، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

(٤) الذخيرة، تأليف: أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن المالكي الشهير بالقرافي (١٣/٢٣٤)، تحقيق: محمد حججي، وسعيد أعراب، ومحمد بوخبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة

=

الهيبة من لوازم الإمامة والحكم، قال الماوردي رحمته الله: "في متولي ولاية المظالم: "لا بد أن يكون عظيم الهيبة"<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً رحمته الله في مناصحة السلطان: "وليعلم أن الأمور التي تدبرها، لا تمضي إلا بفرط الصرامة، وشدة الهيبة التي هي قاعدة الملك، وأساس السلطنة، وذلك لا يكون إلا من خيف غضبه، وخشيت سطوته"<sup>(٢)</sup>، وهذا يدل على أن مبدأ الهيبة مرده إلى ذات الحكم، وذلك يكون بخوفه من الله وعدله، وحرصه على نشر الخير والاستقامة بين الناس، ثم تأتي تدابير الهيبة والاحتشام الزاجر للناس تبعاً لذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "ومتى اهتمت الولاية بإصلاح دين الناس، صلح للطائفتين دينهم ودنياهم، وإلا اضطربت الأمور عليهم"<sup>(٣)</sup>.

وأمر توقيف الولاية، وحسن الأدب مع أهلها، والقيام معهم بالإجلال والهيبة، من مقتضى الفطر السليمة، وهداية العقول الصحيحة، يقول ابن القيم رحمته الله: "فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين، أمر مطلوب شرعاً، وعقلاً، وعرفاً؛ ولذلك تجدد الناس كالمفطورين عليه"<sup>(٤)</sup>.

ومجانبته من مجانبه الحق، والحيدة عن الصراط المستقيم، يقول الحكيم الترمذي رحمته الله: "فإذا عاملت الملوك بمعاملة الرعية فقد استخففت بحق السلطان، وهو ظل الله تعالى في أرضه، به تسكن النفوس وتجتمع الأمور"<sup>(٥)</sup>.

الأولى ١٩٩٤ م.

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٣٠).

(٢) تسهيل النظر للماوردي (ص ١٩٣).

(٣) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٠٥).

(٤) بدائع الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٣/ ١٠٦١)، تحقيق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.

(٥) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تأليف: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبي عبدالله، الحكيم الترمذي (١/ ٤١٠)، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، د. ط. د. ت.

إن صيانة حرمة الإمام، وإجلاله، وتوقيره، من شمائل الإسلام، وهدى السلف الصالح، وما قصدها أحد بنقيصة إلا أنقصه الله، وأهانته، وخذله، وشواهد الواقع خير مثال على هذا.

### ب- حق المناصرة:

إن من أعظم المنز التي يمن الله بها على الدول نعمة الشعوب المناصرة لحكوماتها، والرعية المؤيدة لأئمتها، وقد أيد الله نبيه ﷺ بمناصرة المؤمنين له، وصدق إيمانهم معه، فقال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، قال الطبري رحمه الله: "يقول الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه، وبالمؤمنين يعني: بالأنصار"<sup>(٢)</sup>.

والقيام مع الإمامة بالمدافعة والتأييد، والمعاونة والمناصرة، من أعظم حقوقها على الناس، وأكبر واجباتها عليهم، يقول ابن جماعة رحمه الله في ذكر حقوق ولي الأمر: "الحق الثامن: إعانتته على أعباء الأمة، ومساعدته على ذلك بقدر المكنة، قال الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾<sup>(٣)</sup>، وأحق من أعين على ذلك ولاة الأمور"<sup>(٤)</sup>، فالدولة كالجسد الواحد، لا يستقيم لها أمر، ولا تصل إلى مبتغى، ولا تحرز مراماً، إلا بتكاتفها مجتمعة غير متفرقة، من رأسها إلى أساسها، ومن ذروة هرمها إلى قاعدته، وقد أخطأ من وقف مكتوف الأيدي أمام المسؤولية المجتمعية في القيام بواجبات الدولة المنوطة على الجميع، كل على حسبه، وإلى هذا المعنى يشير عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في خطبته عند تفسير قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٥)</sup> فيقول: "ألا أنها ليست

(١) سورة الأنفال، الآية (٦٢).

(٢) تفسير الطبري (٤٤ / ١٤).

(٣) سورة المائدة، الآية (٢).

(٤) تحرير الأحكام لابن جماعة (١ / ٦٤).

(٥) سورة الحج، الآية (٤١).

على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولى عليه..."<sup>(١)</sup>.

ومن نظر إلى عظم العبء الذي تتحمله الدولة من أجل الحفاظ على مصالح شعوبها، والدفاع عن مقدراتهم وحقوقهم، بل وكرامتهم وهويتهم، أدرك غير مرتاب أن واجب المناصرة واجب عيني، يلزم كل أجزاء الدولة، إما بالفعل، وإما بالكف والأدب، يقول الأستاذ محمد أسد: "إن على المسلمين أن يقفوا متحدين وراء الحكومة الشرعية، يؤيدونها، ويؤازرونها، ويضحون من أجل هذه الوحدة بكل متعهم وملذاتهم، وما يملكون من الدنيا، وبحياتهم أيضاً..."<sup>(٢)</sup>.

والتأمل في السنة النبوية يجد أنها بينت أمر التعاون بين الولاية والرعية، وأن من توفيق الله لمن ولاه الله الأمر قُرب أهل الصلاح منه؛ فإن ذلك مدعاة لصلاحه واستقامته، وسبيل إلى تعاون مثمر بالخير؛ لما تقوم به هذه البطانة من توجيه سديد، وحض رشيد، إلى ما فيه الصلاح لأهل الإسلام، والاستقامة لأموالهم، وفي ذلك يقول ﷺ: ((ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى))<sup>(٣)</sup>، بل وجود البطانة الصالحة هو من إرادة الخير من الله لمن ولاه أمر المسلمين، وفي هذا يقول ﷺ: ((من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه))<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٥/٤٣٧).

(٢) منهاج الإسلام في الحكم، تأليف: محمد أسد (ص ١٣٢)، نقله إلى العربية منصور محمد ماضي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٧٨ م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته برقم [٦٧٧٣] (٦/٢٦٣٢).

(٤) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب البيعة، باب وزير الإمام برقم [٧٧٧٩] (٧/١٩١)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم [٧٠١٧] (٩/٤٩٩ - ٥٠٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٨٨١).

وهي من مسؤولية العلماء، يقول العلامة ابن باز رحمته الله: "والواجب على العلماء أن يرشدوا الناس إلى توحيد الله وطاعته، ويتعاونوا مع ولاية الأمور بالحكمة، والأسلوب الحسن، والكلام الطيب، والنصيحة الطيبة، وبالمشافهة والمكاتبه، واجتناب الألفاظ والوسائل التي قد تنفّر من الحق، وقد تضرّ الدعوة"<sup>(١)</sup>.

كما أنها من القرب النافعة، والأعمال الصالحة، التي لا يهدى إليها إلا الموفقون، ولا يقوم بها إلا الناصحون، فأجرها عند الله عظيم؛ لتعدي نفعها، وبركة خيرها على العباد والبلاد، قال ابن مفلح رحمته الله: "وأما السلطان العادل فالدخول عليه ومساعدته على عدله من أجل القرب"<sup>(٢)</sup>. وإذا كان الحديث عن مناصرة الإمامة ومعاونة القائمين عليها، عظيم القدر، كبير المكانة، فإنه يتأكد في زماننا هذا أكثر من أي زمان مضى؛ لما نشهده في واقع الحال من مكائد السوء، ودعاة الضلالة، الذي يركبون طرفي الغواية، فهم فيها بين متعدّ غالٍ، أو مفرط جافٍ، ولا بد حينها من استنفار الصغير قبل الكبير لمسؤوليته تجاه دينه ثم ولاية أمره ووطنه، وليقف الجميع صفّاً واحداً للدفاع عن الإسلام، وحماية الذمار، والذب عن الوطن والديار.

#### ٤ - حق النصيحة:

ومن أعظم الحقوق الواجبة للإمامة على الناس حق النصيحة، حيث افترضت الشريعة هذا الحق على جميع المؤمنين، وأكدت عليه في كثير من المناسبات، وقد تكاثرت النصوص الشرعية الأمرة به، ففي حديث تميم الداري رضي الله عنه جعل النصيحة عمود الدين، بل قرن النصيحة لأئمة السلطان بالنصيحة لله وكتابه ورسوله ﷺ، كما قرنها أيضاً بمسائل أصول الدين وقواعده

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، تأليف: عبدالعزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز (٢١٨/٩)، جمع وإشراف:

د. محمد بن سعد الشويعر، الناشر: دار القاسم للنشر، من مطبوعات رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء،

الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/٤٧٨).

الفقهية، حيث أخبر أن رضا الرب يكون في ثلاث، من ضمنها: الإخلاص للإمام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا))<sup>(١)</sup>، كما أخبر صلى الله عليه وسلم أن النصيحة لأئمة المسلمين أحد الأسباب الثلاثة لطهارة القلب وزكائه ونقاؤه، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بالخير من منى: ((ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، و مناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن الدعوة تحيط من ورائهم))<sup>(٢)</sup>، يقول ابن القيم رحمته الله: "أي لا يبقى فيه غل، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله، وتنقيه منه، وتخرجه عنه، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة، فهذه الثلاثة تملؤه غلاً ودغلاً، ودواء هذا الغل، واستخراج أخلاطه بتجريد الإخلاص، والنصح، ومتابعة السنة"<sup>(٣)</sup>.

ويخطئ البعض في فهم معنى النصيحة لولاة الأمر، حيث يقصر عموم خطاب الشارع على بعض أفرادهم، ويظن أن النصح للإمامة، ينتهي عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوعظ والتذكير، وسد الخلة بالتنبيه اللفظي أو الكتابي، وهذا غير صحيح؛ فإن معنى النصح للإمامة يتسع باتساع معنى النصيحة العام، ليشمل كل خير وبر يمكن إيصاله للإمام بالفعل أو

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات،

وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه برقم [١٧١٥] (٢/ ١٣٤٠).

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع برقم [٢٦٥٨] (٤/ ٣٣١)، ورواه

ابن ماجه أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني في سننه، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، برقم [٣٠٥٦]

(٢/ ١٠١٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.

ط، د. ت؛ ورواه ابن أبي عاصم في السنة، باب ما يجب على الرعية من النصح لولاها برقم [١٠٨٥] (٢/ ٥١٦)،

ورواه الطبراني في المعجم الكبير برقم [١٥٤٤] (٢/ ١٢٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة

(١/ ٧٦٠).

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (٢/ ٩٠).

القول، كما يشمل كل شر يمكن دفعه عن الإمامة بالفعل أو القول، وبهذا قال السلف، ودرج عليه أتباعهم من الخلف، يقول محمد بن نصر المروزي رحمته الله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحب طاعتهم، ورشدهم، وعدلهم، وحب اجتماع الأمة كلهم وكرهية افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إغزازهم في طاعة الله"<sup>(١)</sup>، ويقول الإمام الخطابي رحمته الله: "ومن نصيحتهم بذل الطاعة لهم في المعروف، والصلاة خلفهم، وجهاد الكفار معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء سيرة، وتنبههم عند الغفلة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعي بالصلاح لهم"<sup>(٢)</sup>.

وإذا تُوِّمل في كلام أهل العلم بيان حق النصح للأئمة، وتفسيرهم لها، وجد أنه ينتهي إلى النقاط الآتية:

١ - اعتقاد إمامتهم والوفاء ببيعتهم، قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: "فمن لم يعتقد أنهم أمراء فإنه لم ينصح لهم"<sup>(٣)</sup>.

٢ - طاعتهم فيما أمروا به، وترك ما نهوا عنه بالمعروف، قال الإمام الخطابي رحمته الله: "ومن نصيحتهم بذل الطاعة لهم في المعروف..."<sup>(٤)</sup>.

٣ - نشر محاسنهم المفضية إلى محبتهم في قلوب الناس، قال ابن دقيق العيد رحمته الله في ذكر معنى النصح لهم: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه..."

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/٢٩٣ - ٦٩٤).

(٢) أعلام الحديث، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (١/١٩٣)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

(٣) شرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين (ص ١٢٠).

(٤) أعلام الحديث للخطابي (١/١٩٣).

وتأليف قلوب الناس لطاعتهم" (١).

٤- معاونتهم على القيام بواجبهم، قال الإمام الطرطوشي رحمته الله: " والنصيحة للأئمة: معاونتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وإرشادهم عند الهفوة، وتعليمهم عندما جهلوا، وتحذيرهم ممن يريد السوء بهم، وإعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية، وسد خلتهم عند الحاجة..." (٢).

٥- "ستر معايهم ما أمكن، وجه هذا: أنه ليس من النصيحة أن تقوم بنشر معايهم، لما في ذلك من ملء القلوب غيظًا وحقداً وحنقاً على ولاة الأمور، وإذا امتلأت القلوب من ذلك حصل التمرد، وربما يحصل الخروج على الأمراء، فيحصل بذلك من الشر والفساد ما الله به عليم" (٣).

٦- ترك الخروج عليهم، ومحاربة الخارجين ومدافعتهم، قال ابن دقيق العيد رحمته الله: " وأما النصيحة لأئمة المسلمين: ... وترك الخروج عليهم بالسيف..." (٤).

٧- بذل كل الحقوق التي جعلها الله إليهم، وعدم الافتيات عليهم بشيء، فيصلي خلفهم، ويؤدي إليهم زكاة ماله، ويجاهد تحت لوأئهم المعقود، ولا يقام حد إلا بهم (٥).

(١) شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تأليف: تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ص ٥١)، الناشر: مؤسسة الريان، الطبعة السادسة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢٠٤).

(٣) الضوابط العشر في معاملة ولي الأمر، تأليف: محمد بن عمر بن سالم بازمول (ص ١٠٧)، الناشر: دار أضواء السلف المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

(٤) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص ٥١ - ٥٢).

(٥) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٢٦)، وانظر: شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص ٥١)، وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٢١٨).

وسياتي في مبحث مشروعية مناصحة أئمة المسلمين وضوابطها مزيد بيان وتفصيل في هذا الموضوع الذي يعد محور الرسالة.

### خامساً: حق الدعاء:

إن من الحقوق المشروعة للإمام على رعيته، حق الدعاء له بالتوفيق والسداد، والنصرة والرشاد، وهذه من المسائل التي لا يختلف عليها ذوو البصيرة والعلم، فمسألة الدعاء من المستحبات الشرعية باتفاق علماء الإسلام وفقهاء الشريعة، يقول الإمام النووي رحمته الله: " فأما الدعاء لأئمة المسلمين وولاية أمورهم بالصلاح، والإعانة على الحق، والقيام بالعدل، ونحو ذلك، ولجوش الإسلام، فمستحب بالاتفاق "(١).

لقد كان السلف - رحمهم الله - يعرفون قدر نعمة الله على الأمة بالسلطان؛ لأنهم يدركون الشرور والطوام والآفات التي تحصل بسبب زوالهم، ويرون الدعاء له، وتذكيره، وبذل النصح له، ومعونته، من أعظم ما يتقربون به إلى ربهم، مع سلامة القصد فيما يأتون، وعفة النفس عن الاستشراف لمتاع الدنيا الزائل "(٢).

وقد كثرت الآثار السلفية الحاثثة على الدعاء لولاية الأمور، سواء أكان ذلك من فعلهم أم من قولهم، فمن ذلك:

- قول الفضيل ابن عياض رحمته الله: " لو كانت لي دعوة مستجابة ما جعلتها الا في السلطان"، قيل له: "يا أبا علي فسر لنا هذا، قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدي، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد"(٣).

(١) المجموع شرح المذهب، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٤/٥٢١)، الناشر: دار الفكر، د. ط، د. ت.

(٢) انظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٢٩).

(٣) شرح السنة للبرهاري (ص ١١٣ - ١١٤).

- وقول عبدالرحمن بن مهدي رحمته الله: "سمعت سفيان يقول: إني لأدعو للسلطان بالصلاح"<sup>(١)</sup>.

- وقول الإمام أحمد رحمته الله في الخليفة المتوكل: "وإني لأدعو له بالتسديد، والتوفيق، في الليل والنهار، والتأييد، وأرى له ذلك واجباً علي"<sup>(٢)</sup>.

لقد أصبحت مسألة الدعاء لولاية الأمر من سمات أهل السنة والجماعة، التي يفارقون بها أهل الأهواء من المعتزلة، والخوارج، ومن سلك مسلكهم في هذا الباب، يقول الإمام البرهاري رحمته الله: "وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة - إن شاء الله -... فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن ظلموا وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين"<sup>(٣)</sup>.

بل إنها أدرجت في مسائل الاعتقاد التي انعقد على مشروعيتها إجماعهم، يقول أبو الحسن الأشعري رحمته الله: "وأجمعوا على الدعاء لأئمة المسلمين"<sup>(٤)</sup>.

ومما سطره علماء أهل السنة في هذه المسألة قول الإمام الطحاوي رحمته الله: "ولا نرى الخروج

(١) الجرح والتعديل، تأليف: أبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الخنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (٩٧/١)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٢٧١ هـ.

(٢) السنة، تأليف: أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي (٨٣/١)، تحقيق: عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

(٣) شرح السنة للبرهاري (ص ١١٣ - ١١٤).

(٤) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (١٧٦/١)، تحقيق: عبدالله شاكر محمد الجنيد، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

على أئمتنا وولاية أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة" (١).

وقال الإمام الأجرى الشافعي رحمته الله، بعد أن حذر من الخوارج وطرقهم: "ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة، وحيف الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله تعالى كشف الظلم عنه، وعن المسلمين، ودعا للولاية بالصلاح، وحج معهم، وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلى معهم الجمعة والعيدين، فإن أمره بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمره بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتن بينهم لزم بيته، وكف لسانه ويده، ولم يهؤ ما هم فيه، ولم يعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه كان على الصراط المستقيم إن شاء الله" (٢).

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي رحمته الله: "ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل" (٣).

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني الشافعي رحمته الله: "ويرون الدعاء بالإصلاح والتوفيق والصلاح" (٤) وغيرهم كثير من متقدمي علماء الأمة ومتأخريهم.

إن الدعاء لولي الأمر بالصلاح والتوفيق والهداية والعون، عائد على الداعي بالخير مثل المدعو له؛ لأن صلاح الإمام وبقائه صلاح للأمة بأجمعها، ولا يرتاب في ذلك إلا جاهل أو ذو

(١) العقيدة الطحاوية، تأليف: أبي جعفر الطحاوي (ص ٤٧)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، د. ط، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢) الشريعة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الأجرى البغدادي (١/ ٣٧٢ - ٣٧٢)، تحقيق: د. عبدالله بن عمر بن سليمان الدميحي، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.

(٣) اعتقاد أهل السنة، تأليف: الحافظ أبي بكر أحمد إبراهيم الإسماعيلي الشافعي (ص ٥٦)، تحقيق: جمال عزون، الناشر: دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تأليف: أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني (ص ١٠٠)، تحقيق: أبي اليمين المنصوري، الناشر: دار المنهاج، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

هو، يقول ابن المنذر المنير رحمته الله: "وقد نقل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم، فقيل له: أتدعو له وهو ظالم؟ فقال: إي والله أدعو له، إن ما يدفع الله ببقائه أعظم مما يندفع بزواله، لا سيما إذا ضمن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده وتوفيقه" (١).

وأما ما يرى من بعض القاصرين في العلم والعقل والدين، من التحرج في الدعاء لهم، فليسوا من الهداية في شيء، وقد ضلوا عن سواء السبيل، ولم يصيبوا طريقه، وقد سئل العلامة ابن باز رحمته الله عن من يمتنع عن الدعاء لولي الأمر، فأجاب: "هذا من جهله، وعدم بصيرته؛ لأن الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات، ومن أفضل الطاعات، ومن النصيحة لله ولعباده...، والسلطان أولى من يدعى له؛ لأن صلاحه صلاح للأمة، فالدعاء له من أهم الدعاء، ومن أهم النصح: أن يوفق للحق وأن يعان عليه، وأن يصلح الله له البطانة، وأن يكفيه الله شر نفسه وشر جلساء السوء، فالدعاء له بالتوفيق والهداية وبصلاح القلب والعمل وصلاح البطانة من أهم المهمات، ومن أفضل القربات" (٢).

فالمشروع عند أهل السنة والجماعة أن يحضوا النصح لولاة أمرهم بصدق الدعاء لهم، وإخلاصهم فيه لله رب العالمين.

(١) الانتصاف، حاشية الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تأليف: ابن المنير الأسكندري (٤/٥٣٥)، مطبوع مع

الكشاف للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز، جمع وترتيب: د. محمد الشويعر (٨/٢١٠).

## المطلب الثالث

### مقاصد الإمامة الدينية والدينية

لا يشك ذو عقل ورشد في عظم مكانة الإمامة، فهي "من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس"<sup>(١)</sup> حتى يقيم دينهم، ويحمي أمرهم، ويصون عرضهم، ويستقيم معه أمر معاشهم ومعادهم.

إن جلالة قدر الإمامة وعلو شأنها راجع إلى سمو مقاصدها، ومراد المشرع من إقامتها، "إذ المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم"<sup>(٢)</sup>؛ ولذا جاءت في الشرع منيعة الركن، رفيعة القدر؛ لاتصالها بشأن الدين.

فالجامع إذًا لمقاصد الإمامة هو إقامة دين الله الذي به مصلحة العباد الدينية والدينية، ثم إقامة شأن دنياهم الذي يحكمه أمر دينهم، وهذان المقصدان هما غاية الشارع من إقامة الإمامة، وتنصيب الحكام، يقول الماوردي رحمته الله: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"<sup>(٣)</sup>، فهي تقوم مقام النبوة في تحقيق مقاصدها، والجد في تحصيل غاياتها قدر الإمكان.

وتتناول الدراسة هذا المطلب من خلال مسألتين هما:

أولاً: مقاصد الإمامة الدينية.

(١) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٢٨/٢٦٢).

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٥).

ثانياً: مقاصد الإمامة الدنيوية.

أولاً: مقاصد الإمامة الدينية:

إن أعظم مقاصد الإمامة وأعلاها شأنًا المقاصد الدينية الشرعية، التي جعلها المشرع غاية لوجودها، وحكمة في قيامها، وهذا المقصد هو الجامع لكل المقاصد والحاكم عليها؛ لأن الشريعة جاءت آمرة بكل معروف، هو في حقيقته مصلحة للعباد في أمر دينهم ودنياهم، وناهية عن كل شر ومنكر وظلم، هو في حقيقته أيضاً مصلحة للعباد في أمر المعاش والمعاد؛ ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "وجميع الولايات إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"<sup>(١)</sup>، وهذا واضح وجلي قد دل عليه صريح القرآن، قال عليه السلام: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت الغاية العظمى من الإمامة دينية، ومهمتها الكبرى شرعية، أصبحت محل بحث علماء الشريعة وفقهائها، في مصنفات الاعتقاد عموماً، وكتب السياسة الشرعية والأحكام السلطانية على وجه الخصوص، وقدم علماء الإسلام من أحكام الإمامة وحقوقها وواجباتها ما يشهد لهذه الأمة برقيها وتقدمها في مجال السياسة والأحكام السلطانية.

ويرى الباحث بعد تأمل كلام العلماء في مقاصد الإمامة، وواجبات ولاية الأمر، أن

المقاصد الدينية ترجع إلى ثلاثة أصول هي:

الأصل الأول: إقامة الدين.

الأصل الثاني: تحقيق الجماعة.

(١) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٦٦/٢٨).

(٢) سورة الحج، الآية (٤١).

الأصل الثالث: إقامة العدل.

الأصل الأول: إقامة الدين:

والمراد به دين الإسلام، آخر الشرائع وخاتمها، وهو رأس المقاصد وأعظمها يقول ابن الهمام رحمته الله: " والمقصد الأول إقامة الدين، أي جعله قائم الشعائر على الوجه المأمور به من إخلاص الطاعات وإحياء السنة وإماتة البدع؛ ليقوم العباد على طاعة المولى سبحانه" <sup>(١)</sup>.

ولذا كان أول واجبات الإمام المفروضة في كتب فقهاء الإسلام، واجب حفظ الدين ورعايته والدفاع عنه، يقول الماوردي رحمته الله: " والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة... " <sup>(٢)</sup>، وقيام الأئمة على الدين الذي هو أكبر مقاصد الإمامة، ينتج عنه صلاح شأن العباد كله، واستقامة أمر البلاد في كل أمرها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: " ومتى اهتمت الولاية بإصلاح دين الناس صلح للطائفتين دينهم وديناهم، وإلا اضطربت الأمور عليهم. وملاك ذلك كله صلاح النية للرعية، وإخلاص الدين كله لله، والتوكل عليه؛ فإن الإخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة" <sup>(٣)</sup>.

ويتحقق مقصد إقامة الدين بالإمامة في عدة أمور أهمها:

١ - العمل به:

من المعلوم أن الله لم يرسل الرسل، ولم ينزل الكتب إلا للعمل والاتباع، وقد ذم القرآن

(١) المسامرة في شرح المسامرة للكمال بن الهمام في علم الكلام (ص ١٥٣)، الناشر: مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الثانية ١٣٤٧ هـ.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠).

(٣) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٠٥)

قوماً رجوا نزول العلم للعمل، ولكنهم نكثوا بعد نزوله، فقال عنهم: ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٧٧﴾ لَوْ أَنَّ  
عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٧٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٠﴾﴾<sup>(١)</sup>، فالعلم  
إذاً للعمل، لا يكتمل شرفه إلا به، ولا تتم نعمته على أهله حتى يمثلوه واقعاً عملياً.

وإن العمل بأوامر الشريعة يختلف باختلاف المكلفين، ويتنوع بتغاير المخاطبين، فما يجب  
على الولاة لا يجب على من دونهم، وما يجب على من دونهم يغاير وجوبه عليهم، وإن الواجب  
على الأئمة في العمل بهذا الدين كبير على قدر ما تحملوا؛ ولذا كان جزاؤهم عند الله إذا صبروا  
جزاء لا يشابهه جزاء من دونهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: " فإذا اجتهد الراعي في  
إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان كان من أفضل أهل زمانه، وكان من أفضل المجاهدين  
في سبيل الله "<sup>(٢)</sup>.

وإن من إقامة الدين بالإمامة أن تؤدي شعائر الإسلام عامة، ظاهرة غير مخفية، وأن تقام  
الشرائع في أمن وتمكين، وأن يؤطر على الواجب المفرطون، وأن يؤخذ على أيديهم، قال رحمته الله:  
﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٣)</sup>، يقول الغزالي رحمته الله: " نظام أمر الدين مقصود لصاحب الشرع  
عليه السلام قطعاً، وهذه مقدمة قطعية لا يتصور النزاع فيها، ونضيف إليها مقدمة أخرى وهي أنه لا  
يحصل نظام الدين إلا بإمام مطاع فيحصل من المقدمتين صحة الدعوى وهو وجوب نصب  
الإمام "<sup>(٤)</sup>؛ لأن به قيام أمر الدين على الأرض.

ومن العمل به أن يحكم به، قال رحمته الله لنبيه عليه السلام: ﴿وَإِنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ

(١) سورة الصافات، الآية (١٦٧ - ١٧٠).

(٢) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢١ - ٢٢).

(٣) سورة الحج، الآية (٤١).

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي (ص ١٢٧ - ١٢٨).

أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ<sup>(١)</sup>، والإمامة نيابة عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا كما تقدم، والحكم بما أنزل الله هو عمل الأئمة الذي يحصل به إقامة الدين وحفظهم له.

## ٢- الدعوة إلى الله:

إن الدعوة إلى هذا الدين هي وظيفة الأنبياء وواجب الرسل، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "والرسول ﷺ قام بهذه الدعوة، فإنه أمر الخلق بكل ما أمر الله به، ونهاهم عن كل ما نهاهم عنه، أمر بكل معروف ونهى عن كل منكر"<sup>(٣)</sup>.

والأمر للنبى ﷺ أمر لأئمة، ما لم يدل الدليل على تخصيصه، فالدعوة إلى الله واجبة على هذه الأمة، كما هي أمر واجب على نبينا ﷺ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، وهذا شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ ما جاء به الرسول ﷺ، والجهاد في سبيل الله، وتعليم الإيوان والقرآن"<sup>(٤)</sup>.

ولما كانت الإمامة موضوعة لحراسة الشريعة وقيام الدين، وكان لها من القدرة في التبليغ والوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا يشاركها فيه أحد، كان الوجوب عليها في ذلك وجوباً عينياً، وذلك بتكليف أمة من الناس تقوم بفريضة الإصلاح والدعوة

(١) سورة المائدة، الآية (٤٩).

(٢) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٣) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٥/١٦١).

(٤) المصدر السابق (١٥/١٦٦).

والإرشاد كما قال ﷺ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكايل والموازين، وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله ﷺ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به، فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به"<sup>(٢)</sup>.

وقيام الإمامة بواجب الدعوة إلى الله يكون بأمر هي:

أ- أن تكون ضمن سياسة الدولة العليا، وجزءاً من مواد نظمها الأساسية في الحكم، وأن تكون حاضرة في مهام الحاكم وأعماله.

ومن أمثلة ذلك: ما يقوم به حكام الدولة السعودية في أطوارها الثلاثة، حيث كانت الدعوة متمثلة في عمل ولاية أمرها، تصاحبهم في مهامهم السياسية، وأعمالهم السلطانية، وسأقتصر على ذكر ثلاثة أمثلة على ذلك.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ص ١٤٢)، تحقيق:

ابن عثيمين، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

## المثال الأول:

ما كتبه الإمام عبدالعزيز بن سعود رحمته الله إلى محمد بن أحمد الحفطي رحمته الله، يوصيه فيه بتحقيق الشهادتين وقد جاء فيه: " ثم الدعوة إلى الله، قال جل جلاله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾<sup>(٢)</sup>، قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم))<sup>(٣)</sup>.

فإذا حققت هذه التقوى، وكنت من أهلها، فلا تخف ولا تحزن؛ وقد وردت البشرية من الله أنه معك حيث كنت ناصراً، ومعيناً، وحافظاً، قال رحمته الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>، وإذا كان الله معك، فمن تخاف؟ وإذا كان عليك، فمن ترجو؟ وكما قال بعضهم: من اتقى الله، كان الله معه، ومن كان الله معه: فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل"<sup>(٥)</sup>.

## المثال الثاني:

ما كتبه الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن رحمته الله إلى ابن اليسار الدمشقي وناصر الدين الحجازي، وقد جاء فيه: "... فاعتنموا رحمكم الله الدعوة إلى الله، وإلى دينه وشرعه،

(١) سورة فصلت، الآية (٣٣).

(٢) سورة يوسف، الآية (١٠٨).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم [٣٤٩٨]

(٤) (٣/١٣٥٧)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم

[٢٤٠٦] (٤/١٨٧٢).

(٤) سورة النحل، الآية (١٢٨).

(٥) الدرر السنية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم (٢/١٦٨).

ودحض حجج من خالف ما جاءت به رسله، ونزلت به كتبه، من البيئات والهدى، وأن تكون الدعوة إلى الله، بالحكمة والموعظة الحسنة، بالحجة والبيان" (١).

### المثال الثالث:

ينص النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية، في الباب الخامس - باب الحقوق والواجبات - من المادة الثالثة والعشرين على: "تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق الشريعة، وتأمّر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله" (٢).

ب- ومن الأمور التي تقوم بها الإمامة في الدعوة إلى الله تعيين الأكفاء وتكليف ذوي القدرة في العلم والحكمة، والإذن لهم بالدعوة والإرشاد وتوجيه الناس، من خلال إقامة جهات حكومية خاصة بهم كوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو بالسماح المشروط لهم.

ج- ومن ذلك تشجيع العلماء والدعاة على القيام بواجب التوعية والإرشاد، وفق الضوابط والشروط التي تحترم المصلحة العليا وتحافظ عليها؛ استجابة لقوله ﷺ: ﴿وَالْعَصْرُ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ③﴾ (٣).

ولا بد من استشعار المسؤولية الدعوية التي حملها الله هذ الأمة، سواء أكان على الصعيد السياسي، أم على الصعيد الشعبي؛ ليبقى هذا الدين محفوظاً بحفظ الله، قائماً على عين الله.

(١) الدرر السنية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم (١/ ٥٩٤).

(٢) المادة [٢٣] من النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية، الصادر بالمرسوم الملكي رقم [٩٠/ ٩٠]

بتاريخ ٢٧/ ٨/ ١٤١٢ هـ.

(٣) سورة العصر، الآية (١ - ٣).

### ٣- حراسة الدين عن الشبه والضلال:

ومن الوسائل والسبل التي تقوم بها الإمامة لحفظ الدين، حراسة الدين عن شبه المبطلين، وزيف أهل البدع، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، يقول أبو يعلى رحمته الله: "إن على الإمام حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة، وأوضح له الصواب، وأخذ به يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من الزلل"<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن حراسة الدين عن الانحرافات والشبهات من أوجب الواجبات على الإمامة، وهو مقدم على كثير من تحصيل الواجبات؛ لأن درء المفسد مقدم على جلب المصالح، وقد نص العلماء على ذلك في مصنفاتهم حين ذكروا مهام الإمامة وواجباتها، يقول الإمام الجويني رحمته الله في بيان الواجب على الإمام: "فأما القول في أصل الدين فيتنقسم إلى: حفظ الدين بأقصى الوسع على المؤمنين، ودفع شبهات الزائعين، وإلى: دعاء الجاحدين والكافرين إلى التزام الحق المبين"<sup>(٢)</sup>.

وبمثله قال الإمام السفاريني رحمته الله في منظومته حين ذكر واجبات الإمامة:

وفعل معروف وترك نكر ونصر مظلوم وقمع كفر<sup>(٣)</sup>

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في شرحه لقول السفاريني رحمته الله: "إن قمع الكفر ولو تظاهر الإنسان بالإسلام من واجبات الإمام، وعلى هذا يجب على الإمام أن يجعل له نظراء ينظرون في

(١) الأحكام السلطانية، تأليف: القاضي أبي يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ص ٢٧)، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

(٢) غياث الأمم للجويني (ص ١٨٤).

(٣) العقيدة السفارينية "الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية"، تأليف: شمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ص ٩٣)، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبدالمقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

كل ما يكتب في الصحف والمجلات، وكل ما ينشر في الإذاعات المسموعة والمرئية، وكل ما يذكر في الكتب والرسائل المؤلفة، فيجعل أمناء علماء بالشريعة، ويوليهم الحق في النظر في كل ما ينشر في وسائل الإعلام، ويمنعوا كل شيء يدعو إلى الفسوق والمجون والكفر، وهذا يجب على الإمام<sup>(١)</sup>.

إن قيام الحكام على حماية الدين، يدفع عنه فساداً عريضاً، وشرّاً مستطيراً، لا تقوى على مثله حجج العلماء، ومصنفات الحكماء، وتفريعات الفقهاء؛ لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ومن تتبع تاريخ الإسلام، وتأمل في عصور قوته، وجد أن قوته مرتبطة بقوة حمل السلاطين والحكام له، فيهم ينزجر أهل البدع، ويقمع أهل الزبغ؛ خوفاً من سطوتهم وعقابهم، وقد نازل أيوب السخيتاني رَجَلَهُ اللهُ رجلاً في القدر، فزجره فلم ينته، حتى خوفه بالسلطان فكفَّ عن الخوض فيه<sup>(٢)</sup>.

والمنصف يرى هذا جلياً واضحاً حتى عند من لا يلتزم الإسلام في نظامه السياسي؛ إذ تنص بعض الدول في قانون عقوباتها على تجريم ازدراء الأديان وتحريمه، وتعد بث الأفكار المتطرفة أو همز الشرائع جريمةً توقع على أصحابها أشد العقوبات<sup>(٣)</sup>، وقد حفظت كثير من

(١) شرح العقيدة السفارينية - الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية -، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين

(١/٦٧٧)، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، تأليف: أبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف

بابن سعد (١٢٣/٧)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ/

١٩٩٠ م؛ وانظر: المعرفة والتاريخ، تأليف: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبي يوسف

(٢/٣٤)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ/

١٩٨١ م.

(٣) للاستزادة انظر: القانون الدولي وحظر التعصب الديني، تأليف: د. محمد ثامر السعدون، الناشر: المركز العربي

للنشر والتوزيع، ومكتبة دار السلام القانونية، الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ/ ٢٠١٧ م.

شرائع الإسلام بمثل هذا.

### الأصل الثاني: تحقيق الجماعة:

من مقاصد الدين العليا التي اتفقت عليها الشرائع، وأمر بها الأنبياء - عليهم السلام - قاطبة إقامة الاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف، قال ﷺ: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾<sup>(١)</sup>، قال قتادة رحمه الله في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾: "تعلموا أن الفرقة هلكة، وأن الجماعة ثقة"<sup>(٢)</sup>، وقال الإمام البغوي رحمه الله: "بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة"<sup>(٣)</sup>.

إن ارتباط الدين بالجماعة ارتباط ضروري، فهما قرينان لا ينفكان، ولن ينتظم أمر جماعة إلا بإمام مطاع، يرتفع به شر الخلاف، وتمحى به غوائل الفرقة والشقاق، يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: "وقد علم بالضرورة من دين الإسلام: أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة..."<sup>(٤)</sup>؛ ولذا كانت الجماعة هي سفينة النجاة لأهل الإيمان والحق، يجميهم الله بها من عواصف الفتن، وشرور الأهواء، فعن حذيفة رحمه الله قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم)). قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: ((نعم، وفيه دخن)). قلت: وما دخنه؟ قال: ((قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر))، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: ((نعم، دعاة إلى أبواب

(١) سورة الشورى، الآية (١٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٥ / ١٥).

(٣) تفسير البغوي (٤ / ١٢٢).

(٤) حكم الانتفاء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، تأليف: بكر بن عبدالله أبو زيد (ص ٤٤)، طبع الرئاسة

العامية لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

جهنم، من أجاهم إليها قذفوه فيها))، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: ((هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا))، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم))، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: ((فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك))<sup>(١)</sup>.

وقد بوب النووي رحمته الله على هذا الباب فقال: "باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة، ومفارقة الجماعة"<sup>(٢)</sup>، وما فارق أحد جماعة المسلمين، وركب مراكب الأهواء في منابذة ما اجتمعوا عليه، إلا كان في معترك الغواية، ودياجير ظلمة الضلالة ما دام على ذلك، وما لزم أحد جماعة المسلمين إلا سلم وغنم، واستقام له أمر دينه ودنياه، يقول رحمته الله: ((من أراد بحبوحه الجنة فليزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد))<sup>(٣)</sup>.

وقيام الجماعة التي أمر الله بها لا يكون إلا بسطان قاهر مطاع؛ إذ به ينعقد أمرها، ويقوم

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة برقم [٦٦٧٣] (٦/٢٥٩٥)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر برقم [١٨٤٧] (٣/١٤٧٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢٣٦).

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب اختلاف ألفاظ الناقلين خبر عمر فيه برقم [٨١٧٥] (٨/٢٨٤)، وأحمد في مسنده برقم [١٧٨] (١/٣١١)، ورواه محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أب حاتم، الدارمي، البُستي في صحيحه، باب طاعة الأئمة برقم [٤٥٧٦] (١٠/٤٣٦) - (٤٣٧)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ورواه البيهقي في المعجم الأوسط (٢/١٨٤)، ورواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين برقم [٣٨٧] (١/١٩٧)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"، و صححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/٢٢)، الناشر: دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

كيانها، وقد جعلت الإمامة مع الموافقة علامة على الجماعة التي يحمى بها مجتمع الإسلام، قال ابن حجر رحمته الله في شرح حديث حذيفة السالف الذكر: "قال الطبري رحمته الله: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة، وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع في الفرقة أحداً، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك؛ خشية من الوقوع في الشر"<sup>(١)</sup>، وذكر الإمام الشاطبي رحمته الله في كتابه "الاعتصام" عنه أيضاً أن: "الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير"<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن المقصود بذلك الاجتماع، هو الاجتماع على الخير والحق والصواب، وإلا لكانت تلك الاجتماعات المنحرفة إلى الأهواء جماعة وحقاً، يقول الإمام الشاطبي رحمته الله: "وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكور في الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم"<sup>(٣)</sup>، وفوات هذا الفهم لمعنى الجماعة أضلّ فثاماً من هذه الأمة عن جادة الصواب.

### الأصل الثالث: إقامة العدل:

من أجل مقاصد الولاية، وأرفع مرام الإمامة: العدل والإنصاف والقسط، يقول الطرطوشي رحمته الله في صفات الملك: "أول الخصال وأحقها بالرعاية: العدل الذي هو قوام الملك، ودوام الدول، ورأس كل مملكة، سواء كانت نبوية أو اصطلاحية"<sup>(٤)</sup>.

وبه نزلت الشرائع والأوامر الربانية، وتواطأت على قبوله العقول والفطر السوية، ومتى أقيم العدل في الدول استقام كل معوج، وتيسر كل عسير، ودام الخير بين الناس ما دام العدل

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/٣٧).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/٧٧٤).

(٣) المصدر السابق (٢/٧٧٥).

(٤) سراج الملوك للطرطوشي (ص١٢٦).

قائماً فيهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيثار ما يُجزى به في الآخرة"<sup>(١)</sup>.

ولما كانت الشريعة هي أمر الله العام لشأن الدنيا والآخرة، جعل العدل من أعظم أصولها ومبانيها، وأوجب واجباتها وفرائضها، فإذا رأيت في الشيء ظلماً وحيثاً فاعلم أنه ليس من دين الله في شيء، يقول ابن القيم رحمته الله: "فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها بالتأويل"<sup>(٢)</sup>.

إن العدل فريضة الله على الإمامة، كما أن السمع والطاعة فرض لازم وحق واجب على الرعية، ومن استبصر غاية الإمارة والمقصود منها، أدرك أن العدل ميزان محل عملها، وضابط جميع أمرها، والميسر لشأنها، ولما ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كتابه السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية قال في مقدمته: "وهذه رسالة مبنية على آية الأمراء في كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَوَدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾... (٣) وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها،

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله ابن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ص ٢٩)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

(٢) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٣/ ١١).

(٣) سورة النساء، الآية (٥٨ - ٥٩).

والحكم بالعدل: فهذان جماع السياسة العادلة، والولاية الصالحة"<sup>(١)</sup>.

وقد أجمعت الأمم بما أراها الله في سننه الشرعية والكونية، على أن العدل سبب البقاء، والجلاب للرخاء، وأنه ركن الدول، والمؤدي إلى أمن العيش واستقرار الحياة، "ذلك أن السلطان إذا عدل انتشر العدل في رعيته، وأقاموا الوزن بالقسط، وتعاطوا الحق فيما بينهم، ولزموا قوانين العدل فمات الباطل، وذهبت رسوم الجور، وانتعشت قوانين الحق فأرسلت السماء غياثها، وأخرجت الأرض بركايتها، ونمت تجارتهم، وزكت زروعهم وتناست أنعامهم، ودرت أرزاقهم، ورخصت أسعارهم، وامتألت أوعيتهم، فواسى البخيل، وأفضل الكريم، وقضيت الحقوق، وأعيرت المواعين، وتهادوا فضول الأطعمة والتحف، فهان الحطام لكثرت، وذل بعد عزته، وتماسكت على الناس مروآتهم، وانحفظت عليهم أديانهم"<sup>(٢)</sup>.

ولما كان العدل في هذه المنزلة والمكانة الرفيعة، وله تلك الفضائل الظاهرة العظيمة، كان القائم عليه وبه من أصلح عباد الله، ومن أوفرهم عند الله جزاء وأجراً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: " فإذا اجتهد الراعي في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان كان من أفضل أهل زمانه، وكان من أفضل المجاهدين في سبيل الله"<sup>(٣)</sup>، ويقول الطرطوشي رحمته الله بعد أن ساق محاسن العدل: " وبهذا يتبين لك أن الوالي مأجور على ما تتعاطاه من إقامة العدل، ومأجور على ما يتعاطاه الناس بسببه"<sup>(٤)</sup>.

وقد دل الكتاب والسنة على فضيلة العادلين من الأئمة فمن ذلك:

(١) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٦).

(٢) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٠٨ - ١٠٩).

(٣) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٢ - ٢٣).

(٤) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٠٩).

- أن الله جعلهم أهل محبته، فقال: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾<sup>(١)</sup>.
- أن فعله أداء الواجب الذي هو من أفضل القربات، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٢)</sup>.
- أن الله جعل العادلين من الولاية في ظله يوم المعاد يوم لا ظل إلا ظله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل...))<sup>(٣)</sup>.
- أن الله يجلسهم يوم القيامة في مجلس الكرامة، على منابر من نور، عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين -، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا))<sup>(٤)</sup>، وغير ذلك من الأدلة.

ويتحقق مقصود العدل من الولاية، وإقامة الإنصاف في السلطان بأمر، وهي:

- ١- حل النزاع بين الخصوم، ورد الحقوق والأمانات إلى أهلها، حتى يأمن مظلوم، ويردع باغ ومعتد، يقول الماوردي رحمته الله في الواجبات على الإمام: "الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين، حتى تعم النصفة، فلا يتعدى ظالم ولا

(١) سورة الحجرات، الآية (٩).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٢).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد برقم [٦٢٩] (١/٢٣٤)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل اخفاء الصدقة برقم [١٠٣١] (٢/٧١٥).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم برقم [١٨٢٧] (٣/١٤٥٨).

يضعف مظلوم" (١).

٢- إقامة حدود الله التي أنزلها الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، قال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: "الرابع: إقامة الحدود؛ لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك... " (٢).

والعدل في العنصرين هو في الحكم بما أنزل الله، كما يقول الموصلي رَحِمَهُ اللهُ: "العدل هو الحكم بما أنزل الله" (٣)، إذ العدل الحق لا يكون إلا بإقامة حكم الشريعة التي تضمنت كمال القسط والإنصاف، الذي لا تحيط به عقول الآدميين.

٣- مباشرة الأئمة لأعمالهم على وجه الكمال، وتتبعهم لأخبار الملك وعمل الولاية، حتى يكون العدل في تمام الإقامة والاعتدال، يقول الجويني رَحِمَهُ اللهُ: "فمما أعرضه على الجناب العالي، أمر يعظم وقعه على اعتقاب الأيام والليالي، وهو الاهتمام بمجاري الأخبار، في أقاصي الديار، فإن النظر في أمور الرعايا، يترتب على الاطلاع على الغوامض والخفايا، وإذا انتشرت من خطة المملكة الأطراف، وأسبلت العماية دون معرفتها أسداد الأعراف، ولم تطلع شمس رأي راعي الرعية على صفة الإشراف والاشراق، امتدت أيدي الظلمة إلى الضعفة بالإهلاك والإتلاف، والثلة إذا نام عنها راعيها، عاثت طلس الذئاب (٤) فيها، وعسر تداركها وتلافيتها، والتيقظ والخبرة أسس الإيالة (٥)، وقاعدة

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٠).

(٣) حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، تأليف: محمد بن محمد بن عبدالكريم بن رضوان بن عبدالعزيز البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (ص ٥٥)، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.

(٤) طلس الذئاب: الذئب الذي تساقط شعره. انظر: تهذيب اللغة للأزهري، مادة (طلس) (١٢/٢٣٣).

(٥) الإيالة لغة: آل الرعية: ساسهم، يقال: آل الرعية يؤولها إيالة حسنة. انظر: تهذيب اللغة للأزهري، مادة (آل)

الإمرة، وإذا عمى المعتدون أخبارهم، أنشبووا في المستضعفين أظفارهم، واستجروا ثم على الاعتداء، ثم طمسوا عن مالك الأمر آثارهم، ويخون حينئذ المؤمن، ويغش الناصح، وتشيع المخازي والفضائح"<sup>(١)</sup>.

٤- إنابة ذوي الكفاءة والعدل، حتى يقوموا عنه في إيصال الحق، ودفع الظلم، واستقرار الأمور على نصابها، يقول الماوردي رحمته الله: "التاسع: استكفاء الأمانة، وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال مضبوطة، والأموال بالأمانة محفوظة"<sup>(٢)</sup>، ولا بد من تحري ذوي الكفاءة والصلاح، حتى تبرأ الذمة بذلك، وأن يكون ميزان الأمر هو تحري المصلحة، وتقصي أسباب النفع قدر الإمكان، يقول أبو حامد المقدسي رحمته الله: "وينبغي على السلطان أن يتبصر في الولايات على المسلمين في جميع جهاته، وأن يستعمل الرجل للمصلحة الراجحة للناس؛ لأنهم كانوا في زمن الصحابة رضي الله عنهم يستعملون الرجل ومعه من هو أفضل منه في العلم والإيمان طلباً للمصلحة"<sup>(٣)</sup>، ويراعي الأصلح في كل منصب على حسبه.

ولا بد أن يكون عملهم كما تقدم في العنصر السابق على عين الإمام، يتبع أمرهم، ويقوم عوجهم، ويعزل الحائد عن الصواب، والمفرط في سدة الولاية، يقول الشيزري رحمته الله: "والمسلك

(٣١٤/١٥).

واصطلاحاً: استخدمها الفقهاء كما استخدموا مصطلح السياسة. معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، تأليف: سامي محمد الصلاحيات (ص ٥٤)، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

(١) غياث الأمم للجويني (ص ٣٧٧).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠).

(٣) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٢٣).

الرابع: النظر في تعدي الولاية وأهل العز من الأعوان على الرعية؛ لأن تعديهم منسوب إليه<sup>(١)</sup>. وهذه المقاصد الدينية الثلاثة الكبرى للإمامة هي غالب غاية الشارع من إقامتها، ومتى أتمها الله بكفاءة الولاية فقد تم غالب النفع المقصود.

### ثانياً: مقاصد الإمامة الدنيوية:

يظهر معنى المقصد الدنيوي للإمامة والخلافة، من خلال التأمل في تعريفات الفقهاء والعلماء لها، حيث يعرفها الماوردي رحمته الله بأنها: "موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"<sup>(٢)</sup>، ويوضح ابن خلدون رحمته الله ذلك التعريف ببسط البيان في بيان مفهوم الإمامة حيث يقول: "هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا"<sup>(٣)</sup>، فالمقصد الدنيوي للسياسة هو في حقيقته ضبط لمعايش الناس وعمرانهم، وتوفير الحياة الهانئة لهم، على وفق مراد الشارع وحكمه، وبما يعود عليهم في الآخرة بالنعمة والسلامة، فالمقصد الدنيوي في الحقيقة هنا ليس قسماً تاماً وكاملاً للمقصد الديني، بل هو تابع له ويقع تحت هيمنته؛ ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في حديثه عن حقيقة الولاية: "... وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم"<sup>(٤)</sup>، وهو ما عبر عنه ابن خلدون رحمته الله بقوله: "في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها..."<sup>(٥)</sup>، فالنظر في مصلحة الدنيا يهدف في نهاية الأمر إلى إصلاح أمر الدين وحفظه.

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٥١).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٠٦).

(٣) تاريخ ابن خلدون (ص ٢٣٩).

(٤) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢١).

(٥) تاريخ ابن خلدون (ص ٢٣٩).

لقد بين ابن خلدون رحمته الله المقصد الدنيوي على وجه التحديد في أمر الإمامة فقال بأنه: "مقتضى رعاية مصالحهم في العمران البشري... وأن رعاية مصالحه كذلك لئلا تفسد إن أهملت، وقد قدمنا أن الملك وسطوته كاف في حصول هذه المصالح، نعم إنما تكون أكمل إذا كانت بالأحكام الشرعية؛ لأنه أعلم بهذه المصالح"<sup>(١)</sup>.

وعند تأمل الباحث في كلام ابن خلدون رحمته الله عن مقصد الإمامة الدنيوي، أو ما يسمى بسياسة الدنيا، اتضح له بأنه قائم على ثلاثة محاور رئيسة، وهي:

١- أن المقصد الدنيوي متعلق بسياسة أمر الناس في الجانب العمراني وجانب الحياة الخالص.

٢- أن هذا المقصد منضبط بميزان المصلحة المؤيدة بقهر السلطان.

٣- أن الحاكم على تلك السياسة والمحيط بها هو الشرع.

وأعظم ما تسعى له الشعوب، وتستبق في تحصيله الأمم من أجل معاشها، أمران عظيمان، وركنان ركينان، متى ما توفرا استقامت من بعدهما كل زخارف الدنيا وزينتها، وهما: الأمن في الأوطان، ورغد العيش في الحياة، قال رحمته الله ممتناً على أهل مكة: ﴿أَوْلَىٰ نُمْكِنَ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن تحقيق الأمن في الأوطان، وتوفير العيش الكريم في البلدان، لا يقوم لهما قيام ولا يسلك لهما نظام، إلا بسلطان مطاع، وعز مهيب، وملك قاهر، فهما أشرف المقاصد الدنيوية، وعمود رحاها، ومحورها الرئيس، وتقتصر الدراسة في هذا المقصد عليهما:

(١) تاريخ ابن خلدون (ص ٢٧٢).

(٢) سورة القصص، الآية (٥٧).

## المقصد الأول: تحقيق الأمن:

الأمن مصلحة كبرى، من رزقها فقد استقام له كريم العيش، ونال به ومعه لذة النعم، ومن حرمه لم يهنأ له عيش، ولم يسعد له بال، حتى يحرزه ويحصل عليه، وقد اعتبر الإمام الماوردي مصلحة الأمن أحد أعظم المقاصد التي تصلح بها الدنيا، يقول رحمته: "اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتزمة، ستة أشياء هي قواعدها، وإن تفرغت، وهي: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح"<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: "وأما القاعدة الرابعة: فهي أمن عام تطمئن إليه النفوس وتنتشر فيه الهمم، ويسكن إليه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء: الأمن أهناً عيش، والعدل أقوى جيش؛ لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم وانتظام جملتهم"<sup>(٢)</sup>.

وتحصيل مقصد الأمن في الأوطان من واجبات الأئمة تجاه شعوبهم، سواء أكان الأمن في داخل الوطن، وذلك بدفع كل شر وسوء ينال الناس في ضروراتهم وأشوائهم، أم بحماية حدودهم عن ظلم المعتدين، وبغبي الظالمين، فالأمن الذي يجب تحقيقه على الأمة أمران هما: حفظ الأمن الداخلي، وحفظ الأمن الخارجي، وأبَيَّن ما يتعلق بهما فيما يأتي:

## ١ - حفظ الأمن الداخلي:

يجب على الحكام تحقيق الأمن في داخل أوطانهم، وقمع نزعة العدوان والظلم التي جبلت

(١) أدب الدنيا والدين، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي

(ص ١٣٣)، الناشر: دار مكتبة الحياة د. ط، ١٩٨٦ م.

(٢) المصدر السابق (ص ١٤٢).

عليها بعض النفوس، حتى لا يبغى قوي على ضعيف، وحتى ينزع الحق للضعيف من القوي، وقد عبر الماوردي رحمته الله عن هذا الواجب بقوله: "الثالث: حماية البيضة والذب عن الحریم؛ ليتصرف الناس في المعاش، وينتثروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال"<sup>(١)</sup>.

وتتمثل وسائل الأمن وسبله في كل أجهزة الدولة الأمنية، على المستويين الحكومي والتنفيذي، إذ يجب على الدولة تنصيب القضاة لحل النزاع، وإقامة الحسبة، وتوظيف الجند، ونشر العيون؛ ليبقى الحكم قاهراً، والعز ظاهراً، والشر مكبوتاً، والباطل زاهقاً، يقول ابن خلدون رحمته الله: "فأما المدن والأمصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحتهم من الكافة أن يمتد بعضهم على بعض، أو يعدو عليه، فهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم"<sup>(٢)</sup>.

إن دفع حركة التنمية في أي دولة، وتطوير مستوى معيشتها، متوقف على تحقق الأمن في مجتمعها، إذ معه يزرع الزارع، ويتعلم العالم، وتجذب نفس المخترع، وتمضي حركة التجارة ويقوم سوقها، ولن يتم ذلك - بعد الله - إلا بقهر السلطان وغلبته؛ ولذا كان مقصداً مستقراً من مقاصد الإمامة العظمى في سياسة الدنيا، وإلى هذا أشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: "لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: تؤمن بها السبيل، ويقام بها الحدود، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الغزالي رحمته الله: "والأمن على الأنفس والأموال لا يتنظم إلا بسلطان مطاع، فتشهد له مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة، وإن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مطاع، دام الهرج، وعم السيف، وشمل القحط، وهلكت المواشي، وبطلت الصناعات،

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠).

(٢) تاريخ ابن خلدون (ص ١٥٩).

(٣) منهاج السنة لابن تيمية (١/٥٤٨)، وانظر: السياسة الشرعية لابن تيمية (ص ٨٣).

وكان كل غلب سلب، ولم يتفرغ أحد للعبادة والعلم إن بقي حياً، والأكثر يهلكون تحت ظلال السيوف، ولهذا قيل: الدين والسلطان توأمان... وعلى الجملة لا يتنارى العاقل في أن الخلق على اختلاف طبقاتهم، وما هم عليه من تشتت الأهواء، وتباين الآراء، لو خلوا وراءهم، ولم يكن رأي مطاع يجمع شتاتهم، لهلكوا من عند آخرهم، وهذا داء لا علاج له إلا بسلطان قاهر مطاع، يجمع شتات الآراء، فبان أن السلطان ضروري في نظام الدنيا، ونظام الدنيا ضروري في نظام الدين، ونظام الدين ضروري في الفوز بسعادة الآخرة، وهو مقصود الأنبياء قطعاً، فكان وجوب نصب الإمام من ضروريات الشرع الذي لا سبيل إلى تركه<sup>(١)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، هي أهمية المحافظة على هيبة الحكم، وأبهة الولاية، ورهبة الإمامة؛ لأن النفوس إذا ضعفت عندها الرهبة، لم يكن لذي الأمر والسلطان سطوة واعتبار، وكان وجود القضاء والأمر عندها وعدمه سواء، وهذا يفضي إلى نزاع الأمن وتعطل المصالح، يقول القرافي رحمته الله: "إن المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل إلا بعظمة الولاية في نفوس الناس"<sup>(٢)</sup>؛ لأنهم إذا رأوه خافوا وانزجروا وأطاعوا، فأديت الحقوق، ونمت البلاد، وسكن العباد، وكانت متاعاً للحاضر والباد؛ ولذا عد الماوردي رحمته الله وجود السلطان المهيب أحد أسباب الحياة السعيدة في قوله: "وأما القاعدة الثانية: فهي سلطان قاهر تتألف من رهبته الأهواء المختلفة، وتجتمع لهيبته القلوب المتفرقة، وتكف بسطوته الأيدي المتغالبة، وتمتنع من خوفه النفوس العادية؛ لأن في طباع الناس من حب المغالبة على ما آثروه، والقهر لمن عاندوه، ما لا ينكفون عنه إلا بمانع قوي، وراذع ملي. وقد أفصح المتنبي بذلك في قوله:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

(١) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي (ص ١٢٨).

(٢) الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، تأليف: أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن المالكي

الشهير بالقرافي (٤/٣٤٦)، تحقيق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم<sup>(١)</sup>

وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء: إما عقل زاجر، أو دين حاجر، أو سلطان رادع، أو عجز صاد. فإذا تأملتها لم تجد خامسا يقترن بها، ورهبة السلطان أبلغها؛ لأن العقل والدين ربما كانا مضعوفين، أو بدواعي الهوى مغلوبين، فتكون رهبة السلطان أشد زجراً وأقوى ردعاً<sup>(٢)</sup>.

ومن أعظم الأسباب الجالبة للأمن والمحصلة له، إقامة العدل وتحقيق القسط، ورفع الظلم عن العباد، إذ بين العدل والأمن علاقة وثيقة عرفتها الأمم، وجربتها الشعوب والدول، حتى استقر في نفسها استقرار المسلمات، وفهمتها فهم الضرورات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "إن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيثار ما يجزى به في الآخرة"<sup>(٣)</sup>، وتذكر كتب السير والتاريخ أن بعض عمال الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز رحمته الله كتب إليه يقول: "أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالاً يرُمُّها به فعل، فكتب إليه عمر: أما بعد، قد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصّنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم، فإنه مرّمّتها والسلام"<sup>(٤)</sup>.

كما يجب على الأئمة والحكام أن يحققوا توحيد الله والإيمان به، وأن ينشروا ذلك بين

(١) ديوان المتنبي، تأليف: أبي البقاء العكبري (ص ١٦٦)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شليبي، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ١٣٤).

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٩).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٣٠٥/٥)، الناشر: دار السعادة، مصر، د. ط، ١٣٩٤هـ.

الرعية، وأن يجاربوا الفساد وأهله، وأن يأخذوا على يد المخالفين حتى يردوهم إلى الحق والصواب؛ لأن توحيد الله والإيمان به والاستقامة على صراطه، من أعظم الأسباب التي يحصل بها الأمن، قال ﷺ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (١)، وقال ﷺ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى أَرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (٢)، وكلما قوي إيمان الحكومات وشعوبها حمى الله بيضتها، ودفع عن حرمتها، وحرسها من كيد الكائدين، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "ومتى اهتمت الولاة بإصلاح دين الناس: صلح للطائفتين دينهم ودنياهم؛ وإلا اضطربت الأمور عليهم، وملاك ذلك كله: صلاح النية للرعية، وإخلاص الدين كله لله، والتوكل عليه" (٤).

إن حفظ الأمن الداخلي، واستتبابه في الأوطان من مقاصد الإمامة، بل إن الإمامة شرط من شروط حصوله.

## ٢- حفظ الأمن الخارجي:

من مقاصد الإمامة الدنيوية حماية الوطن من الأعداء الخارجيين، وكبت المكائد والمكر الذي يترصد به أعداء الدولة، وفي هذا يقول الماوردي رَحِمَهُ اللهُ في سياق عدِّ واجبات الإمامة: "الخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بثغرة ينتهكون

(١) سورة الأنعام، الآية (٨٢).

(٢) سورة النور، الآية (٥٥).

(٣) سورة الحج، الآية (٣٨).

(٤) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٠٥).

فيها محرماً، أو يسفكون لمسلم أو معاهد دماً"<sup>(١)</sup>.

وحفظ الإمامة للناس من شرور العدو الخارجي من الأمور الجسام، والواجبات العظام، إذ يكون بالإخلال فيها انهدام بناء الدولة جميعاً؛ ولذا عظم شأنها، وجل مقامها، يقول إمام الحرمين الجويني رحمته الله: "وأما اعتناء الإمام بسد الثغور، فهو من أهم الأمور، وذلك بأن يحصن أساس الحصون والقلاع، ويستظهر لها بذخائر الأطعمة، ومستنقعات المياه، واحتفار الخنادق، وإعداد الأسلحة والعتاد، وآلات الصد والدفع، ويرتب على كل ثغر من الرجال ما يليق به"<sup>(٢)</sup>.

إن أمان الدولة من عدوها الخارجي، وسلامتها من أيدي الشائئين الطاغين، من أعظم نعم الله عليها، بل هو سياج الدولة وحرز استقرارها، قال رحمته الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال قتادة رحمته الله: "كان لهم في ذلك آية - يعني قريش - أن الناس يغزون ويتخطفون، وهم آمنون"<sup>(٤)</sup>، فالمقصود إذاً هو معرفة قدر الأمن الخارجي، وعظم المسؤولية على الإمامة والشعوب في تحصيله والمحافظة عليه.

وتتجسد التدابير في حفظ الأمن الخارجي في عدة أمور منها:

١- الحفاظ على كيان الحكم، وصيانة سمعة الدولة، وإظهار القوة والمنعة والعزة التي ترهب الأعداء، وذلك من خلال إجلال الإمامة، وصلاح الرعية، قال الإمام محمد بن الحسن

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠).

(٢) غياث الأمم للجويني (١٥٦).

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٦٧).

(٤) تفسير الطبري (٦٢ / ٢٠).

الشياني رحمته الله: "إعزاز الملك فهو هيبة للعدو"<sup>(١)</sup>، ويقول أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي رحمته الله: "ويجتمع للملك بهيبته مع صلاح رعيته، صلاح أعدائه، ومن يقدر غلبته على مملكته ممن هو مقارب له أو ناء عنه"<sup>(٢)</sup>.

٢- تكثير السواد، وإعزاز الاجتماع في مواطن النظر واللقاء، سواء أكان في الثغور، أم في المؤتمرات والمقابلات، قال المنجي الحنبلي رحمته الله: "لما في ذلك من التكاثر في عين العدو، وإعلاء الكلمة، وتعظيم الإسلام، وحصول الهيبة في قلوبهم والرهبة"<sup>(٣)</sup>، وينقل ابن مفلح رحمته الله عن الأوزاعي رحمته الله قوله: "لو كان الأمر إليّ لسمرت أبواب المساجد التي للثغور؛ ليجتمع الناس في مسجد واحد"<sup>(٤)</sup>.

٣- إعداد القوة في كل المجالات، مع إظهارها وإفنائها؛ حتى يرهب العدو جانب الدولة، قال رحمته الله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، يقول السعدي رحمته الله: "أي ﴿وَأَعِدُّوا﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدررون

(١) تاريخ بغداد وذيوله، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (١٧١/٢)،

تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

(٢) الخراج وصناعة الكتابة، تأليف: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبي الفرج (٤٤٠/١)، الناشر: دار الرشيد، بغداد - العراق، الطبعة الأولى ١٩٨١ م.

(٣) المتع في شرح المقنع، تأليف: المنجي بن عثمان ابن المنجي (٥٠٥/١)، الناشر: مكتبة النهضة الحديثة، مصر، الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢ م.

(٤) المبدع في شرح المقنع، تأليف: إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مفلح، أبي إسحاق، برهان الدين (٥٠/٢)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

(٥) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع، والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون، والقلاع، والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي، والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلَّم الرَّمِي، والشجاعة، والتدبير؛ ولهذا قال النبي ﷺ: ((ألا إن القوة الرَّمِي))<sup>(١)</sup>، ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال؛ ولهذا قال ﷺ: ﴿وَمَنْ رَبَّاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته، فإذا كان شيء موجود أكثر إرهاباً منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأموراً بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"<sup>(٣)</sup>.

٤ - حراسة الثغور، والرباط على الحدود، حتى تأمن البلاد، ويستتب الأمن، ولا يجعل لذي عدوان باباً على المسلمين، ويبقى حفظ الحدود في عرف الدول والملوك أولى واجبات السيادة، وشرط من شروط شد الملك، وقد "قيل لبزرجمهر: "بأي شيء يظهر عز الملك؟ فقال: بثلاثة أشياء: حفظ الأطراف مع دفع العدو عن الحوزة، وإكرام العلماء وإعزازهم، وحب أهل الفضل؛ لأنه كلما جار السلطان خاف أهل الأطراف وإن كانت

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه برقم [١٩١٧]

(٣/١٥٢٢).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

(٣) تفسير السعدي (ص ٣٢٤).

نعمهم كثيرة، فإنها مع الخوف لا تنسأغ، وإن كانت النعم قليلة انساغت مع الأمن"<sup>(١)</sup>.

٥- ومن التدابير الواقية للأمن الخارجي إقامة السلام والمعاهدات، "والشريعة الإسلامية شريعة سلم وسلام، وعصمة للأنفس والأموال والأعراض والعقول؛ لأن في السلام عمارة الأرض، وصلاح الإنسان، والبشرية"<sup>(٢)</sup>، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالجنوح للسلم إذا دعي إليه، قال ﷺ: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْحَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»<sup>(٣)</sup>، ورخص للمسلمين حال ضعفهم أن يتقوا شر الكفار بالمداراة، فقال ﷺ: «لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلَةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ»<sup>(٤)</sup>، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "إنما هو الأمر بالاتقاء من الكفار لا الأمر بالنفاق والكذب"<sup>(٥)</sup>، ومعنى الآية: "أن الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار، ومداهنتهم ومباطنتهم، إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان؛ دفعاً عن نفسه من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً"<sup>(٦)</sup>.

والمقصود من هذا هو السعي الدؤوب في تحصين الأمن من العدوان الخارجي بكل الوسائل الممكنة، معنوية كانت أو مادية؛ ليبقى البلد منيعاً، والعز مكيناً، والأمن مطمئناً،

(١) التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ص ٢٢٠)، دراسة وتحقيق: د. محمد أحمد دمج، الناشر: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٢) هيبه الدولة وأثرها في أمن الدول واستقرارها، تأليف: د. محمد عبدالله حسن الحمادي (ص ٦٧٥)، الناشر: جمعية دار البر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.

(٣) سورة الأنفال، الآية (٦١).

(٤) سورة آل عمران، الآية (٢٨).

(٥) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٤٧).

(٦) تفسير البغوي (٢/٢٦).

والعيش رخاءً.

### المقصد الثاني: توفير المعيشة الكريمة:

من مقاصد الإمامة الدنيوية توفير المعيشة الصالحة للشعوب، سواء أكان ذلك بمباشرة الأمر معهم، من خلال جباية الزكاة وردها إلى مستحقيها، أم بمحاربة البطالة والمساهمة في العمران البشري بتعزيز البنية التحتية، أم كان ذلك بشكل غير مباشر عن طريق تهيئة الظروف الأمني والنظامي الذي يكفل حسن تبادل المنافع بين أفراد المجتمع، وعليه فإن تحقيق حصول المعيشة الكريمة يتجسد في أمرين هما: القيام على الصالح العام، وكفالة حق الفرد في تبادل المنفعة، والحديث عنهما فيما يأتي:

### أولاً: القيام على الصالح العام:

تسعى الدول من أجل تحقيق سعادة شعوبها إلى محاربة الأضرار الثلاثة، وهي: الجهل، والفقر، والمرض، وتضخ في ذلك أموالاً طائلة من اقتصادها لرفع تلك الإشكالات الثلاث الكبرى أو تخفيفها؛ لأنها تقضي على مستقبل الشعوب. وفي موضوع قيام الدولة على الصالح العام يقول الماوردي رحمته الله عن واجبات الإمامة: "السابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً أو اجتهاداً، من غير خوف ولا عسف، الثامن: تقدير العطايا وما يُستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقته لا تقديم فيه ولا تأخير"<sup>(١)</sup>.

إن ما تكفله الدول والحكومات لشعوبها من المنافع والخدمات، وما تقوم به من رعاية الصالح العام تجاه مواطنيها ورعاياها، أكثر من أن يحصر في هذا المقام، ويشهد لهذا ما يُرى من الخراب والدمار الذي لحق بالدول المفرطة في استقرار حكوماتها.

وتقتصر الدراسة على بعض مظاهر الاعتناء الذي تبشره الإمامة لمصالح رعاياها، وكفاية

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠).

أفراد مجتمعها على سبيل المثال لا الحصر، فمن ذلك:

١ - القيام على جباية الفبيء والصدقات والعشور، وردها إلى بيت المال، ثم صرفها في أوجه الاستحقاق، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقد أجمع أهل العلم على أن الزكاة تدفع إلى رسول الله ﷺ، وإلى رسله وعماله، وإلى من أمر بدفعها إليه، كما اتفقوا أيضاً على أن تُؤدى الصدقة في الأنعام وغيرها إلى الحكام<sup>(٢)</sup>.

٢ - معالجة البطالة، والعمل الدؤوب على إيجاد فرص العمل التي تدر على الناس أرزاقهم ومعيشتهم، فالدولة بما آتاها الله من قهر وقوة هي القادرة على إيجاد الوظائف، سواء في داخلها، أو بتقديم التعاون مع القطاع الأهلي بما يخدم الصالح العام<sup>(٣)</sup>.

٣ - عمارة البنية التحتية من شوارع، وطرق، وشبكات كهرباء ومياه، ومطارات، وملاحة بحرية، وبناء المستشفيات والمرافق الحكومية وغير ذلك، وهذه مما لا شك فيه من اختصاص الدولة؛ ولذا يكون فواتها مع زوال هيمنة الدولة الحكومية، وتعد هذه العمارة النافعة مقصودة عند الشارع، قال ﷺ: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وقد ذكر من معانيها: "أمركم بعمارة ما تحتاجون

(١) سورة التوبة، الآية (١٠٣).

(٢) انظر: الاقناع في مسائل الإجماع، تأليف: علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبي الحسن ابن القطان (١٩٤ / ١)، تحقيق: حسن فوزي الصعيدي، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.

(٣) انظر: هيئة الدولة للحمادي (ص ٧٥١ - ٧٥٢)

(٤) سورة هود، الآية (٦١).

إليه فيها: بناء مساكن، وغرس أشجار"<sup>(١)</sup>.

٤ - الاهتمام بالتعليم، ورفع الجهل عن الشعوب، ورعاية الطلاب من خلال بناء المدارس والجامعات، والاعتناء بالكتب والمناهج، وإنشاء المكتبات، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته الله: "وكذلك يجب على الإمام: النظر في أمر العلم، وترغيب الناس في طلبه، وإعانة من تصدى للطلب لقلّة العلم وكثرة الجهل. وإن كان قد قام ببعض الواجب فينبغي له أن يهتم بهذا الأمر لفضيلة العلم، وكثرة ثواب من قام به وأعان عليه؛ فإن أكثر من يطلب العلم فقراء، ويحتاجون إلى الإعانة على فقرهم لما يكون لهم فيه سعة، وطلب العلم اليوم من الفرائض كما لا يخفى على الإمام وغيره"<sup>(٢)</sup>.

وما ذكره الباحث هو شيء من المصالح والمنافع والخير الذي يجريه الله على أيدي الحكام والحكومات، مما لا تجتمع في تحصيله همّة أفراد المجتمع وقدرتهم، ولو بذلوا في ذلك الغالي والنفيس؛ فإن قوة الاجتماع من قوة الله، ويد الله مع الجماعة.

ثانياً: كفالة حق الفرد في تبادل المنفعة:

الإنسان مجبول على العمارة والحركة، يبحث على ذلك دوافع مختلفة، مثل: طلب الرزق، والاستجابة إلى نداء الفطرة في عمارة الأرض، وحب الاستكثار، وغير ذلك؛ ولذا كان أصدق الأسماء حارثاً وهماماً، يقول رحمته الله: ((أحب الأسماء إلى الله: عبدالله وعبد الرحمن، وأصدقها:

(١) النكت والعيون = تفسير الماوردي، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (٢/ ٤٧٩)، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٢) رسائل وفتاوى، تأليف: عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي (١/ ١٣)، الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

حارث وهمام))<sup>(١)</sup>، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: "وحارث وهمام أصدق الأسماء؛ لأنها مطابقة للواقع، فكل واحد من بني آدم فهو حارث يعمل، وكل واحد من بني آدم فهو همام بهم، وينوي، ويقصد، وله إرادة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَقِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وكل إنسان يعمل، فأصدق الأسماء حارث وهمام؛ لأنه مطابق للواقع"<sup>(٣)</sup>.

ولما كانت هذه طبيعة الإنسان، كان العمران البشري نتيجة بدهية لهذا الاقتضاء السنني الفطري، ويقصد بالعمران البشري ما عناه ابن خلدون رحمته الله بقوله: "التساكن والتنازل في مصر أو حلة، للأنس بالعشير، واقتضاء الحاجات؛ لما في طباعهم من التعاون على المعاش"<sup>(٤)</sup>، وهذه سنة إلهية لا مناص للناس عنها.

ويبقى شأن العمارة مهيضاً ما لم يدعم بحفظ السلطان، ويرعى بحماية الإمامة؛ لأن طبيعة الناس لا تتنظم إلا بإحكام حاكم، وإلا دبّت إليهم الفوضى، وغلبتهم نزعة العدوان، يقول الإمام الشوكاني رحمته الله: "فإن السلطان عزة من الله جعلها بين أظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، وأكل شديدهم ضعيفهم"<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء برقم [٤٩٥٠] (٤/٢٨٧)، ورواه البخاري في الأدب المفرد، باب أحب الأسماء إلى الله ﷻ برقم [٨١٤] (ص٤٣٧)، ورواه الإمام أحمد في مسنده برقم [١٩٠٣٢] (٣١/٣٧٧)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير برقم [٩٤٩] (٢٢/٣٨٠)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى برقم [١٩٣٠٧] (٩/٥١٤)، قال أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٥/٣٣٢): "هذا إسناد رواه ثقات"، تحقيق: د. أحمد معبدعبدالكريم، الناشر: دار الوطن، د. ط، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١/٣٠٥).

(٢) سورة الانشقاق، الآية (٦).

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/٢٦٤).

(٤) تاريخ ابن خلدون (ص٥٣).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/٣٠٤).

ومن مظاهر عناية الدول والحكومات بشأن حماية مصالح الناس والقيام على إدارة منافعهم ما يأتي:

١- ترسيخ قواعد الأمن الذي يحرص مصالح الناس وتبادل منافعهم، "من الأخذ على يد المجرمين، فتمنع عدوان اللصوص وقطاع الطرق، الذين يأخذون المال عدواناً وقهراً، فإن الأسواق والتجارات إنما تزيد وتزدهر في الأماكن الآمنة، فإذا حلّ اللصوص وقطاع الطرق في مكان، طارت الأموال، وغادرت إلى أرض أخرى، لتجد فيها استقراراً لتجارتها"<sup>(١)</sup>.

٢- الإشراف على معاملات الناس وتجارهم، ووضع الضوابط، ورسم الخطط، وصياغة الأنظمة التي تحمي الصالح العام، وتحقيق الأمن الاقتصادي وتوازنه.

٣- حل النزاع والخلاف بالقضاء والحكم، حتى لا يبغى أحد على أحد.

٤- حماية حق التملك الذي كفله الإسلام للناس ورعايته، فإن إثباته يفتقر إلى سلطان يقره ويحميه ويدفع عنه.

وما ذكر الباحث من المظاهر على سبيل المثال لا الحصر، يوضح فيه بذلك أثر الإمامة في تحقيق مقصد رعاية مصالح الناس وحمايتها، وليس هذا محل التفصيل والإطناب فيها.

ويخلص الباحث مما سبق إلى ما يأتي:

١- إقامة الإمامة من الضرورات وأعظم واجبات الدين، التي دل عليها الكتاب والسنة، والإجماع، والقياس، ومقاصد الشرع، وصريح العقل وسلامة الفطرة، ولم يشذ عن القول بذلك إلا من لا عبرة بقوله ولا خلافه.

(١) هبة الدولة للحمادي (ص ٧١٩).

٢- يتمثل إعلاء قدر الإمامة وإعظام شأنها في القيام بحقها تجاه أهلها، فبيان منزلة الإمامة، والحفاظ على حرمتها، وبيان مكانتها، لا يكون بالكلام المرسل، ولا بالدعاوى غير المصدقة بالأفعال، ومن أعظم حقوق الإمامة كما تقدم: حق البيعة، وحق السمع والطاعة، وحق التوقير والمناصرة، وحق النصيحة، وحق الدعاء.

٣- لا يشك ذو عقل ورشد في اضطرار المجتمع الإنساني عامة، والمسلمين خاصة، إلى قيام أمر الإمامة؛ "إذ لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها"<sup>(١)</sup>، فالإمامة في الإسلام جاءت لمقصدتين عظيمين هما:

أ- حراسة الدين. ب- سياسة الدنيا.

ومتى تخلف الناس عن إقامتها فيهم، لم يبق لهم دين، ولم تصلح لهم دنيا.

٤- تتبوأ الإمامة عند أهل السنة منزلة عظيمة، ومكانة كبيرة، فهي من المسائل التي تناوها العلماء في كتب أصول الدين، وأخرجوا في بيان أهميتها، وفضائلها، وأحكامها، وحقوق أهلها، أسفاراً ومؤلفات عظيمة.

(١) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٢٩).

## الباب الأول الجانب النظري

وفيه أربعة فصول:

**الفصل الأول: مشروعية مناصحة أئمة المسلمين وضوابطها.**

**الفصل الثاني: تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره وأسبابه.**

**الفصل الثالث: مجالات التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وأنواعها.**

**الفصل الرابع: التصنيف عند أصحاب المذاهب الأربعة في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها.**

## الفصل الأول

### مشروعية مناصحة أئمة المسلمين وضوابطها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مشروعية مناصحة أئمة المسلمين.

المبحث الثاني: ضوابط مناصحة أئمة المسلمين.

## المبحث الأول

### مشروعية مناصحة أئمة المسلمين

أمر النصيحة عظيم، ومنزلتها من الدين جليلة؛ لذلك جعلها النبي ﷺ الدين فقال: ((الدين النصيحة))، وهي من مقتضى الإيمان ومن مسائل أصول الدين، قال ابن بطة رحمته الله: "ومن عقيدة أهل السنة والجماعة: اعتقاد الديانة بالنصيحة للأئمة، وسائر الأمة، في الدين والدنيا، ومحبة الخير لسائر المسلمين، تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك"<sup>(١)</sup>؛ ذلك أن عكس النصيحة الغش، والغش لا يكون في مؤمن للمؤمن، يقول البربهاري رحمته الله: "ولا يحل أن تكتم النصيحة أحداً من المسلمين، برهم وفاجرهم، أي أمر الدين، فمن كتم فقد غش المسلمين، ومن غش المسلمين فقد غش الدين، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين"<sup>(٢)</sup>.

ولما كان أمر النصيحة عظيماً، أنزلها الشارع تلك المنزلة من الدين، وجعل منزلتها منه بقدر ما تعلقت به؛ ولذا كان النصح لأئمة المسلمين من أوسعها باباً، وأعظمها جناباً، لما يترتب على بقائهم، واستقامة أمرهم، من النفع الشامل في حراسة الدين، وسياسة الدنيا. وتتناول الدراسة في هذا المبحث مشروعية مناصحة أئمة المسلمين من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مشروعية مناصحة أئمة المسلمين في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثاني: مشروعية مناصحة أئمة المسلمين في ضوء السنة المطهرة.

المطلب الثالث: حكم مناصحة أئمة المسلمين.

(١) الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة، تأليف: أبي عبدالله عبيدالله بن بطة العكبري (ص ١٨٦)، تحقيق:

د. رضا بن نعيان معطي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

(٢) شرح السنة للبربهاري (ص ٣٧).

## المطلب الأول

### مشروعية مناصحة أئمة المسلمين في ضوء القرآن الكريم

تكرر لفظ النصيحة في آيات القرآن في عدة مواضع، وتنوع اشتقاق مادة (نصح) في سياقات مختلفة، فتارة ترد بصيغة الفعل المضارع: أنصح، كما قال الله ﷻ على لسان نوح ﷺ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِيسَلَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وتارة بصيغة الفعل الماضي: (نصحت) (نصحوا)، كما في قوله ﷻ على لسان صالح وشعيب عليهما السلام: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷻ في أهل الأعداء: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، وتارة على وزن المصدر: (نصح) كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي﴾<sup>(٤)</sup>، ومرة على الاسم المشتق - اسم الفاعل - (ناصح، وناصحون) كما في قوله على لسان الأنبياء عليهم السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِيسَلَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿وَأِنَّا لَهُ لَنَصِيحُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وقول أخت موسى ﷻ: ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، وهذا كله يدل على عظم أمر النصيحة وعلو شأنها.

كما أن النصيحة في القرآن قد تأتي بدلالة المفهوم ولسان الحال، كما هو الحال في دعوة الأنبياء ووعظهم لأئمتهم، أو في مرادفات هذه الكلمة من المصطلحات والألفاظ التي تؤدي

(١) سورة الأعراف، الآية (٦٢).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٧٩).

(٣) سورة التوبة، الآية (٩١).

(٤) سورة هود، الآية (٣٤).

(٥) سورة الأعراف، الآية (٦٨).

(٦) سورة يوسف، الآية (١١).

(٧) سورة القصص، الآية (١٢).

الغرض، أو بعضه، أو ما يقاربه، كالوعظ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك.

وتتناول الدراسة مشروعية النصيحة في ضوء القرآن من خلال الآتي:

### أولاً: النصيحة وظيفية الأنبياء:

لقد جعل القرآن العظيم إسداء النصيحة وبذلها للناس من أهم وظائف الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، حيث أخلصوا لأمرهم في المواعظ، وبذلوا قصارى الجهد في إيصال النفع إليهم، يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله: "وأنصح الناس للناس هم الرسل - عليهم الصلاة والسلام -، والأنبياء، ثم بعدهم العلماء، فهم ورثة الأنبياء، وهم خلفاؤهم في الخير والنصح، والدعوة إلى الله، والصبر على الأذى والتحمل"<sup>(١)</sup>؛ ولذا كان شعار الأنبياء في مسيرتهم هو النصح والنصيحة، وكذلك الصالحون من أهلهم وأتباعهم، وقد جاء نص القرآن واصفاً أنبياء الله بالنصح والأمانة في البلاغ، فهي صفة لازمة لا تنفك عن أحد منهم أبداً، ويأتي هذا الوصف متعلقاً بدعوتهم ورسالاتهم؛ ولذا سأعرض شيئاً من ذلك وفق الآتي:

#### ١ - نوح عليه السلام ونصحه لقومه:

أوضح القرآن العظيم في مواضع عدة، أن النصح والنصيحة مقصدٌ عظيمٌ لنبي الله نوح عليه السلام في دعوته، وأنها صفة لازمة وحال مصاحب له في بلاغه فقال عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَّ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَّقُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَا كِتَىٰ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾، ومعنى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ أي: أبلغ لكم تكاليف الله، ثم أرشدكم إلى الأصوب

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز، جمع وترتيب: د. محمد الشويعر (٥/ ٩٠).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٧ - ٦٢).

والأصلح، وأدعوكم إلى ما أمرني به ربي، وأحب لكم ما أحب لنفسي<sup>(١)</sup>.

إن نبي الله نوحاً لم يكن مبلغاً فحسب، بل أحاط بلاغه بالنصح الذي يقتضي إيصال كل خير إلى المنصوح، والفرق بين تبليغ الرسالة والنصيحة فيها، هو أن تبليغ الرسالة: التعريف بأنواع التكليف من الأوامر والنواهي، وأما النصح فيعني: ترغيبهم في طاعة الله وتحذيرهم من مغبة معصيته، بأبلغ الوجوه وأتمها وأحسنها<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن هذا النبي ﷺ لم يأل جهداً لإيصال الدعوة في أتم صور النصح، ويظهر ذلك جلياً في:

- طول مدة البلاغ والصبر على أذى قومه قال ﷺ: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

- تنوع أساليب الدعوة ووسائلها، فمرة جهاراً، ومرة بالسر، ومرة بالليل، وأخرى في النهار، قال ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقال ﷺ: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وفي قوله ﷺ على لسان نبي الله نوح ﷺ: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

(١) انظر: تفسير الرازي (١٤ / ٢٩٤).

(٢) انظر: تفسير الرازي (١٤ / ٢٩٧)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب، تأليف: أبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (٩ / ١٨١)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

(٣) سورة العنكبوت، الآية (١٤).

(٤) سورة نوح، الآية (٥).

(٥) سورة نوح، الآية (٨).

تَعَامُونَ ﴿١﴾، نكتتان ولطيفتان:

الأولى: تعدية فعل (أنصح) باللام مع صلاحيته للتعدي بنفسه، يدل على الإخلاص في النصيحة، وأنها وقعت مقصودة للمنصوح من غير مشاركة.

الثانية: التعبير بصيغة المضارع في قوله (أنصح) تفيد التجدد في النصح لهم، وأنه غير فاتر ولا منفك عن دعوتهم ﴿٢﴾.

إن نبي الله نوحاً أول الرسل، لم يدخر وسعاً في النصح لقومه، من شدة رحمته وفرط إشفاقه ووجهه عليهم، وبهذا نزل التصيير على النبي ﷺ والتسكين له.

## ٢- هود الطيِّل: ونصحه لقومه:

وعلى أثر نوح الطيِّل، يقص القرآن العظيم نصح نبي الله هود الطيِّل لقومه، فيقول ﷻ: ﴿وَأَلِيَّ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ ﴿٣﴾، لقد واجه هذا النبي الكريم من قومه ما يلقاه الأنبياء من أقوامهم من الأذى، وعلى رغم إخلاصه ونصحه لهم في البلاغ إلا أنه اتهم بالسفاهة، وهي "ضلالة عن الحق والصواب" ﴿٤﴾، كما اتهم نوح الطيِّل بالضلالة من قبل، ومع هذا كان رده عليهم لطيفاً ليناً لا يزيد عن نفي التهمة عن نفسه، ويوضح لهم بأنه مبلغ رسالات الله، وأنه ناصح أمين، يقول الطبري رحمه الله في قوله ﷻ:

(١) سورة الأعراف، الآية (٦٢).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف: أبي السعود العمادي محمد بن

محمد بن مصطفى (٢/ ٢٥٩)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٦٥ - ٦٨).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٥٠٤).

﴿أَبِغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾<sup>(١)</sup>: "وأنا لكم في أمري إياكم بعبادة الله دون ما سواه من الأنداد والآلهة، ودعائكم إلى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله، ناصح، فاقبلوا نصيحتي، فإني أمين على وحي الله"<sup>(٢)</sup>.

لقد تمثلت النصيحة في قول هود عليه السلام وفعله، وذلك في بذل قصارى الجهد في إيصال الخير والدعوة وبلاغ الرسالة، مع الإغضاء والغض عن تعييرهم بما عيروه به، وفي ذلك تعليم من الله لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم ويعرضون<sup>(٣)</sup>، ولاشك أن هذا سيخرج النصح في ثوب قشيب وحلة بهية.

### ٣- صالح عليه السلام ونصحه لقومه:

بعث الله إلى ثمود أخاهم صالحاً النبي الكريم؛ ليدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة من سواه، فمحض لهم النصح، وذكرهم بأيام الله وآياته، وجعل معه آية عظيمة تدل قومه على صدق ما جاء به، فقال عليه السلام: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>، لكنهم أبوا رسالته، وصدوا عن الحق الذي جاء به، بل واعتدوا على آية الله فعقروها ليحل بهم العذاب، ويمحقهم سوء عقاب الله، كما قال عليه السلام: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ أَخْبِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، يقول البغوي رحمته الله: "والمعنى: عصوا الله، وتركوا

(١) سورة الأعراف، الآية (٦٨).

(٢) تفسير الطبري (١٢/٥٠٤).

(٣) انظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله

(٢/٨٧)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٤) سورة الأعراف، الآية (٧٣).

(٥) سورة الأعراف، الآية (٧٧).

أمره في الناقة، وكذبوا نبيهم" (١)، ثم قال ﷺ: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ (٢)، والمعنى: أن الله زلزل الأرض وحركها من تحتهم، وقرنها بالصيحة حتى هلكوا عن آخرهم (٣)، وقيل: صيح بهم، حتى رجفت بهم الأرض (٤).

ويعرض القرآن حال النبي الكريم بعد هلاك قومه، وقد شفى الله صدره منهم قائلاً: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْنَ لَكَدًا أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ (٥).

قال الإمام الطبري رحمه الله: " فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم، فقال: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ صالح وقال لقومه ثمود: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي﴾، وأدّيت إليكم ما أمرني بأدائه إليكم ربّي من أمره ونبيه، ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ في أدائي رسالة الله إليكم، في تحذيركم بأسه بإقامتكم على كفركم به وعبادتكم الأوثان، ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ لكم في الله، الناهين لكم عن اتباع أهوائكم، الصادّين لكم عن شهوات أنفسكم" (٦).

وما يستوقف المتأمل في هذا المقام أن النصح هو الحال المقارن لجميع الأنبياء - عليهم السلام -، حيث ذكره نوح، وهود، كما تقدم في معرض البلاغ، وذكره النبي صالح في توليه عن قومه بعد تمام النذارة وحلول العذاب.

(١) تفسير البغوي (٣/٢٤٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٩١).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/٢٤٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/٥٤٠).

(٥) سورة الأعراف، الآية (٧٩).

(٦) تفسير الطبري (١٢/٥٤٧).

٤ - شعيب عليه السلام ونصحه لقومه:

ومن الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن أكثر من مرة نبي الله شعيب عليه السلام الذي بعثه الله إلى قوم يطففون في الميزان، ويقطعون الطريق، ويفسدون في الأرض بعد إصلاحها، ويعبدون آلهة أخرى مع الله، وقد نصح هذا النبي لقومه، وحذرهم عقوبة الله، وعدد عليهم نعم الله، حيث أغناهم من الفقر، وكثرهم بعد قلة، وذكرهم بعقوبة الله، فما كان جواب قومه إلا العصيان، حتى أخذتهم الرجفة، قال عليه السلام: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ولما حلَّ بهم العذاب، وهلكوا بالرجفة، وصف الله حاله بقوله عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَى قَوْمٍ كَقَوْمِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد جعل عليه السلام تمام النصح في بلاغ الرسالة مانعاً له من الأسى والحزن عليهم، فكانه يقول: "لقد أذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حلَّ بكم، فلم تسمعوا قولي، ولم تصدقوني، فكيف آسى عليكم؟ يعني: أنه لا يأسى عليهم؛ لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى"<sup>(٣)</sup>؛ لتمام قيام الحجة عليهم بتمام محض النصح في البلاغ.

**ثانياً: نصيحة ذوي الجاه والسلطان:**

تأتي مناصحة الحكام ووعظهم في القرآن الكريم على رأس الأولويات الدعوية، وأعظمها شأنًا، وأرفعها مكاناً؛ لما يترتب على بذل النصح إليهم بشتى أشكاله من النفع العام والخاص، والديني والدنيوي، على سائر أهل الأرض؛ ولذا أمر العلماء والفقهاء وأهل الحل والعقد أن يقوموا بواجبهم فيه، وندبوا إلى القرب منهم بالمعروف إذ "لو امتنع أهل العلم والفضل والدين عن مداخلة الملوك لتعطلت الشريعة المطهرة؛ لعدم وجود من يقوم بها، وتبدلت المملكة

(١) سورة الأعراف، الآية (٩١).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٩٣).

(٣) الكشاف للزمخشري (٢/١٣١).

الإسلامية بالمملكة الجاهلية في الأحكام الشرعية من ديانة ومعاملة، وعمّ الجهل وطمّ، وخولفت أحكام الكتاب والسنة جهاراً<sup>(١)</sup>.

والملوك والأمراء وأهل الولاية بشر من البشر، ينسون ويغفلون، فكانت النصيحة والتذكير لهم من أهم الواجبات، خاصة مع كثرة شغلهم، وعظم مسؤوليتهم.

ويتناول الباحث ثلاث صور من أشكال مناصحة أهل الولاية والجاه والسلطان الواردة

في القرآن العظيم.

### ١ - مناصحة إبراهيم عليه السلام للملك:

كان إبراهيم عليه السلام يعيش في مدينة بابل من أرض العراق، وكان يحكمها ملك مُلحد لم يُشرِ القرآن إلى اسمه، وقد ذكر في بعض كتب التفسير أن اسمه النمرود<sup>(٢)</sup>، وليس في ذكر اسمه معنى يفيد.

يقول عليه السلام: ﴿الْمَرْتَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلطين، تأليف: محمد بن علي الشوكاني (ص ٣٣)، تحقيق: محمد صبحي، الناشر: دار الجليل، اليمن، د. ط، د. ت.

(٢) قال الطبري في تفسيره (٤٣٠ / ٥): "إن الذي حاج إبراهيم في ربه جبار كان ببابل يقال له: نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح"، وقال أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي في تفسيره = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢/ ٢٣٩): "قال مقاتل: لما كسّر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود، ثم رواه ليحرقه بالنار"، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م؛ وقال البغوي في تفسيره (١ / ٣١٥): "هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم، أي: خصم وجادل، وهو: النمرود، وهو: أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض، وادعى الربوبية؟".

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٥٨).

يخاطب الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بقلبك يا محمد، ﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: الذي خاصم ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، يريد بذلك: نبي الله الخليل ﷺ ﴿فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾، يعني بذلك: حاجه فخاصمه في ربه؛ لأن الله آتاه الملك<sup>(١)</sup>، وقد افتتحت الآية بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، و"الم تر" إنما يفتتح به لأعجوبة، وهذا تعجيب من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ من الذي حاج إبراهيم في ربه؛ لأنه جادل وحاج وخاصم فيما لا شك فيه ولا مرأ<sup>(٢)</sup>، كما قال ﷺ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾<sup>(٣)</sup>.  
ابتدأ إبراهيم الحجة على المخالف، فقال له: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾<sup>(٤)</sup>، يعني بذلك: "ربي الذي بيده الحياة والموت، يحيي من يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء. قال: أنا أفعل ذلك، فأحيي وأميت، أستحيي من أردت قتله فلا أقتله، فيكون ذلك مني إحياء له، وذلك عند العرب يسمى (إحياء)، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(٥)</sup>، وأقتل آخر، فيكون ذلك مني إماتة له. قال إبراهيم ﷺ: فإن الله الذي هو ربي يأتي بالشمس من مشرقها، فأت بها - إن كنت صادقاً أنك إله - من مغربها! قال الله تعالى ذكره: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾<sup>(٦)</sup>، يعني انقطع وبطلت حجته"<sup>(٧)</sup>.

وفي محاجة الخليل ﷺ لهذا المعاند استعمل أسلوب جدل حسن، يقطع به على المخالف حجته، وهو أسلوب الانتقال بأن يترك ما ألقيت عليه شبهة الخصم، وينتقل إلى ما لا شبهة فيه

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/٤٢٩-٤٣٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٥/٤٣٠).

(٣) سورة إبراهيم، الآية (١٠).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٥٨).

(٥) سور المائدة، الآية (٣٢).

(٦) سورة البقرة، الآية (٢٥٨).

(٧) تفسير الطبري (٥/٤٣٢).

لإرغامه وتبكيته<sup>(١)</sup>؛ لأن النمرود قد جادل في أمر مُسلم، وادعى كذباً مقدرته على الإحياء والإماتة، وعلى رغم بطلانه، فإن الخليل عليه السلام لم يجادله فيه، بل انتقل إلى مثل آخر لا يجد الملك فيه مناصاً ومخرجاً؛ دفعاً للتمويه والمشغبة، ولم يكن انتقال الخليل عليه السلام انتقالاً من حجة إلى حجة، بل من مثال خفي إلى مثال جلي؛ لأن النمرود أجاب عن الإحياء والإماتة بالمجاز، فصرفه الخليل إلى حقيقة لا تحمل المجاز، وهي الإتيان بالشمس من المغرب<sup>(٢)</sup>.

لقد استعمل الخليل عليه السلام مع المخالف أسلوب الإفحام، وهذا من مراعاة حال المدعو؛ لأن الحكمة تقتضي مع المعاند أن يلجأ إلى تفنيد القضية وإبطائها بالقوة، ثم يأخذ بيده إلى بيان الحقيقة، أما مع المخالف السهل اللين، فإن الحاجة تلان له، ويرد إلى أمور مسلمة ابتداءً كما قال عليه السلام: ﴿أَنْزِلْ يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ وَلاَ وَرَثَةٌ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾<sup>(٣)(٤)</sup>.

إن مجادلة المخالف في الإسلام والحجاج معه بالحسنى، من الوسائل الدعوية التي تبين الحق للحائد عن جادة الصواب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "فأما المجادلة الشرعية كالتي ذكرها تعالى عن الأنبياء عليهم السلام وأمر بها في مثل قوله عليه السلام: ﴿قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (١/٣٧١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٥٦٠)، وانظر: تفسير النيسابوري = غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (٢/٣١)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ؛ وانظر: تفسير أبي السعود (١/٢٥١).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٠١).

(٤) انظر: من بلاغة القرآن، تأليف: أحمد أحمد عبدالله البديلي البدوي (ص ٢٧٨)، الناشر: نهضة مصر - القاهرة، د.

فَأَكْثَرَتْ جِدْلَنَا ﴿١﴾، وقوله ﷺ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٢﴾، وقوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ﴾ ﴿٣﴾، وقوله ﷺ: ﴿وَجَدَلْتَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿٤﴾، وأمثال ذلك: فقد يكون واجباً أو مستحباً، وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع" ﴿٥﴾.

وهو الأمر الذي كان يلمسه أقوام الأنبياء من أنبيائهم، فإنهم كانوا يجادلونهم من أجل النصيحة، ويحاجونهم بالتي هي أحسن بغية إظهار الحق، والأخذ بأيديهم إلى توحيد الله وعبادته، يقول ﷺ على لسان قوم نوح عليه السلام: ﴿قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾ ﴿٦﴾، وفي هذا حجة على مشروعية الجدل في إظهار الحق وإخفاء الباطل؛ لأن هذه الآية أفادت بأن نوحاً يفعل هذا، ويكرره مع قومه، ويكثر منه، خصوصاً في أصول الدين مع الكفار والمبتدعين كما فعل نبي الله نوح عليه السلام ﴿٧﴾.

إن المجادلة بالتي هي أحسن، وحسن النية في المحاجة، من النصيحة للمتتكف عن الطريق؛ لأنها تكسر سورة العناد في نفسه، وتبطل الشبه التي يلقيها الهوى والشيطان، حتى تتهافت وتزول، وهكذا كان أنبياء الله عليهم السلام، فإن نوحاً عليه السلام لما قال لقومه: ﴿قَدْ جَدَلْتَنَا

(١) سورة هود، الآية (٣٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٨٣).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٥٨).

(٤) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٥) درء تعارض العقل والنقل، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (١٥٦/٧)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ.

(٦) سورة هود، الآية (٣٢).

(٧) انظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، تأليف: نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبدالقوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (٣٤٠/١)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ.

فَأَكْثَرَتْ جِدَالَنا ﴿١﴾ رد عليهم بقوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ ﴿٢﴾، وفي هذا "إظهار للعجز عن إلزامهم بالحجج والبيّنات؛ لتماذيرهم في العناد، وإيداناً بأن ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم، وبأنه لم يأل جهداً في إرشادهم إلى الحق وهدايتهم إلى سبيله المستبين وإحاضِ النصيح لهم" ﴿٣﴾، وهو وإن ظهر لهم بأسلوب المحاجة والمغالبة فغاياته النصيح والتذكير والبيان.

إن موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام مع الملك في المحاجة التي يريد بها هدايته ونصيحته وتذكيره بحق الله عليه، قد جاء موضحاً لمشروعية نصيحة الحكام وتذكيرهم بالوسائل المشروعة، مراعيّاً في ذلك حال المدعو، ومتحريراً للأساليب والوسائل التي توصل إلى غاية الداعية من دعوته، على مقتضى المصالح الشرعية، والمقاصد الدينية من الدعوة إلى الله.

## ٢- تذكير موسى عليه السلام لفرعون:

كثر ذكر نبي الله موسى عليه السلام في القرآن العظيم، وتكرر في أكثر من مائة وعشرين موضعاً، مرة بالتفصيل والإطناب، ومرة بالإشارة والاختصار.

والحكمة من التكرار - والله أعلم - هو بعثه إلى أعظم طاغية قد جاوز حده، وتناول على حق ربه، كما قال عليه السلام في أول تكليفه: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٤﴾، فكان الكليم وإياه على طرفي نقيض ﴿٥﴾، فموسى على الحق الكامل في بلاغ رسالات الله وكلامه، والإيمان به، وفرعون على أشد الكفر والتكذيب بالله ورسله وآياته، ولا شك أن تكرر ذكر حال هذا النبي عليه السلام مع

(١) سورة هود، الآية (٣٢).

(٢) سورة هود، الآية (٣٤).

(٣) تفسير أبي السعود (٤/٢٠٤-٢٠٥).

(٤) سورة طه، الآية (٢٤).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٢/٩).

قومه لم يأت متطابقاً في حرفه ولفظه، ولا في سياقه ونظمه، ولم يأت خالياً من مزيد معنى حال إعادته وتكراره، فالمثاني من صفة القرآن وإعجازه الذي تحدى به المعارضين له؛ لأن إعادة القصة الواحدة بألفاظ متغايرة من الأمر الصعب، الذي يظهر فيه بديع الفصاحة، وحسن الوصف، في أكمل كمالات البلاغة<sup>(١)</sup>.

إن خبر موسى وقصته ﷺ مع بني إسرائيل، وفرعون وملئه، جاء في القرآن في سياقات مختلفة، فمرة " لتوكيد الزجر والوعيد، وبسط المعظمة، وتثبيت الحججة، ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة، وترديد المنة، والتذكير بالنعيم، واقتضاء شكره، إلى ما يكون هذا الباب"<sup>(٢)</sup>، كما جاء متغيراً نوعاً في أساليب الدعوة وطرقها، تبعاً لاختلاف حال المدعو وظرفه ومكانه مراعاة له.

لقد بعث الله موسى ﷺ لفرعون الذي كان حاكماً على مصر، كما بعث مخلصاً لبني إسرائيل من ظلمه وطغيانه، قال ﷺ: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>، فكانت دعوته لفرعون، وتخليص بني إسرائيل، من القضايا الكبرى في رسالته ﷺ.

إن من أول التكاليف التي كُلف بها موسى ﷺ لبلاغ رسالة ربه مراعاة حالة المدعو، حيث تلقى من ربه أدب الخطاب، وعلمه ﷺ الأسلوب الذي يأتي به فرعون الذي كان عالياً من المسرفين؛ لتقوم عليه بذلك الحججة، يقول ﷺ: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾<sup>(٤)</sup> فَقُولَا لَهُ قَوْلًا

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، تأليف: أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (١/٥٦)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، د. ط، د. ت.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف: مصطفى صادق بن عبدالرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي (١/١٣٤)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥ هـ.

(٣) سورة طه، الآية (٤٧).

لَيْتَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴿١﴾، يقول ﷺ لموسى وهارون - عليهما السلام -: "دارياه وارفقا معه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تعنفا في قولكم، وقال السدي وعكرمة - رحمهما الله -: كنياه فقولا يا أبا العباس، وقيل: يا أبا الوليد، وقال مقاتل رضي الله عنه: يعني القول اللين: ﴿هَلْ لَكَ إِلَيَّ أَنْ تَرْكَبَ ۖ وَهَدَيْكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَحْشَى﴾ ﴿٢﴾، وقيل: أمر باللطافة في القول لما له من حق التربية" ﴿٣﴾.

وجميع هذه الأقوال هي من قبيل تفسير العام ببعض أفراده، إذ القول اللين هو كل كلام "دال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق، ويميزه به بين الحق والباطل، مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله" ﴿٤﴾.

إن اللين في الخطاب الذي يستصحب معه صاحبه حق المخاطب، هو المعنى الذي التفت إليه بعض المفسرين في قولهم: "أمر باللطافة في القول لما له من حق التربية" ﴿٥﴾، وهذا المعنى موجود في القيام بحق الولاية والسلطان، فهم أحوج إلى اللين واللفظ وأحق به؛ لعظيم حقهم على رعيته، وفضلهم عليهم.

ولا شك أن اللين "من شعار الدعوة إلى الحق، قال ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ ﴿٦﴾، وقال ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة طه، الآية (٤٣ - ٤٤).

(٢) سورة النازعات، الآية (١٨ - ١٩).

(٣) تفسير البغوي (٥ / ٢٧٤).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦ / ٢٢٥).

(٥) تفسير البغوي (٥ / ٢٧٤).

(٦) سورة النحل، الآية (١٢٥).

يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾، ومن اللين في دعوة موسى ﷺ لفرعون قوله ﷻ: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى﴾ ﴿٢﴾، وقوله ﷻ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ ﴿٣﴾، إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء، لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى" (٤) وعلى هذا السبيل مشى السلف الصالح، فكانوا يخفصون الجناح لكل ذي ولاية وسلطان وجاه، بغية صلاحه وهدايته، وقد ذكر "أن واعظاً وعظ عبدالله المأمون بن هارون الرشيد، فأغلظ له، وعنفه في القول، فقال: يا رجل ارفق، فقد بعث الله تعالى من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق، فقال ﷻ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ ﴿٥﴾" (٦)، يقول أبو داود الصالحى رَحِمَهُ اللهُ معلقاً على هذه القصة: "ينبغي على من أنكر على الأمراء أن يعظهم بكلام لطيف، ويخوفهم ويرجيهم بما يناسب الحال، وما يحصل به المقصود، ولا يطيل، ولكل مقام مقال، ولكل فن رجال" (٧).

وقد كان السلف يقرأون على الحكام الآيات والأخبار الواردة في الترغيب والترهيب، بألطف كلام، وألين قول وأحسنه، يتأولون في ذلك القرآن ويعملون به؛ ولذا نفع الله بقولهم، وأبقى في العالمين ذكرهم.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

(٢) سورة النازعات، الآية (١٨).

(٣) سورة طه، الآية (٤٧).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٥ / ١٦).

(٥) سورة طه، الآية (٤٤).

(٦) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالحى (ص ٢٠٦)، تحقيق: مصطفى عثمان صميده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى

١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

(٧) المصدر السابق (ص ٢٠٦).

٣- نصيحة مؤمن آل فرعون:

من القصص الحسن في القرآن العظيم، ما قصه الله من خبر مؤمن آل فرعون، وهو رجل مؤمن من آل فرعون وقومه، آمن بنبوة موسى عليه السلام، ولكنه كتم إيمانه، ولم يذكر القرآن اسم هذا الرجل، حيث أبهمه واستعيض عن ذلك بوصفه بالإيمان.

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٣٨﴾ يَقْوَمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْهُ بِئْسَ اللَّهُ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٤٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٤١﴾ وَيَقْوَمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ تُنْزَلُونَ مِنْ مَدْيَنَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٤٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٤٧﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴿٤٨﴾ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقْوَمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٥٠﴾ يَقْوَمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٥١﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ وَأَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٢﴾ \* وَيَقْوَمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٥٣﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا

لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقْبَرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُقْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَخَافَ يُنَالِ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾<sup>(١)</sup>، لما ظهر أمر موسى عليه السلام وبهرت آياته الملام من قوم فرعون، انهد ركن فرعون، واضطربت معتقدات أصحابه، ووجد فيهم من يخالفه في أمره؛ فقال: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن في هذا دليلاً على ضعف أمره، واضطراب موقفه؛ "لأن لفظ (ذروني) ليست من ألفاظ الجبارة المتمكنين من إنفاذ أمرهم"<sup>(٣)</sup>.

وفي أثناء استشارة فرعون لقومه وملئه في الخلاص من أمر موسى عليه السلام بقتله، انتفض بدن مؤمن آل فرعون، واهتزت دواعي الإيثار في قلبه فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، وقد فاتحهم بالإنكار على قتله، وهذا لا يدل على تصديقه الظاهر برسالة موسى عليه السلام؛ "إذ قد ينهى العاقل عن سفك دم الرجل أو اضطهاده، وهو من أبغض الناس إليه، تألماً من مشهد الظلم، أو حذراً مما ينشأ عنه من فتنة"<sup>(٥)</sup>، وهنا تظهر حكمة الداعية في مراعاة ظرفه، والموازنة بين السبب وتحقيق المقصود والهدف الذي ينشده؛ إذ الحكيم

(١) سورة غافر، الآية (٢٨ - ٤٥).

(٢) سورة غافر، الآية (٢٨).

(٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٤/ ٥٥٥)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى

١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٤) سورة غافر، الآية (٢٨).

(٥) موسوعة الأعمال الكاملة، تأليف: محمد الخضر حسين، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ

(٥/ ٢/ ٣٩).

الذي يقابل المرض بما يضاده، لا بما يزيده.

لقد كان هذا المؤمن من مقربي آل فرعون، ومن حاشيته الخاصين، كما دل على ذلك ظاهر القرآن، وقد تمثلت في حوارهِ وأسلوب خطابه، الحكمة في الدعوة إلى الله، وإرادة هداية المدعو إلى ما ينفعه؛ حرفاً له عما يضره في أمر دنياه قبل آخرته، وقد ظهر ذلك للباحث في عدة مسائل:

أولاً: أن مؤمن آل فرعون لم يصرح بإيمانه؛ لاحتمال انجفالمهم عن دعوته في دفاعه عن موسى عليه السلام، وقد كان يبعد في صدر حوارهِ عن كل ما يدل على إيمانه<sup>(١)</sup>، فقام فيهم قيام الواحد منهم، وهذا من الحكمة، فالمقام يقتضي "ألا يجهر برأيه الصريح في صدر مقاله، وإنما يتدبّر بما يخف على المخاطبين سماعه من المعاني الخائفة حول الغرض، ثم يعبر عن المراد بلفظ مجمل، ويدنو من إيضاحه شيئاً فشيئاً حتى لا يفصح عنه إلا وقد ألفتة نفوسهم"<sup>(٢)</sup>، وقد كان من صور إبعاده عن مصارحتهم أن استخدم أسلوب التورية في اللوم حين قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: "كيف تفعلون هذا بمن يختار لنفسه رباً؟"<sup>(٤)</sup> ومن ذلك تقديمه احتمال كذبه على صدقه حين قال: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾<sup>(٥)</sup>، وفي هذا إظهار لإنصافه معهم، وأنه غير مائل مع موسى عليه السلام<sup>(٦)</sup>.

ثانياً: ومن مظاهر الحكمة في أسلوب مؤمن آل فرعون استدراج المخاطب، والتدرج معه شيئاً فشيئاً، والارتقاء معه إلى مرحلة المصارحة، ويمكن عند تأمل الآيات أن تتجسد مرحلية

(١) انظر: جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور (٤٦/٣)، جمعها وقرأها ووثقها: محمد

الطاهر الميساوي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م.

(٢) موسوعة الأعمال الكاملة للخضر حسين (٣٨/٢/٥).

(٣) سورة غافر، الآية (٢٨).

(٤) جمهرة مقالات ورسائل ابن عاشور، جمع ووثيق: محمد الميساوي (١٣٤٦/٣).

(٥) سورة غافر، الآية (٢٨).

(٦) انظر: جمهرة مقالات ورسائل ابن عاشور، جمع ووثيق: محمد الميساوي (١٣٤٦/٣).

الخطاب فيما يلي<sup>(١)</sup>:

المرحلة الأولى: المقدمات: وهي التي تحدثت عنها المسألة السابقة، وذلك حينما دعاهم إلى النظر في أمر موسى ﷺ بعين العقل، وعدم الاستعجال في الأمر، وأشار إلى مسألة الحفاظ على الملك والبقاء عليه<sup>(٢)</sup>.

المرحلة الثانية: الارتقاء في الخطاب: بعد تلك المقدمات ولما رأى منهم رداً لقوله، انتقل بهم إلى الدعوة المباشرة مستخدماً فيها خطاب التحنن والاستعطاف<sup>(٣)</sup>: بقوله: (يا قوم)، وقد تطرق فيها متدرجاً لعدة موضوعات:

- التعريف بنعم الله والتحذير من زوالها، قال ﷺ على لسانه: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(٤)</sup>.
- التخويف من عذاب الله كما في قوله ﷺ: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾<sup>(٥)</sup>.
- اللوم والعتاب كما في قوله ﷺ على لسانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾<sup>(٦)</sup> حيث صار بعد وعظهم وزجرهم إلى

(١) انظر: خطاب مؤمن آل فرعون في القرآن الكريم - دراسة بلاغية تحليلية - إعداد: د. بدرية بنت محمد بن حسن العثمان (ص ١٣)، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر، العدد [٣٥] أكتوبر عام ٢٠١٣ م.

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٣ - ١٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٦).

(٤) سورة غافر، الآية (٢٩).

(٥) سورة غافر، الآية (٣٠).

(٦) سورة غافر، الآية (٣٤).

لومهم على حالهم مع رسالات الله، ف "وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات، فشككتهم فيها، ولم تزالوا شاكين كافرين، حتى إذا قبض قلتم: لن يبعث الله من بعده رسولاً، حكماً من عند أنفسكم من غير برهان، وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل، فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتهم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه، وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولاً بتصديق لرسالة يوسف، وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها، وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته"<sup>(١)</sup>، وكل هذا من تصريف الأساليب في عرض الدعوة على المدعو؛ لتكون أكثر تأثيراً في نفسه، وقد يكون أيضاً في هذا مراعاة لحالات المدعويين؛ إذ قد يتعظ بعض الخلق بما لا يهدى به آخرون<sup>(٢)</sup>.

#### المرحلة الثالثة: إنهاء الخطاب:

بعدما تدرج بهم ونوع في أساليبه، بين التعريف والتحذير، والترغيب والترهيب، وبعدما تكشف له بيان الحق عند فرعون وملئه، باشرهم بالدعوة إلى اتباعه، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْقُورُ اتَّبِعُوا يَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(٣)(٤)</sup>.

وقد ختم خطابه مع قومه بما يحسم مادة الجدل بين الفريقين، ويبين السبيل عند المختلفين، حيث انتهج في ذلك صورة بلاغية تشد السامع، وتحافظ على نفس المتابع من سورة الغضب، وذلك فيما يأتي:

- التعريض بحقيقة ما هم عليه من الضلال والغواية، وذلك في قوله: ﴿اتَّبِعُوا يَهْدِيكُمْ

(١) الكشاف للزمخشري (٤/١٦٦).

(٢) انظر: خطاب مؤمن آل فرعون لبدرية العثمان (ص ١٥٩).

(٣) سورة غافر، الآية (٣٨).

(٤) انظر: خطاب مؤمن آل فرعون لبدرية العثمان (ص ٢٥ - ٢٦).

سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿١﴾، "والرشاد نقيض الغي، وفيه تعريض شبيه بالصریح أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي" (٢).

كما أن فيه معارضة لقول فرعون حين قال: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣) وكأنه يقول: إن سبيل الرشاد هو سبيلي وليس سبيل فرعون.

- الإجمال الذي يسترعي أذن المخاطب، حيث دعاهم إلى سبيل الرشاد "وهو على إجماله مما تتوق إليه النفوس، فربط حصوله باتباعهم إياه، مما يقبل بهم على تلقي ما يفسر هذا السبيل" (٤).

ثم فسر هذا الإجمال بقوله: يا قوم، متبعاً بذلك أسلوب التحنن والاستعطاف والملاطفة كما سبق؛ ليكون أدهى إلى القبول، مستصحباً ذلك بدم الدنيا للمعتبرين (٥).

#### المرحلة الرابعة: الانتصاف من قومه:

لما محض الرجل المؤمن لقومه النصيح، وبدأ وأعاد معهم في المواعظ والتذكير، منتهجاً بذلك أساليب الدعوة والبلاغ، مرة بالترغيب، وأخرى بالترهيب، مع عذب التودد ولين القول، مجادلاً عن موسى عليه السلام، وداعياً إلى ربه، لم يلق منهم غير الإعراض، والوعيد بألم العقوبة، "وهذا شيء مطوي من خلال القصة ودلت عليه حكاية إنكاره عليهم" (٦) في قوله ﷻ على

(١) سورة غافر، الآية (٣٨).

(٢) الكشاف للزمخشري (٤/١٦٨).

(٣) سورة غافر، الآية (٢٩).

(٤) خطاب مؤمن آل فرعون لبدرية العثمان (ص ٢٥).

(٥) انظر: الكشاف للزمخشري (٤/١٦٨).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/٢٠٢).

لسانه: ﴿وَيَقْوِمَ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>، وتفويض أمره إلى الله بعد ما ردوا عليه نصيحته في قوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾<sup>(٢)(٣)</sup>، فإن هذا التفويض لم يكن إلا بعدما أوعدوه وزجره<sup>(٤)</sup>.

لقد كانت هذه المرحلة مرحلة الحسم بينه وبين قومه، مبيناً لهم فيها أن ليس ثم غير شقي يدعو إلى النار، أو تقي يدعو إلى الجنة<sup>(٥)</sup>، كما قال ﷺ على لسانه: ﴿وَيَقْوِمَ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾<sup>(٦)</sup>، وأن الحق واحد وليس بعد الحق إلا الضلال، كما قال ﷺ على لسانه: ﴿تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(٧)</sup>، مستخدماً بذلك أسلوب القطع الجازم الذي لا يساوره شك، ولا يعتريه نقض في قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾<sup>(٨)</sup>، و(جرم) بمعنى: حق، أي: حق ووجب بطلان دعوته<sup>(٩)</sup>.

و"في هذه المرحلة من خطاب المؤمن لقومه، نجد أنه وصل هنا إلى مرحلة المكاشفة والتصريح، بعد التلميح الذي سلكه سابقاً، فالآن تراه يصرح بإيانه، ويحمل قومه إلى حقائق

(١) سورة غافر، الآية (٤١).

(٢) سورة غافر، الآية (٤٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٩٠ / ٢١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٣٩٤ / ٢١).

(٥) خطاب مؤمن آل فرعون لبدرية العثان (ص ٢٦).

(٦) سورة غافر، الآية (٤١).

(٧) سورة غافر، الآية (٤٢).

(٨) سورة غافر، الآية (٤٣).

(٩) انظر: الكشف للزمخشري (١٦٩ / ٤).

يعلمها قطعاً وليس ظناً"<sup>(١)</sup>، مثل: تحقق وقوع عذاب الله بالمجرمين، وإيجاب عقابه على المشركين، فقال: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> "إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر"<sup>(٣)</sup>، وفي هذا تبكيت بالعلم الذي لا ينفع، والتبصرة التي لا تفيد، عندما تأتي في غير وقتها، كما قال الأول:

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد<sup>(٤)</sup>

ثالثاً: ومن مظاهر الحكمة في حوار مؤمن آل فرعون مع قومه تجسد المهارات الدعوية وظهورها في أوضح صورها، وقد تجلى هذا في صور مختلفة: مرة في انتهاز الجاه والمكانة الاجتماعية وطبيعة العلاقة مع المدعو، ومرة في "معرفة الداعي للمدعو من حيث طبيعته ومستواه وإمكاناته وظروفه وأحواله، واختيار المدعو المناسب لقدرات الداعية وإمكاناته وظروفه، والتعامل مع المدعو بما يناسب أحواله وطبائعه، ومراعاة مدارك المدعوين وعقولهم، وإنزال الناس منازلهم"<sup>(٥)</sup>، ومرة بانتهاز الفرصة المناسبة التي يتحرى فيها الداعية استجابة المدعو لدعوته، فمن الحكمة في الدعوة عدم تأخير البيان عن وقته، وقول الحق الذي يستدعي في محله<sup>(٦)</sup>، وقد كان لنصيحة هذا الرجل أثرٌ مشهودٌ في الدفاع عن موسى عليه السلام، وإقامة الحجة

(١) خطاب مؤمن آل فرعون لبدرية العثمان (ص ٢٨).

(٢) سورة غافر، الآية (٤٤).

(٣) تفسير البغوي (٧/ ١٥٠).

(٤) البيت لدريد ابن الصمة في ديوانه (ص ٦١)، تحقيق: د. عمر عبدالرسول، الناشر: دار المعارف، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٨٥ م.

(٥) ركائز منهج السلف في الدعوة إلى الله، إعداد: د. عبدالله بن محمد المجلي (ص ١٩١)، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد [٨٨]، عام ١٤٣٠ هـ.

(٦) انظر: العدة في أصول الفقه، تأليف: القاضي أبي يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (٣/ ٧٢٤)، حققه وعلق عليه وخرج نضه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، د. ن، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

على المخالفين.

وما أورده الباحث من صور مناصحة ذوي الجاه والسلطان في القرآن هو على سبيل المثال لا الحصر، حيث سبقت في الكتاب العزيز صور أخرى لدعوة الملوك والسلاطين، وأهل الولاية، مثل دعوة سليمان عليه السلام لملكة سبأ، ومناصحة يوسف عليه السلام لملك مصر، ووعظ الخصمين لداود عليه السلام، وقبل ذلك كله وعظ الله تعالى لداود عليه السلام، كما في قوله: ﴿يٰۤدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾<sup>(١)</sup>، وقد اكتفت الدراسة بما يفني بالمقصود.

(١) سورة ص، الآية (٢١).

## المطلب الثاني

### مشروعية مناصحة أئمة المسلمين في السنة المطهرة

تحوي كتب السنة ومصنفاتها من جوامع وسنن وأسانيد ومعاجم كثيراً من الأحاديث والسنن الثابتة في مشروعية النصيحة وفضلها وحكمها وآدابها، وتأتي مشروعية مناصحة أئمة المسلمين في طي تلك المصنفات جلية وظاهرة: مرة بتصريح المشرع بها في ظاهر الدلالة، ومرة بقياس الأولى في عموم النصوص، وكل حق وأدب وخير للمنصوح من المسلمين في النصيح، "فالأمرء والأئمة بذلك أولى"<sup>(١)</sup>، ويتناول الباحث مشروعية مناصحة أئمة المسلمين في ضوء السنة من خلال الآتي:

#### أولاً: النصيحة من أصول الإسلام العظام:

بين النبي ﷺ عظم منزلة النصيحة في الإسلام في كلمة موجزة هي من جوامع كلمه ﷺ، فعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((الدين النصيحة))، قلنا: لمن؟ قال: ((الله وكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)).

وهذا الحديث عظيم المكانة في الدين، قال الحافظ ابن نعيم رحمه الله: "هذا الحديث له شأن"<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر أنه أحد أرباع الدين التي يقوم عليها الإسلام<sup>(٣)</sup>، والصواب - والله أعلم - أن مدار هذا الدين على هذا الحديث، يقول النووي رحمه الله: "هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام،... وأما ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام، أي: الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تأليف: أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٢٤٣/١)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين أديب مستو وآخرون، الناشر: دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢١٦/١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢١٦/١).

الإسلام فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده"<sup>(١)</sup>، فالنصيحة في الدين تأتي على شرائع الإسلام كلها<sup>(٢)</sup>، سواء ما كان منها متعلقاً بتعامل العبد مع ربه، وكلامه، ورسوله ﷺ، أو ما كان مختصاً بتعاملات الناس فيما بينهم، فهذا الحديث على اختصاره جمع خيري الدنيا والآخرة. أما معنى قوله ﷺ: ((الدين النصيحة))، فالدين: مبتدأ، والنصيحة: خبر، والمبتدأ والخبر معرفتان، وإذا جاء المبتدأ والخبر معرفتين أفادا الحصر؛ لأن المبتدأ يجوز أن يكون أخص من الخبر أو مساوياً، ويمتنع أن يكون أعم منه في اللغة والعقل<sup>(٣)</sup>، والحصر في هذا الحديث إمّا أن يكون حصرًا مجازياً يقصد به غلبة أمر النصيحة في الإسلام، أو أن يكون على ظاهره؛ لأن النصيحة لا تنفك عن عمل المكلف، فكل شرائع الدين وأعمال المكلفين تفتقر إلى تخلص العمل من شوائب النقص والغش، وهذا هو معنى النصح.

ومعنى ((الدين)) في هذا الحديث: العمل، قال ﷺ: ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٤)</sup>، قال الفراء رحمه الله: "دين الرجل: خلقه، وعمله، وعادته"<sup>(٥)</sup>، ويأتي الدين على عدة معان، ويختلف معناه باختلاف تعدية فعله "دان".

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٣٧).

(٢) انظر: الفتح المبين بشرح الأربعين، تأليف: أبي العباس، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ص ٢٥٥)، عني به: أحمد جاسم محمد المحمد، وقصي محمد نورس الحلاق، وأبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيشي الداغستاني، الناشر: دار المنهاج، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م.

(٣) انظر: نفائس الأصول في شرح المحصول، تأليف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (٣/١٠٤٠)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م؛ وانظر: البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: أبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (٥/١٨٥)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م؛ وانظر: شرح الأربعين النووية لابن عثيمين (ص ١١٥).

(٤) سورة المائدة، الآية (٣).

(٥) تفسير الثعلبي (١/٤٣).

فمن معانيه:

١ - اجزاء والحساب: فالدين هنا من الفعل دان المتعدي بنفسه، تقول: "دانه" أي ملكه، وساسه، وقهره، وحاسبه، وجازاه، ومن أسماء الله: الديان عَلَيْكَ أَي: المجازي، وفي اللغة يقال: كما تدين تدان<sup>(١)</sup>، يقول عَلَيْهِ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup>، المراد به: دين الجزاء<sup>(٣)</sup>، وقوله عَلَيْهِ: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٤)</sup>، قال الإمام الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "يُصَلَّى هَؤُلَاءِ الفجار الجحيم يوم القيامة، يوم يُدان العباد بالأعمال، فيُجازونَ بها"<sup>(٥)</sup>.

٢ - العبودية، وتعديّة الفعل هنا بالباء: تقول: دان به بمعنى: اتخذ مذهباً وديناً واعتاده، وتعلق به، واعتقده، ويكون اسماً لما يتعبد الله به، ويجيء بمعنى الشريعة التي يعبد الله بها، كما قال عَلَيْهِ: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾<sup>(٦)</sup>، قال ابن عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ولا يدينون فمعناه: ولا يطيعون ويمثلون، ومنه قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين"<sup>(٧)</sup>، والدين في اللغة لفظة مشتركة، وتعني هنا: الشريعة، وهي مثل قوله عَلَيْهِ:

(١) انظر: المخصص، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٥/٢٢٨)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال،

الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

(٢) سورة الفاتحة، الآية (٤).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (١/١١٥).

(٤) سورة الانفطار، الآية (١٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٤/٢٧٢).

(٦) سورة التوبة، الآية (٢٩).

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عهد النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعقده برقم [٢١٧٥]

(٢/٨٠٣).

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(١)</sup>،<sup>(٢)</sup>.

٣- الطاعة: وتعدية فعله هنا باللام، والمعنى: خضع له وأطاعه، يقال: دان له يدين ديناً، إذا أصحب وانقاد وطاع<sup>(٣)</sup>، "وقوم دينٌ"، أي: مطيعون منقادون<sup>(٤)</sup>، وكل شيء أطيع الله به واستجيب له فيه فهو دين<sup>(٥)</sup>.

٤- الملك والسلطان: ومن معاني الدين: "الملك والسلطان، قال الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ

أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾<sup>(٦)</sup>، أي: في سلطانه وملكه، قال الشاعر من أهل الردة:

أطعنا رسول الله إذ كان حاضراً      فيا لهفتا ما بال دين أبي بكر

يريد ملكه<sup>(٧)</sup>.

وهذه أشهر معاني "الدين" المتعلقة بهذا الموضوع.

أما معنى قول النبي ﷺ: ((الدين النصيحة))، فقد اختلف العلماء في بيانه اختلاف تنوع، وتجمله الدراسة في الأقوال الآتية:

القول الأول: أن النصيحة سميت ديناً بناءً على أن من معاني الدين العمل، كما تقدم في

(١) سورة آل عمران، الآية (١٩).

(٢) تفسير ابن عطية (٣/٢١).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (١/١١٦).

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (دين) (٢/٣١٩).

(٥) انظر: تفسير الثعلبي (١٢/٤٢٣).

(٦) سورة يوسف، الآية (٧٦).

(٧) غريب الحديث، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (١/٥٥٠ -

٥٥١)، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبدالقيوم عبدرب النبي، الناشر: دار الفكر -

دمشق، د. ط، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

قوله ﷺ: ﴿ وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>(١)</sup>، قال الفراء رحمه الله: "دين الرجل: خلقه، وعمله، وعادته"<sup>(٢)</sup>؛ ولذا كان النبي ﷺ يبائع على النصح كما يبائع على أركان الدين، قال ابن بطال رحمه الله: "النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول"<sup>(٣)</sup>.

**القول الثاني:** أن النصيحة هي عماد الدين وقوامه، وبها ثباته وقوته، وهي كقول النبي ﷺ: ((الأعمال بالنيات))<sup>(٤)</sup>، والمعنى: أن ثباتها وقوتها وصحتها مبني على النية، وكقوله ﷺ: ((الحج عرفة))<sup>(٥)</sup>، والمعنى: أن عماد الحج وغايته هو الوقوف بعرفة، فمن أدركها فقد أدرك الحج<sup>(٦)</sup>، واستطاع تدارك ما فاتته، وفي هذه الجملة حذف على هذا المعنى، تقديره: عماد الدين

(١) سورة المائدة، الآية (٣).

(٢) تفسير الثعلبي (٤٣/١).

(٣) شرح صحيح البخاري، تأليف: ابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (١٢٩/١)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، تنمة كتاب البر والإحسان برقم [٣٨٨] (١١٣/٢)، ولفظه في صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم [١] (٣/١): ((إنما الأعمال بالنيات)).

(٥) رواه النسائي في سننه، كتاب مناسك الحج، باب فرض الوقوف بعرفة برقم [٣٠١٦] (٢٥٦/٥)، والترمذي في سننه، أبواب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج برقم [٨٨٩] (٢٢٩/٢)، وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع برقم [٣٠١٥] (١٠٠٣/٢)، قال ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد في البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير (٢٣٠/٦)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م: "هذا الحديث صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٠٦/١).

(٦) انظر: أعلام الحديث للخطابي (١٨٧-١٩٠)، وانظر: شرح السنة للبخاري (١٥٠/٧)، وانظر: شرح النووي

على صحيح مسلم (٢٧/٢)، وانظر: شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص ٥٠).

وقوامه النصيحة<sup>(١)</sup>.

القول الثالث: أن مدار الإسلام على النصيحة، قال ابن مفلح رحمته الله في شرحه للحديث: "فظاهره أن مدار الدين والإسلام على هذا الخبر"<sup>(٢)</sup>.

القول الرابع: أن النصيحة تشمل شعب الإسلام، والإيمان، والإحسان، وهي خصالتها، وقد سمي ذلك كله ديناً كما في حديث جبريل عليه السلام، ووجه شمول النصيحة لمراتب الدين أنها لا تتم إلا بها<sup>(٣)</sup>، فهي "شائعة في كل سهم من سهام الدين، وفي كل قسم من أقسامه، وفي كل طبقة من طبقات أهله"<sup>(٤)</sup>.

القول الخامس: أن النصيحة عظيمة المنزلة من الدين، وليست هي كل الدين، "وكل ما جل من جنس من الأجناس جاز أن يطلق له الاسم الذي يسمى به ذلك الجنس، فيذكر به كما يذكر به ذلك الجنس"<sup>(٥)</sup>، فيكون هنا للحصر هنا للمبالغة في التفخيم.

ويرى الباحث: أن اختلاف الأقوال هنا اختلاف تنوع، وأنها تؤدي إلى مقصد واحد، وهو عظم أمر النصيحة في الدين، وشمولها في شرائعه، فمن أخذ بظاهر الحصر فقد لاحظ استيعاب النصيحة لجميع مراتب الدين، وهي: الإسلام والإيمان والإحسان، وما يتبعها من شعب وفروع وأعمال، ومن رأى أن الحصر هنا إضافي وليس حقيقياً، أجرى الحصر فيه مجرى المبالغة والتغليب

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (١/ ٣٢١)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٩٠).

(٣) انظر: جامع العلوم الحكم لابن رجب (١/ ٢١٨).

(٤) أعلام الحديث للخطابي (١/ ١٩١).

(٥) شرح مشكل الآثار، تأليف: أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك، المعروف بالطحاوي (٤/ ٨٠)،

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٤٩٤ م.

والتعظيم.

ولما كانت النصيحة من باب المضاف احتيج للسؤال عنها، فقيل: لمن يا رسول الله؟ وقد بين النبي ﷺ في جوابه لهم أنها: "شائعة في كل سهم من سهام الدين، وفي كل قسم من أقسامه، وفي كل طبقة من طبقات أهله"<sup>(١)</sup>، فقال ﷺ: ((الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))، وموضع الشاهد من هذا الحديث: هو قول النبي ﷺ: ((ولأئمة المسلمين)).

ويعنى في قول ﷺ: ((ولأئمة المسلمين)) فئتان، هما:

#### الفئة الأولى: الأمراء:

والمقصود بهم كل ذي سلطان وقهر، بحيث يستطيع من خلاله إنفاذ أمره، وبلوغ مراده بالقوة<sup>(٢)</sup>، ويدخل في هذا القسم ذو الولاية العظمى، ونوابه الذين يحكمون بتفويضه<sup>(٣)</sup>، وأطلق عليهم أئمة؛ لأنهم ينفذون شرع الله ويحكمون به، ويقيمونه بين الناس؛ فهم الجهة المنفذة للشرعية، وقد أوضح العلماء في شرحهم لهذا الحديث معنى النصح لهم، ويمكن حصره في نوعين:

#### النوع الأول: النصح العام:

إن النصح بمعناه العام، والذي يعني: "حيازة الحظ للمنصوح له"<sup>(٤)</sup>، بحيث لا يترك حظاً للمنصوح له إلا بُذل له، ولا إرادة خير إلا استصحبت مع كل فعل، وهذا يقضي على عامة

(١) أعلام الحديث للخطابي (١/١٩١).

(٢) انظر: أعلام الحديث للخطابي (١/١٩٢-١٩٣).

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح = الكاشف عن حقائق السنن، تأليف: شرف الدين الحسين بن عبد الله

الطيبي (١٠/٣١٨٢)، تحقيق: د. عبد الحميد هندواوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة -

الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

(٤) أعلام الحديث للخطابي (١/١٨٩).

المسلمين أن يحضوا النصح لمن ولاهم الله أمرهم، غير مقصرين فيه، ولا مفرطين معه، وذلك يكون بحفظ حق الإمام الذي جعله الله له، والذي يتم به تحقيق المصلحة معه، وقيام أمر الجماعة فيه، والحفاظ على بيضة الإسلام من خلاله، فلا يترك عملاً ولا قولاً يحقق الخير لهم إلا سارع إليه، وبذله لهم، وهذا هو القيام بمقتضى البيعة، ويكون ذلك بأمر منها:

- طاعة الله في طاعتهم بالمعروف: قال ابن أبي زمنين رحمته الله: " فالسمع والطاعة لولاة الأمر أمر واجب، ومهما قصروا في ذاتهم فلم يبلغوا الواجب عليهم، غير أنهم يدعون إلى الحق، ويؤمرون به، ويدلون عليه، فعليهم ما حملوا، وعلى رعاياهم ما حملوا من السمع والطاعة لهم"<sup>(١)</sup>، فالسمع والطاعة لهم بالمعروف من أداء الواجب إليهم، وهو من النصح لهم، يقول الخطابي رحمته الله: "ومن نصيحتهم - يعني الأئمة - بذل الطاعة لهم في المعروف"<sup>(٢)</sup>.

- اعتقاد إمامتهم: وذلك بأن تكون في بيعتهم معتقداً صحة إمرتهم على الحقيقة، يقول ابن عثيمين رحمته الله: "والنصيحة للأمرء تكون بأمر منها: اعتقاد إمامتهم وإمارتهم، فمن لم يعتقد أنهم أمرء، فإنه لم ينصح لهم"<sup>(٣)</sup>.

- عدم الافتيات عليهم في أمورهم: ومن نصحهم عدم الافتيات عليهم في أمر ولايتهم، والافتيات في اللغة من الفتوت، أو التفويت، وهو السبق إلى الشيء دون ائتمار من

(١) أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، تأليف: أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زمنين المالكي (ص ٢٧٦)، تحقيق وتخرّيج وتعليق: عبدالله بن محمد عبدالرحيم بن حسين البخاري، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٢) أعلام الحديث للخطابي (١/ ١٩٢).

(٣) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين (ص ١٢٠).

يؤتمر<sup>(١)</sup>، وفي اصطلاح الفقهاء: الاستبداد بالرأي دون الأئمة<sup>(٢)</sup>، فكل حق للإمام سواء أكان من شأنه، أم كان تنفيذاً لأمر يُفتقر فيه إلى إذنه، فإن التقدم عليه فيه من الغش في النصح له، فلا يُعقد جهاد إلا بهم، والصدقات تؤدى إليهم، وإمرة الحج فيهم، والصلاة خلفهم فجاراً كانوا أم أبراراً، كما نُصَّ على ذلك في معتقد أهل السنة والجماعة، قال الخطابي رحمته الله: "ومن نصيحتهم... والصلاة خلفهم، وجهاد الكفار معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف، أو سوء سيرة..."<sup>(٣)</sup>.

- **الصدق معهم:** وذلك بمحض الحب لهم، وحفظهم في الغيب، وتأليف قلوب الناس عليهم، والالتزام بالبيعة لهم في المنشط والمكروه، والعسر واليسر، وسد خلتهم، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب، ومعاونتهم على كل خير، والدفاع عنهم من مغبة الشرور، والدعاء لهم بالصلاح، قال ابن مندة رحمته الله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم واجتماع الأمة عليهم، وكراهية افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله، والبغض لمن أراد الخروج عليهم"<sup>(٤)</sup>، ويقول الخطابي رحمته الله في النصيحة للأئمة: "وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى بالصلاح لهم"<sup>(٥)</sup>.

(١) الصحاح للجوهري، مادة (فوت) (١/٢٦٠).

(٢) انظر: العناية شرح الهداية، تأليف: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبدالله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (٥/٤٦٥)، الناشر: دار الفكر، د. ط، د. ت.

(٣) أعلام الحديث للخطابي (١/١٩٢-١٩٣).

(٤) الإيمان، تأليف: أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي (١/٤٢٤)، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ.

(٥) أعلام الحديث للخطابي (١/١٩٣).

ويقول ابن حجر رحمته الله في النصيحة لأئمة المسلمين: "... سد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم..."<sup>(١)</sup>.

وجماع القول في نصيحتهم بالمعنى العام: يكون بخلوص المحبة لهم، والتحري فيما يستدعي القيام بحقهم على أكمل الوجوه، في تحقيق محبة الخير لهم مع دلالتهم عليه، وبغض الشر الواقع عليهم وتحذيرهم منه.

### النوع الثاني: النصح القولي:

ويعنى به: وعظهم باللين، وتذكيرهم عند الغفلة، وسد خلتهم بحسن الرأي والمشورة، وتحذيرهم من كل شر، وحثهم على كل خير، يقول ابن الصلاح رحمته الله: "والنصيحة لأئمة المسلمين، أي ل خلفائهم وقادتهم... وتنبههم وتذكيرهم في رفق ولطف..."<sup>(٢)</sup>.

ويقول النووي رحمته الله في نصيحتهم: "معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الكلاباذي رحمته الله في مناصحتهم: "معاونتهم على ما تكلفوا القيام به، في تنبيههم عند الغفلة، وتقويمهم عند الهفوة، وسد خلتهم عند الحاجة"<sup>(٤)</sup>.

وبناء عليه: فإن قصرَ المعنى المراد من النصح القولي على وعظهم والاحتساب عليهم من الفهم القاصر؛ لأن المراد به يتعدى ليشمل كل خير قولي من شأنه أن يحقق إيصال الخير

(١) فتح الباري لابن حجر (١/١٣٨).

(٢) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح (ص ٢٢٢).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٣٨).

(٤) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تأليف: أبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي

البخاري الحنفي (ص ٨٣ - ٨٤)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد الزبيدي، الناشر: دار

الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

للمنصوح له على أتم الوجوه وأكملها، محتسباً في ذلك وجه الله في تحقيق رضاه، والالتزام بأمره،  
والبعد عن مناهيه.

### الفئة الثانية: العلماء:

والمراد بهم العلماء العالمون بعلمهم، الداعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، المتحلون  
بالصبر واليقين، كما قال ﷺ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا  
يُوقِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول القرطبي رحمه الله في معنى الآية: " أي: رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال  
الطاعات"<sup>(٢)</sup>.

وعليه فإن العلماء من جملة الأئمة في الدين، الذين يحتملهم النص في قول النبي ﷺ:  
(ولأئمة المسلمين))، يقول الخطابي رحمه الله: "وقد يتأول ذلك في الأئمة الذين هم علماء الدين"<sup>(٣)</sup>،  
وتجب لهم النصيحة على قدر منزلتهم في الأمة وعظم أثرهم فيها، ونصحهم من أعظم النصح  
فهم "مصاييح الدجى، ومنارة الهدى، العلماء هم المسؤولون الأولون عن هذه الأمة؛ لأنهم  
يحملون شريعة النبي ﷺ في صدورهم يؤدونها إلى الناس، فعليهم مسؤولية الأمة وهم أشد  
الناس مسؤولية؛ لأن الأمراء يتوجهون بتوجيه من العلماء، العامة يتوجهون بتوجيه العلماء،  
فالنصيحة لهم من أوجب الواجبات، وهي داخلة في النصيحة لكتاب الله ورسوله ﷺ"<sup>(٤)</sup>

(١) سورة السجدة، الآية (٢٤).

(٢) تفسير القرطبي (١١ / ٣٠٥).

(٣) أعلام الحديث للخطابي (١ / ١٩٣).

(٤) فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (٦ / ٤٥١)، تحقيق وتعليق:

صبحي بن محمد رمضان، وأم إسراء بنت عرفة بيومي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

باللزوم، كما أنها داخلة في النصيحة لأئمة المسلمين بأصل الخطاب.

وتكون مناصحة العلماء بأمر منها:

- أخذ العلم منهم والرجوع إليهم، والافتداء بهم، يقول الإمام الخطابي رحمته الله في النصح للعلماء: "ومن نصحهم: قبول ما روه إذا انفردوا، وتقليدهم ومتابعتهم على ما رأوه إذا اجتمعوا واتفقوا"<sup>(١)</sup>، وهذا محمول - والله أعلم - على العامي الذي ليس عنده آلة الاجتهاد، كما قال رحمته الله: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> قال القرطبي رحمته الله: "فرض العامي الذي لا يشتغل باستنباط الأحكام من أصولها؛ لعدم أهليته فيما لا يعلمه من أمر دينه، ويحتاج إليه، أن يقصد أعلم من في زمانه وبلده، فيسأله عن نازلته، فيمثل فيها فتواه؛ لقوله رحمته الله: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وعليه الاجتهاد في أعلم أهل وقته بالبحث عنه، حتى يقع عليه الاتفاق من الأكثر من الناس، وعلى العالم أيضاً فرض أن يقلد عالماً مثله في نازلة خفي عليه فيها وجه الدليل والنظر"<sup>(٣)</sup>.

- إحسان الظن بهم: قال النووي رحمته الله في النصح للعلماء: "وإحسان الظن بهم"<sup>(٤)</sup>، ويكون ذلك بحمل أخطائهم على حسن النية بقدر الإمكان؛ لأن العلماء من البشر، يخطئون ويصيبون، فتتخذ زلاتهم على أحسن المحامل متى وجد لذلك مخرج"<sup>(٥)</sup>.

(١) أعلام الحديث للخطابي (١/١٩٣).

(٢) سورة النحل، الآية (٤٣).

(٣) تفسير القرطبي (٢/٢١٢).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٣٩).

(٥) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي

المصري، أبي العباس، شهاب الدين (١/١٥١)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة

١٣٢٣ هـ؛ وانظر: فتح ذي الجلال والإكرام لابن عثيمين (٦/٤٤٩).

- بث علومهم، ونشر محاسنهم: إذ إنه من النصح لهم أن يُنشر علمهم، وأن يُرفع قدرهم بين الناس بنشر محاسنهم، وهذه مساعدة للعلماء<sup>(١)</sup>، قال القسطلاني رَحِمَهُ اللهُ في نصيحة العلماء: "وأما أئمة الاجتهاد، فببث علومهم ونشر مناقبهم"<sup>(٢)</sup> ومفهوم المخالفة هنا يقتضي أن يستر معائبهم، وأن لا ينشر أخطاءهم.

- محبتهم وتوقيرهم: ومن النصيحة للعلماء محبتهم؛ "لأنك إذا لم تحب أحداً فإنك لن تتأسى به"<sup>(٣)</sup>؛ ولذا كان من مقتضى محبة النبي ﷺ متابعتة وطاعته، وكذلك إجلالهم وتوقيرهم، قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: "يجب توقير العلماء والإنصات لهم؛ لأنهم الذين يحيون سنته، ويقومون بشريعته"<sup>(٤)</sup>، ويجب أن يستصحب إجلالهم حتى في مناقشتهم حين يزلون أو يخطئون<sup>(٥)</sup>.

وخلاصة القول: أن النصح للعلماء من أجل أبواب النصح؛ لتعلق شرفه بشرف المقصود، وهو الشريعة؛ ولذا عدّه بعض العلماء داخلاً في النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ<sup>(٦)</sup>، ونصيحتهم تكون بكل أمر يصون أمر الدين قولاً وعملاً، سواءً أكان متعلقاً بالعلم الذي يحملونه لله ويبدلونه، أم بذواتهم باعتبارهم حملة الشريعة؛ إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما هو معلوم.

وبمحض النصح لهاتين الفئتين يتحقق عند المكلف القيام بهذا الأصل العظيم من أصول الدين فيهما، فلا يجوز لمؤمن أن يقصر فيه ولا أن يتوانى بأداء الحق الذي أوجبه الله عليه.

(١) انظر: فتح ذي الجلال والإكرام لابن عثيمين (٦/٤٥١).

(٢) إرشاد الساري للقسطلاني (١/١٥١).

(٣) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين (ص ١١٨).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/١٩٧).

(٥) انظر: شرح الأربعين النووية لابن عثيمين (ص ١١٩).

(٦) انظر: فتح ذي الجلال والإكرام لابن عثيمين (٦/٤٥١).

## ثانياً: النصيحة أحد الشروط في بيعة الإمام:

إن الأحاديث والآثار والسنن الواردة في مطلق النصيحة متوافرة ومتواترة<sup>(١)</sup>، وهي من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وأحق الناس بها الأئمة، إذ كل حق لمسلم على مسلم فالأئمة بذلك أحق وأولى<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت النصيحة عظيمة القدر، شاملة النفع، لازمة لشرائع الإسلام وأعمال المكلفين، فقد جعلها النبي ﷺ شرطاً من شروط البيعة التي يبايع بها الداخلين في الدين، وعهداً مسؤولاً تصفق عليه الأيدي؛ فعن جرير بن عبدالله ﷺ قال: "بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"<sup>(٣)</sup>، وفي رواية أنه قال: ((بايعت رسول الله ﷺ فاشترط علي: والنصح لكل مسلم))<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: ((بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة - فلقتني - فيما استطعت، والنصح لكل مسلم))<sup>(٥)</sup>.

"ومعنى هذه المبايعة - والله أعلم -: الإعلام بحدود الإسلام وشرائعه وآدابه"<sup>(٦)</sup>، وكان

(١) انظر: الدراري المضية شرح الدرر البهية، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (٢/٤٦٥)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١/٢٤٣).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: "الدين النصيحة" برقم [٥٧] (١/٣١)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة برقم [٥٦] (١/٧٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة برقم [٢٥٦٥] (٢/٩٦٨).

(٥) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام برقم [٦٧٧٨] (٦/٢٦٣٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة برقم [٥٦] (١/٧٥).

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي (١٢/٢٢٤)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، د. ط، ١٣٨٧ هـ.

النبي ﷺ يأخذ في البيعة أموراً مختلفة، منها: النصح للمسلمين<sup>(١)</sup>، وهذا راجع - فيما يظهر - إلى مقتضى المصلحة والحاجة، من تجديد عهد أو تأكيد أمر<sup>(٢)</sup>، وكذا مراعاة حال المبايع وظروفه، فبإياعه ﷺ على ما يكون فيه صلاح شأن دينه ودنياه<sup>(٣)</sup>.

وفي تخصيص الصحابي جرير ﷺ فيما بوع عليه معنى ذكره العلماء، يقول المهلب رحمته الله: "مبايعة الرسول ﷺ جريراً ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة فهما دعامة الإسلام، وهما أول الفرائض بعد توحيد الله، والإقرار برسوله، وذكر النصح لكل مسلم بعدهما، يدل أن قوم جرير كانوا أهل غدر، فعلمهم ما بهم إليه أشد حاجة، كما أمر وفد عبدالقيس بالنهي عن الظروف، ولم يذكر لهم النصح لكل مسلم؛ إذ علم أنهم في الأغلب لا يخاف منهم من ترك النصح ما يخاف على قوم جرير"<sup>(٤)</sup>.

وتخصيص النصح في هذه البيعة راجع - والله أعلم - إلى أمرين:

- ١ - عظم منزلة النصيحة من الدين، قال الخطابي رحمته الله: "جعل رسول الله ﷺ نصيحة المسلمين شرطاً في الدين يبايع عليه، كالصلاة والزكاة؛ ولذلك تراه قرنه بهما"<sup>(٥)</sup>.
- ٢ - مراعاة حال المبايع واحتياجه؛ إذ قد يخص قوم وصنف بشرط في البيعة، ولا يؤخذ على آخرين.

لقد بايع النبي ﷺ جريراً ﷺ في هذا الحديث أن يبذل النصيحة لكل مسلم، "بحيث يعامله كما يعامل نفسه، وكما يجب أن يعامله الناس، فلا يشتمه، ولا يقذفه، ولا يخذله، ولا يغشه، ولا

(١) انظر: التمهيد لابن عبدالبر (١٦/٣٤٨).

(٢) انظر: عمدة القاري للعيني (١/٣٢٣).

(٣) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، تأليف: أ. د. موسى شاهين لاشين (١/٢٠٨)، الناشر: دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطلال (٢/١٥٣).

(٥) أعلام الحديث للخطابي (١/١٨٧).

يخونه، ويكون له ناصحاً من كل وجه، وإذا استشاره في شيء وجب عليه أن يشير عليه بما هو الأصح له في دينه ودنياه"<sup>(١)</sup>، وقد وفي ﷺ بما عاهد عليه النبي ﷺ، فكان ﷺ يبذل خالص النصح في بيعه وشرائه للمسلمين، فمن ذلك: "أن غلامه اشترى له فرساً بثلاثمائة، فلما رآه جاء إلى صاحبه فقال: إن فرسك خير من ثلاثمائة، فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة، وقال: بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم"<sup>(٢)</sup>، وكان تطبيقه لهذه البيعة هو سبب تحديثه بهذا الحديث<sup>(٣)</sup>؛ لأنه يتمثلها عبادة قد يتأولها في عمله.

وإن حظ ولاة الأمر من تلك البيعة عظيم وكبير؛ لعظم مكانتهم، وشمول نفعهم على سائر الناس، فبذل النصح لهم في الوفاء لهم، والصدق معهم، ومحبتهم وتحبيب الناس لهم، وحفظهم في الغيب والشهادة، ووعظهم وإرشادهم، داخل في عموم هذا الحديث بطريق الأولى، وهو المعنى نفسه الذي فهمه جرير ﷺ من قول رسول الله ﷺ، فعن زياد بن علاقة رضي الله عنه قال: "سمعت جرير بن عبدالله ﷺ يقول يوم مات المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قام، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: استعفوا لأمركم، فإنه كان يجب العفو، ثم قال: أما بعد، فإني أتيت النبي ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط علي ((والنصح لكل مسلم))، فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل"<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢٥٣/٥).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم [٢٣٩٥] (٢/٣٣٤)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠٤/١).

(٣) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تأليف: ابن الملقن، سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي (٣/٢٤٥)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: ((الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين

ولا شك أن نصح جرير رضي الله عنه هذا عائد إلى ولاة الأمر، أولاً في حسن العهد معهم بحفظهم في الغيب، والحرص على استقامة أمر الجماعة التي لا تتم إلا بهم، ثم النصيحة للمسلمين في لزوم الطاعة والبعد عن الخلاف.

لقد فهم الصحابة والسلف الصالح من النصح عموم معناه، فكانوا لا يرضون للمسلمين إلا ما رضوه لأنفسهم في تحصيل الخير ودفع الشرور، ولم يروا أن ذلك من الفضائل المكتملة، بل اعتقدوه شرطاً من شروط الإسلام الداخلة في بيعتهم<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: النصيحة لأئمة المسلمين سبب لمرضاة الله وسلامة الصدر:

رتب المشرع على حكم النصيحة لأئمة المسلمين جزاءً وأثراً لمن قام به على الوجه الصحيح، فجعل مرضاة الرب من ثواب الناصح للأئمة وولاية الأمر، وجعل النصيحة لهم سبباً لزكاة القلب من الغل، والحقد، ومرض القلوب، وبيان ذلك فيما يأتي:

#### ١ - النصيحة لأئمة المسلمين سبب لمرضاة الرب:

ما من مسلم رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، وبالآخرة مآلاً، وآمن بقاء ربه، إلا وهو يسعى لنيل رضا الله عنه، ولا شك أن أسباب رضا الله لا تنال إلا بطاعته، وطاعته لا تنال إلا بمتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾<sup>(٢)</sup>، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن من أسباب رضا الله عن العبد: النصيحة لولاية أمره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل

وعامتهم)) برقم [٥٨] (٣١/١).

(١) انظر: إحياء علوم الدين تأليف: أبي حامد محمد الغزالي الطوسي (٢/٧٦)، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٢) سورة النور، الآية (٥٤).

وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال))<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث ضروب من العلم منها: أن الله يحب الإخلاص في عبادته في التوحيد وسائر الأعمال كلها التي يعبد بها، وفي الحظ على الاعتصام والتمسك بحبل الله في حال الاجتماع والخلاف، كما أن فيه بيان عظيم منزلة النصح للأئمة وولاية الأمر من المسلمين، وقد جمع هذا الحديث بين الخصال الثلاث وهي: الإخلاص لله في العمل، والنصح لولاية الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، وهذه الأصول تجمع قواعد الدين الراسخة وأصوله العظام، كما أنها تجمع الحقوق التي للرب على العبد، وتقوم بها مصالح العباد في العاجل والآجل<sup>(٢)</sup>.

لقد أبان هذا الحديث العظيم مشروعية مناصحة أئمة المسلمين في السنة؛ إذ الرضا بالشيء يستلزم الأمر به، والأمر بالشيء يستلزم الرضا به<sup>(٣)</sup>، وفي هذا دليل على وجوب النصح لكل ذي سلطان من المسلمين، يقول ابن عبد البر رحمته الله: "وأما قوله ﷺ: ((تناصحوا من ولاه الله أمركم))، ففيه إيجاب النصيحة على العامة لولاية الأمر، وهم الأئمة والخلفاء وكذا سائر الأمراء"<sup>(٤)</sup>.

ونفع هذه الخصال الثلاث عائدٌ على المكلفين في أمر دينهم وديارهم؛ لأنهم متى ما التزموها

(١) رواه بهذا اللفظ الإمام مالك في الموطأ، برقم [٣٦٣٢] (٥/١٤٤١)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه برقم [١٧١٥] (٣/١٣٤٠) بلفظ: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال".

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٢١/٢٦٩).

(٣) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، المناوي (٢/٣٠١)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ.

(٤) التمهيد لابن عبد البر (٢١/٢٨٤).

في حياتهم وعبادتهم وحافظوا عليها، نالوا بذلك رضا الرب عنهم، ومتى ما رضي الرب عن العبد أفلح ونجح، وفي الإتيان باللام في الموضوعين يعني في قوله ﷺ: ((يرضى لكم))، ((ويسخط لكم)) دليل على أن فائدة هذه الأعمال عائدة إلى العباد؛ إذ لم يقل يرضى عنكم، ويسخط منكم<sup>(١)</sup>.

إن من الأسباب العظيمة التي ينال بها رضا الرب في هذا الحديث مناصحة ولاة أمر المسلمين، وذلك في قوله ﷺ: ((وأن تنصحوا من ولّاه الله أمركم)) "وأراد بمناصحتهم: ترك مخالفتهم والدعاء عليهم، والدعاء لهم، ونحو ذلك"<sup>(٢)</sup>، من الأمور التي يحصل بها تحقيق النفع والخير لهم، ودفع الشر والضرر عنهم، من الأعمال والأقوال والإرادات.

ومتى ما اعتقد المؤمن أن هذه المناصحة سببٌ جالبٌ لرضا الرب وإنعامه، حمّله ذلك على الاجتهاد البالغ في المناصحة الصادقة لهم؛ لأنه يعمل ذلك على وجه التعبد والتقرب، الذي يعود عليه بالخير في كل شيء، وبهذا الأصل والذي قبله يكمل الدين، وتتم نعمة الله على المؤمنين والمسلمين، ويحصل لهم به النصر والعز والتمكين؛ لقيامهم بجميع الوسائل التي أمرهم الله بها، والتي يكفل الرب لمن قام بها النصر والتمكين، والفلاح والصلاح، والنجاح العاجل والآجل<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: فتح القدير للمناوي (٢/٣٠١).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبدرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (١/٢٧٤)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٣) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، تأليف: أبي عبدالله، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ص ٢٠٧)، تحقيق: عبدالكريم بن رسمي آل الدريني، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

## ٢- النصيحة لأئمة المسلمين سبب لسلامة الصدر من الغل:

إن من نعيم أهل الجنة الذي ذكره الله في كتابه أن يزيل الله سخائم صدورهم، وينزع الغل من قلوبهم، حتى يصفوا بينهم الود، ويتم لهم النعيم، يقول ﷺ: ﴿وَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>، قال الأخفش في معنى الغل: "هو ما يكون في الصدور"<sup>(٢)</sup>.  
 فيكون المعنى: "وأخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض"<sup>(٣)</sup>، غير أن سلامة الصدر للمسلمين، وإن كان ثواباً في الآخرة، فهو من تكاليف الشرع وأوامره، وأهله هم أسياد المسلمين وأفضلهم منزلة عند الله، يقول الفضيل ابن عياض رحمته الله: "ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة"<sup>(٤)</sup>.

ومن دعاء المؤمنين اللاحقين لإخوانهم السابقين قوله ﷺ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup> أي:  
 لا تجعل في صدورنا غشاً وحسداً وبغضاً<sup>(٦)</sup>، فسلامة الصدور من الغل وأشباهه من أمراض القلوب، هو أمنية أهل الجنة قبل دخولها؛ لأنهم يعلمون أن طريق الجنة في السلامة منه، قال

(١) سورة الحجر، الآية (٤٧).

(٢) معاني القرآن، تأليف: أبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي، ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (٣٢٥/١)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى

١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

(٣) تفسير الطبري (١٧/١٠٧).

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٢٢٥).

(٥) سورة الحشر، الآية (١٠).

(٦) انظر: تفسير الرازي (٢٩/٥٠٩).

الأكفاني عبدالكريم رحمته الله: "أصل العبادة مكابدة الليل، وأقصر طرق الجنة سلامة الصدر"<sup>(١)</sup>.  
وقد ثبت في السنة خصالٌ يُتزع بها الغل من القلوب، ويستصلح معها ما في الصدور، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم)).

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث لا يغل)) بالفتح هو المشهور، ومعناه: الضغن والشحناء<sup>(٢)</sup>.

ورُوي "لا يُغَل" بالضم، وهو من الإغلال بمعنى الخيانة<sup>(٣)</sup>.

ولهذا الحديث معنيان - والله أعلم - هما:

- أن المؤمن لا يحقد على هذه الصفات ولا يكرهها، بل يحبها ويرضاها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "أي: لا يحقد عليهن، فلا يبغض هذه الخصال قلب المسلم بل يجهن ويرضاهن"<sup>(٤)</sup>.

- أن هذه الخصال لا تترك في قلب المسلم حقداً ولا شحناء، فيكون التلبس بها رافعاً للغل، قال ابن القيم رحمته الله في شرح هذا الحديث: "لا يبقى فيه غل، ولا يُجمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله، وتنقيه منه، وتخرجه عنه؛ فإن القلب يغل على الشرك أعظم

(١) تاريخ دمشق، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٨/٤٥٠)، تحقيق: عمرو

ابن غرامة العمري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

(٢) انظر: غريب الحديث، تأليف: أبي عبيد القاسم الهروي (١/٢٥٢)، تحقيق: د. حسين محمد محمد شرف، مراجعة:

الأستاذ عبدالسلام هارون، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

(٣) انظر: المفاتيح في شرح المصابيح، تأليف: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الشيرازي

(١/٣٢٤)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، وهو من

إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.

(٤) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٢٨/٥٢).

غل، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة، فهذه الثلاثة تملؤه غلاً ودغلاً، ودواء هذا الغل، واستخراج أخلاطه بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة<sup>(١)</sup>.

وعلى كلا المعنيين، فإن النصح لا يجتمع مع الغل في مناصحة أئمة المسلمين، فهو إما أن يكون رافعاً له، أو أن انتفاء شرط لتحقيقه، فيكون المعنى على هذا الوجه: "لا يدخل في قلب مسلم شيء من الحقد يزيله ويمنعه من هذه الخصال"<sup>(٢)</sup>.

إن مناصحة أئمة المسلمين من أسباب طهارة القلوب ونقاؤها؛ لأن النصيحة لا تجتمع مع الغل للمضادة بينهما، فالغل يحمل على الغش، والنصح من أضداده، فمن نصح للأئمة والأمة، ولزم جماعة المسلمين، وأحب لهم ما يجب لنفسه، وكره لهم ما يكره لنفسه، فقد برئ قلبه - إن شاء الله - من الغل وأمراض الصدور؛ ولذا كانت صدور المبتدعة التي فارقت الجماعة، ونزعت يد الطاعة، ممتلئة غلاً وغشاً وحقداً على المسلمين<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٨٩-٩٠).

(٢) المفاتيح شرح المصابيح للشيرازي (١/٣٢٤).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم

الجوزية (١/١٩٩)، تحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: محمد أجمل الإصلاحي، وسليمان بن عبدالله

العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ.

## المطلب الثالث

### حكم مناصحة أئمة المسلمين

أجمع المسلمون على مشروعية النصيحة، وأنها من الدين<sup>(١)</sup>، واتفق العلماء على وجوبها<sup>(٢)</sup>، ولعل إجماعهم - والله أعلم - محمول على أصل الوجوب، ثم يختلفون بعد ذلك بين الواجب العيني والواجب الكفائي، أو أن الإجماع في وجوبه يحمل على أقل ما قيل في المسألة، فيما لا يسع المسلم تركه من أصل النصيحة في أقسامها ومراتبها.

ولا شك أن حكم النصيحة لأئمة المسلمين داخل في حكم النصح لعامة المسلمين؛ إذ كل ما ثبت للمسلمين من حق، فلائمة المسلمين من ذلك أتمه وأكمله؛ لأنهم أحق به وأولى<sup>(٣)</sup>، غير أن تخصيص ذكر الأئمة في هذا الحديث يعطي لهم زيادة مزية وحق لهم. وينقسم حكم النصح لأئمة المسلمين من حيث معناه إلى قسمين:

#### القسم الأول: حكم مناصحة أئمة المسلمين بمعناه العام:

ويقصد بالمعنى العام ما تقدم في عموم وشمول معنى النصح، الذي يتناول طاعته في المعروف، والوفاء في بيعتهم، ومحبتهم وتحبيب الناس إليهم، وترك منازعتهم والخروج عليهم، ودفع الصدقات إليهم، والصلاة خلفهم والجهاد معهم، فهذا فرض عين واجب على كل من تلزمه طاعتهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً. ويسخط لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢٢).

(٢) انظر: الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان (١/٦٢).

(٣) انظر: الفرق بين النصيحة والتعير، تأليف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ص ١٤)، علق عليه

وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، الناشر: دار عمان، عمان، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م.

تناصحوا من ولاة الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)).

يقول ابن عبدالبر رحمته الله: "وأما قوله: (وتناصحوا من ولاة الله أمركم)، ففيه إيجاب النصيحة على العامة لولاية الأمر وهم الأئمة والخلفاء، وكذلك سائر الأمراء"<sup>(١)</sup>.

ويقول أحمد بن محمد بن عبدربه: "فصح الإمام ولزوم طاعته فرض واجب، وأمر لازم، ولا يتم إيمان إلا به، ولا يثبت إسلام إلا عليه"<sup>(٢)</sup>.

وهذا النصح بمفهومه العام، هو الواجب أيضاً على عامة المسلمين في قول النبي ﷺ: ((ولأئمة المسلمين، وعامتهم))؛ لأن النصح القولي الذي هو الوعظ والاحتساب عليه قد يتعذر على عامة الناس؛ لعجزهم العلمي أو الحكمي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي النصيحة العامة"<sup>(٣)</sup>، فيجب عليهم لزوم طاعتهم، وصدق الوفاء لهم، وترك الخروج عليهم، ويكون ذلك بأن يؤدي إليهم كل ما أوجب الله لهم من حق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون))، قالوا فما تأمرنا؟ قال: ((فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم))<sup>(٤)</sup>.

قال النووي رحمته الله في شرح هذا الحديث: "وفيه الحث على السمع والطاعة، وإن كان المتولي

(١) التمهيد لابن عبدالبر (٢١ / ٢٨٤).

(٢) العقد الفريد، تأليف: أبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبدربه الأندلسي (١ / ١١)، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

(٣) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١ / ١٩).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم [٣٢٦٨] (٣ / ١٢٧٣)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول برقم [١٨٤٢] (٣ / ١٤٧١).

ظالماً عسوفاً، فيعطى حقه من الطاعة، ولا يخرج عليه، ولا يخلع" (١).

وقوله ﷺ: ((فوا ببيعة الأول فالأول)) أي: "يجب الوفاء ببيعة من كان أولاً في كل زمانٍ والثاني باطلة" (٢).

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على هذا الحديث: "حث الرعية على السمع والطاعة لهم في المعروف، وأداء حقوقهم، والوفاء بالبيعة لهم" (٣).

إن أداء حقهم هو النصح المتعين على كل مسلم، وكل ما أمر الله به ورسوله ﷺ من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم هو واجب عليه وإن استأثروا، وما نهى الله عنه ورسوله ﷺ من معصيتهم فهو محرم عليه، وإن لم يعاهدوهم ولم يحلف لهم الإيثار المؤكدة في ذلك (٤).

إن الوفاء للأئمة يكون في صدق النصح بأداء الحق لهم، وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة التي لا يسع مؤمناً الإخلال بها؛ لتأكد وجوبها وبيانها، يقول الإمام أبو عمرو الداني رَحِمَهُ اللهُ: "واجب الانقياد للأئمة، والسمع والطاعة لهم في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وإعظامهم، وتوقيرهم، وكذا طاعة خلفائهم، والنائين عنهم من الأمراء، والقضاة، والحكام، والعمال، والسعاة، وجباة الخراج والأموال، وسائر من استخلفوه في شيء مما إليهم النظر فيه" (٥)، وهذا أمر قد استقر عليه الإجماع عند أهل السنة والجماعة (٦).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢٣١).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبي الحسن، نور الدين السندي (٢/٢٠٤)، الناشر: دار الجليل - بيروت، الطبعة الأولى، د. ت.

(٣) شرح الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ لهذا الحديث، موقع الشيخ ابن باز: <https://binbaz.org.sa/audios/> ٢٢٤/٢٥٤v تاريخ الدخول على الموقع: ١٤٤٢/٨/٧هـ.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٩/٣٥).

(٥) رسالة الوافية لأبي عمرو الداني (ص ٢٤١ - ٢٤٢).

(٦) انظر: إجماع السلف في الاعتقاد للكرمانى (ص ٤٦ - ٤٧).

القسم الثاني: حكم مناصحة أئمة المسلمين بمعناه الخاص:

ويراد بالنصح هنا موعظتهم وتذكيرهم بليّن القول، وبذل حسن المشورة لهم، في إرشادهم ودلالتهم على الخير، وإعانتهم عليه، وتحذيرهم من الشر وما يفضي إليه.

وحكم النصيحة هنا يدور بين الوجوب العيني والكفائي، تبعاً لمكانة المكلف ومحلّه من الولاية والعلم، وبيانه كما يلي:

أولاً: من تجب عليهم النصيحة وجوباً عينياً، ولا يعذرون بتركها مع قدرتهم على بذلها، وهم الوزراء والمستشارون وجلساء الملوك والأمراء، وفي ذلك يقول المأمون لمحمد بن يزيد: "إياك أن تعصي الله فيما تتقرب به إلي فيسلطني عليك، واعلم أنه ليس للوزير أن يكتم السلطان نصيحة وإن استقلها، وموضع الوزير من المملكة كموضع العين من الإنسان، وكاليدين"<sup>(١)</sup>.

وسعادة السلطان متوقفة على صلاح الوزير والمستشار، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((إذا أراد الله بالأمر خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإذا ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه))<sup>(٢)</sup>، قال أبو نعيم رحمته الله: "ومن سعادة الولاية والأمراء: أن يقيض الله لهم الصلحاء من الوزراء"<sup>(٣)</sup>.

ولما كانت النصيحة من الدين، وكانت فرضاً عينياً على القادر عليها في الأمر الذي لا

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٨١).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب اتخاذ الوزير برقم [٢٩٣٤] (٣/٩٢)، وابن حبان في صحيحه، كتاب السير، باب في الخلافة والإمارة، ذكر وصف الوالي الذي يريد الله به الخير أو الشر برقم [٤٤٩٤] (١٠/٣٤٥ - ٣٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب من يشاور برقم [٢٠٣٢٠] (١٠/١٩١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨/٢٨٦).

(٣) فضيلة العادلين من الولاية، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ص ١٣٧)، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، الناشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة: الأولى

يكون فيه غيره، كانت واجبةً على الوزراء، وجلساء الملوك والأمراء، ومستشاريهم، وأعيانهم، يقول ابن عبدالبر رحمته الله: "إن من الدين النصح لأئمة المسلمين، وهذا أوجب ما يكون، فكل من واكلهم وجالسهم، وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك، إذ أوجب أن يسمع منه"<sup>(١)</sup>، فيجب على الوزير، ومجالس الأمير، ألا يألوا جهداً في دلالة الأمير والإمام إلى كل خير، وتحذيره من جميع الشرور، وإعانتته على رفع المظالم عن العباد، وإقامة العدل فيهم<sup>(٢)</sup>؛ ليقبى عزهم مكيناً، ومملكهم ظاهراً، قال القلعي رحمته الله: "ويجب على من صحب الملوك وجالسهم، وصار من أهل المباشطة لهم والمؤانسة، ألا يطوي عنهم نصيحة تعود عليهم في صلاح الدين، ودوام الملك، وحسن الأحدوثة عنهم"<sup>(٣)</sup>، ومن لم يكن كذلك فقد غش أئمة المسلمين وعامتهم، وضل عن سواء السبيل، يقول أبو نعيم رحمته الله: "ومن نصح الولاة والأمراء اهتدى، ومن غشهم غوى واعتدى"<sup>(٤)</sup>.

ويخلص الباحث إلى: أن النصيحة واجبة على الوزير والمجالس للأمير، وأن وجوبها وجوب عين، إذا أمن على نفسه من الضرر، ولم يفض النصح إلى شرٍ أعظم منه.

ثانياً: يكون حكم النصيحة فرضاً كفاً على المستطيع من العلماء وذوي الجاه، ممن يكون لنصحه أثر في نفوس الأمراء والولاة، ويُرجى في وعظه وتذكيره استجابة وقبول، فحكم النصيحة في هذا المقام كحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في العموم؛ إذ إن الأصل فيه أنه

(١) التمهيد لابن عبدالبر (٢١ / ٣٢٨٥).

(٢) انظر: المفاتيح في شرح المصباح للشيرازي (٤ / ٣٠٧).

(٣) تهذيب الرياسة للقلعي (ص ١٦٠).

(٤) فضيلة العادلين لأبي نعيم (ص ١٣٩).

من فروض الكفايات<sup>(١)</sup>، كما يقرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله بقوله: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحدٍ بعينه، بل هو على الكفاية كما دلَّ عليه القرآن"<sup>(٢)</sup>.

ولذا وجب على القادرين من العلماء وذوي الجاه أن يقوم منهم ثلثة بواجب بذل النصح على الوجه الشرعي الصحيح، وفق منهج السلف الصالح، مع مراعاة المصالح والمفاسد، وتحقيق مقاصد الشرع في ذلك قدر الإمكان، قال الإمام ابن عبدالبر رحمته الله: "وكل من أمكنه نصح السلطان، لزمه ذلك إذا رجا أن يسمع منه"<sup>(٣)</sup>، والإمكان هنا هو القدرة الملائمة لمهمة النصح، وهي العلم والجاه، يقول ابن بطال رحمته الله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فهي على قدر الجاه والمنزلة عندهم"<sup>(٤)</sup>.

ويرى الباحث: أن هذا الوجوب الكفائي يفتقر إلى شروط يجب تحققها في الناصح والمنصوح والمنصوح به، وهي كما يلي:

- ١ - القدرة والاستطاعة، وهذه كامنة في العلم والجاه، فلا يجب على جاهل ولا عاجز عنها.
- ٢ - الأمن على نفسه وماله من التلف والضرر<sup>(٥)</sup>، قال ابن بطال رحمته الله: "فإذا خشي على نفسه فحسبه أن يغير بقلبه"<sup>(٦)</sup>.
- ٣ - الأمن من تعدي الضرر إلى الآخرين، قال ابن رجب رحمته الله: "إن خشي في الإقدام على الإنكار على الملوك أن يؤدي أهله أو جيرانه لم ينبغ له التعرض حيثئذ؛ لما فيه من تعدي

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦/٢٣٧)، وانظر: الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيمية (ص ١١)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، د. ت.

(٢) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٢٨/١٢٧).

(٣) التمهيد لابن عبدالبر (٢١/٢٨٥ - ٢٨٧).

(٤) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (١/١٣١).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٠/٥٠).

(٦) المصدر السابق (١/١٣١).

الأذى إلى غيره" (١).

٤ - أن يغلب على الظن قبول المنصوح للنصح، واستماعه للموعظة، قال ابن مفلح رحمته الله:  
"إن ظن أنه لا يقبل نصحه، أو خاف أذى منه، فيتوجه أن يقال فيه ما سبق في الأمر  
بالمعروف" (٢)، ويقصد بذلك رحمته الله أنه يسقط الوجوب عنه.

٥ - أن لا يؤدي النصح إلى شرٍّ أعظم من المنصوح به، فإذا غلب على الظن أنه يؤدي إلى  
ذلك، لم يجز بذله حينئذٍ، وحسبه أن يغير بقلبه.

فمن توفرت فيه هذه الشروط لم يجز له أن يتأخر عن هذا الواجب العظيم الذي به صلاح  
أمر الدين والدنيا، قال الإمام مالك رحمته الله: "حق على كل مسلم أو رجل فعل الله في صدره شيئاً  
من العلم والفقهاء أن يدخل إلى ذي سلطان، يأمره بالخير، وينهاه عن الشر، ويعظه، حتى يتبين  
دخول العالم على غيره؛ لأن العالم إنما يدخل يأمره بالخير وينهاه عن الشر فإذا كان فهو الفضل  
الذي لا بعده فضل" (٣)، وقد كان علماء الأمة ووجهائها لا يألون جهداً في بذل النصح لولاية  
أمرهم على النهج النبوي الصحيح، الذي يتحقق به مصالح العباد والبلاد.

ويخلص الباحث مما سبق إلى ما يأتي:

١ - تؤخذ مشروعية مناصحة أئمة المسلمين في القرآن من خلال ما قصه الله عن حال  
الأنبياء عليهم السلام، الذين كانوا يرسلون إلى أقوامهم لدعوتهم ونصحهم، فقد  
كانت النصيحة هي دأبهم المصاحب، ووصفهم الملازم، سواء أكان مع الملأ والكبراء،  
أم مع سائر أممهم، وقد كان غالب حوار الأنبياء في القرآن مع الملأ الذين كانوا يمثلون

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/٢٤٩).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٣٠٧).

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تأليف: أبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (٢/٩٥)، تحقيق: ابن

تاويت الطنجي، وعبدالقادر الصحراوي، ومحمد بن شريفة، وسعيد أحمد أعراب، الناشر: مطبعة فضالة -  
المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى، د. ت.

السؤدد في العشيرة والقوم.

كما تناول القرآن العظيم أساليب الدعوة والوعظ والحوار والجدل الذي دار بين الرسل والأنبياء، والملوك المقصودين بالدعوة والنصح، مثل: مجادلة إبراهيم عليه السلام للنمرود، وموسى عليه السلام لفرعون، وكذا نصيحة يوسف عليه السلام لملك مصر. أو ما كان من غيرهم، مثل: موعظة مؤمن آل فرعون، ونصيحة الخصوم لداود عليه السلام حال التقاضي.

ولا شك أن حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما قصه القرآن عن غيرهم منهج يتبع في النصيحة؛ لما ظهر فيه من أساليب الدعوة ووسائلها المشروعة.

٢- حوت السنة النبوية كثيراً من الأحاديث والسنن الثابتة في مشروعية مناصحة أئمة المسلمين، وفضلها، وحكمها، ومن ذلك: جعلها أصل الدين، وكونها من الشروط في بيعة الإمام، وأنها من الأسباب الجالبة لرضا الله وسلامة الصدر.

٣- أجمع المسلمون على مشروعية النصيحة وأنها من الدين، واتفق العلماء على وجوب بذلها لأئمة المسلمين، ويأتي هذا الوجوب على صورتين: عيني وكفائي.

أما العيني فعلى سائر الأمة في النصيحة بمعناها العام، وأما الكفائي فعلى القادر من العلماء والوجهاء ممن قامت فيهم أسباب وجوب النصيحة، وانتفت عنهم موانعها.

## المبحث الثاني

### ضوابط مناصحة أئمة المسلمين

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: ضوابط مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بالناصح.
- المطلب الثاني: ضوابط مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بالمنصوح به.
- المطلب الثالث: ضوابط مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بالمنصوح.

## تمهيد:

تعددت معاني كلمة (ضبط) في معاجم وغريب اللغة، واختلف استعمال العلماء لها في فنون العلم ومصنفاته، ويتناول التمهيد بيان معنى الضوابط في اللغة والاصطلاح، والمعنى المختار الذي تقصده الدراسة:

### الضوابط في اللغة:

كلمة (ضبط) ثلاثية من أصل صحيح، والضوابط جمع ضابط، اسم فاعل من كلمة (ضبط)، وللضبط في اللغة معانٍ كثيرة، من أشهرها:

١ - اللزوم والحبس: يقال: ضبط الشيء: لزمه لزومًا شديدًا بلا مفارقة، والضبط لزوم الشيء وحبسه<sup>(١)</sup>.

٢ - الحفظ بالحزم: يقال: ضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أي: حازم وقوي على عمله<sup>(٢)</sup>.

٣ - القوة والبطش: يقال: ضبط الرجل الشيء يضبطه ضبطًا، إذا أخذه أخذًا شديدًا، ورجل ضابط: شديد البطش والقوة والجسم<sup>(٣)</sup>.

٤ - إتقان العمل وتجويده: يقال عن الرجل: ضابط للأمر، وفلان لا يضبط عمله: لا يقوم بما فوّض إليه، ومنه ضبط القراءة، وتصحيح الكتاب، وشكله بالحركات<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري، مادة (ضبط) (١/٥٧٣)، وانظر: العين للخليل الفراهيدي (٧/٢٣).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (ضبط) (٧/٣٤٠)، وانظر: الصحاح للجوهري، مادة (ضبط) (٣/١١٣٩).

(٣) انظر: العين للخليل الفراهيدي، مادة (ضبط) (٧/٢٣)، وانظر: تاج العروس للزبيدي (ضبط) (١٩/٣٤٩).

(٤) انظر: أساس البلاغة للزمخشري، مادة (ضبط) (١/٥٧٣)، وانظر: المعجم الوسيط لمجموعة من علماء مجمع اللغة، مادة (ضبط) (١/٥٣٣).

ويظهر والله أعلم: أن معاني الضبط تدور حول حفظ الشيء وتقييده بالقوة والحزم من الخلل والنقص.

### الضوابط في الاصطلاح:

المشهور عند العلماء هو استعمال معنى الضابط رديفاً لمعنى القاعدة، وإن اختلفوا في نسبة الفرق والاتفاق بينهما، حيث يرى بعضهم أن القاعدة أعم من الضابط<sup>(١)</sup>، ويرى آخرون أن الضابط أعم من القاعدة<sup>(٢)</sup>، ويذهب فريق منهم إلى أنها اسمان لمسمى واحد<sup>(٣)</sup>، وعلى كل الأقوال والاختلافات فإن جميعها يحمل معنى القاعدة، وإن تباينوا في نسبة الخصوص والعموم بينهما.

وقد قيل في تعريف الضابط:

قال الفيومي رحمته الله: "والقاعدة في الاصطلاح بمعنى الضابط، وهي: الأمر الكلي المنطبق على جزئياته"<sup>(٤)</sup>.

وقال البركتي رحمته الله: "الضابطة: حكم كلي ينطبق على الجزئيات"<sup>(٥)</sup>.

والتعريفان جعلاً الضابط مطابقاً للقاعدة.

أما من جعله أخص من القاعدة – وإن كانت في معناه – فقد عرفه بأنه: حكم كلي أغلبي

---

(١) انظر: الأشباه والنظائر، تأليف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (١٠٦/١)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٢) انظر: غمز عيون البصائر، تأليف: أحمد بن محمد مكّي، أبي العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي (٢٢/٣)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) انظر: المصباح المنير للفيومي، مادة (قعد) (٥١٠/٢).

(٤) المصدر السابق (٥١٠/٢).

(٥) قواعد الفقه، تأليف: محمد عميم الإحسان الجديدي البركتي (ص ٣٥٧)، الناشر: الصدف بيلشرز، كراتشي – باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

ينطبق على فروع متعددة من باب واحد<sup>(١)</sup>.

أما عن علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي فقد ذكر بعض العلماء المعاصرين أن الجامع بينهما هو معنى الحبس والحفظ، فكما أن الحبس والحفظ يفيد تقييد المحبوس والمحفوظ، فكذا الضابط يحصر ويحسب ويحفظ الفروع التي تدخل في إطاره<sup>(٢)</sup>، ويرى البعض أنه لا علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، وأن وضعه الاصطلاحي من باب التجوز، ولا مشاحة في الاصطلاح<sup>(٣)</sup>، والذي يظهر - والله أعلم - أن علاقته اللغوية متجهة إذا رُبطت بمعنى الحفظ، فكما أن الحفظ يجمع المسائل عن الضياع، فالضبط أيضاً يحفظها ويجمعها ويقيدها.

وللعلماء استخدامات أخرى شائعة للضبط، فمن ذلك: الوصف الدقيق للمثمنات، والحدود والمقدرات للأشياء، وإتقان العمل وتجويده، والقيام بالأمر على وجهه مع الجزم والجد فيه<sup>(٤)</sup>، وتمييز الشيء عن غيره<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: قاعدة اليقين لا يزول بالشك - دراسة نظرية تأصيلية تطبيقية -، تأليف: أ. د. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين (ص ١٣ - ١٤)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م؛ وانظر: القواعد والضوابط الفقهية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابي الطهارة والصلاة، تأليف: ناصر بن عبدالله الميمان (ص ١٢٩)، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

(٢) انظر: القواعد الفقهية، تأليف: أ. د. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين (ص ٦٤)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

(٣) انظر: تأصيل علم الضوابط الفقهية وتطبيقاتها عند الحنابلة، إعداد: أ. د. عبدالله بن مبارك آل سيف (ص ١٦٩)، بحث منشور في مجلة الجمعية الفقهية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [٢٨] محرم ١٤٣٧هـ.

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٧٢، و ص ١٧٨).

(٥) انظر: الأم، تأليف: الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي (٣/ ٦٨)، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

وقد يطلق أيضاً على تقاسيم الشيء<sup>(١)</sup>، وتعريفه<sup>(٢)</sup>، وآدابه وشروطه<sup>(٣)</sup>.

وهنا أعني بضوابط مناصحة أئمة المسلمين: أبرز الشروط والآداب والصفات والمقومات التي تُحكم أمر النصيحة في الناصح، والمنصوح به، والمنصوح.

(١) انظر: الأشباه والنظائر، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ص ٤٧٦)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م؛ وانظر: القواعد الفقهية، د. يعقوب الباحسين (ص ٦٠).

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي (ص ٤٧٦).

(٣) انظر: تأصيل علم الضوابط الفقهية لعبدالله آل سيف (ص ١٨١)، وانظر: الحكم الشرعي للنصيحة وضوابطها إعداد: عبدالفتاح خضر (ص ٧٠٥)، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢م؛ وانظر: النصيحة حكمها وأهميتها ودواعيها وشرطها، إعداد: د. أحمد دهشان (ص ٧٥٠)، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢م؛ وانظر: الأسلوب الشرعي في مناصحة الولاة والحكام، إعداد: د. عبدالله الصامل (ص ٣١٨٢)، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢م؛ وانظر: نصح الولاة والحكام، أصوله وضوابطه، إعداد: د. هيفاء بنت أحمد باخشوين (ص ٣٢٣٥)، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢م.

## المطلب الأول

### ضوابط مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بالناصح

والمقصود بضوابط المناصحة المتعلقة بالناصح: مجموع المقومات والصفات والأخلاق والآداب التي تُحكم أمر الناصح في نصيحته.

ويتناول الباحث أبرز وأهم الضوابط اللازمة في عمل الناصح، والتي يترتب على انتفاؤها زوال معنى النصح أو نقص كماله، وبيان ذلك على النحو الآتي:

#### الضابط الأول: الإخلاص:

والإخلاص هو: ألا يكون في إرادة المكلف من العبادة شيء سوى الله ﷻ<sup>(١)</sup>، وهو أحد شرطي قبول الأعمال، فإن العمل لا يكون مقبولاً عند الله، ولا مباركاً حتى يقوم فيه شرطاه، وهما:

١- الإخلاص.

٢- المتابعة.

إذ بهما يكون حسن العمل واعتباره، قال ﷺ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>، قال الفضيل رحمه الله: "أحسن عملاً: أخلصه وأصوبه"<sup>(٣)</sup>، وقال: "إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السنة"<sup>(٤)</sup>.

وكل قربة لله، وطاعة له سبحانه، قام بها العبد ولم يرد بها وجه الله والدار الآخرة، لم تزده

(١) انظر: المجموع شرح المهذب للنووي (١/١٧)، وانظر: مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (٢/٩١).

(٢) سورة الملك، الآية (٢).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/٣٥٦).

(٤) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (١/١٠٥).

من الله إلا بُعْداً، ولم يكن له منها إلا التعب والنصب، والإثم جرّاء فساد النية، يقول ﷺ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾<sup>(١)</sup>، يقول ابن القيم رحمه الله: "وهي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله"<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت النصيحة هي الدين، وكانت مناصحة ولاة أمر المسلمين من أنبل أبوابها وأشرفها، كانت مفتقرة إلى صلاح نية الناصح وسلامة قصده؛ لتنعقد بذلك عبادته التي يُبنى عليها أجره وثوابه، ولتكون مباركة طيبة ناجعة.

ويتمثل صلاح نية الناصح في أمرين، هما:

١- أن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، قال ﷺ: ﴿وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢- أن تكون إرادته هي صلاح المدعو وهدايته، يقول ﷺ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، فقال: أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ولم يقل: أَدْعُو إِلَى نَفْسِي.

فمن حاد قصده عن هذين لم يكن عمله خالصاً لله، وكان له ما أراد من عمله، فإن المدعين للنصيحة كثيرون، والعبرة في العمل ما كان خالصاً لله، صواباً على سنة النبي ﷺ.

وإن للمخلص علامات وأمارات تدل على صدقه في إخلاص النصيحة لولاية أمره؛ لأن مزلة القدم في هذه المسائل عظيمة؛ لعظم الفتنة في تتبع الشرف والجاه عند الناس معها، ومن

(١) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

(٢) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (٨٩/٢).

(٣) سورة البينة، الآية (٥).

(٤) سورة هود، الآية (٨٨).

(٥) سورة يوسف، الآية (١٠٨).

علامات الإخلاص في هذا المقام:

- ١- أن يُحب الناصح أن يُكفى بغيره؛ فيكون قصده هو صلاح الحال به أو بغيره<sup>(١)</sup>.
- ٢- أن يكره أن يُنسب إليه العمل، وأن يحرص على إخفائه، يقول الشيخ السعدي رحمته الله:  
"واحذر أيها الناصح لهم [أي لولاة الأمر] على هذا الوجه المحمود أن تفسد نصيحتك بالتمدح عند الناس، فتقول لهم: إني نصحتهم، وقلت، وقلت، وفإن هذا عنوان الرياء، وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أخر معروفة"<sup>(٢)</sup>.
- ٣- أن يسر بالنصيحة ولا يجهر بها؛ فإن كثيراً من الجهر بالنصيحة من الفخر والخيلاء، قال ابن النحاس رحمته الله: "وأما غير المخلص فبصد ذلك كله، فيرى عند نفسه نشاطاً إلى هذا الفعل وإقبالاً عليه وسروراً به، فيحب أن يكون جهراً في ملأ من الناس لا سراً، ويجب أن يحكى عنه ذلك، وأن يشتهر به، وأن يُحمد عليه، حتى لو نسب زوال المنكر إلى غيره لقامت قيامته، بل تراه ينقضي عمره وهو يحكي ما اتفق له، وما قال وما قيل له، متبجحاً بذلك بين أقرانه وأبناء جنسه، وربما زاد في القصة ونقص، ولو سبقه غيره إلى ما كان هو عزم عليه من ذلك ورجع السلطان إلى قوله لثقل عليه ذلك، أو شق عليه، وكان عنده بمنزلة الذبح، وربما يقول لمن يطلع على نيته: كنت عزمْتُ على أن أدخل على السلطان فأقول له كذا وكذا، ولكن سبقني فلان، ولكنه لم يتكلم كما ينبغي، ولو

(١) انظر: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، تأليف: محيي الدين أبي زكريا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي (ص ٧٦)، تحقيق وتعليق: عماد الدين عباس سعيد، إشراف: المكتب السلفي لتحقيق التراث، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ص ٤٢)، الناشر: دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

دخلت لقلت كذا، ولفعلت كذا"<sup>(١)</sup>.

٤- العفة عما في أيدي المنصوح، فتكون نصيحته مجردة عن طلب الدنيا وسؤال الناس أموالهم، مستغنياً عما في أيديهم، قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ وَيَقْوِرَ لَأَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنَ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup>، وأمر نبيه عليه السلام أن يقول لقومه: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، ومتى ما اتصف الناصح بها لقيت قبولاً وأثراً؛ "فإمام المسلمين ينظر لمن اتصف بالعفة نظرة احترام، وتقدير، وإجلال، فيصغي لكلامه، ويسمع لنصيحته؛ لعلمه بصدقه"<sup>(٤)</sup>، قال الذهبي رحمته الله عن عمرو بن عبيد المعتزلي: "وقد كان المنصور يخضع لزهد عمرو وعبادته ويقول:

كلكم	يطلب	صيد
كلكم	يمشي	رويد
غير	عمرو بن	عبيد" <sup>(٥)</sup>

لأن عمراً هذا كان زاهداً عما في أيدي المنصوح، عافاً عن طلبه.

إن الإخلاص لله في نصح ولادة الأمر، يثمر الإخلاص لهم، والصدق معهم، وهم محبوبون لكل مخلص وصادق، قال القلقشندي رحمته الله: "منها: الإخلاص، وهو قوام الأمر في المصاحبة،

(١) تنبيه الغافلين لابن النحاس (ص ٧٦).

(٢) سورة هود، الآية (٢٩).

(٣) سورة ص، الآية (٨٦).

(٤) المنهج الدعوي في مناصحة أئمة المسلمين لزيد العثمان (ص ١٥١).

(٥) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٣/٢٧٩)،

تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى

١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

فإن من صحب سلطاناً بعقيدة مدخولة في ولايته، مشوبة في محبته، لم ينتظم له ولا لسلطانه أمر؛ لأن الضمائر المدوقة، والنيات السقيمة، لا بد أن يصرح بها فيها، ويظهر ما في دخيلتها، وإذا اتضح ذلك للسلطان، لم يقنع إلا بإتلاف نفسه وإذهاب مهجته" (١).

ولم ير الناس مخلصاً في نصيحته لله معهم، إلا كان منهم قريباً، وعندهم معظماً وحبیباً؛ لأن بركة الإخلاص تمتد إلى محبة الناس ورضاهم وقبولهم.

### الضابط الثاني: العلم الصحيح:

ويراد بالعلم هنا العلم الشرعي، الذي يدل المكلفين إلى ربهم، ويعلمهم كيف يعبدون خالقهم وربهم، فالعلم إذا أطلق في النصوص فإنه يراد به علم الكتاب والسنة وما تولد منها، وإن أريد به غيره فإنه يُقَيَّدُ بالإضافة أو الصفة (٢)، يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله: "والمراد بالعلم عند علماء الإسلام هو العلم الشرعي، وهو المراد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عند الإطلاق، وهو العلم بالله وبأسائه وصفاته، والعلم بحقه على عباده، وبما شرعه لهم" (٣)، وهو مصطلح شرعي مستقر عند المتقدمين والمتأخرين، يقول ابن حجر رحمته الله: "والمراد بالعلم الشرعي: الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك علم التفسير والحديث والفقه" (٤).

ويُعدُّ العلم من أعظم وأهم ضوابط مناصحة أئمة المسلمين، بل لا يجوز بذل النصيحة

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تأليف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (١٠٧/١ - ١٠٨)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٢) انظر: حاشية الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، تأليف: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي (ص ١٤)، الناشر: دار الزاحم، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز، جمع وترتيب: د. محمد الشويعر (٢/٣٠٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١/١٤١).

دونه، وكل نصيحة ودعوة خلت من ضابط العلم، أدخلت أهلها في عظيم الوعيد؛ لأنهم صاروا من القائلين على الله بغير علم، يقول ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، قال ابن الجوزي رحمه الله: "وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون: عام في تحريم القول في الدين من غير يقين"<sup>(٢)</sup>، وقد أبانت هذه الآية عظم جرم القائلين على الله بغير علم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فبدأ بالأسهل تحريماً، ثم ما هو أشد منه، إلى أن ختم بأغلظ المحرمات وهو القول عليه بلا علم"<sup>(٣)</sup>، وفي هذا ما يوجب التوقي والحذر حال النصيح، وذلك بأن يكون الناصح على بصيرة واضحة فيما يدعو إليه، كما قال ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، والبصيرة هي أعلى درجات العلم، وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر<sup>(٥)</sup>.

وإذا كانت منزلة العلم من النصيحة بهذا المكان، كان العلماء والفقهاء أحق بها وأهلها، خاصة مع منزلة الإمامة؛ لشرف مكانها، وعلو مقامها، وكبير أهميتها، وعظم الضرر والنفع المترتب عليها معهم. أمّا إن تصدر لها غير أهل العلم كان الذي يفسدونه أكثر مما يصلحون<sup>(٦)</sup>؛

(١) سورة الأعراف، الآية (٣٣).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (١١٥/٢).

(٣) أحكام أهل الذمة، تأليف: محمد بن أبي بكر، بن أيوب، شمس الدين ابن قيم الجوزية (٣/٢٧٢)، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، وشاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادي للنشر، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٤) سورة يوسف، الآية (١٠٨).

(٥) انظر: مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (٢/٤٠١).

(٦) انظر: المنهج الدعوي في مناصحة أئمة المسلمين لزيد العثمان (ص ٣٧٦).

"لأن الجاهل يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح"<sup>(١)</sup>، إلا أن يكون عالماً بمسألة معينة علماً أكيداً، فلا بأس حينها أن يؤدي النصح بالحكمة والموعظة الحسنة<sup>(٢)</sup>.

ولا بد أن يستوعب علمُ الناصح ثلاثة أمور هي:

١- إدراك موضوع النصيحة إدراكاً جازماً، أو على غلبة الظن، فيعلم حكم الأمر الذي يدعو إليه، حتى لا يوجب مستحجاً، أو يجرم حلالاً، أو يحلل حراماً<sup>(٣)</sup>، قال ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، قال السنامي رحمه الله: "وينبغي [يعني للمحتسب] أن يكون عالماً بالمعروف والمنكر؛ لأن الجاهل لا يحسن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلعله يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف، فيظهر فيه علامة المنافقين، قال الله ﷻ: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٥)</sup>"<sup>(٦)</sup>.

٢- إدراك حال المنصوح من الأئمة، من حيث المنزلة، والطبائع، والعادات، والاهتمامات، والأعراف، والذي يؤثر فيه من الوسائل والأساليب القولية، وهذا مشاهد ومعلوم في

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة، إعداد: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (ص ٢٣)، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [٤]، جمادى الثانية ١٣٩٨ هـ.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة لابن باز (ص ٢٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٣).

(٤) سورة النحل، الآية (١١٦).

(٥) سورة التوبة، الآية (٦٧).

(٦) نصاب الاحتساب، تأليف: عمر بن عوض السنامي (ص ٣٣٢)، تحقيق: د. مريزن سعيد مريزن عسيري، الناشر: مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

رسالات الله، فإن الله يبعث الأنبياء من أقوامهم، كما قال ﷺ: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، يعني من عشيرتهم ونسبهم، يعرفون مولده، ومنشأه، وهو يعرف حالهم وعاداتهم؛ ليكون في ذلك إقامة للحجة، والمتبع لسنة النبي ﷺ يرى ذلك جلياً فيها، فإنه ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن بين له حالهم في قوله: ((إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب))<sup>(٢)</sup>.

وإذا لم يكن الناصح عالماً بحال المنصوح لم يوفق إلى الأسلوب الأمثل الذي يحصل به تحصيل المراد، ولو كان عالماً بالشرعية<sup>(٣)</sup>.

٣- المعرفة الكافية بكيفية النصيحة، والمقصود بذلك: أن يكون الناصح بصيراً حكيماً مدركاً للطرق المثلى في إيصال الحق للمنصوح، مستخدماً في ذلك أصلح الأساليب والوسائل المشروعة التي يُرجى بها حصول الغاية من النصيحة، يقول ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقد علم أن للأئمة والسلاطين والملوك مقاماً خاصاً، يخصصون معه بوسائل وأساليب تلائم مكانهم وما هم فيه، واستصحاب ذلك حال النصح من الواجب في النصيحة<sup>(٥)</sup>.

ولا يتم وصف النصيحة في الناصح ليؤدي بها النصيحة للمنصوح على الوجه

(١) سورة المؤمنون، الآية (٣٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله برقم [٦٩٣٧] (٢٦٨٥/٦).

(٣) انظر: المنهج الدعوي في مناصحة أئمة المسلمين لزيد العثمان (ص ٣٧٦).

(٤) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٥) انظر: القصاص والمذكرين لابن الجوزي (ص ٣٦٨ - ٣٩٦)، وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١/١٩٦).

الأكمل، حتى يستوفي هذه الأمور الثلاثة؛ ليكون نصحه على علم وليس على جهل<sup>(١)</sup>.

### الضابط الثالث: الحكمة:

وهي: إتقان الأمور بإنزالها في منازلها، ووضع كل شيء في موضعه بالطريقة والزمن المناسبين<sup>(٢)</sup>، وبناء على ذلك فإن الحكمة في النصيحة لا تأخذ أسلوباً مطرداً، ولا سياقاً جامعاً لا يتغير ولا يتبدل، بل إن إحكام الأمر في النصيحة، وإتقان الشأن فيها، يتطلب الإتيان بها على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي، بما يحقق بها المقصود الذي شرعت من أجله، وهو الإصلاح والتقويم<sup>(٣)</sup>، يقول ﷺ: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم، إلى سبيل ربك المستقيم، المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح بالحكمة: أي كل أحدٍ على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده"<sup>(٥)</sup>، فمراعاة المصلحة في تحصيل المقصود من النصح هو ميزان الحكمة في النصيحة، وهذا يتطلب أن يكون القائم بالنصيحة حكيماً، عنده القدرة على سياسة الأمر وتقدير المصالح؛ ولذا كان من أوتي الحكمة من المقدمين في الخير، يقول ﷺ: ﴿يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ

(١) انظر: زاد الداعية، تأليف: محمد بن صالح العثيمين (ص ١٦)، الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة -

المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (٢/ ٤٤٩)، وانظر: زاد الداعية لابن عثيمين (ص ١٨)، وانظر: الحكمة

في الدعوة إلى الله تعالى، تأليف: سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص ٣٠)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية

والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

(٣) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى لسعيد القحطاني (ص ٣٠).

(٤) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٥) تفسير السعدي (ص ٤٥٢).

يُوتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١﴾.

ولا بدّ للحكيم الناصح أن يتوفر فيه أركان الحكمة الثلاثة وهي:

١- العلم: وذلك بأن يكون عالماً بحكم المنصوح به، عالماً بحال المنصوح، عالماً بالطرق والوسائل المشروعة للنصيحة.

٢- الحلم: وهو "ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب"<sup>(٢)</sup>، وهذا من أعظم أركان الحكمة؛ لأن الغضب قطعة من الجنون<sup>(٣)</sup>، يعمي صاحبه عن إصابة الحق، وإنصاف الخلق، الذي هو من مقاصد الحكمة.

٣- الأناة: وهي من وسائل إصابة الحق؛ لأن العجلة تعرض صاحبها لكثير من الأخطاء، والإخفاق، والتعثر، والارتباك، ثم تعرضه للتخلف من حيث أراد السبق، وقد قيل: "رب عجلة أعقت ريثاً"<sup>(٤)</sup>، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، فعلى الداعية أن يكون وسطاً بين عجلة تحرمه الوصول، وريث يؤخره عن حاجته. ومن توفرت فيه هذه الأركان الثلاثة فقد أقام بنیان الحكمة في نفسه<sup>(٥)</sup>.

إن استصحاب الحكمة في النصيحة عموماً، ومع أئمة المسلمين بوجه خاص أمر لازم، يجسده عمل الحكيم الناصح في دعوته "بالعلم لا بالجهل، والبداة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين"<sup>(٦)</sup>، ومراعاة حال المدعو ومكانته، فإن ذوي الجاه والسلطان معهم من المنزلة والمكانة ما ليس لغيرهم؛ ولذا وجب ملاحظة ذلك

(١) سورة البقرة، الآية (٢٦٩).

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني (ص ١٢٩).

(٣) مأخوذ من قولهم: "الغضب جنون ساعة"، غريب الحديث للخطابي (٢/ ٢٦٧).

(٤) مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني (١/ ٢٩٤).

(٥) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله لسعيد القحطاني (ص ٤٤ - ٧٨).

(٦) تفسير السعدي (ص ٤٥٢).

حال النصيحة والوعظ، يقول ابن الجوزي رحمته الله: "فإن وعظ سلطاناً تلتطف غاية ما يمكن، ولم يواجهه بالخطاب، فإن الملوك إنما اعتزلوا الناس ليبقى جاههم، فإذا ووجهوا بالخطاب رأوا ذلك نقصاً، فليذكر الوعظ عاماً؛ ليأخذ السلطان منه نصيباً"<sup>(١)</sup>.

ولا يمكن أن يرسم للحكيم طريق يخصصه؛ لأن الحكيم يعلم حين منازلة الأمر كيف تورد الأمور من أبوابها، فربما سكت الحكيم عن النصيحة وهو يريد الكلام، وربما تكلم وقد عزم على السكوت، فلا ينبغي أن يناصح ذا سلطان إلا حكيم وعليم وحليم.

#### الضابط الرابع: الرفق:

والرفق "لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل والأيسر، وكثرة الاحتمال، وعدم الإسراع بالغضب والتعنيف"<sup>(٢)</sup>، ويكون مع أئمة المسلمين بعد الناصح عن المخاشنة، والعنف، والشدة، والجفاف، التي تمنع إيصال النفع إلى المنصوح.

إن الرفق من الصفات اللازمة في الناصح الذي يريد من دعوته ونصيحته هداية الناس وتذكيرهم؛ ولذا طبع الله عليها نبيه ﷺ، يقول ﷺ: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوُكُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٣)</sup>، يقول الشيخ عبدالله بن حميد رحمته الله: "أي: لو كنت خشناً جافياً في معاملتهم لتفرقوا عنك، ونفروا منك، ولم يسكنوا إليك، ولم يتم أمرك من هدايتهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم"<sup>(٤)</sup>، وكم رُدَّ حقُّ بين، ونفر من طاعة ثابتة، بسبب مجانبة الداعين إليها لخلق الرفق، فالله يعطي ويسهل من الأمور بالرفق ما لا يمنح ولا يعطي بغيره،

(١) القصاص والمذكرين لابن الجوزي (ص ٣٦٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤٤٩/١٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

(٤) الدعوة إلى الله، إعداد: عبدالله بن محمد بن حميد (ص ٤٢٠)، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [١]،

وفي الحديث: ((يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف))<sup>(١)</sup>، والمعنى: أنه يتأتى به من الأغراض، ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره<sup>(٢)</sup>، فإذا نصح الناصح وكان رفيقاً كان ذلك سبباً في انقياد المنصوح له، ومحبته إياه، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: "ثم إن الذي ينبغي للآمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون رفيقاً بأمره وفي نهيه؛ لأنه إذا كان رفيقاً أعطاه الله تعالى ما لا يعطي على العنف"<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان رفق الناصح بين الأثر في نفوس المدعويين، وذلك في استمالة قلوبهم إلى قول الناصح، وإقبالهم عليه، فإن أمر القيام بها متأكد جداً في معاملة الحكام ومناصحتهم، وقد أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يرفق في قوله مع فرعون الذي كان حاكماً على أرض مصر، فقال تعالى: ﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾<sup>(٤)</sup>، أي: "لا تجبهاه بما يكره، والطفاله في القول"<sup>(٥)</sup>.

إن الرفق مع الأمراء والسلاطين في مناصحتهم، سواء أكان بلين القول، أم المداراة في الإنكار والأمر، أم في التريث وعدم العجلة، أم بعدم التصريح المباشر لهم، هو منهج العلماء، وعادة الحكماء، يقول الجويني رحمته الله: "فإن قيل: لم تذكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

قلنا: الشرع من مفتتحة إلى مختتمه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وما يتعلق بالإمام فيه ما فصلناه، والدعاء إلى المعروف والنهي عن المنكر يثبت لكافة المسلمين، إذا قدموا بثبت وبصيرة، وليس إلى الرعية إلا المواعظ والترغيب والترهيب، من غير فظاظه وملق، ومن ظهر منه الصدق والديانة، وتجرد لله تعالى، وأوضح الحق وأبانه، على تخضع لله واستكانة، ثم زان برفقه شأنه، وما دخل الرفق أمراً إلا زانه، نجع كلامه في المستكبرين في زمانهم، المتولين

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق برقم [٢٥٩٣] (٤/٢٠٠٣).

(٢) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٨/٦٤)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٤٥).

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢/٤٠٥).

(٤) سورة طه، الآية (٤٤).

(٥) الكشف للزمخشري (٣/٦٥).

بأركانهم، فإن لم يرعوا؛ لم يكن للرعية المكاوحة<sup>(١)</sup>، وشهر الأسلحة، ولكنهم ينهون الأمور إلى الولاية، ثم إنهم يرون رأيهم في فنون الردع، كما سبق تفصيلها<sup>(٢)</sup>.

وقد ترك ﷺ مباشرة الأمر والنهي، والتصريح بلفظه اعتياضاً بمعناه؛ لأن الحر تكفيه الإشارة.

وقد شهد الواقع قبل العقل أثر ركوب العنف في المناصحة، وما جره على أمن الناس ودينهم ودعوتهم، يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز ﷺ في تحذير الدعاة من ذلك: "والأسلوب السيء العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله، وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات، ويلحق بهذا الباب ما قد يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شراً عظيماً على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع، والهاثفات، والمظاهرات، ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة، والمكاتبات بالتي هي أحسن، فتتصح الرئيس، والأمير، وشيخ القبيلة، بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات، ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر بالدعوة والدعاة، ويمنع انتشارها، ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضاداتها بكل ممكن... فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولو طالت المدة، أولى به من عمل يضر الدعوة ويضايقها، أو يقضي عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله"<sup>(٣)</sup>.

ومن كان هدفه الإصلاح والخير والنصيحة، فإنه لن يجد سبيلاً موصلاً أتم ولا أكرم من الرفق واللطف، وبالرفق يحصل التمكن من الخير، وذلك للناصح في حصول الأجر،

(١) المكاوحة: مفاعلة، تقول: "كاوحت فلاناً مكاوحة إذا قاتلته فغلبته، ورأيتها يتكاوحيان، والمكاوحة أيضاً في الخصومات وغيرها". تهذيب اللغة للأزهري، مادة (كوح) (٥/٨٤).

(٢) غياث الأمم للجويني (ص ٢٣٧ - ٢٣٨).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز، جمع وترتيب: د. محمد الشويعر (٦/٥١٥).

وللمنصوح في الاستقامة والصلاح.

### الضابط الخامس: الصبر:

وأعني بالصبر في مناصحة أئمة المسلمين، حمل النفس على مراد الشرع في النصيحة قبل العمل بتصحيح النية، ومعه بحسن الاتباع، وبعده باحتمال الأذى والبعد عن مبطلات العمل. والصبر من عبادات الأخلاق التي لا يقوم إسلام وإيمان إلا بها، قال علي رضي الله عنه: "الصبر من الإيثار بمنزلة الرأس من الجسد"<sup>(١)</sup>، فكما أنه لا يقوم جسد بلا رأس، فكذلك لا يستقيم دين بغير صبر؛ ولذا ثنى القرآن بذكره مرة بعد مرة، وأبدأ فيه وأعاد؛ ليعلم المؤمن عظيم ثوابه، وكبير منزلته، قال الإمام أحمد رحمته الله: "ذكر الله الصبر في القرآن في تسعين موضعاً"<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن الصبر الجميل من أهم ضوابط مناصحة أئمة المسلمين "وهو العنصر الذي لا بد منه، حتى يتحقق الإصلاح، ولا تنعكس النتيجة؛ ولذلك ذكره بعد الأمر مباشرة، فقال حكاية عن لقمان في وصيته لابنه: ﴿يَبْنَئِ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(٣)</sup>، فكل أمر بمعروف أو ناه عن منكر لا بد له من الأذى، سواء في نفسه أو ماله أو عرضه، وأقله انصراف الناس عنه، فإن لم يكن من ذوي الهمم العالية، والنظر البعيد، والصدر الرحب، الذين يقطعون كل العقبات التي تعترضهم في طريق

(١) الزهد، تأليف: أبي سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس الرؤاسي (ص ٤٥٠)، حققه وقدم له وخرج أحاديث وآثاره: عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ص ٧١)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٣) سورة لقمان، الآية (١٧).

دعوتهم بالصبر لم ينجح"<sup>(١)</sup>، وصار عمله وبالاً عليه وعلى الدعوة، وانقلب من النصيحة بأوكس الخسارتين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وينبغي أن يكون الداعي حليماً صبوراً على الأذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح"<sup>(٢)</sup>.

إن على الناصح لأئمة المسلمين أن يكون من أهل القوة والأمانة؛ ليحمل بهما الصبر وحسن الاحتمال في بدنه ونفسه؛ "لأن مظنة وقوع الأذى البدني أو النفسي عليه حاصل"<sup>(٣)</sup>. وأن يبعد عن آفات الصبر التي تذهب وصفه عنه، ومن أشدها:

- الاستعجال: فمن استعجل النتائج حرم الوصول للغايات، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْوَةِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.
- الغضب: لأن الناصح قد يسمع ما يكرهه، وقد يرى ما لا يرضيه من المنصوح، فعليه أن يتحلى بالحلم؛ "إذ لا بد أن يكون المحتسب حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه"<sup>(٥)</sup>.
- سهولة الاستثارة: فعلى الصابر أن يكون راجح العقل، ذا أناة وتؤدة، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، يعني: "لا يستخفن

(١) الحسبة على ذوي الجاه والسلطان، إعداد: محمد بن حسن بن إسماعيل عطيف (ص ٧٩)، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الماجستير في المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٢هـ.

(٢) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٢٨/١٣٦).

(٣) المنهج الدعوي في مناصحة أئمة المسلمين لزيد العثمان (ص ١٦٧).

(٤) سورة الأحقاف، الآية (٣٥).

(٥) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٢٨/١٣٧).

(٦) سورة الروم، الآية (٦٠).

حلمك ورأيك هؤلاء المشركون"<sup>(١)</sup>، فلا يحسن بالناصح أن يكون سهلاً أن يستشار،  
فيخرجه ذلك عن المروءة والأدب.

ومتى كان الناصح صبوراً فقد أفلح وأنجح، وبلغ المراد إن شاء الله.

وهذه الضوابط الخمس: الإخلاص، والعلم، والحكمة، والرفق، والصبر، هي أصول  
الضوابط المتعلقة بالناصح، وما سواها فهو داخل فيها؛ إذ من استوفى تلك الضوابط أقام  
المناصحة على المنهج الصحيح السليم المستقيم غير المعوج.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/١٢٠).

## المطلب الثاني

### ضوابط مناقحة أئمة المسلمين المتعلقة بالمنصوح به

المنصوح به هو موضوع النصيحة، الذي طرأ عليه ما يوجب بذل ما يتممه ويقومه، ويشمل كل ما أمر الله به من الخير، وكل ما نهى عنه وزجر من الشر، من الأقوال والأفعال والاعتقادات الظاهرة والباطنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "وكل ما أحبه الله ورسوله، من واجب ومستحب، من باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله الأمر به، وكل ما أبغضه الله ورسوله، من باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله النهي عنه، لا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله، ويترك ما أبغضه الله، سواء كان من الأقوال أو الأفعال، الباطنة أو الظاهرة"<sup>(١)</sup>؛ ولذا فإن موضوع النصح الذي يلزم منه الأمر والنهي لا يكون إلا بسطان الشرع؛ لأن ميزان المعروف والمنكر هو كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>.

وتتناول الدراسة أهم الضوابط المتعلقة بموضوع النصيحة، والمؤثرة على حكمها، فيما يتعلق بجانب الاحتساب والوعظ القولي، كما سبق الإشارة إليه في مبدأ الضوابط:

#### الضابط الأول: أن يكون المنصوح به في دائرة المشروع:

إن ميزان معرفة المعروف، وتميز المنكر، هو الشريعة، فبالوحي يُعرف الحلال، ويُحد الحرام، ويتميز الخبيث من الطيب، وليس للخلق أن يجعل من الأشياء حراماً يترك، أو حلالاً يؤتى، يقول صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٧٧/١٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٦١/١٥)، و (١٢٣/٢٧)، وانظر: تذكرة أولي الغيبر

بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأليف: عبدالله القصير (ص ٢٠)، الناشر: دار العاصمة، الرياض -

المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

(٣) سورة يونس، الآية (٥٩).

فما جاء الأمر به في القرآن أو السنة أو نُدب إليه فيهما، أو أُثني على العمل وعلى أهله القائمين به، وأُخبر أنه مما يحبه الله ويرضاه، ويكرم أهله بثواب الدنيا والآخرة فهو المعروف الذي ينصح به، وما ورد النهي عنه فيهما، بالتحذير والزجر والعقاب وذم أهله، فهو المنكر الذي ينهى عنه، وينصح فاعله بالترك<sup>(١)</sup>.

وعليه فكل ما أُخِلَّ بأمر الشارع وحده، أو بمقتضى الدليل ولازمه، فهو من المنصوح به، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "فالدعوة إلى الله: تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه، وهذا هو: الأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر، والرسول ﷺ قام بهذه الدعوة؛ فإنه أمر الخلق بكل ما أمر الله به، ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه؛ أمر بكل معروفٍ ونهى عن كل منكر"<sup>(٢)</sup>.

ولا بد في المنصوح به إذاً أن يكون داخلياً تحت أمر الشارع أو نهيه، وذلك بأن يكون طلباً لفعل مطلوبٍ فعله بالوحي، أو طلباً لترك ما نهى الشارع عن مقاربتة، وعليه فإن النصح بترك ما أوجبه الله، أو الحث على فعل ما نهى الله عنه لا يعد نصحاً، ومن اتخذ ذلك ديناً كان مبتدعاً ضالاً مبطلاً<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يتبين أن ميزان معرفة المنصوح به الوحي المنزل، يقول الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: "فالدليل على

(١) انظر: مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٢١/٢٨)، وانظر: الاستقامة، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (١٩٨/٢)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٤٤٨/١٠) وانظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة (نكر) (١١٥/٥)، وانظر: تذكرة أولي الغيّر لعبدالله القصير (ص ١٢ - ٣٠).

(٢) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٦١/١٥).

(٣) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤٢ - ٤٣)، وانظر: زاد الداعية لابن عثيمين (ص ١٧)، وانظر: المنهج الدعوي في مناصحة أئمة المسلمين لزيد العثمان (ص ٣٧٣).

كون ذلك الشيء معروفاً أو منكرًا هو الكتاب أو السنة<sup>(١)</sup>، ومن لم يكن عالماً بالأمر الذي ينصح به، لم يكن له وجه حق في تخطئة أئمة المسلمين، أو وصفهم بالتقصير، وكذا لم يكن للنصيحة حينئذٍ محلٌّ ولا سبب يقتضي القيام بها.

### الضابط الثاني: تحقق حصول المنصوح به:

المسلم مأمور بإجراء أحكام الناس على ظاهرها، وليس له أن يتتبع سرائرهم، ولا أن يتعقب بواطنهم، أو يسأل عن ماضيهم، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريره شيء، الله يحاسبه في سريره، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه، ولم نصدق، وإن قال: إن سريره حسنة"<sup>(٢)</sup>.

فالإسلام ضمن للإنسان أن يعيش في كرامة ومنفعة، وأن يبقى مصوناً في عرضه كما يصاب في ماله ودمه.

إن حسن القصد في الإصلاح لا يسوّغ لأحد أن يسلك طريقاً غير مشروع للوصول إلى غايته، فالغاية لا تبرر الوسيلة، وإن من شرط النصيحة أن يكون الأمر المنصوح به واقعاً وقوعاً يقينياً، ظاهراً بادياً لعلم الناصح؛ إذ الغرض من النصح هو إصلاح الناس، وليس إدانتهم وإلصاق التهم بهم؛ ولذا نهى الشارع عن تكلف العلم بأمر المنصوح به، ومن ذلك:

### ١ - تحريم التجسس وسوء الظن:

جاءت النصوص ناهية عن التجسس على المؤمنين عموماً وسوء الظن بهم، يقول صلى الله عليه وسلم:

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني

(٢٠٦/١)، تحقيق: أحمد عزو عناية، قدم له: الشيخ خليل الميس، ود. ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار

الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب الشهداء برقم [٢٤٩٨] (٢/٩٣٤).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا جَسَسُوا﴾<sup>(١)</sup>، وفي هذه الآية نهي صريح للمؤمنين عنه؛ لأن الأصل في سيرة المؤمن حسن الظن به، ولا يجوز أن ينطلق الناصح في نصيحته مفترضاً في المؤمنين سوء الظن بهم، فيفتش عن عوراتهم، وينقب عن زلاتهم، يقول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: "إني سمعت من رسول الله ﷺ كلاماً نفعني الله به، سمعته يقول: ((أعرضوا عن الناس، ألم تر أنك إن اتبعت الريبة في الناس أفسدتهم، أو كدت تفسدهم؟))<sup>(٢)</sup>، ومتى ما كان الظن حجة الناصح لم يكن معه في ذلك سلطان، قال ﷺ: ((إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث))<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا فإنه لا يجوز أن تُبنى النصيحة لأئمة المسلمين على الظن والحدس، ولا أن يُصار إلى معرفة الأمر المنصوح به بالتجسس والتحسس، وتكلف الاطلاع على ما طوي عن علم الناس، يقول ابن حجر الهيتمي رحمته الله: "وليس لأحد البحث والتجسس، واقتحام الدور بالظنون"<sup>(٤)</sup>، بل إن الواجب هو الستر بعد العلم، وإقالة العثرة قدر الإمكان، قال ﷺ: ((أقيلوا

(١) سورة الحجرات، الآية (١٢).

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبراني في المعجم الكبير برقم [٨٥٩] [٣٦٥/١٩]، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٢٣٩).

ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب النهي عن التجسس برقم [٤٨٨٩] [٢٧٢/٤]، والإمام أحمد في مسنده برقم [٢٣٨١٥] [٢٣٧/٣٩]، والحاكم في المستدرک على الصحيحين برقم [٨١٣٧] [٤١٩/٤] بلفظ: ((إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم))، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٩٣).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير برقم [٥٧١٧] [٢٢٥٣/٥]، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها برقم [٢٥٦٣] [٤/١٩٨٥].

(٤) تحفة المحتاج في شرح المنهاج لابن حجر الهيتمي (٩/٢١٩).

ذوي الهيئات عثرتهم إلا الحدود<sup>(١)</sup>، والمعنى: اعفوا وسامحوا عن أهل الهيئات، وهم: ذوو الشرف والسؤدد بين الناس، والخطاب وإن كان للأئمة، فإنه يشملهم أيضاً بطريق الأولى، فتقال عثرتهم، وتستر زلتهم<sup>(٢)</sup>.

## ٢- الثبوت والأناة:

إن منهج الثبوت والتبيين منهج شرعي أصيل، لا يسع المسلم الناصح أن يخل به، يقول ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "والثبوت في سماع الأخبار وتمحيصها ونقلها وإذاعتها والبناء عليها أصل كبير نافع، أمر الله به ورسوله ﷺ، قال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، فأمر بالثبوت، وأخبر بالأضرار المترتبة على عدم الثبوت، وأن من ثبت لم يندم، وأشار إلى الميزان في ذلك بقوله ﷺ: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ﴾، وأنه العلم والتحقق في الإصابتة وعدمه... وأحوج الناس إلى

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه برقم [٤٣٧٥] [٤/١٣٣]، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الرجم، باب التجاوز عن زلة ذي الهيئة برقم [٧٢٥٣] [٦/٤٦٨]، والإمام أحمد في مسنده برقم [٢٥٤٧٤] [٤٢/٣٠٠]، والدارقطني في سننه، كتاب الحدود والديات وغيره برقم [٣٥٧٣] [٤/٢٨٧]، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٢٣١).

(٢) انظر: شرح مصابيح السنة، تأليف: محمد بن عز الدين عبداللطيف بن أمين الدين الرومي، المشهور بابن الملك (٤/٢٠٠)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م؛ وانظر: لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، تأليف: عبدالحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي (٦/٣٧٨)، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م؛ وانظر: فتح ذي الجلال والإكرام لابن عثيمين (٥/٤٢٧).

(٣) سورة الحجرات، الآية (٦).

هذا الأمر الولاية على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم، وأهل العلم على تفاوت درجاتهم" (١).

ولا بد للناصح أن يستصحب الثبوت والأناة قبل الشروع في النصح؛ لأن الأصل هو البراءة والعدم، فكم من عجلة أوردت أصحابها ذل الذنب والاعتذار، يقول ﷺ: ((التأني من الله، والعجلة من الشيطان)) (٢)، يقول ابن داود الصالحى ﷺ: "ومما يستحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الأناة والتؤدة والثبوت... قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا صُرِتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ (٣) (٤).

ولعظم أمر الثبوت في النصيحة والدعوة كان النبي ﷺ لا يقاتل أحداً من الكفار إلا بعد التأكد أنهم لا يقيمون شعائر الإسلام (٥)، فعن أنس ﷺ "أن النبي ﷺ إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزوا بنا حتى يصبح ويتنظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم" (٦).

ويتحقق أمر الثبوت والأناة في الناصح مع المنصوح به في أمور:

(١) الفتاوى السعودية، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ص ٥٦)، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده برقم [٤٢٥٦] [٢٤٧/٧]، والطبراني في مسند الشاميين برقم [٢٣٥٨] [٣/٣١٠]، والبيهقي في السنن الصغير، كتاب آداب القضاء، باب الثبوت في الحكم برقم [٣٢٤٤] [٤/١٢٨]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣٢٧/٧): "رجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٤٠٤).

(٣) سورة النساء، الآية (٩٤).

(٤) الكنز الأكبر لابن داود الصالحى (ص ٣٨٩).

(٥) انظر: قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة، تأليف: د. حمود بن أحمد الرحيلي (ص ٤٤)، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، <https://www.moia.gov.sa/Pages>، تاريخ الدخول: ٢٠/٧/١٤٤٢هـ.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء برقم [٥٨٥] [١/٢٢١]،

- ١ - أن يكون الأمر المنصوح به قائماً بالمنصوح ظاهراً فيه وقت النصيحة<sup>(١)</sup>.
- ٢ - التحقق من كون الأمر المنصوح به مخالفاً للشريعة.
- ٣ - التأكد من سلامة المنصوح من عوارض الأهلية، مثل: الإكراه، والجهل، والعجز، ونحو ذلك.

ويتأكد أمر التثبيت والتأني في النصيحة مع ولاة الأمر وأئمة المسلمين؛ لأن عملهم قد يظهر عند الناس في ثوب المخالفة والتقصير، وهو في باطنه برٌّ ومصلحةٌ راجحة، وفي صلح الحديبية أعظم العبر<sup>(٢)</sup>، فإن بادى الرأي فيها عند بعض الناس ذلٌ للإسلام وأهله وخذلان للمظلومين، مع أن عاقبتها ما شهدته المسلمون من الثمرات الباهرة، والفوائد المتظاهرة، التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس في الإسلام أفواجاً وجماعات، وكم شهد الناس في واقعنا من ملومٍ مُجِدِّ فعله بعدما استبان العاقبة.

#### الضابط الثالث: أن يكون المنصوح به معلوماً بغير اجتهاد:

من الضوابط المهمة لنجاح أمر النصيحة، علمُ الناصح بمسائل الاجتهاد، واتساع صدره لقبول الخلاف؛ فإنه "ليس لأحد أن يجبر غيره على أخذ رأيه الذي أدّاه اجتهاده إليه، ولم يرو في الكتاب ولا في السنة ما يدل عليه، وليس له كذلك أن ينكر على أحدٍ خالفه في اجتهاده، حيث لم يعرف المصيب من المخطئ"<sup>(٣)</sup>، وإنما يكون الإنكار والنصح فيما عُلِمَ نكارتة بغير اجتهاد،

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٣٢٤)، وانظر: الكنز الأكبر لابن داود الصالحى (ص ٢٣).

(٢) رويت قصة صلح الحديبية في صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط برقم [٢٥٨١] (٢٩٧٤).

(٣) حكم الإنكار في مسائل الخلاف، تأليف: د. فضل إلهي ظهير (ص ٧١)، الناشر: إدارة ترجمان الإسلام،

ججرانواله - باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

وقد نص الفقهاء على ذلك بقولهم: "لا ينكر المختلف فيه، وإنما يُنكر المجمع عليه"<sup>(١)</sup>، فالمسائل المجمع عليها، تدخل في دائرة النصح والإنكار، مثل: المسائل المعلومة من الدين بالضرورة، كتحریم الزنا، والربا، وفرض الصلاة، والزكاة، وسائر أركان الإسلام، قال النووي رحمته الله: "ثم إن العلماء إنما ينكرون ما أجمع على إنكاره، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه؛ لأن كل مجتهد مصيب، أو المصيب واحد ولا نعلمه... ولم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين في الفروع، ولا ينكر أحد على غيره مجتهداً فيه، وإنما ينكرون ما خالف نصاً، أو إجماعاً، أو قياساً جلياً"<sup>(٢)</sup>.

ولا فرق في كون المنصوح به صدر من مجتهد أو من مقلد ما دام في دائرة الاجتهاد السائغ، يقول ابن القيم رحمته الله: "وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساع، لم ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً"<sup>(٣)</sup>.

وفهم هذا الضابط وإدراكه من الوسائل الدعوية المهمة، فكم ضيق على مدعو، وكم نُقْر من منصوح، وكم ظلم من محتسب عليه بسبب الجهل بهذا الأصل النافع، قال الإمام أحمد رحمته الله: "لا ينبغي للفقهاء أن يحمل الناس على مذهبه، ولا يشدد عليهم"<sup>(٤)</sup>؛ لأن العلم بالخلاف من التيسير والتوسعة على الأمة؛ ولا يحل لمن عمل به أن يلحق بمن خالفه لوماً ولا أذى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي (ص ١٥٨)، وانظر: موسوعة القواعد الفقهية، تأليف: محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو (٨/١١٠٢)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٢٣م.

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (١٠/٢١٩ - ٢٢٠)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٣) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٣/٢٢٤).

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/١٦٦).

(٥) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٢٠/٢٠٧).

وقد وقع عند بعض العلماء خلاف في هذا الضابط، وسببه أن بعضهم عدّ مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد<sup>(١)</sup>، فمَنع الإنكار على كل قول ولو خالف الدليل، وشدّد عن الإجماع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "وقولهم: مسائل الخلاف لا إنكار فيها، ليس بصحيح، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم، أو العمل.

أما الأول: فإذا كان القول يخالف سنة، أو إجماعاً قديماً وجب إنكاره وفاقاً.

وإن لم يكن كذلك فإنه يُنكر، بمعنى بيان ضعفه عند من يقول: المصيب واحد، وهم عامة السلف والفقهاء.

وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة، أو إجماع وجب إنكاره أيضاً بحسب درجات الإنكار، كما ذكرنا من حديث شارب النبيذ المختلف فيه... وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساع، لم يُنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً، وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف، هي مسائل الاجتهاد، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس، والصواب الذي عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً، مثل حديث صحيح لا معارض من جنسه فيسوغ له - إذا عدم ذلك فيها - الاجتهاد؛ لتعارض الأدلة المتقاربة، أو لخفاء الأدلة فيها، وليس في ذكر كون المسألة قطعية طعن على من خالفها من المجتهدين، كسائر المسائل التي اختلف فيها السلف، وقد تيقنا صحة أحد القولين"<sup>(٢)</sup>.

والقول الصحيح والله أعلم "أن هذا الضابط لا يؤخذ على إطلاقه؛ إذ لو أخذ به مطلقاً

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٣/ ٢٢٤).

(٢) الفتاوى الكبرى، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (٦/ ٩٦)، تحقيق: حسنين محمد مخلوف،

الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ.

لذهب الدين كله؛ لأن المسائل كلها لا تخلو من خلاف بين العلماء"<sup>(١)</sup>، ويكمن تحقيق معنى هذا الضابط في حالين:

**الحال الأولى:** أن يكون الأمر المنصوح به مما يسوغ فيه الاجتهاد، "بمعنى: أن الخلاف ثابت حقاً، وله حكم النظر، فهذا لا إنكار فيه على المجتهد، أما عامة الناس فإنهم يلزمون بما عليه علماء بلدهم، لئلا يتفلت العامة؛ لأننا لو قلنا للعامي أي قول يمر عليك لك أن تأخذ به، لم تكن الأمة أمة واحدة"<sup>(٢)</sup>.

أما إن كان الاجتهاد فيه غير سائع، وكان ذريعة إلى محذور متفق عليه، فإنه لا يندرج تحت هذا الضابط - كما تقدم -، يقول الماوردي رحمته الله: "وأما المعاملات المنكرة كالزنا والبيع الفاسدة، وما منع الشرع منه مع تراضي المتعاقدين به إذا كان متفقاً على حظره، فعلى والي الحسبة إنكاره، والمنع منه، والزجر عليه"<sup>(٣)</sup>، سواء أكان العامل به مجتهداً أم عامياً.

**الحال الثانية:** أن يكون الخلاف مرتفعاً بحكم الحاكم، فحينئذٍ ليس للناصح والمحتسب أن ينكر في المسائل التي اختار لها ولي الأمر قولاً وحمل الناس عليه، بل يجب عليه أن يصير إلى قول ولي الأمر ولو رأى خلافاً، خاصة في المسائل المتعلقة بأمر الولاية والجماعة، وتجب طاعته فيها؛ لأنها من طاعة الله، إلا إذا خالف الحاكم أمراً مجتمعاً عليه؛ فإن الضابط يبقى على حاله، ولو اتبع في ذلك قول بعض العلماء"<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان قول الحاكم واختياره مؤثراً في الخلاف السائع، وكان أثر اختياره ممتداً إلى الإلزام

(١) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٤/٤٩).

(٢) المصدر السابق (١٤/٤٩).

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٣٦٧)، وانظر: إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٣/٢٢٤)، وانظر: الأشباه والنظائر للسيوطي (ص ١٥٨).

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/٩٦).

بالعمل، تبيين للناظر عظيم أمر هذا الضابط، وأهمية استصحاب الناصح له مع ولاة أمر المسلمين، فنصوص الوحيين، وإجماع سلف الأمة تدل على أن الحاكم يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في ذلك<sup>(١)</sup>، وكم تسبب الجهل بهذه الأمور على جماعة المسلمين من المشاغبات والأراجيف التي لبست أثواب النصيحة والاحتساب، وما كل من أراد الخير أصابه، إذا لم يكن بصيراً أو عالماً.

#### الضابط الرابع: اعتبار مبدأ الموازنة في المنصوح به:

وهذا المبدأ من أدق الضوابط وأعزها، ولا يقوى على تحمله إلا ذو علم وفقه وحكمة؛ لأن الأمر المقصود بالنصح قد يجتمع فيه ما يوجب الفعل والترك، أو التقديم والتأخير، فاحتيج في ذلك إلى بصيرة عادلة تقوم بالأمر على وجهه الصحيح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "وهذا أصل عظيم: وهو: أن تعرف الحسنه في نفسها علماً وعملاً، سواءً كانت واجبة أو مستحبة، وتعرف السيئة في نفسها علماً وقولاً وعملاً، محظورة كانت أو غير محظورة - إن سميت غير المحظورة سيئة -، وإن الدين تحصيل الحسنات والمصالح، وتعطيل السيئات والمفاسد، وإنه كثيراً ما يجتمع في الفعل الواحد أو في الشخص الواحد الأمران، فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، كما يتوجه المدح والأمر والثواب إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية والفجورية، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية البرية، فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب

(١) انظر: جامع شروح العقيدة الطحاوية، تأليف: الإمام ابن أبي العز الحنفي، والعلامة صالح آل الشيخ (٢/٩١٣)،

مع تعليقات الشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ صالح الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، القاهرة - مصر،

الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

والميزان" (١).

ومن أهم ما ينضبط به أمر الموازنة في المنصوح به شيئان، هما:

١ - اعتبار المصالح والمفاسد.

٢ - تقديم الأولى.

١ - اعتبار المصالح والمفاسد:

شريعة الإسلام مبنية على تحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتعطيلها أو تقليلها؛ ولذا فإن من الضوابط المقدمة في النصيحة اعتبار المصلحة، ودرء المفسدة، وإذا علم الناصح أن عمله يقوم على ذلك، تعيّن عليه أن يدرك منازل المصالح، ومراتب المفاسد، ليتأتّى له حينئذٍ القدرة على إكمال الموازنة بينهما، ولن يكون له ذلك حتى يكون له من العلم بالشريعة، والرسوخ في فهمها، ما يفي له بذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقّل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدالاتها على الأحكام" (٢).

ومع ذلك فإن اعتبار المصلحة والمفسدة أمر أغلبى، يقوم على ظن المجتهد ومقارنته، ولا يمكن أن يقطع للمختلفين بحكم، يقول العز بن عبد السلام رحمته الله: "وفي الوقوف على تساوي المفاسد وتفاوتها عزة، ولا يهتدي إليها إلا من وفقه الله تعالى، والوقوف على التساوي أعز من

(١) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٠/٣٦٦).

(٢) المصدر السابق (٢٨/١٢٩).

الوقوف على التفاوت، ولا يمكن ضبط المصالح والمفاسد إلا بالتقريب"<sup>(١)</sup>.

إن على الناصح أن يوازن بين درجات المنصوح به، وأن يقدر منزلة المفسدة من المصلحة، ورتبة المصلحة من المفسدة فيه؛ ليتمكن بعدها من اقتراف أدنى المفاسد لتحصيل أعلى المصالح، أو ترك أدنى المصالح لدرء أعلى المفاسد ونحو ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "إذا تعارضت المصالح والمفاسد، أو الحسنات والسيئات، أو تراحمت فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة"<sup>(٢)</sup>.

وبناءً على ذلك فقد بيّن ابن القيم رحمته الله ميزان تقدير المصالح والمفاسد في المنصوح به، وجعل المنكر على أربع درجات:

الأولى: أن يزول المنكر المنصوح به ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل المنكر، وإن لم يزل بالكلية.

الثالثة: أن يحل محله مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فميزان المصلحة والمفسدة يقتضي مشروعية الدرجتين الأوليين، وينهى عن الدرجة

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تأليف: أبي محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسليمان العلماء (١/٢٤)، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، الناشر: دار المعارف بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٢) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٢٨/١٢٩).

الرابعة، وتبقى الدرجة الثالثة محل نظرٍ واجتهاد<sup>(١)</sup>.

إن اعتبار الموازنة بين المصالح والمفاسد في أمر المنصوح به مع أئمة المسلمين من أعز الأمور وأدقها، التي لا يُهدى إليها إلا الموفقون؛ وذلك لعظم خطر الإمامة، وكثرة متعلقات أمرها، فربما اجتمع الناصحون على مخالفة الإمام في أمر المنصوح به، ثم استبان لهم بعد ذلك موافقته للصواب، وفي حادثة قتال المرتدين زمن الصديق ﷺ أكبر دليل، يقول الماوردي رحمته الله: "وطائفة أقاموا على الإسلام ومنعوا الزكاة بتأويل اشتبه، فخالفه [يعني أبا بكر] أكثر الصحابة في الابتداء، ثم رجعوا إلى رأيه ووافقوه عليه في الانتهاء حين وضع لهم الصواب، وزالت عنهم الشبهة... فكان انعقاد الإجماع معه بعد تقدم المخالفة له أوكد"<sup>(٢)</sup>، وهذا يوجب على الناصح ألا ينصح إلا بعد أن يستبين له أمر المصلحة في المنصوح به، وأن لا يلحق اللوم بالمخالف، فربما كان حكم الصواب مع المنصوح الذي خفي وجه الحق معه على الناصح.

كما أن حسن التقدير في المصالح والمفاسد قد يفضي بالمنع من مناصحة أئمة المسلمين إذا علم الناصح غلبة الضرر الذي يفضي إليه في زوال المنصوح به، يقول ابن القيم رحمته الله: "إذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه، ويمقت أهله، مثل الإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: ((لا، ما أقاموا الصلاة)) وقال: ((من رأى من أميره ما

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٤/٣).

(٢) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد

بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (١٣/١٠١)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل

أحمد عبدالموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م.

يكرهه فليصبر ولا ينزع يداً من طاعته<sup>(١)</sup>، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكرٍ، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها...<sup>(٢)</sup>، فكان مع مراعاة هذا الأصل تمكين الإسلام، وإزالة هذه المنكرات من أصلها.

## ٢- تقديم الأولى:

إن البدء بالأهم فالأهم من الضوابط التي تحكم القيام بواجب النصيحة؛ وذلك بأن يبدأ الناصح بما بدأ الله به من أمور الشرائع والواجبات، ويقدم في النهي ما عظم جرمه من الموبقات والمقحّمات، فتكون الفرائض في باب الأوامر مقدمة على المندوبات والمستحبات، وتكون الكبائر في باب الزواجر سابقة لما نهى الله عنه ورسوله ﷺ من المكروهات.

ومبدأ مراعاة الأولويات مبدأ فطري صحيح، تفهمه العقول السليمة بأصل تمييزها للأشياء، يقول العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ: "واعلم أن تقديم الأصلح فالأصلح، ودرء الأفسد فالأفسد، مركوز في طبائع العباد، نظراً لهم من رب الأرباب، كما ذكرنا في هذا الكتاب.

فلو خيرت الصبي الصغير بين اللذيذ والألذ، لاختر الألدّ، ولو خير بين الحسن والأحسن لاختر الأحسن، ولو خير بين فلس ودرهم لاختر الدرهم، ولو خير بين الدينار والدرهم لاختر الدينار، ولا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح، أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين الرتبين من التفاوت"<sup>(٣)</sup>؛ ولذا لم يكن للناصح حجة في تفويت هذا

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم برقم [١٨٥٥] (٣/١٤٨٢)، ولفظه: "... قلنا: يا رسول الله، أفلا ننازلكهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال، فراه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعة».

(٢) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٤/٣).

(٣) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام (٩/١).

المبدأ الجليل في المناصحة؛ غير أن معرفة الأهم وتمييزه عن المهم مفتقر إلى أمرين، هما:

١ - العلم الشرعي بحكم المنصوح به.

٢ - معرفة ما يحق المنصوح به من ظروف الحال والزمان والمكان المؤثرة على تقدير المصالح والمفاسد.

فإذا تحقق الناصح من هذين الأمرين، ونظر في مآل الحال للنصيحة، واستبان له مسار الطريق، شرع في نصيحته وفق المنهج الشرعي.

إن مراعاة الأولويات في النصيحة والدعوة، وتقديرها من خلال معرفة مكان المنصوح به من الدين، منهج شرعي أصيل، رسمه النبي ﷺ لمعاذ ﷺ حينما بعثه إلى اليمن، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب))<sup>(١)</sup>.

وهو الأمر الذي يجب أن يلتزمه الناصح العالم الحكيم في مناصحته لولاة أمر المسلمين وأئمتهم، فيتدرج في عرض النصيحة بفقهِ الأولويات في المنصوح به، مستصحباً في ذلك ما يحفظها من أحوال وظروف، وما يؤول إليه أمرها من المصالح والمفاسد، فالذي يناسب حال السلم واستقرار الأمور، قد لا يتأتى إبان الحروب والفتن، وما يسوغ قوله حال الرخاء، قد لا

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع برقم [٤٠٩٠] [٤/١٥٨٠]، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام برقم [١٩] [١/٥١].

يصلح وقت الشدة والبلاء، ومرد تقدير ذلك لعلم الناصح وحكمته بعد توفيق الله<sup>(١)</sup>.

### الضابط الخامس: أن يكون عرض المنصوح به سراً:

الأصل في النصيحة الإسرار، إذ يجب ستر عورات المسلمين، وهذا من سمات وصفات أهل الدين والمروءة<sup>(٢)</sup>، وبهذا أمر الله نبيه ﷺ، قال ﷺ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعَظُّهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾<sup>(٣)</sup>، قال الرازي رحمه الله: "قل لهم في أنفسهم، خالياً بهم، ليس معهم غيرهم على سبيل السر؛ لأن النصيحة على الملاءم تقريع، وفي السر محض المنفعة"<sup>(٤)</sup>.

إن النصيحة في السر إصلاح وتذكير، ونشرها على الملاءم فضيحة وتعيير، وإذا كان مراد الناصح إصلاح المنصوح، فإن مصلحة النصح تقتضي أن يسلك فيه ما يجلب قبول النصيحة والأخذ بها، وهو المنهج الذي سار عليه السلف الصالح في دعوتهم وتذكيرهم، قال يحيى بن معين رحمه الله: "ما رأيت على رجل خطأ إلا سترته، وأحبت أن أزين أمره، وما استقبلت رجلاً من وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك وإلا تركته"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن رجب رحمه الله: "كان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً، حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه"<sup>(٦)</sup>.  
والأحق بنصيحة السر هم ولاة أمر المسلمين، وذلك لصيانة حق الأبهة والهيبة، الذي يُجدش بجرأة المخاشنة والتشهير بالنصيحة، قال هارون الرشيد رحمه الله للأصمعي رحمه الله: "وقرنا

(١) انظر: المنهج الدعوي في مناصحة أئمة المسلمين لزيد العثمان (ص ٣٩٧).

(٢) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٥٢)، وانظر: الكنز الأكبر لابن داود الصالحي (ص ٢٤٥)، وانظر:

غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، تأليف: شمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني

(١/٢٠١)، الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

(٣) سورة النساء، الآية (٦٣).

(٤) تفسير الرازي (١٠/١٢٤).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/٨٣).

(٦) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٢٢٥).

بالملا، وعلمنا في الخلاء"<sup>(١)</sup>، فعلى من رأى من إمامه ما يوجب الوعظ والتذكير أن يخلص به نجياً، بقول لين، وكلام رفيق، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قيل له: "ألا تدخل على عثمان لتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعتمكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه"<sup>(٢)</sup>، قال القاضي عياض رحمته الله: "مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام، لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به، وينصحه سرّاً؛ فذلك أجدر بالقبول"<sup>(٣)</sup>.

وليجتهد الناصح في إسراره بالنصح قدر الإمكان، ويلزم من هذا أمران، هما:

١ - خلو المكان ممن لا يتعلق بعلمه مصلحة، قال ابن النحاس رحمته الله: "ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رؤوس الأشهاد، بل يود لو كلمه سرّاً، ونصحه خفية من غير ثالث لهما"<sup>(٤)</sup>.

٢ - أن لا يتحدث بنصيحته عند أحد، بل يكتمه ويسكت، يقول الشيخ السعدي رحمته الله: "واحذر أيها الناصح لهم [يعني ولاية الامر] على هذا الوجه المحمود، أن تفسد نصيحتك بالتمدح عند الناس، فتقول لهم: إني نصحتهم، وقلت، وقلت، فإن هذا عنوان الرياء، وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار معروفة"<sup>(٥)</sup>.

إن التزام السر في النصيحة يحفظ على الأمة اجتماعها وائتلافها حول ولاية أمرها، لما يترتب عليه التشويه بالتشهير من إحداث الفجوة والنفرة بين الراعي والرعية، وزرع الشقاق

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٢٨٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله برقم [٢٩٨٩] (٤/ ٢٢٩٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٢).

(٤) تنبيه الغافلين لابن النحاس (ص ٧٦).

(٥) الرياض الناضرة للسعدي (ص ٥٠).

والاختلاف بينهم؛ ولذا كان الإسرار بالنصيحة من سمات أهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة، يقول الدكتور عبدالسلام بن برجس رحمته الله في ضوابط النصيحة: "ومن أهم ذلك وأعظمه قدراً أن يناصح ولاة الأمر سراً فيما صدر عنهم من منكرات، ولا يكون ذلك على رؤوس المنابر في مجامع الناس؛ لما ينجم عن ذلك - غالباً - من تأليب العامة، وإثارة الرعاع، وإشعال الفتن.

وهذا ليس دأب أهل السنة والجماعة، بل سبيلهم ومنهجهم: جمع قلوب الناس على ولائهم، والعمل على نشر المحبة بين الراعي والرعية، والأمر بالصبر على ما يصدر عن الولاية من استئثار بالمال أو ظلم للعباد، مع قيامهم بمناصحة الولاية سراً، والتحذير من المنكرات عموماً أمام الناس دون تخصيص فاعل، كالتحذير من الزنى عموماً، ومن الربا عموماً، ومن الظلم عموماً، ونحو ذلك" (١).

ومن علم الغاية من النصيحة، وفهم طبيعة البشر، وأنهم مجبولون على محبة المدح، وكراهية الذم والانتقاد، كما قال الشاعر:

يهوى الثناء مبرزاً ومقصرٌ حب الثناء طبيعة الإنسان (٢)

أدرك أن الإسرار بالنصح، من مقتضيات العقول السليمة، ومحجوبات الفطر المستقيمة، وأن ما يكون به من الخير أعظم مما يكون بفقده، والحكيم من يقابل المرض بما يضاده لا بما يزيده، وهذه مهمة الناصح الأمين.

(١) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: د. عبدالسلام برجس العبدالكريم (ص ١١١)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة السابعة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٢) القائل عبدالعزيز بن عمر نباتة، انظر: زهرة الآداب وثمره الألباب، تأليف: أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (١/٣١٣)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، د. ت.

## المطلب الثالث

### ضوابط مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بالمنصوح

المنصوح هو محل النصيحة والمقصود بخطاب الناصح، وللمنصوح ضوابط ينبغي أن تقوم به؛ ليكتمل بذلك عمل النصيحة، والنصيحة لا تقوم إلا على الناصح، والمنصوح به، والمنصوح، وهذه هي أركان النصيحة، ومتى تخلّف أحدها أصبحت لغواً بغير معنى، وتتناول الدراسة أبرز الضوابط التي يجب أن يلمسها الناصح في المنصوح:

#### الضابط الأول: تحري النصيحة:

طلب النصيحة والتماسها من صفات العقلاء، وهي حق للمسلم على إخوانه إذا طلبها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((حق المسلم على المسلم ست، إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه...))<sup>(١)</sup>، قال القاضي عياض رحمته الله: "وأما النصيحة، فمرغب فيها غير واجبة، لكنه إذا استنصح وجب عليه النصيحة"<sup>(٢)</sup>، وما دام أن الشارع أوجبها حقاً له تجب على من سُئِلها، فلم يبق لطالبا عذر يعتذر به عنها.

ومتى طلب المنصوح النصيحة انتشر الخير، وعمّ الصلاح، وقوي سلطان الدعوة، وانبسطت نفس الناصح للمنصوح، فمحض له الخير، واجتهد في بذل المعروف له.

وأئمة المسلمين أحوج الناس إلى بذل الناصح، وصدق المستشار، وقد يكون لهيتهم حجاباً مانعاً عن قول الناصحين، فإذا طلبوا النصيحة من أهلها، وقربوا أهل الرأي والأمانة والقوة في مجالسهم، وأفسحوا لهم في القول، تمكن النصحاء من إيصال الحق إلى محله، وبذل حسن المشورة في آئنها، قال عباد بن عباد الخواص الشامي رحمته الله في رسالته للولادة: "... وأن

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام برقم [٢١٦٢] (٤/١٧٠٥).

(٢) إكمال المعلم للقاضي عياض (٦/٧).

يستفطم بعضكم بعضاً النصيحة، وأن يحظى عندكم من بذلها لكم وقبلها منكم، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رحم الله من أهدى إلي عيوبي...<sup>(١)</sup>.

إن طلب النصيحة والتماسها عند أهلها هو منهج الولاية من سلف الأمة، وقد كان عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنه يلتمس النصيح عند مولاه مزاحم رضي الله عنه، ويقول له: "إن الولاية جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي، فإن سمعت مني كلمة تربأ بها عني، أو فعلاً لا تحبه، فعظني عنده، وانهي عنه..."<sup>(٢)</sup>، وهذا عين توفيق الله للإمام، وعلامة على إرادة الخير له، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله بالأمر خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه...))، ومعنى وزير صدق أي: "صادقاً في النصيح له"<sup>(٣)</sup>.

ولا ينبغي لعلو مكانة الإمام أن تكون صادة وممانعة له عن طلب النصيح والرأي، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يطلب المشورة والرأي من الصحابة، وسيرته صلى الله عليه وسلم حافلة بذلك<sup>(٤)</sup>، بل إن توظيفها في الولاية من حقوق الرعية على الراعي، قال ابن جماعة رضي الله عنه: "الحق الثاني: حفظ الدين على أصوله المقررة، وقواعده المحررة، ورد بدع المبتدعين، وإيضاح حجج الدين، ونشر العلوم الشرعية،

(١) رواه الدارمي في سننه، رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي برقم [٦٧٥] (١/٥٠٦).

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، تأليف: الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ص ٢٢٥)، ضبطه وشرحه وعلق عليه، نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م؛ وانظر: عيون الأخبار، تأليف: أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ص ٢٣)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، د. ط، ١٤١٨هـ.

(٣) شرح سنن أبي داود، تأليف: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي (١٢/٥٢٨)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف: خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

(٤) انظر: نصيح الولاية والحكام، أصوله وضوابطه، إعداد: د. صغار باحسوين (ص ٣٢٤)، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١ -

وتعظيم أهله، ورفع مناره ومحله، ومخالطة العلماء الأعلام، النصحاء لدين الإسلام، ومشاورتهم في موارد الأحكام"<sup>(١)</sup>.

وإذا سمع الإمام نصيحة الناصح، ورأي المستشار الصادق، اشتد بذلك ملكه، وقوي حكمه، قال الطرطوشي رحمته الله: "عدة السلطان ثلاثة: مشاورة النصحاء، وثبات الأعوان، وإقامة سوق العدل"<sup>(٢)</sup>، وسلم بعد ذلك من تبعة اللوم، وبرئت به - إن شاء الله - ذمته.

### الضابط الثاني: الاستماع للنصيحة وحسن الإصغاء إلى قائلها:

الاستماع إلى الحق وحسن الإصغاء إليه، هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم ودلته، وبه كان يتلقى الوحي عن ربه، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ فُؤَادَهُ ﴾<sup>(٣)</sup>: "فاستمع وأنصت"<sup>(٤)</sup>، وهو أمر الله للمؤمنين حين تتلى آيات الكتاب العزيز، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>، قال الطبري رحمته الله: "أصغوا له سمعكم؛ لتتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه؛ لتعقلوه وتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه"<sup>(٦)</sup>، فبحسن الإصغاء، وأدب الاستماع، يستبين للسامع معنى المسموع، ويعقل مفاهيم ما يلقى عليه، كما أنه يرعى معه حرمة المتكلم، ويؤدي له الأدب الذي ينبغي له.

إن حسن الاستماع للجلساء، وخفض الجناح لهم بأدب الإصغاء، من صفات أهل السؤدد، وحلية الأشراف ورؤوس الناس، قال أبو الأسود الديلي رحمته الله لعبد الله بن زياد: "إنك

(١) تحرير الأحكام لابن جماعة (ص ٦٥).

(٢) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢٧).

(٣) سورة القيامة، الآية (١٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة برقم [٤٤٨] (١/٣٣٠).

(٥) سورة الأعراف، الآية (٢٠٤).

(٦) تفسير الطبري (١٣/٣٤٥).

لن تسوّد حتى تصبر على سرار الشيوخ البُخر"<sup>(١)</sup>، وهي حقّ الناصح على الإمام، إذا لبس الأدب، واشتمل بالمروءة، وعرف حق إمامه، وحفظ له هيبة سلطانه، قال الشيزري رحمته الله في حق الجلساء الصالحين: "صنف من أهل العقل والديانة والفضل، يعلمون فضل الملك وطول عنائه، ويرثون له من ثقل أعبائه، فسياسة هؤلاء تحصل بالبشر عند لقائهم، واستماع أحاديثهم، وحسن الإصغاء إليهم"<sup>(٢)</sup>.

كما أن إكرام الناصح لمقام الإمامة، بحسن الإصغاء إليه، والبشر عند لقائه، وتأمين خوفه من مغبة قوله إذا التزم الأدب في المقام، مع شكره على نصحه، هو من التعاون على البر والتقوى، ومن الإذعان للحق، والتواضع للخلق، الذي يحصل به دوام السلطان للإمام، ويمكن له في الأرض، والحق قديم يجب العود إليه، وهو سبيل الله، والطريق إلى سعادة الدنيا والآخرة.

### الضابط الثالث: الاستجابة والقبول:

الاستجابة لأمر الله، والاستماع لأوامره ونواهيه، هو أمر الله وحكمه، قال رحمته الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، والمعنى: أجيئوا وأطيعوا أمر الله وأمر رسوله رحمته الله إذا دعاكم لما فيه حياتكم<sup>(٤)</sup>، قال ابن عطية رحمته الله: "قال مجاهد رحمته الله والجمهور: المعنى: للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه. وهذا إحياء مستعار؛ لأنه من موت الكفر والجهل"<sup>(٥)</sup>، والإعراض عن أمر الله، ورد قول من دعا إليه من صفات أهل الكبر والضلال، كما قال رحمته الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ

(١) أخلاق الوزيرين، تأليف: أبي حيان التوحيدى، علي بن محمد بن العباس (ص ٩١ - ٩٢)، حققه وعلق عليه:

محمد بن تاويت الطنجي، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) المنهج السلوك للشيزري (ص ٥٤٣).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٢٤).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٤٤).

(٥) تفسير ابن عطية (٢/ ٥١٤).

أَتَقَّ اللَّهُ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿١﴾، قال الإمام الطبري رحمته الله: "وإذا قيل لهذا المنافق الذي نعت نعته لنبيه - عليه الصلاة والسلام -، وأخبره أنه يعجبه قوله في الحياة الدنيا: اتق الله وخفه من إفسادك في أرض الله، وسعيك فيها بما حرم الله عليك من معاصيه، وإهلاكك حروث المسلمين ونسلهم، استكبر ودخلته عزة وحمية بما حرم الله عليه، وتمادى في غيه وضلاله" (٢).

إن ضابط القبول والاستجابة معتبر في باب المناصحة لأئمة المسلمين، وله أثر في حكم الناصح، يقول ابن عبدالبر رحمته الله في شرحه لحديث: "الدين النصيحة": "ففي هذا الحديث: أن من الدين: النصح لأئمة المسلمين، وهذا أوجب ما يكون، فكل من واكلهم وجالسهم، وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك - إذا رجا أنه يسمع منه -" (٣)، فعلق رحمته الله وجوب النصيحة على الناصح لأئمة المسلمين على رجاء قبولهم للنصيحة، واستجابتهم للتذكير والموعظة.

وهذا القبول والاستماع متوقف في الإلزام على حسن عرض الناصح، ومدى أهليته في القيام بالحجة، فليس كل نافرٍ من الحق ملوماً في رده؛ لأن الحق قد يؤتى من حامله وناقله، يقول الشيخ سليمان بن سحمان رحمته الله: "الذي يظهر لي - والله أعلم - أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها، وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه، ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة" (٤)، وقد حصل باختلال هذا في بعض الناصحين انعدام أثر النصيحة.

(١) سورة البقرة، الآية (٢٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٤/٢٤٤).

(٣) التمهيد لابن عبدالبر (٢١/٢٨٥).

(٤) منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تأليف: سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان العسيري (ص ٨٥)، تحقيق: عبدالسلام بن برجس عبدالكريم، الناشر: مكتبة الفرقان، الطبعة الثالثة

١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

ويخلص الباحث مما سبق إلى ما يأتي:

١- للناصح ضوابط لا بد من قيامها فيه حتى يعدّ أهلاً لإيصال النصيحة للمنصوح، وإلا حصل باختلالها اختلال أداء النصيحة، ومن أبرز تلك الضوابط: الإخلاص، والعلم الصحيح، والحكمة، والرفق، والصبر.

٢- لموضوع النصيحة أحوال وعوارض تؤثر في حكمها، منها ما تتعلق بذات الأمر، مثل: اشتراط كون المنصوح به داخلاً في إطار المشروع، أو معلوماً بغير اجتهاد، ومنها: ما يتعلق بما يحفه من أحوال قد تغير حكم الشرع فيه، مثل: اشتراط وقوع المنكر والتثبت من حصوله، أو اعتبار مبدأ الموازنة فيه، ومنها: ما يكون متصلاً بحالها ووصفها، مثل: بذلها في السر وعدم إفشائها، وكل هذه من الضوابط التي تؤثر في أمر النصيحة وجوداً وعدمياً.

٣- وللمنصوح ضوابط لا بد من قيامها فيه، مثل: تحري النصيحة وطلبها، وحسن الاستماع إليها والعمل بما فيها، مع إجلال أهلها ومحبتهم.

## الفصل الثاني

**تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره وأسبابه**

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره.**

**المبحث الثاني: أسباب التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين.**

## تقديم:

إن مسائل الإمامة، ومباحث السياسة الشرعية، من القضايا المهمة، التي جلت وعظمت منزلة، ومكاناً في الشريعة، ووردت ضمن المصنفات الجامعة في العقائد، والتفسير، والفقه، وشروح الأحاديث، وبعض كتب الفلسفة، والأدب<sup>(١)</sup>، كما استقلت بعض مسائلها في مصنفات خاصة قبيل عصر التدوين ومعه<sup>(٢)</sup>، حين أصبح موضوع الإمامة محل تعقيد، وتأصيل إبان صيرورة أمر الخلافة إلى ملك<sup>(٣)</sup>.

وإن من أصيل القول حين دراسة السياق التاريخي لمصنفات مناصحة أئمة المسلمين، أن يشار إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي اندراج تلك المصنفات ضمن الصنف الثلاثة الكبرى التي تقاسمت التأليف في باب السياسة الشرعية وهي:

### الصنف الأول: كتب الأحكام السلطانية:

يعد التصنيف في الأحكام السلطانية من أهم مجالات التأليف في السياسة الشرعية، التي

(١) انظر: متاهة الحاكمة، أخطاء الجهاديين في فهم ابن تيمية، تأليف: هاني نسيرة (ص ١٠٧)، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، وانظر: المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين لعبدالله الطويل (ص ٩)، وانظر: أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩٠)، وانظر: الفكر السياسي الإسلامي، مدارسه واتجاهاته، إعداد: د. رضوان السيد (ص ٢٠)، مقال منشور على الإنترنت، موقع د. رضوان السيد <http://www.ridwanalsayyid.com>، تاريخ الدخول: ١٣/٨/١٤٤٢هـ.

(٢) يطلق عصر التدوين على الزمن الذي شهد تصنيف العلوم في تاريخ الإسلام، ويجعل بعض الباحثين سنة (١٤٣هـ) مبدأ هذه الحقبة وغرتها، ويستندون في ذلك على كلام الحافظ الذهبي، الذي نقله السيوطي عنه في تاريخ الخلفاء، حيث يقول: "في سنة (١٤٣هـ) شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير...". تاريخ الخلفاء، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ص ١٩٤)، تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٣) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٨)، وانظر: السلطة الثقافية والسلطة السياسية، تأليف: د. علي أواميل (ص ١١٩ - ١٣٠)، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ٢٠١٩م.

ازدهرت واشتهرت خلال عصر التدوين، وتناول موضوعات التأليف فيه الهيكل المؤسسي للدولة الإسلامية من الإمامة، والوزارة، والقضاء، والشرط، وسائر الولايات التي تنوب عن الإمامة الكبرى<sup>(١)</sup>، و"يمكن تحديد الأحكام السلطانية بأنها كتابات تهتم بالجانب السياسي للدولة وأداء الحاكم والإمام والعلاقة به، ويكون الإمام أو صاحب السلطان مركز هذا النوع من الكتابة وأساسها التي تدور بقيتها حوله"<sup>(٢)</sup>.

ويتميز هذا النوع من الكتابة أن صبغته صبغةً فقهيةً قصدت الحكم على التدابير والتصرفات السياسية الصادرة عن الحاكم أو نوابه، وكذا الحكم على ولايات، وأعمال الدولة ياحدى مراتب الحكم التكليفي، فالأحكام السلطانية صورة فقهية للدولة الإسلامية، يقول الماوردي رحمته الله (ت ٤٥٠هـ): "ولما كانت الأحكام السلطانية لولاية الأمور أحق، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها مع مشاغلهم بالسياسة، والتدبير، أفردت لها كتاباً امتثلت فيه أمر من لزمت طاعته؛ ليعلم مذاهب الفقهاء"<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال استعراض تاريخ التصنيف في هذا المجال يظهر أن التأليف فيه بدأ مبكراً

(١) من أقدم المصنفات التي تُعد البذرة الأولى في باب الأحكام السلطانية، كتاب أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٩٢هـ)، وعنوانه: "الخراج"، وكتاب "الخراج" ليحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣هـ)، وكتاب "الخراج وصناعة الكتابة" لقدماء بن جعفر (ت ٣٢٧هـ)، وهذه تعالج موضوع فقه الأموال، وتذكر كتب الفهارس، وتراجم الأعلام، وتاريخ الكتب، عدداً كبيراً من المصنفات التي صنفت ما بين القرن الثاني والرابع الهجريين، وقد تزامنت معها كتب القضاء، مثل: كتاب "أدب القاضي" لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم - صاحب أبي حنيفة - (ت ١٩٢هـ)، و"أدب القاضي" لأبي عبدالله محمد بن سامة (ت ٢٣٣هـ)، و"أخبار القضاة" لوكيع محمد بن خلف (ت ٣٠٦هـ)، وغيرها. انظر: مراجعة سراج الملوك للطرطوشي، إعداد: د. رضوان السيد (ص ٢٤٢)، بحث منشور في مجلة الاجتهاد، الناشر: دار الاجتهاد، بيروت - لبنان، العدد [١٢]، السنة الثالثة، ١٩٩١م/١٤١٢هـ.

(٢) متاهة الحاكمية لهاني نسيرة (ص ١٠٥).

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٣).

وبشكل تدريجي، فكانت البداية بفقهاء الأموال والخراج، التي تعد أقدم النصوص في هذا الباب ثم تبعتها مصنفات القضاء والإمارة<sup>(١)</sup>، حتى اكتمل اختصاص التأليف فيه فيما يسمى بكتب الأحكام السلطانية لاحقاً، والتي حوت أبواب فقه السياسة الشرعية المختلفة، ويمثل هذا المجال من الكتب كتاب: "غياث الأمم" لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني رحمته الله (ت ٤٧٨هـ)، و"الأحكام السلطانية" لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي رحمته الله (ت ٤٥٠هـ)، و"الأحكام السلطانية" للقاضي أبي يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف رحمته الله (ت ٤٥٨هـ)، و"السياسة الشرعية" لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية رحمته الله (ت ٧٢٨هـ)، و"الطرق الحكيمة" لأبي عبد الله، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية رحمته الله (ت ٧٥١هـ)، وغيرها.

#### الصنف الثاني: كتب الفلسفة السياسية:

ويقصد بها ذلك النوع من الفلسفة الذي يركز بحثه في اكتشاف الحكمة والحقيقة المتعلقة بالمبادئ الأصولية للحياة السياسية، ومعرفة علاقة هذه المبادئ بعضها ببعض، وعلاقة المبادئ السياسية بمبادئ الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية<sup>(٢)</sup>.

وقد شكلت الكتابة الفلسفية مجالاً من مجالات التأليف في القضايا السياسية في تاريخ

(١) انظر: السياسة الشرعية - دراسة في أصول المصطلح وتطوراته التاريخية والفقهية، تأليف: عبدالغني محمد علي مستو (ص ١١٨)، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٦هـ، وانظر: أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩٤).

(٢) انظر: معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية، تأليف: د. خليل أحمد خليل (ص ١١٢)، الناشر: دار الفكر اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، وانظر: مدخل إلى الفلسفة السياسية - رؤية إسلامية - تأليف: د. محمد وقيع الله (ص ٣٩ - ٤٠)، الناشر: دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

الإسلام، وكان وراءها مجموعة من الفلاسفة<sup>(١)</sup>، الذين غايروا في أسلوبهم صياغة الفقيه، والواعظ في معالجة مسائل السياسية ومناصحة الملوك والأمراء، حيث انشغلوا بتعقيل فكرة الدولة، وسلوك الحاكم، وعملوا على ربطها بالمثل الفلسفية التي لا تتعارض مع أصول الإسلام<sup>(٢)</sup>، حسب رأيهم.

ومن أبرز المصنفات في هذا المجال كتاب: "سلوك المالك في تدبير الممالك" لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع رحمته الله (ت ٢٧٢هـ)، وكتب "السياسة" و"السياسة المدنية" و"آراء المدينة الفاضلة" و"تحصيل السعادة" لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، وكتاب: "الإشارة إلى أدب الإمارة" لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي رحمته الله (ت ٤٨٩هـ)، وغيرها.

وذكرُ الباحث لهذا النوع من التصنيف هو من باب الجمع، والترتيب، والتقسيم لمصنفات وجدت في مكتبات الإسلام في هذا المجال، وإلا فإن الفلسفة ليست مصدراً للسياسة في الإسلام حتى تُدرج في السياسة الشرعية، كما أن تلك المصنفات نفسها لا تعد فلسفة بالمعنى الفلسفي، فالاستشهاد بأقوال أرسطو أو ترديد اسمه، والأخذ عن الأثر اليوناني، لا يعد كافياً لأخذ الصورة الفلسفية<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: أخلاقيات الحاكم، إعداد: د. عز الدين العلام (ص ٤)، بحث منشور في مجلة الباب، المغرب، العدد [٥] م ٢٠١٥.

(٢) انظر: سوسيولوجيا - طور الانهيار -، تأليف: تأليف: د. محمود إسماعيل (٤/ ٨٧)، الناشر: سينا للنشر، مؤسسة الانتشار للنشر العربي، د. ط، ٢٠٠ م.

(٣) انظر: سوسيولوجيا - طور الانهيار - لمحمود إسماعيل (ص ٩٢)، وانظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١٠٤).

الصف الثالث: كتب نصيحة أئمة المسلمين – الآداب السلطانية –:

وهو ما يتمثل في الكتب، والرسائل التي قصد بها مؤلفوها نصيحة ولاية الأمور ووعظهم، ويعد هذا النوع هو الأسبق في السياسة الشرعية من حيث إفراده بالتصنيف، كما أن التأليف فيه يُعدّ الأكثر كماً وعدداً في مطبوعات المكتبات الإسلامية ومخطوطاتها<sup>(١)</sup>.

وتندرج الكتابة في مناصحة الملوك ضمن التأليف في السياسة الشرعية كما تقدم، ويختلف هذا النوع من التأليف عن غيره من الكتابة السياسية، غايةً، وأسلوباً، ومنهجاً، فإذا كانت كتب الأحكام السلطانية قصدت الحكم على التصرفات، والأفعال السياسية الصادرة عن ولي الأمر، ونوابه، وكذا الحكم على مؤسسات الدولة بالأحكام التكاليفية الخمسة، فإن كتب النصائح قصدت شيئاً آخر، وهو الخلق، والوعظ، وتقديم النصائح والآراء العملية، التي تدل ولي الأمر إلى أفضل السبل، وأحسن الطرق؛ لتدبير شؤون الدولة وأمورها<sup>(٢)</sup>.

وينبغي الإشارة في هذا المقام إلى أن هناك عدداً من التسميات التي استعملت للدلالة على هذا النوع من التأليف والتصنيف، مثل: الدهائيات<sup>(٣)</sup>، الكتابة

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٨)، وانظر: متاهة الحاكمية لهاني نسيرة (ص ١٠٦).

(٢) انظر: مقدمة دراسة وتحقيق: د. محمد أحمد دمج على التبر المسبوك للغزالي (ص ٧)، وانظر: ملامح يونانية في الأدب العربي لإحسان عباس (ص ١٤٣).

(٣) من الأسماء التي أطلقت على مصنفات المناصحة "الدهائيات" ويقصد بها الفراسة، والحنكة السياسية، وحسن التدبير، وصدق التجارب، وتعبر كلمة "دهاء" أو "الدهائيات" عن الروح العامة التي تطبع هذه الكتابات في مناصحة الملوك، قد يفيد معنى "الدهاء" تجاوز المعيار الأخلاقي فيما يظهر، وهذا ما تنفيه موضوعات هذه الكتابة التي بقيت تحت سيطرة الأخلاق والمواعظ والدعوة. انظر: النصيحة السياسية – دراسة مقارنة بين آداب الملوك الإسلامية ومرايا الأمراء المسيحية – تأليف: د. عز الدين العلام (ص ٢٣)، الناشر: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى ٢٠١٧م، وانظر: في السياسة الإسلامية، تأليف: هادي العلوي (ص ١٥٥)، الناشر: صحارى للصحافة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٩١م، وانظر: السلطة والسياسة في الأدب

الديوانية<sup>(١)</sup>، نصائح الملوك<sup>(٢)</sup>، مرايا الأمراء<sup>(٣)</sup>، الأدب السلطاني وغيرها، ويبقى شأن التسمية

السلطاني لعز الدين العلام (ص ٢٠)، وانظر: أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٤٩).

(١) ارتبطت هذه التسمية بإنشاء الدواوين، وظهر كاتب الديوان، الذي كانت مهمته الأساسية تتحدد في تحرير كل ما يحتاجه السلطان، وما يقتضيه ويتطلبه التدبير السياسي، وقد صدر من بعض كتاب الدواوين بعض النصائح للملوك ونوابهم، مثل: كتابات ابن المقفع (ت ١٤٢هـ): "الأدب الصغير"، و"الأدب الكبير"، و"كلىة ودمنة"، و"رسالة الصحابة"، وعبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢هـ) في كتابه: "عهد مروان لابنه". مع أنه يجب التفريق بين الكتابة الديوانية المتعلقة بالتدبير السياسي، وبين النصائح التي صدرت من كتاب الدواوين، ومن الذين استعملوا هذا المصطلح في تسمية كتب النصيحة عبدالمجيد الصغير في أطروحته: الفكر الأصولي وإشكالية السلطة في الإسلام - قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة - (ص ١٠٨ - ١١٢)، والرسالة مطبوعة، نشرتها: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(٢) تعد هذه التسمية هي الأنسب "للدلالة على هذا النوع من الكتابة التي تقوم في أساسها على تقديم مجموعة من النصائح الأخلاقية السياسية، والقواعد السلوكية للملوك والأمراء وأولياء العهد؛ لينجحوا في ممارستهم السياسية، وتقوية ركائز دولتهم" وفق الشريعة. النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٤).

(٣) من أسماء كتب المناصحة المستخدمة: "مرايا الأمراء" حيث يعبر هذا المفهوم عن السلطة السياسية الموجودة، فمفهوم "المرايا" يعبر عن انعكاس صورة معينة، وهي هنا: صورة السلطة، سواء أكانت موجودة على أرض الواقع، أم في ذهن المؤلف.

وتحيل تسمية "مرايا الأمراء" إلى تقليد في الكتابة عرفته الثقافة الإغريقية، وخاصة في العصر الهلنستي، كما عرفته الثقافتان الفارسية والبيزنطية، ومحتوى هذه الكتابات بما فيها الحكايات الرمزية، التي تكتب على لسان الحيوان، يرتبط بأسلوب النصيحة غير المباشر، فالمرآيا تعكس النصيحة بأسلوب رمزي إشاري، فالنصح هنا يكون بالتمثيل التاريخي عبر الروايات التاريخية، كما يكون بالتمثيل المشخص بواسطة كائنات غير بشرية، ويعد منحنى كُتِّب النصيحة في هذا الباب منحنى أدبياً، من أمثله: كتاب "كلىة ودمنة" لابن المقفع (ت ١٤٢هـ)، و"النمر والثعلب" لسهل بن هارون (ت ٢١٥هـ)، و"الأسد والغواص" لمؤلف مجهول من القرن الخامس الهجري. انظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٦)، وانظر: السلطة والسياسة في الأدب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٢١).

نسياً عند من اختاره، إذ غالب هذه الأسماء تجد ما يدل عليها في متون هذه المصنفات، أو مقدماتها وخواتيمها<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة هذه المؤلفات نصوص أبي محمد عبدالله ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) الأدبية، وفي مقدمتها: "الأدب الكبير"، و"الأدب الصغير"، و"رسالة الصحابة"، وكتاب "التاج في أخلاق الملوك" لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وكتابي "درر السلوك في سياسة الملوك" و"نصيحة الملوك" لأبي الحسن الماوردي رحمته الله (ت ٤٥٠هـ)، وكتاب "الذهب المسبوك في وعظ الملوك" لأبي عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي رحمته الله (ت ٤٨٨هـ)، وكتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي رحمته الله (ت ٥٠٥هـ)، وكتاب "سراج الملوك" لأبي بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي رحمته الله (ت ٥٢٠هـ)، وكتاب "المنهج السلوك في آداب الملوك" لأبي النجيب عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله، جلال الدين الشيزري رحمته الله (ت ٧٧٤هـ) وغيرها كثير، ويعد هذا النوع هو مجال البحث التاريخي، المقصود في عينة الدراسة.

إن الإشارة إلى هذه الأنواع الثلاثة بين يدي تسليط الضوء على دراسة السياق التاريخي لتلك المصنفات، يعزز في نفس طالب الحقيقة الإيمان بأصالة التراث السياسي في الإسلام، ويستنهض همم الباحثين عن الحقيقة المغيبة التي تركتها مشكلات القراءات المعاصرة لتلك المؤلفات والمصنفات.

إن تراث السياسة الشرعية قد ظلته النظرة السلبية التي تبنتها كثير من القراءات المعاصرة لبعض تلك المصنفات، حيث انطلقت في دراستها من مجموعة من المسلمات والأسس المنهجية غير العادلة، وهي وإن اختلفت في طبيعة الرؤية، إلا أنها تتفق جميعاً في إقصاء التراث الشرعي

(١) انظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٢).

الإسلامي، أو وصفه بما يعادل التهميش أو التحذير.

لقد أصدرت تلك الدراسات تعميمات غير عادلة على هذا النتاج التراثي العريض الذي استغرق جميع حُقب التاريخ الإسلامي، وجميع أماكنه ومذاهبه، بل وكثيراً من لغاته<sup>(١)</sup>، وجعلته صنيعة فارسية، أو تقليداً يونانياً، أو تراثاً إنسانياً، ونفت عنه التطور والواقعية، ووصفته بالسذاجة، والنقل، والجمود، وصناعة الاستبداد والتسلط، هذا إن لم تتجاهل أصل وجوده<sup>(٢)</sup>.

ويحتفظ تاريخ التصنيف في تاريخ السياسة الشرعية بمجموعة كبيرة من النصوص التي

(١) انظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ٥٤، و ١٠٦).

(٢) لم تلق المؤلفات في كتب المناصحة اهتماماً كافياً إلى وقت قريب، فهناك من تجاهل أصل وجودها، بل وأنكر وجود ما يسمى بالسياسة الشرعية، مثل: علي عبدالرازق في كتابه: "الإسلام وأصول الحكم"، وهناك شقٌّ من المتطرفين اعتبرها نبتة غير شرعية، فرفضها جملة وتفصيلاً، وحكم عليها بالمداهنة والتشريع للسلطة، وهناك من تناولها بالدراسة، والتحقيق، والتحليل، والقراءة، وقد تبين هؤلاء في حكمهم على تلك المصنفات وتحليل مضامينها، لكن اختلافهم - وللأسف - كان في داخل إطار المنايضة لتلك المصنفات، فهم مختلفون فيما بينهم، متفقون في تهميشها ورفضها، حتى رأى بعضهم أن دراسة تلك المصنفات توجب الضرورة التاريخية باعتباره أثراً يدرس؛ لتقطع صلته بالواقع المعاش.

وما ينبغي قوله: إن غالب تلك القراءات كانت مبنية على أسس وقواعد منهجية، تحيل نتائجها إلى الحكم السلبي على تلك المؤلفات في هذا الباب العظيم، مثل: الانتقائية في الاختيار، والتعميم في الحكم قبل الاستقراء، والقصور في القراءة، والنظر إلى التراث الإسلامي من منطلق الفرضية الأحادية للموروث الإنساني، والخلل في الترجمة، والتأسيس على الفكر اليوناني في تقويم الموروث الإسلامي، والاكتفاء بالعناوين عن المضامين، وأهمها أن جميع هؤلاء الحاكمين لا ينتمون إلى العلم الشرعي، ومن أمثلة القراءات المعاصرة لتلك المصنفات: قراءة إحسان عباس، وعبدالرحمن بدوي، ومحمد الجابري، ووداد القاضي، وكمال عبداللطيف، وعبدالله العروي، وعلي أومليل، وعزيز العظمة، كما شارك في قراءة تلك النصوص بعض المستشرقين، أمثال: مونتغمري وات، وأن لا مبتون. انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (١٨ - ٣٠)، وانظر: متاهة الحاكمة لهاني نسيرة (ص ١٠٠)، وانظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٨ - ٩)، وانظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ٧١ - ٧٧).

تشهد بعراقة التأليف في هذا الجانب، وتقدم جهود التقصي والبحث والاستقراء لهذا التراث<sup>(١)</sup> نتائج تستوجب إعمال الدراسة الجادة فيه، فإن المعروف المتداول عند المشتغلين بهذا الباب لا يشكل أكثر من (١٨٪) مما تحتضنه خزانة المخطوطات، وتشير إليه كتب تراجم الأعلام وتاريخ الكتب<sup>(٢)</sup>، وأن ما وجد وتم الحصول عليه مما ذكرته كتب الفهارس والتراجم أقل من المفقود الذي لم يتم الوصول إليه بعد، فقد ذكرت كتب الفهارس، وكتب الأوائل عددا من مؤلفات السياسة الشرعية التي فقد أغلبها، وأتلفه الزمن.

وصفوة القول فإن تلك الكتابات في السياسة الشرعية، سواء أكانت في فقه السياسة أم الأحكام السلطانية، أم المناصحة والوعظ، كانت نتيجة علمية لبيئة ثقافية وتاريخية تعكس أصالتها، وتبرهن بالواقع قدرة علماء الأمة العظام على التعايش الإيجابي مع المستجدات والأحداث، وهو ما يؤكد أهمية دراسة تاريخ هذه المصنفات، والوقوف عند مدارج تطورها،

(١) من أمثلة ذلك: كتاب: فهارس المخطوطات العربية في العالم، تأليف: كوركيس عواد، الناشر: معهد المخطوطات العربية، الكويت، د. ط، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، وكتاب: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف، وكتاب: دليل مصنفات السياسة الشرعية والأحكام السلطانية، اللجنة العلمية بمركز ابن الأزرق.

(٢) لقد وقف الباحث في دار الكتب المصرية على عدد كبير من مصنفات مناصحة الملوك التي لم تحدم بعد، كما تضم الخزانة العامة في المغرب (المكتبة الوطنية) مجموعة هائلة من المخطوطات في ذات الموضوع. كما أفادني بذلك الأستاذان: خالد بن علي الصفيان، وعبدالعزیز بن عبدالرحمن الصبيح.

أما ما يتعلق بالنص المفقود، فقد أورد ابن نديم في الفهرست عناوين كتب في موضوع المناصحة والآداب السلطانية، وقد أحصيت بنحو ٢٥ موضوعاً، ومن الكتب التي رصدت بعض أسماء الكتب المفقودة: الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢م؛ ومعجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثني، بيروت - لبنان، ودار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت، وبعض كتب أعلام المذاهب، ومصنفات تأريخ الكتب، مثل: كشف الظنون لحاجي خليفة، وهديّة العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المؤلفين، تأليف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي، الناشر: وكالة المعارف الجليلية، الطبعة الأولى ١٩٥١م.

وأسباب تأليفها.

وتتناول الدراسة تاريخ الصنف الثالث منها وتطوره، وأسباب التأليف فيه - كونه محل

هذه الدراسة - من خلال المبحثين:

المبحث الأول: تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره.

المبحث الثاني: أسباب التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين.

## المبحث الأول

### تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره

تتبن الأهمية التاريخية لهذا النوع من الكتابة في السياسة الشرعية، في كونه يشكل المادة الأوفر من التراث الإسلامي في السياسة الشرعية، مقارنة مع ما كتبه العلماء في الأحكام السلطانية، أو الفلاسفة في الفلسفة السياسية، كما تظهر أهميته أيضاً في تزامنه مع ظهوره مع البوادر الأولى لتقعيد أسس الدولة الإسلامية الأولى، وفي كونه شكل الكتاب الرائج في بلاط الحكام، والملوك، والسلاطين<sup>(١)</sup>.

لم يحظ التاريخ للسياسة الشرعية بشكل عام بالدراسة الوافية التي تستخرج مكنوناته، وتتابع سياق تطوره منذ نشأته إلى واقعنا المعاصر<sup>(٢)</sup>، ويكفي لإثبات هذا نظرة أولية لفهارس المكتبات والمخطوطات، ودليل المصنفات التي قام بها بعض المعاصرين، وكذا كتب تراجم الأعلام وتاريخ المصنفات.

وتتناول الدراسة الإشارة إلى تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين.

المطلب الثاني: السياق التاريخي للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره في بلاد المشرق.

المطلب الثالث: السياق التاريخي للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره في بلاد المغرب.

(١) انظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٨-٩).

(٢) انظر: تطور الفكر السياسي عند أهل السنة، تأليف: خير الدين يوجه سوي (ص ٩)، الناشر: دار البشير للنشر

والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

## المطلب الأول

### نشأة التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين

لابد من فصل القول بين مفهوم نشأة التأليف في المناصحة المباشرة لأولي الأمر ونوابهم باعتباره فناً مستقلاً له خصائصه وسماته التي تميزه عن غيره، وبين مفهوم النصيحة لأولي الأمر عموماً، فالحديث في هذا المقام عن نشأة التأليف في مناصحة أئمة المسلمين، وليس عن المناصحة التي وُجدت مع الشريعة، والتي كانت سنة النبي ﷺ وهدية، وعمل أصحابه الكرام ﷺ والسلف الصالح من بعدهم<sup>(١)</sup>.

إن تتبع أصول التأليف ومنبته في مناصحة أئمة المسلمين، ليس بالأمر الهين، خاصة وأن غالب المشتغلين بدراسة هذا المجال هم من المعاصرين ذوي الاتجاهات المختلفة، كما أن دراسته التاريخية لم تحظ بالقدر الكافي الذي يحسم مادة الجدل فيه، يضاف إلى ذلك أن نواة التأليف في هذا الباب - كما سيأتي - لم تخرج من مدرسة الأثر والفقهاء، التي تعد المسؤول الأول عن واجب المناصحة، كما أن المؤلفين لهذا النوع من الكتاب ليسوا من أهل تخصص واحد، فإن كثيراً من نصوص هذه المصنفات قدمها فقهاء، وقضاة، ومؤرخون، وفلاسفة، كما شارك فيها الأدباء،

---

(١) وجد النصيح مع وجود الشرائع، وهو حال الأنبياء - عليهم السلام - مع أقوامهم، وقد بُعث الأنبياء - عليهم السلام - في أحساب أقوامهم، وإلى جميع فئاتهم، ابتداءً من الملائكة ذوي الجاه والسلطان، وحتى أدناهم منزلة من المستضعفين، كما نصح النبي ﷺ لأمتي الدعوة والإجابة، ودعا جميع الناس، وكاتب ملوك الأمتين فارس والروم، وكذا سائر رؤساء العرب، ومشى على ذلك الخلفاء الراشدون من بعده، وكذا الصحابة الكرام ﷺ، وقد تبين ذلك في الرسائل والخطب والعهود التي أثبتتها مدونات الإسلام، وهذه هي النواة الأولى للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين. انظر: أدب النصيحة في الفكر الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩٠)، وانظر: الحسبة على ذوي الجاه والسلطان لمحمد عطيف (ص ١٤٤ - ١٤٥)؛ وانظر: مراعاة أحوال المخاطبين، تأليف: فضل إلهي ظهير (ص ٨) (ص ٧١-٧٢) (ص ١١٥ - ١١٧)، الناشر: إدارة ترجمان الإسلام، ججرانواله - باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

والمملوك، والوزراء، ورجال الدولة<sup>(١)</sup>.

وعلى ذلك فإن التتبع التاريخي لنشأة التأليف، سيتناول ميلاد هذا النوع من الكتابة في تاريخ الإسلام، بغض النظر عن محتوى المصنف ومضامينه؛ ذلك أن غالب المصنفات في هذا الباب قام على مبدأ التناسخ، والتناص<sup>(٢)</sup>، والنقل، والاقْتباس، وهيمنة النوع على شخصية المؤلف<sup>(٣)</sup>، حتى تبلور على أقلام العلماء والفقهاء والوعاظ فيما بعد.

(١) انظر: السلطة والسياسة لعز الدين العلام (ص ٢٤ - ٢٩).

(٢) التناص: هو آلية من آليات إنتاج النص والمعنى، وقد عرّف بأنه: علاقة نصوص مع نص جاءت بطرق مختلفة، أو تشكيل نص جديد من نصوص أخرى معاصرة أو قديمة، حتى يكون الأخير خلاصة للمتقدمين، وهي كلمة غربية محدثة لم تستعمل بهذا اللفظ في التراث العربي الإسلامي، وكثيراً ما يستخدمها القارؤون لتراث مصنفات المناصحة، ويمكن أن يقارنها في الدلالة: التضمين، والإشارة، والاقْتباس، والتلميح، هذا في الجانب الإيجابي، ويقابلها في الجانب النقدي السلبي: السرقة، والمناقضة، والمعارضة، إلا أنه يجب الإشارة إلى أن التناص له دلالات أكبر من هذا، وهي من الطرق المحدثة لقراءات النصوص وتحليلها، تقوم على اعتماد توالد النصوص فيما بينها، وأنها تسير متناصلة من نص أقدم وهكذا، وقد طبق أصحاب هذه الطريقة نظريتهم على نصوص الوحي، فضلوا وأضلوا. انظر: التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم، إعداد: محمد زهير عباس (ص ٢ - ٢٥)، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم اللغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد - باكستان، عام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٤م، وانظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٧٥)، وانظر: التناص عربياً وغريباً لبو طاهر بو سدر، مقال منشور على الإنترنت، شبكة الألوكة بتاريخ ٢٩/٣/١٤٣٩هـ، [https://www.alukah.net/literature\\_language/0/123801/](https://www.alukah.net/literature_language/0/123801/) تاريخ الدخول على الموقع: ١٥/٨/١٤٤٢هـ.

وانظر: تحليل الخطاب الشعري، تأليف: محمد مفتاح (ص ١٢١)، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م، وانظر: التناص والأجناسية في النص الشعري، إعداد: خليل موسى (ص ٨٣)، بحث منشور في مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتب العرب بدمشق، العدد [٢٠٥] أيلول ١٩٩٦م.

(٣) يريد الباحث أن يبين أن نوع التصنيف وسماته العامة تغلب طريقة المؤلف الخاصة في الأغلب؛ لأن النوع سابق للتصنيف؛ ولذا يجد المتأمل أن الكتابة في كتب المناصحة تنطلق من الأطر والضوابط التي يلتزمها المؤلفون

ويكشف التقصي التاريخي المتعلق بنشأة التأليف في موضوع مناصحة الملوك والسلاطين ونوابهم في الإسلام إلى أن هناك مواكبة فعلية مؤثرة قامت بين تحول أمر الخلافة إلى ملك، واتساع رقعة الدولة الإسلامية، وامتزاجها مع الحضارات الفارسية واليونانية، وبين ميلاد هذا النوع من التأليف<sup>(١)</sup>.

والتأمل في كلام المهتمين بالدراسة والبحث في هذا النوع من التصنيف، يجد اتفاقاً يقارب الإجماع، على أن الآثار الأولى لهذه الكتابة، واكبت نهاية العصر الأموي، وبداية العصر العباسي (١٣٢ - ١٤١ هـ)<sup>(٢)</sup>، وقد ظهرت في شكل رسائل أعدها كتاب الدواوين، الذين حاولوا نقل التجربة الفارسية في الحكم إلى المجتمع المسلم، ففي العصر الأموي أَلَّفَ سالم بن عبدالله، وقيل: ابن عبدالرحمن أبو العلاء (كان حياً ١٢٥ هـ) مجموعة من الرسائل مشتملة على نصائح في الحكم للخليفة الأموي هشام بن عبدالملك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت ١٢٥ هـ)، وقد تضمنت حكمة الفرس المتعلقة بالحكم وسير الملوك، وآراء وأقوال الفلاسفة اليونانيين مثل: أرسطو وغيره<sup>(٣)</sup>، كما أَلَّفَ

الأوائل، مثل: وحدة الموضوع وهدفه، وهيبة السلطان، والأدب في الخطاب، وهكذا، وكذا "تتضمن مقدمات الآداب السلطانية جمالاً واضحة وصرحية، يقر من خلالها مؤلفوها أنهم لم يقوموا بأكثر من جمع ما سبق أن قاله أو كتبه غيرهم، مع نقله وتلخيصه وترتيبه". الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٩١).

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٨).

(٢) انظر: السلطة الثقافية والسلطة السياسية لعلي أو مليل (ص ١١٩ - ١٣٠)، وانظر: سوسيولوجيا الفكر - طور الانهيار - لمحمود إسماعيل (ص ٧٩)، وانظر: ضحى الإسلام، تأليف: أحمد أمين (١/٤٧)، الناشر: مطبعة الاعتماد، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب في القرنين الثامن والتاسع الهجريين - الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، إعداد: نشوى أنور السيد الرشيد (ص ١٨)، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم التاريخ، كلية البنات، جامعة عين شمس، عام ٢٠١٩ م، وانظر: الفكر السياسي عند المسلمين - تراث الإسلام -، تأليف: آن لامبتون (ص ٣٩)، ترجمة: د. حسين مؤنس وآخرين، الناشر: سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د. ط، ١٩٧٨ م.

(٣) انظر: رسائل سالم بن عبدالله، جمع إحسان عباس (ص ٢٠)، ضمن كتاب: عبدالحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى

=

عبد الحميد بن يحيى بن سعد - الكاتب - (ت ١٣٢هـ) مجموعة من الرسائل على هذا المنوال يهدف من خلالها إلى إصلاح أمر الخلافة والملك، مثل: "رسالة في نصيحة ولي العهد"<sup>(١)</sup>، وأخرى في نصيحة الكتاب الذين يعملون في ديوان الإنشاء والأموال، يحثهم فيها على الالتزام بالأخلاق والآداب، والحرص على النصح، والحفاظ على الدولة<sup>(٢)</sup>.

ثم بدأت هذه الرسائل والمصنفات تتبلور بشكل تدريجي مع بداية العصر العباسي، إبان عصر التدوين (١٣٢هـ)، متجليةً في كتابات وترجمات ابن المقفع (ت ١٤٢هـ)، الذي يُعد المؤسس للتصنيف في هذا الفن<sup>(٣)</sup>، حيث حاول ابن المقفع معالجة المشاكل والفوضى التي عمت الدولة العباسية الناشئة، في الجند، والخراج، والقضاء، وسوء صحبة الخلفاء من وزراء وعمال، من خلال الرسائل والمصنفات والكتابات الرمزية<sup>(٤)</sup> الموجهة إلى الخليفة العباسي أبي جعفر

من رسائله ورسائل سالم بن أبي العلاء، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع، د. ط، ١٩٨٨م، وانظر: الفكر السياسي الإسلامي لرضوان السيد (ص ٤)

(١) هذا "العهد" كتبه عبد الحميد الكاتب للخليفة مروان، يخاطب به ولي عهده ابنه عبيد الله بن مروان. انظر: رسائل البلغاء، تأليف: محمد كرد (ص ٢٤٨)، الناشر: دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩١٣م.  
(٢) انظر: رسالة إلى الكتاب لعبد الحميد الكاتب، ضمن: رسالة للبلغاء لمحمد كرد (ص ١٧٢)، وانظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي لشوقي ضيف (ص ١١٦)، وانظر: جمهرة رسائل العرب، تأليف: أحمد ذكي صفوت (٢/ ٣٧٠)، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.  
(٣) انظر: السياسة الشرعية في الفكر الإسلامي، تأليف: د. برهان زريق (ص ٣٠٧)، د. ن، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، وانظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١٠).

(٤) هي صياغة غير مباشرة للنصيحة على ألسن الحيوانات، وقد اعتمد أصحاب هذا النوع تقديم النصح والمواظب للملوك والأمراء عن طريق عرضها على ألسنة الحيوانات، وقد أطلق عليها "مرايا الأمراء"، ويُعد ابن المقفع من المنتحلين لهذه الطريقة في كتابه "كليلة ودمنة"، ومثله صاحب كتاب "الأسد والغواص"، ويتوخى أصحاب هذا الطريق تقريب الفهم، وتجنب المباشرة، وتقديم مضمونها بأسلوب وعظي، فالنصح يكون بالتمثيل التاريخي - العبرة والروايات المستخرجة من التاريخ - كما يكون بالتمثيل المشخص بواسطة كائنات غير بشرية. انظر:

=

المنصور عبدالله بن محمد رحمته (ت ١٣٦هـ) بشأن هذه الموضوعات، وكانت كتابات ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) متأثرة بالثقافة الفارسية، متمثلة في "عهد أردشير"<sup>(١)</sup>، ونقولات عهود وأدبيات ملوك الفرس في سياسة حكمهم، ومراتبهم الاجتماعية، وغايات ملكهم، ينطلق في ذلك من مبدأ التماثل في التجربة التاريخية للمجتمعات الإنسانية<sup>(٢)</sup>، ومن مؤلفاته "الأدب الصغير"، و "الأدب الكبير"<sup>(٣)</sup>، و "كليلة ودمنة"<sup>(٤)</sup>، و "رسالة الصحابة"<sup>(٥)</sup>.

تزامن مع كتابات ابن المقفع (ت ١٤٢هـ)، في طور التأسيس بعضُ ترجمات كتب المناصحة - مرايا الأمراء - الفارسية واليونانية، والتي قُدمت للخلفاء آنذاك، ومن أمثلة ذلك: كتاب "عهد أردشير" والذي يعهد فيه أحد ملوك فارس لابنه بالملك، ويقدم له فيه بعض النصائح والتوجيهات التي تحفظ له بقاء الملك، وقد عرف هذا الكتاب في وقت لاحق، مقارنة مع نصوص ابن المقفع (ت ١٤٢هـ)، سواء المترجم منها أو المؤلف<sup>(٦)</sup>، وكتاب: "السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة"، المعروف بـ "سر الأسرار"<sup>(٧)</sup>، وقد نسبه مترجمه يوحنا بن يوسف

الملاح السياسية في حكاية ألف ليلة وليلة، تأليف: أحمد محمد الشحاذ (ص ٥٠)، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - عراق، الطبعة الثانية ١٩٨٦م.

- (١) قام بتحقيقه: د. إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٦٧م.
- (٢) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١١٤).
- (٣) الأدب الصغير والأدب الكبير قام بتحقيقها ودراستها: د. إنعام فوّال، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، وقد حصلت على الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- (٤) قام بتحقيقه: عبدالوهاب عزام وطه حسين، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د. ط، ٢٠١٢م.
- (٥) قام بجمعها: محمد كرد علي، الناشر: دار الكتب العربية الكبرى، الطبعة الثاني ١٣٣١هـ / ١٩١٣م.
- (٦) كان أحد نقلته من الفارسية إلى العربية أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ) انظر: الفهرست، تأليف: أبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي، المعروف بابن النديم (ص ١٤٣) تحقيق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- (٧) انظر: مقدمة سامي سليمان الأعور على سر الأسرار لأرسطو (ص ١٠)، الناشر: دار العلوم العربية للطباعة

=

بن الحارث بن البطريق (ت ٢١٠هـ) إلى أرسطو، وهو عبارة عن نصائح في السياسة قدمها أرسطو للقائد اليوناني الإسكندر<sup>(١)</sup>.

إن مما يجب الإشارة إليه في هذا المقام، هو الحضور الكامل للمرجعية الفارسية، والتي تمثلها مؤلفات وترجمات عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢هـ)، وابن المقفع (ت ١٤٢هـ) وغيرهما، واليونانية ممثلة في ترجمات يوحنا البطريق (ت ٢١٠هـ) لكتاب أرسطو وغيرهما<sup>(٢)</sup>، والتي تركز صراعاً بين المناصرين للإرث الفارسي، وبين المعتمدين على بعض مصادر فكر اليونان وثقافته<sup>(٣)</sup> كما يبدو في ظاهر الأمر.

وفي القرن الثالث الهجري، أخذ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين شكله المتكامل، ونشطت مشاركة المؤلفين فيه؛ ليتنشر في كثير من الإمارات السلطانية الإسلامية<sup>(٤)</sup>، إلا أن مضامين التأليف فيه ومادته لم تزل محتفظة بالمنهج السابق، فالحكمة الفارسية، والسياسة الساسانية،

والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(١) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (٢/١٤٢٨).

(٢) انظر: ملامح يونانية في الأدب العربي لإحسان عباس (ص ١٢ - ١٣).

(٣) يرى بعض المشتغلين بمصنفات مناصحة أئمة المسلمين أن ملامح الفكر اليوناني السياسي قريبة في كثير من جوانبها من المنظور السياسي الفارسي، وأن حقيقة الصراع هي في منازعة القوى المؤثرة في بقاء الحكم، في حين يذهب غيرهم إلى أن الغلبة للتقاليد الفارسية في مجال الكتابة السياسية، وأن السيطرة العملية والفلسفية للثقافة اليونانية. ويعتمد آخرون القول أن المادة الفارسية هي المادة الثقافية الأولى للأدب السلطانية - نصائح الملوك - والتي جاءت الثقافة اليونانية تبعاً لها فيما بعد. انظر: ملامح يونانية في الأدب العربي، لإحسان عباس (ص ١٢ - ١٣)، وانظر: الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام لعبدالرحمن بدوي (ص ٥ - ٦)، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيد (ص ٩٠)، وانظر: آداب النصيحة لعز الدين العلام (ص ٩٠).

(٤) انظر: السلطة والسياسة في الأدب السلطاني لعز الدين العلام (ص ٩)، وانظر: المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين لعبدالله الطويل (ص ٩)، وانظر: أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩٢).

ومنطق اليونان هو عنصر مادتها المهيمن.

ومن أبرز المؤلفات في هذا العصر كتاب "التاج في أخلاق الملوك"<sup>(١)</sup> للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الذي قدمه إلى أبي محمد الفتح بن أحمد بن غرطوج ابن خاقان (ت ٢٤٧هـ)، ذكر فيه أدب تعامل الرعية مع الرعاة، وتعامل الرعاة مع الرعية، وقد دارت محاور هذا الكتاب حول هذه القضية، وتحمل المرويات الفارسية، والمقولات الحكمية لهم، حيزاً كبيراً في هذا النص من الكتاب<sup>(٢)</sup>، وهو ما يعترف به مصنّفه في قوله: "ولنبداً بملوك الأعاجم، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وعنهم أخذنا قوانين الملك والمملكة، وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية"<sup>(٣)</sup>.

ويأخذ الجاحظ (ت ٢٠٥هـ) الطريقة التي انتهجها ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) في أسلوب التصنيف والمرجعية الثقافية، فالمؤلفات على صلة وثيقة بالمراث السياسي الساساني، وكلاهما اعتمدا الثقافة الفارسية في مضامين المؤلفات<sup>(٤)</sup>، ونقل التجربة والحكم السياسية الفارسية إلى

(١) قام بتحقيقه: أحمد زكي باشا، الناشر: المطبعة الأميرية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٩١٤م.

(٢) انظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ١١٤).

(٣) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٢١).

(٤) ما يجب التنبيه عليه في هذا المقام هو اتهام ابن المقفع والجاحظ في دينهما، فالأول قدرُمي بالزندقة، والثاني معتزلي، إمامٌ من أئمة البدع، وكتبهم في المناصحة تدل على ذلك، حيث يرد ابن المقفع على النصوص النبوية في مسألة الطاعة بالرفض والنقض، كما في كتابه "رسالة الصحابة"، وكذلك ما يفعله الجاحظ في كتابه "التاج" حينما يستحل ما هو معلوم تحريمه من الدين بالضرورة، كشرب الخمر، كما أن المرجعية الفارسية لا تمت إلى التأصيل العلمي للتأليف في مناصحة أئمة المسلمين بصلة، وغاية ما فيه أنه استفيد منهم في أسلوب التأليف كونه فناً مستقلاً، وكذلك الاستفادة منهم في تجارب الأمم وأحوال السياسة، التي هي كلاً مشاع بين الأمم. انظر: رسالة الصحابة لابن المقفع (ص ١٢١ - ١٢٤)، وانظر: التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٢١ - ٣١)، وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٣/ ٢٢٨)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م؛ وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن

ذلك الفن من التصنيف، فدائرة ابن المقفع وجهوده في "الفورسة" تمتد لتستوعب مؤلفات الجاحظ وإنتاجه في الأدب السلطاني، ويشهد على تبنيه لذلك أفكاره وكتاباتُه<sup>(١)</sup>.

وإذا كان كتاب الجاحظ "التاج" مثلاً على الأثر الفارسي لمصنفات المناصحة في طور النشأة والتأسيس، فإن كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك" لابن أبي الربيع رحمته الله (ت ٢٧٢هـ)<sup>(٢)</sup> قد

عثمان بن قايّاز الذهبي (٣/٩١٠)، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م؛ وانظر: لسان الميزان، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٣/٣٦٦)، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧١ م.

(١) انظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، تأليف: د. عبدالرحمن بدوي (ص ٤٠-٤١)، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٨٠ م، وانظر: مقدمة دراسة وتحقيق د. حسن يشو على إرشاد الملوك لسداد السلوك، تأليف: إبراهيم بن أبي زيد الهندي (ص ٤٠ - ٤١)، الناشر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٨ م.

(٢) اختلف بعد الدارسين في الفترة الزمنية التي عاش فيها شهاب الدين ابن أبي الربيع، فذهب بعضهم - كما هو في موضع الدراسة - إلى أنه عاش في القرن الثالث الهجري، زمن الخليفة المعتصم بالله رحمته الله (ت ٢٢٧هـ)، ويرى آخرون أنه عاش زمن الخليفة المستعصم بالله رحمته الله، والسبب في ذلك هو تجاهل كتب الطبقات والتراجم لشخصية شهاب الدين ابن أبي الربيع، وليس لدى الفريقين أي دليل قاطع حيال الأمر، سوى الاستئناس بقرائن الحال، فالقائلون بأنه عاش زمن المستعصم بالله رحمته الله نظروا إلى الأسلوب الفلسفي الذي لم ينتشر - على حد قولهم - إلا في زمن متأخر، وأن كتاباته متأثرة بكتب الغزالي وهو في القرن الخامس الهجري، كما يرون أن النضج الفلسفي في كتابات ابن أبي الربيع يبعد أن تكون قبل كتابات يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٥٦هـ)، والفارابي (ت ٣٣٩هـ)، كما يرون أن اسم "شهاب الدين" لم يكن مستخدماً في القرن الثالث كما تشهد بذلك كتب التراجم، ومن ناحية اسم الكتاب أيضاً "تدبير الممالك"، فيه دلالة على أنه عاش في عصر الانقسامات التي لم تكن موجودة زمن المعتصم. والأولون الذين يرون أنه عاش زمن المعتصم رحمته الله - كما هو محل الدراسة - يعللون بأن القرن الثالث زمن وجدت فيه الفلسفة اليونانية، حيث تم ترجمتها منذ زمن الرشيد رحمته الله (ت ١٩٣هـ)، والمأمون (ت ٢١٨هـ)، وأن زمن المستعصم الذي يذهب إليه القول الأول، كان زمن حروب لا

اعتمد فلسفة اليونان مادة "مرجعية" في مصنفه<sup>(١)</sup>.

لقد ألف ابن أبي الربيع رحمته الله (ت ٢٧٢هـ) كتابه السالف الذكر "سلوك المالك في تدبير الممالك" في نصيحة الملوك، وقدمه للخليفة العباسي المعتصم رحمته الله (ت ٢٢٧هـ)، مستمداً تكوينه المرجعي من التراث الفلسفي اليوناني، الذي كان حاضراً عنده إبان تأليفه في القرن الثالث الهجري<sup>(٢)</sup>، وقد قسم مصنفه هذا إلى أربعة فصول، تناول في الفصل الأول فلسفة الوجود، وفي الفصل الثاني عرج على أقسام الأخلاق وأحكامها، وتكلم في الفصل الثالث عن أصناف السيرة العقلية الواجب على الإنسان اتباعها، كما بين في الفصل الرابع أقسام السياسات، خاتماً كتابه بعدد من الوصايا والحكم وأقوال العلماء<sup>(٣)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الفلاسفة - ومنهم ابن أبي الربيع - يغيرون المؤلفين من الفقهاء والعلماء في تناولهم لموضوعات النصح في قضايا الحكم؛ فهم ينشغلون بتعقيل فكرة الدولة، وسلوك الحاكم، وذلك بربطها بالمثل الفلسفية المنقولة من نظريات أفلاطون وأرسطو وسقراط ومن ثم كان الأسلوب الفلسفي في السياسة الذي ظهر في عصر التدوين في جانب منه هو عبارة عن مجموعة من المقالات الفلسفية العقلانية، وفي الجانب الآخر مقتطفات من هذه المقالات على

تؤهل لحال المناصحة، ويتفق الباحث مع هذا الرأي، وهو الاختيار الذي تذهب إليه كتب دليل المصنفات، وتأريخ الكتب، وليس مع القائلين بخلافه دليل يدفع هذا الكلام، فإن الفلسفة وجدت في عصر مبكر يقارن عصر التدوين وقبله، والقول بأنه قد تأثر بكلام الغزالي والكندي، لا يمنع قلبه بأن يكون الاثنان قد تأثرا به، والقاعدة تنص على أنه "إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال" و "الأصل بقاء ما كان على ما كان". انظر: سوسيولوجيا - طور الانهيار - لمحمود إسماعيل (ص ٩١)، وانظر: تاريخ آداب اللغة العربية، تأليف: جرحي زيدان (٢/ ٢١٤-٢١٥)، الناشر: مطبعة دار الهلال، الفجالة - مصر، د. ط، ١٩١١م.

(١) انظر: السياسة الشرعية في الفكر الإسلامي لبرهان زريق (ص ٣٠٨).

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة العربية، تأليف: د. حنا الفاخوري وآخرين (ص ٣٧-٣٨)، الناشر: دار الجليل، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.

(٣) انظر: سلوك المالك لابن أبي الربيع (ص ١-٤).

شكل رسائل ونصائح وحكم قصيرة<sup>(١)</sup>.

لقد حفل هذا القرن الذي تشكلت فيه معالم هذا الفن بعدد من المصنفات، كما شهد التفات المؤلفين في هذا المجال<sup>(٢)</sup>؛ إلا أن ما يجدر الإشارة إليه والتأكيد عليه، هو الحضور الكامل أو الغالب للمرجعية الفارسية واليونانية والهندية في هذه الكتب، مع غياب مصادر الاستدلال الشرعي من كتاب، وسنة، وإجماع، وقول صحابي، ونحو ذلك، إلا في نزر يسير وعلى وجه التبع

(١) انظر: سوسولوجيا - طور الانهيار - لمحمود إسماعيل (٨٧/٤)، وانظر: مفهوم الدولة، تأليف: د. عبدالله العروي (ص ١٢٥)، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة التاسعة ٢٠١١م.

(٢) من أمثلة المصنفات المطبوعة في هذا القرن: كتاب "السلطان" لأبي محمد عبدالله بن عبدالمجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري" (ت ٢١٣هـ)، قام بدراسته وتحقيقه: أيمن عبدالجابر البحيري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د. ط، ٢٠٠٢م؛ وكتاب "أخلاق الملوك" لمحمد بن الحارث الثعلبي (ت ٢٥٠هـ)، طبعه: مكتبة دار الطليعة، بيروت - لبنان؛ وكتاب "الحجاب" للجاحظ، قام بتحقيقه: عبدالسلام هارون، ضمن رسائل الجاحظ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، وكتاب "أخلاق الملوك" للجاحظ، قام بتحقيقه: أحمد زكي، الناشر: المطبعة الأميرية، القاهرة - مصر ١٩١٤م.

أما المخطوط منها: فكتاب "تقويم السياسة الملوكية والأخلاق الاختيارية" لعبدالمملك بن قريب بن عبدالمملك بن علي الأصمعي (ت ٢١٦)، مخطوط باستانبول، مكتبة أحمد الثالث، رقم [١١٦]، ومكتبة نور عثمانية رقم [٢٥٩٨]، والجامعة الأمريكية بيروت - لبنان (Mic - A - 316)، ذكره نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١١١).

وأما المفقود منها: فكتاب "سياسة الملوك" لأبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي (ت ٢٢٦م)، ذكره: البغدادي في هدية العارفين (١/٦٢٣)، وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (٦/١٨٧)، وكتاب "تحفة الملوك" لأبي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري (ت ٢٤٧هـ)، ذكره الزركلي في الأعلام (٤/٢٨٨)، وكتاب "تنبيه الملوك" للجاحظ، ذكره الزركلي في الأعلام (٥/٧٤)، وكتاب "خبر الملك العادل في تدبير المملكة والسياسة" لأبي الفضل أحمد طيفور (ت ٢٨٠هـ)، ذكره البغدادي في هدية العارفين (١/٥١ - ٥٢)، وكتاب "رسالة في السياسة الملوكية" لعبيد الله بن عبدالله لخزاعي (ت ٣٠٠هـ)، ذكره ابن النديم في الفهرست (ص ١٧٠)، والبغدادي في هدية العارفين (١/٦٤٥)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٢/١٤٢١).

أيضاً.

ومن خلال ما تقدم فإن نشأة التأليف في مناصحة أئمة المسلمين تُصاغ في العناصر الآتية:  
 أولاً: ارتبطت نشأة الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين بالأدباء كتاب الدواوين من الموالي الذين استفادوا من التجربة الفارسية، والفلسفة اليونانية، والحكمة العربية، وكان مبدؤهم نهاية العصر الأموي (١٣٢هـ)، حتى برز في العصر العباسي الأول (١٣٢هـ - ٢٣٢هـ).

ثانياً: لا يعرف قبل هذا التاريخ مصنفٌ خاصٌ لهذا النوع من التأليف، خاصة وأن أمر النصيحة قبل ذلك كان مثل غيره ماثلاً في سائر العلوم الشرعية، ولا شيء أدل على ذلك من خلو "الفهرست" لابن النديم (ت ٣٨٤هـ) الذي صنف في أواخر القرن الرابع الهجري من أي إشارة إلى شيء من هذه المصنفات.

ثالثاً: أن هذا التأليف بدأ يتشكل تدريجياً، حتى أخذ شكله الموضوعي الذي ميّزه عن غيره خلال القرن الثالث الهجري<sup>(١)</sup>.

رابعاً: ما يجب قوله في هذا المقام أن مضامين هذه الكتب التي ألفت في هذه الفترة لم تكن كتباً شرعيةً تؤصّل مسألتها على الكتاب والسنة، ومصادر الشريعة التبعية، بل كانت في أكثرها من تجارب الفرس، وفلسفة اليونان، وتجارب وحكمة العرب، قصد بها مؤلفوها نصيحة الحكام، يقول ابن قتيبة الدينوري رحمته الله (ت ٢٧٦هـ) في مقدمة كتابه: "السلطان" الذي ألفه تذكرةً لسائس الناس ومسوسهم<sup>(٢)</sup>: "فإن هذا الكتاب - وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام - دال على معاني الأمور، ومرشد لكريم الأخلاق، زاجر عن

(١) انظر: السلطة والسياسة في الأدب السلطاني لعز الدين العلام (ص ٩)، وانظر: أدب النصيحة في الفكر السياسي

الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩٢).

(٢) انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ص ٤٣).

الدناءة، ناه عن القبيح، باعث على صواب التدبير، وحسن التقدير، ورفق السياسة...<sup>(١)</sup>، ويقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في كتابه "التاج": "ولنبداً بملوك العجم، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وعنهم أخذنا قوانين الملك والمملكة، وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية"<sup>(٢)</sup>.

ولذا يجد المتأمل في هذه المصنفات أن معالجتها لمسائل الشرع في الإمامة مثل: مسألة الطاعة، والأمانة، والعهد وغيرها، معالجةً أدبيةً أو فلسفيةً، ومن ذلك أن ابن المقفع (١٤٢هـ) في "رسالة الصحابة" ناقش مسألة الطاعة في علاقتها بالمعصية، وبين وجه طاعة الخليفة ومجالاتها، ولم يستدع في هذا المقام نصاً من الكتاب أو السنة بل خالفهما<sup>(٣)</sup>، مع أنها من قضايا الإمامة الكبرى في الشريعة، ومثله ابن أبي الربيع رحمته الله (ت ٢٧٢هـ) في كتابه "سلوك المالك في تدبير الممالك" الذي انطلق في تأسيسه للخصال والفضائل - باعتبارها مسألة أخلاقية - من نظرية قوى النفس كما اشتهرت عند الفلاسفة، وقد اعتمد في الاحتجاج لها بدلالة العقول، كما هو شأن الفلاسفة؛ إذ الحقيقة لديه هي حقيقة عقلانية، اجتهد في ربط عناصرها وأدلتها بالمدرجات العقلية الضرورية التي يتساوى فيها عقلاء بني البشر، ولم يلجأ إلى النص الشرعي إلا في أندر الأحوال، وعلى وجه التبع أيضاً، فهو يعتمد على الفكر السياسي اليوناني، ويستلهم غالب أفكاره من أرسطو وأفلاطون وغيرهم<sup>(٤)</sup>، وبمثل هذا يقال في كتاب "السلطان" لابن قتيبة رحمته الله (ت ٢٧٦هـ) الذي عالج مسألة الطاعة دون أن يستند في ذلك إلى كتاب أو سنة أو إجماع.

خامساً: يتضح لدى الباحث من خلال مطالعة كتب المناصحة، أن تلك المصنفات في

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ص ٤٢).

(٢) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٢١).

(٣) انظر: رسالة الصحابة لابن المقفع (ص ١٢١ - ١٢٤).

(٤) انظر: السياسية الشرعية في الفكر الإسلامي، تأليف: د. برهان زريق (ص ٣٠٨)، د. ن، الطبعة الأولى ٢٠١٦ م.

الغالب قد لبست لبوس الأثر والفقهاء بعد المئة الرابعة من تاريخ الإسلام - وهو ما سيتضح في المطلب الثاني - بعد أن انبرى لها فقهاء الإسلام وعلماءه في القرنين الخامس والسادس الهجريين؛ وذلك بسبب كثرة الاضطرابات والفتن داخل العالم الإسلامي وخارجه<sup>(١)</sup>، ومن أشهر المؤلفات في ذلك كتابا الماوردي رحمته الله (ت ٤٥٠هـ) "نصيحة الملوك" و "تسهيل النظر وتعجيل الظفر" وكتاب أبي بكر محمد بن محمد ابن الوليد الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ) "سراج الملوك"، وغيرها مما سيأتي الحديث عنه في طي هذه الدراسة.

إن ذكر هذه المؤلفات، والإشارة إلى هذه الحقبة الزمنية لتأسيس التأليف في هذا المجال، من الأهمية بمكان؛ لأنها تُعد الميلاذ الأول الذي تشكلت فيه هذه المؤلفات في هذا المجال، والتي أصبحت الكتب من بعده امتداداً فنياً لها، فكتب النصيحة حتى الواقع القريب، قد تأثرت بمضامين المؤلفات الأولى في الحكمة والتجارب، والتي تأسست على الثقافات اليونانية، والرومانية، والفارسية، والهندية، وحكم العرب وغيرهم، فأسماء أردشير، وأبرويز، وبزرجمهر، وبهرام بن بهرام، وسابور، ويزدجرد، وغيرهم من ملوك الفرس، وحكمائهم، حاضرة في مصنفات الفقهاء والعلماء لكتب المناصحة، كما هي موجودة في كتب المتقدمين، يقول الطرطوشي رحمته الله (٥٢٠هـ) في مقدمته: "فجمعت محاسن ما انطوت عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوائف وحكام الدول... فنظمت ما ألفتته من كتبهم من الحكم البالغة، والسير المستحسنة... إلى ما روته وجمعت من سير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وآثار الأولين، وبراعة العلماء، وحكمة الحكماء، ونوادير الخلفاء، وما انطوى عليه القرآن العزيز..."<sup>(٢)</sup>، وبذلك أقر ابن رضوان رحمته الله (ت ٧٨٣هـ) في مقدمة كتابه "الشهب اللامعة" حين قال: "وجمعت من سياسة الملوك الأقدمين، وسير الخلفاء الماضين، وكلمات الحكماء الأولين، ما فيه غنية

(١) انظر: السياسة الشرعية في الفكر الإسلامي لبرهان زريق (ص ٣٠٦)، وانظر: متاهة الحاكمية لهاني نسيرة (١٠٣)،

و (١١٥)، وانظر: أدب النصيحة في الفكر الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩٢).

(٢) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٣).

الخاطر..<sup>(١)</sup>، وبمثله نصّ الشيزري رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ (ت ٥٩٠هـ) صاحب كتاب "المنهج السلوك في سياسة الملوك"، وابن الحداد رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ (ت ٦٧٣هـ) في كتابه "الجواهر النفيس في سياسة الرئيس" في مقدماتهم.

غير أنّ ما يميز كتب العلماء والفقهاء والوعاظ عن السابقين، هو أن حضور تلك الثقافات حضور تبعي، اقتضته وحدة السنن، والاستفادة من تجارب الأمم، فيما لا يعارضه شرع، ولا يمنع منه عرف، وفي هذا يقول الماوردي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ (ت ٤٥٠هـ): "إن أحوال الأمم المعروفة أخبارها، والممالك المشهورة آثارها، والملوك المنقولة إلينا أوائل أيامها وأواخرها تتشابه"<sup>(٢)</sup>، مما جعله وجعل غيره يضمّنون كتبهم شيئاً من الثقافات الأخرى، فالرجعية الشرعية عند هؤلاء الفقهاء هي الحاكم المهيمن على مصنفاتهم؛ لأن "الأمر في المرجعية الإسلامية يتعلق بمؤلفين مسلمين يصوغون نصائحهم السياسية والأخلاقية لخلفاء وملوك وسلاطين مسلمين، فوق رقعة تعود لدار الإسلام، وفي صياغتهم لتأليفهم يستشهدون بسلطات مرجعية إسلامية، بدءاً من الآية القرآنية إلى الحديث النبوي إلى ما قاله فقهاء وعلماء الإسلام، كما يستقروّون مادة كتاباتهم من مجريات التاريخ الإسلامي، بدءاً من وقائع التجربة النبوية، وفترة الخلافة الراشدة وما تلاها من دول إسلامية"<sup>(٣)</sup>.

وبعد هذه الإشارة المختصرة عن نشأة التأليف وتأسيسه في كتب المناصحة، تتناول الدراسة السياق التاريخي للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره في المشرق والمغرب الإسلاميين.

(١) الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تأليف: ابن رضوان المالقي (ص ١٢)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، الناشر:

دار الكتب العالمية، د. ط، ٢٠٠٤م.

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٧٩).

(٣) الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١١٣).

## المطلب الثاني

### السياق التاريخي لتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره في بلاد المشرق<sup>(١)</sup>

إن التصنيف في موضوع مناصحة أئمة المسلمين قد شمل جميع فترات التاريخ الإسلامي، وجميع أماكنه، ومذاهبه، وما تم العثور عليه في دور المخطوطات، وخزاناتها، وكذا ما أشارت إليه فهارس الكتب، والتراجم، والتاريخ، كل هذا يبرهن على تغطية هذه المصنفات لمختلف الفترات التاريخية والمذاهب والأقاليم<sup>(٢)</sup>.

وإن عشرات الكتابات المدرجة في باب مناصحة أئمة المسلمين، بدءاً من القرن الثاني الهجري، وحتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري في بلاد المشرق، ومن منتصف القرن الخامس الهجري، وحتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري أيضاً في المغرب الإسلامي، لتشهد على زخور المكتبات بهذه المؤلفات والمصنفات التي تعد من عيون كتب السياسة الشرعية<sup>(٣)</sup>.

---

(١) يُقصد بالمشرق الإسلامي البلاد الإسلامية الممتدة جغرافياً من مصر وما يليها شرقاً إلى بلاد الصين، استناداً إلى المدلول الجغرافي، فهي تشمل: مصر، والشام، والحجاز، والعراق، واليمن، وخراسان، ونجد، والبحرين، وما وراءها. انظر: الثقافة وتبليغها بالأندلس في عصر الريادة من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري، إعداد: إبراهيم حركات (ص ١١٧)، مقال منشور في مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد [٦] عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢) انظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ١٠٦).

(٣) تقدم في النشأة أن البدايات الأولى كانت في المشرق ممثلة في كتابات: سالم أبو العلا، وعبد الحميد الكاتب، وأن تجسيدها الصنفي كان في عصر التدوين على يد ابن المقفع (ت ١٤٢) الذي يُعد عند كثير من المشتغلين المؤسس الحقيقي لهذا الفن، وقد تطورت الكتابة فيه في بلاد المشرق حتى انتهت في القرن الرابع عشر الهجري بكتاب أحمد بن إسحاق البرزنجي (ت ١٣٣٢) المسمى بـ "النصيحة العامة للملوك الإسلام والعامة"، وقد كان ميلادها في المغرب في القرن الخامس الهجري على يد محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨هـ) في كتابه "الذهب المسبوك في وعظ الملوك"، واستمرت حتى القرن الرابع عشر الهجري حين قدّم علي ابن محمد السوسني السملالي (ت

وتبتدئ الدراسة بعرض السياق التاريخي للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره في المشرق؛ لأنه يشكل النواة الأولى التي أنتجته، حيث سبق الكتابة في المغرب الإسلامي بنحو ثلاثة قرون تقريباً، وامتد معه إلى نهايته، وستكون بداية القرن الرابع مبدأ دراسة السياق التاريخي في هذا المطلب؛ لأن ما سبق ذكره مفصلاً في النشأة يغني عن إعادته.

ففي القرن الرابع الهجري نشط الاتجاه الفلسفي في النظر إلى الدولة وفق رؤيته، معتمدين كسابقهم على الترجمات الإغريقية من جهة، ومن تجربة الخلافة الإسلامية من جهة أخرى<sup>(١)</sup>، وكان وراء اندفاع ذلك الاتجاه ظهور الدولة السلطانية في العالم الإسلامي أواخر القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع الهجري<sup>(٢)</sup>، وكانت تلك الكتابات الفلسفية تروم معالجة وإصلاح الواقع السياسي من وجهة نظرها، وتقدم حلولاً لنجدة الافتراق الذي حل بالخلافة<sup>(٣)</sup>، ومن

١٣٢٨هـ) كتابه "مطالع السعادة في فلك سياسة الرياسة" هدية للسلطان الحسن بن محمد بالغرب. انظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ١٠٦ - ١٠٨، ص ٢٢٠ ص ٢٢٦)، وانظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٨)، وانظر: دليل مصنفات السياسة الشرعية والأحكام السلطانية، اللجنة العلمية بمركز ابن الأزرق (ص ١١)، وانظر: الجذور التاريخية للشعبوية، تأليف: د. عبدالعزيز الدوري (ص ٥٣)، الناشر: دار الطليعة بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٠م، وانظر: السياسة الشرعية في الفكر الإسلامي لبرهان زريق (ص ٣٠٨)، وانظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٣٣).

(١) انظر: الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام لعبد الرحمن بدوي (ص ٥ - ١٠).

(٢) انظر: أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩٤).

(٣) ترافق مع تحرك قبائل الترك والديلم المقاتلين من أواسط آسيا والجنال باتجاه خراسان والعراق والشام، نجاح انشقاق الطائفة الإسماعيلية في تأسيس دولة بالمغرب، التي اتخذت لنفسها اسم الخلافة، وقيام دويلات قرمطية وخارجية بالمغرب، وجنوب الجزيرة العربية، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالبويعيين الذين استولوا على بغداد نفسها في مطلع القرن الرابع، وليقل أيضاً مثل ذلك في الإمارات البدوية التي ظهرت شمالي بلاد الشام، وأعلنت ولاءها للخلافة، وبذلك تعرضت وحدة الخلافة للخطر، وهو الأمر الذي كان حديثاً في تاريخ المسلمين، وكانت انشقاكات الخارجين على الخلافة الإسلامية كبيرة في ذلك العصر. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد،

=

المصنفات: "آراء أهل المدينة الفاضلة" للفارابي، الفيلسوف (ت ٣٣٩هـ) وكتاب "السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية" لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري (ت ٣٨١هـ) وغيرها. لم توجه تلك المصنفات خطابها المباشر للملوك والسلاطين، وإن كان موضوعها الحي، ومحورها الرئيس هو الخلافة والملك، وهدفها النصيحة.

ومن خلال التقصي والبحث لمصنفات النصيحة في ذلك العصر، فإن الباحث لم يقف إلا على بعض العناوين من الكتب المفقودة أو المخطوطة، التي تتفق في الظاهر مع موضوع الدراسة<sup>(١)</sup>، ويبقى هذا العصر - على حد علم الباحث - شحيحاً بالمصنفات في موضوع المناصحة.

تأليف: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ص ١٣٣)، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت، وانظر: البدء والتاريخ، تأليف: المطهر بن طاهر المقدسي (ص ٢٠٧)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، د. ط، د. ت، وانظر: الدولة الإسلامية في العصر العباسي - قضايا ومواقف، تأليف: د. صابر محمد دياب حسين (ص ١٧١ - ١٧٤)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، وانظر: دراسة الدكتور رضوان السيد لكتاب سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢٤٢ - ٢٤٣)، منشورة في: مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت - لبنان، العدد [١٢] السنة الثالثة، صيف العام ١٩٩١م / ١٤١٢هـ، وانظر: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة (٢٤٧ - ٦٥٦هـ / ٨٦١ - ١٢٥٨م)، تأليف: د. محمد ماهر حمادة (ص ١٧ - ١٨، ٦١ - ٧٠)، سلسلة وثائق الإسلام (٣)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٨م.

(١) وقف الباحث على ثلاثة مصنفات في هذا القرن، أحدها مخطوط، والآخرين مفقودين: أما المخطوط: فكتاب "محاسن الملوك" للقاضي أبي يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت ٣٥٢هـ)، وهو موجود بدار الكتب المصرية برقم [٤٧٨٦]، أدب.

وأما المفقود منها: فكتاب "رسالة في السياسة الملوكية" لأبي أحمد عبيدالله بن عبدالله الخزاعي (ت ٣٠٠هـ) ذكره البغدادي في هدية العارفين (ص ١٢٠)، وكتاب "الفرح" لأبي الحسن علي بن نصر البغدادي (ت ٣٧٨هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢ / ١٤٤٥).

وفي القرن الخامس الهجري برزت مصنفات العلماء في مناصحة أئمة المسلمين، واكتست الآداب السلطانية بحلة الشريعة؛ وذلك بسبب شهود العديد من الاضطرابات والفتن داخل العالم الإسلامي وخارجه، فحين تشتد الاضطرابات والمحن، وتحل الأزمات والفتن، تزيد مسؤولية العلماء والناصحين تجاه أمتهم وولاية أمرهم<sup>(١)</sup>، ففي تلك الفترة العصبية بزغ نجم أبي الحسن الماوردي رحمته الله (ت ٤٥٠هـ) القاضي والفقير الشافعي، والمفسر، والأصولي، والأديب، كان أبو الحسن الماوردي رحمته الله رجلاً عظيماً مقدماً عند السلطان<sup>(٢)</sup>، وقد عاش في أزمة الخلافة الإسلامية عندما كان أمر الخليفة صورياً في ظاهر سلطة لا باطن له<sup>(٣)</sup>، حتى أن أبا

(١) كثرت الفتن والاضطرابات مع ضعف الدولة العباسية في عصرها الثاني، ونشأت انشقاقات قرمطية في أجزاء عديدة من جنوب العراق إلى بادية الشام وامتدت حتى اليمن سنة (٢٦٦هـ)، كان غايتها الخروج على خلافة الإسلام، حتى أسس لها أبو سعيد الجنابي دولة طبق فيها مبادئ القرامطة، ثم مع دخول بني بويه بغداد سنة (٣٣٣-٣٣٤هـ) إلى حين إخراجهم من قبل الدولة السلجوقية التي خلفتها في القرن الخامس الهجري على يد طغرل بك سنة (٤٧٧هـ)، كل هذا وغيره أربك الوضع الديني والسياسي والاجتماعي في العالم الإسلامي، إلا أن الحالة العلمية ونشاط العلماء كان في حياة وازدهار، وهو العصر الذي شهد مشاركة العلماء فيما يسمى بمصنفات المناصحة لأئمة المسلمين، وغيرها من مصنفات السياسة الشرعية. انظر: الدولة الإسلامية في العصر العباسي - قضايا ومواقف، تأليف: د. صابر محمد دياب حسين (ص ١٧١ - ١٧٤)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، وانظر: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية لمحمد حمادة (ص ١٧ - ١٨)، وانظر: مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ٩ - ٢٧)، وانظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية "الدولة العباسية"، تأليف: الشيخ محمد الخضري بك (ص ٤٦٤ - ٤٧٤)، تحقيق: الشيخ محمد العثماني، الناشر: دار القلم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (٥/ ٢٦٧-٢٦٨)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو السبكي، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

(٣) انظر: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تأليف: محمد علي بن طباطبا بن الطقطقي (ص ٣٢)، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٦٦م.

الريحان محمد بن أحمد البيروني رحمته الله وصف حال الخلافة زمن الماوردي بأن القائم من أبناء الخلفاء هو رئيس وليس بملك، واكتفوا من الخلافة بالخطبة والسكة<sup>(١)</sup>؛ لأن السلطة الشرعية للخليفة الذي ينصبه البويهيون أو يعزلونه، حتى آل أمر الخلافة العباسية إلى الخليفة العباسي "القادر بالله" في سنة (٣٨١هـ) وحتى نهاية (٤٢٢هـ)، والذي حاول جهده من أجل إحياء أمر الخلافة العامة، وإعادة سلطانها إليها، مستعيناً في ذلك بجهود العلماء والفقهاء من أهل السنة؛ لمواجهة ومدافعة السلطة الفعلية للشيعة الإمامية ممثلة في البويهيين، أو الباطنية التي تبنتها الخلافة الفاطمية بمصر، والتي أصبحت داعماً لانتشار المعتقد الباطني في العالم الإسلامي آنذاك.

كان الماوردي رحمته الله (ت ٤٥٠هـ) أحد الأسباب الكبرى التي استعان بها الخليفة العباسي "القادر بالله" في استعادة الحق المسلوب من السلطة العباسية، ومحاولة تحييد سلطان الفرق الباطنية من الإسماعيلية والإمامية<sup>(٢)</sup>، يؤهله لذلك موسوعيته العلمية في فنون الشريعة، ومكانته السياسية في تلك الفترة، حيث كانت تربطه علاقات مع رجالات الدولة العباسية، كما كان وسيطهم أيضاً لدى السلاجقة، وسلاطين بني بويه الذين كانوا يحرصون بالقرب<sup>(٣)</sup>.

لقد أثمرت جهود الماوردي التصحيحية - وهو من رجالات الدولة - نتاجاً في السياسة الشرعية، كان من أظهرها الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين، والتي تعد تأسيساً للكتابة الشرعية

(١) انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك حتى منتصف القرن الخامس الهجري، تأليف:

محمد جمال الدين سرور (ص ٥٩)، الناشر: دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٢) للاستزادة انظر: دولة الخلافة لسعيد العلوي.

(٣) انظر: البداية والنهاية تأليف: عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٦٤٣/١٥)،

تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الناشر: هجر للطباعة

والنشر - الجيزة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م؛ وانظر: دراسة في التفكير السياسي عند أبي الحسن الماوردي

لسعيد العلوي ص ٩٦، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيد (ص ٢٦)، وانظر: متاهة

الحاكمية لهاني نسيرة (ص ١٠٩).

في هذا الفن، فقد ألف عدة مصنفات في المناصحة للخلفاء، والملوك، وأهل الولاية في الإسلام وهي:

١- "نصيحة الملوك".

٢- "تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك".

٣- "قوانين<sup>(١)</sup> الوزارة وسياسة الملك"<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

٤- "درر السلوك في سياسة الملوك"<sup>(٤)</sup>.

(١) مما يجدر الإشارة إليه حيال عناوين المناصحة، أن استقرارات بعض المشتغلين بتلك المصنفات تلاحظ "أنها على اختلاف ألفاظها، تحيل إلى المعنى نفسه، وتؤدي الوظيفة نفسها، تختلف "الدوال" ويبقى "المدلول" واحداً لا يتغير، وعموماً يمكن أن نتحدث عن أربع حالات يتقدم لنا من خلالها الكتاب بوصفه كتاباً "ناصحاً"، و"منيراً"، و"ذهيباً"، و"نادراً".

هناك كتابات يقدمها لنا عنوانها على أنها مفتاح السلوك السياسي الناجح، باعتبارها دليل عمل يتضمن كل النصائح العلمية المفيدة في ممارسة الحكم، وضمان بقائه، وسبل تقويته، وهذا ما يبدو واضحاً في تكرار كلمة "السلوك" نفسها في أكثر من عنوان، كما نجد في المعنى نفسه عناوين أخرى تتضمن عبارات مثل: "التدبير"، و"النصيحة"، و"الإشارة"، و"القانون"، "التهذيب"... وهي كلها تفيد إسداء النصيح، وتقديم دليل عمل من شأنه أن يفيد الحاكم، ملكاً، أو خليفة، أو أميراً في ممارسته للسلطة". النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٤٤).

(٢) قام بتحقيقه: د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(٣) يرى د. رضوان السيد أن الترتيب الزمني لمؤلفات الماوردي في المناصحة على النحو الآتي: ١- "نصيحة الملوك" في عام (٤٢٥هـ) تقريباً، ٢- "قوانين الوزارة" في عام (٤٢٧هـ) تقريباً ٣- "تسهيل النظر وتعجيل الظفر" في عام (٤٣٢هـ) تقريباً. انظر: مقدمة تحقيق رضوان السيد على تسهيل النظر للماوردي (ص ١٠٢).

(٤) قام بتحقيقه: د. فؤاد عبدالمنعم، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٥- "التحفة الملوكية في الآداب السياسية" المنسوب إليه<sup>(١)</sup>.

ويُعدّ كتاب: "نصيحة الملوك" المرتكز والأساس لمؤلفات المناصحة عند الماوردي، يليه

كتاب: "تسهيل النظر" ثم كتاب: "قوانين الوزارة".

ولم تكن - فيما يبدو - كثرة تصانيف الماوردي في المناصحة ترفاً علمياً، كما أنها لم تكن إعادة وتكراراً لما سبق ذكره، بل إنها قامت على معيار التسلسل، ومبدأ الانتقال من العام إلى الخاص، فالقارئ يقف أمام نص واحد، قد فُصّل في عدة كتب، وفي مقدمات المصنف ما يوضح ويبرز أهدافه، وحدود تصنيفه، حيث يتناول الكتابان "نصيحة الملوك" و "درر السلوك" مؤسسة المُلْك والمَلِك من نواحيه ومتعلقاته المختلفة، ويسلط الكتاب الثاني "التسهيل" النظر على قواعد إدارة الملك ومهامه المناطة به، أما المؤلف الثالث "قوانين الوزارة" فيقتصر على مهمة الوزير وضروب الوزارة، وعلاقة تلك المهمة بالملك، وهي كما هي معلوم جزء تابع له، فالنظام الواحد إذاً الذي ينظم تلك المصنفات كلها، هو مسألة النصح في موضوع التدبير السياسي بجوانبه العملية والأخلاقية<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن الماوردي رَحْمَةً أيضاً وحيد عصره في ذلك النوع من التصنيف، الذي شهد ثراءً وتنافساً لدى الفقهاء والعلماء في تلك الفترة، ولكنه كان - من وجهة نظر الباحث - هو المؤسس للكتابة الشرعية فيها<sup>(٣)</sup>، ذلك أنه قد اجتمع في مكتبته شخصيته عدة أمور أهلته للتقدم على غيره

(١) سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن مؤلف الأهوازي "التبر المنسبك في تدبير الملك"، من مصنفات القرن السادس الهجري.

(٢) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٣ - ٣٦)، وانظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ١٢٦)، وانظر: قوانين الوزارة للماوردي (ص ١٣٩ - ١٥٥)، وانظر: درر السلوك للماوردي (ص ٥٤ - ٥٥).

(٣) يركز الباحث على الماوردي في هذا المبحث؛ لأنه يشكل مرتكز الكتابة الشرعية في مجال مناصحة الأئمة، كما يُعدّ الطرطوشي عند كثير من القارئ هو محور المؤلفين في المغرب الإسلامي في ذلك المجال.

في هذا المجال وهي:

- ١- موسوعيته العلمية، فقد كان رحمته الله فقيهاً، ومحققاً، ومفسراً، وأصولياً، وأديباً.
- ٢- ممارسته للولاية نفسها فقد ولي رحمته الله القضاء، وكان يلقب بأقضى قضاة عصره<sup>(١)</sup>.
- ٣- حضوره الفاعل لأكبر المجريات السياسية في تلك الفترة، مع تمتعه بالحظوة الشريفة لدى خلفاء وملوك عصره، الأمر الذي صنع عنده ملكة وحنكة سياسية، تشهد بحسن تجربته في هذا المجال.
- ٤- استصحابه لمسألة تصحيح مضامين الكتابة الأولى في مناصحة الملوك ونقدها، فإن تعديل مسار مضامين الكتابة في هذا المجال كان حاضراً في هاجسه حال تأليفه، يقول رحمته الله في مستهل الباب الخامس من كتابه "نصيحة الملوك": "وما يجب أن يقدم في هذا الباب أنا لم نقصد في كتابنا هذا ما يعده كثير منهم أدباً في الجلسة واللبسة والركبة والطعمة، والأثاث، التي يتجملون بها فيما بينهم والزي الذي يتزينون به؛ لأنهم بذلك أعلم منا، وأنهم قد أخذوا منها فوق ما يمكننا وصفه وشرحه.
- ثم قد ألفت لهم أتباعهم وأبناء الدنيا منهم، كتباً كثيرة قديمة وحديثة في دونها كفاية عن هذه الأبواب، ومندوحة عما يتكلفه متكلف من أهل هذا الزمان.
- ولعل كثيراً مما فعلوه من ذلك ليس فيه فائدة في باب السياسة، ولا جدوى على الراعي ولا على الرعية.
- ولكننا أردنا أن نجعل كتابنا هذا دينياً، نُريهم فيه مصالح معادهم ومعاشهم، ونظام

---

(١) انظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (١٩٥٥/٥)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م؛ وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٦٤).

ممالكهم وأحوالهم بكتاب الله رب العالمين، وسنن الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، والملوك الأولين، ونحذرهم سوء المصرع، ولؤم الميتة، وقبح الأحدثة، واستحقاق العقوبة عاجلاً وأجلاً<sup>(١)</sup>.

ومن مصنفات مناصحة الأئمة في ذلك القرن كتابا أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي رحمه الله (ت ٤٢٩هـ) "آداب الملوك"<sup>(٢)</sup>، و"تحفة الوزراء"<sup>(٣)</sup> وقد صنف كتابه الأول "آداب الملوك" للملك أبي العباس مأمون بن خوارزم شاه (ت ٤٠٧هـ)<sup>(٤)</sup>، وقسمه على عشرة أبواب، جعل نصفه الأول في ذكر الفضائل والأوامر، والنصف الآخر في التروك والنواهي، ثم ختمه بجملته من الواصايا، والكتاب يعتمد الوحيين وآثار السلف في محتواه.

أما كتابه "تحفة الوزراء" فقد قصد به نصيحة الوزير أبي عبد الله الحمدوني رحمه الله، يقول في مقدمته: "... فإني حين خدمت مولانا ملك الزمان... خطرت لي أن أخدم وزيره الأعظم، ومشيره الأفخم، أبا عبد الله الحمدوني..."<sup>(٥)</sup>، وقد رتب كتابه على خمسة أبواب، تحدث فيها عن معنى الوزارة وفضلها، ومناقبها وآدابها، وأقسامها، ثم ختمه بذكر وصايا ونكت أهل الكفاية منهم، ويتضح جلياً في طي الكتاب حرص مؤلفه على النهل من الكتاب والسنة والآثار، حيث يُصدر أول كل كتاب بجملته من ذلك.

وعلى طريقة المحدثين وأهل الأثر صنف أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني رحمه الله (ت ٤٣٠هـ) كتابه "فضيلة العادلين من الولاة" قصد بذلك بذل النصيحة لولاة وأمراء وملوك

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٥).

(٢) قام بتحقيقه: د. جليل العطية، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

(٣) قام بتحقيقه: حبيب الراوي وابتسام مرهون الصفار، الناشر: وزارة الأوقاف، بغداد - العراق، د. ط، ١٩٧٧م.

(٤) انظر: آداب الملوك لأبي منصور الثعالبي (ص ٢٩).

(٥) تحفة الوزراء لأبي منصور الثعالبي (ص ٣٨).

الأمة، يقول في مقدمته: "...فمن أسبغ الله عليه نعمه بالتمكين والتأييد، ومد باعه بالقدرة والتمهيد، وفوض إليه سياسة رعيته للتهذيب والتسديد، جدير بأن يولي الأمر أهله.." (١) وقد ساق فيه ﷺ تسعة وأربعين حديثاً وأثراً، متبوعاً ببعض الفوائد والتعليقات من فقهه ﷺ.

ويُعدّ هذا القرن - من وجهة نظر الباحث - هو ميلاد كتب المناصحة الشرعية في خزائنه، حيث كان حافلاً وغنياً وثرى بها، يشهد على ذلك المطبوع منها بين أيدينا، والمخطوط، وكذلك المفقود الذي ذُكر في مصنفات التاريخ والتراجم (٢).

تصدر كتاب أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ﷺ (ت ٥٠٥هـ)، "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" مؤلفات القرن السادس الهجري، ويعد هذا المصنف من أشهر مؤلفات الغزالي ﷺ، وقد ألفه للسلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي ﷺ باللغة الفارسية، ثم ترجم

(١) فضيلة العادلين لأبي نعيم (ص ٨٧).

(٢) من المصنفات المطبوعة في ذلك القرن كتاب: "الطف التدبير في سياسة الملك" تأليف: محمد بن عبدالله، المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، قام بتحقيقه: أحمد عبد الباقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ / ١٣٧٩م، وكتاب: "سياسة نامه" "سير الملوك" تأليف: الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (ت ٤٨٥هـ)، ترجمه عن الفارسية: الدكتور يوسف بكار، الناشر: وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، د. ط، ٢٠١٢م.

أما المخطوط منها: فكتاب: "فوائد السلوك فيما يحتاج إليه الملوك" للحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازي (ت ٤٦٦هـ)، وهو موجود بالخزانة الحسينية بالرباط رقم [٦٤٨١] وفي غيرها، ذكره نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١٣٦).

وأما المفقود منها: فكتاب: "نظم السلوك في مسامرة الملوك"، تأليف: إبراهيم بن القاسم أبي إسحاق، المعروف بابن الرقيق القيرواني (ت ٤٢٥هـ)، ذكره الزركلي في الأعلام (١/٥٧)، وكحالة في معجم المؤلفين (١/٥٢-٥٣)، وكتاب: "المحبوك بالطريق المسلوك فيما يصنعه الملوك"، تأليف: عبد المجيد بن يونس بن كافور الأخشيدي (كان حياً ٤٣٥هـ)، ذكره البغدادي في هدية العارفين (١/٦١٩-٦٢٠).

إلى اللغة العربية والتركية<sup>(١)</sup>، بدأ المؤلف كتابه بمقدمة أطنب فيها بذكر المسلمات التي ينبغي اعتقادها والإيمان بها، مثل: الإقرار بفضل الله ونعمه، وحق القيام بشكره، وتذكير السلطان بحقيقة الخلق ونحو ذلك، ثم عن الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها الملك، والأخلاق التي يجب أن تقوم في الرعية لتصلح أحوالهم، وأكد على أهمية الإيمان في صلاح أمر الحاكم، ثم تناول أصول العدل والإنصاف، وجعلها في عشرة أصول، ويتكون الكتاب من مقدمة ومقالتين وسبعة أبواب.

ومن مؤلفات القرن السادس الهجري في بلاد المشرق كتاب: "التبر المنسبك في تدبير الملك"<sup>(٢)</sup>، لأبي الحسن علي بن محمد الأهوازي الحنفي رحمته الله (كان حياً ٥٤٢هـ)، وقد ألفه برسم السلطان أحمد الهثماني، والكتاب منقسم إلى سبعة فصول، تطرق فيها إلى أهمية العقل وأنه أصل التكليف، ثم عن واجبات الإمام مثل: المشورة والعدل وغيرها، وما يلزم الإتيان والعمل به، وما ينبغي تركه والحذر منه، وقد تناول في كتابه موضوعات الإصلاح، والعمارة وتفقد الرعية وقت الجوائح.

كما شارك عبدالرحمن بن نصر الشيزري رحمته الله (٥٩٠هـ) علماء عصره بالتصنيف في مجال المناصحة، فألف كتاباً أسماه ب: "المنهج السلوك في سياسة الملوك"<sup>(٣)</sup>، حمّله على ذلك الغيرة والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم، حين عاين بنفسه ما ألمّ بمجتمع المسلمين إبان القرن السادس

(١) انظر: مقدمة دراسة وتحقيق محمد أحمد دمج على التبر المنسبك للغزالي (ص ٧-٨).

(٢) قام بطبعته: مطبعة التمدن بالقاهرة - مصر، عام ١٣١٧هـ/ ١٩٠٠م، ثم أعيد تحقيقه على أنه كتاب "التحفة الملوكية في الآداب السلطانية" المنسوب لأبي الحسن الماوردي، وقد قام بتحقيقه: د. فؤاد عبدالمنعم، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ط، ١٩٩٣م، كما سبق الإشارة إليه في الحديث عن مصنفات الماوردي، وقد اكتشف محققه الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد أن نص "التحفة" هو ذات نص "التبر المنسبك" المنسوب للأهوازي.

(٣) قام بتحقيقه: عبدالله موسى، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

الهجري من فساد أخلاقي، وسياسي، واقتصادي، وما آل إليه الأمر من شتات بعد اجتماع، وتمزق بعد التفاف، وهو ما أشار إليه في مقدمته، وقد جعله ﷺ في عشرين باباً، تحدث فيها عن فضل العدل ومكانته في الشرائع، وعرج على فقه الشورى وآداب المستشارين، كما سلط الضوء في كتابه على قواعد السياسة الشرعية وميزان العدل، والحنكة الإدارية في سياسة الحروب والجيش وأعمال الجند، وذيل كتابه بحاجة النفس إلى المواعظ ومجالس الذكر.

وفي أواخر القرن السادس الهجري ألف عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي، المعروف بابن الجوزي ﷺ (ت ٥٩٧هـ) كتابه المسمى بـ "الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء"<sup>(١)</sup>، قصد به ﷺ وعظ عامة الملوك وتذكيرهم، كما يقول في مقدمته: "كما صنفت كتباً في مواعظ العوام؛ آثرت أن أكتب كتاباً في مواعظ الملوك، فهم أحق الناس بوعظ الواعظين"<sup>(٢)</sup>، والكتاب مقسم على عشرة أبواب، ضمنها ما ينبغي أن يتخلق به الحاكم مما عُرف بالأثر، والتجارب، والحكمة وصواب الرأي، وما ينبغي أن يفعله ولي أمر المسلمين وما يجب أن يفارقه، ويتضح عند الناظر اعتماد المؤلف على الأدلة من الكتاب، والسنة، والآثار في مؤلفه، وله أيضاً كتاب: "المصباح المضيء في خلافة المستضيء"، ألفه بعد كتاب: "الشفاء" فيما يظهر<sup>(٣)</sup>، وقد "اهتم ابن الجوزي بكتاب المصباح وبمادته على نحو خاص؛ لأنه كما تُبين مادة الكتاب وبنيتها، أراد أن يكون مرجعاً للخليفة في تطبيقات السياسة الشرعية"<sup>(٤)</sup>، والكتاب كأنه إعادة مبسطة لكتاب "الشفاء".

وتعد هذه المصنفات أشهر ما تم الوقوف عليه من مصنفات مناصحة أئمة المسلمين في

(١) قام بتحقيقه: د. فؤاد عبدالمعتم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية - مصر، د. ط، ١٩٧٨ م.

(٢) الشفاء لابن الجوزي (ص ٤٠).

(٣) انظر: في الوعظ السياسي، العدل والدولة، تأليف: أحمد السري (ص ١١٢)، الناشر: دار العين للنشر، الطبعة

الأولى ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩ م.

(٤) المصدر السابق (١١٢).

ذلك القرن<sup>(١)</sup>.

وفي القرن السابع الهجري استقر أمر التأليف في مناصحة أئمة المسلمين وكثُر، واتسعت دائرة الكاتِبين فيه<sup>(٢)</sup>، كما أضحَت معالم هذا الفن أكثر وضوحاً وبياناً؛ ومن المصنفات في تلك الفترة كتاب "تهذيب الرياسة وترتيب السياسة"<sup>(٣)</sup> لمحمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت ٦٣٠هـ) والكتاب موجه إلى الحكام، والسلاطين، والأمرء، وكذلك أتباعهم من وزراء، وحجاب، وخدم، وجلساء، عالج مؤلفه فيه الحياة السياسية للدولة الإسلامية، وقد جعله في قسمين: قسم نظري: بيّن فيه فضيلة الولاية والإمامة في الدين، وما يجب أن يتحلّى به القائمون بها، كما بيّن واجب الرعية نحو ولاية أمرهم، وقسم تطبيقي: ساق فيه بعض أخبار

(١) وقع علم الباحث على مصنفات أخرى في مناصحة أئمة المسلمين في القرن السادس الهجري، بعضها مطبوع، وبعضها قد حقق بعضه وترك بعضه، وبعضها مخطوط، فمن ذلك: كتاب "التذكرة الحمدونية"، تأليف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي، لم يحقق منه إلا الجزء الأول، قام بتحقيقه: د. إحسان عباس، الناشر: معهد الإنماء العربي، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، وكتاب: "تهذيب ذهن الداعي في إصلاح الرعية والراعي" لشيث أو شبيب بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة القناوي، المعروف بابن الحاج (ت ٥٩٨هـ) ألفه لصالح الدين الأيوبي، ترجمة وتحقيق: جليل العطية، الناشر: دار البرق، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

أما المخطوط: فكتاب "التبر المسبوك في صفات الملوك" لأحمد بن الصفي الميموني (ت ٥٠٥هـ)، مخطوط بالمتحف البريطاني برقم [٧٤٦]، ذكر ذلك نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١٤٦).

(٢) مما يدل على اتساع دائرة الكتاب في تلك الفترة، مشاركة بعض غير المسلمين فيه، ومن ذلك كتاب: "قوانين الدواوين" لأسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا بن مماتي (ت ٦٠٦هـ) وهو من نصارى أسيوط من مصر، والكتاب مقدم للملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي، ذكر فيه بعض الملاحظات على الفساد المالي، والإداري، وما إلى ذلك. للاستزادة انظر: قوانين الدواوين، تأليف: أسعد بن المهذب مماتي، تحقيق: د. عزيز سوريال عطية، وطبع في مصر سنة ١٩٤٣م على نفقة الأمير طوسون - راعي الجمعية الزراعية الملكية - .

(٣) قام بتحقيقه: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، الناشر: مكتبة النار، الزرقاء - الأردن، د. ط، ١٩٨٥م.

الملوك والخلفاء ونوابهم، ممن تمثلوا حسن السيرة في أعمالهم وسياستهم، ومادة الكتاب هي الآيات والحديث، والموعظة، والأدب، وبعض الحكم والسير.

ومن أشهر مصنفات ذلك القرن كتاب "النصيحة للراعي والرعية من الأحاديث النبوية والآثار المروية"<sup>(١)</sup>، لأبي الخير بدل بن أبي المعمر بن إسماعيل التبريزي رحمته الله (ت ٦٣٦هـ)، وهذا المصنف كتاب أثري، يشبه في طريقته كتاب: "فضيلة العادلين" لأبي نعيم الأصفهاني رحمته الله (ت ٤٣٠هـ)، وقد قسم كتابة إلى تسعة أبواب في أحكام الولاية وفضلها، وواجباتها وما ينبغي فيها، واستفتح كل باب بأحاديث يسوقها بسنده، ثم يُدَيِّل كل حديث بعزوه إلى كتب السنة، ويحكم على بعضها بالصحة أو الضعف، وغالب ما يورده هو في الصحيحين أو أحدهما.

وللوزير محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي رحمته الله (ت ٦٥٢) كتاب في المناصحة نفيس، سماه "العقد الفريد للملك السعيد"<sup>(٢)</sup> قدمه للمولوي السلطاني السعدي النجمي، وقد قسم كتابه على أربع قواعد يقوم عليها الملك السعيد، افتتحها بالعقل وما يتبعه من فطنة وذكاء وفراصة، وثنى بذكر محاسن الأخلاق والتحذير من مساوئها، ثم أطنب في ذكر الولايات الشرعية، من وزارات وجيش ونحو ذلك، ثم تناول السلطة القضائية، وختم كتابه بتكميل المطلوب، متحدثاً فيها عن الحدود والجنايات، وبعض المسائل الفقهية والرياضية، ومما يميز هذا الكتاب أن مؤلفه كان ممارساً للولاية، فجاء تصنيفه جامعاً بين التنظير والتطبيق.

ومن أواخر مصنفات هذا القرن من الكتب المطبوعة كتاب "الجواهر النفيس في سياسة

(١) قام بتحقيقه والتعليق عليه: عبدالله الأثري، الناشر: دار الصحابة للتراث، طنطا - مصر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

(٢) قام بتحقيقه: د. يوسف بن عثمان الحزيم، الناشر: مركز ابن الأزرع لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

الرئيس"<sup>(١)</sup>، لمحمد بن منصور الحداد الموصلية رحمته الله (كان حياً سنة ٦٧٣هـ)، والكتاب مقدم إلى بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل، ينصحه فيه بالشجاعة مع الأعداء، والرفق بالرعية، ويقسم ابن الحداد السياسة في كتابه إلى سياستين: سياسة الدين، وسياسة الدنيا، وجعل مصنفه في عشرة فصول، تناول فيها قضايا الأخلاق السلطانية من عدل، وحلم، ورفق ونحو ذلك، وربط ذلك بموضوع الاستخلاف في الأرض.

لقد حفل هذا العصر بازدهار التأليف في موضوع المناصحة، نسبة إلى الفترات الزمنية التي سبقت، وليس المقصود من هذه الدراسة أن تتقصى جميع الكتب المؤلفة والمصنفة في ذلك المجال<sup>(٢)</sup>.

(١) قام بتحقيقه: د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م.

(٢) من المؤلفات المطبوعة التي وقف عليها الباحث كتاب: "قوانين الدواوين" لأسعد بن مماتي (ت ٦٠٦هـ) قدمه نصيحة للملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي، وكتاب: "نصيحة الملك الأشرف" للحافظ ضياء الدين المقدسي (ت ٦٤٣هـ)، قام بتحقيقه والتعليق عليه: علي حسن عبد الحميد الحلبي الأثري، ونشره في مجلة الحكمة، العدد [٣]، سنة ١٤١٥هـ/الموافق ١٩٩٤م؛ وكتاب: "الجلس الصالح والأنيس الناصح" لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، ألفه للمظفر موسى بن أبي بكر بن أيوب الأيوبي والي دمشق، وهو مطبوع في لندن، دار الرياض الريس. وكتاب: "لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية" لعثمان بن إبراهيم النابلسي (ت ٦٦٠هـ)، قدمه نصيحة لنجم الدين أيوب ابن السلطان الكامل ناصر الدين بن محمد، وهو مطبوع بالقاهرة، مطبعة الثقافة الدينية، د. ط، د. ت.

أما المخطوط منها: فكتاب: "آداب السياسة بالعدل وتبيين الصادق الكريم المهذب بالفضل من الأحمق اللئيم المكذب النذل" للمبارك بن خليل الخازندار البدري الموصلية (كان حياً سنة ٦٨٢هـ)، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٤٣٠٠] أدب.

وأما المفقود من تلك الكتب: فكتاب: "عمدة السالك في سياسة الممالك" لم يُتمّ تأليفه، ليعقوب المنجنيقي (ت ٦٢٦هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/١١٦٧)، وكحالة في معجم المؤلفين (٤/١٢٩)، وكتابا

وفي مطلع القرن الثامن الهجري صنف محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ) كتابه "الفخري في الآداب السلطانية" في النصيحة، وقدمه إلى فخر الدين عيسى عامل السلطان المغولي غازان على الموصل، واسم الكتاب مشتق من اسم الأمير، ويظهر أنه انتهج طريقة ابن خلدون رحمته الله في دراسة سنة العمران، حيث يقول: "... وهذا كتاب تكلمت فيه على أحوال الدول وأمور الملك، وذكرت فيه ما استطرقته من أحوال الملوك الفضلاء، واستقرتته من سير الخلفاء والوزراء.." <sup>(١)</sup> وبني كتابه على فصلين: تناول في الأول الأمور السلطانية والسياسات الملوكية، وفي الفصل الثاني تحدث فيه عن الخلافة العامة في تاريخ الإسلام، بدءاً من الخلافة الراشدة ثم خلافة بني أمية وهكذا.

وقريباً من تاريخ ابن الطقطقا صنف الحسن بن عبدالله العباسي رحمته الله (كان حياً قبل ٧١٦هـ) كتابه "آثار الأول في ترتيب الدول"، وأهداه إلى خزانة الملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري، يقول في مقدمته: "... فرمت أن أقدم هدية لخزائنته الشريفة، وتحفة أتقرب بها إلى مقام جلالتها المنيفة... فإن خزائنته العالية مجمع الأخيار والذخائر..." <sup>(٢)</sup>، وقسم كتابه إلى أربعة أقسام: تناول في أولها ضوابط وقواعد الملك ولوازمه، ثم بين في القسم الثاني أحوال الملك مع وزرائه وأعوانه، أما القسم الثالث فتناول فيه الأمور الخاصة بأحوال الملك، وجعل القسم

"السياسة الملوكية" و "المسالك والممالك" لعبدالرحمن بن حمويه (ت ٦٤٢هـ)، صنفها للملك الكامل محمد، الذي تولى الحكم بين (٦١٥-٦٣٥هـ)، ذكر ذلك البغدادي في هدية العارفين (١/٤٦١)، وفي إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٢/٣٢)، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقاييا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت، وكتاب: "تبصرة الملوك والسلاطين في التحذير من أعوان الشياطين"، للمظفر بن محمد العمري (ت ٦٨٨هـ)، ذكره كحالة في معجم المؤلفين (٣/٨٩٤)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (١/٣٣٨)، والبغدادي في هدية العارفين (٢/٤٦٤).

(١) الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ١٣).

(٢) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٤٢).

الأخير الذي ختم به كتابه في قضايا العلاقات الدولية.

ولشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية رحمته الله (ت ٧٢٨هـ) مصنف مختصر لطيف وعنوانه "رسالة إلى المسلمين عامة وإلى ولاية الأمور خاصة في المحافظة على الصلاة"<sup>(١)</sup> جاء في صدرها: "...هذه رسالة الشيخ الإمام العلامة تقي الدين، أحمد بن تيمية الحراني رحمته الله، إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين عامة، وإلى ولاية الأمر من الأمراء، والقضاة، والأئمة، والمؤذنين خاصة..."<sup>(٢)</sup>

وفي منتصف القرن الثامن الهجري صنف نجم الدين إبراهيم بن علي الطرسوسي (ت ٧٥٨هـ) كتابه "تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك"<sup>(٣)</sup> في نصيحة الولاية، يقول في مستهل كتابه: "...وبعد: فإن الله تعالى جعل حفظ نظام الأنام بالسلطان، وأدام له الأيام بالعدل والإحسان، ورأيت الواجب في هذا الزمان، بذل النصيحة له بقدر الإمكان، بتأليف كتاب يشتمل على فصول فيها أنواع مصالح الملك، مما تعتمد عليه الملوك، وبيان طرق يدوم لهم بها الملك، بأحسن سلوك.." <sup>(٤)</sup>، وفصل مرامه هذا في اثني عشر فصلاً بمصنفه.

واستجابة لطلب الحاكم، صنف محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصللي رحمته الله (ت ٧٧٤هـ) كتاباً في النصيحة أسماه "حسن السلوك الحافظ دولة الملوك"<sup>(٥)</sup>، قصد به بيان فضل العدل

(١) قام بتحقيقها: عمرو بن محمد بن أحمد آل حسين، الناشر: دار التوحيد للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

(٢) رسالة إلى المسلمين عامة وإلى ولاية الأمور خاصة في المحافظة على الصلاة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٧).

(٣) قام بتحقيقه: أ. د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرقي لدراسات التراث السياسي، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م.

(٤) تحفة الترك للطرسوسي (ص ٦٧-٦٨).

(٥) قام بتحقيقه: د. فؤاد عبدالمنعم، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

والإحسان، وقد ضمنه شيئاً من السياسة الشرعية فيما يصلح الراعي والرعية - والذي يظهر عند الباحث - أنه نقلها عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في كتابه المشهور "السياسة الشرعية"، وعلى أن المصنف رحمته الله شافعي المذهب<sup>(١)</sup>، إلا أنه أخذ عن بعض علماء الخنابلة الذين هم على مذهب السلف<sup>(٢)</sup>، وقد جعل المصنف رحمته الله كتابه في سبعة عشر فصلاً، وأثراه بالنصوص، والآثار.

وبكتاب الموصلية تُختم كتب المناصحة المطبوعة من القرن الثامن الهجري في بلاد المشرق الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

وفي القرن التاسع الهجري صُنفت عدد من مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين في المشرق الإسلامي، يتقدمها زمنياً كتاب: "مآثر الإنافة في معالم الخلافة" لأحمد بن علي بن أحمد القلقشندي رحمته الله (ت ٨٢١هـ)، وقد كتبه للخليفة المعتضد بالله أحد خلفاء بني العباس في

(١) طبقات الشافعية، تأليف: أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (٣/ ١٧٩)، تحقيق: د. الحافظ عبدالعليم خان، الناشر: عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

(٢) الذي يظهر أن المصنف رحمته الله سلفي المذهب؛ لأن كتاب: "مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة" بتصحيح الشيخ حامد الفقي رحمته الله، منسوب إليه، وقد صرح بذلك الشيخ بكر أبو زيد رحمته الله. انظر: ابن القيم الجوزية حياته وآثاره، تأليف: بكر بن عبدالله أبو زيد (ص ١٦٨)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، وانظر: مقدمة تحقيق فؤاد عبدالمنعم على حسن السلوك للموصلية (ص ١٦-١٧).

(٣) من مصنفات المناصحة المخطوطة في القرن الثامن الهجري: كتاب "منهاج الوزراء في النصيحة" لأحمد بن محمود الجبلي الأصفهاني (كان حياً سنة ٧٢٩هـ)، وهو موجود في مكتبة آيا صوفيا بتركيا، ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (٢/ ٥٨٩)، وكتاب: "سلوك دول الملوك" لمحمد بن نباتة (ت ٧٦٨هـ)، مخطوط بمكتبة أسعد أفندي بإسطنبول برقم [١٨٢٢]، ذكره نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١٧١)، وكتاب: "روضة الملوك" لمحمد بن محمد الخجندي (ت ٧٥٠هـ)، منه نسخة في طوبقوسراي، دُكر ذلك في كتاب: "دليل مصنفات السياسة الشرعية والأحكام السلطانية" للجنة العلمية بمركز ابن الأزرقي (ص ١٠٧).

مصر<sup>(١)</sup>، تناول فيه عدة قضايا في سبعة فصول، من أهمها: تحديد مفهوم الخلافة وشروطها وطرق انعقادها، والمهام المنوطة بها من واقع التاريخ الإسلامي، ثم يعرض لتاريخ الخلفاء إلى الخليفة المعتضد المقصود من هذا التأليف، وختم كتابه هذا بفصل ذكر فيه ما يكتب للخلفاء من البيعات والعهود والرسائل.

وبعد كتاب "مآثر الإنافة" صنف محمود بن إسماعيل الخيرميتي رحمته الله (ت ٨٤٣هـ) كتاباً في مناصحة الملك الظاهر محمد أبي سعيد جقمق رحمته الله<sup>(٢)</sup>، وأسماه: "الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء"<sup>(٣)</sup>، ويقع المصنف في عشرة أبواب، تحدث فيها عن حد الخلافة، ثم تناول القول في الإمامة وشروط الإمام، والحكمة من وجود الإمامة، مع ذكر شروطها وقواعدها وآدابها، وما يتفرع عن ذلك من مسائل الولاية.

كما صنف إبراهيم بن أبي زيد الهندي رحمته الله (كان حياً سنة ٨٤٩هـ) كتابه: "إرشاد الملوك لسداد السلوك"<sup>(٤)</sup>، وقدمه لأحد ملوك مصر<sup>(٥)</sup>، ويقع الكتاب في خمسة أبواب، تحدث فيها عن

(١) انظر: التاريخ المعتبر في أبناء من غبر، تأليف: مجير الدين العليمي عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن المقدسي الحنبلي (٥١/٢)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، إشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠١١ م.

(٢) نص المؤلف على ذكر اسم الملك في مقدمته، وقد ذكر حاجي خليفة أن ابن فيرز ترجمه إلى التركية، وغير اسمه إلى "الغرة البيضاء في نصيحة السلاطين والقضاة والوزراء" وقدمه للسلطان سليم خان الثاني، ويرى بعضهم أن الخيريبيتي صنفه للمعز الأشرف خليل بن شاهين الظاهري، ملك الأمراء بملطية المحروسة. انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (١/٧٤١)، وانظر: معجم المؤلفين لكحالة (١٢/٧٩٩).

(٣) قام بتحقيقه ودراسته: أحمد الزعبي، تقديم: د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م.

(٤) قام بدراسته وتحقيقه: د. حسن يشو، الناشر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨ م.

(٥) لم يفصح المؤلف عن اسم الحاكم في أصل المخطوط، حيث جعل مكانه بياضاً كما ذكر ذلك المحقق. انظر: مقدمة

مكانة السلطان في الإسلام، وعن فضل الجهاد والعدل، وما يجب على الرعية تجاه الأئمة، ثم ختم بباب مطول في مكارم الأخلاق، جعله في ثلاثة وعشرين فصلاً وخاتمة.

وفي منتصف القرن التاسع الهجري ألف محمد بن محمد بن خليل الأسدي رحمته الله (كان حياً ٨٥٤هـ)، كتاباً موجهاً إلى ناظر دواوين الإنشاء وكاتب السر الشريف بمصر محمد بن محمد بن عبدالرحيم بن الفخر بن الكمال البارزي، وجعل اسم الكتاب: "التيسير والاعتبار، والتحرير والاختبار في ما يجب من حسن التصرف والاختيار في شؤون الممالك الإسلامية"<sup>(١)</sup>، والمصنف مقسم إلى مقدمة وأربعة أبواب، حاول مؤلفه من خلالها أن يقدم علاجاً لمواجهة الفساد الاقتصادي والإداري في زمانه، فالكتاب يحمل في مضامينه الكثير من الأفكار الاقتصادية والسياسية المعاصرة، التي ترتبط بال عمران، والتنمية الاقتصادية والإدارية وغير ذلك<sup>(٢)</sup>، والذي يظهر أن المصنف كان يعمل والياً للحسبة في زمانه<sup>(٣)</sup>.

وللمصنف وغيره كتب أخرى في موضوع مناصحة الأئمة بعضها مطبوع، وبعضها مخطوط أو مفقود<sup>(٤)</sup>.

دراسة وتحقيق د. حسين يشو على إرشاد الملوك لابن أبي زيد الهندي (ص ٦٨).

(١) قام بتحقيقه: د. عبدالقادر طليبات، الناشر: الناشر: مطبعة خيبر، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٩٦ م.

(٢) انظر: سلسلة أعلام الاقتصاد، تأليف: د. شوقي دنيا (ص ١٨٢)، الناشر: مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، د. ط، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م.

(٣) انظر: مقدمة تحقيق عبدالقادر طليبات على التيسير والاعتبار للأسدي (ص ٦ - ٧).

(٤) من مصنفات الأسدي: "لوامع الأنوار ومطالع الأسرار في النصيحة التامة لمصالح الخاصة والعامة"، ذكره في مقدمة كتابه "التيسير والاعتبار"، كما ذكره أيضاً رضا كحالة في معجم المؤلفين (١١ / ٢١٤)، وله أيضاً كتاب "النصيحة الكلية في كل ما يتعلق بمصالح الراعية والرعية" وكتاب "الإشارات العلية فيما يوجب الخلل والفساد والصلاح في أحوال الرعية" وكتاب "المستدرك اللطيف في كل ما يجب أن يبرز به الأمر الشريف" وكلها مذكورة أيضاً في مقدمة كتابه "التيسير والاعتبار".

=

وفي بداية القرن العاشر الهجري ألف علي بن عبدالله بن أحمد السمهودي رحمته الله (ت ٩١١هـ) مصنفه: "اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور"<sup>(١)</sup>، وقدمه لسلطان عصره الأشرف قايتباي المحمودي سلطان الديار المصرية رحمته الله (ت ٩٠١هـ)، وبنى كتابه على أربعة أبواب، أولها في فضل العقل وتعريفه، وثانيها في الواجب على ولاة الأمور من العدل وتقريب العلماء ومحاربة الفساد، وجعل القسم الثالث في الأخلاق والسير، ثم ختم كتابه ببعض الفوائد والنكت والمنافع التي

أما المطبوع من مصنفات المناصحة في تلك الفترة لغير الأسدي فكتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" تأليف: أحمد بن محمد بن عريشاه (ت ٨٥٤هـ)، تحقيق: أيمن عبد الجبار البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، د. ط، د. ت؛ وكتاب "البرهان في فضل السلطان"، تأليف: شهاب الدين أحمد بن طوغان المحمدي الأشرفي الحنفي (ت ٨٧٥هـ)، دراسة وتحقيق: أحمد الجعيد، تقديم: أ. د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

ومن مخطوطات تلك الفترة في المناصحة كتاب "تحفة الملوك والسلاطين في الأخلاق والسلطنة والوزارة" لعلي بن أحمد الشيرازي (ت ٨٦١هـ) وهو موجود في دار الكتب المصرية برقم [٧٢]، و"رسالة في السلطنة وما للسلاطين وما عليهم" لعمر بن موسى الرجراجي (ت ٨٦٨هـ) وهو موجود في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط، ذكره نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١٨٧)، وكتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" لمؤلف مجهول، والمخطوط موجود بجامعة القاهرة رقم [٢٠٧١٤]، ذكره البغدادي في هدية العارفين (٢/ ٢١٥).

أما المفقود منها: فكتاب: "النصائح الإيمانية لذوي الولاية السلطانية" لأبي بكر الحصني (ت ٨٢٩هـ)، ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (٢/ ٦٤٩)، وكتاب "تحفة السلاطين" باللغة الفارسية لعلي بن محمد البسطامي (ت ٨٧١هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ٣٦٧)، وكتاب "منهج السلوك في سيرة الملوك" لأحمد المحمدي الأشرفي (ت ٨٧٥هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ٢٤١)، وكحالة في معجم المؤلفين (١/ ٣٠٤)، وكتاب "تحرير السلوك في تدبير الملوك" لعلي بن محمد ابن أبي قصبية (ت ٨٧٨هـ)، ذكره الزركلي في الأعلام (١٠/ ٥).

(١) قام بتحقيقه محمد الزاهي، وطبعته مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، منشور على صفحتهم في الإنترنت: <https://www.mominoun.com/articles/2004>. تاريخ الدخول على الموقع:

٢٠٢١/٤/١٦م.

يحتاج إليها ولاية الأمور، وقد أُلّف هذا الكتاب في ظرف اقتصادي وسياسي صعب كانت مصر تعيشه آنذاك<sup>(١)</sup>.

وفي بداياته أيضاً صنف أبو حامد بن أحمد المقدسي الشافعي رحمته الله (ت ٩١٢هـ) كتابه في مناصحة ولاية الأمور ونوابهم وسائر الرعية، وسماه: "بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاية الأمور وسائر الرعية"<sup>(٢)</sup>، وقد عرف المصنف بكتابه وغايته من التأليف بعبارة موجزة في مقدمته فقال: "ينبغي لكل طالب الاعتناء به، ومطالعتة، وفهمه لينتفع به، وينفع به غيره من ذوي الخصوص والعموم، جمعت من كتب نفيسة عزيزة، ولخصته بعبارة جلية وجيزة، أذكر فيه - إن شاء الله - ما ذا يجب على السلطان، وولاية الأمور من الأمراء وغيرهم، والعلماء والقضاة، وأرباب الوظائف الدينية، والدنيوية، وأصحاب الحرف والصناعات على اختلاف مراتبهم، لينتفع به - إن شاء الله - كل واقف عليه"<sup>(٣)</sup>، والكتاب مقسم إلى خمسة أبواب مرتبة على ما ذكر في مقدمته، ومبني على حديث ((الدين النصيحة)) ومؤصل عليه، وهو - على ما ذكر مؤلفه - يغلب عليه طابع النقل والتهديب، وهذا أمر لا يُحْصَى هذا الكتاب بوصفه؛ لأن النقل والاختصار هو السمة الغالبة في كتب المناصحة.

تلى مصنف أبي حامد المقدسي كتاب "تحرير السلوك في تدبير الملوك"<sup>(٤)</sup>، لأبي الفضل

(١) للاستزادة انظر: القول المستظرف في سفر الملك الأشرف قايتباي، تأليف: بدر الدين أبي البقاء محمد بن يحيى بن شاكر، المعروف بابن الجيعان، يليه كتاب تاريخ الملك الأشرف قايتباي، تحقيق د. محمد زعيم، الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

(٢) قام بدراسته وتحقيقه: سالم الشمري، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٦هـ.

(٣) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (ص ٨٥).

(٤) قام بتحقيقه: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية - مصر، الطبعة الأولى

محمد بن عبدالوهاب السنباطي المشهور بابن الأعرج رَحِمَهُ اللهُ (ت ٩٢٢هـ)<sup>(١)</sup>، والكتاب مقدم إلى السلطان الأشرف المملوكي قنصوة الغوري (ت ٩٢٢هـ)، جَعَلَ ترتيبه في مقدمة وواسطة وخاتمة، تناول في مقدمته أهمية السلطان وبيان قواعد الملك، ثم يعرض لأهمية النظر في المظالم، وكذلك النظر في حقوق أجراء الدولة: من أجناد وعمال وشرط وغيرهم، وبيان حرمة مال المسلم في رد المغصوب، ورعاية مشروعية الميراث، ويتضح من خلال تصفح هذا الكتاب إدراك مؤلِّفه للأوضاع التي سادت فترة قنصوة الغوري، حيث توارت العدالة مدة ولايته، وضعفت هيبة الدولة في الداخل والخارج أمام البرتغاليين والعثمانيين.

وآخر ما عُلِمَ من المطبوع في هذا القرن كتاب "النصائح المهمة للملوك والأئمة"<sup>(٢)</sup>، لعلي ابن عطية بن الحسن الهيتي الحموي المشهور بالشيخ علوان رَحِمَهُ اللهُ (ت ٩٣٦هـ)، وللكتاب أكثر من تسمية منها: "النصائح الشريفة والمواعظ الظريفة في موعظة السلطان والخليفة"<sup>(٣)</sup>، و

(١) هناك من يرى أن ابن الأعرج ناسخ لهذا الكتاب وليس مؤلفاً له، حيث توجد نسخة من المخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، مذكور فيها: أن ابن الأعرج ناسخ، والمخطوط لمجهول، ويرى الباحث أن هذا هو القول الأرجح؛ لأن جميع المصنفات التي وقف عليها في مناصحة قنصوة الغوري - المقصود بهذا الكتاب - قد نُسبت لمجاهيل، ومن أمثلة ذلك: كتاب "الطريق المسلوك في سياسة الملوك"، وكتاب "تذكرة الملوك إلى حسن السلوك"، وكتاب "آداب الملوك"، وكلها موجهة إلى السلطان قنصوة الغوري. انظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ١٩٣، ١٩٦ - ١٩٧).

(٢) قام الباحث: موفق بن عبدالله العوض بتحقيق هذا الكتاب في أطروحة له للماجستير، قسم الدعوة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٨هـ.

(٣) ذكرها نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١٩٨)، ويرى محقق الكتاب: أنها وصف للكتاب وليست اسماً له، ذكرها المؤلف في مقدمته حيث قال: "هذه رسالة لطيفة مشتملة على نصائح شريفة ومواعظ ظريفة" واستبعد أن تكون عنواناً لكتابه. انظر: مقدمة تحقيق موفق بن عبدالله العوض على النصيحة المهمة للملوك والأئمة للشيخ علوان (ص ٥٤).

"نصيحة الشيخ علوان إلى السلطان سليم بن عثمان"<sup>(١)</sup>، والمشهور منها هو: "النصائح المهمة للملوك والأئمة" الذي أثبت في هذه الدراسة<sup>(٢)</sup>، والكتاب كما هو واضح من بعض أسماؤه موجه إلى السلطان سليم بن عثمان، وتدور محاوره حول مفهوم العدل، ومراقبة العمال والجند في تحقيقه، وعلاقة إقامته بعمارة الأرض، مع ذكر خطورة انتشار الفواحش والمنكرات في المجتمعات، وأهمية البر والإحسان، وملاحظة حاجة الفقراء والمساكين والمحتاجين، ويغلب على الكتاب سمة الوعظ والقصص، و"يلحظ عليه مخالفته لمنهج أهل السنة والجماعة في بعض المواطن، كما يوجد فيه بعض الأحاديث الضعيفة"<sup>(٣)</sup>.

وظهر للباحث من خلال تتبع التأليف في الفترات المتعاقبة، انبعثت همم العلماء للتأليف في هذا القرن<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ١٩٨).

(٢) ذكر محقق هذا الكتاب أن العنوان المثبت على الصفحات الأولى من النسخ الثلاث التي اعتمدها في تحقيقه هو "النصائح المهمة للملوك والأئمة"، وأنه لم يقف على تسمية من المؤلف نفسه لهذا الكتاب، ويرى الباحث أن هذا هو سبب الخلاف في تسمية الكتاب، وأن جميع هذه التسميات ترجع إلى مسمى واحد، وليست عناوين لكتب متعددة، ويبقى هذا الاسم هو أشهر تسميات الكتاب، خاصة وأن من يشير إليه من المتقدمين يذكره بهذه التسمية. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٨/ ٢٠٨)، وانظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (٢/ ١٩٥٥)، وانظر: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي (٢/ ٢١٣)، وانظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ١٩٨)، وانظر: مقدمة تحقيق موفق بن عبدالله العوض على النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ٥٥).

(٣) المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين لعبدالله الطويل (ص ١٦).

(٤) وقف الباحث على عدد لا بأس به من مؤلفات هذا القرن في مناصحة أئمة المسلمين، بعضها مطبوع، وبعضها مخطوط، وبعضها مفقود، أما المطبوع منها فهو: كتاب "آداب الملوك" لمؤلف مجهول، والمصنف موجه إلى السلطان قنصوه الغوري، وقد نشر في بحث بعنوان: "من الفكر السياسي المصري: دراسة وتحقيق ومناقشة حول إشكالية التراث"، إعداد: د. محمد نصر مهنا، قدمه في ندوة العلوم السياسية في الوطن العربي، لارنكا،

قبرص، عام ١٩٨٥م.

وأما المخطوط منها: فكتاب "تذكرة الملوك إلى أحسن السلوك"، وهو لمؤلف مجهول أيضاً، وقد وُجِّه إلى السلطان قنصوة الغوري، والمؤلف مخطوط بدار الكتب المصرية برقم [٢٣٩٨] قسم التاريخ، وكتاب "رسالة إلى ملوك تكرر" لعبدالرحمن بن أبي بكر الطولوني الشافعي، المشهور بجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) وهو مخطوط بمكتبة صوفيا الوطنية ببلغاريا رقم [OR١٦١٨١٧]، ذكره نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١٩٥)، وكتاب: "الطريق المسلوك في سياسة الملوك" لمجهول، وهو مصنف للسلطان قنصوة الغوري أيضاً، والكتاب مخطوط بمكتبة أحمد الثالث باسطنبول رقم [١٦٠٨]، ذكره نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١٩٦)، وكتاب "دستور الوزراء" لعلي بن محمد الشيرازي (كان حياً سنة ٩٤٥هـ) وقد ألفه للوزير مصطفى باشا وزير السلطان سليم الثاني (ت ٩٦٦هـ)، وهو مخطوط في المكتبة الأزهرية (١/٢٩٦)، وكتاب "مختصر التبر المسبوك في نصائح الملوك" للمؤلف نفسه، وهو في دار الكتب الوطنية للمخطوطات بتونس برقم [٢٧٣٤]، ذكر ذلك نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١٩٩)، ومن المخطوط أيضاً مصنف "تحرير المواعظ والنصائح لأرباب الولايات والمصالح" لأحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، وهو موجود بمكتبة بودليان - أكسفورد برقم [١٢٩] مجموعة ألور، ذكره نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ٢٠١)، وكتاب "جواهر العقد الفريد وبغية الملك السعيد" لصالح بن الصديق الناري الأنصاري الخزرجي (٩٧٥هـ)، وهو مخطوط بالمكتبة الأحمديّة بالزيتونة في تونس رقم [٥٠٨٨]، ذكر ذلك نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ٢٠٢)، وكتاب "تحفة الملوك في الزهد وأحوال الملوك الماضين وحسن العدل والحكم ومنع الظلم" لولي الله الحائري (كان حياً ٩٨١هـ)، والمصنف رافضي إمامي من أهل كربلاء، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [١٥٣٧]، تصوف طلعت، وكتاب "تحفة الولاة والأمراء والأكابر في أساس السياسات الدينية والدنيوية والأدب الفاخر" لمحمد بن باري التركي (ت ٩٨٦هـ)، وهو مخطوط بدار الكتب الوطنية للمخطوطات بتونس رقم [٢٢٣٥]، ذكر ذلك نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ٢٠٢).

أما المفقود منها: فكتاب "إتحاف السلاطين" لمحمد بن محمد المقدسي (ت ٩٠٣هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٦/١)، وكتاب "أدب الملوك" لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٤٣/١، وكتاب "دستور الوزراء" لغياث الدين بن همام الدين الملقب بخواند أمير (ت ٩٣٠هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١/٧٥٥)، وكحالة في معجم المؤلفين (٢/٦٠٥)، وكتاب "جواهر السلك في الخلفاء والملك" لمحمد بن أحمد بن إياس (ت ٩٣٠هـ)، ذكره كحالة في معجم المؤلفين (٣/٥٠)، وكتاب

=

وفي القرن الحادي عشر الهجري صنف بعض الكتب في مناصحة الأئمة والملوك والسلاطين، ولم يقف الباحث إلا على مصنف مطبوع واحد، وهو "الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية"<sup>(١)</sup> لزين الدين عبدالرؤوف المناوي رحمته الله (ت ١٠٣١هـ)، وقد شابهه المصنف طريقة المتقدمين في صياغته للكتاب، ومقصود الكتاب محصور في مطلبين: الأول: فيما للإمام وعليه عموماً وخصوصاً وما يحتاج إليه في خاصة نفسه، وشرف العدل وما يتعلق بذلك، وقد فصّله في أربعة عشر باباً، أما المطلب الثاني فجعله في وزراء الملك، ونوابه، وأمرائه، وخاصته، ومتعلقات ذلك، جاعلاً فروع هذا المطلب في عشرين باباً، أما بقية مصنفات هذا القرن فهي بين مخطوط أو مفقود<sup>(٢)</sup>.

"نصيحة الملوك" لأحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤)، ذكره الزركلي في الأعلام (١/ ٢٣٤)، وكتاب "الرتبة الفاخرة في نصائح الملوك" لعلي بن حسام الدين الهندي الشهير بالمتقي (ت ٩٧٥هـ)، ذكره البغدادي في هدية العارفين (١/ ٧٤٦).

(١) قام بتحقيقه: أ. د. عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الناصر، الناشر: النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، د. ط، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(٢) من أمثلة كتب مناصحة أئمة المسلمين المخطوطة في تلك الفترة كتاب: "نصيحة السلاطين" لمصطفى بن أحمد عالي الكليبولي (ت ١٠٠٩هـ)، وهو مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود تحت رقم [٧٣٦٧]، وكتاب "مسلك السلاطين والملوك وتحفة الملوك في السلوك"، ألفه علي بن يحيى الأيديني (كان حياً ١٠٤٢هـ) للسلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٣٠] اجتماع تيمور، وكتاب "الغصون المياسة اليانعة بأدلة أحكام السياسة" لأحمد بن علي الصنعائي (ت ١٠٨٠هـ)، قدمه إلى أمير المؤمنين محمد بن المتوكل على الله، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٣٣]، اجتماع تيمور، وكتاب "التبر المسبوك في نصيحة الأخيار والملوك" لمفتي مدينة بلغراد في البلقان أبي اليسر علي بن عبدالرحيم (كان حياً سنة ١٠٨٢هـ)، وهو مخطوط بخط المؤلف في مكتبة كوبريلي باسطنبول تحت رقم [٧٧٨]، ذكر ذلك نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ٢٠٦)، وكتاب "براءة الذمة في نصيحة الأئمة" للحسن بن علي بن محمد اليميني (ت ١٠٨٤هـ)، والكتاب مخطوط في الجامع الكبير بصنعاء

=

وفي مطلع القرن الثاني عشر الهجري ألف جاد الله الغنيمي الفيومي الشافعي أبو الإخلاص رحمته الله (كان حياً سنة ١١٠١هـ) كتاباً في المناصحة سماه "الدرر النصير في آداب الوزير"<sup>(١)</sup>، وقدمه لأحد وزراء عصره، ذكر فيه بعض الفوائد التي يحتاجها الوزير في وزارته<sup>(٢)</sup>. وبعد الغنيمي بخمسين عاماً تقريباً صنف محمد بن عيسى بن محمود بن محمد بن كنان الحنبلي رحمته الله (ت ١١٥٣هـ) كتاب "حدائق الياسمين في أخلاق الملوك والخلفاء"<sup>(٣)</sup>، والكتاب يحتوي على مقدمة، وستة أبواب، وخاتمة، والأبواب مقسمة على أصحاب الولايات، بدءاً من رأس الهرم - الملك أو السلطان أو الخليفة - حتى أصحاب الوظائف من أطباء، ومهندسي العمائر السلطانية ونحو ذلك، وجعل تحت كل باب أقساماً، وتحت كل قسم مقاصد، وقد حاول المؤلف من خلاله معالجة الفساد الذي حل بالحكم، والجيش، والاقتصاد، وسائر الأعمال من خلال تحرير مهام الوظائف وأعمالها، وظهر من عنوان الرسالة لطف كاتب الكتاب وتفاهؤله<sup>(٤)</sup>.

[ق ١٢٧-١٣٥] مجامع، [ق ٨٥-٨٨] [مجاميع ٢٣]، ذكر ذلك نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ٢٠٧).

أما المفقود منها: فكتاب "حسن السلوك في معرفة آداب الملك والملوك" لأحمد بن أحمد الفيومي (ت ١٠٦٩هـ) ذكره الزركلي في الأعلام (١/٩٢-٩٣) وكتاب "الروضة في آداب الملوك" لمحمد بن باقر السبزواري (ت ١٠٩٠هـ) ذكره كحالة في معجم المؤلفين (٣/١٥٧).

(١) قام بتحقيقه: محمد أبو الفتح البسيوني، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر الشريف ١٩٨١م.

(٢) انظر: الأعلام الزركلي (٢/١٠٥).

(٣) طبع الكتاب باسم "حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين" وقد قام بتحقيقه: عباس صباغ، دار النفائس، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

(٤) من المؤلفات المخطوطة في القرن الثاني عشر الهجر: كتاب "حسن السلوك في معرفة الملك والملوك" لأحمد بن أحمد الفيومي المالكي المعروف بالغرقاوي (ت ١١٠١هـ)، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [١٩٠]، اجتماع تيمور، وكتاب "نهار الأسماء في نصائح الملوك" لأحمد تائب أفندي بن عثمان، المعروف بعثمان زادة

=

وفي القرن الثالث عشر الهجري شحت المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين - على حد علم الباحث - ولم يقف من المطبوع إلا على كتاب مختصر في أواخر القرن لمحمد بيرم الخامس رحمته الله (كان حياً سنة ١٢٩٨ هـ) عنوانه: "ملاحظات سياسية عن التنظيمات اللازمة للدولة العلية"<sup>(١)</sup>، قدمه إلى السلطان عبدالحميد خان الثاني سنة (١٢٩٨ هـ)، تحدث فيه عن أهمية النصيحة، وأنها غايته من هذا التأليف، كما تناول أكبر القضايا التي حلت بالمجتمع الإسلامي آنذاك مثل: قضية الحرية، والانفتاح الثقافي على الغرب، كما عرض فيه بعض القضايا السياسية مثل: الشورى، واختيار الأكفاء في الولايات، والإصلاح الاقتصادي والتعليمي، ومحاربة الفساد المالي والإداري<sup>(٢)</sup>.

(ت ١١٣٦ هـ)، وقد قدمه لغازي باشا في عهد السلطان محمد خان، والكتاب مخطوط في مكتبة كوبرلي، وقف محمد عاصم بك رقم [٣٨٣]، ذكره كحالة في معجم المؤلفين (١/١١٣)، وكتاب "النفع الغزير في صلاح السلطان والوزير" لأحمد بن عبدالمنعم بن يوسف الدمهوري (ت ١١٩٢ هـ) مخطوط في دار الكتب المصرية رقم [١٧٤] قسم الاجتماع.

أما المفقود منها: فكتاب "تحفة الوزراء" لمحمد كامبي بن إبراهيم الأدرنوي (ت ١١٣٦ هـ)، وهو باللغة التركية، ذكره الزركلي في الأعلام (٧/١١٤)، وكحالة في معجم المؤلفين (٣/٦٠٧)، وكتاب "منهج السلوك في نصيحة الملوك" لأحمد بن عبدالمنعم الدمهوري (ت ١١٩٢ هـ) ذكره الزركلي في الأعلام (١/١٦٤)، وكحالة في معجم المؤلفين (١/١٨٨)، وله أيضاً "منهج السلوك إلى نصيحة الملوك فيما تفضل به الباري على السلطان والوزير وما وجب عليهما للرعية من الحفظ وحسن التدبير"، ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (١/٥٩١)، وذكر نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ٢١٣): بأن المصنف قد أشار إليه في مقدمة كتابه "النفع الغزير"، وقد يكون هذا - على رأي الباحث - هو نفس كتاب "منهج السلوك في نصيحة الملوك".

(١) مطبوع في القاهرة، بدون دار نشر، وبدون تاريخ، موجود في مكتبة جامعة القاهرة.

(٢) لم يقف الباحث على كتاب مخطوط في مناصحة أئمة المسلمين بتلك الفترة، أما المفقود فقد ذكرت بعض كتب المصادر شيئاً من ذلك، مثل كتاب: "السير المعجل والعقد المكلل في نصائح الخلفاء والملوك ثم الأمثل فالأمثل" للمظهر بن إسماعيل بن يحيى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت ١٢٠٧ هـ)، ذكره كحالة في معجم المؤلفين (٣/٨٩٠)، وكتاب "إرشاد الملوك في الوعظ والأخلاق" لأحمد التميمي النابلسي الشافعي (كان حياً سنة ١٢٣٦ هـ)، ذكره

=

نشطت الكتابة في مجال مناصحة أئمة المسلمين إبان القرن الرابع عشر الهجري مقارنة بالقرن الذي سبقه، وبرزت بعض المصنفات فيه، حيث صنف محمد صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري، المشهور بصديق حسن خان القنوجي رحمته الله (ت ١٣٠٧هـ) كتابه "إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة"<sup>(١)</sup>، بعدما تولى مقاليد الحكم في بلاده<sup>(٢)</sup>، مريداً بذلك بذل النصيحة للملوك، ورسم السياسة الشرعية لهم، يقول في ذلك: "وسميت هذا الكتاب "إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة" وهو اسم له تاريخي استخرجه بعض الأحاب، ورتبته على مقدمة وفصولٍ وخاتمة، رجاء أن يحظى هذا الترقيم والسفر الكريم عند من يُحب اتباع الكتاب والسنة من الرؤساء والملوك، ولا تَنبو عنه طباع العامي والصعلوك، ويُجمله العالم المنتهي، ويهتدي به الطالب المبتدي، ويتخذُه أهل الصدق والحق سَمَراً، ويعده أولو الآراء السليمة والأفكار الصائبة موعظة وعِبْراً، يستدلون به على عظيم قدرته تعالى في تبديل الأبدال، ويعرفون به عجائب صنْع الله القدير في تنقل الأمور من حالٍ إلى حال، وهو المستعان وبه التوفيق وعليه الاعتماد والتكلان"<sup>(٣)</sup>.

كما صنف محمد خيامي الحجاجي الحسيني رحمته الله (كان حياً سنة ١٣١٦هـ) كتاباً في نصيحة الراعي والرعية ووسمه بـ "رسالة الراعي والرعية"<sup>(٤)</sup>، صدر الحديث فيه عن أهمية النصيحة للوطن، وأوضح بأن غايته من التأليف هو الوصول بأبناء الوطن إلى التقدم الذي يكفل لهم

---

كحالة في معجم المؤلفين (١/١١٣)، وكتاب "النصيحة المهداة لسعداء الولاية" لعبدالرحمن بن علي بن عمر الحسيني العلوي (ت ١٢٩٢هـ)، ذكره الزركلي في الأعلام (٢/٣١٨-٣١٩)، وكحالة في معجم المؤلفين (٢/١٠٠).

(١) قام بتحقيقه مجموعة من المحققين، د. ن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

(٢) انظر: إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٧).

(٣) المصدر السابق (ص ٩).

(٤) قام بطبعته: مطبعة العدالة والنهج القومي لصاحبها محمد الخيامي، القاهرة - مصر، د. ط، ١٣١٦هـ.

النجاح والرقى، وبنى أسباب النجاح في كتابه على حفظ الضروريات الخمس وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال، وجعل كتابه في ثلاثة فصول، تناول في الفصل الأول الواجب على ولي الأمر من القيام بالعدل والرحمة والصدق، وتطرق في الفصل الثاني للواجبات على الرعية، وأفرد الحديث في فصله الثالث عن الواجب المشترك بين الرئيس والمرؤوس تجاه غيرهم، ثم ختم كتابه بالتأكيد على أهمية التزام الحق وما ينتج عنه من آثار للمجتمع.

ومن المصنفات التي تلت "الرسالة" كتاب: "الهدية الأولى الإسلامية للملوك والأمراء في الداء والدواء"<sup>(١)</sup> لمصطفى المصري الإباضي (كان حياً سنة ١٣٢١هـ)، وتدور محاور الكتاب على ثلاثة موضوعات رئيسة هي: ماهية الخلافة وأهميتها، والحفاظ على الهوية الإسلامية، ثم التذكير بحق الله في الزكاة، والأوقاف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلاقتها بإنقاذ الأمة، وقد عرج في كتابه لعلماء المذهب الإباضي الذي يتحلله.

وآخر المطبوع الذي وقف عليه الباحث من كتب مناصحة أئمة المسلمين في المشرق الإسلامي كتاب: "النصيحة العامة لملوك الإسلام والعامة"<sup>(٢)</sup> لأحمد بن إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي الحسيني المدني رحمته الله (ت ١٣٣٢هـ)، جعله في مقدمة وقسمين وخاتمة، تناول في مقدمته خطورة تأخر المسلمين عن ركب الحضارة العالمي، وأما القسم الأول فخصه للحديث عن اتحاد المسلمين وأثره في سر قوتهم ونجاحهم، وأفرد القسم الثاني للواجبات على ملوك المسلمين وأمرائهم وحكامهم تجاه دولهم ورعاياهم، ثم ختم كتابه بالتحذير من مكائد أعداء المسلمين في زمانه.

(١) قام بطباعته: المطبعة الباروني، القاهرة - مصر، د. ط، ام ١٩١٨م، نقلاً عن: في مصادر التراث السياسي الإسلامي

لمحمد نصر عارف (ص ٢٢٥).

(٢) طبع في مصر، بدون تحديد تاريخ أو دار نشر، وموجود بمكتبة جامعة القاهرة برقم [١٨٨١٨].

وبهذا الكتاب تُختتم الكتب المطبوعة في مناصحة أئمة المسلمين بالقرن الرابع عشر الهجري - على حد علم الباحث -<sup>(١)</sup>، ويبقى ما بعدها مجرد كتابات، وتطبيقات، ومراسلات، لا ترقى إلى رتبة المصنف والكتاب.

---

(١) وقف علم الباحث على كتابين مفقودين في المناصحة يرجعان إلى القرن الرابع عشر الهجري، أشارت إليها بعض المصادر، الكتاب الأول: "واسطة السلوك في سياسة الملوك" لإبراهيم بن عبد الحميد الكريدي، المشهور برحمي (ت ١٣١٢ هـ) ذكره البغدادي في هدية العارفين (١/ ٤٤)، والكتاب الثاني "أوضح المسالك في سياسة الممالك" لمحمد طاهر بن حسن العياشي (ت ١٣٢٤ هـ) ذكره رضا كحالة في معجم المؤلفين (١٠/ ٩٧).

### المطلب الثالث

#### السياق التاريخي للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره في بلاد المغرب<sup>(١)</sup>

ظهرت مصنفات مناصحة أئمة المسلمين في بلاد المغرب منذ منتصف القرن الخامس الهجري، حيث تأخرت الكتابة فيه عن المشرق الإسلامي بنحو ثلاثة قرون تقريباً<sup>(٢)</sup>، فكان شروع مؤلفي المغاربة في تناوله بالتصنيف بعد اكتمال معالمة الشرعية، ووضوح خصائصه وسماته ودوافعه التي تحدده.

وكان من أسباب بروز هذا النوع من التأليف في بلاد المغرب هو التأثير الثقافي المألوف بين جناحي العالم الإسلامي<sup>(٣)</sup>، التي تولت رحلات الحج والعمرة وطلب العلم والتجارة وكذا مكاتبات النجيدات السياسية مناقلته بين المشرقين<sup>(٤)</sup>، فانبرى له ثلة من المؤلفين والمصنفين

(١) يُقصد ببلاد المغرب ما يقابل بلاد المشرق، وتشمل جميع بلدان المغرب؛ لعدم بروز الخصوصيات القطرية بالنسبة للغرب المشرقي القادم إليها. انظر: تاريخ ابن خلدون (٦/١٣٣ - ١٣٤)، وانظر: العلماء المشاركة ببلاد المغرب ودورهم في الحركة الفكرية، إعداد: خديجة طاهر منصور (ص ٢)، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران، الجزائر، عام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨ - ٢٠١٩م.

(٢) انظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٣٣)، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لشوشى الرشيدى (ص ٣٤)، وانظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٩)، وانظر: مقدمة تحقيق د. سليمان القرشي على رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، تأليف: محمد بن أبي العلى بن محمد بن سمالك العاملي الأندلسي (ص ٥ - ٦)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

(٣) كان من ضمن صور التأثير المغربي ببلاد المشرق في الجانب الثقافي والعلمي هو المحاكاة في التصنيف والتأليف، ومن أمثلة ذلك كتاب: "العقد الفريد" لابن عبدربه المالقي (ت ٣٢٨هـ) الذي شابه كتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) وبؤبه تبويهاً أشبه تبويبه. انظر: التواصل الثقافي بين الأندلس والمشرق، إعداد د. سهى بعيون (ص ٩)، بحث مقدم لمؤتمر فيلادلفيا الدولي الرابع عشر، جامعة فيلادلفيا - الأردن ٢٠٠٩م.

(٤) انظر: من أصول الفكر السياسي الإسلامي، تأليف: محمد عثمان (ص ٤٣٢ - ٤٣٣)، الناشر: مؤسسة الرسالة،

تجمعهم الوحدة الناظمة لنصوصهم، والمقاصد المحددة لدوافعهم.

استفتح التأليف في منتصف القرن الخامس الهجري، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي رحمته الله (ت ٤٨٨هـ) بكتابه "الذهب المسبوك في وعظ الملوك"<sup>(١)</sup>، وقد انتهج مؤلفه الأسلوب الوعظي، حاشداً جملة من الآثار، والروايات، والقصص في موضوعات العدل، والشورى ووظائف الحكم عموماً، وما يميز الكتاب هو أن عموم خطابه موجه إلى الحاكم، حيث ينطلق من إيمانه بأن صلاح الأحوال، واستقامة الدولة، قائم على صلاح الحاكم وعدله، فما وجد إمام عادل صالح، إلا وتعدى فضل عدله وصلاحه إلى دولته ورعيته؛ ولذا لا تجده يوجه الحديث في كتابه إلى أعوان الإمام من وزراء وغيرهم إلا في النادر القليل.

بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، وانظر: الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تأليف: د. عبدالغني مغربي (ص ١٩٩ - ٢٠٠)، الناشر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ط ١٩٨٨م، وانظر: رحلات علماء المغرب الأقصى والأوسط، وآثارهم العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، تأليف: د. الناجي مدين (ص ٩ - ١١)، الناشر: دار الحكمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

(١) قام بتحقيقه: أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، الناشر: دار الكتب، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ. وقد اختلف بعض الباحثين في السياسة الشرعية، فرجح أن الحميدي ألف كتابه أثناء وجوده بالمشرق، واستدل على ذلك بعدم انتشاره بالمغرب، وخلو الفهارس الخاصة والعامة بهذه الناحية منه، والباحث يرجح انتساب هذا الكتاب للمغرب الإسلامي، فمؤلفه كما تذكر كتب التراجم من أهل جزيرة ميورقة، وأصله من قرطبة ربض الرصافة، وقد أخذ عن ابن حزم وتمذهب بمذهبه، وعن ابن عبدالبر، وكونه - على وجه الاحتمال - رحل إلى المشرق وصنف فيه، لا يجعل الكتاب مشرقياً، فإن العبرة بالمنهج والبنية العلمية التي ينتمي إليها الكاتب والمؤلف، وكما هو معلوم فإن المصنف مغربي المنشأ، والنسب، والتعليم، والمشیخة. انظر: الذخيرة، تأليف: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ص ٣١٩)، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م؛ وانظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تأليف: أبي القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال (٢/٨١٨)، تحقيق: د. إبراهيم الأبياري، الناشر: المكتبة الأندلسية، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

ينتمي إلى هذه الفترة في المغرب الإسلامي كتاب: "الإشارة إلى أدب الإمارة"<sup>(١)</sup>، الذي ألفه محمد بن الحسن الحضرمي، ويُعرف بالمرادي رحمته الله (ت ٤٨٩هـ) لأمير المرابطين أبي بكر بن عمر رحمته الله، وقد جعله منهجاً سياسياً قابلاً للعمل والتطبيق في مجال السلوك السياسي الأخلاقي، فهو مصنف يهتم بالإنسان وبعلاقته الاجتماعية، وأحواله النفسية، كما يُعنى بالشأن السياسي العام المتصل بالجهاز الإداري، وبالسلطة التنفيذية، وبأدب الروابط بين الراعي والرعية، وبين الجنود ورؤسائهم<sup>(٢)</sup>.

قسّم المرادي مصنّفه إلى ثلاثين باباً تتعلق كلها بالمناصحة في الموضوعات الخلقية، والسياسية، حيث بدأ حديثه بذكر فضل العلم والحض عليه، ثم تناول أهمية المشورة وصفات المستشار، بعد ذلك عرض لمستويات السياسة، بدءاً من سياسة الإمام مع نفسه، إلى سياسة أعوانه، وكتابه، ووزرائه وحجابه، ثم ناقش أقسام السلاطين وكيفية سيرهم.

وترجع أهمية كتابي الحميدي والمرادي إلى كونها يشكلان منطلق التأليف في بلاد المغرب التي تتابعت مؤلفات العلماء من بعدهما، ولم يقف الباحث على كتاب مخطوط أو مفقود يرجع إلى ذلك القرن.

وفي بداية القرن السادس الهجري صنف عبد الجبار بن عبدالله بن أحمد بن أصبغ المعروف بأبي طالب المرواني رحمته الله (ت ٥١٦هـ) كتاب: "عيون الإمامة ونواظر السياسة"<sup>(٣)</sup>، تناول فيه

(١) قام بتحقيقه ودراسته: رضوان السيد، منشورات: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(٢) انظر: جوانب من حياة قاض المرابطين الإمام الحضرمي، إعداد: د. الناني ولد الحسين، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد [٦] (ص ٨٩-٩٠)، عام ١٩٩٩م.

(٣) قام بتحقيق جزء منه: د. بشار عواد، وصلاح محمد جرار، وقد طبعته دار الغرب الإسلامي بتونس، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، وكتب على عنوان المطبوع "قطعة من كتاب عيون الإمامة ونواظر السياسة"، والذي يبدو للباحث أن

الحديث عن الإمام وشروط توليه، والمبادئ التي يجب أن يكون عليها الإمام، وواجباته تجاه الرعية.

تزامن مع كتاب المرواني أهم مصنفات المغرب الإسلامي في مناصحة أئمة المسلمين، وهو كتاب "سراج الملوك"<sup>(١)</sup> لمحمد بن الوليد بن محمد القرشي الفهري الأندلسي المشهور بأبي بكر الطرطوشي رحمته الله (ت ٥٢٠هـ)، الذي أهده إلى أمير المؤمنين أبي عبدالله محمد الأمري<sup>(٢)</sup>، وكان الغرض منه تقديم النصح له، وذكر ما يكون به زكاء النفس وتهذيبها، والترغيب في سلوك سبيل العدل والبعد عن ضده؛ لأن "عقول الملوك، وإن كانت كباراً إلا أنها مستغرقة بكثرة الأشغال، فتستدعي من الموعدة ما يتولج على تلك الأفكار، ويتغلغل في مكامن تلك الأسرار، فترفع تلك الأستار، فتفك تلك الأكنة والأقفال، ويصقل ذلك الصدا والران"<sup>(٣)</sup>، وذلك من خلال أربعة وستين باباً، بنيت على ثلاث قضايا كبرى هي: افتقار المصالح إلى سلطان العدل، والمناقب والأخلاق الواجبة فيه، والأخيرة في طريقته وسيرته مع أعوانه وحاشيته.

وإن مما يجدر الإشارة إليه عند تناول الحديث عن مصنف الطرطوشي رحمته الله "سراج الملوك"، هو أن دراسة سياقه التاريخي يقف عند نمط من أنماط كتب مناصحة أئمة المسلمين الرئيسية، والتي تشكلت في أطوارها الثلاثة، وأعني بذلك: طور التأسيس ممثلاً في كتاب سالم

هذا الكتاب كتاب تراجم وتاريخ؛ لأن من ترجم للمؤلف ذكر اسم هذا الكتاب وصنفه في التاريخ، ومن ذلك ما ذكره ابن بشكوال رحمته الله: "عبد الجبار بن عبدالله بن أحمد بن أصبغ... وجمع كتاباً حفيلاً في التاريخ سماه بكتاب "عيون الإمامة ونواظر السياسة" أجازها لنا وما رواه بخطه... ويترك المجال في هذا المقام لبعض الباحثين للتحقق من موضوع الكتاب. الصلة لابن بشكوال (ص ٣٦١).

(١) قام بتحقيقه: فتحي أبو بكر، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

(٢) نص على اسمه في مقدمته، وقيل بأن الكتاب مهدى إلى الوزير المأمون البطائحي. انظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيدي (ص ٣٩).

(٣) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٩).

أبي العلاء، وعبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، والجاحظ، وطور التصحيح، والذي يمثله الماوردي في القرن الخامس الهجري، وطور كتاب الطرطوشي الذي يمثل لحظة استواء النمط واكتمال الأطوار، وذلك بالصورة التي تتجاوز الطورين السابقين، عن طريق احتواء يسمح ببناء تركيب في التأليف والنظر يرسم لهذا الفن هويته؛ ليتحول إلى نموذج معبر عن مرحلة من مراحل صيرورة كتب المناصحة في التاريخ، وهي بلا شك - وإن قدمت مزيداً - فهي دون منجزات الماوردي رحمته الله الذي ولد موسوعة في موضوعات مناصحة الأئمة، واعتبر مؤسساً جديداً للكتابة الدعوية الشرعية من خلال إعادته لسياق المؤلفات التي سبقتها، مع ما يتمتع به من قدرة في الاستنتاج والربط؛ لأن كفاءة الفقيه ودربته في الاستنباط تنعكس على جودة رصفه الكلامي، وتناسب عرضه الموضوعي، غير أن ما يميز كتاب الطرطوشي هو ما يسمى بالاستواء النصي، أو التشبع الشمولي لمحتوى السابقين، حتى اعتبر كتابه بمثابة خزانة علمية جامعة من القول، والأثر، والنظم، والحادثة، والقصة، والموعظة في باب مناصحة أئمة المسلمين، وهذا التجديد استحضره الطرطوشي في تصنيفه، حيث يقول في مقدمة كتابه: "فانتظم الكتاب بحمد الله وعونه، وأحكامه غايةً في بابه، غريباً في فنونه وأسبابه، خفيف المحمل، كثير الفائدة، لم تسبق إلى مثله أقلام العلماء، ولا جالت في نظمه أفكار الفضلاء، ولا حوته خزائن الملوك والرؤساء"<sup>(١)</sup>.

وما يؤيد القول ويسنده في شأن مركزية هذه الأطوار الثلاثة، هو انتقاد ابن خلدون رحمته الله لأعلام الطورين: الأول ممثلاً في ابن المقفع، والثالث متجلياً في كتاب الطرطوشي، أما طور الماوردي رحمته الله ففي إفصاحه مندوحة عن إثبات هذا الطور، ولا تقصد الدراسة في هذا المقام أن تناقش رؤية ابن خلدون رحمته الله وغيره حيال تلك الكتابات، ولكنها تثبت وبوضوح أثر هذه

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٣).

المصنفات في المرحلة التحول والتطوير<sup>(١)</sup>.

ويبقى الحديث عن كتاب "سراج الملوك" حديثاً عن المراجع المهمة والمؤثرة في مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين، حيث أصبحت أشهر مؤلفات القطر المغربي عالة عليه، تنسج على منواله، وتنهل من مادته<sup>(٢)</sup>.

وبعد منتصف القرن السادس الهجري ألف محمد بن محمد بن ظفر الصقلي رحمته الله (ت ٥٦٥هـ) كتاباً في المناصحة كشف فيه عن مهارة بلاغية فائقة تمثلت في جودة السبك، ورصانة العبارة، وبراعة الاستهلال، والقران بين لسان الأديب وعلم الفقيه، وسماه "سلوان المطاع في عدوان الطباع"<sup>(٣)</sup>، وقد قدم هذا المصنف هدية إلى قائد جزيرة صقلية أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم علي بن علوي القرشي رحمته الله، يقول في مقدمة كتابه: "ولما كانت الهدايا تعضد الشكر وتساعفه، وتزرع الحب وتضاعفه، أحببت أن أهدي له هدية فائقة، تكون عنده نافعة، وبقدرة لائقة، فلم أجد ذلك إلا العلم الذي شغفه حباً، والحكمة التي لم يزل بها صباً، والأدب الذي استوعبه مولداً وكسباً، واستغمره خلباً وقلباً، فألحفته بأساليب الغاية في إحكام آية، وهو كتاب ضمنتته أحد عشر أسلوباً تفضي بسالكها إلى العلم بالظاهر..."<sup>(٤)</sup>، والكتاب مقسم على خمس

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون (١/٣٣٤) (٢/٥٢٤-٧٢٨)، و انظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٢٣-٢٤٦)، وانظر: سوسولوجيا - طور الانهيار - لمحمود إسماعيل (ص ١٩٠)، وانظر: التراث السياسي في المغرب والأندلس، تأليف: د. محمود علي مكي (ص ١٣٢-١٣٣)، الناشر: معهد المخطوطات العربية، القاهرة - مصر، د. ط، ٢٠٠٢م.

(٢) من المؤلفات التي اقتفت أثر كتاب "سراج الملوك" وتأثرت به كتاب: "الإشارة إلى أدب الوزارة" لمحمد بن عبدالله بن سعيد المشهور بابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، وكتاب: "الشهب اللامعة في السياسة النافعة" لابن رضوان المالقي (ت ٧٨٢هـ) وكتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" لمحمد الزباني التلمساني (ت ٧٩١هـ).  
(٣) قام بتحقيقه: عبدالغني محمد علي مستو، الناشر: مركز ابن الأزرقي لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٧هـ.  
(٤) سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي (ص ٧٣ - ٧٤).

سلوانات<sup>(١)</sup> ومقدمة، والسلوانة مثل الأبواب والفصول، والذي يبدو للباحث أن هذا الكتاب قد صنف عزاء، وموعظة، وتذكيراً للأمير بالصبر والرضى وقت الشدائد التي حلت بالمسلمين آنذاك، وهو ما تشير إليه كلمة "سلوان"، وقد دلت عليه أيضاً عناوين السلوانات وهي: التفويض، والتأسي، والصبر، والرضى، والزهد<sup>(٢)</sup>.

ومن بديع التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين عند المغاربة نظم "أنجم السياسة"<sup>(٣)</sup>، وهي قصيدة شعرية مكونة من تسعة وتسعين بيتاً، نظمها عبدالله بن محمد بن عيسى الأنصاري، المعروف بأبي محمد المالقي رحمته الله (ت ٥٧٤هـ)؛ تفنن صاحبها في أساليب القول، "من الخطاب إلى الغيبة، ومن المدح إلى النصيح، ومن ضرب المثل إلى إبراز المعقول في صورة المحسوس، مع الإمام بمجمل قواعد تدبير الملك وأصول السياسة، وتعليلها وبيان حكمتها، والمحافظة على وحدة الموضوع، بحيث لا تخرج عنه ولا تتخبط فيه، بل تسير على النهج اللاحب<sup>(٤)</sup>، والتخطيط الواضح"<sup>(٥)</sup>، ومطلع قصيده:

يا أيها الملك الباهي محياه أنت الذي تألف الأضغان مغناه

(١) كلمة السلوان فسرها المؤلف بقوله: "والسلوان جمع سلوانة، وهي خرزة زعم العرب أن الماء المصبوب عليها إذا شربه المحب سلا...". سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي (ص ٧٥).

(٢) مما يدل على أهمية هذا المصنف، أن تاج الدين أبا عبدالله بن علي السنجاري (ت ٧٩٩هـ) نظم في نظم وسماه: "كتاب في قوانين الحكمة ونوادير أخبار السلاطين على لسان الطيور والوحوش"، وترجم أيضاً إلى الفارسية تحت عنوان: "رياض الملوك في رياضات السلوك"، انظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ٥١).

(٣) قام بتحقيقه: عبدالله كنون، وطبعها مجلة اللغة العربية بدمشق، المجلد الثامن والأربعون (ص ٤٢)، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

(٤) اللاحب: الطريق الواضح البين. انظر: الصحاح للجوهري (١/٢١٨)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (١/٧٣٧)، وانظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص ١٣٣).

(٥) مقدمة تحقيق عبدالله كنون على أنجم السياسة لأبي محمد المالقي (ص ٤٦).

وبعد مدح الملك والثناء عليه وتبجيله أخذ في نصحه ووصيته مصدراً قصيدته بقوله:

والعبد يعجز عن شيء يوصله      لشكر مولاه إلا نصح مولاه  
لا يمنعك علم قد سعوت إلى      أعلاه من أن ترى صباً بأدناه  
والنفس محجوبة عنها سعادتها      فرب ما حقرته ليس إياه  
ولؤلؤ الحكمة المكنون في صدف      خذ ما أتى منه واطرح ما تغشاه

ثم أخذ يسرد جملاً من النصائح والوصايا في العدل والشورى، وتخفيف الحجاب، والسهر على مصالح الرعية، والعناية بالعلم والكتاب، بأسلوب رفيع، وعرض لطيف، وقد شرحها محمد بن عبد الله رحمته الله (كان حياً سنة ١٢٠٥ هـ) في كتابه "المواهب الربانية في شرح قصيدة السياسة السلطانية"<sup>(١)</sup>.

وهذا المصنف هو آخر ما عُلم من مطبوع مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين في القرن السادس الهجري ببلاد المغرب<sup>(٢)</sup>.

وفي القرن السابع الهجري تراجعت الكتابات في مناصحة أئمة المسلمين بالمغرب الإسلامي، إذ لم يقف الباحث بعد تقصيه على كتاب مطبوع أو مخطوط، أو إشارة إلى مفقود يرجع إلى تلك الفترة، وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن هذا القرن شهد الانهيار السريع لدولة الإسلام في الأندلس جزاء الزحف النصراني، الأمر الذي أثر سلباً على الدول المغربية،

(١) الكتاب مخطوط بالخزانة الحسينية بالرباط رقم [١٢٤٩٥] ز مجموع (٧)، ذكره نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١٥٢).

(٢) وقف الباحث على كتاب مخطوط يرجع للقرن السادس الهجري، وهو كتاب "نظم السلوك في آداب الملوك" لمحمد بن عيسى بن محمد اللخمي الأندلسي المشهور بابن اللبانة (ت ٥٠٧ هـ)، وهو مخطوط بالخزانة الحسينية بالرباط برقم [٨٧٩٧] ضمن مجموعة (١). ذكره نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ١٤٧)، وقد أشار للكتاب أيضاً حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٩٦٣).

وسقوط المراكز الرئيسية للحضارة الأندلسية، مما أدى إلى تراجع الإنتاج العلمي، وقلة الكتب التي تتناول السياسة الشرعية عامة، ومجال مناصحة أئمة المسلمين خاصة<sup>(١)</sup>.

انتعش التأليف مرة أخرى في القرن الثامن الهجري بعد أن استعاد المسلمون في الأندلس بعض عافيتهم<sup>(٢)</sup>، ونشطت أقلام المصنفين فيه بعد خمونها، فألف أبو الحسن علي بن عبدالرحمن المشهور بابن هذيل الأندلسي رحمته الله (كان حياً ٧٦٣هـ) كتاب: "عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة"<sup>(٣)</sup>، وقدمه نصيحة للسلطان محمد بن يوسف رحمته الله (ت ٧٦٣هـ)<sup>(٤)</sup>، والكتاب

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، تأليف: محمد عبدالله عنان (١/٤٤٢) (٢/١٦)، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، وانظر: تاريخ الأدب العربي، تأليف: لشوقي ضيف (٨/٩)، الناشر: دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة الحادية عشرة، د. ت، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيد (ص ٤٤).

(٢) في القرن الثامن الهجري، قامت دولة ملوك بني الأحمر الذين استطاعوا أن يوفروا لمملكتهم في غرناطة جواً سالماً، وأعانهم على ذلك نشوب الصراع بين ملوك أسبانيا من النصارى، الأمر الذي حدّد من زحفهم على المسلمين، وتزامن مع ذلك قيام الدولة المرينية (٦٦٨-٨٦٩هـ) التي لم تدخر جهداً في نصرته سلاطين غرناطة، وهو الذي أعان بني الأحمر على مقاومة نصارى أسبانيا على مدى قرنين ونصف، وهذه العوامل كانت سبباً في النهوض والازدهار العلمي حينها. انظر: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، تأليف: د. السيد عبدالعزيز سالم (٨٨-٩١)، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية - مصر، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، وانظر: تاريخ الغرب الإسلامي، تأليف: د. إبراهيم القاري بوتشيش (ص ١١٩-١٢٠)، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، وانظر: دراسات في تاريخ المغرب العربي، تأليف: د. إبراهيم فرغلي (ص ١٣٥-١٣٧)، الناشر: مكتبة دار العلم، الفيوم، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، وانظر: تاريخ المغرب والأندلس، تأليف: د. عصام عبدالرؤوف الفقي (ص ١١١-١١٥)، الناشر: مكتبة نهضة الشرق، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٨٤م، وانظر: الحضارة الإسلامية في المغرب، تأليف: د. حسن السانح (ص ١٢٠)، الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، وانظر: معالم تاريخ المغرب والأندلس، تأليف: د. حسين مؤنس (ص ٣٥١-٣٥٤)، الناشر: دار الرشاد، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٣) قام بطبعته: مكتبة مصطفى الباي الحلبي، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٦٩م.

(٤) انظر: عين الأدب لابن هذيل (ص ٥).

مقسم إلى أربعة أقسام، يجمل المصنف مضامينها في قوله: "وفضيلة هذا التأليف هي في جمع ما افترق، مما تناسب واتسق، واختيار عيون وترتيب فنون، من أحاديث نبوية، ومكارم أدبية، وحكم باهرة، وأبيات نادرة شاردة، ووصايا نافعة، ومواعظ جامعة، ومروءات سرية، وسياسات سنية، ومعان مستظرفة، وحكايات مستظرفة، وجميع ذلك مطرّداً بكل شعر جزلٍ، سهل، بريء من الغزل والهزل"<sup>(١)</sup>.

ولذي الوزارتين محمد بن عبدالله بن سعيد الغرناطي الأندلسي رحمته الله، المعروف بابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) إسهامات في مجال التأليف في مناصحة أئمة المسلمين، انتهج فيها نهج ابن المقفع في الحكاية الرمزية، ومن مؤلفاته "الإشارة إلى أدب الوزارة"<sup>(٢)</sup>، و"رسالة في السياسة"<sup>(٣)</sup>، والكتبان يعرضان النصيحة في قالب قصصي غير مباشر، يعالج من خلاله مسائل الملك والوزارة، ويستشهد على ذلك بأمثلة من التاريخ الإسلامي، وبأقوال حكماء اليونان القدماء.

بعد ابن الخطيب ألف عبدالله بن يوسف بن رضوان المالقي رحمته الله (ت ٧٨٢هـ) للسلطان أبي سالم إبراهيم بن الحسن المريني رحمته الله كتاباً يسترشد به في حكمه وسماه "الشهب اللامعة في السياسة النافعة"<sup>(٤)</sup>، وهذا الكتاب من أهم كتب المغرب في هذا الباب، وله خصائصه التي تميزه عن غيره؛ حيث جمع مصنفه بين علم الشريعة وعلم الاجتماع في معالجة مقصوده، وقد أفصح عن ذلك بقوله: "إنه يؤلف مجموعاً في علم السياسة من سياسة الملوك الأقدمين، وسير الخلفاء

(١) عين الأدب لابن هذيل (ص ٩).

(٢) قام بتحقيقه: د. محمد كمال شبانة، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، وهو مدرج في كتاب المؤلف: "ريحانة الكتاب ونجعة المتتاب" تحقيق د. محمد عبدالله عنان، الناشر: مطبعة الخانجي بالقاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٣) مدرج في كتاب المؤلف "ريحانة الكتاب ونجعة المتتاب" (ص ٣١٦).

(٤) قام بتحقيقه: د. علي سامي النشار، الناشر: دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، د. ط، ١٩٨٤م.

الماضين، وكلمات الحكماء الأولين،... محتوياً على طرف من التاريخ الذي تستشرف النفوس إليه، وتشتمل القلوب عليه؛ ليكون في ذلك عوناً على تعلق الأحكام السياسية بالخواطر"<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على ثقل وزن هذا الكتاب أن ابن خلدون رحمته الله ينقل عنه الكثير في مقدمته دون أن يعزو<sup>(٢)</sup>، وقد قسم المؤلف هذا الكتاب إلى خمسة وعشرين باباً موزعة بين قضايا الخلافة، والعدل، والعمران، والقيم والأخلاق، والإصلاح الاقتصادي والاجتماعي.

لم يُقصر التأليف في مناصحة أئمة المسلمين ببلاد المغرب على القضاة، والفقهاء، والعلماء، والأدباء، والوزراء، بل امتدت مشاركة الكاتبين فيه إلى الملوك والسلاطين، حيث صنّف موسى ابن يوسف بن عبدالرحمن بن زيان، المعروف بأبي حمو الزياني رحمته الله (ت ٧٩١هـ) كتاب: "واسطة السلوك في سياسة الملوك"<sup>(٣)</sup>، لابنه عبدالرحمن ليدبر به الحكم من بعده، يقول في مقدمته: "فرأينا أولى ما نتحف به ولي عهدنا، ووارث مجدنا، والخليفة - إن شاء الله من بعدنا - وصايا حكمية، وسياسة عملية علمية مما يختص به الملوك، وتتنظم به أمورهم انتظام السلوك؛ ولذلك سميت هذا الكتاب بـ"واسطة السلوك في سياسة الملوك"<sup>(٤)</sup>، والمصنف يقع في أربعة أبواب تناول فيها قواعد الملك، ونظامه، وملكاته - كما ذكر في المقدمة -<sup>(٥)</sup>.

(١) الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٣٦).

(٢) انظر: في مصادر التراث السياسية الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ١٧٦).

(٣) قام بتحقيقه: عبدالغني محمد علي مستو، تقديم: أ. د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٦هـ.

(٤) واسطة السلوك لأبي حمو الزياني (ص ٨١).

(٥) يصنف هذا الكتاب في المناصحة - من وجهة نظر الباحث - تحت اسم العهود، وهو من غرائب التصنيف في هذا الباب، سبقه إلى ذلك عهد مروان لابنه، والذي كتبه عبدالحميد الكاتب في مصنف وسمّاه: "رسالة في نصيحة ولي العهد" كما تقدم في الباب الثاني، الفصل الثاني، المبحث الأول، المطلب الأول: نشأة التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين (ص ٢٥٧).

وبأبي حمو - الملك - تختتم مصنفات القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب<sup>(١)</sup>.

وفي القرن التاسع الهجري شهد العالم الإسلامي في المغرب تدهوراً في الأوضاع، حيث امتدّ الزحف النصراني على دولة بني الأحمر، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الثورات والصراعات الداخلية لدى الطامعين في السلطة، ولم يكن المغرب عن ذلك ببعيد، فقد أصابها من الحروب ما هدد كيانها المتهاوي<sup>(٢)</sup>، في تلك الظروف الصعبة والمآسي القاسية، صنّف محمد بن أبي غالب العياضي، المعروف بابن السكّك المكناسي رحمته الله (ت ٨١٨هـ) كتابه: "نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب من حقوق آل بيت الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام"<sup>(٣)</sup>.

وفي منتصف هذا القرن صنّف أبو يحيى محمد بن محمد بن عاصم القيسي رحمته الله (ت ٨٥٨هـ) كتابه: "جنة الرضا في التسليم على ما قدر الله وقضى"<sup>(٤)</sup>، وتعود قيمة هذا الكتاب إلى كونه كتاب

(١) من مصنفات القرن الثامن المطبوعة ببلاد المغرب كتاب: "الزهرة المثورة في نكت الأخبار الماثورة" لأبي القاسم محمد بن أبي العلاء ابن السماك (٣٤٤هـ)، قصد به المؤلف تقديم مادة لتثقيف المتأدبين من الأمراء وأبناء السلاطين، خاصة في الزهرة الأولى من كتابه. قام بتحقيق الكتاب: د، محمود علي مكي، الناشر: المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، د. ط، ١٩٧٩م، وكتاب: "تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية" لأبي الحسن الخزاعي التلمساني (ت ٧٨٩هـ)، والكتاب مهدى إلى السلطان المريني أبي فارس، ويتألف من عشرة أجزاء، تضم ١٧٨ باباً، تناول فيها الخلافة والوزارة، وكل ولاية وجدت من العهد النبوي والخلافة الراشدة، وقد ركز على مسؤولية السلطان في الإصلاح، ومحاربة الفتن. والكتاب مطبوع، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

(٢) انظر: الحضارة العربية في إسبانيا، تأليف: ليفي برونفسال (ص ١٢٠ - ١٢٢)، و(ص ٢١٦ - ٢١٧)، ترجمة: د الطاهر أحمد مكي، الناشر: دار العالم العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، وانظر: التراث السياسي في المغرب والأندلس لمحمود علي مكي (ص ١٤٦).

(٣) قام بتحقيقه: محمد ناجي بن عمر، الناشر: المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الثانية ٢٠٢٠م.

(٤) قام بتحقيقه: د. صلاح الجرار، الناشر: دار البشر للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، د. ط، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

ظرفٍ ووقت؛ لأن مؤلفه رمى إلى مساعدة من ابتلي بالمصائب والفوات وتقلب الأحوال، وأرشدتهم إلى السبل التي تخفف عنهم وطأة المحنة، "وتجدر الإشارة إلى أن المعلومات التاريخية والأدبية وغيرها في هذا الكتاب ليست مقصودة لذاتها، وإنما أوردتها المؤلف في سياق معالجة لموضوع فريد، هو موضوع المحنة والابتلاءات التي يتعرض لها الأفراد والدول"<sup>(١)</sup>.

وفي نهاية هذا القرن ألف أبو عبدالله محمد بن علي الأصبحي الغرناطي رحمته الله، المشهور بابن الأزرق (ت ٨٩٦هـ) كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك"<sup>(٢)</sup>، لخص فيه فصول مقدمة ابن خلدون رحمته الله، وأعاد ترتيبها ترتيباً منهجياً<sup>(٣)</sup>، يقول عنه المقرئ رحمته الله: "كتاب مفيد في موضوعه، لخص فيه كلام ابن خلدون رحمته الله في مقدمة تاريخه، مع زوائد كثيرة عليه"<sup>(٤)</sup>، وقد وقف من كلام ابن خلدون موقف المتقدم، فيؤيد مرة، ويرد أخرى<sup>(٥)</sup>، والمصنف مبني على مقدمتين، وأربعة كتب، وخاتمة، تحدث في المقدمة الأولى عن تقرير ما يُمهّد للنظر في الملك عقلاً، وفيها عشرون حقيقة علمية مستفادة من مقدمة ابن خلدون رحمته الله، أما المقدمة الثانية فهي في حقيقة الملك والخلافة وأنواع الرئاسات، وما يتعلق بها من قضايا، مثل: مسائل الجند، والحروب، ومكائد الحرب، ثم أعقب حديثه بنصح الأئمة، وحثهم على العدل، وإقامة الولايات الدينية، كالحسبة

(١) مقدمة تحقيق د. صلاح الجرار على جنة الرضا لأبي يحيى القيسي (١٠/١ - ١١).

(٢) قام بتحقيقه: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الاعلام، العراق، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

(٣) حاول ابن الأزرق أن يجمع بين نظريات ابن خلدون، وبين نظريات مؤلفي كتب المناصحة، كابن رضوان والطرطوشي، كما أنه أعاد سبك المقدمة في قالب كتاب النصيحة، انظر: مقدمة تحقيق علي النشار على بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق (ص ٦)، وانظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٤٠)، وانظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٧٠).

(٤) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تأليف: شهاب الدين أحمد ابن محمد المقرئ التلمساني (٢/٦٩٩)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٥) انظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيدى (ص ١٦٣).

والفتيا والقضاء<sup>(١)</sup>.

انفرد كتاب "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"<sup>(٢)</sup> لمحمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني رَحِمَهُ اللهُ (ت ٩٠٩هـ) بالقرن العاشر الهجري في بلاد المغرب، متناولاً فيه ما يجب على الأمير من حسن النية، والتقوى، والبعد عن الهوى، وعرض ما يجب عليه أيضاً من حسن الهيئة، وتنظيم المملكة، وأخذ الحيطه والحذر، ثم عرّج على واجبات القضاة من العدل في الأحكام، وختم كتابه بالحديث عن مصادر الأموال الخاصة بالدولة، وأوجه إنفاقها في الحق. ولم يقف الباحث في هذا القرن على كتاب غيره.

تراجع التأليف في القرن الحادي عشر الهجري عند المغاربة، حيث لم يقف الباحث بعد التقصي على مصنف مطبوع في مناصحة أئمة المسلمين يرجع إلى تلك الفترة<sup>(٣)</sup>.

(١) وقف الباحث على إشارات لمصنفات مفقودة في مناصحة أئمة المسلمين ترجع إلى هذا القرن، مثل: كتاب: "مرشد الحكام" لمحمد بن أحمد القيرواني، المعروف بابن عظم (كان حياً سنة ٨٨٩هـ)، ذكره الزركلي في الأعلام (٣٣٥/٥)، وكتاب: "النصيحة في السياسة العامة والخاصة" لعلي بن محمد القرشي، المشهور بالقلصادي (ت ٨٩١هـ) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (٤/٦٥٤)، وهدية العارفين (١/٧٣٨)، والزركلي في الأعلام (١٠/٥)، وكتاب: "الإبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك" لابن الأزرق (ت ٨٩٦هـ)، ذكره الزركلي في الأعلام (٦/٢٨٩)، وقد اختلف الباحثون حول وجود هذا الكتاب، فمنهم من أثبت وجوده، ومنهم من يرى أنه مفقود، انظر: ابن الأزرق وفلسفته الاجتماعية، إعداد: الرباكي (ص ٤١)، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب، جامعة الكوفة، عام ١٤١٨هـ/١٩٧٧م، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوي الرشيدي (ص ١٥٥).

(٢) قام بتحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.  
(٣) من مصنفات مناصحة أئمة المسلمين المخطوطة التي أشارت إليها كتب التراجم والفهارس ومصادر التأليف: كتاب: "تحرير السلوك في تدبير الملوك" لأبي الحسن علي الغزالي القادري الشاذلي (كان حياً سنة ١٠٤٣هـ)، واسم الكتاب يطابق اسم كتاب ابن الأعرج، وكتاب الشاذلي هذا مخطوط بالخزانة الحسينية بالرباط رقم [٨٠٩]، ذكر ذلك نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ٢٠٤)، وكتاب: "الإشارة

=

وفي القرن الثاني عشر الهجري صنف الحسن بن محمد بن علي اليوسي المراكشي رحمته (ت ١١٠٢هـ) كتاب: "الرسالة الصغرى"<sup>(١)</sup> للسلطان مولاي إسماعيل الشريف الحسني رحمته، أوضح فيها ما على السلطان من حقوق لا يستقيم الملك إلا بها، والتمس منه محاسبة المسؤولين المقصرين، ومباشرة متابعة أمور الحكم بنفسه، والسهر على حفظ المصلحة العامة، وهذا هو المطبوع الوحيد الذي انتهى إليه علم الباحث في ذلك القرن<sup>(٢)</sup>.

لم يزل التأليف في مناصحة أئمة المسلمين يأخذ طريقه في الانحسار ببلاد المغرب، إذ لم يقف الباحث في القرن الثالث عشر على مصنف مطبوع فيه<sup>(٣)</sup>.

الناصح لمن طلب الولاية بالنية الصالحة" لمحمد بن سعيد بن أبي بكر السوسي (ت ١٠٨٩هـ)، وهو مخطوط بالخزانة الحسينية بالقصر الملكي بالرباط، رقم [٧٣٨٠]، ذكر ذلك نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ٢٠٧)، وذكره الزركلي في الأعلام (٦/١٣٩ - ١٤٠).

(١) نشرتها المحققة فاطمة خليل القبلي، ضمن رسائل ابن علي الحسن اليوسي، مكتبة دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، د. ط، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

(٢) وقف الباحث على مخطوط يرجع إلى ترك الفترة، وهو كتاب: "نصيحة الصفاء في قواعد الخلفاء" لأحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي رحمته (ت ١١٢٨هـ)، وهو موجود بالخزانة الحسينية بالرباط برقم [٣٩١٤]، وبالخزانة العامة بالرباط برقم [٣٨٣] كتا، وبالجامعة الأردنية برقم [٢٢]، ذكره نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي (ص ٢١٠).

(٣) هناك مخطوطان في مجال مناصحة أئمة المسلمين يرجعان إلى ذلك القرن، الأول: كتاب "درة السلوك وريحانة العلماء والسلوك" لعبد السلام بن محمد بن عبد الله أبي محمد العلوي الحسني (ت ١٢٢٨هـ)، ومؤلفه من علماء الأسرة العلوية المالكة في المغرب، وقد ولي ولاية "تار" عام (١١٩٩هـ)، ويعد هذا المصنف على غرار كتاب "رسالة في نصيحة ولي العهد" لعبد الحميد الكاتب، وكتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" لأبي حمو الزياني، وهذا الكتاب موجود في الخزانة الزيدانية بمكناس، ذكر ذلك في كتاب: "دليل مصنفات السياسة الشرعية والأحكام السلطانية" للجنة العلمية بمركز ابن الأزرق (ص ٥١٢). الثاني: كتاب "رسالة السلوك فيما يجب على الملوك" لأبي القاسم بن أحمد بن علي الزياني رحمته (ت ١٢٤٩هـ)، وهو مخطوط بخزانة القرويين، ضمن مجموع من ٩٧ ب إلى ١٨٠ ب، ذكر ذلك نصر عارف في كتابه: في مصادر التراث السياسي الإسلامي

خُتِمت مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين في بلاد المغرب الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري بكتاب: "السالك إلى أقوم المسالك في معرفة أحوال أهل الممالك"<sup>(١)</sup> لخير الدين التونسي رحمته الله (ت ١٣٠٨هـ)، وسبب تصنيف هذا الكتاب هو دعوة المسؤولين في زمانه إلى الأخذ بوسائل تحسين حال الأمة وتعميرها، والاستفادة من الغرب فيما لا يعارضه شرعاً، وهذا أمر مطلوب شرعاً وعقلاً، بعد ذلك تناول قضية الشورى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخطر الظلم على الدول والمجتمعات، ثم ختم كتابه بعرض تاريخ التمدن الأوروبي، وبهذا القرن ختمت المصنفات في مناصحة أئمة المسلمين بالمشرق والمغرب الإسلاميين.

ويستخلص الباحث من خلال دراسة نشأة التأليف، واستعراض التطور في سياقه التاريخي بالمشرقين ما يأتي:

أولاً: تعود نشأة الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين إلى نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي في القرن الثاني الهجري (١٣٢-١٤١هـ)، حيث تشكل بناؤها الأول في الرسائل التي أعدها كتّاب الدواوين من الموالي والعجم الذين حاولوا نقل التجربة الفارسية، والحكمة اليونانية الفلسفية إلى الواقع آنذاك، من أمثال سالم أبو العلا (كان حياً سنة ١٢٥هـ)، وعبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢هـ)، حتى تبلورت تدريجياً مع كتابات ابن المقفع (ت ١٤٣هـ) الذي يُعد المؤسس للكتابة في هذا المجال.

ثانياً: لا يعرف قبل هذا التاريخ مؤلف خاص مكتمل الخصائص والسمات في مناصحة أئمة المسلمين؛ يعضد القول بذلك خلو المصنفات القديمة في تاريخ الكتب من ذكر شيء منها<sup>(٢)</sup>، وكذا خلو كتب تاريخ المؤلفين والكتب، مثل: "الأعلام" للزركلي، و"معجم المؤلفين"

(ص ٢١٥).

(١) قام بطبعته: دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م.

(٢) من الأدلة المرجحة هو خلو الفهرست لابن النديم (ت ٣٤٣هـ) من ذكر تلك المصنفات ولو بالإشارة، والكتاب

لرضا كحالة، و"كشف الظنون" لحاجي خليفة، و"هدية العارفين وإيضاح المكنون" للبغدادي من الإشارة إلى وجود مصنفات ترجع إلى قبل عصر التأسيس، ويبقى هذا حكم ظني قابل للنقض حال وجود ما يثبت خلافه.

ثالثاً: لا يعني القول بخلو التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين قبل عصر التأسيس، انعدام التداول العلمي منها، فإن الإرهاصات الأولى للتأليف فيه بدأت في الرسائل والعهود، والمسامرات السياسية، التي كانت تعقد في مجالس الملوك، حيث كانت تتخللها أحاديث الحكمة السياسية، والقصص التي يُقصد من ورائها العظة والعبرة، وقد جُمعت تلك الحكم السياسية في مصنفات أصبحت في حكم المفقود، مثل: كتاب "الأمثال" لعبيد بن شربة رحمته الله (ت ٧٠هـ)، الذي عاش في زمن معاوية رضي الله عنه، وكتاب "الأمثال" لصحار العبد رحمته الله (ت ٤٠هـ)، وكتاب "الملوك وأخبار الماضين" لعبد بن شربة رحمته الله (ت ٦٧هـ) الذي رواه عن علاقة بن كريم رحمته الله، وكان من سَمَّار يزيد بن معاوية، وقد أصبحت تلك الأمثال مصدراً تتناقلها كتب المناصحة مع مصادرها الأخرى<sup>(١)</sup>.

رابعاً: استوعب التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين جميع العصور، والأقطار، والمذاهب والفرق، والأجناس، واتسعت دائرة الكتاب واللغة فيه، حتى شارك فيه غير المسلمين، وألّف بأكثر من لسان.

خامساً: امتد التصنيف في قطري العالم الإسلامي إلى القرن الرابع عشر الهجري، وسبقت أقلام علماء المشرق مؤلفات المغاربة بنحو ثلاثة قرون تقريباً، حيث كانت بداية الكتابة عند علماء

- كما هو معلوم - مصنف في القرن الرابع الهجري.

(١) انظر: الفهرست لابن النديم (ص ٧٦)، وانظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٣٥-٣٦)، وللاستزادة

انظر: جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي (١/٣٧١)، وجمهرة خطب العرب، تأليف: زكي صفوت (١/٢٧١)،

الناشر: مطبعة الباوي الحلبي، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.

المغرب في هذ المجال في أواخر القرن الخامس الهجري بعد اكتمال أسس هذه المصنفات وخصائصها، وسماتها التي تحدد معالمها، واعتمد التصنيف المغربي مصنفات أهل المشرق أساساً مرجعياً في موضوعاته ومضامينه، ومن أمثلة ذلك نُقِلَ ابن رضوان المالقي رحمته الله (ت ٧٨٢هـ) في كتابه "الشهب اللامعة" من كتاب "التاج" للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) جانب الحكمة الفارسية والأدب العربي منه، ومن تراث الماوردي رحمته الله (ت ٤٥٠هـ) في السياسة الشرعية، ومن ذلك أيضاً اعتماد ابن ظفر رحمته الله (ت ٥٦٥هـ) في كتابه "سلوان المطاع" على كتابات ابن المقفع، وعلى كتاب "السلطان" لابن قتيبة رحمته الله (ت ٢٧٢هـ)، وقریباً من ذلك استفادة أبي حمو الزياني رحمته الله (ت ٧٩١هـ) في "واسطة الملوك" من كتب الماوردي رحمته الله، وكتابي "سياست نامه" لنظام الملك الطوسي رحمته الله (ت ٤٨٥هـ)، و "سلوك المالك في تدبير الممالك" لابن أبي الربيع رحمته الله (ت ٢٧٢هـ)، وقد تجلت استفادته منها في قضايا الأخلاق المتعلقة بأهل الولايات من الوزراء ونحوهم<sup>(١)</sup>.

سادساً: ما يتعلق بتأطير أطوار الكتابة والتأليف في مناصحة أئمة المسلمين، فإن رؤية الباحث من خلال سرد السياق التاريخي لها من النشأة إلى نهاية ما انتهى إليه العلم به، يتبلور في ثلاثة أطوار:

**الطور الأول:** ويبدأ من نشأة الكتابة والتأسيس له في أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي، وحتى نهاية القرن الرابع الهجري، وقد تمحورت تلك الكتابات حول مبتدئي الكتابة في هذا المجال، وهم: سالم أبو العلا (كان حياً سنة ١٢٥هـ)، وعبد الحميد بن يحيى الكاتب (ت ١٣٢هـ)، وابن المقفع (ت ١٤٢هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وابن أبي الربيع رحمته الله (ت ٢٧٢هـ)، وغيرهم، والذين تبلورت على أيديهم ملامح التصنيف في موضوعات مناصحة

(١) للاستزادة انظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيدى (ص ٨٨-١٣٧).

أئمة المسلمين<sup>(١)</sup>.

ومن الخصائص المميزة لهذا الطور أن معظم المصنفات صدرت من مؤلفين وكتاب مقربين من الأئمة والسلاطين والملوك، وقليل من تلك الكتب صدرت من خارج هذا النطاق<sup>(٢)</sup>، كما اتسمت بغياب المرجعية العلمية الشرعية، وحضور الحكمة الفارسية، والمنطق الأرسطي؛ ذلك أن مصنفي تلك الكتب لهم صلة وثيقة بالمراث الساساني، وبفلسفة اليونان؛ لذا فإن نصوصها تعد نصوصاً فارسية، أو فلسفة أرسطية يونانية، أو ثقافة رومانية، تمت ترجمة بعضها، وتلخيص بعضها الآخر، ولم يكن حضور النص الشرعي فيها إلا في النادر القليل وعلى وجه التبع، لكن أهمية تلك المرحلة ترجع إلى امتداد مضامينها إلى آخر عصور التصنيف، باعتبارها مصدراً من مصادر التصنيف عند المتأخرين<sup>(٣)</sup>.

**الطور الثاني:** ويبدأ من القرن الخامس الهجري، وهو القرن الذي شهد العديد من الاضطرابات والفتن داخل العالم الإسلامي، ويُعد الماوردي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ هو المؤسس الحقيقي لهذه المرحلة من مراحل الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين<sup>(٤)</sup>، حيث لبست لبوس الشرع، وأصبحت مادة نصوصها الآية، والحديث، والأثر، واجتهاد الفقيه، وأُخِّرت حكمة فارس، ومنطق

(١) انظر: مقدمة إحسان عباس على كتاب عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء

(ص ١٠)، وانظر: أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩٢).

(٢) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٩٦).

(٣) انظر: النصيحة السياسة لعز الدين العلام (ص ٨٨-٨٩)، وانظر: الفكر السياسي في الإسلام مدارسه واتجاهاته

لرضوان السيد (ص ٢٢)، وانظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٦٩ - ١٠٦)، وانظر: الآداب

السلطانية لعز الدين العلام (ص ٩).

(٤) انظر: الفكر السياسي عند أبي الحسن الماوردي، تأليف: د. أحمد مبارك البغدادي (ص ٨)، الناشر: مؤسسة الشراع

للنشر والتوزيع، الكويت، ودار الحديث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٤م؛ وانظر: أدب النصيحة في

الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩٢-١٠٥).

أرسطو، إلى منزلة التبع المُتمم، ويعد الباحث أن هذا هو طور التصحيح في مسار تلك الكتابات. **الطور الثالث:** ويبدأ من القرن السادس الهجري، إلى نهاية القرن التاسع تقريباً ويمثله كتاب "سراج الملوك" للطروشّي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهَا (ت ٥٢٠هـ)، وتعد هذه هي مرحلة النضج والاكتمال للكتابة الدعوية في باب مناصحة أئمة المسلمين، حيث امتازت بالاستواء النصي، وتشبع مادتها بمصادر هذا الفن، الأمر الذي أكسبها قدرة على الموازنة بين مصادر الشرع، وبين الحكمة وتجارب الأمم؛ لتأخذ كل مادة موضعها ومقعدها الصحيح من التصنيف، يساند هذا الطور أيضاً قوة الدافع إلى تلك المصنفات تأليفاً وقبولاً؛ حيث اعتبر سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة (٦٥٦هـ)<sup>(١)</sup>، مرحلة تاريخية مهمة في تطور هذا المجال من التصنيف<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال تصفح كتب المناصحة، والاطلاع على مضامين مادتها، فإن الذي يبدو للباحث أن اكتمال تخلق الكتابة من حيث البناء النصي، والموضوعي توقف عند الطور الثالث، وأن تطور المؤلفات بعد القرن السابع الهجري يمكن حصره في النمو الكمي لعدد التصنيف، فالتشابه كبير بين مادة مضامينها، بل وترتيب أبوابها، وتماثل تناول قضاياها، فهي نصوص لا تنمو ولا تتطور<sup>(٣)</sup>، على الرغم من أن هذه الكتب كتبت في فترات مختلفة، ووجهت إلى سلاطين وملوك مختلفين، ويستثنى من ذلك الاختلاف في بعض تبويبات التأليف، ودوافع تصنيفه، اللذان يحكما الظرف التاريخي<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٣٣/٤٨-٣٤)، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/٢٦١-٢٧٤)، وانظر: عقد الجمان، تأليف: بدر الدين العيني (ص ٣٩)، تحقيق: محمد محمد أمين، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

(٢) انظر: أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩٨).

(٣) وجهة نظر الباحث هنا أغلبية، وإلا قد وجدت بعض المصنفات بعد هذا القرن التي أنتجت واقعياً الظروف.

(٤) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٩٩)، وانظر: أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ١٠٦)، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيدى (ص ١١٠).

سابعاً: لا يوجد اتفاق على تسمية محددة عند المشتغلين بدراسة الكتب المؤلفة في مجال مناصحة أئمة المسلمين، كما أنه لا يوجد لديهم اختلاف في اندراج تلك الكتب في إطار واحد يجمعها، فهم متفقون على أن جميع تلك الكتب قد أُلِّفت في مناصحة الملوك، والحكام، والخلفاء، من أجل الحفاظ على بقاء الحكم بالحق، ولا إشكال في ذلك؛ - إذ لا مشاحة في الاصطلاح -، ومن أسماء ذلك الفن المستعلمة: الكتابة الديوانية، نصائح الملوك، كتابة التدبير السياسي، مرآة الأمراء، الأدب السياسي، الآداب السلطانية، الدهائيات.

وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى أن عناوين الكتب أيضاً لا تنص جميعها على كلمة النصيحة أو الموعدة، فقد يختار المصنف اسماً له دلالاته القريبة على معنى النصيح، والتهذيب، والإرشاد، مثل كلمة: أدب، أخلاق، تدبير، عقْد، تبر، سراج، تحفة، جوهر، امتاع ومؤانسة<sup>(١)</sup>، كما تقدم في السرد التاريخ لها.

وبهذا ينتهي القول في تاريخ التأليف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره في هذه الدراسة.

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٣٩-٤٢)، والنصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٢-٢٤)،

وانظر: أدب النصيحة في الفكر الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ١١١-١١٢).

## المبحث الثاني

### أسباب التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين

تمهيد:

المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين كغيرها من مصنفات علوم الشرع والآلة، تفتقر إلى أسباب تبعث على تأليفها، وبواعث تحمل مؤلفيها على تحبيرها وتسطيرها، ولا شك أن العلم بدوافع تأليف الكتاب من الأهمية بمكان؛ لأن العلم بها يكشف لدى الباحث والقارئ الغرض والهدف من تصنيف هذا الكتاب، كما أنه يعدُّ مُعيناً على قراءة وفهم مقاصد المؤلف، ومراميه، وأغراضه التي لا يفصح عنها بصريح العبارة.

إن مسألة وجود سببٍ لتأليف الكتاب، وثبوت الدوافع على تصنيفه، أمر لا يحتاج إلى إثبات؛ إذ إن افتقار الكتب والمصنفات إليه، هو افتقار المسببِ إلى سببه؛ لذا كان قول الباحثين في ذكر نوع السبب والإفصاح عنه، وليس في وجوده من عدمه، وقد اجتهد بعضهم في أفراد تصنيف يُعنى بتقصي وجمع أسباب التأليف في مؤلفات الإسلام<sup>(١)</sup>.

لقد درجت عادة مؤلفي كتب المناصحة على ذكر أسباب التأليف وبواعث التصنيف في مقدمات كتبهم، وهو نهج معلوم عند عامة المصنفين في جميع العلوم، حيث تعد المقدمة محل بحث السبب ومظنة وجوده، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الجاحظ في مقدمة كتاب "التاج" بعد

---

(١) من أمثلة الكتب والمقالات التي سلطت الضوء على هذا الباب اللطيف كتاب: "أسباب التأليف"، تأليف: يوسف بن إسماعيل النبهاني رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٣٥٠هـ)، وهو ملحق بالطبعة القديمة من مصنفه "جامع كرامات الأولياء"، الناشر: مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، د. ط، ١٣٢٩هـ؛ وكتاب "دوافع البحث والتأليف عند المسلمين"، تأليف: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، د. ط، ٢٠٠٥م؛ وكتاب "مقاصد التأليف عند المسلمين" تأليف: عباس أرحيلة، الناشر: دار ثقيف للنشر والتأليف، د. ط،

خطبة الحاجة قائلاً: "فإن الذي حدا على وضع كتابنا هذا معان، منها: أن الله عز وجل لما خص الملك بكرامته، وأكرمهم بسلطانه..."<sup>(١)</sup> ثم أخذ في سرد بواعث تصنيفه، ومثله أيضاً قول الماوردي رحمته في مقدمة كتابه "نصيحة الملوك": "ونقول: إنما حملنا على تأليف هذا الكتاب بعد ما علمنا من حث الله - جل ذكره - العقلاء من عباده على طلب الأجر..."<sup>(٢)</sup>، وهذه مسألة ظاهرة الجلاء في تأليفهم.

وإن مما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، هو أن خلو ذكر السبب في مقدمة المؤلف، لا يعني خلو ذكره الضمني، أو الإشاري في طي الكتاب أو عنوانه، وهذه مسألة ترجع إلى تأمل القارئ وفهمه لظروف الكتاب، وسياقاته، وإشاراته، فالإهداء على سبيل المثال إلى الحاكم - والذي يعد من الأسباب المكررة سبباً - قد لا يكون في صريح القول ما يدل عليه، ولكنه من "خلال صيغة المقدمة نفسها يظل في حقيقته معنى مستفاداً ولو غاب لفظاً"<sup>(٣)</sup>، ويشترك هذه الحالة الأسباب التي سطرها مؤلفوها في عناوين مصنفاتهم، والتي أصبحت تفسيراً معبراً عن دوافعهم إلى التأليف، فدافع النصح والموعظة - على سبيل المثال - هو الذي حمل محب الدين محمد المقدسي رحمته على تأليف كتابه "بذل النصائح الشرعية في ما على السلطان وولاية الأمور وسائر الرعية" وهذا مستفاد من شطر عنوانه "بذل النصائح الشرعية"، كما أن رسم خطط الدولة، وتقديم النهج الإداري هو الذي دفع ابن أبي الربيع رحمته إلى تصنيف كتابه "سلوك الممالك في تدبير الممالك"، وعبد الرحمن بن عبد الله الشيزري رحمته في "المنهج المسلوك في سياسة الملوك" ونجم الدين الطرسوسي رحمته في مصنفه "تحفة الترك في ما يجب أن يعمل في الملك"، وهذا مسلك لطيف في البحث عن أسباب التصنيف.

(١) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٢).

(٢) نصيحة الملك للماوردي (ص ٣٣).

(٣) النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٥٣).

ثم إن بعض تلك المصنفات قد يجوي أكثر من مدعاةٍ ودافعٍ لتأليفه، ولا مشاحة في ذلك، فإن العلل لا تتزاحم كما قيل، وعند تصفُّح بعض تلك المقدمات تجدُّ مصنفها يفصِّلون القول في تعداد الدواعي الحاملة على تأليف كتبهم، فالجاحظ - على سبيل المثال - في كتاب "التاج" ذكر أكثر من خمسة بواعث على تأليف الكتاب<sup>(١)</sup>، ومثله سبطُ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ فِي "الجليس الصالح والأنيس الناصح"، حيث دَبَّجَ مقدمته قائلاً: "والذي حداني على التقاط هذه الدرر، ونظمي لها في سلك طرّزت به التواريخ والسير، خمسة مقاصد..."<sup>(٢)</sup> ثم سردها مفصلة مهذَّبة، وهذا لا يخص الكتابين، فالقران بين الدواعي والأسباب كثير في تلك المصنفات.

وبعد تقصي النظر، والتأمل في أسباب التأليف المرقومة بين أسطر المقدمات، أو البواعث المستقاة من عناوين الكتب، أو سياقات مؤلفيها وأساليبيهم، فإن الذي ظهر للباحث أن الضابط الجامع لوصف تلك الأسباب وتصنيفها هو العموم والخصوص، فبعض الأسباب عام لا يخرج كتاب عن تسميته، وبعضها خاص، اختص بعض المؤلفين أو المؤلفات بها، وربما أغربوا فيها؛ ولذا فإن تناول الدراسة لهذا المبحث يأتي في مطلبين:

المطلب الأول: الأسباب العامة للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين.

المطلب الثاني: الأسباب الخاصة للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين.

(١) انظر: التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٣ - ٤).

(٢) الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٧).

## المطلب الأول

### الأسباب العامة للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين

تتناول الدراسة في هذا المطلب الأسباب العامة التي بعثت مؤلفي مصنفات مناصحة أئمة المسلمين إلى تأليفهم، والمقصود بالأسباب العامة لمصنفات مناصحة أئمة المسلمين هي: البواعث والدوافع التي شملت جميع أو غالب تلك المؤلفات، حتى ولو لم يفصح عنها بعضهم، وبيان ذلك من خلال الآتي:

### الدافع الأول: طلب الأجر والثوبة في التأليف:

التأليف والتصنيف في مسائل الشرع وقضايا الدين، من العبادات الجليلة التي تفتقر إلى نية صالحة، وإرادة خالصة لله، شأنها في ذلك شأن سائر القربات والعبادات، وقد كان العلماء - رحمهم الله تعالى - محتاطون في ذلك غاية الاحتياط، ويحرصون فيه أشد الحرص، ومن ذلك أنهم كانوا يستحبون أن يستفتحوا مصنفاتهم بحديث: ((إنما الأعمال بالنيات))<sup>(١)</sup>، وهو من الأحاديث التي عليها مدار الدين<sup>(٢)</sup> "ومن ابتدأ به إمام الحديث - بلا مدافعة - أبو عبدالله البخاري رحمته الله، ونقل جماعات من السلف أنهم كانوا يستحبون افتتاح الكتب بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية، وقال الإمام أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي رحمته الله: من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث، وقال: لو صنفت كتاباً لبدأت به في كل باب منه بهذا الحديث"<sup>(٣)</sup>.

ومتى فسدت نية الكاتب بطل أجره، وحبط عمله، قال رحمته الله قال الله عز وجل: ((أنا أغنى

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية الحسنة، ولكل امرئ ما نوى برقم [٥٤] (١/٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله رحمته الله: «إنما الأعمال بالنية» برقم [١٩٠٧] (٣/١٥١٥).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٦١)، وانظر: البدر المنير لابن الملقن (١/٦٦١).

(٣) البدر المنير لابن الملقن (١/٦٦١).

الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))<sup>(١)</sup>.

لقد كان العلماء يطلبون الأجر في العلم، ويلتمسون أدومه في التأليف؛ لأنه من العمل الذي يبقى للعبد بعد موته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))<sup>(٢)</sup>، قال السيوطي رحمته الله: "حمل العلماء الصدقة الجارية بعد الموت على الوقف والعلم المنتفع به بعد الموت، وعلى التصنيف والتعليم، وهو في التصنيف أظهر؛ لأنه أطول استمراراً"<sup>(٣)</sup>، فالكتاب هو لسان العالم الناطق بعد موته، قال تاج الدين السبكي رحمته الله: "فإن العالم وإن امتد باعه، واشتد في ميادين الجدل دفاعه، واستد ساعده حتى خرق به كل باب سد بابه وأحكم امتناعه، فنفعه قاصر على مدة حياته، ما لم يصنف كتاباً يجده بعده، أو يورث علماً ينقله عنه تلميذ إذا وجد الناس فقده، أو يهتدي به فئة مات عنها وقد ألبسها الرشد برده، ولعمري إن التصنيف لأرفعها مكاناً، لأنه أطولها زماناً، وأدومها إذا مات أحياناً؛ ولذلك لا يخلو لنا وقت يمر بنا خالياً عن التصنيف، ولا يخلو لنا زمن إلا وقد تقلد عقدة جواهر التأليف، ولا يخلو علينا الدهر ساعة فراغ إلا ويعمل فيها القلم بالترتيب والتصنيف"<sup>(٤)</sup>.

والتأليف في مناصحة الأئمة والملوك من أبواب الدعوة التي لا يجوز أن يُطلب فيها الأجر

- (١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب من أشرك في عمله غير الله برقم [٢٩٨٥] (٤/٢٢٨٩).
- (٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته برقم [١٦٣١] (٣/١٢٥٥).
- (٣) التعريف بآداب التأليف، تأليف: الحافظ جلال الدين السيوطي (ص ١٨)، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، د. ط، د. ت.
- (٤) منع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه، تأليف: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ص ٨٢-٨٣)، تحقيق: الدكتور سعد بن علي محمد الحميري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

إلا من الله، كما قال الله على لسان نوح عليه السلام: ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا اسْتَكْبَرُوا عَلَيْهِ مَالًا إِنَّ اجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> وعلى لسان هود عليه السلام: ﴿ يَقَوْمٍ لَا اسْتَكْبَرُوا عَلَيْهِ اجْرًا إِنَّ اجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾<sup>(٢)</sup>، وبه أمر النبي صلى الله عليه وسلم، - والأمر له أمر لأمته - قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ مَا اسْتَكْبَرُوا عَلَيْهِ مِنْ اجْرٍ ﴾<sup>(٣)</sup> وهو أيضا من العلم الشرعي الذي يورثه كاتبه بعد موته.

وبهذا الدافع الشريف، والسبب المنيف، سطر مؤلفو كتب مناصحة أئمة المسلمين مقدماتهم به، يقول الجاحظ في خطبة كتابه بعد أن ذكر مسألة وجوب تعظيم السلطان بطاعته: "أما بعد: فإن الذي حدا على وضح كتابنا هذا معان: منها: ...، وأيضا فإن لنا في ذلك أجرين: أما أحدهما: فلما نبهنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها، وأما الآخر: فلما يجب من حق الملوك علينا من تقويم كل مائل عنها، ورد كل نافر إليها..."<sup>(٤)</sup>، وبمثله ابتداء الماوردي رحمته الله كتابه نصيحة الملوك حيث قال: "ونقول: إنما حملنا على تأليف هذا الكتاب بعد علمنا من حث الله - جل ذكره - العقلاء من عباده على طلب الأجر..."<sup>(٥)</sup>، ولما فصل الطرطوشي رحمته الله القول في ذكر الدوافع والبواعث التي حملته على التأليف ختمها متوجاً لها بقوله: "...رغبت أن أخصه - أي السلطان - بهذا الكتاب، رجاء لطف الله تعالى في يوم تجد كل نفس ما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً"<sup>(٦)</sup>.

وكون طلب الأجر غاية في الفعل، لا يمنع كونه سبباً دافعاً فيه، خاصة مع التنصيص عليه

(١) سورة هود، الآية (٢٩).

(٢) سورة هود، الآية (٥١).

(٣) سورة ص، الآية (٦٨).

(٤) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٣).

(٥) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٣).

(٦) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٣).

في صدر التأليف<sup>(١)</sup>، كما أنّ عدم ذكره في بعض المصنفات لا يعني عدم وجوده؛ لأنّ طلب الأجر وإخلاص العمل واجب الوجود شرعاً، وتركه خلل يوجب إيجاده وتقويمه.

### الدافع الثاني: عظم منزلة نصيحة أئمة المسلمين من الدين:

النصح لأئمة المسلمين دين يعتقد، وعقيدة يدان الله بها، وهو من مقتضى الإيمان، ومن مسائل أصول الدين كما تقدم، يقول ابن بطة رحمته الله: "ومن عقيدة أهل السنة والجماعة: اعتقاد الديانة بالنصيحة للأئمة، وسائر الأمة في الدين والدنيا، ومحبة الخير لسائر المسلمين، تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك"<sup>(٢)</sup>.

ولأهمية مناصحة أئمة المسلمين وعظم مكانها، جاءت النصوص الصريحة الصحيحة أمره بها ودالة عليها، فعن تميم الداري رحمته الله أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((الدين النصيحة))، قلنا لمن؟ قال: ((الله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم))، وقد أفرد الحديث ذكر نصيحة أئمة المسلمين مع دخولهم في جملة عامة المسلمين تنبيهاً لأهمية نصحتهم؛ لأن صلاحهم يتعدى نفعه إلى من دونهم<sup>(٣)</sup>.

ومن الأحاديث الواردة في مشروعيتها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)).

ومنها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره

(١) انظر: دوافع البحث والتأليف عند المسلمين لمحمد خير رمضان (ص ١٢).

(٢) الشرح والإبانة لابن بطة (ص ٢٦١).

(٣) انظر: فتح ذي الجلال والإكرام لابن عثيمين (٦/٤٤٩).

بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى)).

ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((إذا أراد الله بالأمر خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإذا ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكره لم يعنه)).

ومنه ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)).

"لقد أدرك العلماء أن هذه النصوص دعوة لهم لتقديم النصح لمن ولاه الله أمر المسلمين، وأن أي تقصير في ذلك هو كتمان العلم، وامتناع عن قول الحق"<sup>(١)</sup>، فبادروا إلى بذله، مرة بتبليغ اللسان، ومرة بخط البنان؛ فكانت تلك المصنفات البديعة التي خطوها في مناصحة الملوك، والأمراء، والسلاطين، والوزراء، واحداً من الأساليب التي انتهجوها.

إن استشعار أهمية النصح لأئمة المسلمين، وثقل حمل أمانة بلاغ رسالات الله هو الدافع الرئيس، والسبب الظاهر عند المصنفين على دفة كتبهم، ومضامين مادتها، ومفهوم بطونها، ولا غرابة في ذلك، فإن صلاح الإمام ليس كصلاح غيره؛ لكثرة مصالحه، وعموم نفعه<sup>(٢)</sup>، وقد اكتسبت النصيحة له أهميتها من عظم مكانة الإمامة وكبير خطرهما، يقول الماوردي رحمته الله: "فالمملوك أولى الناس بأن تهدي إليهم النصائح، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ؛ إذ كان في صلاحهم صلاح الرعية، وفي فسادهم فساد البرية"<sup>(٣)</sup>، فهم المقدمون في الذكرى، ولهم من كل نصح أتمه وأولاه؛ لأن "أولى الناس بالعناية ما سيست به المالك، ودبرت به الرعايا والمصالح؛

(١) المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين لعبدالله الطويل (ص ١٨).

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٦/٤٤٦).

(٣) نصيحة المملوك للماوردي (ص ٣٣ - ٣٤).

لأنه زمام يقود إلى الحق، ويستقيم به أودُ الخلق"<sup>(١)</sup>.

إن هذا النوع من الكتابات بمختلف مناحيه الشرعية والأدبية والفلسفية يقوم على مبدأ أساسي هو مفهوم النصيحة، والواقع أنه لو انطلق من بعض التعاريف العامة التي حاولت الإحاطة بنصائح ملوك المسلمين، لاستُفيدَ منها هذا التقعيد<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك قول بعضهم عن تلك المصنفات أنها: "نصائح سياسية، تُسدى إلى الأمير، أو ولي العهد، حتى يكون سياسياً ناجحاً"<sup>(٣)</sup>، وهو وغيره مُستلٌّ من مقدمات المؤلفين، وعناوين الكتب ومادتها، ومنتهى الأغراض والمقاصد منها.

أما ما نُص عليه في مقدمات الكتب وصدورها فسأذكر طرفاً على سبيل المثال لا الحصر، فمن ذلك ما سطره الماوردي رحمته الله في مقدمة كتابه "نصيحة الملوك" حيث يقول: "فالمملوك أولى الناس بأن تهدي إليهم النصائح، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ؛ إذ كان في صلاحهم صلاح الرعية وفي فسادهم فساد البرية... ففي نصيحة السلطان نصيحة الكافة..."<sup>(٤)</sup>، وقال في خطبة كتابه "قوانين الوزارة وسياسة الملك": "فما يستغني الفطن بذكائه عن يقظة منبه، ولا يكتفي اللبيب بحزمه عن عظة مذكر؛ لأن الهوى معترض يحدع بغرامه، ويحتجب بغمامه..."<sup>(٥)</sup>، وبمثل ذلك استهل الطرطوشي رحمته الله كتابه "السراج" حيث قال: "واعلموا، وفقكم الله أن أحق من أهديت إليه الحكم، وأوصلت إليه النصائح، وحملت إليه العلوم، من آتاه الله سلطاناً فنفذ في

(١) تسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي (ص ٤).

(٢) انظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٨ - ٢٩).

(٣) ابن رضوان وكتابه في السياسة، إعداد: إحسان عباس (ص ٣٧٩)، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت - لبنان، العدد [٢٢] ١٩٨١ م.

(٤) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٣ - ٣٤).

(٥) قوانين الوزارة للماوردي (ص ١٣٩).

الخلق حكمه، وجاز عليهم قوله...<sup>(١)</sup>، وقال ابن الجوزي رحمته الله في سبب تأليف كتابه "الشفاء":  
 "لما صنفت كتاباً في مواعظ العوام؛ آثرت أن أكتب كتاباً في مواعظ الملوك، فهم أحق الناس  
 بوعظ الواعظين"<sup>(٢)</sup>، وذيل بذلك ضياء الدين المقدسي رحمته الله مقدمة كتابه: نصيحة الملك  
 الأشرف " فقال: "فتحقق عندنا نصحه فيما نعلمه، وندله على ما نراه صواباً..."<sup>(٣)</sup>، وبهذا  
 الباعث أفصح الطرسوسي رحمته الله في مقدمة مصنفه "تحفة الترك" حيث يقول: "ورأيت الواجب  
 في هذا الزمان بذل النصيحة له - أي السلطان - بقدر الإمكان، بتأليف كتاب يشتمل على فصول  
 تجتمع فيه أنواع مصالح الملك.."<sup>(٤)</sup>، وامثل أبو حامد محمد المقدسي رحمته الله حديث النبي ﷺ:  
 ((الدين النصيحة))، فكتب كتابه "بذل النصائح الشرعية"<sup>(٥)</sup>.

وفي عناوين الكتب، وأسماء المصنفات، ما يدل على دافع النصيح، وباعث التذكير والوعظ،  
 وهذا أظهر من أن يُدَلَّ عليه، حيث تبدو أسماء الكتب معبرةً عن مضامينها، وأسباب تأليفها،  
 ومن أمثلة تلك التسميات والعناوين: "نصيحة الملوك" للماوردي رحمته الله، و"الفوائد والعوائد في  
 نصيحة الملوك" للأهوازي رحمته الله، و"التبر المسبوك في نصيحة الملوك" للغزالي رحمته الله، و"التذكرة  
 الحمدونية" لابن حمدون رحمته الله، و"النصيحة للراعي والرعية" للتبريزي رحمته الله، و"نصيحة الملك  
 الأشرف" للضياء المقدسي رحمته الله، و"اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور" للسّمهودي رحمته الله،  
 وغيرها كثير، وهي سمةٌ ظاهرةٌ وجلية عند متقدمي مصنفي كتب مناصحة أئمة المسلمين  
 ومتأخريهم.

إن دافع النصيحة والوعظ، وباعث حسن التذكير، هو السبب الرئيس، والعنصر

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٤).

(٢) الشفاء لابن الجوزي (ص ٤٠).

(٣) نصيحة الملك الأشرف لضياء الدين المقدسي (ص ٢٣٨).

(٤) تحفة الترك للطرسوسي (ص ٦٧).

(٥) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد محمد المقدسي (ص ٨٦).

المصاحب لبقية الأسباب والدوافع التي قد تنفرد بها بعض المصنفات عن غيرها؛ إذ لا يمكن أن يكون دافع النصح غائباً عن مراد الكاتب، حتى ولو أخذ شكل رمزية الأديب، أو منطقية الفيلسوف.

### الدافع الثالث: القيام بالواجب الكفائي:

ولادة الأمر وأئمة المسلمين في أمس الحاجة إلى من يذكرهم بالله، ويهدي إليهم حسن الموعدة في لطيف الألفاظ ورفيق القول، "وليس هناك عمل أفضل من هداية الحاكم نحو الخير؛ لأن في صلاحه صلاح البلاد والعباد"<sup>(١)</sup>، فتأكد بذلك قيام حقهم على العلماء في إهداء النصيحة، وإسداء الموعدة بالحسنى، وإن كانت الذكرى حاجة كل مؤمن كما قال ﷺ: ﴿وَذَكَرْ كِبَاراً، إلا أنها مستغرقة بكثرة الأشغال، فتستدعي من الموعدة ما يتولج على تلك الأفكار، ويتغلغل في مكامن تلك الأسرار، فيرفع تلك الأستار، فتفك تلك الأكنة والأقفال، ويصقل ذلك الصدا والران"<sup>(٣)</sup>.

لقد تحمل علماء الأمة أمانة نصيحة أئمة المسلمين، واستجابوا لأمر الله ورسوله ﷺ في ذلك، واعتقدوه فرضاً تأثم الأمة بتركه، وواجباً يحاسب المفرطون عليه عند ربهم، يقول الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: "حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه، أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه؛ لأن العالم إنما يدخل على السلطان يأمره

(١) مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأليف: فاروق عبدالمجيد حمود السامرائي (ص ٨٣)، الناشر:

مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، د. ط، ١٤٠٧ هـ.

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٥).

(٣) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٩).

بالخير وينهاه عن الشر، فإذا كان فهو الفضل ليس بعده فضل"<sup>(١)</sup>، ويقول ابن عبد البر رحمته الله: "إن من الدين النصح لأئمة المسلمين، وهذا أوجب ما يكون، فكل من واكلهم وجالسهم، وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك، إذا رجا أن يسمع منه"<sup>(٢)</sup>.

ونصيحة الولاية والأمراء مفتقرة إلى علم وفقه، وتحتاج إلى حكمة وصواب رأي، مع إحاطة بأدب الخطاب، وحسن الجواب، وهذا أمر لا يحسنه إلا أهل الحكمة من العلماء، يقول الزمخشري: "لا يصلح - أي النصح - له إلا من علم المعروف والمنكر، وكيف يرتب الأمر في إقامته، وكيف يباشر، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه، فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً، أو على من الإنكار عليه عبثاً"<sup>(٣)</sup>، فيتأكد بذلك حق الأمراء على العلماء في القيام بواجب النصح عن الأمة.

ولما كان "الكتاب كالخطاب"<sup>(٤)</sup>، وكان البيان به بمنزلة البيان باللسان، صنف العلماء مؤلفاتهم في مناصحتهم أئمة المسلمين، أداءً لحق الله في الولاية، ومعدرة إلى ربهم في بلاغ العلم، يقول الماوردي رحمته الله في "نصيحة الملوك": "ونقول: إنها حملنا على تأليف هذا الكتاب بعدما علمنا من حث الله - جل ذكره - العقلاء من عباده على طلب الأجر، وركب في طبائع الفضلاء من المحبة لبقاء الذكر، قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٢/٩٥).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٢١/٢٨٥).

(٣) الكشف للزمخشري (١/٣٩٦).

(٤) هذه قاعدة فقهية وتعني: أن الكتابة بين الغائبين إذا كانت مستبينة فهي كالنطق بين الحاضرين؛ لأن القلم أحد اللسانين، وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أمة الدعوة والإجابة؛ مرة بالكتاب، ومرة بالخطاب. انظر: الأشباه والنظائر، تأليف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ص ٢٩٢)، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م.

تَكْتُمُونَهُ ﴿١﴾، وقوله: ﴿إِنَّ الزَّيْتِ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ (٢).

ثم ما روينا عن نبينا ﷺ أنه قال: ((من كان عنده علمٌ فكتمه أجمه الله بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة)) (٣).

ثم روينا عنه أنه قال: ((الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله، قال الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)).

وروى عن جرير بن عبد الله ﷺ أنه قال: ((بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم)) (٤).

وقد كان العلماء يكتبون هذا المصنفات معتقدين وجوب فعل ما قاموا به، يقول نجم الدين الطرسوسي رحمه الله في مقدمة كتابه "تحفة الترك" مبيناً سبب تأليفه: "ورأيت الواجب في هذا الزمان بذل النصيحة له - أي للسلطان - بقدر الإمكان بتأليف كتاب يشتمل على فصول تجتمع فيها أنواع مصالح الملك... ولم أقصد بذلك سوى القيام بهذا الواجب" (٥)، وهو السبب المستفاد من مضامين كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك" لابن الأزرق رحمه الله حيث يقول: "نصح الإمام، ولزوم طاعته، فرض واجب، وأمر لازم، لا يتم الإيمان إلا به، ولا يثبت الإسلام إلا عليه" (٦).

(١) سورة آل عمران، الآية (١٨٧).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٥٩).

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم برقم [٣٦٥٨] (٣/٣٢١)، وابن ماجه في سننه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من سئل عن علم فكتمه برقم [٢٦٤] (١/٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٥٢٧).

(٤) نصيحة الملوك للمهاوردي (ص ٣٣).

(٥) تحفة الترك للطرسوسي (ص ٦٧ - ٦٨).

(٦) بدائع السلك لابن الأزرق (ص ٢٥٥).

لقد تأوّل العلماء وجوب نصح أئمة المسلمين في دوافع تأليف مصنفاتهم، فجاءت واضحة البيان، لطيفة العرض، داعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

### الدافع الرابع: محبة أئمة المسلمين والإشفاق عليهم:

الأصل أن تكون الرابطة بين أئمة المسلمين وبين رعاياهم قائمة على الود والمحبة والإشفاق، فعن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل يا رسول الله، أفلا ننازدهم بالسيف؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة))<sup>(١)</sup>، قال القرطبي رحمه الله في شرح هذا الحديث: "أي تدعون لهم في المعونة على القيام بالحق والعدل، ويدعون لكم في الهداية والإرشاد وإعانتكم على الخير، وكل فريق يجب الآخر، لما بينهم من المواصلة، والتراحم، والشفقة، والقيام بالحقوق، كما كان ذلك في زمن الخلفاء الأربعة، وفي زمن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، ونقيض ذلك في الشرار؛ لترك كل فريق منهما القيام بما يجب عليه من الحقوق للآخر؛ ولاتباع الأهواء، والجور، والبخل، والإساءة، فينشأ عن ذلك التباغض، والتلاعن، وسائر المفاسد"<sup>(٢)</sup>.

ولابد أن يظهر في لسان الناصح وقلمه أثر الرحمة والإشفاق على المنصوح، وأن تكون تلك الرحمة حقيقية غير متكلفة، وبذا بعث الأنبياء وتخلّقوا، وتكلموا به وأظهروا، قال الله على لسان نوح عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾<sup>(٤)</sup>، وقال الله لنبيه ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَكُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب خيار الأئمة وشرارهم برقم [١٨٥٥] (٣/١٤٨٢).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٤/٦٥).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٥٩).

(٤) سورة مريم، الآية (٤٥).

وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ﴿١﴾، وأخبر عن غاية رسالته ﷺ فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ قال الإمام الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليهم من خلقي" ﴿٣﴾.

ومتى غاب الحب من قلب الناصح للمسلمين، وعُدمت الرحمة منه، وانتفى الإشفاق على المدعو، لم يتم للنصيحة أمرها؛ لأن الرحمة تهدي إلى كريم القول، وتدلل على الرفق في الوسيلة والأسلوب، كما قال ﷺ: ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ ﴾، كما أنها تورث في قلب المنصوح إجلالاً وحباً وتقديراً لباذنها، وقد نص العلماء على استحباب لزوم الحب والإشفاق حال المناصحة، قال ابن داود الصالحي رحمه الله: "ومما يستحب للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، القائم في حدود الله... أن يكون قصده رحمة الخلق كلهم، والشفقة عليهم... " ﴿٤﴾، وأن يبين أثر هذه المحبة والشفقة في أسلوب النصيحة وعرضها، يقول ابن النحاس رحمه الله: "ويدرج الكلام معه تدريجياً، بشفقة ولطف من غير تعنيف، ولا غضب وازدراء، ولكن ينظر إليه بعين الرحمة" ﴿٥﴾.

لقد كان الحب والإشفاق ظاهراً في دوافع تأليف مصنفي كتب المناصحة: مرة بصريح العبارة في مقدمات الكتب، ومرة بمفهومها في إحياءات السياق، ولطف المضامين، والاجتهاد في موازنة المصالح، واستعمال أسلوب التعريض، والإشارة، والترميز، وطبيعة العلاقة بين الناصح والمنصوح، يقول الماوردي رحمه الله في مقدمة كتابه "نصيحة الملوك": "فكتبنا كتابنا هذا

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٣) تفسير الطبري (١٨ / ٥٥١).

(٤) الكنز الأكبر لابن داود الصالحي (١ / ٤١٥).

(٥) تنبيه الغافلين لابن النحاس (ص ٥٠).

نصيحة للملوك، وإظهاراً لمحبتهم، وإشفاقاً لهم على أنفسهم ورعاياهم"<sup>(١)</sup>، وإمعاناً في إظهار المحبة للإمام فقد زاد نظام الملك الطوسي رحمته الله في أبواب كتابه "سير الملوك" أحد عشر فصلاً، لما كان يجد في صدره من بغض لمخالفى الدولة في زمانه، يقول محمد المغربي رحمته الله: "في البدء ألف نظام الملك - نور الله قبره - هذا الكتاب بديهة من تسعة وثلاثين فصلاً مختصراً، وقدمه، غير أنه أعاد فيه بعد ذلك، فأضاف إليه - لما كان يعتمل في صدره من ضغن على مخالفى هذه الدولة - أحد عشر فصلاً، وزاد على كل فصل ما يليق به، ثم أعطانيه بعد خروجه للسفر، لكنني لم أجرؤ على إظهاره للناس، للحادث الذي وقع له - أي: نظام الملك - على طريق بغداد، وخروج الباطنية وإحاقهم الأذى بالناس، إلا في الوقت الذي قويت فيه شوكة العدل والإنصاف، والإسلام"<sup>(٢)</sup>.

إن دلالة الحال لدى مؤلفى كتب مناصحة أئمة المسلمين تفيد تلبس مناصحتهم بالمحبة والشفقة؛ وذلك أن غالب من كتبوا فيها هم من أصحاب الولايات والوظائف السلطانية، فبعد الحميد الكاتب<sup>(٣)</sup> وابن المقفع<sup>(٤)</sup> وابن رضوان المالقي رحمته الله<sup>(٥)</sup> كانوا كتاب الخلفاء، كما ولي الماوردي رحمته الله القضاء فكان أفضى قضاة عصره أو قاضي القضاة<sup>(٦)</sup>، وتولى ابن

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥).

(٢) سير الملوك للطوسي (ص ٤٨).

(٣) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٢٨/٣).

(٤) انظر: لسان الميزان لابن حجر (٣٦٧/٣).

(٥) انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تأليف: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبي العباس (ص ٢٢١)، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبدالله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة الثانية ٢٠٠٠ م.

(٦) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٨٢/٣)، وانظر: لسان الميزان لابن حجر (١٧٢/٢).

حمدون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>، وابن الخطيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>، ونظام الملك الطوسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(٣)</sup>، منصب الوزارة في زمانهم، وهذه حقيقة تمتاز بها كتب المناصحة فمعظمها صدر عن كُتَّاب ومؤلفين مقربين من الحكام، وأصحاب ولاية وعمل لدى الدولة، وقليل هي نصوص كتب المناصحة التي صدرت عن كتاب خارج هذا النطاق<sup>(٤)</sup>، وحتى هؤلاء لم يخرجوا عن هذا الوصف، فقد امتازوا بصدق الولاء، وسلامة المنهج فيما يتعلق بأبواب الإمامة، من أمثال: الغزالي، وابن الجوزي، وابن تيمية، وغيرهم.

ومما يدل على حضور دافع المحبة والشفقة في تلك المصنفات، ظهور ما يسمى بنصيحة الملك لولي عهده من ولده، والتي تمثلت في "رسالة في نصيحة ولي العهد" لعبد الحميد الكاتب، وكتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" للملك أبي حمو الزياني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والذي صدره بقوله: "أما بعد: فإنه لما كانت الأولاد قطع الأكباد، وعماد الظهور، وشفاء الصدور، وثمار القلوب، وجلاء الكروب، وأفضل بغية وأجمل مطلوب، وأخلص محب وأحسن محبوب، ودرة كل زين، وقررة كل عين، ووصلة للأنسب، وسلسلة التناسل والاعتقاب، وورثة الآباء... وجب أن تكون لهم الآباء مثل السماء الظليلة، والشمس المنيرة والسحب المنيلة، يتحفونهم بكل أدب وفضيلة، ويمنحونهم كل فائدة جلييلة، وخير الآباء للأبناء من لم تدعهم المودة للتفريط في الحقوق..."<sup>(٥)</sup>، وقد استخدم معه أسلوب التحنن، حيث يصدر الجمل والأبواب، والفصول، والأقسام، والقوائم، بأسلوب النداء "يا بني"، مثل قوله: "يا بني البس ثياب العفة..."<sup>(٦)</sup>،

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٣٨٠)، وانظر: معجم المؤلفين لكحالة (٩/ ٢١٧).

(٢) انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي (ص ٤٤٥).

(٣) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ١٢٨).

(٤) انظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيدى (ص ٤)، وانظر: السلطة والسياسة لعز الدين العلام (٢٩).

(٥) واسطة السلوك لأبي حمو الزياني (ص ٧٩ - ٨٠).

(٦) المصدر السابق (ص ٨٥).

وقوله: "يا بني ولا تنس ذكر الله في شرك ولا في جهرك..."<sup>(١)</sup>، وهذا من أول الكتاب إلى آخره، يحاكي بذلك وصايا لقمان لابنه وهو يعظه، وفي آصرة الأبوة والبنوة ما يغني عن إثبات دافع الحب والإشفاق.

### الدافع الخامس: إعزاز أئمة المسلمين ومناصرتهم:

إظهار ملوك أهل الإسلام وإعزازهم ومناصرتهم على ما يقومون به، من إعلاء كلمة الله، والشد من أزرهم في القيام بحكم الله، من أعظم القرب، وأجل الطاعات، وهي من واجبات الإمام على الناس عامة، وعلى علماء الشريعة خاصة؛ لأن في مناصرة الإمام المسلم وإعزازه؛ نصره للدين، ومعاونة على البر والتقوى، يقول أبو الخير التبريزي رحمته الله: "وحيث ختم الله النبوة والرسالة بخاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم؛ استخلف في أمته الأبرار الراشدين، والولاية المهتدين ليقوموا بنصرة الدين؛ وليعدلوا بين الخلق أجمعين، ويحملوهم على الصراط المستقيم؛ فإنه بالعدل يحسن الزمان، وتخصب البلاد، وتأمين السبل، ويطيب العيش، وتتنظم أسباب الحياة"<sup>(٢)</sup>.

وتأييد الأمير وإعزازه مقصود شرعاً، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خمس من فعل واحدة منها كان ضامناً على الله عز وجل: من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازياً، أو دخل على إمامه يريد تعزيره<sup>(٣)</sup>، وتوقيره<sup>(٤)</sup>، أو قعد في بيته فسلم الناس منه،

(١) واسطة السلوك لأبي حمو الزياتي (ص ٨٨).

(٢) النصيحة للراعي والرعية للتبريزي (ص ٢٦).

(٣) التعزير: النصر مع التعظيم. انظر: المفردات للراغب الأصفهاني (ص ٤٦٥)، وانظر: الصحاح للجوهري، مادة (عزر) (٢/٧٤٤).

(٤) هو التبجيل والتعظيم. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (وقر) (٥/٢٩١).

وسلم من الناس))<sup>(١)</sup> والشاهد من الحديث هو قوله ﷺ: ((أو دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره))، وقد دلت جملة الحديث هذه "على أن الدخول على الإمام بقصد نصرته، وتعظيمه، وتبجيله من خصال البر، يؤجر عليها المسلم، ويمتدح بفعلها"<sup>(٢)</sup>.

وقد كان العلماء يظهرون إجلال ملوك الإسلام، ويبينون توقييرهم وإكرامهم، ولما عوتب أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على تقبيل يد السلطان، قال: "أرأيتم لو قبلت يد والدي، أكان خطأً أو واقعاً موقعه؟ قالوا: بلى، قال: فالأب يربي ولده تربية خاصة، والسلطان يربي العالم تربية عامة، فهو بالإكرام أولى"<sup>(٣)</sup>، كما أن دخول هؤلاء العلماء على الملوك والسلاطين كان بهدف التقرب إلى الله بمناصرتهم وتأبيدهم بالحق، قال ابن مفلح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "وأما السلطان العادل فالدخول عليه ومساعدته على عدله من أجل القرب"<sup>(٤)</sup>.

وإجلال الملوك وتوقييرهم حاصل باللقاء أو بالكتاب؛ ولهذا فإن "فإن السواد الأعظم من المتقدمين والمتأخرين، والصحابة والتابعين، خالطوا الملوك أو كاتبوهم"<sup>(٥)</sup>، وقد كان حال

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم [٢٢٠٩٣] [٣٦/٤١٢]، وابن أبي عاصم في السنة، باب في ذكر فضل تعزير الأمير وتوقييره برقم [١٠٢١] [٢/٤٩٠]، والطبراني في المعجم الكبير (٣٧/٢٠)، وأبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخراساني المعروف بابن زنجويه في الأموال، باب ما يستحب من توقيير أئمة العدل وتعزيرهم برقم [٤٩] [٨٥/١]، تحقيق: د. شاكر ذيب فياض، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٤٧/٧).

(٢) قطع المراء في حكم الدخول على الأمراء، تأليف: عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم (ص ١٠)، د. ن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٣) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (٣/١١٢٣).

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/٤٧٨).

(٥) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تأليف: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي، أبي عبدالله، عز الدين، من آل الوزير (٨/٢٠٦)، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق

التأييد والتوقير والمناصرة منهم ظاهراً في الكتاب، كما هو الواقع في خطاب اللقاء وفعله، إن لم يكن خيراً منه وأشدّ تثبيتاً.

إن معنى التأييد والمناصرة، والإجلال والتوقير، في كتب مناصحة أئمة المسلمين من المعاني الكبرى المصاحبة لكل مصنف، من دفته إلى دفته، ومن مبدأه إلى منتهاه، وهو الدافع المشترك عند جميعهم، ولو طووا معناه في مضامين أخر تفيده وتؤديه عنه، ويوضح الباحث صور هذا الدافع والباعث من خلال الآتي:

#### أولاً: بيان أهمية السلطان وعظم مكانه:

يلفت مؤلفو كتب مناصحة أئمة المسلمين نظر القارئ إلى جلاله مكانة المُلْك عامة، وإلى عظم منزلة السلطان المقصود بخطاب الكتاب.

ففي مكانة الملك والخلافة تتحدث تلك الكتب عن أهمية وجود السلطان، وجسامة وظيفته وعمله، وموجب إجلال هذه المنزلة وتوقيرها وطاعة أهلها، لما في ذلك من طاعة الله ورسوله ﷺ، وسعادة العيش، وعلى سبيل المثال يخصص الماوردي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ "نصائح الملوك" باباً كاملاً في "فضائل الملوك في علو مراتبهم وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من اجتناب الفضائل واجتناب الرذائل"<sup>(١)</sup>، ومما أورد فيه: "ثم فضل الله - جل ذكره - الملوك على طبقات البشر، تفضيل البشر على سائر أنواع الخلق وأجناسه، لجهات كثيرة، ودلائل موجودة، وشواهد في العقل والسمع جميعاً حاضرة معلومة، منها أن الله - جل وعز - أكرمهم بالصفة التي وصف بها نفسه، فسماهم ملوكاً، وسمى نفسه ملكاً، فقال: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup>... فليس أحد في

عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة

١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٥٣).

(٢) سورة الفاتحة، الآية (٤).

حكم هذا اللفظ أولى بالفضل، ولا أجزل قسماً، ولا أرفع درجة من الملوك، إذ كان البشر مسخرين لهم وممتنين لخدمتهم، ومتصرفين في أمرهم ونهيمهم<sup>(١)</sup>.

ويقاربه الغزالي رحمته الله في التبر المسبوك فيقول: "اعلم وتيقن أن الله - عز وجل - اختار من بني آدم طائفتين: وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام... واختار الملوك لحفظ العباد من اعتداء بعضهم على بعض، وملّكهم أزمة الإبرام والنقض، فربط بهم مصالح خلقه في معاشهم بحكمته، وأحلهم أشرف محل بقدرته"<sup>(٢)</sup>.

ويبيّن الطرطوشي رحمته الله في "سراج الملوك" على أنه إذا كان الإنسان أعز جواهر الدنيا فإن السلطان هو أنفس تلك الجواهر<sup>(٣)</sup>، ثم يردفه قائلاً: "فأخلق بشخص يعم نفعه العباد والبلاد، ويصلح بصلاحه الدنيا والآخرة، وأن يكون شرفه عند الله عظيماً، كما كان قدره في العقول جسيماً، ومقامه عند الله كريماً، كما كان نفعه في البلاد عميماً، وعلى قدر عموم المنفعة تشرف الأعمال، وعلى قدر النعمة تكون المنة"<sup>(٤)</sup>.

ويصدر الثعالبي رحمته الله كتابه "آداب الملوك" بالباب الأول، ويجعله "في الإفصاح عن علو شأن الملوك وشدة الحاجة إليهم، وما يلزم الناس من طاعتهم وإعظامهم وإجلالهم"<sup>(٥)</sup>.

وفي إعزاز السلطان المقصود بخطاب التصنيف، يستهل المؤلفون كتبهم بفخامة الخطاب، ويدبجونه ببلغ الثناء، الأمر الذي يترك في ذهن القارئ أن إعزاز الملك والإمام هو دافع التصنيف، وهذا ليس من حدس الظنون، بل إنه مقصودٌ يصرح به بعضهم، يقول الجاحظ في

(١) نصيحة الملوك للهاوردي (ص ٥٥ - ٥٦).

(٢) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٧١ - ١٧٢).

(٣) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٠٧).

(٤) المصدر السابق (ص ١٠٧ - ١٠٨).

(٥) آداب الملوك للثعالبي (ص ٣٣).

سبب تأليفه: "أما بعد: فإن الذي حدا على وضع كتابنا هذا معان: منها أن الله - عز وجل - لما خص الملوك بكرامته، وأكرمهم بسلطانه، ومكّن لهم في البلاد، وخوّلهم أمر العباد، أوجب على علمائهم تعظيمهم، وتوقيرهم، وتعزيرهم، وتقريرهم"<sup>(١)</sup>، ومن أمثلة فخامة استهلال بعضهم، تصدير الغزالي رَحِمَهُ اللهُ كتابه "التبر المسبوك" بقوله: "اعلم يا سلطان العالم، ملك الشرق والغرب، أن الله عليك نعماً ظاهرة..."<sup>(٢)</sup>، ويفخم الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ كلامه للسلطان عند خطابه فيقول: "ولما رأيت الأجل المأمون تاج الخلافة، عز الإسلام، فخر الأيام، نظام الدين، خالصة أمير المؤمنين، أبا عبدالله محمد الأمري، أدام الله لإعزاز الدين نصره، وأنفذ في العالمين بالحق أمره، وأوزع كافة الخلق شكره، وكفاهم محذوره وضره، قد تفضل الله تعالى به على المسلمين فبسط فيهم يده، ونشر في مصالح أحوالهم كلمته، وعرف الخاص والعام يمينه وبركته، وتقلد أمور الرعية، وسار فيهم على أحسن قضية، متحريراً للصواب، راغباً في الثواب، طالباً سبل العدل، ومناهج الإنصاف والفضل..."<sup>(٣)</sup>، وهذا أمر لا يستثنى منه حال مؤلف في كتابه، أو خطابه، أو وصفه.

### ثانياً: إظهار صدق الولاء:

من دوافع تأليف كتب مناصحة أئمة المسلمين التي تشدُّ ملك السلطان، وتؤازر الأئمة والحكام، إظهار صدق الولاء للدولة وحاكمها، وهذا أمر دفع المصنفين إلى تأليف تلك الكتب، كما تنص على ذلك مقدماتها أو تومئ إليه، يقول سبط ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: "والذي حداني على التقاط هذه الدرر، ونظمي لها في سلك طرزت به التواريخ والسير، خمسة مقاصد: ... الخامس:

(١) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٢).

(٢) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٣).

(٣) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٤).

إعلامي هذا المجلس السامي بموالياتي ومحبتي واتصال دعائي ومدحتي...<sup>(١)</sup>، ويظهر الماوردي رحمته الله صدق الولاء في صدق الطاعة والاستجابة، فيقول في سبب تأليف كتابه "درر السلوك": "وقد دعاني صدق الطاعة إلى إنشاء كتاب وجيز ضمنتها من جمل السياسة ما إن كان الملك قد حاز علم أضعافه بحسن بديهته وأصيل رأيه، فإني لن أعدم أن أكون قد أدت من لوازم الطاعة ما يحسن موقعه - إن شاء الله -..."<sup>(٢)</sup>.

وقد يستخدم بعض مؤلفي كتب مناصحة أئمة المسلمين ألفاظاً، أو يقارنون أحوالاً، تؤدي معنى الولاء، فمن ذلك ما تودده به الثعالبي رحمته الله في كتابه "تحفة الوزراء" إلى المقصود بالتصنيف، حيث استخدم كلمة "الخدمة" في دافع تأليفه، فيقول: "وبعد: فإني حين خدمت مولانا ملك الزمان، وفريد العصر والأوان، خوارزمشاه ثبت الله تعالى ملكه، وجعل الدنيا كلها ملكه بالكتاب المسمى بالملوكي، خطر لي أن أخدم وزيره الأعظم، ومشيره الأفخم، أبا عبدالله الحمدوني بهذا الكتاب في سياسية الوزراء..."<sup>(٣)</sup>، ومثله استخدام ابن أبي الربيع رحمته الله لكلمة "مملوك" في كتابه "سلوك الممالك"، يقول في صدر مقدمته: "فإن الذي بعث "المملوك" على تأليف هذا الكتاب أمران... فتأمل "المملوك" ما وجد من الكتب في هذا العلم تأملاً شافياً..."<sup>(٤)</sup>.

وقد يبرز بعضهم صدق ولائه في حسن وفائه، وإشهار شكره لإمامه ودولته، ويجعل ذلك سبباً في تصنيفه، يقول أسعد مماتي في كتاب "قوانين الدوانين": "أما بعد: فحكم من تعلق بخدمة هذه الدولة العالية الحالية، الطاهرة الظاهرة، الملكية الناصرية، السلطانية الصلاحية... أن يبذل

(١) المجلس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٧-٢٨).

(٢) درر السلوك في سياسة الملوك للماوردي (ص ٥٥).

(٣) تحفة الوزراء للثعالبي (ص ٣٨).

(٤) سلوك الممالك لابن أبي الربيع (ص ٣٥-٣٦).

جهده في خدمتها، وينفق ما عنده في شكر نعمتها، ويكمل فكره فيما قضى بتعمير أعمالها على الاستمرار، ويستخدم قريحته فيما عاد بتمييز أموالها ما تعاقب عنبر الليل وكافور النهار، ويؤثر في ذلك ما يؤثر في مثله، ويعرب به عما أعرب عن الحسنی بجميل فعله، فيكون قد خدمها في حال الحياة بمباشرة التثقيف، وبعد الوفاة بما نبه عليه من وجوه مصالحتها بالتأليف والتصنيف...<sup>(١)</sup>.

وفي صدق الولاء بإظهار الحمد والشكر للملك، يُصدّر أبو سالم القرشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كتابه "العقد الفريد للملك السعيد" بقوله: "وأنزلني من قلبه الشريف على بعد عهدي بمقامه الكريم ومزاره، منزلة فرضت علي ترتيل حمده بتلاوته وتكراره، فالإلهام الإلهي في نفسي أن من لم يقم بشكر المحسن إليه فإنه لكنود... فرأيت أني لا أقوم في هذا المقصد المطلوب، والمطلب المقصود، من شكر سبيل إحسان السابغ البرود<sup>(٢)</sup>، وحمد منهل إنعامه السائغ المورود إلا بتأليف كتاب تكون جواهر معرفته أزين لعارفه من حلي العقود...<sup>(٣)</sup>".

### ثالثاً: نشر محاسن الإمام وتخليد ذكره:

ومن مؤازرة الإمام وإعزازة، إعظام هيئته بنشر محاسنه المحمودة، وإبقاء ذكره؛ ليكون قدوة لللاحقين، كما كان إماماً للحاضرين، وهذا من عاجل بشرى المؤمن، ما دام أن الشاهد بالمحاسن، والكاتب للمحامد من العلماء الصالحين<sup>(٤)</sup>.

(١) قوانين الدوانين لأسعد مماتي (ص ٥٢-٥٣).

(٢) البرود: "كل ما بردت به شيئاً مثل برود العين ونحوه"، جمهرة اللغة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، مادة (برد) (١/٢٩٥)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار المعلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م

(٣) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٤).

(٤) انظر: جامع المسائل، المجموعة الخامسة، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية

وبدافع نشر محاسن السلطان كتب سبط ابن الجوزي رحمته الله مصنفه "الجليس الصالح"، وقال في مقدمته: "والذي حداني على التقاط هذه الدرر، ونظمي لها في سلك طرّزت به التواريخ والسير، خمسة مقاصد: الأول: إعلام الخلائق بحسن سيرته وصالح سريرته، وما رزقه الله من اليقظة والاهتمام ليشتد بذلك قلوب الأنام..."<sup>(١)</sup> ويشاركه ابن الحداد رحمته الله في "الجوهر النفيس في سياسة الرئيس" فيقول: "وكان الذي حداني على ذلك: ما انتشر في البلاد واشتهر بين العباد، من حسن سيرة المولى الأمير الكبير الأسعد الأجدد، العالم، العادل، الكامل، الزاهد، العابد، المجاهد، أخص الخواص العامل بالإخلاص، كهف الفقراء والمساكين، ملك الأمراء والمقدمين، خالصة أمير المؤمنين... ولما تم هذا الكتاب كالدر والعقيان في نحور الحسان، حملته خدمة مني لمحروس خزانته العامرة ونعمته الغامرة، ليزداد من حسن سيرته وجميل معدلته، وتلك نعمة أنعمها الله عليه؛ ليؤدي شكرها إليه..."<sup>(٢)</sup>.

ومن صدق هؤلاء العلماء في أمر المناصرة والتأييد، أنهم صدروا عن دافع تخليد الذكر، وإبقاء لسان الصدق في الآخرين، يقول ابن الجوزي رحمته الله وهو يعد البواعث والأسباب التي حملته على التأليف: "الثاني: أن يُجلّد ذكر محاسن هذا الملك ببقاء هذا المؤلف، فإن دعاء الداعي ينقطع بموته، وتصنيفه الفضائل يبقى على الأباد فتصانيف العالم هم أولاده المخلدون"<sup>(٣)</sup>.

ويجود بها حس أدب القلقشندي رحمته الله في "مآثر الإنافة" قائلاً: "وتغلو به قيمته، ويرتفع به ذكره؛ ليسير هذا التأليف بانتسابه إليه في الآفاق سير المثل، ويُجلّد بذكر مناقبه الشريفة ذكره على

(ص ٢٩٢)، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر

والتوزيع، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

(١) الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٧).

(٢) الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ٧٦ - ٧٧).

(٣) الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٧).

مر الدهور وتعاقب الدول...<sup>(١)</sup>.

وتديلاً على ما مضى فإن دافع مناصرة أئمة المسلمين وإعزازهم لم يقتصر على الألفاظ والمعاني المباشرة التي يصرح بها المؤلف أو يكاد، بل إنهم كانوا يرمون إلى شيء أبعد من ذلك، وهو إعظام وقع منزلة أئمة المسلمين في نفوس الرعية وكذا الأعداء؛ لأن تلك المصنفات ستكون نُقْلَةً بين أيدي القارئ والعامة، يقول الجاحظ في مقدمة كتابه "التاج" وهو يعدد أسباب تأليفه: "... ومنها: أن أكثر العامة وبعض الخاصة، لما كانت تجهل الأقسام التي تجب لملوكها عليها - وإن كانت متمسكة بجملة الطاعة - حصرنا أدائها في كتابنا هذا لنجعلها قدوة لها وإماماً لتأديتها، وأيضاً فإن لنا في ذلك أجرين: أما أحدها فلما نبهنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها... ومنها: أن سعادة العامة في تبجيل الملوك وطاعتها..."<sup>(٢)</sup>.

وما يجب قوله في هذا المقام: إن دافع التأييد والمناصرة والتوقير يأتي مباشراً بالنص عليه من قلم كاتبه، ويأتي بدلالة الحال، ومفهوم الخطاب، وتشكل صورته في ذهن القارئ من خلال جمع أفراد، مثل: الثناء، والشكر، وذكر المحاسن وتخليدها، وصدق الدعاء، وبذل الطاعة، والتواضع للأمير وهكذا.

### الدافع السادس: الحفاظ على الدولة:

إن لزوم جماعة المسلمين، وتألف المؤمنين، إحدى قواعد الدين الراسخة، ومبانيه الجسام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا))، قال النووي في معنى قوله ﷺ: ((ولا تفرقوا)): "فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتألف بعضهم ببعض؛ وهذه إحدى قواعد الإسلام"<sup>(٣)</sup>.

(١) مآثر الإنافة للقلقشندي (ص ٤).

(٢) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٢).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/١٢).

ومعلوم أن الجماعة التي أمر الله بها لا تكون إلا بدولة محفوظة الحرمه، منيعة الجانب، شديدة الركن، إذ بها ينعقد أمرها، ويقوم كيانها، وقد علم بالضرورة من دين الإسلام: أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة؛ ولذا وجب أمر إقامة الدولة لقيام الجماعة، ووجب حفظها لحفظ بقاء الجماعة؛ إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

إن ظهور دافع الحفاظ على الدولة في تأليف كتب المناصحة واضح الجلاء، وهو السبب الأبين لذلك الفن من التأليف، حتى أصبحت بعض القراءات المعاصرة لا تفهم غير ذلك، فهي ترى أن دافعها الكبير، وهدفها الأسمى يتمثل في تقوية السلطة ودوام الملك فحسب<sup>(١)</sup>، غير أن هذه القراءات جانبت الصواب في فهم غاية هذا الدافع، والإحاطة بمقاصد هذا السبب الجليل<sup>(٢)</sup>.

ولا يستشكل علماء الشريعة، وفقهاء الإسلام، تسيب التأليف بدافع الحفاظ على الدولة، والسعي الناصح الدؤوب في دوام بقاء الحكم؛ لأنه في نفس الأمر حفظ للدين، وبه يقام على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فلا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة كما هو معلوم بالضرورة، يوضح ذلك بجلاء القلقشندي رحمته الله في مقدمة كتابه "مآثر الإنافة في معالم الخلافة" فيقول: "وبعد: فلما كانت الخلافة هي حظيرة الإسلام ومحيط دائرته، ومربع رعاياه، ومرتع سائمته، بها يحفظ الدين ويحمى، وتصان بيضة الإسلام، وتسكن الدهماء، وتقام الحدود فتمنع المحارم عن الانتهاك، وتحفظ الفروج فتصان الأنساب عن الاختلاط والاشتباك، وتحصن الثغور فلا تطرق، ويذاد عن الحرم فلا تقرع جنة جماها ولا ترشق، لا سيما الخلافة العباسية التي هي واسطة عقدها... أحببت أن أخدم خزانته العالوية - يعني: الخليفة العباسي

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١٤).

(٢) تفسر تلك الدراسات دافع المؤلفين في المحافظة على الحكم: أنه تشريع للاستبداد، ويأتي هذا التفسير من جهلهم بمنهج السلف - رحمهم الله - في باب الإمامة، وعدم فهمهم لمراد الله في نصوص الوحيين، وهو ما يؤكد على الدارسين ضرورة الاهتمام بتلك المصنفات، تحقيقاً، ودراسة، وتحليلاً.

المعتضد بالله أبا الفتح - بتأليف في معالم الخلافة، يشتمل على دقائق حقائقها، ويتكفل بذكر لوازمها المستظرفة ولو احقها..<sup>(١)</sup>.

ولم يبق محل للنقاش حيال حضور باعث المحافظة على بقاء الدولة والملك في تأليف كتب مناصحة أئمة المسلمين، "فهذه الكتابة تقوم على تقديم مجموعة من النصائح الأخلاقية السياسة، والقواعد السلوكية للملوك، والأمراء، وأولياء العهد؛ لينجحوا في ممارسة سلطتهم السياسية، وتقوية ركائز دولتهم"<sup>(٢)</sup>، وهذا أمر مأخوذ من أقلام المؤلفين أنفسهم، يقول الطرسوسي رحمته الله في مستهل كتابه "تحفة الترك": "ورأيت الواجب في هذا الزمان بذل النصيحة له بقدر الإمكان، بتأليف كتاب يشتمل على فصول تجتمع فيها أنواع مصالح الملك... وبيان طرق يدوم لهم بها الملك بحسن السلوك، ولم أقصد بذلك سوى القيام بهذا الواجب، وحفظ نظام الملك.."<sup>(٣)</sup>، وهو من حقوق الملوك على علمائها كما يقر بذلك مؤلفوها، قال الجاحظ في سبب تأليفه: "وأما الآخر: فلما يجب من حق الملوك علينا من تقويم كل مائل عنها، ورد كل نافر إليها..."<sup>(٤)</sup>.

لقد أخذت كتب مناصحة أئمة المسلمين صوراً متنوعة، وأساليب متعددة في معالجة المسائل التي تحقق للدولة بقاءها ونمائها، وهو ما يؤكد حضور هذا الدافع حضوراً غالباً فيها، حتى أصبح فهم هذه المؤلفات، وتحليل مضامينها، وتفسير مراميها ومقصودها، متوقفاً على الإحاطة بالدوافع والأسباب والبواعث التي فرضتها الظرفية التاريخية وقت التأليف<sup>(٥)</sup>، فمن تلك الموجبات والدوافع والأسباب على سبيل المثال:

(١) مآثر الإنافة للقلقشندي (ص ٣-٤).

(٢) النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٤).

(٣) تحفة الترك للطرسوسي (ص ٦٧ - ٦٨).

(٤) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٢).

(٥) انظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ٨٢).

١- رسم الخطط، ووضع الأنظمة، التي ترفع مستوى إدارة الدولة، وتقيها مشكلات سوء التدبير؛ "لذلك كان هناك تقليد شبه دائم أن يقدم الكتاب إلى حاكم، أو يؤلف بناء على رغبته في إيجاد خطة عملية علمية لتنظيم مملكته أو دولته"<sup>(١)</sup>، ومن أمثلة ذلك ما ذكره نظام الملك الطوسي رحمته الله في باعث تأليفه حيث يقول: "لما صدر الأمر الملكي العلي من لدن معز الدنيا والدين أبي الفتح ملكشاه... بأن: ليقبل كل منكم صفحات فكره ويتأمل: أيوجد ثمة شيء غير محمود على عهدنا، أو أنه جرى على غير شرطه، أو غام عن أعيننا وخفي علينا تنفيذه، سواء في البلاط، أم الديوان، أم القصر، أم المجلس؟ هل من أمر سار فيه الملوك قبلنا سيراً صحيحاً وفاتناً ذلك؟ أمعنوا النظر في كل شيء من أنظمة الملك وقواعده، وعادات الملوك في عهد ملوك السلاجقة السالفين، تأملوها جيداً وقيدوها بجلاء، ثم اعرضوها علينا كيما ننظر فيها، ونأمر بأن تتطبق الأمور الدينية والدينية بعد هذا وفق أصولها وقواعدها، ونعرف ما يمكن تلافيه، ونجري كل أمر على شرطه وقاعدته، ونقضي بتنفيذ أوامر الله تعالى وتطبيقها، ونتلافى ما نستطيع كل ما مضى من عمل سيء..."<sup>(٢)</sup>، وتقديم هذه النصائح تأتي من أجل إصلاح قصور حاصل، كما أنها تُقدم لتحسين مستوى أداء الدولة في مرافقتها وأعمالها، ف"العالم المتأمل في أحوال الحكم، كان يسعى إلى إصلاح ما فسد، أو ما يرى أنه متجه نحو الفساد، فالنصيحة تنطلق من الرغبة في الإصلاح وإزالة الفساد، وحسن تدبير الأمور، بل وفي كثير الأحيان كان الحاكم هو الذي يطلب النصيحة ليسترشد بها، ويستفيد منها"<sup>(٣)</sup>، كما هو الحال في كتاب "سير الملوك" وغيره.

٢- معالجة الأزمات التي تحل بالدولة، وتقديم الحلول التي تساعد الدولة في الخروج منها،

(١) في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ٨٢).

(٢) سير الملوك للطوسي (ص ٤٧).

(٣) أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٣).

"فالنصح في وقت الأزمة قد يتقدم بالنصح للحاكم لما يعلم في نفسه من إمكانية طرح بعض الحلول التي قد تفيد في إنهاء الأزمة والتخلص منها، فالأزمات بيئة خصبة للنصح، وقد تظهر العديد من الحلول والمقترحات الجيدة، في ظل تأزم الموقف"<sup>(١)</sup>، فابن رضوان المالقي رحمته الله - على سبيل المثال - قدّم للملك الشاب أبي سالم إبراهيم ابن أبي الحسن خالص النصيحة، ونافع التجارب، وخلاصة المعارف، وسديد الآراء؛ لمجاهة الأحداث، ومصارعة الخصوم، وأداء المهام العسكرية<sup>(٢)</sup>، كما ألف تقي الدين أبو العباس أحمد المقرئ رحمته الله كتابه "إغاثة الأمة بكشف الغمة"؛ لتقديم الحلول الاقتصادية في رفع المجاعة التي حلت بمصر في أوائل القرن التاسع الهجري<sup>(٣)</sup>، وبمثله صنف الأسدي رحمته الله كتابه "التيسير والاعتبار"، والذي وصف فيه الحالة التي عاشتها مصر آنذاك ذاكراً أنه: "قد وقع الوباء، ونقص الأنفس بالطاعون، ثم أعقب ذلك الغلاء والجوع، ونقص في الثمرات"<sup>(٤)</sup>، وقدم في مصنفه دراسة وافية، وعلاجاً كافياً لرفع تلك الجائحة.

٣- الاجتهاد في إيجاد حلول لمستجدات الحياة السياسية، حيث عدت بعض المؤلفات محاولة للتعايش مع جديد السياسة، يثبت ذلك كتابات الماوردي رحمته الله في "نصيحة الملوك"

(١) أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ١٩٥).

(٢) انظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (عرض وتحليل)، إعداد: عبدالقادر زمامة (ص ١١٢)، بحث منشور في مجلة عالم الكتب، المجلد السادس، الناشر: دار ثقيف للنشر والتأليف، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد الأول رجب ١٤٠٥ هـ.

(٣) انظر: مقدمة تحقيق د. كرم حلمي فرحات على إغاثة الأمة بكشف الغمة، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئ (ص ٥٤)، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م.

(٤) التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار للأسدي (ص ١١٤).

و"التحفة الملوكية" وغيرها<sup>(١)</sup>، وهذا أمر يحفظ للدولة شبابها، ويصون جدتها وبقاءها، فدوام استمرارها يكون - إن شاء الله - مع الشريعة بإدامة الفكر في استحداث جديد النظم، يقول ابن ممتي: "فحكّم من تعلق بخدمة هذه الدولة العالية الحالية... أن يبذل جهده في خدمتها... ويكمل فكره فيما قضى بتعمير أعمالها على الاستمرار، ويستخدم قريحته فيما عاد بتميز أموالها ما تعاقب عنبر الليل وكافور النهار..."<sup>(٢)</sup>.

٤- مجابهة الاضطرابات السياسية، والقلاقل والفتن المتعلقة بأمر جماعة المسلمين، فحيث تحل الفتنة، تقوم مسؤولية العالم الناصح تجاه أمته وإمامه، برد النافرين إليها، وكسر شوكة المعاندين لها، ومن الملاحظ أن أبرز مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين ظهرت في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وهما القرنان اللذان شهدا بوجه أخص حلقات متصلة من الهزات، والاضطرابات، والفتن داخل العالم الإسلامي وخارجه. وما دام أن الإمامة هي موضوع كتب المناصحة الرئيس، فلا غرو أن يكون باعث الحفاظ على الحكم، والسعي في استدامة بقاء الدولة، من أظهر الأسباب والدواعي عند جميع المؤلفين؛ وذلك يربط المنصوح بالأسباب الشرعية التي جعلها الله سبباً للتمكين في الأرض. ويعد الباحث ما ذكر من الأسباب العامة هو الغالب بين تلك الأسباب وأظهرها في جميع المصنفات، وتتناول الدراسة بعدها الأسباب الخاصة للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين.

(١) انظر: السلطة والسياسة في الأدب السلطاني لعز الدين العلام (ص ٢٤٧)، وأدب النصيحة في الفكر السياسي

الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩١).

(٢) قوانين الدواوين للأسعد بن ممتي (ص ٥٢).

## المطلب الثاني

### الأسباب الخاصة للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين

تتفرد بعض مصنفات مناصحة أئمة المسلمين بأسباب وبواعث دعت مؤلفيها إلى تصنيف كتبهم، وهذه الدوافع والأسباب ليست حاضرة في جميعها، وإلا لم تكتسب معنى الاختصاص، كما أن حضور تلك الأسباب لا يأتي على درجة واحدة، فمنها ما قد يشيع بين المصنفين حتى يقارب العموم، ومنها دون ذلك، وبعضها لا تسمح خصوصيته بالحضور في كل مصنف؛ لتعلقه بوصف المصنف، أو ظرفه المكاني أو الزماني.

وتعني الدراسة بالأسباب الخاصة للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين: كل باعث ودافع حمل المؤلف على تصنيف كتابه في مناصحة الحاكم، أو من ينوب عنه، في ولايته من وزراء، وقضاة وغيرهم، مما لا توجه الضرورة، أو الحاجة العامة في كل زمان ومكان.

وبيان تلك الأسباب من خلال الآتي:

#### الدافع الأول: تكليف الحاكم للعلماء بالتصنيف في مناصحته:

إن من حق المسلم على المسلم بذل النصيحة له حال طلبها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((حق المسلم على المسلم ست، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه))، والشاهد من هذا الحديث قوله ﷺ: ((وإذا استنصحك فانصح له))، والمعنى: إذا طلب منك النصيحة فعليك أن تنصحه ولا تداهنه في ذلك، ولا تغشه، ولا تتأخر عنه في بذل النصيحة<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن أولى الناس بهذا هم أئمة المسلمين؛ لأن كل حق وأدب وخير للمنصوح من

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٣/١٤).

المسلمين، فالأئمة والأمراء بذلك أولى وأحق<sup>(١)</sup>، فنصحهم "يأتي في الأهمية مسبقاً على نصح العامة، لأنهم أولى الناس بها لعظيم مكانتهم، وكبر حقهم، وقوة أثرهم في الرعية"<sup>(٢)</sup>.

ويتأكد حق الأئمة في النصيحة حال طلبهم لها؛ إذ لا يسع المأمور بها حينئذ أن يتأخر عن بذلها، والقيام بها على أتم الوجوه وأحسنها<sup>(٣)</sup>؛ لأن أمر الإمام بها يكسبها حكم الوجوب؛ لوجوب طاعة الحاكم في طاعة الله.

ولعظيم مكانة الإمامة، وعلو شأنها، وعموم نفعها، فقد تنوعت أغراض هذا الباعث، فأمر الناصح هنا متصل بمن تعلقت به مصالح الأمة مجتمعة، "لأنه زمام يقود إلى الحق، ويستقيم به أود الخلق"<sup>(٤)</sup>، وفي نصيحته نصيحة الكافة، وفي نصيحة الكافة هداية إلى مصالح العالم أجمع، ونظام أمر الكل برمته<sup>(٥)</sup>، ومن تلك الأغراض:

#### الغرض الأول: طلب النصيحة للمعرفة والعلم:

قد يندب الحاكم أحد العلماء، أو جميعهم إلى أن يكتب له شيئاً من العلم، فيكون غرضه من الاستنصاح هو طلب العلم والاستزادة منه، ومن ذلك ما قدّم به الموصلي رحمته الله كتابه "حسن السلوك" قائلاً: "فقد ندبني من وجب إجابة سؤاله، وتعينت تلبية مقاله لما له علي من الإحسان الوافر، والبر المتواتر، أن أكتب له من العلم ما يليق بحاله..."<sup>(٦)</sup>، ويعني بقوله: "ما يليق بحاله"، المسائل المتعلقة بأمور الحكم، فيما لا يسع الحاكم ترك العلم بها، كما يوضح ذلك

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١/ ٢٤٤).

(٢) المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين لعبدالله الطويل (ص ٢٥).

(٣) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٧/ ٤٦)، وانظر: حسن السلوك للموصلي (ص ٥٣).

(٤) تسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي (ص ٤).

(٥) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥).

(٦) حسن السلوك للموصلي (ص ٥٢).

الماوردي رحمته الله بقوله: "ولما كانت الأحكام السلطانية لولاية الأمور أحق، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها مع مشاغلهم بالسياسة والتدبير، أفردت لها كتاباً امتثلت فيه أمر من لزمت طاعته؛ ليعلم مذاهب الفقهاء"<sup>(١)</sup>.

### الغرض الثاني: طلب النصيحة لحسن التدبير وتقويم النظام:

قد يعرض ولي الأمر على العلماء شيئاً من الأمور المتعلقة بتدبير الحكم، ونظم السياسة، ثم يكلفهم بتقييمها وتطويرها، أو يطلب منهم أن يرسموا له طريقاً ومنهجاً؛ ليكون إماماً له في حكمه وولايته، ومن ذلك: طلب أمير المؤمنين أبي الفتح ملكشاه رحمته الله من علماء عصره أن ينظروا بعين الفاحص في أنظمة الدولة وسيرها السياسي، وكذلك في النظم السابقة للاستفادة منها، وفي هذا يقول نظام الملك الطوسي رحمته الله في مقدمة كتابه "سير الملوك": "لما صدر الأمر الملكي العالي من لدن معز الدنيا والدين أبي الفتح ملكشاه بن محمد يمين أمير المؤمنين، أعز الله أنصاره، وضاعف اقتداره، إليّ وإلى آخرين غيري عام ٤٧٩ هـ بأن: ليقبّل كل منكم صفحات فكره ويتأمل: أيوجد ثمة شيء غير محمود على عهدنا، أو أنه جرى على غير شرطه، أو غام من أعيننا وخفي علينا تنفيذه، سواء في البلاط، أم الديوان، أم القصر، أم المجلس؟ هل من أمر سار فيه الملوك قبلنا سيراً صحيحاً وفاتناً ذلك؟ أمعنوا النظر في كل شيء من أنظمة الملك وقواعده، وعادات الملوك في عهد ملوك السلاجقة السالفين، تأملوها جيداً، وقيدوها بجلاء، ثم اعرضوها علينا كيما ننظر فيها، ونأمر بأن تطبق الأمور الدينية والدنيوية بعد هذا وفق أصولها وقواعدها، ونعرف ما يمكن تلافيه، ونجري كل أمر على شرطه وقاعدته، ونقضي بتنفيذ أوامر الله تعالى وتطبيقها، ونتلافى - ما نستطيع - كل ما مضى من عمل سيء؛ لأن الله تعالى وهبنا الدنيا وملكها، وأسبغ علينا نعمه كاملة، وقهر أعداءنا، يجب ألا يظل أي شيء بعد الآن في مملكتنا

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٣).

ناقصاً أو متزلزلاً، أو أن الأمور تسير فيها بخلاف الشرع وأوامر الله تعالى<sup>(١)</sup>، وقد كان كتاب الوزير نظام الملك هذا، أساساً يعتمد على السلطان في تدبير مملكته، وسياسة رعيته<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك أيضاً أمر السلطان أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني رحمته الله أبا رضوان المالقي رحمته الله، بأن يرسم له منهجاً سياسياً يسير عليه، ويحكم بمقتضاه، فألف كتابه: "الشهب اللامعة في السياسة النافعة" وصدّره بقوله: "وإن مما اقتضته إرادته الصادرة من علوّ الهمم، والمقاصد الزاكية الشيم، أمره بتأليف مجموع في السياسة الملوكية، والسير السلطانية، ما يقع به الإمتاع، ويظهر الانتفاع، قصداً منه - أعلى الله أمره - لتخليد أثر يتبع دليله، وعلم يتضح سبيله، ولما اختصني بذلك، وحض عليه، وصرف عزمه الكريم إليه، بادرت أمره بواجب الامثال، وأخذت في المقصد المذكور بما رسم من الاستعجال...؛ ليكون في ذلك عوناً على تعلق الأحكام السياسية بالخواطر..."<sup>(٣)</sup>.

ويعدّ هذا الغرض هو الحافز المؤثر في استنصاح الحكام؛ لأنه يعني الاستشارة التي هي من الواجبات على الحاكم.

### الغرض الثالث: طلب النصيحة للعظة والذكرى:

أمر الله - سبحانه وتعالى - عباده بالتواصي على الخير والتذكير به، يقول رحمته الله: ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، و"الملوك أولى الناس بأن تهدي إليهم النصائح وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ"<sup>(٥)</sup>؛ لكثرة شغلهم وعظم حملهم، وقد كان الصالحون من الولاة والحكام يستنصحون

(١) سير الملوك للطوسي (ص ٤٧).

(٢) انظر: دوافع التأليف في كتب أدب الملوك لنوفل نوري (ص ٥٩).

(٣) الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٥٢).

(٤) سورة الذاريات، الآية (٥٥).

(٥) نصيحة الملك للماوردي (ص ٣٤).

العالم، ويطلبون التذكرة من الواعظ، وهذا أمر قد استقر في نهجهم وسيرهم، ومن ذلك أن عمر ابن عبدالعزيز رحمته الله كتب إلى الحسن البصري رحمته الله: "أن عظني وأوجز، فكتب إليه الحسن: أما بعد، فإن رأس ما هو مصلحك ومصلحك به على يدك الزهد في الدنيا، وإنما الزهد باليقين، واليقين بالتفكير، والتفكير بالاعتبار، فإذا أنت تفكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً أن تتبعها بنفسك، ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا، فإنما الدنيا دار بلاء، ومنزل غفلة"<sup>(١)</sup>، وكتب التراجم، والسير، والتاريخ، والأدب، مليئة بمثل هذه الأخبار والأحوال.

وباعث الوعظ والتذكير هو الحاضر الرئيس في كتب المناصحة، يقول الماوردي رحمته الله في كتابه "نصيحة الملوك": "فالملوك أولى الناس بأن تهدي إليهم النصائح، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ..."<sup>(٢)</sup>، ويخاطب بها الوزير ابن المسلمة في كتابه "قوانين الوزارة وسياسة الملك" قائلاً: "فما يستغني الفطن بذكائه عن يقظة منبه، ولا يكتفي اللبيب بحزمه عن عظة مذكر؛ لأن الهوى معترض يخذع بغرامه، ويحجب بغمامه..."<sup>(٣)</sup>.

وينص عليه ابن الجوزي رحمته الله في سبب تأليفه لكتاب "الشفاء" فيقول: "لما صنفت كتاباً في مواعظ العوام، آثرت أن أكتب كتاباً في مواعظ الملوك، فهم أحق الناس بوعظ الواعظين"<sup>(٤)</sup>.

#### الغرض الرابع: طلب النصيحة لتحري العدل:

قد يستنصح الحاكم بعض الأعوان في الوقوف على حال الرعية، والنظر في أمورهم، ومن ذلك طلب هارون الرشيد من القاضي أبي يوسف أن يضع كتاباً له في الخراج، يقول في

(١) الزهد، تأليف: أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ص ١٥٠)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٣).

(٣) قوانين الوزارة للماوردي (ص ١٣٩).

(٤) الشفاء لابن الجوزي (ص ٤٠).

مقدمته: "أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام له العز... إن أمير المؤمنين أيده الله تعالى سألني أن أضع له كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج، والعشور، والصدقات... وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به، وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته، والصلاح لأمرهم..."<sup>(١)</sup>، وهذا القصد يفهمه المكلف في التأليف من دلالة حال الطالب، فرفع الظلم، وإقامة العدل حاجة الأمراء في النصيحة، يقول الموصلي في الباعث على تأليف كتابه: "فقد ندبني من وجب إجابة سؤاله، وتعينت تلبية مقالته لما له علي من الإحسان الوافر... أن أكتب له من العلم ما يليق بحاله... فرأيت أن أكتب له ما ورد في فضل العدل والإحسان... وأقص في ضمن ذلك السياسة الشرعية، فيما فيه مصلحة الراعي والرعية..."<sup>(٢)</sup>.

ومن تأمل جواب المؤلفين لطلب الحكام للنصيحة، وسبر أوامر الأمراء، وجد أن أغراضهم لا تخرج عن هذه المقاصد الأربعة.

ويرى الباحث أنماط استنصاح الحكام والسلطين ونوابهم ينحصر في نمطين هما:

#### النمط الأول: طلب النصيحة من مجموعة معينة:

قد يصدر الحاكم أو السلطان أمراً إلى جهة ما، يطلب منهم فيها بذل النصيحة وإسداء المشورة، فمن ذلك أمر أمير المؤمنين أبي الفتح ملكشاه رحمته الله مجموعة من العلماء أن يقوموا بفحص الأنظمة ونقدها؛ ليكون فيها منهجاً تسير عليه الدولة وفي ذلك يقول نظام الملك الطوسي رحمته الله: "لما صدر الأمر الملكي العالي من لدنه معز الدنيا والدين أبي الفتح ملكشاه بن محمد يمين أمير المؤمنين... إليّ وإلى آخرين غيري عام ٤٧٩ هـ بأن: يقلب كل منكم صفحات

(١) الخراج، تأليف: أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حنيفة الأنصاري (ص ١٣)، تحقيق: طه

عبدالرؤوف سعد، سعد حسن محمد، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، د. ط، د. ت.

(٢) حسن السلوك للموصلي (ص ٥٢-٥٣).

فكره ويتأمل...<sup>(١)</sup>، وقد كان هذا الأمر العام سبباً في تأليف كتابه "سير الملوك".

النمط الثاني: طلب النصيحة من شخص بعينه:

وهذا النوع هو الغالب في دوافع التأليف المتعلقة بطلب الحكام، فالمؤلفون ينصون في مقدمات كتبهم على امثال الطاعة لأمر الأمير أو السلطان لهم في تصنيف الكتاب المعني، يقول ابن أبي الربيع رحمته الله في مقدمة "سلوك المالك": "وبعد، فإن الذي بعث المملوك على تأليف الكتاب أمران: ... والثاني: إن بعضاً من أوامره - أي الخليفة - مطاعة مجابة... أمره أن يمضي في ذلك الرأي في إنشاء الكتاب المقدم ذكره...<sup>(٢)</sup>، ويصرح بذلك الخرميتي رحمته الله أيضاً في كتابه "الدرة الغراء" فيقول: "أردت امثال أمر من أمره طاعة، وحقه لا يؤدي على ما يجب ولكن على قدر الاستطاعة، بأن أجمع لخزائنه الشريفة نسخة مشتملة بضبط قواعد السلاطين، والقضاة، والأمراء، والوزراء والولادة...<sup>(٣)</sup>، وهو الباعث الذي حمل أبا منصور الثعالبي رحمته الله<sup>(٤)</sup>، وأبا رضوان المالقي رحمته الله على تأليف كتبهم<sup>(٥)</sup>.

إن وجود هذا الدافع النبيل يرجع - غالباً - "إلى صلاح الحاكم من ناحية، وإلى محبة العلماء لولادة أمرهم من ناحية أخرى"<sup>(٦)</sup>؛ ولذا وجب على من كرمه الله بشريف الطلب، ووقفه إلى رفيع هذه الرتب، أن يحسن أداءها، وأن يفني بحققها؛ لتقوم بذلك الحجة على المراد الذي أراده الله عز وجل.

(١) سير الملوك للطوسي (ص ٤٧).

(٢) سلوك المالك لابن أبي الربيع (ص ٣٥ - ٣٦).

(٣) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٨٥ - ٨٦).

(٤) انظر: آداب الملوك للثعالبي (ص ٣١).

(٥) انظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٥٢).

(٦) المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين لعبدالله الطويل (ص ٢٥).

## الدافع الثاني: الإهداء إلى الحكام:

التصنيف من أجل الهدايا لحاكم، أو أمير، أو وزير، معهود ومألوف في عادة المؤلفين من المتقدمين والمتأخرين، وهذا راجع إلى علو مكانة العلم والعلماء، فالعلم خير صلة توصل، وأكرم هدية تبذل، وتختلف مآرب المهدين لمصنعاتهم، والناحليين لثمار علومهم، باختلاف أحوالهم وظروفهم، فقد يقدم المؤلف كتابه لإمامه "شكراً لأيديه عليه، أو حباً فيه وفي سيرته، أو طلباً لمنصب أو مال"<sup>(١)</sup>، أو غير ذلك.

وأكثر ما يكون الإهداء للملوك في "كتب الأدب، واللغة، والتاريخ، وبالأخص أخلاق الملوك والوزراء وآدابهم وسيرهم"<sup>(٢)</sup> - نصائح الملوك -؛ لأنها حاجة المهدى إليه، وبها يحصل الإمتاع والانتفاع، و"تتضمن جل مقدمات آداب الملوك الإسلامية عبارات ثناء وولاء، يهدي المؤلف من خلالها كتابه إلى رجل السلطة، وغالباً يكون الإهداء صريحاً اسمياً، وحتى لو انتفى التصريح المباشر باسم الحاكم المخاطب بالكتاب، فإن الإهداء ومن خلال صيغة المقدمة نفسها يظل في حقيقته معنى مستفاداً ولو غاب لفظاً"<sup>(٣)</sup>، وهذا يكشف وبجلاء قوة الأصره، وصدق المودة بين العلماء والأمراء في الإسلام، فالهدية سمة الحب، وجالبة الود، وسالبة السخائم، يقول القرطبي رحمته: "فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية، وفيه الأسوة الحسنة، وفضل الهدية - مع اتباع السنة - أنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهدي والمهدى إليه رنة في اللقاء والجلوس"<sup>(٤)</sup>.

يتصدّر لفظ "الإهداء" مقدمات بعض كتب مناصحة أئمة المسلمين، وقد صرح مؤلفو

(١) دوافع البحث والتأليف عند المسلمين لمحمد خير رمضان (ص ١٩).

(٢) المصدر السابق (ص ١٩).

(٣) النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٥٢-٥٣).

(٤) تفسير القرطبي (١٣/١٩٩).

تلك الكتب بهذا الدافع في عباراتهم: مرة بإفراده في سبب التأليف، ومرة بإشراكه مع بواعث أخرى حدث بهم على تسطير ذلك المؤلف، ومن خلال الاطلاع على مقدمات بعض مؤلفي كتاب المناصحة، فإن أسلوب إهداء المؤلفين للملوك والوزراء جاء على صورتين:

### الصورة الأولى: تقديم النصيحة في قالب الهدية:

يتجنب العلماء في تصنيفهم مباشرة الخطاب في الموعدة، ويلتزمون أدب معاملة الملوك، ومن ذلك عرضهم تلك النصائح في صورة الهدايا والنحل، احترازاً من مخاشنة القول، يقول الماوردي رحمته الله في سبب تأليفه لكتاب "نصيحة الملوك": "فالملوك أولى الناس بأن تهدي إليهم النصائح..."<sup>(١)</sup> فجعل النصيحة هدية للملوك، وهذا ادعى للقبول والاستجابة، ويُلين بها سبط ابن الجوزي رحمته الله كلامه في "الجليس الصالح" فيقول في بواعث تأليفه: "الرابع: إنه لما لم يكن عندي ما أهديه على مقدار ما أعتقد فيه وإن كان مستغنياً عنه، آثرت أن أهدي إليه موعدة..."<sup>(٢)</sup>، وهو المعنى المستخدم عند الوزير ابن الخطيب رحمته الله في كتاب "الإشارة إلى أدب الوزارة" حيث تودد بها في مستهل كتابه قائلاً: "وإني لما رأيت برك ديناً يجب علي قضاءه، ولا يجمل بي إلغاؤه، وتخيرت لك في الهدايا ما يملأ اليد، ويصاحب الأمد، وينجد العقب والولد، فلم أجد أجدى من هدية الحكمة... والوصاة التي تنفعك من حيث كنت وزيراً، والمواعظ التي تفيدك تنبيهاً من الغفلة وتذكيراً..."<sup>(٣)</sup>.

إن تقديم الموعدة في قالب الهدية، والتلطف بها في صورة الهبة عرفٌ معنويٌّ، وأدب بلاغي، يُزين به المؤلفون مقدماتهم، ويشاركون به في إسداء نصائحهم، يقول المرادي رحمته الله: "وإني وجدت أولى ما يتحف به الأحاب، وأجدى ما يتهداه الأجلء والأصحاب، آداباً

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٣).

(٢) الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٧).

(٣) الإشارة إلى أدب الوزارة لابن الخطيب (ص ٥٤).

منظومة تحكم، وآراء مسبوكة تفهم"<sup>(١)</sup>، وهو المعنى الذي استلهمه مصنفو كتب مناصحة الملوك في مصنفاتهم.

### الصورة الثانية: إهداء الكتاب إلى الملك أو خزانته:

يعد هذا الإهداء هو الأغلب في هذا الباعث، حيث يقوم المؤلف بتأليف الكتاب، ومن ثمّ رفعه إلى خزانة السلطان، يقول الشيزري رحمته الله في سبب تأليفه "المنهج السلوك": "جمعت لخزانة علومه هذا الكتاب، وهو يحتوي على ظرائف من الحكمة..."<sup>(٢)</sup>، وبذلك ينص القلقشندي رحمته الله في مقدمته بقوله: "أحببت أن أخدم خزانته - أي السلطان - العالية بتأليف معالم الخلافة يشمل على دقائق حقائقها..."<sup>(٣)</sup>، ويتودد الحسن العباسي رحمته الله إلى الملك في كتابه "آثار الأول" فيقول: "فرمت أن أقدم هدية لخزانته الشريفة، وتحفة أتقرب بها إلى مقام جلالته المنيفة، وتعذر أن يقدم إليه إلا بقايا إنعامه، ولا تسقى كل أرض إلا بصيب غمامه، فإن خزانته العالية مجمع الأخير والذخائر..."<sup>(٤)</sup>.

وقد يقدم العالم كتابه هدية إلى السلطان استجابة لأمره<sup>(٥)</sup>، كما فعل الخرميني مع السلطان في كتابه "الدرة الغراء" حيث قدم كتابه هدية لخزانة الملك الظاهر محمد جقمق استجابة لطلبه<sup>(٦)</sup>.

إن صياغة العلماء لكلامهم، وتنقلهم بين أفانين أساليب القول وبديع الكلام، يفيد - بما

(١) الإشارة إلى أدب الإمارة للمراي (ص ٥٤).

(٢) المنهج السلوك للشيزري (ص ١٥٨).

(٣) مآثر الإنافة للقلقشندي (٤/١).

(٤) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٤١-٤٢).

(٥) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٤٨)، وانظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٥٣).

(٦) انظر: الدرّة الغراء للخرميني (ص ٨٥ - ٨٦).

لا يدع مجالاً للشك - تلبس هؤلاء العلماء بالحكمة والرأي السديد، وعلمهم بمكانة الملوك والأئمة، الأمر الذي أثمر نجاحاً في الدعوة، وإصابة للمقاصد والأهداف.

### الدافع الثالث: الإمتاع والمؤانسة:

لم يكن المصنفون في نصائح الملوك ذوي خلفية واحدة، أو توجه محدد، وإنما كانوا من مشارب مختلفة، يجمع بينهم الكتابة أو المشاركة في مناصحة أئمة المسلمين، بغض النظر عن الدافع الذي دفعهم إلى ذلك وحدا بهم إليه<sup>(١)</sup>؛ وكلهم في حقيقة الأمر يمتلكون هدفاً معلناً، هو تذكرة الأمير أو الملك بالأسلوب الذي يتمكن به من الحفاظ على الحكم، والقيام بالعدل، وسياسة الرعية بالحسنى<sup>(٢)</sup>.

لقد كان هذا النوع من التصنيف - مناصحة الملوك - بالإضافة إلى آداب المسامرة والحكمة، وأيام العرب وأشعارها، محبوباً ومألوفاً عند الناس؛ ولذلك كثر التأليف فيه<sup>(٣)</sup>، والمتأمل في نشأة هذا النوع من التأليف وتطوره - باعتباره فناً مستقلاً - يدرك أن مرحلته الأولى تجسدت في موضوعات المنادمة، والحكايات والمأثورات التي تروى للسلطان، وهذا النمط الذي غلب على فترة ما قبل التدوين، واستمر حتى نهاية الدولة الأموية، وبداية الدولة العباسية، فبعض هذه المؤلفات كان يحرص على تحقيق المتعة للحاكم؛ لمؤانسته وإكرامه بتذكيره<sup>(٤)</sup>، يقول ابن قتيبة رحمته الله: "وهذه عيون الأخبار نظمها لمغفل التأدب تبصرة، ولأهل العلم تذكرة،

(١) انظر: الأدب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٤٨-٥٠).

(٢) انظر: الفكر السياسي الإسلامي لرضوان السيد (ص ٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٤).

(٤) انظر: السلطة والسياسة في الأدب السلطاني لعز الدين العلام (ص ٢٤٧)، وانظر: أدب النصيحة في الفكر

السياسي الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٩١).

ولسائس الناس ومسوسهم مؤدّبا، وللملوك مستراحاً من كدّ الجدّ والتعب"<sup>(١)</sup>.

ولم يزل هذ الشكل من التأليف حاضراً في كتب مناصحة أئمة المسلمين، وبقي بعض المشاركين فيه يحتفظون بهذا النوع الأدبي باعتباره أسلوباً من أساليب النصح، وقالباً تقدم فيه الحكمة والرأي السديد، حيث يتضمن التراث الإسلامي في مناصحة الملوك مجموعة من النصوص الرمزية والخيالية، مستعملة وسائط تنتمي إلى مجالات لا علاقة لها بالمجال السياسي، حيث ينشأ الخطاب الوعظي للسلطان في هذه النصوص بتوسط الخيال، واعتماداً على توظيف الحيوان؛ لمقاربة الظواهر وبحث علاقتها<sup>(٢)</sup>، يقول ابن الخطيب رحمته الله في مقدمة كتابه "الإشارة إلى أدب الوزارة": "وإني لما رأيتُ برك دينا يجب علي قضاؤه، ولا يجب بي إلغاؤه، وتخيرت لك في الهدايا ما يملأ اليد، ويصاحب الأمد، وينجد العقب والولد، فلم أجد أجدى من هدية الحكمة، التي من أوتيتها فقد أوتي خيراً كثيراً، ومن أهل لرتبتها السامية فقد أحل محلاً أثيراً، والوصاة التي تنفعك من حيث كنت وزيراً، والموعظة التي تفيد تنبيهاً من الغفلة وتذكيراً، فاخترت لك وضعاً غريباً، وغرضاً قريباً، أن لقيت به ما جمح من أخلاقك قولك وألانه، وأنهج لك الصواب وأبانه، جانحاً إلى الاختصار، عادلاً عن الإكثار، منسوباً إلى بعض الحيوان، على عادة الأول ممن صنف في السياسة من قبلي"<sup>(٣)</sup>، ويقصد بذلك ابن المقفع في كتابه "كليلة ودمنة"، الذي سرد نصيحته على لسان الحيوان.

وإن من أصيل القول في هذا المقام أن يشار إلى أمر مهم، وهو أن دافع المؤانسة في سرد القصص والحكايات، وباعث الإمتاع في نقل تجارب الأمم وأحوال السابقين، وذكر أيام العرب

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/٤٣).

(٢) انظر: تراث الإسلام للأن لامبتون (ص ٣٣-٣٨)، وانظر: الفكر السياسي الإسلامي، تأليف: مونتميري وات (ص ١٠٧ - ١١٠)، ترجمة: صبحي حديدي، الناشر: دار الحداثة، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٨١م؛ وانظر:

أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيدى (ص ١٥).

(٣) الإشارة إلى أدب الوزارة لابن الخطيب (ص ٥٤).

وأشعارها، لم يكن شيئاً مقصوداً لذاته في كتب المناصحة، فغياب الحكمة في القول، أمر تنتزه عنه العلماء، وتتجنبه حكمة الأدباء، وتأباه هيئة مجالس الملوك، فالإمتاع والمؤانسة إذاً في تلك المصنفات أمر مقصود لغيره، وهو تجنب مباشرة خطاب الملوك من وجه، وإدخال السرور في نقل المعارف والعلوم من وجه آخر، وهذا أمر مألوف في العلوم<sup>(١)</sup>.

وتنص تلك المصنفات في مقدماتها على نبل الغاية في التأليف، ورفيع المقاصد الكامنة في تضاعيف حرفها، يقول ابن المقفع في مقدمة كتابه "كليلة ودمنة": "وأما هو - أي الكتاب - فجمع لهواً وحكمةً، فاجتباها الحكماء لحكمتهم، والسخفاء للهو، وأما المتعلمون من الأحداث وغيرهم فنشطوا لعلمه، وخفّ عليهم حفظه"<sup>(٢)</sup>، وبمثله يقدم في "الأدب الصغير"، فيقول: "وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب وصقلها، وتجلية أبصارها، وإحياء للتفكير، وإقامة للتدبير، ودليلاً على محامد الأمور ومكارم الأخلاق"<sup>(٣)</sup>، ولما صنف ابن قتيبة كتابه "السلطان" وأدرجه في "عيون الأخبار" أبان عن غايته، ذاكراً أن هذا الكتاب "وإن لم يكن في القرآن والسنة، وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دال على معالي الأمور، مرشد لكريم الأخلاق، زاجر عن الدناءة، ناهٍ عن القبيح، باعث على صواب التدبير، وحسن التقدير، ورفق السياسة، وعمارة الأرض، وليس الطريق إلى الله واحداً، ولا كل

(١) لم يزل المصنفون يستخدمون أسلوب الترويح، وعنصر التشويق في العلوم من أجل جذب القارئ، وشحذ همته للعلم، وتنشيط فهمه، إلى غير ذلك من المقاصد فمن ذلك كتاب "طراز المحافل في ألغاز المسائل" لعبدالرحمن بن حسن الأسنوي (ت: ٧٧٢)، وكتاب "حلية الطراز في حل مسائل الألغاز" لأبي بكر بن زيد الجراعي (ت: ٣٨٣) وهما كتابا فقه، الأول: على المذهب الشافعي، والآخر على مذهب الحنابلة، استخدمتا فيه أسلوب الإمتاع باللغز؛ لترغيب القارئ، وطرده السامة عنه في العلم، ورفع حدة ذكائه وفهمه، والمقصود من هذين المثالين: التأكيد على وجود هذا الدافع عند المصنفين في علوم أخرى.

(٢) كليلة ودمنة لابن المقفع (ص ٤٥).

(٣) الأدب الصغير لابن المقفع (ص ٢٥).

الخير مجتمعاً في تهجد الليل، وسرد الصيام، وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة، وأبواب الخير واسعة، وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير"<sup>(١)</sup>.

ويبقى دافع المؤانسة والإمتاع مقصوراً على بعض المؤلفات التي ابتدأت التأليف في هذا المجال كما تقدم، وقد ورثت طريقتهم بعض مصنفات المناصحة في عصور متأخرة، مثل كتاب "الإشارة في أدب الوزارة" لابن الخطيب رحمته الله، وكتاب "الأسد والغواص" لمؤلف مجهول، وكتاب "سلوان المطاع" لابن ظفر الصقلي رحمته الله وكتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" لابن عربشاه، ولا يعني هذا الكلام خلو كتب المناصحة التي ارتسمت طريق الفقهاء من هذا الدافع، فقد نص بعض مصنفي هذا المنهج على دافع المؤانسة والإمتاع مع بواعث أخرى سطررها في مقدماتهم، فمن ذلك قول أبي منصور الثعالبي رحمته الله في "آداب الملوك": "ثم إن هذا الكتاب الذي خرج أمره العالي - زاده الله علواً - بتأليفه في السياسة التي هي آلة السلطان وأداته، بها نظام الملك وعليها مداره، قد جعلت له مقدمة وسياقة، وبنيت على أن يتضمن الغرر والنكت، واللّمع والعهد، مما يصلح للملوك وأصحابهم، وذكر ما لهم وعليهم"<sup>(٢)</sup>.

وهو أمر السلطان لابن رضوان المالقي رحمته الله في كتابه "الشهب اللامعة"، فإنه قد كلفه بتأليف مجموع في "السياسة الملوكية، والسير السلطانية،" ما يقع به الإمتاع، ويظهر الانتفاع"<sup>(٣)</sup>، وقد سبقهم إلى ذلك ابن حمدون رحمته الله في "تذكرته".

يستمد دافع المؤانسة والإمتاع أهميته، في كونه يشكل الدافع الأسبق الذي تبلورت معه ملامح التصنيف في هذا الفن، والتي أقام بناءها أقلام الأدباء من كتاب الدواوين قبل عصر

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (٤٢/١).

(٢) آداب الملوك للثعالبي (ص ٣١).

(٣) الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٥٢).

التدوين وبعده في أواخر القرن الأموي وبداية العصر العباسي.

### الدافع الرابع: تنشئة أبناء الملوك وتهيئتهم للحكم:

ظهر في بداية العصر الأموي بعض التحولات والتغيرات المتعلقة بمراسم الحكم، وتقاليد البلاط السلطاني، وهي الفترة التي يطلق عليها ابن خلدون رحمته الله: "انقلاب الخلافة إلى الملك"<sup>(١)</sup>، وكان من ضمن تلك التقاليد ظهور المؤدبين الذين يتولون تعليم أبناء الملوك وتوجيههم؛ "وكان الأمويون يحرصون على أن يقوم بهذه المهمة شخص من المتصلعين في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، يطلق عليه اسم المؤدب، وكان هذا المؤدب يضم أحياناً في ركن خاص به في القصر، ويجري عليه جوائز وعطاياه"<sup>(٢)</sup>، وقد استمرت هذه الطريقة السلوكية مع أبناء الملوك والسلاطين كما هو معلوم.

لم تكن رسالة التربية والتهذيب متوقفة على العالم الذي انتخبه الملك أو الأمير لهذه المهمة، بل كان توظيفه يقوم على نظر الوالد - الملك -، فكان الخلفاء يتابعون المؤدبين بالوصية والتوجيه، والحث والتقويم، يتضح ذلك من قول عبد الملك بن مروان رحمته الله لمؤدب ولده: "وخوفهم بي وأدهم دوني..."<sup>(٣)</sup>، ويؤكد عليهم في أمر التهذيب قائلاً: "علمهم العوم، وهذبهم بقله النوم"<sup>(٤)</sup>، ويبين لهم نهج التأديب فيقول: "وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب

(١) تاريخ ابن خلدون (ص ٢٠٢).

(٢) المؤدبون في التراث التربوي الإسلامي، إعداد: د. محمد مريني، مقال منشور في جريدة المحجة، العدد [٣٩٩]

عام ٢٠١٣م، تاريخ الدخول على الموقع: ٢٠١٣/٠٤/ http://almahajjafes.net/

(٣) جمل من أنساب الأشراف، تأليف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (٧/٢٠٧)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٤) الكامل في اللغة والأدب، تأليف: أبي العباس، محمد بن يزيد المبرد (١/١١٠)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،

الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الحاشية فيهنونا عليه"<sup>(١)</sup>.

وقد تزامن مع إيجاد وظيفة الأدباء في قصور الملوك الظهور الجيني لمؤلفات مناصحة أئمة المسلمين، حيث أخذ التأديب شعبة من ذلك الفن في كينونته الأولى، ونظرت تلك المؤلفات إلى تأديب أبناء الملوك وإرشادهم نظرة مآلية، معتبرة طور الفتوة والشباب مزرعة العلوم والأدب فـ "أولى الأسنان بحفظ الحكمة، وأحراها بنفع الموعظة سن الحدائة"<sup>(٢)</sup>، كما أن إدراك العلم لذي الولاية والرئاسة بعد ولايته متعذر لاتصال عمله، وانشغال ذهنه، يقول عمر رضي الله عنه: "نفقوها قبل أن تسودوا"<sup>(٣)</sup>، ويعني بذلك رضي الله عنه: "تعلموا العلم ما دتم صغاراً قبل أن تصيروا سادة رؤساء، منظورا إليكم، فإن لم تعلموا قبل ذلك استحييتم أن تعلموه بعد الكبر، فبقيتم جهالاً تأخذونه من الأصغر فيزري ذلك بكم"<sup>(٤)</sup>.

لقد كان دافع تربية أبناء الملوك وتنشئتهم على الآداب وحسن التدبير وراء تأليف وترجمة رسائل العهود مثل: "رسالة عبد الحميد الكاتب في نصيحة ولي العهد"، والتي كتبها للخليفة مروان مخاطباً فيه ابنه عبيد الله بن مروان رضي الله عنه، وترجمة العهود اليونانية المستخرجة من كتاب أفلاطون<sup>(٥)</sup>، وهذا النص في حقيقته ترجمة لثلاثة عهود: عهد الملك لابنه، وعهد الوزير إلى ولده،

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (٢/ ١٨٢ - ١٨٣).

(٢) الإشارة إلى أدب الإمارة للمراي (ص ٥٥).

(٣) أورده البخاري في صحيحه معلقاً في باب: الاغتباط في العلم والحكمة (١/ ٣٩).

(٤) غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ٣٦٩).

(٥) للاستزادة انظر: الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام لعبدالرحمن بدوي، وهي توجد أيضاً في طبعات مستقلة، من بينها كتاب: "الفلسفة السياسية عند العرب" تأليف: أحمد بن الداية، تقديم وتحقيق: عمر المالكي، الناشر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، د. ت.

وهناك طبعتان اثنتان أيضاً لكتاب "سر الأسرار"، أولاهما لإخوان الصفا، تحقيق: أحمد التركي، الناشر: دار الكلمة، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٨٣ م، وثانيهما من تحقيق: سامي سلمان الأعور، الناشر: دار الكتب للجميع، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٨٦ م.

وعهد العامي إلى ابنه، وكل عهد من هذه العهود يدل القارئ إلى جملة من الوصايا والنصائح المكتوبة بأساليب الحكمة والأدب، التي تعالج موضوعات التدبير والحكمة، وهي كلها بلا شك تعد من عيون الكتابة المرتبطة بمناصحة الملوك والأئمة.

لم يزل باعث التربية والتهذيب حاضراً في مصنفات أئمة المسلمين بعد طور النشأة، مع تمسكه بالخصوصية القصوى المتعلقة بوصف المصنف، فالمصنفون في مناصحة أئمة المسلمين بدافع التربية والتهذيب مقصرون على فئتين هما:

#### الفئة الأولى: فئة الآباء:

ويعنى بهم الملوك، وقد تجسدت كتاباتهم في رسائل العهود كما مر في "رسالة عبد الحميد الكاتب في نصيحة ولي العهد"، وهي نصائح ووصايا الخليفة الأموي مروان لابنه عبيد الله بن مروان، وقد كتبها عبد الحميد الكاتب على لسانه يقول فيها: "وقد تقدّم أمير المؤمنين إليك، آخذاً بالحجة عليك، مؤدياً حق الله الواجب عليه في إرشادك وقضاء حقك، وما ينظر به الوالد المعنيّ الشفيق لولده، وأمير المؤمنين يرجو أن ينزهك الله عن كل قبيح يهش<sup>(١)</sup> له طمع، وأن يعصمك من كلّ مكروه حاق بأحد، وأن يحصنك من كلّ آفة استولت على امرئ في دين أو خلق، وأن يبلغه فيك أحسن ما لم يزل يعودده ويريه من آثار نعمة الله عليك، سامية بك إلى ذروة الشرف، متبجحة<sup>(٢)</sup> بك بسطة الكرم، لائحة بك في أزهر معالي الأدب، مورثة لك أنفس ذخائر العز؛ والله يستخلف عليك أمير المؤمنين ويسأل حياطتك، وأن يعصمك من زيغ الهوى، ويحضرك داعي التوفيق، معانا على الإرشاد فيه، فإنه لا يعين على الخير ولا يوفق له إلا هو"<sup>(٣)</sup>.

(١) من معاني الهش: الارتياح، فيكون المعنى: القبيح الذي يرتاح له الطمع، ويعينه. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (هشش) (٦/٣٦٤).

(٢) البجحة: الاتساع. انظر: جوهرة اللغة لابن دريد، مادة (بجبح) (١/١٧٣).

(٣) رسالة عبد الحميد الكاتب في نصيحة ولي العهد، جمع: محمد كرد علي (ص ١٤٠).

وفي نصيحة الولد وتبنيته للحكم يصنف أبو حمو الزياني رحمته الله كتابه "واسطة السلوك في سياسة الملوك" لتعليم ابنه وتهذيبه، والمصنف "يضم قواعد أخلاقية وسياسية، تتخللها قطع كثيرة من الثر، والثر المسجوع، مع نصائح وأمثال تاريخية كثيرة"<sup>(١)</sup>.

ويبين أبو حمو رحمته الله عن دافع تأليفه في صدر مؤلفه قائلاً: "رأيت أولى ما نتحف به ولي عهدنا، ووارث مجدنا، والخليفة - إن شاء الله من بعدنا - وصايا حكيمية، وسياسة عملية علمية مما يختص به الملوك، وتتنظم به أمورهم انتظام السلوك؛ ولذلك سميت هذا الكتاب بواسطة السلوك في سياسة الملوك"<sup>(٢)</sup>، وقد قصد المؤلف تقديم النصائح في حسن التدبير والسياسة لابنه وولي عهده؛ لأنه يعد ذلك واجباً من واجبات الأبناء على الآباء، ف"خير الآباء للأبناء، من لم تدعه المودة للتفريط في الحقوق، وخير الأبناء للآباء، من لم يدعه التقصير إلى العقوق"<sup>(٣)</sup>، والكتاب من أوله إلى آخره مليء بالوصايا، والتوجيهات التربوية التي يُصدرها بندااء التحنن والتلطف الأبوي.

#### الفئة الثانية: العلماء المؤدبون:

ويقصد بهم العلماء الذين انتخبهم الخليفة أو السلطان لتأديب ولده، سواء أكانوا من الملازمين لهم في البلاط السلطاني، أم من العلماء الذين تربطهم بالخلفاء وأبنائهم صلة مودة وحب وإجلال.

وقد شارك المؤدبون من العلماء في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين، وقدموها في سياقهم التأديبي، حيث ألف أبو بكر محمد بن الحسن المرادي رحمته الله كتابه "الإشارة إلى أدب الإمارة" في تعليم صغار الأمراء الأدب والحكمة، وتبين مقدمته عن هذا الدافع الذي رآه موجباً لاستجابته

(١) أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيدى (ص ٤٩).

(٢) واسطة السلوك لأبي حمو الزياني (ص ٨١).

(٣) المصدر السابق (ص ٨٠).

إلى التصنيف في هذا الباب، فيقول مخاطباً حديثي الأسنان من الأمراء: "وقد ذكرت لك في هذا الكتاب من ذلك أبواباً، إذا أحطت بحفظها علماً، وانعطفت تحفظها فهماً، كانت لك ميزاناً تزن بها آدابك، وميداناً تروض فيه أخلاقك، وأصلاً تسند إليه قياسك، وجبلاً توطن عليه أساسك. وأولى الأسنان بحفظ الحكمة، وأحراها بنفع الموعظة سن الحداثة، فإني وجدت فيه فوائد أربعاً ليست في غيره من الأسنان، أولها: سرعة الحفظ، والثانية: ذكاء الفهم، والثالثة: فقد التجارب، والرابعة: تقديم الحكمة قبل سوء العوائد، فإن الكهول والأشياخ ربما علموا بتجاربهم ما لا يعلمه الأحداث، فكان الأحداث أحوج منهم إلى حفظ الحكمة، وتقديم الموعظة؛ ولأن الأحداث أطوع منهم لسلطان الشهوة الذي هو في غالب الأمر متضمن لسوء العادة، ونزع العادة السيئة شديداً، وعلاجها بعد استحكامها بعيد.

فلذلك نظمت لك في هذا الكتاب درراً من آداب الإمارة والوزارة، وفصلت لك ثنياه فصولاً من أنواع الإدارة والاستشارة، واصفة لآداب المتقدمين، كاشفة لأمر الدنيا والدين، فإذا استقبلتها بذهنك، وتأملت غوامضها بفكرك، واستعملت معانيها بجوارحك، مع ما رزق الله من نجابة، ووهب لك من رصانة، قل مثالك، وجلت أحوالك، وشرفت آدابك، وكرم أصحابك، وامتنع جنابك، وحوى الفضائل كلها بابك"<sup>(١)</sup>.

لقد نظر المرادي رحمته الله في نصيحته لصغار الأمراء نظراً مالياً؛ ولذا جعل كتابه من حيث التصنيف النوعي من جملة كتب المناصحة - الآداب السلطانية -، وتناول فيه الموضوعات نفسها التي يكتبها العلماء للملوك والسلاطين والأمراء؛ و"لأن الكتاب مكتوب لحدث أو أحداث، فقد كانت البداية في الحظ على القراءة، والعلم، وفي آداب النظر والفهم، وفائدة سياسة النفس، والحذر في اختيار الأصحاب"<sup>(٢)</sup>.

(١) الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي (ص ٥٦).

(٢) مقدمة رضوان السيد على الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي (ص ٣٠).

وإذا كان هذا المطلب يتناول الأسباب الخاصة في تصنيف كتب مناصحة أئمة المسلمين، فإن الباحث يرى أن هذا الدافع أخص الأسباب وأغربها.

### الدافع الخامس: الاستجابة لطلب الأصحاب:

إن أمر تأليف الكتب عند العلماء بسبب طلب السائلين، أو استجابة لالتماس المسلمين، أو إجابة لسؤال المستفتين ظاهر ومعلوم<sup>(١)</sup>، وقد زخرت مكتبة الإسلام بأثر هذا الدافع، وانتفعت جماهير الأمة ببركة هذا الباعث، ولا أدل على بركة هذا السبب من أن أعظم كتاب بعد كتاب الله كان من مسبباته وأثره، يقول الإمام البخاري رحمته الله عن سبب جمعه للجامع الصحيح: "كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتاباً مختصراً في الصحيح لسنن رسول الله ﷺ فوق ذلك في قلبي، وأخذت في جمع هذا الكتاب"<sup>(٢)</sup>.

وقد كان دافع إجابة طلب الأصحاب، وتلبية طلب المحبين في التأليف، حاضراً في مصنفات أئمة المسلمين، وإن لم يكن مشهوراً فيها، وقد نص مؤلف كتاب "النصائح المهمة للملوك والأئمة" المعروف بالشيخ علوان رحمته الله، على أن الذي حدا به إلى تأليف كتابه في مناصحة أئمة المسلمين، هو سؤال إخوانه وطلب محبيه لذلك، يقول في مقدمته: "أما بعد، فهذه رسالة لطيفة، مشتملة على نصائح شريفة، ومواعظ ظريفة، التمسها مني بعض الأحباب، وندب إلى تأليفها أخص الأصدقاء، لما أسمع الله من الكتاب والسنة ما أسمع، فأحب لمخاديمه<sup>(٣)</sup> حصة من ذلك صالحة، وأظهر ذلك بعزيمة مصممة، ونية ناصحة، فدفعته بالتالي هي أحسن فلم

(١) انظر: دوافع البحث والتأليف عند المسلمين لمحمد خير رمضان (ص ٢٣).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (١/٧٤)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

(٣) المخاديم: جمع مخدوم، وهو الرئيس، أو الأمير، أو السلطان. انظر: تاج العروس للزبيدي، مادة (خدم) (٥٩/٣٢).

يندفع، وأبى إلا التصميم على ذلك، فنسأل الله بوضع ما ألف هنا لمن ينتفع، والمسؤول في عموم النفع بها للخاص والعام"<sup>(١)</sup>.

إن هذا الدافع يرسم للدعاة والمحتسبين وعامة الناس منهجاً في أمر الاحتساب على الحاكم، وهو رد الأمر إلى العلماء؛ لأنهم أعلم بحقيقة الأمر، وأدراهم بحكم الله في حوادث الأحوال، كما قال ﷺ: ﴿وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، قال البغوي رحمه الله: "أي: يستخرجونه، وهم العلماء"<sup>(٣)</sup>، والمسائل المتعلقة بمسائل الحكم والولاية، قد يحفها من الأمور ما يؤثر على حكمها الشرعي، خاصة ما يتعلق بفقهاء المقاصد، وموازنة المصالح، وفهم العامي ومن فوّه لا يحيط بذلك علماً ولو اجتهد، فما اختص بعلمه العلماء من دقائق الأفعال والأقوال، وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء<sup>(٤)</sup>، وكم من عمل اعتقده العامي طاعة وهو معصية عند العالم الفقيه. لقد تمثل الكتاب، ومُصنّفه، وسبب تصنيفه، هذا المنهج القويم، الذي تسكن بمثله الدهماء، وتصمت الغوغاء، وتورد الأمور فيه من مواردها.

### الدافع السادس: الإثراء العلمي لمجالس الملوك:

يتصدر الخلفاء مجالسهم، ويتنظم في عقدها أشهر العلماء، والأدباء، والفقهاء، فكانت مجالسهم تسير في تطور يسائر ثقافة زمانها، حتى أصبحت مقاعد علم، وأندية أدب، ومجالس

(١) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ٧٠-٧٢).

(٢) سورة النساء، الآية (٨٣).

(٣) تفسير البغوي (٢/٢٥٥).

(٤) انظر: الموافقات للشاطبي (٤/٢١٤)، وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٢٨١)، وانظر: أضواء

البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي

(٢/١٧٣)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

مناظرة، ف "لم تكن الكتب والمساجد كل ما هيأ لازدهار الحركة العلمية حينئذ، فقد هيأ لها أيضاً مجالس الخلفاء، والوزراء، والأمراء، والسراة، إذ تحولوا بها إلى ما يشبه ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صنف، على نحو ما يروى من مناظرة الكسائي الكوفي، واليزيدي البصري بين يدي المهدي، وما يروى عن الكسائي وسيبويه بين يدي الرشيد، أو بين يدي خالد البرمكي، وكانت مجالس البرامكة ندوات كبيرة للمتكلمين والمتفلسفين من كل نحلة يتجادلون فيها ويتحاورون في كل ما يعرض لهم من المسائل"<sup>(١)</sup>.

فمجالس الخلفاء إذاً مقصد العلماء، ومأرب الأدباء، وبغية الشعراء، يشد من أزرها حسن الوفادة، وبشر اللقاء، وجزيل الصلة، حتى تسابق إليها المتسابقون، وقصدها الأبعدون والأقربون<sup>(٢)</sup>.

ولما أدرك مؤلفو مناصحة أئمة المسلمين حرص الخلفاء على العلم ونهمهم به، بادروا كإخوانهم من العلماء والفقهاء والأدباء إلى تأليف كتبهم، وقدموها إلى مجالس الخلفاء، يقول الشيزري رحمته الله في "المنهج السلوك": "لما كان الملك الناصر صلاح الدين، سلطان الإسلام والمسلمين، أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي، محيي دولة أمير المؤمنين، أدام الله دولته، وحرس على الإسلام مهجته ممن أتاه الله ملكه العظيم، وهدهاه صراطه المستقيم، وأورثه مشارق الأرض ومغاربها، وأوطأه من الملوك رقابها ومناكبها، وكان ممن يرى الأدب وفضله، ويؤثر العلم وأهله، جمعت لخزانة علومه هذا الكتاب، وهو يحتوي على ظرائف من الحكمة، وجواهر من الأدب، وأصول في السياسة، وتدبير الرعية، ومعرفة أركان المملكة، وقواعد

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (٣/ ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تأليف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (٢/ ٣٤)، و (٢/ ١٩٩ - ١٠٢)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٢م؛ وانظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (٣/ ١٠٢).

التدبير، وقسمة الفيء، والغنيمة على الأجناد وما يلزم أهل الجيش من حقوق الجهاد، ونهت فيه على الشيم الكريمة، والأخلاق الذميمة"<sup>(١)</sup>.

ولعرض العلم ومذاكرته في مجالس الخليفة كتب الخرميتي رحمته الله كتابه "الدرة الغراء" واستهله قائلاً: "لما كان ملاقة العلماء السلاطين، والأمراء، والوزراء، والأجناد، من الأمور المستحسنة شرعاً، وعند الملاقة إياهم المحاورة معهم، بما يتعلق بهم، من مقتضيات الأحوال التي هي من أعلى البلاغة والفصاحة، خصوصاً حضرة الجنب العلي، صاحب القرآن الأعدل الأعظم الأعلم، مستخدم أرباب السيف والقلم، كافل مصالح أطوار الأمم، افتخار صنائيد العرب والعجم، عضد الملوك والسلاطين، ومغيث الملهوفين والمظلومين، ومربي العلماء والمساكين... أردت أن أجمع لخزائنه الطاهرة نسخة شريفة، مشتملة بضبط قواعد السلاطين، والقضاة، والأمراء، والوزراء، والولاة، ومما لا بد منه للناس من المسائل الشرعية..."<sup>(٢)</sup>.

إن إدراك المتأمل لحرص حكام المسلمين من المتقدمين والمعاصرين على العلوم، ومحبة أهلها، يطرد العجب والاستغراب من إيراد هذا الدافع في مصنفات المناصحة، فأمة الإسلام أمة العلم من رأسها إلى أصلها، لا يستنكف عنه رئيس، ولا يذاد عن ورد حوضه مسوس.

### الدافع السابع: التعزية والسلوان:

هذا الدافع من أنبل الأسباب وأكرمها، وأعذب البواعث وألطفها؛ لأنه دليل على صدق وفاء العلماء، ونبل أخلاق الفقهاء، فإن الوفي لإمامه، وصادق الحب لسultanه، لا تغيره صروف الأيام ونوائب الدهر التي تحل بمن ولاه الله أمره، فيكون فيها معه، كما كان في أيام الرخاء أو يزيد، وما أحسن قول الأول:

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ١٥٤ - ١٥٩).

(٢) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٨٤ - ٨٦).

وإن أولى البرايا أن تواسيه عند السرور الذي واساك في الحزن  
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن<sup>(١)</sup>

إن مؤلفات هذا الدافع تأخذ مساراً نبيلاً في التصنيف، وتهدف إلى معنى إنساني رفيع؛ لأنها  
تخاطب وجدان الملك أو الأمير أو السلطان، وتكاتب إنسانيته المجردة ترفعاً معه عن مآرب  
المستجدين، واستشراف الطامعين.

ويمثل هذا الدافع مؤلف كتاب "سلوان المطاع في عدوان الأتباع"، أبو عبدالله بن ظفر  
الصقلي رحمته الله، ويحمل عنوان هذا الكتاب بطاقة تعريفية لمحتوى المصنف ومضامينه، فالكتاب  
تسليية كما هو واضح من عنوانه للخليفة "المطاع"، وهو الحاكم المقصود بالتعزية والتسليية،  
ويعني بذلك: أبا عبدالله محمد بن أبي القاسم علي بن علوي القرشي رحمته الله، كما ذكر في مقدمته،  
وهذا القائد قد تعرض لـ "عدوان الأتباع"، ويعيش في محيط الفتن والمؤامرات، وهو بحاجة إلى  
تأييد روحي، وترويض نفسي؛ لتسليته عن المتاعب والمشاق، "هنا يقدم ابن ظفر بسلواناته  
مدركاً قيمتها من حيث إنها فرصة للقلوب والأسماع، ورياضة للقلوب والطباع"<sup>(٢)</sup>، وقد  
جعلها في خمس سلوانات:

الأولى: في التفويض

الثانية: في التآسي

الثالثة: في الصبر

(١) ديوان دعبل بن علي الخزاعي، تأليف: دعبل بن علي الخزاعي (ص ١٧٥)، شرح: حسن حمد، الناشر: دار الكتاب  
العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

(٢) مقدمة تحقيق أيمن عبدالجبار البحيري على السلوانات - سلوان المطاع في عدوان الأتباع - تأليف: ابن ظفر  
الصقلي (ص ٧)، الناشر: الآفاق العربية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

الرابعة: في الرضى

الخامسة: في الزهد<sup>(١)</sup>.

ويقارب مصنف ابن ظفر الصقلي رحمته الله في الموضوع، ويشاركه في دافع التأليف كتاب "جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى" ليحيى بن عاصم القيسي رحمته الله (ت: ٨٥٨هـ)، والذي ألفه في الزمن الذي شهد تدهور الأوضاع في العالم الإسلامي أجمع، ولهذا الكتاب قيمة أخلاقية سامية؛ لأن مؤلفه رمى إلى مساعدة من داهمتهم المصائب والمحن، فقدم لهم النصائح، وأرشدهم إلى السبل التي تخفف من وطء المحن التي تحيق بهم، وعزاهم بما حل بالسابقين والمعاصرين، فهذا الكتاب يعالج النفس التي تواجه المحن سواء أكانت شخصية في الناس، أم اعتبارية في الدولة ومؤسساتها<sup>(٢)</sup>.

وتعد الدراسة هذا الدافع رداً حاسماً على القائلين بجمود مضامين مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين، وحنة على الحاكمين عليها بالتناسخ الحرفي، ف"الظرفية التاريخية السياسية هي أهم عامل يحول دون القول بتناسخ هذه الكتابة السياسية وغياب مؤلفها"<sup>(٣)</sup>، ومن تأمل هذه الكتب، واطلع على تغاير الدوافع الحاملة على تأليفها أدرك حيويتها، وتجديدها، وتطورها.

ويستخلص الباحث مما تقدم ما يأتي:

١- افتقرت كتب مناصحة أئمة المسلمين إلى وجود البواعث والأسباب كغيرها من المؤلفات؛ لأنها الحامل على التأليف والتصنيف، ومن ثمّ فلا حاجة إلى إثبات وجودها، وإنما ينصبُّ عمل الاستقراء على استخراجها من مقدمة الكتاب، أو استنباطها من مضامينه أو عنوانه.

(١) انظر: سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي (ص ٧٦).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق د. صلاح الجرار على جنة الرضا للقيسي (ص ٦).

(٣) الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٩٩).

- ٢- أبانت مقدمات كتب مناصحة أئمة المسلمين عن دوافع التأليف، وأفصحت بجلاء عن أسبابه، كما تفاوتت تلك المصنفات في عدد البواعث على تأليفها، حيث اقتصر بعض المؤلفين على الدافع والدافعين، ورَبَّتْ عِدَّةٌ بعضهم فزاد على ذلك وثني، مثل ما فعل الجاحظ في كتاب "التاج"، وسبط ابن الجوزي رحمته الله في "الجلس الصالح".
- ٣- هناك بواعث عامة شملت جميع مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين، ولا يلزم من ذلك أن تكون حاضرة قولاً في مقدماتها، وإنما يفرض وجودها الشرط الشرعي، أو الوجوب الحكمي، أو الإلزام الفني، وهناك دوافع خاصة اختصت بها بعض المصنفات دون غيرها، مع تفاوتها في درجة الاختصاص.
- ٤- كشف تنوع البواعث، وتغاير الأسباب النوعي، على حيوية هذا الفن من التأليف، وعلى الواقعية التي كان يتَّسِم بها العالم الناصح المحتسب، وشهدت على درجة الوعي العالية التي يتمتع بها فقهاء الأمة وعلمائها.
- ٥- يبقى فهم دلالة المؤلف، واستيعاب مضامين الكتاب، منوطاً على الإحاطة بدوافع تأليفه، وفهم الواقع الذي أثمر هذا الكتاب؛ ولذا برزت أهمية دراسة الدوافع والأسباب التي أنتجت تلك المصنفات، وأبرزتها مفعولاً لها على أرض الواقع.

### الفصل الثالث

#### مجالات التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وأنواعها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد.

المبحث الثاني: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بالمسائل المتعلقة بالتشريع والأحكام.

المبحث الثالث: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمواضيع الوعظ والأخلاق.

المبحث الرابع: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل السياسة الشرعية.

### تهييد:

يقوم أمر التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين على مبدأ النصيحة، وإسداء المشورة والموعظة للإمام أو نوابه على اختلاف درجاتهم، ويشكل الملك أو الأمير أو من يقوم مقامه المحور الرئيس والمهيمن الذي تدور حوله كل القضايا التي يتناولها مصنفو كتاب مناصحة الملوك، فهو يتحدث عن الإمام في علاقته مع ربه، وطريقة اتصاله بوزرائه وجلسائه، وحاله مع العلماء والفقهاء، ثم الحديث المفصل عن حسن التدبير وإدارة الحكم وشأن الرعية<sup>(١)</sup>.

وقد تقدم في دراسة نشأة هذا النوع من التأليف<sup>(٢)</sup> أن أول من ابتداء القول فيه هم كُتَّاب الدواوين ونحوهم الذين جعلوا تجارب الأمم السابقة وحكمهم مصدراً رئيساً في ابتداء القول بهذه المصنفات، حتى بلغت طور التصحيح على يد الماوردي رحمته الله في مصنفاته المتتابعة لمناصحة الملوك، والتي انتقد فيها مضامين المتقدمين التي انشغلت بمراسم الملك، ونُظْم البلاط السلطاني، والزبي واللباس والمراكب، وطرق الطعام والشراب وغير ذلك، مفصلاً عن غايته بقوله: "ولكننا أردنا أن نجعل كتابنا هذا ديناً، نُريهم فيه مصالح معادهم ومعاشهم، ونظام ممالكهم وأحوالهم بكتاب الله رب العالمين، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين والملوك الأولين، ونحذرهم سوء المصراع، ولؤم الميتة، وقبح الأحداث، واستحقاق العقوبة عاجلاً وآجلاً"<sup>(٣)</sup>.

وما يعنى مما سبق ذكره - من محورية السلطان في خطاب كتب المناصحة، وتصدر التأليف فيه بالقلم المنتزع من الثقافة الفارسية، أو الفلسفة اليونانية، ثم تصحيحه وتهذيبه على يد الفقهاء

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١٨٨)، وانظر: الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام لعبدالرحمن بدوي (ص ٥)، وانظر: السلطة السياسية لعز الدين العلام (ص ٦٣).

(٢) انظر: الباب الأول، الفصل الثاني، المبحث الثاني، المطلب الأول: نشأة التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين (ص ٢٥٧ - ٢٧٠)، من هذه الرسالة.

(٣) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٥).

والعلماء والوعاظ - هو أن هذا الأمر قد حدّد معالم هذا المجال الموضوعي، ورسوم الإطار والحد الفني لتلك الكتابة التي أصبحت ممتازة في أسلوبها وهدفها ومضامينها عن الكتابة في باب السياسة الشرعية، وهذا أمر دقيق ولطيف، يُدرك المفارقة فيه الكاتبون في هذا الباب، ولو شاركوا في أشباهه من أبواب العلم الأخرى، فالماوردي رحمته الله مثلاً في "الأحكام السلطانية" ينتهج طريقة الفقهاء، وفي كتب "نصيحة الملوك"، و"تسهيل النظر"، و"قوانين الوزارة" يأخذ أسلوب مؤلفي كتب مناصحة أئمة المسلمين<sup>(١)</sup>.

ويرى الباحث أن ما يضبط معالم الكتابة والتأليف في مجال مناصحة أئمة المسلمين، حتى يسلم القائل فيه من تداخل الفنون ببعضها ضابطان هما:

#### الضابط الأول: محورية الإمام:

يشكل الإمام وولي أمر المسلمين المحور الرئيس الذي تقوم عليه فصول الكتاب وتبويباته وفروعه، فكل تدرجات خطابه المرتبة، ترتبط ارتباطاً مباشراً برأس الهرم، أعني - الإمام أو السلطان أو الملك - وعندما يتناول الكاتب في مناصحة أئمة المسلمين موضوع الرعاية في خطابه - على سبيل المثال - "فإنها هو خطاب للراعي في موضوع رعيته وأشياء أخرى، ولا يتعامل هذا الخطاب مع الرعاية ككيان قائم بذاته، ولا يتصورها ذاتاً مستقلة يستحق خطاباً مستقلاً، بقدر ما هي موضوع لذات السلطان في معظم الوقت، أي أن هذا الخطاب موجه للحاكم في علاقته بالمحكوم... وبذلك تكون تصورات الأديب السلطاني في هذا الشأن عبارة عن مجموعة من النصائح التي من المفترض أن يستعين بها السلطان في كيفية ضبط رعيته، وأشكال سلوكه معها"<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١٠٢).

(٢) ملاحظات حول الرعاية في الأدب السلطاني، إعداد: عز الدين العلام (ص ٢٠)، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد،

بيروت - لبنان، العدد [٢٢]، السنة السادسة عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

ولم تغفل بعض كتب المناصحة عن إدخال الرعية في الخطاب، بل أفسحت له حيزاً في التأليف، حتى بدا على عنوان الكتاب مثل كتاب: "بذل النصائح الشرعية فيما على الراعي وولاية الأمور وسائر الرعية" للمقدسي، وكتاب "تهذيب ذهن الداعي في إصلاح الرعية والراعي" لابن الحاج، وكتاب: "النصيحة العامة للملوك الإسلام والعامة" للبرزنجي وغيرها، ولا يعد هذا خروجاً - من وجهة نظر الباحث - عن الالتزام بالموضوع؛ ذلك أن الرعية في هذا المقام ليست في حكم التابع؛ لأنها تشكل ركن الدولة كما هو معلوم<sup>(١)</sup>، كما أن تناول الموضوعي في الأغلب ينصب في مسألة حق الطاعة، ولزوم الجماعة، والدعاء لولي الأمر، التي هي في مآل القول حق للملوك والأئمة.

#### الضابط الثاني: إسداء النصيحة:

تأخذ هذه الكتب مساراً مستقلاً في باب السياسة الشرعية، وهو مجال الوعظ والإرشاد والحث والنصح؛ لذا فإن هذه الكتب وإن اشتملت على أبواب السياسة المتشعبة، فإنها لا تخوض في قضاياها الجزئية، ولا تناقش فروع مسائله، فهذا الجنس من التأليف يغاير غيره من الأجناس المشابهة في الغاية، والطريقة، والأسلوب.

وإذا كانت كتب الأحكام السلطانية مجتزأة من مطولات الفقهاء فيما يخص أبواب السياسة الشرعية<sup>(٢)</sup>، يعرض المصنف فيها مسائله عرض الفقهاء، فإن مصنف كتب المناصحة يتناولون مجالات موضوعاتهم المشتركة وأنواعها في قالب الإجمال، ويصوغونها في سياق الوعظ

(١) قال الشيزري: "الركن الثاني من أركان المملكة: الرعية: اعلم أن الرعية ركن شديد من أركان المملكة، وهي قسمان: خاصة وعامة... المنهج السلوك للشيزري (ص ٢١٩)، ويرى علماء السياسة المعاصرون أن الدولة تقوم على ثلاثة أركان هي: ١- الشعب ٢- الإقليم ٣- السلطة. انظر: القانون الدستوري والنظم السياسية، تأليف: د. سعد عصفور، ود. عبد الحميد متولي، ود. محسن خليل (ص ٩٥، ٢٣٢ - ٢٣٥)، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية - مصر، د. ط، د. ت.

(٢) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٣).

والتذكير، ويعرضونها عرض المؤكد في التبليغ؛ لأن دخولهم في جزء المضمون مناقشة وتفنيدياً يخرجهم عن إطار هذا الفن الذي كتبوا فيه، "حتى إن ابن الأزرقي الذي خص موضوع "تولية الخطط الدينية" بصفحات لا بأس بها، تجده يستدرك من حين إلى آخر، مشيراً إلى أن من يريد أن يتعمق في الموضوع عليه أن يعود لما هو مقرر في الفقهيات"<sup>(١)</sup>؛ ولذا فإن كتب الفقه السياسي، ومصنفات السياسة الشرعية، قصدت الحكم على التصرفات والأفعال السياسية الصادرة عن السلطان أو نوابه، وكذا الحكم على مؤسسات الدولة بإحدى مراتب الحكم التكليفي، كما عنت الجانب المدني من حياة المسلمين وفق أوامر الشرع، مركزة على قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل رئيس، وفق ميزان حقوق وواجبات الأمة<sup>(٢)</sup>.

أما كتب المناصحة فإنها شملت تلك الأبواب على وجه الإجمال بالبحث والترغيب، وزادت على ذلك بالإطناب في أبواب الخُلُق فعلاً وتركاً، وقد بالغ بعضهم حين قال: "يمكن ملاحظة أن مجمل هذه النصائح لا يتجاوز إلا لماماً حدود الأخلاق والنوايا الطيبة من قبيل الحث على العدل، والاتصاف بالكرم، والتحلي بالشجاعة، ولزوم الحذر، وإغاثة الملهوف"<sup>(٣)</sup>.

ويعدّ الباحث هذا الضابط هو العنصر المحدد لمعالم الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين؛ ولذا تجد الماوردي رحمته الله كما تقدم يغيّر بين المنهج الكتابي في الأحكام السلطانية، حين يؤلف فقيهاً، وبين كتابته في "نصيحة الملوك"، أو "قوانين الوزارة وسياسة الملك"، أو "تسهيل النظر" وهو يلبس قواعد هذا الفن المنهجية.

وتأسيساً على ما سبق، فإن تحديد مجال الكتابة في موضوعات مناصحة أئمة المسلمين، وتعيين الحد النوعي لمضامين النص، مبنيٌّ على تلك السمات والضوابط التي ارتسمت في

(١) الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١٧٤).

(٢) انظر: متاهة الحاكمية لهاني نسيرة (ص ١٠٥).

(٣) الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٤٦).

مؤلفات أصحاب هذا الفن، على أن الباحث يذهب إلى أن الحديث عن المجال الموضوعي في التأليف يفارق نسبياً الحديث عن موضوعات مناصحة أئمة المسلمين في هوائها الطلق؛ لأن دراسة الموضوعات في هذا المقام ترتبط بالقاعدة المنهجية للتأليف والتصنيف التي تحددها الضوابط والسمات<sup>(١)</sup> والمقومات والحدود، التي أوضحت مع تعارف الكاتبين عليها قانوناً ضابطاً لها.

وتتناول الدراسة في المباحث الأربعة الآتية مجالات التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين التي انتهجها المؤلفون في هذا الفن.

---

(١) اتسمت كثير من مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين بالموسوعية الثقافية، وتعدد المصدرية الموضوعية لمادتها، وهو ما يفسر تسميتها بـ "آداب" عند المشتغلين بدراستها وقراءتها، فمدلول كلمة أدب أو آداب المستعملة في كتب مناصحة أئمة المسلمين لا تتعلق بالمفهوم المعاصر لمصطلح "أدب"، ولكنه بالمفهوم القديم - أعني زمن التدوين - ما يعني اليوم كلمة "ثقافة" فتسمية آداب تدل في تسميات "الآداب السلطانية" إلى فضاء في الكتابة رحب ووسيع، وهو ما يمكن أن يوصف بالأخذ من كل شيء بطرف. انظر: مقدمة تحقيق أحمد أمين على العقد الفريد، تأليف: أبي عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ص/ ز - ح)، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، د. ت؛ وانظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٦٣).

## المبحث الأول

### مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد

#### تمهيد:

إن أجل موضوعات المناصحة لأئمة المسلمين، وأسمى مجالاتها، موضوع المناصحة في أبواب العقيدة الإسلامية الصحيحة، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الثابتة، فالإيمان بالله تعالى، وإفراده بالعبادة دون غيره، هو المرتكز والدليل لهذه الحياة، في كل مساراتها وجميع أبحاثها، وهذه هي دعوة الأنبياء قاطبة لأمتهم كما قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(١)</sup>، وهي عقيدة الرسل أنفسهم، الذين توجهوا إلى الله وحده بالشعائر التعبديّة، وبالطلب والرجاء، والرغبة والرغبة، والخشية والإنابة.

إن مقتضى الإيمان بالله واحداً لا شريك له، هو التصديق بما جاء به النبي ﷺ، وطاعته فيما أمر به وأوجب، وهذا الإيمان يكون في الإمام ونوابه ووزرائه، ومن يليهم من أهل الحل والعقد، ثم في النظام العام الذي يوجه به الحكم، والسياسة، والعمران، فالحكم والتشريع لله، هو المنظم لحياة البشر وعلاقاتهم، وارتباطهم بالكون وبالأحياء، وبالبشر أجمع، فيتلقي من الله التشريع والحكم، ومنهج الحياة، ونظام المعيشة، وقواعد الارتباط، وميزان القيم والاعتبارات<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان ارتباط الدولة بالدين ارتباطاً القاعداً بالبناء، فإن الدين هنا هو الدين القيم، دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما قال ﷺ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

(١) سورة النحل، الآية (٣٦).

(٢) انظر: الإمامة في الإسلام، أسس ومبادئ وواجبات، تأليف: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن الطريقي (ص ٤١ -

٤٢)، الناشر: مؤسسة الجريسي للتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، "وأصل هذا الدين وقاعدته أمران هما:

**الأول:** الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والحث على ذلك، والموالاتة فيه، وتكفير من تركه.

**الثاني:** الإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالى، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله" (٢)، وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يشك مؤمن في أن التوحيد الذي هو أصل الدين وقوامه، هو أعظم العدل وأصوبه، وذلك بأن يكون الدين كله لله قولاً، وعملاً، وشريعةً، ومنهاجاً (٣).

وإن مما تجدر الإشارة إليه أن إطلاق اسم العقيدة من حيث كونه علماً، يتسع ليشمل كل مسألة بحثتها كتب المعتقد والكلام، سواء أكانت في أبواب أصول التوحيد والإيمان، أم جعلت تبعاً للرد على المخالف، فتشمل بذلك: موضوعات التوحيد، والإيمان، والإسلام، والغيبات، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين والاعتقاد، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع، وسائر الملل والنحل الضالة، والموقف منهم (٤).

وتقديم الدراسة لهذا الموضوع على غيره من المباحث؛ لأنه سيّد المباحث وأصلها، فهو حق الله الأول الذي لا يقبل الله عملاً صالحاً بدونه، ولا معنى لكل خير بفواته، مع أن مادة المؤلفات التي ألفت في مناصحة أئمة المسلمين فقيرة جداً منه؛ إذ غالبها لا يتطرق إلى مسائله

(١) سورة الروم، الآية (٣٠).

(٢) الدرر السنية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم (١/١٥٣).

(٣) انظر: أئمة الدعوة في النصح للحاكم، إعداد: محمد غالب العمري (ص ٢٤)، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدعوة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤٣٢ هـ.

(٤) انظر: معنى العقيدة لغة واصطلاحاً والفرق بينها وبين التوحيد، إعداد: الشيخ عبدالله بن صالح القصير، مقال

منشور على الشبكة العنكبوتية، موقع شبكة الألوكة: [www.alukah.net](http://www.alukah.net) بتاريخ: ١٩/٧/١٤٣٧ هـ، تاريخ

الدخول: ١/٥/١٤٤٢ هـ.

البتة، وبعضها الآخر يشير إليه إشارة مجملة في مباحثه الأولى، كما هو الشأن في كتاب "نصيحة الملوك" للماوردي رحمته الله، و "التبر المسبوك" للغزالي رحمته الله، و "العقد الفريد للملك السعيد" للوزير أبي سالم القرشي رحمته الله، والبعض منها يكتفي بذكر بعض أصول الإيمان مثل: الإيمان بالقضاء والقدر كما هو الحال في "سراج الملوك" للطرطوشي رحمته الله، أو مسائل الغيبات كما تناولها كتاب "البرهان في فضل السلطان" لابن طوغان الحنفي رحمته الله، ونحو ذلك.

وتتناول الدراسة مجال مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد في مطلبين:

المطلب الأول: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد المتعلقة بذواتهم.

المطلب الثاني: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد المتعلقة بمسؤوليتهم.

## المطلب الأول

### مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد المتعلقة بذواتهم

الإسلام شرط من شروط صحة الإمامة؛ ليراعي بذلك مصالح الإسلام والمسلمين، فلا تصح تولية الكافر<sup>(١)</sup>، قال القاضي عياض رحمته الله: "لا خلاف بين المسلمين أنه لا تنعقد الإمامة للكافر، ولا تستديم له إذا طرأ عليه"<sup>(٢)</sup>؛ ولذا فإن النصح في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين موجه إلى رجل مسلم مكلف؛ له من تكليف المشرع أولوية الخطاب؛ وذلك لعظم المكانة التي تبوأها في سلطان الله، فإن الله "إنما أعطاه ذلك؛ ليكون لدينه ناصراً، ولعدوه خاذلاً قاهراً، يخلف أنبياءه ورسله في إنفاذ مراسيم الربوبية، وإمضاء أحكام الألوهية، وإجاء العباد إلى القيام بوظائف العبادة على وجه العبودية"<sup>(٣)</sup>.

واتصاف المكلف بالإسلام، لا يعني عدم تذكيره بأمر التوحيد وفضله، والحث على الازدياد من طلب معرفته، يقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup>، قال

(١) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ٢٠)، وانظر: تفسير القرطبي (١/ ٢٧٠)، وانظر: مغني المحتاج إلى معرفة المنهاج، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (٥/ ٤٠٩)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م؛ وانظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (١/ ٣٥)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ١١١-١١٨)، وانظر: حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين، تأليف: شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي (٤/ ١٧٣)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م؛ وانظر: حجة الله البالغة، تأليف: أحمد بن عبدالرحيم، المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي (٢/ ٢٣٢)، تحقيق: السيد سابق، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م؛ وانظر: أضواء البيان للشنقيطي (١/ ١٢٨).

(٢) إكمال المعلم للقاضي عياض (٦/ ٢٤٦).

(٣) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ٧٦).

(٤) سورة محمد، الآية (١٩).

الحسين بن الفضيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فازدد علماً على علمك"<sup>(١)</sup>.

والدراسة لا تقصد استقصاء موضوعات علم العقيدة ودراسة مضامينها، فذاك أمر له محله المعلوم، ولكنها تشير إلى محله في ذلك الفن من التأليف، وتقتصر الدراسة في هذا المقام على أمرين كليين عظيمين، تدخل فيه مسائل الاعتقاد ضمناً وتبعاً، وذلك من خلال الآتي:

#### أولاً: تذكير أئمة المسلمين بالتوحيد وأهميته، والتحذير من الشرك ووسائله:

إن الدعوة إلى التوحيد وأهميته، والتحذير من الشرك ووسائله هما أصلاً الأمر والنهي<sup>(٢)</sup>، فالتذكير بالتوحيد وأهميته أصل الأمر، والتحذير من الشرك ووسائله أصل النهي، "ومن تتبّع القرآن والسنة وتدبر نصوصهما تبين له أنها لا تخرج عن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وما يتعلق بذلك، ولم يخلق الله الخلق إلا لذلك"<sup>(٣)</sup>، وتتناول الدراسة هذا الموضوع من خلال هذين الأصلين العظيمين.

#### الأصل الأول: التذكير بالتوحيد وأهميته:

إن منهج السلف هو لزوم التواصي بأمر التوحيد، والتذكير بفضله وعظم منزلته من الدين، والحث على تعلمه والعمل بمقتضاه، وهي مهمة العلماء والدعاة؛ لأنهم أعلم الناس

(١) تفسير البغوي (٧/ ٢٨٥).

(٢) انظر: تفسير آيات من القرآن الكريم "مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس"، تأليف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ص ٣٦٧)، تحقيق: الدكتور محمد بلتاجي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (٢/ ٤٨٢)، تحقيق:

عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ -

بالشريعة، وأفقههم بمعاني النصوص ودلالاتها<sup>(١)</sup>.

وليس في شأن التذكير بالتوحيد ما يخص به الولاية ونوابهم دون غيرهم، سوى ما يلتمس من بركة صلاحهم الذي يتعدى نفعه إلى غيرهم، وأهم ما يتطرق إليه من أمر التذكير بالتوحيد في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين أربعة أمور هي:

#### ١ - بيان عظم منزلة التوحيد:

من مباحث التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد، التأكيد على عظم منزلة التوحيد، وبيان أهميته وفضله، فيبين الناصح لولاية الأمر أن التوحيد أول الفرائض وأوجبها، وأكد الأركان وأساسها؛ ليقوم في نفس المنصوح تعظيمه والحفاظ عليه، ومتى عظم التوحيد في نفس الولاية، واستقامت نفوسهم عليه، أورث ذلك صلاح العامة وهدايتهم<sup>(٢)</sup>، وللعلماء الناصحين جهود مشهودة في بيان عظم منزلة التوحيد وأهميته<sup>(٣)</sup>.

ومما ينبغي على العالم في بيان منزلة التوحيد تأليف قلوب الولاية عليه بذكر فضائله العظيمة، وعظم جزاء الله لأهله، مثل: كفارة الذنوب، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وحصول الأمن التام في الدنيا والآخرة لمن حققه، يقول ابن طوغان الحنفي رحمته الله في "البرهان في فضل السلطان": "ومما ينبغي أن يعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة من السلف والخلف - رحمهم الله تعالى - أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال، فإن كان سالماً من المعاصي، كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبةً نصوحاً صحيحةً من الشرك وغيره من المعاصي إذا لم يحدث معصيةً بعد توبته، ومن نشأ في عبادة الله تعالى ولم يقارف

(١) انظر: محاضرة بعنوان: عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان، منشورة على الشبكة العنكبوتية، الموقع الرسمي

لمعالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان [www.alfawzan.af.org.sa](http://www.alfawzan.af.org.sa)، تاريخ الدخول ١/١/١٤٤٣هـ.

(٢) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٤ - ٣٥).

(٣) للاستزادة انظر: منهج أئمة الدعوة في النصيح للحاكم لمحمد العمري (ص ١٦ - ٦١).

معصية أصلاً، كل هؤلاء يدخلون الجنة ولا يدخلون النار، لكن يردونها على الخلاف المعروف في الورد" (١).

كما ينبغي على العالم أن يبين في تصنيفه للإمام حال مناصحته منة الله ونعمته بهدايته إلى التوحيد؛ ليكون ذلك داعياً إلى شكر الله وحمده، وهذا أمر يقتضي ثبات المدعو على ما هو عليه، وحفاظه على جناب التوحيد ودفاعه عنه (٢).

وفي بيان أهمية ذلك وفضله ما يدل المنصوح إلى الحفاظ عليه والخوف من فواته، ومعرفة حق الله عليه في ذلك الفضل العظيم.

## ٢- التذكير بتوحيد الألوهية - توحيد العبادة -:

المقصود بتوحيد الألوهية هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة، الظاهرة والباطنة، قولاً وعملاً، ونفي العبادة عما سواه (٣)، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، وكلُّ فعلٍ وقولٍ ظاهرٍ أو باطنٍ سمَّاه الشارع عبادة فلا يجوز صرفه لغير الله (٤).

والتوحيد الذي أمر الله به عباده هو توحيد العبادة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية، المتضمن لتوحيد الربوبية، بأن يُعبد"

(١) البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١٨٥).

(٢) انظر: مسائل وفتاوى نجدية "طبع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول"، تأليف: عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (١/٣٧٩)، الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.

(٣) انظر: أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي (ص ٤٦).

(٤) انظر: العبودية، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحاراني الحنبلي الدمشقي (ص ٤٤)، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

الله وحده لا يشركون به شيئاً، فيكون الدين كله لله... كما قد بين القرآن هذا التوحيد في غير موضع، وهو قطب رحى القرآن الذي يدور عليه القرآن<sup>(١)</sup>.

والتواصي عليه والتذكير به هو أعظم الوعظ وأتمه وأشرفه، وهو أحق ما ذُكرت به الملوك والسلطين<sup>(٢)</sup>؛ فالعلم يتعلق شرفه بشرف المعلوم، والتوحيد متعلق بأشرف ذات، وأكمل موصوف، وهو الله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن حق التذكير بتوحيد العبادة يجب أن يأخذ الأولوية في تصنيف كتب مناصحة الملوك، وإن كان واقع المصنفات على خلاف ذلك، حيث اقتصر المؤلفات في هذا المجال على الإشارة إليه في صدورها أو بطونها، فمن ذلك ما ابتدأ به الغزالي كتابه "التبر المسبوك" بقوله: "واعلم أيها الملك أن لهذه الشجرة - يعني شجرة الإيمان - عشرة أصول وعشرة فروع، فأصلها الاعتقاد بالجنان وفرعها العمل بالأركان..."<sup>(٤)</sup>، ثم جعل أصل الشجرة قاعدة الاعتقاد ووعظ بها الملك قائلاً: "اعلم أيها السلطان أنك مخلوق ولك خالق، وهو خالق العالم، وجميع ما في العالم، وأنه واحد لا شريك له..."<sup>(٥)</sup>، وقال في الأصل الثامن من تلك الشجرة التي رسمها: "وليس معه شريك ولا خالق، بل هو الخالق الواحد"<sup>(٦)</sup>.

وأفرد الوزير أبو سالم القرشي رَحِمَهُ اللهُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ "العقد الفريد للملك السعيد" ملخصاً

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٣/٢٨٩ - ٢٩٠).

(٢) اعتنت رسالة "منهج أئمة الدعوة في النصيح للحاكم" للدكتور محمد العمري بدراسة جهود العلماء في مناصحة الحاكم بأبواب توحيد العبادة، وذكر فيها نماذج من مكاتبات ورسائل العلماء إلى الحكام والسلطين، التي تناولوا فيها التذكير بأهمية التوحيد والتحذير من الشرك ووسائله.

(٣) سورة الشورى، الآية (١١).

(٤) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٤).

(٥) المصدر السابق (ص ٩٧).

(٦) المصدر السابق (ص ١٠٢).

في الاعتقاد ووسمه بـ "مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصلاح" واستهله قائلاً: "إن الله تعالى واحدٌ لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ند له..."<sup>(١)</sup>.

ويبقى التذكير بتوحيد العبادة أجل ما وعظ به الملوك، وذكر به الأمراء والسلاطين؛ إذ به قوة التمكين، واستقرار الملك ودوامه، وحصول الأمن ورغد العيش، يقول ﷺ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، و﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾<sup>(٣)</sup>. حال عن "وعدمهم" أي: وعدمهم ذلك في حال عبادتهم موحدين، غير مشركين ولا كافرين<sup>(٣)</sup>.

### ٣- التذكير بتوحيد الربوبية:

الملك من أثر الربوبية، قال الوزير أبو سالم رحمه الله في "العقد الفريد": "السلطنة من أسرار الربوبية، يناط بها المراد، ويماط بها الفساد"<sup>(٤)</sup>، فالله مالك الملك يؤتي ملكه من يشاء، قال ﷺ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوِّقِيَ الْمَلِكُ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>، ولا شك أن وعظ الملوك به يترك في أنفسهم أثراً حسناً وذلك من وجهين:

الوجه الأول: تذكيرهم بنعمة الاختصاص التي خصهم الله بها، يقول الماوردي رحمه الله في

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٣).

(٢) سورة النور، الآية (٥٥).

(٣) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، تأليف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (٢/٦٣٧)، الناشر: مطبعة بولاق "الأميرية"، القاهرة - مصر، د. ط، ١٢٨٥هـ.

(٤) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٥).

(٥) سورة آل عمران، الآية (٢٦).

ذكر فضل الملوك: "منها: أن الله - جل وعز - أكرمهم بالصفة التي وصف بها نفسه، فسأهم ملوكاً، وسمى نفسه ملكاً، فقال: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup>... فليس في حكم هذا اللفظ أولى بالفضل، ولا أجزل قسماً، ولا أرفع درجة من الملوك، إذ كان البشر مسخرين لهم، وممتنين لخدمتهم، ومتصرفين في أمرهم ونهيهم"<sup>(٢)</sup>.

الوجه الثاني: تذكيرهم بقدره الله وكمال سلطانه، وهذا يحملهم على التواضع له ﷻ، ورد الفضل إليه، والخضوع بين يديه، يقول الغزالي ﷻ: "اعلم أيها السلطان أنك مخلوق ولك خالق، وهو خالق العالم وجميع ما في العالم..."<sup>(٣)</sup>، وإلى هذا المعنى يشير الشيخ علوان ﷻ في "النصائح المهمة" بقوله: "ثم إذا عرّف الملك نفسه بالعبودية ومولاه بالربوبية، لا يزال مفتقراً إليه أشد من فقر غيره إليه؛ لأنه مضطر إليه من كل وجه وبكل حال"<sup>(٤)</sup>.

إن التذكير بالربوبية مدخل الوعظ؛ لأنه محل الاعتراف، وإجماع غالب الأمم؛ ولذا كان القرآن يبدأ به في تقرير توحيد الألوهية كما هو معلوم.

#### ٤ - التذكير بتوحيد الأسماء والصفات:

من مسالك التصنيف في مناقحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد، تذكير الأئمة بتوحيد الله في أسمائه وصفاته، فـ "يوصف الله تعالى بها وصف به نفسه، وبها وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه ﷻ"<sup>(٥)</sup>، وتذكير ولاة الأمور بذلك،

(١) سورة الفاتحة، الآية (٤).

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٥٥).

(٣) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٧).

(٤) النصائح المهمة للملوك والأئمة للشيخ علون (ص ١٨٢).

(٥) العقيدة التدمرية = تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تأليف: شيخ الإسلام

تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ص ٧)، تحقيق: محمد بن عودة السعوي،

الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

وتعاهدهم به من الأهمية بمكان؛ لأن هذا القسم من أقسام التوحيد "هو الذي كثر فيه الخوض، فانقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام وهم: ممثل، ومعتدل، والمعطل: إما مكذب أو محرف"<sup>(١)</sup>.

ومن مواقف العلماء المشهورة مع ولاة الأمور في التذكير بتوحيد الأسماء والصفات، موقف الإمام أحمد المعلوم مع المأمون في فتنة القول بخلق القرآن، والذي تولى كبر القول فيها أحمد بن أبي دؤاد حين غلب المأمون على أمره فيها، حتى حمل الناس عليها<sup>(٢)</sup>، مما يؤكد أهمية استقامة أمر الإمام في أبواب الاعتقاد؛ ووجوب تعاهد تذكيره بالمنهج الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة في باب توحيد الأسماء والصفات وغيره، وهو الأمر الذي يحرص عليه العلماء المصلحون<sup>(٣)</sup>.

وقد تناولت كتب مناصحة أئمة المسلمين التذكير بتوحيد الأسماء والصفات بشيء من الذكر، فمن ذلك ما أورده الماوردي رحمته الله في الباب الخامس من كتاب "نصيحة الملوك" حيث عرّج على ما يعتقده في هذا الباب<sup>(٤)</sup>، والماوردي رحمته الله كما هو معلوم أشعري المذهب، وهو متهم بالاعتزال<sup>(٥)</sup>، ولكن الدراسة قصدت في هذا المقام الاستناد على الشاهد في إثبات التصنيف الموضوعي لمادة المناصحة في مجال الاعتقاد، وفي "التبر المسبوك" أدرج الغزالي رحمته الله الصفات -

(١) شرح العقيدة الواسطية، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١/٢٩)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ.

(٢) انظر: للاستزادة: المحنة على إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، عبدالغني المقدسي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

(٣) انظر: الدرر السنية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم (١٤/١٩٤ - ١٩٥).

(٤) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٨).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٦٧)، وانظر: ميزان الاعتزال للذهبي (٣/١٥٥)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٢٧٠).

التي يتفق عليها متأخرو الأشاعرة-<sup>(١)</sup> ضمن أصول الإيمان وهي: الحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والبصر، والسمع، والكلام، وفصل القول فيها على معتقد الأشاعرة في قاعدة الاعتقاد من كتابه<sup>(٢)</sup>، كما عرّج على ذلك الشيخ علوان رَحِمَهُ اللهُ فِي "النصائح المهمة" عند الكلام على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٣)(٤)</sup>.

إن الإيمان بالأسماء والصفات على منهج أهل السنة والجماعة، يحمل المكلف على تصحيح أمر عبادته، واستقامة سلوكه وأخلاقه، وهو غاية القرآن في الدعوة والتذكير<sup>(٥)</sup>، فمن آمن بأن الله سميع عليم، تحرز من قول ما يغضب ربه، وسارع إلى قول ما يرضيه، ومن آمن بأن الله بكل شيء عليم، حمله ذلك على كمال مراقبته وخشيته، ومن آمن بأن الله قوي رزاق، قاده ذلك إلى توحيد ربه في طلب القوة والرزق، فلا يستعين إلا به، ولا يسأل إلا إياه<sup>(٦)</sup>، وهذا ما يؤكد أهمية استعانة العلماء بهذا المسلك في وعظ الملوك والأئمة.

#### الأصل الثاني: التحذير من الشرك ووسائله:

الشرك هو منتهى الظلم، وأعظم العدوان والجرم، يقول رَحِمَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِ لِقْمَانَ الْحَكِيمِ: ﴿وَإِذْ قَالَ لِقْمَنْ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعْظُهُ وَيُبَيِّنُ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: الأشاعرة في ميزان أهل السنة، نقد لكتاب (أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم)، تأليف: أبي عثمان فيصل بن قزار الجاسم (ص ٢١)، الناشر: المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

(٢) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٨-١٠٢).

(٣) سورة الشورى، الآية (١١).

(٤) انظر: النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٤٠-١٤١).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣١٠-٣١١).

(٦) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٠٧-٢٠٨، ٣٣٠).

(٧) سورة لقمان، الآية (١٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "فقد أخبر الله ورسوله ﷺ أن الشرك ظلم عظيم، وأن الأمن هو لمن آمن بالله ولم يخلط إيمانه بشرك"<sup>(١)</sup>، فمن قارف فقد تجاوز حده وتعدى؛ "لأن أعظم العدوان الشرك وهو وضع العبادة في غير موضعها، فهذا العدوان لا بد أن يكون داخلياً في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾"<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

إن العلم بالشرك ووسائله يوصل إلى الخلوص منه، والانفكاك من شره، وتمام الإيثار بضده، وكم ممن يدعي التوحيد وهو ملابس للشرك في عبادته وعمله بسبب جهله به<sup>(٤)</sup>، وعلى الرغم من كثر النصوص الواردة في النهي عن الشرك والتحذير منه صغيره وكبيره، فإنه لا يزال ينتشر في بعض بقاع العالم الإسلامي<sup>(٥)</sup>، وهو باق في هذه الأمة كما أخبر النبي ﷺ، وقد بَوَّب الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في كتاب التوحيد "باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان"<sup>(٦)</sup>، ثم ساق الأدلة على ذلك وختمه بمسائل منها: "السادسة: وهي المقصودة بالترجمة: أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد رضي الله عنه، السابعة:

(١) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٢/٢٦٢).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٥).

(٣) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٥/٢٣).

(٤) انظر: القواعد الأربعة "مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول"، تأليف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (ص ٢ - ٣)، دراسة وتحقيق: عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد وغيره، الناشر: جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.

(٥) انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، تأليف: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي (١/١٨)، أصل الكتاب: رسالة ماجستير الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م.

(٦) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تأليف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (ص ٦٣)، دراسة وتحقيق: عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد وغيره، الناشر: جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.

التصريح بوقوعها: أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة" (١).

وهذا يوجب ملاحظة إدراج هذا المجال في تقسيماً مصنّفات مناصحة أئمة المسلمين وتبويباتها، وأن تأخذ صدارة الترتيب، فالوصية بذلك أعظم الوصية، والتنبيه عليه أهم التنبيه وأجله، ولا بد أن يحوي التحذير منه على الوسائل المفضية والمؤدية إليه، وهذا يكون باشتغال التأليف على أمرين هما:

### ١ - تحذير أئمة المسلمين من خطر الشرك الأكبر ووسائله:

الشرك بالله: عبادة غير الله معه، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله، كأن يصلي لغيره، أو يصوم لغيره، فقد كفر (٢)، وهو أعظم ذنب عصي الله به، لا يغفر الله لأهله، ولا يتجاوز عمن اقترفه؛ ولذا كان النهي عنه أعظم النهي، والاحتساب فيه مقدم على كل شيء، فليس بعد الكفر ذنب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله ﷺ فأعظمه الشرك بالله، وهو أن يدعو مع الله إله آخر" (٣).

والنصوص متضافرة في النهي عن الشرك والزجر عنه، وبيان خطره، بل جاءت صريحة في سد الذرائع المفضية إليه، فمن ذلك النهي عن البناء على القبور وتعظيمها، واتخاذها مساجد، والصلاة إليها، وإيقاد المصابيح عليها؛ لثلاث يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها، وحرّم ذلك على من قصده ومن لم يقصده (٤)، وقد بوّب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب في

(١) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٦٥).

(٢) انظر: الإيمان، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ص ٢٥٧)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان - الأردن، الطبعة الخامسة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، وانظر: الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٣٤٤)، وانظر: مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (١/ ٣٣٩).

(٣) الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٢١٠).

(٤) انظر: إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٣/ ١١٢).

ذلك باباً في كتاب التوحيد وجعله: "باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل للشرك" (١).

إن تحذير أئمة المسلمين من خطر الشرك وعظيم جرمه من أتم النصيحة لهم، والسكوت عن ذلك بإغفال ذكره ذماً وتنفيراً من غشهم، وكون المؤمن غير مقارف له لا يعني عدم التذكير بخطرته؛ إذ لا يأمن حي على نفسه الفتنة، وقد كان الخليل ﷺ يدعو ربه فيقول: ﴿وَأَجْبُنِي وَيَتِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢)، قال الطبري رحمه الله: "كان إبراهيم التيمي يقص، ويقول في قصصه: من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم ﷺ، حين يقول: رب: ﴿وَأَجْبُنِي وَيَتِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾" (٣).

وفي التحذير من الشرك وُعِظَ الأنبياءُ قاطبةً مع خيرهم ﷺ يقول ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥).

ويكون تحذير أئمة المسلمين من الشرك الأكبر بأمور منها:

أ- بيان حقيقته وحده، وذكر أفراده والأمثلة عليه؛ لأن الشرك لا يأتي على صورة واحدة، وإن كان في حقيقته على جميع الأحوال دعاء غير الله مع الله في عبادته، باختلاف أشكاله قد توهم بعض الخلق أن فعله ليس شركاً.

ب- ذكر الجزاء المترتب على الإشراف بالله، فإن الله ﷻ جعل عقاب من فعله غاية العقاب، وزجر

(١) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٦١).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٣٥).

(٣) تفسير الطبري (١٧/١٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢١/٣٢٢).

(٥) سورة الزمر، الآية (٦٥).

عنه بأعظم الزجر، حيث صيّر المشركين من أهل اليأس فقال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِكَآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وجعل ذنبهم خارجاً عن الغفران يقول ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>، وأوجب على أهله الخلود في النار والحرمان الأبدي من الجنان فقال ﷺ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾<sup>(٣)</sup>، كما أحبط باقترافه كل الأعمال الصالحة، وجعل أهله من الأخسرين أعمالاً، قال ﷺ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، إلى غير ذلك من أنواع الجزاء الثابتة في القرآن وصحيح السنة.

ج- الكشف عن الوسائل والطرق المفضية إلى الشرك، وهذا من أطف المسالك وأحذقها في حماية جناب التوحيد، والتحذير من الشرك، والبعد عنه، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سَدِّ الذَّرَائِعِ الْمَفْضِيَةِ إِلَيْهِ: "إنه ﷺ نهى الرجل أن يقول لغلامه وجاريته: عبدي وأمتي، ولكن يقول: فتاي وفتاتي، ونهى أن يقول لغلامه: وضئ ربك، أطعم ربك، سدا لذريعة الشرك في اللفظ والمعنى، وإن كان الرب هاهنا هو المالك كرب الدار ورب الإبل؛ فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة، ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد، حماية لجانب التوحيد وسدا لذريعة الشرك"<sup>(٥)</sup>.

والمقصود استحضار المصنف في مناصحة أئمة المسلمين لنوع الوسائل والسبل الواجب تداركها لسد الطرق المفضية إلى الشرك.

ولم تتطرق مصنفات مناصحة أئمة المسلمين لمجال التحذير من الشرك ووسائله في تقاسيم

(١) سورة العنكبوت، الآية (٢٣).

(٢) سورة النساء، الآية (٤٨).

(٣) سورة المائدة، الآية (٧٢).

(٤) سورة الأنعام، الآية (٨٨).

(٥) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٣/١٢٠).

الأبواب والفصول، سوى الإشارة المختصرة في النزر اليسير منها. فمن ذلك ما ذكره ابن الأزرق رحمته الله في "واجبات ما يلزم السلطان سياسة القيام بها وفاء بعهدة ما تحمله وطلب منه والمذكور منها جملة"<sup>(١)</sup>، ثم سرد الواجبات العقديّة على الإمام تجاه رعيته، وكان منها واحداً متعلق بفعل الإمام وهو قوله: "التاسع: تكفير من قام الدليل على تكفيره، إما لصراحة البدعة بالكفر، كالإباحة، والقول بالحلول والاختيار لتكفير ما يؤول منها إلى الكفر، كما ذهب إليه القاضي أبو بكر في جملة من الفرق"<sup>(٢)</sup>، كما عقد مبحثاً كاملاً في الرد على مدعي علم الغيب وتحذير السلطان منهم، وسد الطرق المفضية إلى ذلك، وغالب ما تناوله في كتابه هو نقل عن الشاطبي رحمته الله وابن العربي المالكي رحمته الله<sup>(٣)</sup>.

إن من الواجب على العلماء الناصحين توضيح خطر الشرك لأئمة السلمين وإبعادهم منه بالتحذير والنهي عنه، وإيضاح ما أجمل منه بالبيان والتفصيل الذي يدعو إليه الحال، وسد الطرق المفضية والمؤدية إليه.

## ٢- تحذير أئمة المسلمين من الشرك الأصغر:

وأما الشرك الأصغر: فهو كل ما كان ذريعة إلى الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، ونهى عنه الشارع وسماه شركاً<sup>(٤)</sup>، وهو غير مخرج من الملة، وقد يكون هذا الشرك في الأعمال أو الأقوال، فمن شرك العمل يسير الرياء، فعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((أخوف ما أخاف على

(١) بدائع السلك لابن الأزرق (٢/١٢٧).

(٢) المصدر السابق (٢/١٢٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/١٥٣).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تأليف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص ١٤٥)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الفتوى رقم [١٦٥٣] (١/٧٤٦)، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، د. ط، د. ت.

أمّتي الشرك الأصغر))، فسئل عنه، فقال: ((الرياء))<sup>(١)</sup>، أما شرك الأقوال فمثاله: الحلف بغير الله، والدليل على ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))<sup>(٢)</sup>، وقد يصير هذ الشرك شركاً أكبر بحسب ما يقوم في قلب صاحبه، فمن عظم المخلوق أكثر من تعظيمه لله، فقد كفر كفراً مخرجاً من الملة<sup>(٣)</sup>، وكذا إذا كان الرياء في عقد الإيمان<sup>(٤)</sup>، ومثله المتطير إذا اعتقد في المتطير به علم الغيب، أو أن له أثراً في تدبير الخلق، فقد تلبس صاحبه بالشرك الأكبر أيضاً<sup>(٥)</sup>.

إن تنبيه الولاة والأئمة بخطر الشرك الأصغر والخوف عليهم منه، وكذا الترغيب في ضده، هو سبيل الناصحين من الدعاة، وخلق الصادقين من العلماء، وعليه درج علماء السلف، فقد كتب سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما كتاباً يقول فيه: "فإن عون الله على قدر النية، فمن تمت نيته في الخير تم عون الله له، ومن قصرت نيته قصر من العون بقدر ما قصر منه والسلام"<sup>(٦)</sup>، وفي هذا الكتاب حث للإمام على تجريد نيته من دخائل الشرك الأصغر،

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم [٤٣٠١] (٤/٢٥٣)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٦٣٥).

(٢) رواه الترمذي في سننه، أبواب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف برقم [١٥٣٥] (٣/١٦٢)، وقال: "هذا حديث حسن"، ورواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب الإيمان والنذور برقم [٧٨١٤] (٤/٣٣٠)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي وقال: "على شرط البخاري ومسلم".

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (ص ٥١٤).

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/١١٣).

(٥) انظر: الدرر السننية، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١١/٤١).

(٦) الزهد، تأليف: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني برقم [١٧٣٨] (ص ٢٤٤)، وضع حواشيه: محمد عبدالسلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

وتخليصه من مآرب النفس وشهواتها، وذلك بقصد الرب وحده في تحصيل الخير والاستعانة به على ذلك.

ومن المسائل التي تناولتها كتب مناصحة أئمة المسلمين في هذا الباب، مسألة التحذير من الطيرة، فقد عقد الماوردي رحمته الله في كتابه "تسهيل النظر" فصلاً من باب "أخلاق الملك" يقول فيه: "وليعلم الملك أن من أقوى الأمور في نقض العزائم: اعتقاد الطيرة، فإنه لا شيء أضر بالرأي، ولا أفسد للتدبير منها، مع ورود السنة باجتنابها، والنهي عنها، فما الأقدار إلا بقضاء محتوم، وأجل معلوم..."<sup>(١)</sup>، وقد أعاد فيها القول في كتابه "درر السلوك"<sup>(٢)</sup>.

ومن المسائل أيضاً نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان الكهان، حيث عده ابن الأزرق من جملة المنكرات التي نهى عنها الأئمة، وأبان عن معتقد الموحدين فيه<sup>(٣)</sup>.

إن بُعد المكلف من الشرك الأصغر، وحرصه على التطهر من أدراجه، أمان له بإذن الله من مقارفة الشرك الأكبر، وإن مسؤولية العلماء تعظم تجاه الأمة فيه، خاصة مع ولادة أمرهم؛ لخفاء هذا النوع على كثير من المكلفين، مع كثرة ابتلاء الأمة به، ولا أدل على ذلك من انتشار كثرة الحلف بغير الله، والطيرة، والتساهل في استجلاب محمدة الناس في الطاعات، وغير ذلك.

### ثانياً: تذكير أئمة المسلمين بأصول الإيمان:

الدين الإسلامي عقيدة وشريعة، وأصول عقيدته الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره<sup>(٤)</sup>، وهي أركان الإيمان التي دل عليها الكتاب والسنة، ففي الكتاب يقول صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ

(١) تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٣٦ - ٢٣٧).

(٢) انظر: درر السلوك للماوردي (ص ٨٣).

(٣) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ١٥١) (٢/ ١٣٣).

(٤) انظر: شرح أصول الإيمان، تأليف: محمد بن صالح العثيمين (ص ١٣)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض -

المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴿١﴾، ويقول ﷺ في القدر: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٢﴾، أما السنة فيقول النبي ﷺ في إجابته عن سؤال جبريل ﷺ حين سأله عن الإيمان: ((الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) ﴿٣﴾. إن أصول الإيمان هي أركانها وأجزاء ماهيتها، ومتى زال بعضها زال كله ﴿٤﴾، وتذكير أئمة المسلمين بأصول الإيمان، وتوضيح مسائلها، من أولى أبواب المناصحة وأوجبها، وهي دليل النصيحة، وعلامة الصدق معهم، وفيما يلي بيان ما يتعلق بوعظ وتذكير أئمة المسلمين بأصول الإيمان في مصنفات المناصحة:

#### الأصل الأول: تذكير أئمة المسلمين بالإيمان بالله:

إن الإيمان بالله هو أصل هذه الأصول وأساسها، والتذكير به أشرف التذكير وأجله، يقول ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٥﴾، يقول القرطبي رحمه الله: "نزلت في جميع المؤمنين، والمعنى: يا أيها الذين صدقوا، أقيموا على تصديقكم واثبتوا عليه" ﴿٦﴾.

والإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، وهو أفضلها وأعلاها، والإيمان بأسمائه وصفاته ﴿٧﴾، وهذا الأصل سبق الكلام عليه في العنصر الأول بما يغني

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٧).

(٢) سورة القمر، الآية (٤٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة برقم [٨] (٣٦/١).

(٤) انظر: حاشية الأصول الثلاثة لعبدالرحمن بن قاسم (ص ١٠١).

(٥) سورة النساء، الآية (١٣٦).

(٦) تفسير القرطبي (٤١٥/٥).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٣/٣٦٤)، وانظر: شرح أصول الإيمان لابن عثيمين

عن إعادته.

### الأصل الثاني: تذكير أئمة المسلمين بالإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان في الدين، لا يقوم الإيمان إلا به، وقد نص القرآن على ذلك في كتابه، وأخبر عنه النبي ﷺ في سنته، فمن أدلة الكتاب قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَوَالِكْتِبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَوَالِكْتِبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَوَكُتِبِهِ ءَوَرَسُولِهِ ءَوَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(١)</sup>، وإطلاق الكفر على من أنكر هذه الأركان ووصفه بالبعد في الضلال، دليل على أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان، وأن تركه مخرج من الملة<sup>(٢)</sup>، ودل على ركنية الإيمان بالملائكة من السنة إجابة النبي ﷺ لجبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان وفيه: فأخبرني عن الإيمان، قال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)).

والملائكة عالم غيبي مخلوق، خلقه الله من النور، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، وهم مربوبون مسخرون، وعباد مكرمون، منحهم الله الانقياد التام لأمره والقوة على التنفيذ، فلا يعصون ربهم ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولا يوصفون بالذكر ولا بالأنوثة، لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يملون ولا يتعبون، ولا يتناكحون، ولا يعلم عددهم إلا الله<sup>(٣)</sup>.

(ص ٥-٢٦).

(١) سورة النساء، الآية (١٣٦).

(٢) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: نخبة من العلماء (ص ١٠٥ - ١٠٦)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، تأليف: شمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (١/٤٤٧)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكبتها، دمشق - سوريا، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، وانظر: أعلام السنة للحافظ الحكمي (ص ٧٨)، وانظر: شرح أصول الإيمان ابن عثيمين (ص ٢٧).

و لا بد أن يتضمن التذكير بهذا الركن في كتب مناصحة أئمة المسلمين عدة أمور:

١- التذكير بوجوب الإيمان بوجودهم، فالإقرار بوجودهم والتصديق بهم، من الامتحان بالغيبات، يقول الماوردي رحمته الله في "نصيحة الملوك" عندما تحدث عن الأمور التي تساس بها النفس وتهذب: "وتشتمل على أفعال كثيرة، وهي تنقسم إلى خمسة أقسام: أولها معرفة الله تعالى حق معرفته... ثم الإيمان بملائكته وكتبه ورسوله..."<sup>(١)</sup>.

٢- التذكير بوجوب الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في الأمور التي يجب أن يتضمنها الإيمان بالملائكة: "الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه كـ"جبريل" ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم أجمالاً"<sup>(٢)</sup>، وينبه المكلف أنه متى ما بلغه العلم باسم ملك وجب الإيمان به، مثل: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وهاروت، وما روت، ورضوان، ومنكر نكير، ونحو ذلك، كما يُذكَرُ المكلف بوجوب الإيمان بصفاتهم، مثل: صفة جبريل، "فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه على صفته التي خُلِقَ عليها، وله ستائة جناح وقد سد الأفق، وقد يتحول الملك بأمر الله إلى هيئة رجل، كما حصل لجبريل عليه السلام حين أرسله الله تعالى إلى مريم، فتمثل لها بشراً سوياً"<sup>(٣)</sup>.

٣- التذكير بوجوب الإيمان بما علم من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله، مثل: جبريل الموكل بالوحي، وميكائيل الموكل بالقطر، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، ونحو ذلك<sup>(٤)</sup>، والتذكير بذلك إجمالاً وتفصيلاً من أساليب الوعظ التي انتهجها بعض مصنفي كتب مناصحة أئمة المسلمين، حيث ختم ابن الأزرق رحمته الله كتابه "طبائع السلك" بخاتمة في "سياسة المعيشة والناس" وقدم لها بمقدمتين: إحداهما في التقوى، والأخرى في حسن الخلق، ونقل عن أحد

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١١٦).

(٢) شرح أصول الإيمان ابن عثيمين (ص ٢٧).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٨).

(٤) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٤).

العلماء في موضوع التقوى: "الأحكام المتعلقة بأقوال العباد وأعمالهم، وهي خمسة عشر حكماً منصوباً عليها، من علمها مع تلك الفوائد، فقد توفرت عنده دواعي التقوى، وعلم علومها"<sup>(١)</sup>، ثم شرح هذه الأحكام مفصلة بعد سردها عدداً وهي: الاطلاع، والترقب، والتلقي، والحفظ، والإملاء، والكتب، والاستنساخ، والتعاقب، والمقابلة، والعرض، والدعاء، والأداء، والرؤية، والوزن، والجزاء، وغالبها من عمل الملائكة المكلفين بعمل العباد<sup>(٢)</sup>، كما أشار إلى ذلك الغزالي في الأصل العاشر من أصول شجرة الإيمان<sup>(٣)</sup>.

والملائكة من عالم الغيب الذي يفتقر إلى الوحي فلا يجوز التخرص والقول فيه بالظنون، ويستحب أن يذكر الناصح الملوك والسلاطين بهذا العالم العظيم، كما ينبههم بكثرة عددهم التي لا يعرفها إلا الله، وبتفاضل منازلهم وعلو شأنهم عند ربهم، من غير غلو ولا تقصير، كما يذكرهم أيضاً بعبادتهم وإذعانهم؛ لأن هذا يدلهم على عظمة الرب مع استغنائه عن خلقه كما قال ﷺ: ﴿إِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

#### الأصل الثالث: تذكير أئمة المسلمين بالإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب التي أنزلها على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم ركن عظيم من أركان الإيمان، وأصل عظيم من أصوله العظام التي يبنى عليه، فلا يصح إيمان عبد، حتى يؤمن إيماناً أن هذه الكتب نزلت من عند الله، وأن الله تكلم بها حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، وأن ما تضمنته حق لا مرية فيه قبل وقوع التحريف فيها<sup>(٥)</sup>، وقد دل على وجوب ذلك القرآن والسنة،

(١) بدائع السلك لابن الأزرق (٢/٣٨٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٣٨٨).

(٣) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٤) سورة فصلت، الآية (٣٨).

(٥) انظر: شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص ٣٢) وانظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب السنة لنخبة من العلماء (ص ١٢٧).

فمن القرآن قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ ءَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(١)</sup>، ومن السنة قوله ﷺ في حديث جبريل ﷺ المشهور، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: (( أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)).

ولا بد من اشتغال مصنفات أئمة السلمين في التذكير بذلك على عدة أمور:

١- الإيمان بوجودها، وأنها منزلة من عند الله، وأنها كلام الله تكلم بها حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته<sup>(٢)</sup>، ومما ذكر من التنبيه على الإيمان بالكتب في مصنفات المناصحة قول الماوردي رحمه الله: "ثم الإيمان بملائكته وكتبه ورسله..."<sup>(٣)</sup>.

٢- الإيمان بما علم منها باسمه كالقرآن الذي أنزل على نبينا ﷺ، والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزبور الذي أوتيه داود ﷺ، وصحف إبراهيم ﷺ، ومالم يسم فيجب الإيمان به إجمالاً<sup>(٤)</sup>، يقول أبو سالم القرشي رحمه الله في "العقد الفريد": "والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله، والقرآن الكريم مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب"<sup>(٥)</sup>.

٣- التصديق الجازم بما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، أما بقية الكتب فيؤمن بأصولها

(١) سورة النساء، الآية (١٣٦).

(٢) انظر: شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص ٣٢).

(٣) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٩).

(٤) وانظر: شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرع الصالحى الدمشقي (ص ١٩٨)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث، العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت؛ وانظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنبذة من العلماء (ص ١٣٣).

(٥) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٤).

بخلاف ما وقع في أيدي الناس من المحرف والمبدل<sup>(١)</sup>.

٤- العمل بأحكام ما لم ينسخ، والرضا والتسليم به، سواء فهم العباد حكمته، أم لم يفهموها، واعتقاد أن جميع هذه الكتب منسوخة بالقرآن العظيم<sup>(٢)</sup>.

إن تذكير أئمة المسلمين بهذا الأصل، وجلاء مسأله، ونفي الشبه عنها من الأهمية بمكان؛ لأن الشأن مع الإمام يتعلق بأمر عظيم، وهو مصدر التلقي في الحكم، ورد التنازع إليه، كما قال ﷺ: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

#### الأصل الرابع: تذكير أئمة المسلمين بالإيمان بالرسول:

يجب الإيمان بمن سمي الله - تعالى - في كتابه من الأنبياء والمرسلين، والإيمان بأنه - سبحانه - أرسل رسلاً سواهم وأنبياء لا يعلم أسماؤهم وعددهم إلا الله، كما قال ﷺ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾<sup>(٤)</sup>.

والإيمان بالرسول واجب من واجبات الدين، وأصل من أصوله التي يقوم عليها، و"يجب أن يكون الإيمان بهم جامعاً عاماً مؤتلفاً، لا تفريق فيه ولا تبعض ولا اختلاف، بأن يؤمن بجميع الرسل، وبجميع ما أنزل إليهم، فمن آمن ببعض الرسل، وكفر ببعض، أو آمن ببعض ما أنزل الله وكفر ببعض فهو كافر"<sup>(٥)</sup>، وقد دل على ركنية الإيمان بالرسول الكتاب والسنة، فمن

(١) انظر: منهج ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري، تأليف: محمد إسحاق كندو (٣/١١٣٧)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١/٢١٩)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ١٩٨)، وانظر: شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص ٣٢).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٨).

(٤) سورة النساء، الآية (١٦٤).

(٥) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٢/١١).

الكتاب قوله ﷺ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (١)، ومن السنة حديث جبريل عليه السلام المتقدم، وفيه أن النبي ﷺ أجاب جبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)). ويتضمن تذكير أئمة المسلمين بهذا الركن أموراً منها:

١- تذكيرهم بأن رسالتهم حق، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بجميع الرسالات، يقول ﷺ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢) فجعل - سبحانه - المكذب بواحد منهم مكذباً لرسول الله أجمعين (٣).

٢- الإيمان المجمل بأن الله قد أقام الحجة بإرسال الرسل، يقول ﷺ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٤)، والإيمان المفصل بما علم من أسمائهم وذكر في القرآن أو صحيح السنة، مثل: أولى العزم من الرسل وغيرهم (٥).

٣- "تصديق ما صح من أخبارهم" (٦).

٤- الحث على العمل بشريعة نبي هذه الأمة ﷺ (٧)، وهو نبي الثقلين، يقول ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٠٥).

(٣) انظر: شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص ٣٦).

(٤) سورة الإسراء، الآية (١٥).

(٥) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنبذة من العلماء (ص ١٦٧)، وانظر: شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص ٣٧).

(٦) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص ٣٧).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٣٢).

وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا ﴿١﴾.

تناولت كتب مناصحة أئمة المسلمين هذا الركن بشيء من الذكر، وأخذت به في موعظة الملوك والسلاطين، حيث جعله ابن الجوزي رحمته في كتابه "الشفاء" سبباً في انقياد الولاة لأوامر الله، ومعلماً للملوك بجسامة ما حملوا، حيث يقول: "وينظر في معجزات النبي ﷺ وما أظهره الله على يديه من الدلائل والمعجزات، فيعلم صدقه، فيوجب ذلك عليه الانقياد إلى الشريعة، ويعلم بالشرع أنه قد قلد أمراً عظيماً"<sup>(٢)</sup>، ويؤصل لذلك الغزالي رحمته في قاعدة الاعتقاد قائلاً: "ولما قدر الله تعالى هذا التقدير، وجعل أفعال الإنسان وأحواله، واكتسابه وأعماله، منها ما هو سبب لسعادته، ومنها ما هو سبب لشقاوته، والإنسان لا يقدر أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه، خلق الله تعالى بحكم فضله ورحمته، وطوله ومنتته ملائكة، وبعثهم إلى أشخاص قد حكم لهم بالسعادة في الأزل وهم الأنبياء - عليهم السلام - فأرسلهم إلى الخلق ليوضحوا لهم في طرق السعادة والشقاوة؛ لئلا يكون للناس على الله حجة"<sup>(٣)</sup>، ثم تحدث عن رسالة النبي ﷺ خاصة<sup>(٤)</sup>، ويختم بهذا الركن أبو سالم رحمته معتقده المدرج في "العقد الفريد" فيقول: "ثم بعد اعتقاده كلمة التوحيد على ما ذكرناه يجب التلفظ بالشهادة بأن محمداً ﷺ بعثه برسالته إلى الخلائق كافة، وجعله خاتم الأنبياء..."<sup>(٥)</sup>.

إن الاهتمام بهذا الأصل في مجال موعظة الملوك يزرع في نفوسهم إجلال الرسالة والرسول، ومشاهدة رحمة الله وعدله، الأمر الذي يحملهم على حسن الاتباع، وإجلال الشرائع.

(١) سورة النساء، الآية (٦٥).

(٢) الشفاء لابن الجوزي (ص ٥٥).

(٣) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٠٤ - ١٥).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٥).

(٥) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٤).

### الأصل الخامس: تذكير أئمة المسلمين بالإيمان باليوم الآخر:

إن الإيمان باليوم الآخر أمر معلوم من الدين بالضرورة، وهو أصل من أصول الإيمان وأركانه الجسام، واليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء، وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة فيها، وأهل النار في منازلهم<sup>(١)</sup>، ويدخل فيه كل ما كان بعد موت الإنسان حتى تقوم الساعة، يقول شيخ الإسلام رحمته الله: "ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت"<sup>(٢)</sup>.

وقد دل القرآن على وجوب الإيمان به وكذا السنة الصحيحة، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٣)</sup>، فجعل المكذب والكافر به خارجاً من الدين، ومن السنة حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)).

والتذكير به أعظم تذكير؛ إذ به ترق القلوب، ويرغب العباد أو يزجرون يقول صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُورًا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَنْ وَدَيْهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازِعٌ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾<sup>(٤)</sup>، وينبغي لناصح أئمة المسلمين أن يُضَمَّن موعظته باليوم الآخر أموراً منها: التذكير بالبعث، والجزاء والحساب، والتصديق بالجنة والنار، ونحو ذلك.

وقد تناولت بعض مصنفات مناصحة أئمة المسلمين التذكير بهذا الأصل، فمن ذلك قول الماوردي رحمته الله: "ثم الإيمان بملائكته... والبعث والنشور والثواب والعقاب والوعد

(١) انظر: شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص ٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٣/ ١٤٥).

(٣) سورة النساء، الآية (١٣٦).

(٤) سورة لقمان، الآية (٣٣).

والوعيد..<sup>(١)</sup>، وأفرد الغزالي له أصلاً مستقلاً في قاعدة الاعتقاد يقول فيه: "الأصل التاسع: في ذكر الآخرة: وأنه تعالى خلق العالم من نوعين: جسد وروح، وجعل الجسد منزلاً للروح لتأخذ زاداً لآخرتها من هذا العالم، وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد، فأخر تلك المدة هو أجل تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان، فإذا جاء الأجل فرّق بين الروح والجسد، وإذا وضع الميت في قبره أعيدت روحه إلى جسده ليجيب سؤال منكر ونكير، وهما شخصان هائلان عظيمان، فیسألانه من ربك؟ ومن نبيك؟ فإن استعجم ولم يجب عذّباه وملاً قبره حيات وعقارب، ويوم القيامة يوم الحساب والمكافأة والمناقشة والمجازاة...<sup>(٢)</sup>، ثم أسهب في ذكر أهوال القيامة وعرضاتها، وما يجب الإيمان به فيها، مثل: الشفاعة، والميزان، والصراط، ونشر الصحف، ونحو ذلك<sup>(٣)</sup>.

كما تناول ابن طوغان الحنفي في الباب السادس من كتابه بعض المسائل المتعلقة باليوم الآخر، مثل: مستقر الأرواح بعد الموت، وعذاب القبر ونعيمه، وأرواح الشهداء، ومسألة خلود الأرواح وموتها، وغير ذلك<sup>(٤)</sup>.

ولا شك أن الإيمان باليوم الآخر يقتضى الاستعداد له؛ ولذا عظم التذكير به، وقد كان من هدي النبي ﷺ في التذكير والأمر والنهي ربط الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله تعالى فيه، مثل قوله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))<sup>(٥)</sup>، وقوله ﷺ: ((لا يحل

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١١٦).

(٢) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٠٢-١٠٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٠٢-١١٠).

(٤) انظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١٣١-١٦٩).

(٥) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره برقم

[٥٦٧٢] (٥/ ٢٢٤٠)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم

الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان برقم [٤٨] (١/ ٦٩).

لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، تسافر مسيرة ثلاث ليال، إلا ومعها ذو محرم<sup>(١)</sup>، وغير ذلك مما يدل على أهمية هذا الركن في حث العباد على الأوامر، وزجرهم عن النواهي.

الأصل السادس: تذكير أئمة المسلمين بالإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان مكلف إلا بها، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله ﷺ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ومن السنة حديث عمر في سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان قال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))، يقول النووي رَحِمَهُ اللهُ: "تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله ﷻ"<sup>(٣)</sup>. وكل ما كان ويكون في الخلق من خير وشر فهو بتقدير الله، وعلم الله سابق له، ولا يكون شيء في الكون إلا بمشيئته وقدرته<sup>(٤)</sup>، ويكون تذكير أئمة المسلمين بهذا الركن متضمناً لعدة أمور منها:

١- التذكير بوجوب الإيمان بمراتب القدر الأربع وهي:

أ- الإيمان بعلم الله الشامل المحيط بالأشياء.

ب- الإيمان بكتابة الله لمقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.

ج- الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته التامة، فما شاءه كان وما لم يشأ لم يكن.

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، أبواب تقصير الصلاة، باب في كم يقصر الصلاة برقم [١٠٣٨]

(٢) (٣٦٩/١)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره برقم [١٣٣٨]

(٣) (٩٧٥/٢) واللفظ له.

(٤) سورة القمر، الآية (٤٩).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٥٥).

(٦) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد

شمس الدين ابن قيم الجوزية (ص ٢٩)، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبيص، الناشر: دار

الفكر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، وانظر: شرح العقيدة الواسطية ابن عثيمين (١/٢١).

د- الإيمان بأن الله خالق كل شيء<sup>(١)</sup>.

٢- تذكيرهم بأن العباد غير مجبرين على أعمالهم، وأن الله جعل لهم مشيئة لا تخرج عن مشيئته، يقول ﷺ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾<sup>(٢)</sup> يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: "ومن تمام الإيمان بالقدر العلم بأن الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون، بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم"<sup>(٣)</sup>.

٣- ربط قلوب أئمة المسلمين بالله في السراء والضراء؛ ليكونوا صابرين عند البلاء، وشاكرين عند النعماء، يقول ﷺ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup> لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾<sup>(٥)</sup>، ويستحب أن يذكروا بمرتبة الرضا بالقضاء، "فإن الرضا من مقامات الإحسان التي هي من أعلى المندوبات"<sup>(٥)</sup>.

ولا ينبغي الخوض في مسائل القدر، وطرح شبهه في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين، فإن الله رضي من المكلفين بالإيمان المجمل، و"لا ريب أن من لقي الله بالإيمان بجميع ما جاء به الرسول ﷺ مجملاً، مقراً بما بلغه من تفصيل الجملة، غير جاحد لشيء من تفاصيلها أنه يكون

(١) انظر: متن العقيدة الواسطية، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ص ٧١)، اعتنى بها وحقق نصوصها ونسقتها وقدم لها: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، الناشر: أضواء السلف، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م؛ وانظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدين ابن قيم الجوزية (ص ٦٦)، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢) سورة الكهف، الآية (٢٩).

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد، تأليف: أبي عبدالله، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ص ١٧٨)، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة الثالثة، د.ت.

(٤) سورة الحديد، الآية (٢٢ - ٢٣).

(٥) شفاء العليل لابن قيم الجوزية (ص ٢٧٨).

بذلك من المؤمنين"<sup>(١)</sup>.

وقد تطرق مصنفو كتب مناصحة أئمة المسلمين لهذا الركن، وتناولوه في مضامين تأليفهم، حيث أفرد له الطرطوشي رحمته الله باباً مستقلاً في كتابه "سراج الملوك"، يقول فيه: "الباب الثاني والستون: في القضاء والقدر والتوكل والطلب: اعلم - وفقك الله - أن مذاهب أهل الحق في القضاء والقدر وخلق الأفعال وإرادة الكائنات متيسرة، ولا يخرج من عمله وقضائه وقدره وحكمه حادث، فمن خالفنا في القضاء والقدر وافقنا في العلم، وقد تباين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم... ولم نضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتجاج لكل فريق؛ لأن ذلك يستدعي مجلدات وأسفاراً، وإنما نذكر في هذا الكتاب أحكاماً ظاهرة قريبة من العقول لتقريب الفائدة على الناظر فيه"<sup>(٢)</sup>، وقد أعادها نقلاً عنه ابن طوغان الحنفي رحمته الله في كتابه "البرهان في فضل السلطان"<sup>(٣)</sup>.

ومن حسن توظيف الوعظ بهذا الركن ما قدمه ابن ظفر الصقلي رحمته الله في "سلوان المطاع" حيث أفرد له باباً مستقلاً - سلوانة - ووسمها بـ "سلوانة الرضا" وقد أجاد القول في هذا المقام، مستدلاً بنصوص الوحيين فيه، ومستشهداً بقول الحكمة ومنتثور الأدب ونظمه<sup>(٤)</sup>.

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/٣٥١).

(٢) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٤٦٦).

(٣) انظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ٧٤-٨٢).

(٤) انظر: سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي (ص ٢٢٧-٢٦٨).

## المطلب الثاني

### مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد المتعلقة بمسؤوليتهم

الإمامة كما هو معلوم "موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"<sup>(١)</sup>، فليس المقصود بها الدنيا فقط؛ لأنها من حيث فئاتها عبث وباطل، وهو ﷺ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، والشرائع هي الحماله لهم على هذا الحق حتى في الملك العضوض لاجتماع الناس<sup>(٣)</sup>، فالغاية العليا، والمقصد السامي للإمامة بكل ما عنت، هو إقامة الدين وحراسته وحفظه، وأعلى ذلك وأجله وأشرفه هو توحيد الله، ومحاربة ما ينفي أصل ذلك أو ينافي كماله، يقول الشيخ علوان رحمه الله في قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>: "ليعم كل ممكن ملكاً، أو مملوكاً، أميراً، أو وزيراً، قاضياً، قاصياً كان أو دانياً، لكن الإمام والسلطان من باب أولى وأولى، فيتعين عليه وعلى من في معناه ما أشارت إليه الآية الكريمة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة قولاً وفعلاً في خاصة نفسه وعامة رعيته؛ لأن الله تعالى ما خوله نعمه وأعطاه ملكه؛ ليأكل ويشرب، ويلهو ويلعب، ويفرح ويطرب، إنما أعطاه ذلك؛ ليكون لدينه ناصراً، ولعدوه خاذلاً قاهراً، يخلف أنبياءه ورسله في إنفاذ مراسيم الربوبية، وإمضاء أحكام الألوهية، وإلجاء العباد إلى القيام بوظائف العبادة على وجه العبودية"<sup>(٥)</sup>.

ويتناول الباحث في هذا المطلب موضوعات مناصحة أئمة المسلمين العقدية المتعلقة بوظيفتهم وواجبهم، ويدخل في ذلك واجب الرعية فيهم، مثل: مسألة لزوم الجماعة، ومسألة

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٥).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٣) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/١٩٢).

(٤) سورة الحج، الآية (٤١).

(٥) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ٧٦).

الطاعة، فإنها من مباحث العقيدة التي تناولتها تلك المؤلفات من حيث ارتباطها بالإمامة، يقول الطرطوشي رحمته الله في الطاعة: "الباب الخامس عشر: في بيان الخصلة التي يعز بها السلطان وهي الطاعة"<sup>(١)</sup>، وتعرض الدراسة تلك الموضوعات من خلال النقاط الآتية:

### أولاً: التذكير بمشروعية الحكم بما أنزل الله:

من الموضوعات المشتركة بين كتب مناصحة أئمة المسلمين الحديث عن قيمة العدل الذي هو قوام الملك، وحارس الدول، يقول الطرطوشي رحمته الله في صفات الملك: "أول الخصال وأحقها بالرعاية: العدل الذي هو قوام الملك، ودوام الدول، ورأس كل مملكة، سواء أكانت نبوية أو اصطلاحية"<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت المصنفات لعلماء الإسلام، وموجهة لحكام المسلمين، كان تفسير العدل هنا هو الحكم بما أنزل الله، يقول شيخ الإسلام رحمته الله: "يقول رحمته الله: ﴿فَإِنْ جَاءَكَ فَاحِكْمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾"<sup>(٣)</sup>، وقال رحمته الله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾"<sup>(٤)</sup>، فأمر - سبحانه - أن يحكم بالقسط، وأن يحكم بما أنزل الله، فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله، فما أنزل الله هو القسط، والقسط هو ما أنزل الله؛ ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل؛ لقوله رحمته الله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾"<sup>(٥)</sup>، فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبداً، والشرع الذي يوجب على حكام المسلمين الحكم به عدل كله، ليس في الشرع

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٤٥).

(٢) المصدر السابق (ص ١٢٦).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٢).

(٤) سورة المائدة، الآية (٤٨).

(٥) سورة النساء، الآية (٥٨).

ظلم أصلاً، بل حكم الله أحسن الأحكام، والشرع هو ما أنزل الله، فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل" (١).

ومناصحة أئمة المسلمين بالحكم بما أنزل الله بواسطة الدعوة إلى العدل وإقامته والحفاظ عليه معلوم، يقول الموصلي رحمته الله في الفصل الأول: "العدل: ... دليله في الكتاب والسنة، قال رحمته الله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢)، وقال رحمته الله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣)، وقال رحمته الله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤)، فمن لم يحكم بما أنزل الله تعالى وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اجتمعت فيه هذه الأوصاف الثلاثة: الظلم، والكفر، والفسوق" (٥).

وقد يتناول مصنفو مناصحة أئمة المسلمين مسألة الحكم بما أنزل من خلال بسط الحديث عن إقامة الحدود، يقول الشيخ علوان رحمته الله: "إذا تبين له حكم الله تعالى من كتاب، أو سنة، أو غير ذلك من القواعد المعمول بها في الشريعة، تحتم عليه إنفاذه وإمضاؤه، ولذلك خلفه الله تعالى، وفيه أقامه، فمن العدل إقامة الحدود والعقوبات ونحوها على القانون الشرعي المحمدي" (٦).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن كتب مناصحة أئمة المسلمين عندما تعالج قضية العدل من خلال بيان مشروعية الحكم بما أنزل الله، فإنها لا تعرج على وجه صلتها بالعقيدة،

(١) منهاج السنة لابن تيمية (١٢٨/٥).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٥).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٤).

(٤) سورة المائدة، الآية (٤٧).

(٥) حسن السلوك للموصلي (ص ٥٥ - ٥٦).

(٦) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٤٦).

ومعلوم أن ارتباط تحكيم الشريعة بالاعتقاد كبير وأصيل، حيث تنوعت أوجه الصلة فيه، فأحياناً يربط بتوحيد العبادة، ومرة بتوحيد الربوبية، وأخرى بتوحيد الأسماء والصفات، وأحياناً يربط بالإسلام أو الإيمان أو الشهادتين، وهذا معلوم في مباحث التوحيد والعقيدة، ولكن المقصود هو التأكيد على استحضر هذه المسألة في حث ولالة الأمور وتذكيرهم بها.

### ثانياً: حث أئمة المسلمين على إقامة الدين ومجاربة البدع:

من الواجبات المعلومة على أئمة المسلمين حراسة الدين عن الشبه والضلال، وقمع أهل الزيغ والبدع، يقول الماوردي رحمته الله في الأمور التي تلزم الإمامة: "حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له المحجة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروساً من الخلل، والأمة ممنوعة من زلل"<sup>(١)</sup>، وقد تناقلت كتب المناصحة جملة الماوردي رحمته الله بنصها كما فعل القلقشندي في "مآثر الإنافة"<sup>(٢)</sup> وغيره، أو بمعناه كما هو الحال في "بذل النصائح الشرعية" لأبي حامد المقدسي<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن إقامة الدين على أصوله المستقرة المعلومة، وحراسته من البدع والضلال، من أوجب الواجبات على أئمة المسلمين<sup>(٤)</sup>، وهي فريضة الله عليهم، وعملهم في ذلك الواجب العظيم من وجهين:

**الوجه الأول:** حفظه من جانب الوجود، وذلك بإقامة أركانه، ورعاية مكملاته، وبث الدعوة إليه.

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠).

(٢) انظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (ص ٥٩).

(٣) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (ص ١٠٦).

(٤) انظر: غياث الأمم للجويني (ص ١٨٤)، وانظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ٢٧).

الوجه الثاني: حفظه من جانب عدم، وذلك بدرك الخلل الواقع والمتوقع فيه<sup>(١)</sup>.

ويكمن واجب العلماء حيال ذلك الأمر في مناصحة أئمة المسلمين من خلال الأمور

الآتية:

١- تذكير السلطان بمشروعية تبجيل السنة وقمع البدع؛ ليعظم ذلك في قلوب الرعية،

يقول ابن الأزرق رحمته الله: "تنبيه سلطانه على إمضاء التغيير لما يخل بحفظ الشريعة بإحياء سننها وقمع البدع فيها، مع إحالة ذلك عليه بعد مبادرته هو لواجب التغيير بنفسه؛ ليظهر للناس أن عناية السلطان بذلك فوق ما أهمه هو من العناية به"<sup>(٢)</sup>.

٢- حث ولاة الأمور على تبجيل علماء السنة وإكبارهم، وتمكينهم من التدريس والتعليم،

يقول أبو الحسن العباسي رحمته الله في "آثار الأول": "فأما العلماء وحفاظ الشريعة الذين على السنة فيجب على الملك احترامهم وإكرامهم؛ لأنهم يحفظون قواعد الشرع الذي هو يجرسه، ويذب عنه، ويقاتل من يعانده، فيرفع طبقاتهم على مقاديرهم من العلوم والتبحر فيها"<sup>(٣)</sup>.

٣- تحذير الملوك من علماء السوء، ودعاة البدع، وتذكير الأئمة بوجوب إبعادهم وزجرهم،

يقول أبو الحسن العباسي رحمته الله: "ثم ينظر في المتفهمة الذين يتحلون البدعة ويدعون إليها، ويخالفون ما عليه الجمهور ويردعهم، ويفرق جمعهم، وكذلك يمنع من التعصب للمذاهب والمغالاة في ذلك، فإنها تؤدي إلى فتن عظيمة وخطوب جسيمة، وقد خرب كثير من بلاد المشرق بهذا السبب"<sup>(٤)</sup>، كما أن في إبعادهم إهانةً ووضعاً للبدع حتى لا

(١) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/١٩٥).

(٢) بدائع السلك لابن الأزرق (٢/٩٣).

(٣) آثار الأول للحسن العباسي (ص ١١٦).

(٤) المصدر السابق (ص ١١٦).

تقوى في النفوس بقوة السلطان<sup>(١)</sup>.

٤ - بيان حقيقة المذاهب الخبيثة، والبدع المضلة للملوك والسلاطين، وقد عقد نظام الملك الطوسي رحمته الله فصلاً كاملاً في ذلك يقول فيه: "الفصل الثالث والأربعون: في عرض أحوال ذوي المذاهب الخبيثة أعداء الملك والإسلام"<sup>(٢)</sup>، وقد استهل كلامه بالإفصاح عن محبته وولائه للملك، وأن ما يكتبه هو مقتضى محبته وصدق ولائه للملكه<sup>(٣)</sup>.

٥ - إرشاد الأئمة والسلاطين إلى اتباع المنهج الشرعي في كف أهل البدع والضلال، وقد عقد ابن الأزرق رحمته الله في ذلك خمسة عشر طريقاً لإيضاح ذلك الأمر، مثل: التعليم، وإقامة الحجّة، والمهجران، والضجر، وترك عيادة مرضاهم، وتكفير من قامت الحجّة عليه، وغير ذلك<sup>(٤)</sup>.

٦ - تنبيه السلاطين والملوك على تجريد الأنظمة والقوانين عن كل ما يلبس البدع، يقول ابن الأزرق رحمته الله في إكرام الجند يوم العيد: "وشرط ذلك أن يسلم من الوقوع في البدعة والمنكر المنهي عنه، ولا يخفى من أين يدخل ذلك على ذي بصيرة بالسنن والشرعيات"<sup>(٥)</sup>.

ومتى ما قام الولاية بوصية العلماء ونصيحة الصادقين في إقامة السنة، وقمع البدع ولو تقادمت زمناً، طهرت الولاية من إغوائهم وبدعتهم، وعز الإسلام وأهله، وعظمت في القلوب

(١) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (٢/ ١٣١).

(٢) سير الملوك للطوسي (ص ٢٢٧).

(٣) انظر: سير الملوك للطوسي (ص ٢٢٧).

(٤) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (٢/ ١٢٧ - ١٣٠).

(٥) المصدر السابق (١/ ١٩٩).

هيبة السلاطين، وعلا قدرهم ومنزلتهم وبهاؤهم<sup>(١)</sup>، وبقي الإسلام مكيناً منيعاً محفوظاً بحفظ الله.

### ثالثاً: حث أئمة المسلمين على معالجة الغلو:

جاء الإسلام بالاعتدال والوسط والقصد في الأمر كله<sup>(٢)</sup>، وجعل ميزان الاستقامة لزوم أمر الله من غير طغيان ولا استحسار، يقول ﷺ: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ونهى رسول الله ﷺ أمته عن الغلو خوفاً عليهم من صنيع الأمم السالفة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((هلم القط لي الحصى))، فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: ((نعم بمثل هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين))<sup>(٤)</sup>، والنهي في هذا الحديث وإن كان راجعاً إلى سبب خاص، فإنه يعم كل غلو في الدين، سواء في باب الاعتقادات أو الأعمال<sup>(٥)</sup>.

وأول بدعة ظهرت في الإسلام في أبواب الاعتقاد بدعة الخوارج<sup>(٦)</sup> الذين غلو في دين الله

(١) انظر: الدرة الغراء للخيريبيتي (ص ١٧١، ص ٢٠٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٣/٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٠ - ٢٥٢).

(٣) سورة هود، الآية (١١٢).

(٤) رواه النسائي في سننه، كتاب مناسك الحج، باب النقاط الحصى برقم [٣٠٥٧] (٥/٢٦٨)، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي برقم [٣٠٢٩] (٢/١٠٠٨)، ورواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين برقم [١٧١١] (١/٦٣٧)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وصححه النووي في المجموع شرح المذهب (٨/١٧١)، وشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (ص ١٠٥)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ.

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (ص ١٠٦).

(٦) انظر: تهذيب السنن، تأليف: الإمام ابن القيم أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (٤/٢٢٩٩)، تحقيق:

بغير حق، حتى أهلكوا البلاد والعباد، يقول أبو إسحاق الجوزجاني رحمته الله: "فأبدأ بذكر الخوارج إذ كانت أول بدعة خرجت في الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أولاً - أعني التميمي الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وآله عدل -، حين وصف رسول الله صلى الله عليه وآله أشياعه وجلاهم، وبعثهم، ثم هم تحركوا أيضاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حين فرقوا جماعة الأمة، وميلوا اعتدال الألفة، فشاموا أنفسهم أولاً، والأمة بعدها آخرًا"<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن بدعة الخوارج مع قدمها تعد أخطر البدع وأنكرها؛ لعموم ضررها على العباد، وقد تولت الإمامة في الإسلام معالجة أمرها، بدءاً من نبي الأمة صلى الله عليه وآله الذي حذر منهم وبين وصفهم وبعثهم وشرع قتالهم، فقال صلى الله عليه وآله: ((لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))<sup>(٢)</sup>، ثم تولى علي رضي الله عنه قتالهم في خلافته من بعده، يقول شيخ الإسلام رحمته الله: "والخوارج المارقون الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم"<sup>(٣)</sup>.

وتخصيص القول في هذا الفرع عن الخوارج؛ لأن بدعتهم راجعة إلى أبواب الاعتقاد، كما أن عموم شرهم وخطرهم قد استتفر خلافة الإسلام في مواجهته ودفعه، مرة باللسان كما في

الدكتور إسماعيل بن غازي مرجبا، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

(١) أحوال الرجال، تأليف: أبي إسحاق، إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني (ص ١١)، تحقيق: عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، الناشر: حديث أكاديمي، فيصل آباد، باكستان، د. ط، د. ت.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله صلى الله عليه وآله: ﴿تمرح الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٤] برقم [٦٩٩٥] (٦/٢٧٠٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم [١٠٤٦] (٢/٧٤١).

(٣) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٣/٢٨٢).

مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما لهم<sup>(١)</sup>، وانتهاءً بالسنان على يد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأما بقية البدع فإن القول فيها داخل في العنصر السابق.

ويُذكر أئمة المسلمين في معالجة ومحاربة هذه البدعة بأمر منها:

١ - التحذير من الغلو كله، وهذا من الأهمية بمكان، فإن الإمام إذا جانبه، جانبته الرعية، وقد عقد الثعالبي رحمته الله فصلاً في "آداب الملوك" جعله "في تعظيم الناس الملوك على الدهر وإفراط بعضهم على بعض في إجلالهم حتى اتخذوهم آلهة من دون الله"<sup>(٢)</sup>، ثم أطنب في ذكر أحوال الغالين في موضوعات الرئاسة والملك من الرعية.

٢ - بيان حقيقة الخوارج، فإن الأئمة أولى الناس بأن يعلموا شرهم، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من اشتباه ظاهريهم على الناس فقال: ((يقولون من خير قول البرية))<sup>(٣)</sup>، وهذا يدعو العلماء إلى كشف حالهم للولادة والأئمة.

٣ - إرشاد أئمة المسلمين إلى مناظرتهم، وتبيين الحق لهم، كما فعل علي مع ابن عباس رضي الله عنهما حين بعثه إلى الحرورية.

٤ - تذكير أئمة المسلمين بمشروعية قتالهم وقتلهم كما قال صلى الله عليه وسلم: ((لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))، يقول ابن الأزرقي رحمته الله في "بدائع السلك": "القتال إذا نصبوا المسلمين بالحرب

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الخصائص، باب مناظرة عبدالله بن عباس الحرورية، واحتجاجه فيما أنكروه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم [٨٥٢٢] (٧/٤٨٠)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب قتال أهل البغي وهو آخر الجهاد برقم [٢٦٥٦] (٢/١٦٤).

(٢) آداب الملوك للثعالبي (ص ٣٦).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدین بعد إقامة الحجة عليهم برقم [٦٥٣١] (٦/٢٥٣٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج برقم [١٠٦٦] (٢/٧٤٦).

وخرجوا عليهم بالسيف والسنان، كما فعله علي عليه السلام وغيره من الخلفاء الراشدين، وأحكامهم في ذلك مخالفة في أمور قتال الكفار، وهي مقررة في مواضعها<sup>(١)</sup>. وهذه جملة من المسالك التي تُنتهج في مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بمعالجة بدعة الغلو. ويستخلص الباحث مما سبق ما يأتي:

١- على الرغم من أهمية مجال الاعتقاد في مناصحة أئمة المسلمين إلا أن المصنفات في هذا الباب مقلدة منه، خاصة في مسائل التوحيد والعقيدة المتعلقة بعمل المكلف نفسه، فإنها تقارب العدم، أما المسائل المتعلقة بوظيفة الإمام فإنها تزيد على ذلك شيئاً قليلاً، كما أن المؤلفين تناولوها منثورة في تضاعيف المصنفات من غير تبويب ولا فصل إلا في النزر اليسير، كما تقدم.

٢- التذكير بمسائل العقيدة لا يستلزم جهل المنصوح بها، أو عدم تلبسه بموجبها؛ فالوصية بالتوحيد والتحذير من ضده أمر لم يستثن منه نبي مرسل، ولا ولي صالح.

٣- لا يفارق الأئمة والملوك سائر الناس في مسائل المعتقد المتعلقة بذواتهم، ولا يميز ذلك ترك المصنفات لها، فإن تلك المؤلفات بحثت فيما هو أقل من ذلك فيما يتعلق بشخص الملك، مثل: المسؤولية الأسرية، وتربية الولد، وصلة الرحم.

٤- تظهر أهمية هذا المبحث في كونه يمثل أصل الدين وأساسه، فبصلاحه يصلح ما بعده، وبفساده يفسد ما عليه، كما أن وضوح أصل مسأله لا يعني وضوح أفرادها عند كل أحد، الأمر الذي يحتم على العلماء ضرورة التواصي به وعليه.

(١) بدائع السلك لابن الأزرقي (٢/١٢٩).

## المبحث الثاني

### مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بالمسائل المتعلقة بالتشريع والأحكام

#### تمهيد:

تهدف كتب مناصحة أئمة المسلمين - كما تقدم<sup>(١)</sup> - إلى تقديم النصائح والمواظب والإرشاد إلى الحكام والسلاطين في موضوعات الأخلاق، وحسن تدبير الحكم، ونحو ذلك من المسائل التي من شأنها إصلاح أمر الدولة وفق مراد الشارع، فموضوعها العام الغالب هو الوعظ، وتقديم المشورة، والإرشاد إلى كريم الخصال والأخلاق، والدلالة على الوسائل والسبل التي تحفظ الحكم والملك.

يَبْدُ أن تلك المصنفات تناولت بعض الأحكام الشرعية، وعرجت على ذكر شيء من المسائل الفقهية المتفرقة التي دعت إليها الحاجة في محلها، ولكنها لم تعرضها عرض الفقهاء من حيث التتميم والترتيب والتعليل، كما أنها أيضاً لم تُشبه كتب الأحكام التي اختصت بالمسائل الفقهية في السياسة الشرعية، مثل ما فعل الماوردي رحمته الله في "الأحكام السلطانية" وابن جماعة في "تدبير الأحكام" أو ما اجتهد به الجويني رحمته الله في "الغياثي" حيال نوازل المفترضة، ولكنها تذكر ما دعت إليه الحاجة جميعاً أو أشتاتاً.

ويُوضح مؤلفو كتب مناصحة أئمة المسلمين مفهوم هذا المجال في مصنفاتهم، ويجعلون له علامة فارقة يمتاز بها عن سائر المباحث، يقول الماوردي رحمته الله في أدب السياسة: "قال بعض الحكماء: الأدب أدبان: أدب شريعة وأدب سياسة، فأدب الشريعة ما أدى الفرض، وأدب السياسة ما عمر الأرض، وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان، وعمارة البلدان؛

(١) انظر: الباب الأول، الفصل الثاني، المبحث الثاني: أسباب التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين (ص ٣٢٣) من هذه الرسالة.

لأن من ترك الفرض فقد ظلم نفسه، ومن خرب الأرض فقد ظلم غيره<sup>(١)</sup>، وبذلك استفتح ابن الحداد رَحِمَهُ اللهُ كتابه "الجواهر النفيس"<sup>(٢)</sup>.

والفرض هو حكم الله وشريعته الذي يُعرف به حقه رَحِمَهُ اللهُ وحق خلقه، وهو ما فسره الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ في "سراج الملوك" بأنه: الأحكام المشتملة على الحلال والحرام، والبيع، والأنكحة، والطلاق، والإجازات، ونحوها<sup>(٣)</sup>، مما لا يدّ للسياسية عليها من حيث هي.

وإن مما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو الوقوف على أسباب ورود مسائل الأحكام وبعض الفروع الفقهية في تلك المصنفات؛ لأن السمة الغالبة كما تقدم على هذه المصنفات هي الوعظ والإرشاد، والحكمة، والقصة، والحديث المؤنس؛ ولذا لم ترد تلك المسائل إلا في بعض المصنفات دون بعض، فمن تلك الأسباب:

١ - أن ما يذكر من المسائل داخل في النصيحة لتعلقه بعدالة الإمام، يقول الماوردي رَحِمَهُ اللهُ في الباب الخامس من سياسة النفس ورياضتها: "ثم القيام بأداء الفرائض التي هي الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على شرائطها، وأوقاتها، وصورها، وتامها عند إمكانها، واستفادة القدرة عليها، وارتفاع المعاذير دونها، واجتناب الكبائر التي أوعده الله عليها بنار الأبد<sup>(٤)</sup>، وأوجب

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ١٣٤).

(٢) انظر: الجواهر النفيس لابن الحداد (ص ٧٦).

(٣) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢).

(٤) هذا قول المعتزلة، وتقدم أن الماوردي قد رُمي بالاعتزال، أما أهل السنة والجماعة فاعتقادهم في أهل الكبائر أنهم لا يخلدون في النار، وهم تحت المشيئة، إن شاء عذبهم بعدله، وإن شاء غفر لهم بفضله، يقول الطحاوي: "وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها

فيها التنكيل والحد، مثل: الزنى، والقذف، وأكل الربا، وأكل أموال اليتامى ظلماً، والقتل، والظلم، وشرب الخمر، ولعب الميسر، والفواحش ما ظهر منها وما بطن" (١).

٢- أن ذكر بعض مسائل الفقه - خاصة ما يتعلق بالمنهيات الشرعية - قد جرت به عادة المصنفين في موضوعات الحسبة<sup>(٢)</sup>؛ ذلك أن أمر المناصحة به قد يفوت على كثير من الناصحين، يقول ابن أبي بكر الصالحى رَحِمَهُ اللهُ: "فمن المنكرات المألوفة المحرمة التي يجب إنكارها: ترك التعليم لما يجب تعليمه من الفرائض والواجبات، وتعريف ما يتعلق بمعرفة الله، وبمعرفة دينه، منها: إساءة الصلاة، وترك الطمأنينة في الركوع والسجود..." (٣).

٣- ترغيب الإمام في تبني مذهب المصنف، وهذا من أطف الأسباب في ذكر مسائل الأحكام الفقهية<sup>(٤)</sup>، ولما أورد الطرسوسى رَحِمَهُ اللهُ مسألة اشتراط الاجتهاد في صحة

برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته ". العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي (ص ٤٥).

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٩).

(٢) انظر: للاستزادة: الحسبة لابن تيمية، وانظر: تنبيه الغافلين لابن النحاس، وانظر: الكنز الأكبر لابن داوود الصالحى، وانظر: بغية الإربة في معرفة أحكام الحسبة، تأليف: وجيه الدين عبدالرحمن بن علي الشيباني المعروف بـ «ابن الديبع»، دراسة وتحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، الناشر: معهد البحوث العلمية، مركز احياء التراث الإسلامي، س ٦٣٦ جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

(٣) الكنز الأكبر لابن داود الصالحى (٢ / ٧٢١).

(٤) من المعلوم أن من أسباب قوّة المذاهب وانتشارها، هو تبني الدول لها في ولاية القضاء والفتوى، وانتخاب أصحابها لمناصب الوزارة والإدارة؛ ولذا كان من أسباب إحياء مذهب الحنابلة بعد تشتت كتبه التي آلت إلى الاندرا، هو تبني الدولة السعودية - حرسها الله - له، يقول ابن بدران رَحِمَهُ اللهُ: "وأشرق نوره - يعني مذهب الحنابلة - في البلاد النجدية من جزيرة العرب، وهب قوم كرام منهم لطبع كتبه، وأنفقوا الأموال الطائلة لإحياء

=

الإمامة عند الشافعية قال: "وفي هذا القول من الفساد ما لا يخفى، مع أن فيه الإيذاء للسلطان بصرف الرعية عنه، وإضعاف مبايعة الجند له ونحوهما مما لا يُحصى، ولهذا قلنا أن مذهبنا - يعني الحنفية - أوفق للترك، وأصح لهم من مذهب الشافعي"<sup>(١)</sup>، ثم أخذ يقارن بين قول أبي حنيفة والشافعي في عدة مسائل، وختمها بقوله: "وقد أوردنا من المسائل النافعة مما جمعتهما على مذهبنا دون مذهبه"<sup>(٢)</sup>.

وتقتصر كتب المناصحة - كما تقدم - على ذكر بعض المسائل الفقهية الدائرة بين الأمر وجوباً أو استحباباً، أو النهي الدائر بين التحريم والكرهية، مما دعت إليه حاجة الذكر، سواء أكان متعلقاً بفعل الإمام في نفسه أم رعيته، أم متعلقاً بحقوق العباد فيما بينهم. وتتناول الدراسة هذا المبحث في مطلبين:

- المطلب الأول: مجال مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الأحكام المتعلقة بأمر الشارع.  
المطلب الثاني: مجال مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الأحكام المتعلقة بنهي الشارع.

---

هذا المذهب، لا يطلبون بذلك إلا وجه الله، ولا يقصدون إلا إحياء مذهب السلف". المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: الشيخ عبدالقادر بن أحمد، المعروف بابن بدران (ص ١٢)، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه: محمد أمين ضناوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.

(١) تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧٣).

(٢) المصدر السابق (ص ٧٧).

## المطلب الأول

### مجال مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الأحكام المتعلقة بأمر الشارع

إن علم الفقه الذي هو علم الشرائع والأحكام فرض على كل مسلم بحسبه، وجمال لكل أحد<sup>(١)</sup> "ولا غنية بالملوك والأئمة خصوصاً عنه؛ لأنه لا بدّ لهم من النظر في مظالم الرعية والبرية، وسماع دعاويهم وبيناتهم وأيمانهم وشهاداتهم والأمر بها، وربما أمر الأمير بالصلاة، وكتب إليه بأحد الزكوات والصدقات، ورُفِع إليه في المناكح، والتزاويج، والبيوع، والموارث وسائر فنون الأحكام، وربما رفع إليه في شيء من قسمة المغنم والفيء، ووضع أموال المملكة مواضعها، فالملك أحق الناس باقتناء هذه الفضيلة؛ لئلا يحل محل الجاهل المحتاج إلى فقيه وقاضٍ في العلم الذي هو خاصٌّ به وعامٌّ لجميع رعيته، وفيه قوائم سياسته، ولا يتكل على قاضٍ أو مُفْتٍ في كل نازلةٍ وحادثة"<sup>(٢)</sup>.

كما أن الملوك أنفسهم يشاركون سائر الناس في أحكام المكلفين؛ إذ يجب عليهم ما يجب على العامة من تعلم ما لا يقوم الفرض إلا به، من أمر الصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، وسائر الأحكام التي يحتاجون إليها، ويزيدون عن الناس في ذلك بأنهم محل نظر العامة، وبهم يقتدون<sup>(٣)</sup>، يقول الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: "فإن الناس بأخلاق ملوكهم يستنون، وعلى شاكلتهم يجرون؛ لأنهم العلم المشار إليه، والفرض المقصود"<sup>(٤)</sup>.

ولم تستقص كتب المناصحة مسائل الشرائع والأحكام، ولكنها اكتفت بإرشاد الأئمة إلى أهمية تعلم الفقه، وذكر بعض المسائل مفرقة أو مجموعة في ثناياها، ابتداءً من أحكام الصلاة رأس

(١) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٥٠).

(٢) المصدر السابق (ص ١٥٠).

(٣) انظر: النصائح المهمة للشيخ علون (ص ٧٦).

(٤) درر السلوك للماوردي (ص ٨٤).

المأمورات<sup>(١)</sup>، حتى فروع كتاب القضاء، مؤكدة على أن محل بسط تلك المسائل واستيعابها هو كتب الفقه ومصنفاته، يقول ابن الأزرق رحمته الله بعد ذكر جملة من أحكام إقامة الصلاة: "قلت: وبقية الشروط مقررة في مواضعها في الفقهيات"<sup>(٢)</sup>، وبعد إشارة أبي سالم القرشي رحمته الله إلى طرف من مسائل الطهارة ذيلها بقوله: "وقد استقصينا تفصيل ذلك في المختصر المسمى "امثال الإشارة في أعمال الطهارة"، وفي ذلك غنية عن الإطالة وبسط العبارة"<sup>(٣)</sup>، وفي مسألة الرهان يقول الحسن العباسي رحمته الله: "ولذلك صفات وشروط هي مستوعبة في كتب الفقه"<sup>(٤)</sup>، وهذه عبارة مألوفة لا تكاد تفارق كتاباً منها<sup>(٥)</sup>.

وتكتفي الدراسة في هذا المطلب بالإشارة إلى أهم المسائل الفقهية المتعلقة بأمر الشارع الدائر بين الوجوب والاستحباب من خلال الآتي:

#### أولاً: ذكر المسائل المتعلقة بأحكام الصلاة:

الصلاة أهم ما يذكر به الملوك والأئمة، والعلم بها أوجب العلم بعد العلم بتوحيد الله، ويتعين على ملوك الإسلام وأئمة إقامة الصلاة علماً، وقولاً، وفعلاً، في خاصة أنفسهم وعامة رعيتهم<sup>(٦)</sup>، وقد كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله: "إن أهم أمركم عندي

(١) انظر: بداية المجتهد، تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد

(١/٩٨)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، د. ط، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(٢) بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢٣٨).

(٣) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٨).

(٤) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٣١٣).

(٥) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣١٣)، وانظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٧٥)، وانظر:

قوانين الدواوين لأسعد مماتي (ص ٣٢٤)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي

(٢/٤٣٧)، وانظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٦١).

(٦) انظر: النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ٧٦).

الصلاة، من حفظها وحافظ عليها، حفظ دينه، ومن ضيعها، فهو لما سواها أضيع، ثم كتب: أن صلوا الظهر إذا كان الفيء ذراعاً إلى أن يكون ظل أحدكم مثله، والعصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية، قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة، قبل غروب الشمس، والمغرب إذا غربت الشمس، والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه، والصبح، والنجوم بادية مشتبكة"<sup>(١)</sup>، وهذا الكتاب إمامٌ في مناصحة أئمة المسلمين في مسائل الصلاة وأحكامها.

وقد تطرقت كتب مناصحة أئمة المسلمين لأحكام الصلاة، وما يتبعها من تفصيل في ذكر أنواعها، وأركانها، وشروطها، وواجباتها، وخصمها، بدءاً من كتاب الطهارة وحتى المسائل المتعلقة بصلاة الجنائز وأحكامها، مينة للأئمة والحكام أن العلم بذلك والعمل به قبل كل علم وعمل في الإسلام، يقول طاهر بن الحسين رحمته الله - وزير المأمون - في نصيحة ابنه عندما استعمله المأمون على مصر وبلاد الشام: "وليكن أول ما تلزم به نفسك، وتنسب إليه أفعالك، المواظبة على ما افترض الله تعالى عليك من الصلوات الخمس، والجماعة عليها بالناس، فأت بها في مواقيتها على سننها في إسباغ الوضوء لها، وافتتاح ذكر الله تعالى فيها، وترتل في قراءتك، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك، وليصدق فيه رأيك ونيتك، واحضض عليها جماعة من معك، وتحت يدك، وادأب عليها"<sup>(٢)</sup>.

وعلى غرار ترتيب الفقهاء يشير أبو سالم القرشي إلى بعض مسائل الطهارة بين يدي حديثه عن أحكام الصلاة فيقول: "الركن الثاني: الصلاة: ولا بد من التعرض للطهارة قبلها فإنها شرطها فنقول: الطهارة تنقسم إلى قسمين: طهارة من الخبث وهو النجاسة، وطهارة من الحدث

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب وقوت الصلوات، باب وقوت الصلاة برقم [٩] (٩/٢)، ورواه البيهقي في

السنن الكبرى، باب كراهية تأخير العصر برقم [٢٠٩٦] (١/٦٥٤).

(٢) سلوك المالك لابن أبي الربيع (ص ١٣١ - ١٣٢).

وهو ما ينقض الوضوء ويمنع الصلاة<sup>(١)</sup>، ثم تطرق مُختصراً إلى أحكام إزالة النجاسة ورفع الحدث، وذكر صفة الغسل والوضوء وفروضها، وسننها، وآدابها، وأنواع الغسل المشروع في الإسلام، وأحكام المسح على الخفين في الحضر والسفر<sup>(٢)</sup>، خاتماً تلك المسائل بقوله: "فهذا ما يتعلق بالطهارة، وقد منا ذكرها لكون الصلاة تتوقف عليها"<sup>(٣)</sup>.

وفي فريضة الصلاة وإقامتها يوصي الخرميتي السلاطين والقضاة والأمرء بوصية النبي ﷺ فيقول: "ولهذا وصّى ﷺ في آخر حياته الصلاة وما ملكت أيانكم، يعني أدوا الصلاة في أوقاتها بفرائضها، وواجباتها، وسننها، وتعديل أركانها"<sup>(٤)</sup>.

ويُجمل أبو سالم القول في صفتها وأحكامها بعد تناوله لأحكام الطهارة فيقول: "وقد تعين القول في الصلاة وأحكامها؛ فالصلوات المكتوبة في اليوم واللييلة خمس، وقد بين جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ أوقاتها، وأول الوقت أفضل من آخره"<sup>(٥)</sup>، ثم أخذ في إيضاح أوقات الصلوات، وبعض شروطها مثل: استقبال القبلة، وستر العورة، والإشارة إلى أركانها وبعض سننها، وحكم تركها والتساهل في أدائها<sup>(٦)</sup>.

ومن مسائل الأحكام في أبواب كتاب الصلاة التي أشارت إليها كتب مناصحة أئمة المسلمين أحكام صلاة الجمعة، يقول الخرميتي في الدررة الغراء: "فصل: في شرائط الجمعة: ويشترط لأداء الجمعة المصر عند أبي حنيفة، وهو: كل بلدة بها سك وأسواق، ولها رساتق

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٥٦-٥٩).

(٣) المصدر السابق (ص ٥٩).

(٤) الدررة الغراء للخرميتي (ص ١٨٨).

(٥) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٩).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٦٠).

- أي: قرى - ووال لدفع المظالم، وعالم يرجع إليه في الحوادث، وهذا هو الأصح، كذا في (التبيين)<sup>(١)</sup>، ثم أخذ في عرض جملة من المسائل المتعلقة بشرطها<sup>(٢)</sup>، كما تناولت بعض تلك المصنفات مسائل صلاة العيدين<sup>(٣)</sup>، وأحكام الأذان والإقامة، ومسائل صلاة الجماعة<sup>(٤)</sup>، وأحكام صلاة أهل الأعذار<sup>(٥)</sup>، وبعض مسائل صلاة الجنائز<sup>(٦)</sup> وأحكام غسل الميت<sup>(٧)</sup> ودفنه<sup>(٨)</sup>.

ولم تغفل مصنفات مناصحة أئمة المسلمين ذكر المسائل المتعلقة بصلاة النافلة وإن كانت مقالة في ذلك، حيث أشار الخرميني إلى حكم أداء السنن على عامة أهل مصر في قوله: "أهل القرية إذا اجتمعوا على ترك الوتر أدبهم الإمام وحبسهم، فإن لم يمتنعوا يقاتلهم، وإن امتنعوا عن أداء السنن فجواب أئمة بخارى أن الإمام يقاتلهم كما يقاتلهم على ترك الفرائض؛ لما روي عن عبدالله بن المبارك رحمته الله أنه قال: لو أن أهل بلدة أنكروا سنة السواك يقاتلهم الإمام كما يقاتل

(١) الدرر الغراء للخرميني (ص ٢٦٦).

(٢) انظر: الدرر الغراء للخرميني (ص ٢٦٧-٢٦٩)، وانظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ٢٢٤ - ٢٢٥).

(٣) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧٥)، وانظر: الدرر الغراء للخرميني (ص ٢٦٥ - ٢٦٦).

(٤) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٤٩ - ٢٥٠).

(٥) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٥١)، وانظر: الدرر الغراء للخرميني (ص ٢٩٥).

(٦) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧٦)، وانظر: الدرر الغراء للخرميني (ص ٢٧٠) (ص ٣١٨).

(٧) انظر: حسن السلوك للموصلي (ص ٩١)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٩٣) و (٢/٣٨٣).

(٨) انظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١٢٣).

أهل الردة"<sup>(١)</sup>، كما تطرق إلى صفة صلاة الضحى، وصلاة التهجد<sup>(٢)</sup>، وأحكام تحية المسجد<sup>(٣)</sup>.  
ومن صلاة النوافل التي يذكر أئمة المسلمين بأحكامها في كتب المناصحة صلاة  
الاستخارة<sup>(٤)</sup>، وركعتا التوبة على وجه الاختصار والإيجاز<sup>(٥)</sup>.

لقد كانت الحاجة إلى إيراد المسائل الفقهية هي القيد المتحكم في محلها وتبويبها؛ ولذا قد  
تُوضع المسألة في غير مظانها، أو يفرد لها فصلٌ أو باب خاص لمصلحة يراها المصنف، كما فعل  
ابن طوغان رحمته الله في "البرهان" حيث تناول مسألة إهداء ثواب الصلاة من الحي للميت في باب  
مستقل<sup>(٦)</sup>، كما أن بعضهم قد يورد المسألة لمصلحة الاحتساب مثلما صنع أبو حامد المقدسي في  
"بذل النصائح" حيث ساق بعض الأمثلة في الاختلاف السائغ لمسائل الطهارة والصلاة، مبيناً  
ضرورة إحاطة المحتسب بوجه الخلاف حال المناصحة<sup>(٧)</sup>.

لكن ما يجب التأكيد عليه هو قلة إيراد المسألة الفقهية مع اختصارها حال الذكر،  
والاقتصار على المسائل التي دعت حاجة التأليف إلى ذكرها لمصلحة المناصحة، وهو ما يؤكد  
استحضار المصنفين لنوع المجال الذي يصنفون فيه؛ ولذا يجد القارئ غالب هذه المصنفات  
خالية من وجود الأثر الفقهي في ثناياها.

(١) الدرر الغراء للخرميتي (ص ٢٦٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٩).

(٤) انظر: التحفة الملوكية للهاوردي (ص ١١٣)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٣٤٥)، وانظر:

بدائع السلك لابن الأزرق (١/٣١٨ - ٣٢٠).

(٥) انظر: عين الأدب لابن هذيل (ص ٢٢٤).

(٦) انظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١٠٤-١٢٩).

(٧) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٥٠-٢٥٢).

### ثانياً: ذكر المسائل المتعلقة بأحكام الزكاة:

من الواجبات على الإمام جباية الزكاة من أهلها، وصرفها في مصارفها الشرعية، يقول الماوردي رحمته الله في مهام الخليفة ومسؤولياته: "جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف"<sup>(١)</sup>، وفي ردها على المستحقين يقول أبو يعلى رحمته الله: "تقدير العطاء، وما يستحق من بيت المال من غير سرف ولا تقصير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير"<sup>(٢)</sup>، فالزكاة من الأموال السلطانية التي تُجعل في بيت مال المسلمين لترد إليهم، يقول أبو حامد المقدسي رحمته الله في "بذل النصائح": "فينبغي أن يعلم أن الأموال السلطانية التي أصلها الكتاب والسنة، ثلاثة أصناف: الغنيمة، والصدقة، والفيء، وما يلحق بها من الجزية، والخراج، والعشر"<sup>(٣)</sup>.

ولما كان أمر الزكاة من أعمال الإمامة، تولت كتب السياسة الشرعية المختصة بالشرعية والأحكام تفصيل القول في أحكامها، وعقدت لها فصلاً من فصول الولاية، يقول الماوردي رحمته الله في "الأحكام السلطانية": "الباب الحادي عشر: ولايات الصدقات"<sup>(٤)</sup>، ثم شرع في ذكر أحكامها الفقهية على طريقة الفقهاء<sup>(٥)</sup>، ومثله أبو يعلى في أحكامه<sup>(٦)</sup>.

والمقصود من ذلك هو الإشارة إلى أن تعلم أحكام الزكاة بالنسبة للإمام أو من يقوم مقامه من الواجب العيني عليه؛ لأنها من عمله وفرض الله في ولايته، وقد تطرقت كتب مناصحة أئمة

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠).

(٢) الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ٢٨).

(٣) بذل النصائح لأبي حامد المقدسي (١/ ١٣٠)، وانظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٦٧ - ٢٧٥)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٧٠ - ٢٧٥).

(٤) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٧٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٧٩ - ١٩٩).

(٦) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ١١٥ - ١٣٥).

المسلمين إلى بعض مسائل الزكاة وأحكامها بهذا الاعتبار مع الاختصار الشديد، يقول الحسن العباسي رحمته الله في "آثار الأول في ترتيب الدول": "فوالي الصدقات والساعي في تحصيلها ينبغي أن يكون فقيهاً عارفاً بما أوجب الله على عباده في أموالهم من الزكوات، وكيف أوجبها؟ ومتى تؤخذ؟ ومقدار النصاب من كل صنف، وأخذ القيم فيما يجوز الأخذ، والحرص فيما يجوز الحرص فيه، وزكاة الخليطين، والركاز، والمعدن، والتجارة، والفطرة، ثم يأمر الملك بجمع ذلك وتفرقة وقسمته على أهله، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾<sup>(١)</sup> الآية، فمن أخذها بحقها وقسمها على مستحقها كان منصفاً لرعيته، عادلاً في سياسته، تابعاً لسنة شريعته وفرضها"<sup>(٢)</sup>.

وفي حكم الزكاة وشرط وجوبها وبيان مصارفها يقول أبو سالم القرشي رحمته الله: "فمن جحد وجوبها فقد كفر، ويجب على من وجبت عليه إخراجها من ماله، وصرفها إلى مستحقها، وقد بين الله - سبحانه - مصارف الزكاة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِمُ وَالْمَوْلَى قُلُوبُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾<sup>(٣)</sup>، فمن امتنع من إخراجها أخذها منه السلطان وصرفها إلى أهل استحقاقها.

ولا تجب الزكاة إلا في نصاب كامل بعد حولان الحول، ونصاب الذهب عشرون مثقال وزكاته نصف مثقال، ونصاب الفضة مئتا درهم وزكاته خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه وهو ربع العشر"<sup>(٤)</sup>. ويفضّل أسعد بن ممتي في "قوانين الدواوين" للملك أحكام الزكاة ومسائلها في قوله: "وهي تجب على كل مسلم تام الملك على ما تجب فيه الزكاة، ولا تصح الزكاة حتى

(١) سورة التوبة، الآية (٦٠).

(٢) آثار الأول للحسن العباسي (ص ١٦٢-١٦٣)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٣٣٢).

(٣) سورة التوبة، الآية (٦٠).

(٤) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٦١).

ينوي أنها زكاة ماله، أو زكاة واجبة...<sup>(١)</sup>، ثم يستطرد في ذكر جملة من مسائلها مثل: حكمها، وشرط وجوبها، وأنواع الأموال الزكوية، مع ذكر نصابها وقدر إخراجها، وبيان مصارفها<sup>(٢)</sup>، ويحرر الخرميتي القول في أفضل أبواب الصدقات على التوالي<sup>(٣)</sup>.

كما تذكر بعض كتب المناصحة مسائل الزكاة منثورة غير مصنفة، فمن ذلك ما أورده الخرميتي في ذكر خلاف الفقهاء حيال أجزاء الزكاة المدفوعة إلى الإمام الجائر، وأحكام نية الزكاة في الأموال المأخوذة قهراً<sup>(٤)</sup>، ومثله إشارة الطرسوسي إلى خلاف أبي حنيفة والشافعي في زكاة السائمة التي أداها ربها إلى غير السلطان، وأبان للسلطان أن مذهب الأحناف يميز له أن يعيد أخذها من المتصدق خلافاً لمذهب الشافعي<sup>(٥)</sup>.

ويناقش ابن طوغان رحمته الله في "البرهان" مسألة وصول ثواب العبادات المالية المحضنة كالعتق، والصدقة من الأحياء إلى الأموات في عدة صفحات<sup>(٦)</sup>، كما يشير الوزير أبو سالم في "العقد الفريد" إلى استحباب صدقة التطوع<sup>(٧)</sup>، منبهاً في ذيل حديثه عن أحكام الزكاة إلى مشروعية صدقة الفطر في قوله: "تنبيه: من جملة الواجب من أنواع الزكاة زكاة الفطر، وهي صدقة عن النفس، وتجب بغروب الشمس ليلة العيد على قول وبطلوع فجره على قول، ويجب إخراجها يوم العيد، ويجوز تعجيلها في جميع شهر رمضان، وهي صاع من غالب القوت،

(١) قوانين الدواوين لأسعد مماتي (ص ٣٠٨).

(٢) انظر: قوانين الدواوين لأسعد مماتي (ص ٣٠٨-٣١٦)، وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧٦-٧٧).

(٣) انظر: الدرر الغراء للخرميتي (ص ٢٨١-٢٨٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٦١-٢٦٢).

(٥) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧٥).

(٦) انظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١٠٦-١٢٥).

(٧) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٦١).

والصاع خمسة أرطال وثلث بالبغدادي<sup>(١)</sup>، وقد تناولها أيضاً ابن مماتي مفصلة في "قوانين الدواوين"<sup>(٢)</sup>.

ويجيء إيراد مسائل الأحكام المتعلقة بأحكام الزكاة في كتب المناصحة، من واقع إيمان مصنفها بالآصرة المباشرة التي تربط بين الزكاة وأدائها، وبين الإمامة وعملها، يقول الخرميني رحمته الله: "ثم لا بد للناس من نصب إمام يقوم بمصالحهم، من إنصاف المظلوم من الظالم، وتنفيذ الأحكام، وتزويج الأيتام، وقطع المنازعة بين الأنام، وإقامة الأعياد والجمع والحدود، وأخذ العشور، والزكاة، والصدقات، وصرفها إلى مصارفها بموجب الشرع..."<sup>(٣)</sup>؛ ولذا جاء عرضها في كتب المناصحة مرتباً ومنشوراً.

#### ثالثاً: ذكر المسائل المتعلقة بأحكام الصيام:

تعد المسائل الشرعية المتعلقة بأحكام الصيام من أقل الموضوعات نصيباً في كتب مناصحة أئمة المسلمين، وهذا راجع - من وجهة نظر الباحث - إلى ضعف ارتباط أحكام الصيام بمسؤولية الإمامة، مقارنة بفريضة الصلاة، والزكاة، والحج، التي يُعد القيام عليها داخلياً في أعمال الولاية.

ومن مسائل الصيام التي أشارت إليها كتب المناصحة، فريضة صيام شهر رمضان، ووجوب أدائه بشرطه ووقته وصورته عند الإمكان، واستنفاذ القدرة عليه مع ارتفاع المعاذير دونة<sup>(٤)</sup>، يقول أبو سالم القرشي رحمته الله: "الركن الرابع: صوم شهر رمضان: والصوم فرضه عظيم، وثوابه جسيم... والصوم ينقسم إلى فرض ونفل، فأما الفرض فصوم رمضان، ويثبت شهر

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٦١).

(٢) انظر: قوانين الدواوين لأسعد مماتي (ص ٣١٦-٣١٧).

(٣) الدرر الغراء للخرميني (ص ١٨٩).

(٤) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٩).

رمضان بشهادة عدل واحد، فإن غمّ كمل شعبان ثلاثين...<sup>(١)</sup>، ثم تطرق بعد ذلك إلى أحكام النية في الصيام، وأحكام القضاء، وعدّ بعض مفطرات الصيام، ثم ختم قوله بذكر قسيم الفرض وهو النفل، وما يتضمنه من مسائل وأحكام يفارق بها صيام الفريضة<sup>(٢)</sup>، كما ألمح الخرميتي إلى حكم صيام النذر في باب الحيل الفقهيّة من مصنفه<sup>(٣)</sup>.

#### رابعاً: ذكر المسائل المتعلقة بأحكام الحج:

على الرغم من كون القيام على الحج من عمل الولاية والسلطنة؛ إذ لا يتم - كما هو معلوم - إقامة سائر ما أوجبه الله على عباده من الجهاد والصلوات والحج إلا بالقوة والسلطان<sup>(٤)</sup>، إلا أن كتب المناصحة لم تذكر مسائله كما ذكرت المسائل المتعلقة بركن الصلاة، والزكاة، والصيام، حتى إن صاحب كتاب "العقد الفريد" الذي صدر كتابه بذكر شيء من المسائل الفقهيّة المتعلقة بأركان الإسلام مرتبة عليها، لمّا جاء عند ذكر الحج قال: "وهو من جملة القواعد الإسلاميّة، ولوجوبه وأحكامه أسباب وشروط، ولمّا لم يكن من مقاصد هذا الكتاب لن نتعرض لشرحها"<sup>(٥)</sup>، إلا أنه استدرك في القاعدة الرابعة من كتابه التي جعلها "في تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات"<sup>(٦)</sup>، فعرّج فيها على بعض المسائل المتعلقة بالمواقيت، ومحظورات الإحرام<sup>(٧)</sup>. ولما لم تكن كتب المناصحة كتب أحكام، فإن عدم ذكرها لا يعدّ أمراً معيباً فيها، حيث

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٦١).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٦١-٦٢).

(٣) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٨٣).

(٤) انظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٢٩).

(٥) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٦٢).

(٦) المصدر السابق (ص ٣٠٧).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٣١٢-٣١٤).

تولت كتب الأحكام السلطانية بحث مسائله بشقيها: السياسي الشرعي، والفقهية<sup>(١)</sup>.

### خامساً: ذكر المسائل المتعلقة بأحكام الجهاد:

اهتمت مصنفات مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الجهاد وأحكامه، وسلطت الضوء على جوانبه: السياسي الشرعي المتعلق بتدبير الحروب ومكائدها، والجانب الفقهي المتصل بأحكام القتال، والأسرى، والفداء، والغنائم، والفيء وما يلحق به من الجزية، والخراج، والعشر، ونحو ذلك مما يعد مقصود هذا الجزء من البحث، يُوضّح ذلك الطرسوسي رَحِمَهُ اللهُ فِي الْفَصْلِ الْآخِرِ مِنْ كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: "فِي الْجِهَادِ وَقِسْمَةِ الْغَنَائِمِ: الْكَلَامُ فِي هَذَا الْفَصْلِ فِي مَوَاضِعٍ: أَحَدُهَا: فِي بَيَانِ وَقْتِ وَجُوبِهِ. وَالثَّانِي: فِي الْجَعَائِلِ"<sup>(٢)</sup>. وَالثَّالِثُ: فِي الْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ. وَالرَّابِعُ: مَنْ يَجُوزُ قَتْلَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ لَا يَجُوزُ. الْخَامِسُ: فِي بَيَانِ مَا يَنْتَهِي بِهِ أَمْرُ الْقِتَالِ. السَّادِسُ، فِيمَا يَجِبُ مِنْ طَاعَةِ الْإِمَامِ وَمَا لَا يَجِبُ وَيَنْدَرِجُ فِيهِ صَلَاةُ الْخَوْفِ. السَّابِعُ: فِي الْأَمَانِ. الثَّامِنُ: فِي الْمُحَاصِرِينَ مِنَ الْكُفَّارِ إِذَا طَلَبُوا الْإِسْلَامَ أَوْ عَقَدَ الذِّمَّةَ وَأَبَى الْإِمَامُ. التَّاسِعُ: السَّبَايَا. الْعَاشِرُ: فِي الشَّهِيدِ وَمَا يَصْنَعُ بِهِ. الْحَادِي عَشَرَ: فِي مَفَادَاةِ الْأَسْرَى بِالْأَسْرَى. الثَّانِي عَشَرَ: الْغَنَائِمُ وَكَيْفِيَّةُ قِسْمَتِهَا.."<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ تَابَعَ الْحَدِيثَ فِي بَيَانِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ عَلَى وَفْقِ مَوَاضِعِهَا"<sup>(٤)</sup>.

كما توسع مصنف كتاب "المنهج المسبوك" في ذكر المسائل المتعلقة بمسائل القتال، وأفرد لذلك بابين كاملين جعل عنوانهما "فيما ينبغي لأهل الجيش ويلزمهم من حقوق الجهاد"<sup>(٥)</sup>، و"في مصابرة المشركين"<sup>(٦)</sup>، وتطرق في البابين إلى عدة مسائل منها: وجوب مصابرة العدو،

(١) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٧٢-١٧٨)، وانظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ١٠٨-١١٤).

(٢) الجعائل: جمع جعيلة، وهو ما يجعله القاعد لمن يخرج عنه مجاهداً. انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٩٨).

(٣) تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٤٥).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٤٥-١٥٥).

(٥) المنهج المسبوك للشيزري (ص ٦١٦).

(٦) المصدر السابق (ص ٦٣٠).

وحكم الفرار عند لقاء الصفين، وتحريم الانهزام من العدو إذا كان مثلين فما دون، وحكم التحرف والتحيز في القتال، وطاعة أمير الجيش، وأحكام المبارزة، وحكم الانغماس في العدو، وأحكام النية ووجوب أداء الأمانة وغيرها من المسائل<sup>(١)</sup>.

وتناول الموصل في "حسن السلوك" مسألة الاستعانة بأهل الذمة في القتال، وعرض أقوال الأئمة أبي حنيفة رحمته الله ومالك رحمته الله والشافعي رحمته الله وأحمد رحمته الله وكذا الظاهرية في هذه المسألة<sup>(٢)</sup>، كما أفرد الطرطوشي رحمته الله في "سراج الملوك" فصلاً كاملاً في أحكام أهل الذمة يقول فيه: "ومتى نقض الذي يعهد بمخالفة شيء من الشروط المأخوذة عليه لم يرد إلى مأمته، والإمام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق..."<sup>(٣)</sup>، وقد سرد عدداً من المسائل المتعلقة بهم، مثل: أحكام لباسهم، وثيابهم، ومجالسهم، والأفعال التي توجب نقض عهدهم ونحو ذلك<sup>(٤)</sup>، كما خصص أيضاً فصلاً كاملاً في حكم الكنائس<sup>(٥)</sup>.

وتولي كتب مناصحة أئمة المسلمين الشق المالي في الجهاد - وهو الغنيمة والفبيء وما يلحق به من الجزية والخراج والعشور - اهتماماً بالغاً؛ لأن الأمر في هذا المقام متصل بالتدبير المالي، وبمصادر الأموال السلطانية المتعلقة بأداء الأمانة في الولاية<sup>(٦)</sup>، فمن ذلك ما أورده ابن

(١) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٦١٦/٢-٦٤٥).

(٢) انظر: حسن السلوك للموصل (ص ١٧٠-١٧٣).

(٣) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٥٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٣٥٤-٣٥٥).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٣٥٨).

(٦) والسبب في ذلك راجع إلى منهجية الكتابة في هذا المجال، فإن كتب المناصحة من خلال استقراء الباحث لا تناقش العلاقات الدولية الخارجية بشقيها السلمي والحربي إلا في أقل الأحوال، كما أن اتصال كتب المناصحة من الحيثية الموضوعية بمجال الوعظ، يؤكد على تجاوز تلك الكتب في غالب الأحيان لموضوعات القتال والجهاد ونحو ذلك؛ وبعض الباحثين قد رصد اختفاء الوعظ السياسي إبان الحرب والفتن، وظهوره في أزمته الاستقرار، مما يؤكد صحة القول بتغليب جانب تناول الموضوعي لمسائل الأموال في باب الجهاد. انظر: في الوعظ السياسي

الجوزي رحمته الله مفصلاً في "باب ذكر اجتلاب الأموال ومصارفها"<sup>(١)</sup>، موضحاً فيه أحكام الغنائم، والفيء، والخراج، والعشور، وطرق مصارفها، وواجب الإمام فيها<sup>(٢)</sup>، ومثله الشيزري رحمته الله في "المنهج السلوك" حيث عقد باباً كاملاً في معرفة قسم الغنائم والأنفال<sup>(٣)</sup>، كما بين أبو حامد المقدسي رحمته الله في "بذل النصائح" للسلطان أن من أداء الأمانة بالولاية أمانة المال، ذاكراً أنه "ينبغي أن يعلم أن الأموال السلطانية التي أصلها في الكتاب والسنة، ثلاثة أصناف: الغنيمه، والصدقة، والفيء، وما يلحق به من الجزية، والخراج، والعشر.." <sup>(٤)</sup>، ثم أخذ في ذكر بعض الأحكام المتصلة بمصارفها على وجه الإيجاز والاختصار<sup>(٥)</sup>.

ويختتم ابن الجوزي رحمته الله في "المصباح المضيء" كلامه في مسألة اجتلاب الأموال ومخارجها بقوله: "وتفصيل كل شيء منها يطول به الكتاب، وإنما المقصود الاختصار"<sup>(٦)</sup>، مما يؤكد على إجماع القلم الفقهي عن الاسترسال في هذا الفن من التأليف.

#### سادساً: ذكر المسائل المتعلقة بالحدود والجنايات:

لا جرم أن مسائل الحدود وأحكامه أهم ما يرشد إليه الأئمة والحكام في مجال التشريع والأحكام، فهم أحق به وأهله، ولا قيام لحد ما لم يُعلم حكم الله فيه وشرعه، يقول ابن الجوزي رحمته الله: "وينبغي أن تقام الحدود على قانون الشرع، فلا يزداد على ما ورد الشرع به ولا ينقص منه، ولا يبلغ بمن جنى، فاستحق التأديب مقدار حدٍّ، وربما فعل بعض الولاة ما لا يجوز

لأحمد السري (ص ١١٣).

(١) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٥٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٥٩-٢٧٣).

(٣) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٦٧٥-٦٨٦)، وانظر: الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٩١).

(٤) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (ص ١٣٠).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٠-١٣٤).

(٦) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٧٥).

في الشرع وسمي ذلك سياسة، وهذا عين الخطأ؛ لأن الشريعة هي السياسة الكافية، فمن أضاف إليها ما نصت عنه فقد تعاطى على الشريعة، وأظهر أنها ناقصة تحتاج إلى تمام، ولقد حدثت عن أبي الوفاء بن عقيل الفقيه أنه أنكر على شحنة كان ببغداد يقال له سعد الدولة، وكان إذا أخذ اللصوص طبخهم في القدور، فقال له: هذا تعاط على الشريعة، معناه: أنها لم تأت بما يكفي من الردع فاحتاجت إلى تمام رأيك"<sup>(١)</sup>.

وقد عرضت كتب المناصحة مسائل الحدود وأحكامه في سياق ترتيب وتقسيم مؤلفيها لمصنفاتهم، بعيداً عن النظم الفقهي المعلوم، فحيث ما وجد محل عرض المسألة من التبويب أو التنظيم وجدتها حاضرة فيه، ومن ذلك أن الماوردي رحمته الله عقد بذيل كتابه "نصيحة الملوك" باباً "في تدبير الأعداء وأهل الجنائيات"<sup>(٢)</sup>، مصدراً هذا الباب بحديث مائع عن حرمة الأنفس والأعراض، ومقصود الشارع من إقامة الحدود والتعزيرات، ثم شرع في الحديث عن حكم قتال المرتدين والبغاة، وذكر حد الحراية، والقصاص، والزنا، والخمر، وشرط وجوب الحدود<sup>(٣)</sup>، وختم ذلك بقوله: "فهذه جمل أصول ما أباح الله فيه القتال والقتل، والحد وسفك الدم والجلد، ولها فروع يطول ذكرها عما عرضناه في كتابنا، وهي معروفة عند الفقهاء مسطورة في كتب العلماء"<sup>(٤)</sup>.

ومن المصنفات التي أولت أحكام الحدود بشيء من الذكر، كتاب "بذل النصائح الشرعية" لأبي حامد المقدسي رحمته الله<sup>(٥)</sup>، وكتاب "النصائح المهمة" للشيخ علوان رحمته الله، ناقش

(١) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٥٢).

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٠٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٣٠٥-٣١٣).

(٤) المصدر السابق (ص ٣١٣).

(٥) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٤٠-١٤٣).

الأخير مسائل منها: ثبوت رجم المحصن في السنة، والعدل في تنفيذ الحد<sup>(١)</sup>.

كما تولي كتب المناصحة أحكام قتال البغاة وقطاع الطريق والمرتدين اهتماماً بالغاً، وتخصها بالإفراد في الفصول والأبواب، وقد بَوَّبَ الشيرازي رَحِمَهُ اللهُ بَاباً "في معرفة قتال أهل الردة وأهل البغي وقطاع الطريق"<sup>(٢)</sup>، يقول في مبدئه: "نقتصر في هذا الباب على ذكر ما يجوز للملك فعله، ونوضح قواعد المذهب في ذلك من غير ذكر خلاف، ولا تطويل؛ ليقع الفعل في ممارستهم موافقاً للشرع، وهو ثلاثة فصول"<sup>(٣)</sup>، جعل الفصل الأول في معرفة قتال أهل الردة وقتل المرتد<sup>(٤)</sup>، والفصل الثاني في معرفة قتال أهل البغي<sup>(٥)</sup>، والفصل الثالث في معرفة قتال قطاع الطريق<sup>(٦)</sup>، ويمد الطرسوسي رَحِمَهُ اللهُ القول في ذكر أحكام البغاة والخوارج على السلطان، ويخصص له فصلاً كاملاً في مصنفه<sup>(٧)</sup>، كما يعقد الخرميني رَحِمَهُ اللهُ في "الدرة الغراء" لذلك فصلين: الأول: في البغاة<sup>(٨)</sup>، والثاني: في أحكام قطاع الطريق<sup>(٩)</sup>.

وإن من أصيل القول في ختام هذا المطلب أن يشار إلى ما ينفي الإغراب من إيراد مسائل الأحكام مفرقة أو مجتمعة في تلك المصنفات، فالأمر في هذا المقام متعلق بجريان خط الفقيه

(١) انظر: النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٤٦-١٥٩).

(٢) المنهج السلوك للشيرازي (ص ٦٤٦).

(٣) المصدر السابق (ص ٦٤٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٦٤٧-٦٥٦).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٦٥٧-٦٦٧).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٦٦٨-٦٧٤).

(٧) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٢٩-١٤٣).

(٨) انظر: الدرّة الغراء للخرميني (ص ٢٥٤-٢٥٦).

(٩) انظر: المصدر السابق (ص ٢٥٦-٢٥٧).

الذي لا يتكلف استطلاع المسألة عند وجود موجبها<sup>(١)</sup>، فجل مصنفي تلك الكتب هم من فقهاء الأمة وعلمائها، وإذا كان الماوردي رَحِمَهُ اللهُ - على سبيل المثال - أديباً سلطانياً، فإن ملكته الفقهية التي ظهرت مبهرة في كتابه "الحاوي" لن تكون غائبة حال مناصحته ولو بالإيماء الإشاري؛ ولذا فإن كتب المناصحة لا تكاد تخطئ أبواب الفقه جميعها ولو في مسألة منه، وقد وقف الباحث على جم غفير من مسائل الفقه المشوثة بين ثناياه مثل: مسائل الرهن<sup>(٢)</sup>، والضمان<sup>(٣)</sup>، والشركة<sup>(٤)</sup>، والإجارة<sup>(٥)</sup>، والغصب<sup>(٦)</sup>، والوقف<sup>(٧)</sup>، والهبة<sup>(٨)</sup>، والفرائض<sup>(٩)</sup>،

(١) لحظ الباحث ظهور الأثر الفقهي في كتاب "العقد الفريد" الذي اكتنفه من دفتيه، حيث بدأ بذكر الأحكام الفقهية المتصلة بأركان الإسلام، وختمه بالقاعدة الرابعة التي جعلها تكميلاً بأنواع من الزيادات في الأحكام، وأبين من ذلك الخرميتي في "الدرة الغراء" الذي تفنن في العرض الفقهي بتبويب باب كامل في الحيل الشرعية، وباب في تنبيه المجيب من المسائل الشرعية، ثم حشد مسائل شتى من فروع الفقه في خانة كتابه، ويقاربه الطرسوسي في "تحفة الترك" الذي توّدد إلى الخليفة في مستهل كتابه بذكر جملة من الفقه المقارن بين الحنفية والشافعية، ومثله: أبو حامد في "بذل النصائح الشرعية" ولا يعني هذا خلوه بقية الكتب من المسائل، ولكن الحبر الفقهي في هذه الكتب بيّن العلامة، سافر الوجه.

(٢) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٣١٦)، وانظر: الدرة الغراء للخرميتي (ص ٢٨٨).

(٣) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧٤)، وانظر: الدرة الغراء للخرميتي (ص ٢٧٦ - ٢٧٧).

(٤) انظر: الدرة الغراء للخرميتي (ص ٢٨٩) (ص ٣٢٤).

(٥) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٣١٨ - ٣١٩)، وانظر: الدرة الغراء للخرميتي (ص ٢٨٩).

(٦) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٣١٧)، وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧٤ - ٧٥)،

وانظر: الدرة الغراء للخرميتي (ص ٢٧٣ - ٢٧٤).

(٧) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٣٠٣ - ٣٠٦)، وانظر: الدرة الغراء للخرميتي (ص ٢٧٧).

(٨) انظر: الدرة الغراء للخرميتي (ص ٣٢٨ - ٣٣٢).

(٩) انظر: قوانين الدواوين لأسعد ممتي (ص ٣٠٧)، وانظر: الدرة الغراء للخرميتي (ص ٢٧٨ - ٢٨٠).

والعتق<sup>(١)</sup>، والنكاح<sup>(٢)</sup>، والطلاق<sup>(٣)</sup>، والحضانة<sup>(٤)</sup>، والإقرار<sup>(٥)</sup>، والصيد<sup>(٦)</sup>، والأيمان<sup>(٧)</sup>، وغير ذلك، ولا تقصد الدراسة أكثر من إثبات وجود مجال التشريع والأحكام في تلك المصنفات، مؤكدةً على استحضار المصنفين للمجال الذي يكتبون فيه، والذي اتضح من خلال الاختصار في عرض المسألة من جهة، والاقتصار على المسائل المقترنة بعمل الإمامة غالباً من جهة أخرى.

(١) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٩٨).

(٢) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٣٢١ - ٣٢٦)، وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٨٦ -

٩٠)، وانظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٩٥ - ٢٩٧).

(٣) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٨٤ - ٢٨٥)، و(ص ٢٩٧ - ٢٩٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٨٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٩).

(٦) انظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٢٦٢ - ٢٦٦)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي

(ص ٣٣٥ - ٣٣٧).

(٧) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٨٦ - ٢٨٧)، و(ص ٢٩٠ - ٢٩١).

## المطلب الثاني

### مجال مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الأحكام المتعلقة بنهي الشارع

لا يخفى أن الأعمال الباطلة التي نهى عنها الشارع كثيرة العدد، وأنها متوالدة بفعل المكلفين، فكل ما خالف أمر الشريعة استقل مسألة يبحثها الفقيه والعالم، يقول الرازي رحمته الله: "وأما الأعمال الباطلة فهي عبارة عن كل ما ورد النهي عنه، إما في القرآن، أو في الأخبار المتواترة، أو في أخبار الآحاد، أو في إجماع الأمة، أو في القياسات الصحيحة، ولا شك أن تلك المنهيات تزيد على الألف"<sup>(١)</sup>.

والمحرم سواء أكان في مقابل المباح كالربا والزنا والسرقه وما دون ذلك، أم ما كان في مقابل المشروع من محدثات الأمور في العبادات والقربات، فهو "مطلوب الترك سواء كان للتحريم أو للتنزيه"<sup>(٢)</sup>؛ ذلك أن المنهيات جميعها ليست من أمر الدين فيجب ردها<sup>(٣)</sup>.

وبناءً عليه فإن المصنف في كتب المناصحة التزم ميزان الشريعة في باب المنهيات، يقول أبو حامد المقدسي رحمته الله في "بذل النصائح": "والضابط الجامع لأمر الحسبة، هو الشرع الشريف المطهر، فكل ما نهت عنه الشريعة كان محظوراً، يجب على المحتسب إزالته والمنع من فعله، وما أباحته الشريعة أقره، ولم يعترضه بإنكار ولا غيره"<sup>(٤)</sup>، كما أن مصنف كتب المناصحة لم يقصد الاستيعاب لذكر المنهيات، وإنما أشار إلى حكم ما قام الموجب على إيراده، مقتصرًا على المسائل المتعلقة بالمنصوح، وقد جعل الخرميتي رحمته الله عنوان الباب السابع من كتابه: "في المسائل الشرعية المتعلقة بالقضاة والسلاطين والأمراء"<sup>(٥)</sup>، ورتب أبو حامد المسائل المتعلقة بالمنهيات على وفق

(١) تفسير الرازي (١/٢٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤/٢٣٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (٥/٣٠٣).

(٤) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٩٧ - ٢٩٨).

(٥) الدررة الغراء للخرميتي (ص ٢٤١).

المراتب السلطانية، ابتداءً بالحاكم وانتهاءً بموظفي المساجد من الأئمة والمؤذنين وخدم المساجد ونحو ذلك، وأتبع ذلك بذكر المخالفات الشرعية عند أرباب الحرف والصناعات والتجار وأصحاب الأموال على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم تبصرةً وعلماً للمحتسبين، وقد جاء كتابه موسوعة فقهية في المنهيات المتعلقة بالولايات وأصحاب الحرف والصناعات.

ويتجوز المصنفون في تصنيف المسائل وترتيبها؛ إذ المحور كما تقدم هو الملك أو السلطان أو الخليفة، أو الحاجة المقتضية لذكر المسألة، ومن ذلك ما فعله الماوردي رحمته الله في الباب العاشر من كتابه "نصيحة الملوك"، حيث حشد فيه جملةً من المنهيات الفقهية المتفرقة تحت عنوان "في تقديم النيات وطلب التأويلات لكثير مما يجري في أيدي الملوك والأمراء مما اختلفت فيه كثير من العلماء وكثير من الفقهاء"<sup>(١)</sup>، أو ما توسع به أبو حامد المقدسي رحمته الله في ضم النظائر المتباعدة إلى بعضها حين أدرج مسائل النكاح في مسائل البيوع بجامع المعاوضة، يقول: "وفي معنى المعاملات وإن لم يكن منها عقود الأنكحة المحرمة..."<sup>(٢)</sup>.

ويبقى تنبيه الملوك والسلاطين في كتب المناصحة على المنهيات من أعظم الأبواب حرمة وقدرًا؛ يقول الماوردي رحمته الله بعد حث الملوك على مراتب الورع والصيانة<sup>(٣)</sup>: "فمن الواجب على الملك العاقل - إذا عرف ما قلنا - إن لم تطاوعه نفسه على رفض الدنيا حتى يلحق بمنزلة الزهاد الأخيار، ألا يرضى بمنزلة الفساق الفجار، فيكتسب المآثم، ويدخل النار فيخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين"<sup>(٤)</sup>؛ ولذا أبانوا عنها لتجنب، وأوضحوها لتتقى، وتعرض الدراسة جملةً من المنهيات التي ذكرها مصنفو كتب مناصحة أئمة المسلمين من خلال العناصر الآتية:

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٤٩).

(٢) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٦٣).

(٣) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥١).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٥٤).

### أولاً: ذكر المنهيات الشرعية المتعلقة بمسائل العبادات:

ترد المنهيات الشرعية المتعلقة بالعبادات في سياق ذكر المأمورات في الغالب، حيث يذكر المصنف بعد الأمر ما يجب تركه، أو ما يجترز منه، وقد تُفرد المنهيات في فصول وأبواب مستقلة، كما فعل الماوردي رحمته الله في "نصيحة الملوك"<sup>(١)</sup>، أو ابن الأزرق رحمته الله في "بدائع السلك"<sup>(٢)</sup> أو ما انتهجه المقدسي في عامة كتابه "بذل النصائح".

فمن المنهيات المتعلقة بمسائل الصلاة وشرائطها وما يلحق بها، تحريم استعمال آنية الذهب والفضة في الطهارة، يقول الماوردي رحمته الله: "وأما استعمال أواني الذهب والفضة والسرر المرصعة بالجواهر فإن الدين قد حرمها كلها وأوعد النبي صلى الله عليه وسلم على الشراب بآنية فضة أو ذهب وعيداً غليظاً"<sup>(٣)</sup>، فلا يجوز للسلطان في الإسلام ولا لغيره استعمالها، أو صرف أمواله وأموال المسلمين وبيت مال المؤمنين إليها، فإن فيها سرفاً وتبذيراً"<sup>(٤)</sup>.

وفي اجتناب النجاسة يقول أبو حامد المقدسي رحمته الله في منهيات أصحاب الحرف والصناعات: "الصباغ: ومن حقه ألا يصبغ بنجس محرم، كالدّم.."<sup>(٥)</sup>، وفي مهنة "البابا"<sup>(٦)</sup>

(١) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥١-٣٦٣).

(٢) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٤٨-٥٥٧).

(٣) يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة))، متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب الأكل في إناء مفضض برقم [٥١١٠] (٥/٢٠٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجال، وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع برقم [٢٠٦٥] (٣/١٦٣٨).

(٤) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٨-٣٥٩).

(٥) بذل النصائح لأبي حامد المقدسي (١/٣٠٤).

(٦) البابا لقب لمن يتعاطى الغسل والصل للثياب وغير ذلك، وهو لفظ روحي معناه: أبو الآباء، وكأنه لقب بذلك

يقول: "ويحرص على إزالة نجاسة الثوب قبل غسله من البول والغائط والمذي، والدم ونحو ذلك، فإنه متى لاقى شيء منها بدن الإنسان أو ثوبه لم تصح صلاته"<sup>(١)</sup>.

ويوضح أبو حامد المقدسي في تفتيحه المحتسب على مسائل الصلاة، النهي عن الوضوء بالنبيد قائلاً: "ولكن في اعتراضه عليهم في الوضوء بالنبيد عند عدم الماء وجهان، لما فيه من الإفضاء إلى استباحته على كل الأحوال، وأنه ربما يؤول شاربه إلى السكر"<sup>(٢)</sup>، كما يُعرّف الوزير أبو سالم بالأحكام المترتبة على انتقاض الوضوء في قوله: "ومن انتقض وضوؤه لا يجوز له أن يصلي ولا أن يحمل المصحف ولا يمسه"<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن بين أبو حامد المقدسي رحمته في كتابه "بذل النصائح" المستحبات في المؤذن أعقبها بقوله: "وينهى عن التغني في الأذان والتمطيط فيه"<sup>(٤)</sup>، كما ندب المحتسب إلى الإنكار على من أجمعوا على تركه قائلاً: "فإذا أجمع أهل محلة أو بلد على تعطيل الجماعات ومساجدهم، وترك الأذان في أوقات صلواتهم، كان المحتسب مندوباً إلى أمرهم بذلك، وهل هو واجب عليه، يَأثم بتركه، أو مستحب له من يثاب على فعله؟ وجهان..."<sup>(٥)</sup>.

ومن المنهيات التي يؤكد عليها مصنفو كتب المناصحة في هذا المجال، تأخير الصلاة عن وقتها أو تركها بالكلية، يقول أبو حامد المقدسي رحمته: "ما يؤمر به آحاد الناس، كتأخير الصلاة

لأنه تعاطى ما فيه ترفيه مخدمه، من تنظيفه قماشه، وتحسين هيئته أشبه الأب الشفيق. انظر: صبح الأعشى (٥/٤٧٠)، وانظر: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، تأليف: محمد أحمد دهمان (ص ٢٨)، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

(١) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٣٧٣).

(٢) المصدر السابق (١/٢٥٢).

(٣) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٨).

(٤) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٥٠).

(٥) المصدر السابق (١/٢٥٠).

حتى يخرج وقتها، فيذكرُ بها ويأمرُ بفعلها، ويراعى جوابه عنها"<sup>(١)</sup>، وبينه الشيخ علوان رَحِمَهُ اللهُ الأئمة والعامّة على حكم ترك الصلاة ويخوف ويزجر"<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك قوله: " وإخراج صلاة الجمعة وغيرها عن وقتها"<sup>(٣)</sup>، بعد أن عدَّ جملة مما تصان عنه المساجد<sup>(٤)</sup>.

وفي أحكام صلاة الجمعة ينهى أبو حامد المقدسي رَحِمَهُ اللهُ في " بذل النصائح " الأئمة عن تعدد إقامة الجمع في المصر الواحد بغير حاجة فيقول: " وينبغي أن يفهم مثل هذا الباني أن إقامة جمعيتين في بلد لا يجوز عند الشافعي وأكثر العلماء"<sup>(٥)</sup>، كما يُبين الخرميتي رَحِمَهُ اللهُ بأنه لا يجوز للعامّة تقديم أحد للجمعة إلا بإذن الإمام<sup>(٦)</sup>، ويعد ابن الأزرق رَحِمَهُ اللهُ كلام المأموم والإمام يخطب، والتخطي يوم الجمعة من جملة المنكرات اللسانية<sup>(٧)</sup>.

ويرشد أبو حامد رَحِمَهُ اللهُ أهل الحسبة إلى نهي أئمة المساجد عن الإطالة بالناس، فيقول في " بذل النصائح ": " وإذا كان في أئمة المساجد السابلة"<sup>(٨)</sup>، والجوامع الحفلة<sup>(٩)</sup> من يطيل الصلاة، حتى يعجز عنها الضعفاء، وتنقطع بها ذوو الحاجات أنكر ذلك، كما أنكر رسول الله ﷺ على معاذ حين أطل الصلاة بقومه"<sup>(١٠)</sup>، كما ينصح الشيخ علوان القائم على المساجد بعمارتها، وذلك

(١) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٥٠).

(٢) انظر: النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ٨٢).

(٣) المصدر السابق (ص ١٦٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٦٦).

(٥) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٥٦).

(٦) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٦٨).

(٧) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٥١).

(٨) المساجد السابلة: هي: المساجد التي تكون على الطرق الخارجية من المدن والقرى التي يمر بها المسافرون. انظر:

لسان العرب لابن منظور، مادة (سبل) (١١/٣٢٠).

(٩) الجوامع الحفلة: هي: المساجد التي تجمع كثيراً من المصلين. انظر: مجمل اللغة لابن فارس (١/٢٤٢).

(١٠) بذل النصائح لأبي حامد المقدسي (١/٢٦٩).

بـ "صونها عن النجاسات، والقاذورات، ومنع الأطفال، والمجانين، والنساء المفتنات، من دخولها عند وقت الإهانة والفساد"<sup>(١)</sup>.

ومما تناولته كتب المناصحة فيما يتعلق بمنهيات أحكام الجنائز، مسألة النهي عن تغسيل أهل البغي والصلاة عليهم، والإشارة إلى الخلاف في المسألة<sup>(٢)</sup>، ومسألة النهي عن قراءة القرآن عند القبر<sup>(٣)</sup>، والجلوس عليه<sup>(٤)</sup>.

أما ما يتعلق بمنهيات أحكام الزكاة فَيُبين الخرميّي رحمه الله أصناف من لا تحل لهم الزكاة ذاكراً بأنه: "لا تصرف الزكاة إلى ذمي، وبناء مسجد، وتكفين الميت، وإعتاق، وأصول المزكي وفروعه، وزوجته، وعبد، ومكاتبه، ومدبره، وأم ولده، ومعتق البعض كالمكاتب عند أبي حنيفة رحمه الله، وإلى من يملك قدر نصابٍ فاضلٍ عن الحاجة الأصلية من أي مالٍ كان بلا اشتراطٍ نهاء فيه"<sup>(٥)</sup>، ويؤكد أبو حامد رحمه الله على ولي اليتيم بأنه لا يجوز له إخراج زكاته قبل الحول سلفاً ترفقاً به<sup>(٦)</sup>، كما يوضح حكم من امتنع عن إخراج زكاته؛ فإن كان من الأموال الظاهرة، فلعامل الصدقة أخذها منه جبراً؛ وذلك بتعزيره على الغلول إن لم يجد له عذراً سائغاً<sup>(٧)</sup>، وينصح الشيخ علوان رحمه الله العاملين على الزكاة باتقاء الظلم وأخذ الهدايا، واجتناب كرائم أموال المتصدقين<sup>(٨)</sup>.

(١) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٦٦).

(٢) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٤١)، وانظر: الدرّة الغراء للخرميّي (ص ٢٦٩، ٢٧٠).

(٣) انظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١٢١).

(٤) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٥٥٥).

(٥) الدرّة الغراء للخرميّي (٢٨١-٢٨٢).

(٦) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ٢١١).

(٧) انظر: قوانين الدواوين لأسعد مماتي (ص ٣٠٩)، انظر: بذل النصائح لأبي حامد المقدسي (١/ ٢٥٦)، وانظر:

بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٥٥٤).

(٨) انظر: النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ٨٥).

ومن أساليب مصنفي كتب مناصحة أئمة المسلمين في عرض المنهيات الشرعية، سردها جملة تحت قسم أو نوع معين، يقول الوزير أبو سالم رحمته الله في ركن الحسبة بعد أن ذكر أنواع الحقوق: "النوع الأول: حقوق الله تعالى: من أنواع العبادات كالصلاة والصيام والطهارة والزكاة والجماعات وغيرها من شعائر الإسلام، فإن رأى أو علم إنساناً يتعمد الخلل فيها ويقصد الاستهانة بها، كمن يصلي جنباً، أو محدثاً، أو متلاعباً بالصلاة، أو يأكل في رمضان نهاراً من غير عذر، أو يتجاهر بمنع إخراج الزكاة الواجبة عليه استظهاراً، أو أهل بلد أو محلة عطلوا صلاة الجماعات في مساجدهم وأغلقوها، وتطابقوا عليه، وأهملوا غسل موتاهم، وتكفينهم من غير عذر، إلى غير ذلك مما يتطرق إلى الدين خللاً واستهتاراً، ويقضي على فاعله بقلة دينه وسوء عقيدته، ويلتحق بذلك التجاهر بالمحرمات والتبجح بإظهار المنكرات، ومنه كشف العورات في مجامع الناس والحمامات، استهانة واستهتاراً بالديانات والمروءات، فهذه كلها وما يجري مجراها ويشاركها في معناها داخله في باب الاحتساب، يلزمه إنكارها بما يحسمها من الأسباب، ويأمر فيها بسلوك السنن المشروع الكاشف شبه الارتياب، ويؤدب العاصي بها بما يناسبه من التأديب، إلا إذا تاب وأقلع وأناب"<sup>(١)</sup>.

ويقارب أبو سالم ابن الأزرق رحمته الله في "بدائع السلك" حيث ذكر جملة من النواهي مقرونة بالأوامر، "ترتيباً على أنواع متعلق الخطاب به من القلوب والجوارح والحواس، ثم بحسب سرده من غير نظر إلى ذلك الترتيب لتعم الفائدة به عموماً وخصوصاً"<sup>(٢)</sup>، وكانت طريقته بأن يبدأ بالعضو من البدن ثم يفرع الموضوع إلى قسمين: أمر ونهي، ثم يذكر تحت كل فرع جملة من

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٣٠٠-٣٠١).

(٢) بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٤٨).

أفراده، فبدأ بالقلب<sup>(١)</sup>، ثم اللسان<sup>(٢)</sup>، ثم الأذنين<sup>(٣)</sup>، ثم البصر<sup>(٤)</sup>، ثم اليدين<sup>(٥)</sup>، ثم الرجلين<sup>(٨)</sup>، ثم الفرج<sup>(٦)</sup>، ثم البطن<sup>(٧)</sup>.

ويلحظ على الكتب الاكتفاء بذكر الأمر والنهي في الغالب دون الإشارة إلى مرتبته؛ والغاية في ذلك كما أوضح ابن الأزرق رحمته الله هو استصحاب المكلف للاجتهاد نظراً وعملاً، حتى يلقي الله على ذلك<sup>(٨)</sup>؛ وهو ما يؤكد على استصحاب الوعظ والنصيحة لمجال الأحكام والتشريع.

### ثانياً: ذكر المنهيات الشرعية المتعلقة بمسائل الجهاد:

لما عظم الله أمر الجهاد عظم النهي فيه، فجعل منه السبع الموبقات، والخطايا المقحّمات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات)) قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: ((الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل ما اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات))<sup>(٩)</sup>، فالتولي يوم الزحف من الكبائر كما هو معلوم، يقول النووي: "وأما عده صلى الله عليه وسلم التولي يوم الزحف من الكبائر فدليل صريح

(١) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٤٨-٥٥٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٥٥٠-٥٥٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٥٥٢-٥٥٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/٥٥٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/٥٥٣-٥٥٤).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/٥٥٥).

(٧) انظر: المصدر السابق (١/٥٥٥-٥٥٦).

(٨) انظر: المصدر السابق (١/٥٥٧).

(٩) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا

يَأْكُلُونَ﴾ برقم [٢٦١٥] (٣/١٠١٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم [٨٩] (١/٩٢).

لمذهب العلماء كافة في كونه كبيرة"<sup>(١)</sup>؛ ولذا تناولت كتب مناصحة أئمة المسلمين مناهي هذا الباب، إضافة إلى كونه من المسائل التي تقوم على عمل الإمامة.

ويسرد ابن الأزرق رحمته الله في "بدائع السلك" جملة من المنهيات الشرعية المتعلقة بمنكرات الرجلين فيقول: "المسألة الثالثة: في مطلوبها من ذلك تركا، وهو جملة، الفرار من الزحف...، ترك الهجرة، ترك الخروج إلى الجهاد الواجب، رجوع المهاجر على عقبيه.."<sup>(٢)</sup> ومعلوم أن المذكور من جملة المنهيات في الجهاد.

وفي أحكام الحث على الجهاد يُذكر الشيزري رحمته الله ولاية الأمر بـ: "أن لا يترك أحداً من جيشه يتشاغل بتجارة أو زراعة؛ لأن ذلك يصرف الاهتمام عن مصابرة العدو، وعن الصدق في الجهاد"<sup>(٣)</sup>، و "لا يقصد بقتاله فائدة تحصل من الغنيمة فيصير من المكتسبين لا من المجاهدين"<sup>(٤)</sup>.

وفيما يتعلق بأحكام أهل الذمة عقد الطرطوشي رحمته الله فصلاً في بيان بعض "أحكام أهل الذمة"<sup>(٥)</sup>. وقد حوى شيئاً من المنهيات مثل: النهي عن تصدير أهل الذمة في المجالس، وبدئهم بالسلام، ومنعهم من أن تعلوا دورهم بناء المسلمين<sup>(٦)</sup>، وفي حكم الكنائس صرح بالمنع من بناء خرابها في قوله: "ويمنع أهل الذمة من بناء ما خرب"<sup>(٧)</sup>، كما توسع الموصلي رحمته الله في إيضاح

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٨٨).

(٢) بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٥٤)، وانظر: المنهج السلوك للشيزري (ص٦١٦، ٦٢٠)، وانظر: بذل

النصائح لأبي حامد المقدسي (١/١٩٨).

(٣) المنهج السلوك للشيزري (ص٦١٣).

(٤) المصدر السابق (ص٦٢١).

(٥) سراج الملوك للطرطوشي (ص٣٥٠).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص٣٥٤).

(٧) المصدر السابق (ص٣٥٨).

النهي عن الاستعانة بأهل الذمة والمشرّكين في الجهاد وعمل المسلمين<sup>(١)</sup>.

أما الجانب المالي في منهيات الجهاد فيُحدّر المصنّفون في كتبهم من جريمة الغلول ببيان حكمه، يقول الشيزري رحمته الله عن الأمانة فيما حاز المقاتل من الغنائم: "ولا يغل منها شيئاً، بل يحمل جميعه إلى المغنم؛ ليقسم بين الغانمين الذين حضروا الواقعة؛ لأن لكل واحد منهم فيها حقاً"<sup>(٢)</sup>، كما ينبه البعض منهم المجاهدين على تحريم المنازعة في قسمة الغنائم<sup>(٣)</sup>.

كما يشدد الخرميتي رحمته الله على مسألة حرمة مال الخراج وتقييد التصرف فيه فيقول: "من رأى أن الخراج ملك السلطان فقد كفر، لو ترك السلطان لرجل خراج أرضه يجوز عند أبي يوسف، وعليه الفتوى، وعند محمد لا يجوز، ولو وهب العشر منه لا يجوز بالإجماع، والفرق لأبي يوسف أن للسلطان في الخراج حقاً فإذا تركه صحّ، وهو بمنزلة صلة منه، ولا حقّ له في العشر بل هو حق الفقراء على الخلوص فلا يملكه صلة"<sup>(٤)</sup>.

ويختتم الماوردي رحمته الله الحديث عن أحكام الفيء والغنيمة والعشور والخراج بقوله: "ولا ينبغي أن يضيق صدر ملك عن إخراج هذه الأموال إلى أربابها، والله تعالى يأجره عليها، ويعوضه عنها الجنة، فإنه إن صرفها عن جهاتها وضمّها على مستحقيها، تركها لغير حامد، وخرج منها غير مشكور، وورد على غير عاذر، ولم يحصل له إلا الإثم والعار، وعذاب النار، وسوء الدار، وليس بينها إلا الحمد والذم، والأجر والإثم، فإن رغب الملك في المال الكثير فإن الله تبارك وتعالى قد جعل لطلب الأموال سبلاً معلومة، وأسباباً معروفة، فهي أطيب ما أخذ

(١) انظر: حسن السلوك للموصلي (ص ١٦٨-١٧٣).

(٢) المنهج السلوك للشيزري (٢/٦٢٢)، وانظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٩٣) وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٥٤).

(٣) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٦٢٨).

(٤) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٧١).

وأحمد عاقبة، فلا يعوزه المال من تلك الجهات إن طلبه، ولا يتعذر عليه إن اكتسبه من تميز القليل وإدراك الجليل، وما قدره الله له، وهو ولي التوفيق، وهو حسبنا الله ونعم الوكيل<sup>(١)</sup>.

وما ذكره الباحث هو مثال لما أورده المصنفون من المنهيات في مسائل الجهاد التي بثت في منشور كتبهم.

### ثالثاً: ذكر المنهيات المتعلقة بمسائل المكاسب والمعاملات:

تأخذ مسائل المكاسب والمعاملات قسطاً لا بأس به في مصنفات المناصحة، ويحرص المؤلفون من خلالها على إيضاح المحرمات والمنهيات للملوك وسائر الرعية؛ لأن الأصل في هذا الباب كما هو معلوم هو الحل والإباحة، كما قال شيخ الإسلام: "والأصل في هذا أنه لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها، إلا ما دل الكتاب والسنة على تحريمه"<sup>(٢)</sup>، فالتحريم في هذا الباب يأتي مقابلاً للمباح.

ويتفق الماوردي رحمته الله في عرض جملة من محرمات المكاسب، ويذيلها بتعريض لطيف يستنكف به الملوك عن تلك المنهيات قائلاً: "ثم قد حرم الله - جل وعز - من صنوف المكاسب والمطالب، والغصب، والغلول، والغش، والخيانة، والسرقه، وكل ما أخذ من غير طيب نفس، أو حق يجب عليه، أو ميراث يورث من بعده سوى ما أوجبه الله على أهل الملة من حق في أموالهم، فيأخذه الإمام من أغنيائهم فيرده على فقرائهم.

فالواجب على الملك الذي أحله الله المحل الجليل، وأنزله المنزلة الرفيعة أن يتوقى ما نهاه الله عنه، فإن فيه ما بينا في غير موضع من المأثم والمذام والملاوم، وقد ذكره الحكماء والعلماء والفضلاء من أهل كل صنف وشريعة وجيل وديانة المكاسب الدنيئة، والمطالب التي تُكسب العار والفضيحة، وتبقي قبح الأحداث، ولا شيء أولى بهذه الصفة من الكسب مما حرم الله، فإن

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٠١).

(٢) مجموع الفتاوى، جمع: عبدالرحمن بن محمد القاسم (٣٨٦/٢٨).

الله لم يجرم إلا القبيح، ولم يحظر على عباده إلا الدين الخسيس، ولم يزل الملوك الفضلاء والأئمة الحكماء ينتظفون عن ظلم الرعية والطمع في أموالها إلا ما وُظفت عليهم سنتهم، وأباحته لهم ملتهم وريعتهم من أخذ فضول أموالهم، ثم ردها عليهم في عوام مصالحهم، من تحصيل دمائهم، وتثمير أموالهم، وتأمين سبلهم، ودفع أعدائهم، وقمع دُعارهم<sup>(١)</sup> (٢).

وفي النهي عن بخرس الحقوق وتطفيف الموازين يعقد الشيخ علوان رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فصلاً كاملاً في مصنفه، ويصدره بقوله: "ومن المنكرات بخرس الناس حقوقهم، وأكل أموالهم، وأخذها بغير طريق شرعي، فإن ذلك ظلم، والله تعالى يقول لنا في بعض كلامه: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا))"<sup>(٣)</sup>، وقال رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَوَّجُوهُمُ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾<sup>(٤)</sup> (٥)، كما يبين ذلك أيضاً الطرطوشي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ في "سراج الملوك"<sup>(٦)</sup>، وابن الأزرق رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ في "بدائع السلك"<sup>(٧)</sup>.

ومن المصنفات التي استرسلت في ذكر المنهيات الشرعية في البيوع والمكاسب "بذل النصائح الشرعية" لأبي حامد المقدسي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، الذي جعله مؤلف عدة للمحتسب في أمره ونهيه،

(١) الذعار: وصف عند العامة تصف به اللصوص. انظر: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تأليف: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (٢٦٠)، حققه وعلق عليه وصنع فهرسه: السيد الشراقوي، راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٧٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم [٢٥٧٧] (٤/ ١٩٩٤).

(٤) سورة المطففين، الآية (١ - ٦).

(٥) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٠٩).

(٦) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٩٣).

(٧) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٥٥٤).

يقول فيه: " وأما المتعلق بالمعاملات المنكرة: كالربا والبيوع الفاسدة، وما منع منه الشارع مع تراضي المتعاقدين به، إذا كان متفقاً على حظره، فعلى المحتسب إنكاره، والمنع منه، والزجر عنه، وأمره في التأديب مختلف بحسب الأحوال وشدة الحظر، فأما ما اختلف الفقهاء في حظره، وإباحته فلا مدخل له في إنكاره إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه، وكان ذريعة إلى محذور متفق عليه، كربا النقد، الخلاف فيه ضعف، وهو ذريعة إلى ربا النساء المتفق على تحريمه، فهل يدخل في إنكاره بحكم ولايته أم لا؟ فيه الوجهان السابقان.

وفي معنى المعاملات، وإن لم يكن منها عقود المناكح المحرمة، فينكرها إن اتفق الفقهاء على حظرها، ولا يتعرض لإنكارها إن اختلف الفقهاء فيها، إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه، وكان ذريعة إلى محذور متفق عليه كالمثمة، فربما صارت ذريعة إلى استباحة الزنا، ففي إنكاره لها وجهان، وليكن بدل إنكاره لها الترغيب في العقود المتفق عليها، ومما يتعلق بالمعاملات: غش المبيعات، وتدليس الأعمال، فينكره، ويمنع منه، ويؤدب عليه بحسب الحال فيه.

فإن كان هذا الغش تليسياً على المشتري، ويخفى عليه، فهو أغلظ تحريماً، وأعظم إثماً، والإنكار عليه أغلظ، والتأديب عليه أشد. وإن كان لا يخفى عليه، كان أخف إثماً وألين إنكاراً فإن اشتراه لبيعه على غيره توجه الإنكار على البائع بغشه، وعلى المشتري بابتياعه، وإن اشتراه ليستعمله خرج عن الإنكار واختص بالبائع وحده، وكذلك القول في تدليس الأثمان، ويمنع من تصرية المواشي عند البيع المنهي عنه وأنه نوع من التدليس.

ومما هو عمدة في نظره المنع من التطفيف، والبخس في المكايل والموازن، والصنجات، للوعيد عليه في الكتاب العزيز<sup>(١)</sup>.

(١) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٦٢ - ٢٦٤).

ومن المسائل التي تناولها أبو حامد المقدسي رحمته الله في مصنفه النهي عن التسعير<sup>(١)</sup>، والاحتكار<sup>(٢)</sup>، وتلقي الركبان<sup>(٣)</sup>، والنجش<sup>(٤)</sup>، وبيع المنفعة المحرمة<sup>(٥)</sup>، وأحكام الربا عند تناوله لعمل الصيارف<sup>(٦)</sup>، وقد ختم كلامه قائلاً: "وقد ذكر الفقهاء في كتبهم ما فيه كفاية من ذلك"<sup>(٧)</sup>، إشارة إلى أن كتب المناصحة ليست محلاً لاستيعاب مسائل التشريع والأحكام كما يوافق على ذلك غالبُ المصنفين.

#### رابعاً: ذكر المنهيات المتعلقة بمسائل الحدود والجنايات:

لا تقام الحدود إلا بسultan، ولا ينفذها إلا أولو الأمر، يقول ابن رشد رحمته الله: "وأما من يقيم هذا الحد - أي على شارب الخمر - فاتفقوا على أن الإمام يقيمه، وكذلك الأمر في سائر الحدود"<sup>(٨)</sup>؛ ولذا فإن خطاب النصح في إقامته يخصهم دون غيرهم.

وإذا كانت الحدود والتعزيرات تقام على المعتدين والظالمين لأنفسهم أو لغيرهم، فإن القوة الغضبية التي تتاب الملوك مع السطوة والقدرة قد تحملهم على الحيف بالجناة والتعدي في تأديبهم؛ لذا حرص الناصحون في مؤلفاتهم على تنبيه السلاطين والأمراء بحكم هذا الأمر، يقول الماوردي رحمته الله: "ثم قيد الإسلام الغيلة والمثلة فحرمهما، فليتق الله ملك قادر، أو سلطان

(١) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٧٩)، وانظر: التحفة الملوكية للماوردي (ص١٣٧ - ١٣٩).

(٢) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٨١)، و(٢/٤٠٢).

(٣) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٨٢)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٥٥).

(٤) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (٢/٤٣٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/٣٠٦).

(٦) انظر: المصدر السابق (٢/٤٤٤).

(٧) المصدر السابق (٢/٤٣٧).

(٨) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد (٤/٢٢٨).

قاهر، وليحذر أن تحمله قدرته الجزوية القليلة على ظلم الرعية، ولئوم المقدره والإسراف في المعاقبة"<sup>(١)</sup>، ويزيد الحسن العباسي رحمته الله في "آثار الأول" على قول الماوردي رحمته الله، فيوضح للملوك حرمة الدماء، ولزوم الريث، واستحضار العفو والستر على قانون الشرع قائلاً: "ولا ينبغي له أن يسفك الدماء وتفويت الأرواح إلا بالشرع، وإذا اشتبهت عليه الأمور راجع فيها وأمر، ويكون له كاتب وديوان يثبت فيه أرباب الجنايات، وما يثبت من حقهم، وكيفية عقوباتهم، وينبغي ألا يمثل في القتل، ولا يهتك الأستار، ويقيل ذوي المروءات والهيات عثراتهم ما لم يكن فيه منع من جهة الشرع"<sup>(٢)</sup>.

ومن مسائل المنهيات الكبرى في هذا الباب، حراسة الحدود والأحكام من التحريف والإبدال، ونهي الولاة والأمراء عن الحيدة، يقول ابن الجوزي رحمته الله في لزوم قانون الشرع بالحدود: "فلا يزداد على ما ورد الشرع به ولا ينقص منه، ولا يبلغ بمن جنى، فاستحق التأديب مقدار حد، وربما فعل بعض الولاة ما لا يجوز في الشرع، وسمي ذلك سياسة، وهذا عين الخطأ؛ لأن الشريعة هي السياسة الكافية، فمن أضاف إليها ما نصت عنه فقد تعاطى على الشريعة، وأظهر أنها ناقصة تحتاج إلى تمام"<sup>(٣)</sup>، وقال أبو حامد رحمته الله في أخذ العوض المالي عن الحد: "ولا يجوز أن يؤخذ من القاتل، أو السارق، أو الزاني ونحوهم ما لا يعطل به الحد، لا لبيت المال ولا لغيره"<sup>(٤)</sup>.

ومن المنهيات التي تناولتها كتب المناصحة في شأن الحدود، زجر الشفعاء ورد

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣١٣).

(٢) آثار الأول للحسن العباسي (ص ١٦٩).

(٣) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٥٢).

(٤) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ١٤١)، وانظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٥٢)، وانظر:

النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٤٨).

شفاعتهم<sup>(١)</sup>، وعدم المحاباة في إقامتها يقول الشيخ علوان: "ويجب على الإمام ونائبه عدم محاباته شريفاً أو وضعياً"<sup>(٢)</sup>، وكذا النهي عن التقصي والتجسس على المستترين في الحدود<sup>(٣)</sup>، وعن الغيلة والمثلة<sup>(٤)</sup>.

أما ما يتصل بأحكام البغاة من النواهي الشرعية فقد نص الخرميني رحمته الله في "الدرة الغراء" على تحريم سبي ذراريهم، وقسم أموالهم، وقتل أسيرهم، يقول في ذلك: "ولا يسبي لهم ذرية، ولا يقسم مالا؛ لأنهم مسلمون معصومون، ولكن يجبس ما لهم حتى يتوبوا فيرد عليهم، وكذا أسيرهم لا يقتل إذا لم يكن لهم فئة"<sup>(٥)</sup>، ويقاربههم في الأحكام قطاع الطريق<sup>(٦)</sup>.

كما يصون مناصحو أئمة المسلمين مسائل الحدود عن الزيادة، ويحفظونها من العدم والنقصان، يقول الشيخ علوان رحمته الله في جلد الزاني: "فإن نقصت فما حكمت بالعدل، وإن زدت فكذلك، فلا تنقص ولا تزد، فالنقص حيف، والزيادة ظلم، وذلك خارج عن قانون العدل"<sup>(٧)</sup>؛ ولذا جاءت المناهي في هذا الباب لسد الطرق المفضية إليها.

#### خامساً: ذكر المنهيات الشرعية المتصلة بهيئات الملوك وأحوالهم ورسومهم:

تعني كتب المناصحة خاصة عند متقدميهم بـ "ما يعده كثير منهم أدباً في الجلسة، واللبسة،

(١) انظر: النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٤٩-١٥١).

(٢) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٤٩)، وانظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٨٧).

(٣) انظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٣٢٨)، وانظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ١٦٩).

(٤) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣١٣)، وانظر: الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٤١)، وانظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ١٦٩).

(٥) الـدرة الغراء للخرميني (ص ٢٥٥)، وانظر: المنهج السلوك للشيـري (ص ٦٦٤-٦٦٦)، وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٤٠).

(٦) انظر: المنهج السلوك للشيـري (ص ٦٦٨-٦٧٤).

(٧) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٤٨)، وانظر: التحفة الملوكية للماوردي (ص ١١٥).

والركبة، والطعمة، والأثاث، التي يتجملون بها فيما بينهم، والزي الذي يتزيّون به"<sup>(١)</sup>، وما يختص به الملوك، وخواصهم، وحاشيتهم في المنادمة، والمسامرة، والمؤانسة، والصيد، والسفر، ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>، وقد تكون تلك العادات والآداب منقولة عن الإرث الفارسي، أو اليوناني من غير تجريد ولا تخلص؛ ولذا يجد القارئ في بعضها ما علم تحريمه من الدين بالضرورة، مثل ما تناوله الطوسي رحمته الله في الفصل السابع عشر من "سير الملوك"، والذي عنون له بـ "في ندماء الملك ومقربيه وتنظيم أمورهم"<sup>(٣)</sup>، حاشداً فيه جملة من المنكرات المحرمة، مثل: شرب الخمر، ولعب النرد، والميسر، وسماع الغناء، وسؤال المنجمين ونحو ذلك<sup>(٤)</sup>، من غير نكير ولا تذكير؛ ولذا فطن لهذا الفقيه الماوردي رحمته الله في كتابه "نصيحة الملوك"، وجعل لتلك المنهيات نظاماً جامعاً ينظمها في التصنيف، حيث بَوَّب لها في آخر كتابه باباً ووسمه بـ "في تقديم النيات وطلب التأويلات لكثير مما يجري في أيدي الملوك والأمرء مما اختلف فيه كثير من العلماء وكرهه كثير من الفقهاء"<sup>(٥)</sup>، وقد مهّد لبيانها بقوله: "فالواجب على المقر بالله وبالشريعة، والمعترف بحق التنزيل والديانة، أن يجتنب الحرام المطلق بالاتفاق، وينظر في موضع الاختلاف، فمن لم يفعل واقتصر على أحد أقاويل الأمة وأئمة أهل الملة كان أوسع طريقاً وأقرب إلى الحق سبيلاً.

ثم جعل الله - وله الحمد - إلى استنابة المشكل واستيضاح المشتبه منها طرقاً لائحة، وسبلاً واضحة، وجعل للهارب من الحرام إلى الحلال سبلاً معلومة، وعن كل محرم بدلاً يسكن إليه

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٥).

(٢) انظر: آداب الملوك للثعالبي (٦٥ - ٧٥)، وانظر: سير الملوك للطوسي (ص ١٢٦ - ١٢٧)، وانظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٢٠١ - ٢٨٣).

(٣) سير الملوك للطوسي (ص ١٢٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٢٦ - ١٢٧).

(٥) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٤٩).

المتديّن، ويقنع به المستخرج" (١).

وإن أولى ما تنزهت عنه الملوك، وتجنبتة السلاطين، الابتعاد عن المحرمات الموجبة للحدود والتنكيل، يقول الماوردي رحمته الله: "فأما الفواحش المحرمة في الدين بالاتفاق، والتي يقع فيها قطع النسل وفساد الأنساب، وإبطال الموارث والأحساب، فالملك أجلُّ وأرفع منزلة من التدنس به، والتقدير بعاره وشناره" (٢)، بل الواجب عليه في جلاله رتبته وشرف همته وعلو منزله ألا يُخْطِرُه بباله، فضلاً عن تناوله، وليس يبعث عليه إلا الشيطان وسوء العادة التي يتعوّدها الإنسان، وقد عوض الله عنه وأبدل منه ما هو أرفع منه، وأطيب وأحمد عاقبة وأصوب، وأعمل في عمارة الدنيا، وبقاء النسل وخير الذكر، من تزوّج من النساء مثني وثلاث ورباع، واستبدال زوج مكان زوج على ما لا غاية له، وشراء الإماء، وتسريّ الجوّاري إلى ما تبلغ إليه الطاقة وتنتهي إليه الهمة" (٣).

وينقل الماوردي رحمته الله للملوك الإجماع على تحريم الخمر في قوله: "وأما الشرب فقد أجمعت الأمة ونطقت الآية (٤) بتحريم الخمر" (٥)، ثم أشار إلى خلاف الفقهاء فيما دون السكر مما دون الخمر من الأشرية (٦)، وختمه بقوله: "فيجب على الملك ألا يختار أفحش المذاهب وأبعدها من الدين" (٧). ويسوقها الحافظ المقدسي رحمته الله في مقدمة المنهيات بمصنّفه قائلاً للملك: "ثم اجتناب

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٣).

(٢) الشنار: العيب والعار. مختار الصحاح للرازي، مادة (ش ن ف) (ص ١٦٩).

(٣) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٩)، وانظر: الدر الغراء للخرميتي (ص ١٦٨).

(٤) يقصد قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

(٥) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٩)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١ / ١٨١).

(٦) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٩ - ٣٦٠).

(٧) المصدر السابق (ص ٣٦٠).

الخمير...<sup>(١)</sup>.

وفي الأطعمة والصيد عقد الحسن العباسي رحمته الله فصلاً "فيما يباح وما لا يباح وما يكره"<sup>(٢)</sup> من لحوم الحيوان، وأشار الماوردي رحمته الله إلى تحريم قتل الحيوان في الصيد لغير حاجة ولو حلَّ أكله في قوله: "وأما الصيد فأصله مباح، وهو حلال بالاتفاق ما لم تقع فيه نية فاسدة"<sup>(٣)</sup>.

أما ما يتعلق باللباس والزينة، فقد نبّه الماوردي رحمته الله الملوك على حرمة لبس الحرير على الرجال بقوله في ذلك: "ولا بأس بعد الحرير والديباج بلبس كل ثوب فاخر من الخروز والبرود، وكره كثير من العلماء قياساً على الحرير والديباج كل ثوب نسج من الإبريسم"<sup>(٤)</sup> الخالص"<sup>(٥)</sup>، ويقارب قوله أبو حامد المقدسي رحمته الله في "بذل النصائح" عند تناوله لألبسة الرؤساء المتخذة من الحرير<sup>(٦)</sup>.

كما يشدد الماوردي رحمته الله في "نصيحة الملوك"، وأبو حامد رحمته الله في "بذل النصائح" على مسألة استعمال الذهب والفضة في الأواني، والآلات، والأثاث، وزخرفة حيطان البيوت وسقفها؛ لأن "الدين قد حرمها كلها، وأوعد النبي صلى الله عليه وسلم على الشرب بآنية فضة وذهب وعيداً غليظاً، فلا يجوز للسلطان في الإسلام ولا لغيره استعمالها أو صرف أمواله وأموال المسلمين وبيت مال المؤمنين

(١) نصيحة الملك الأشرف للحافظ المقدسي (ص ٢٤٣)، وانظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ٢٢٩).

(٢) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٢٦٥).

(٣) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٦٣).

(٤) الإبريسم: الحرير، وخصه بعضهم بالخام. انظر: تاج العروس للزبيدي، مادة (برسم) (١٨١/٣١).

(٥) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٧).

(٦) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٩٣ - ١٩٤، ١/٣٠٢).

إليها"<sup>(١)</sup>، لما تفضي إليه من إضاعة الجيوش، وإثقال الناس، وفتنة الرعية، وضيق السكة<sup>(٢)</sup> على المسلمين<sup>(٣)</sup>.

ويخصص الشيخ علوان رحمته الله في "النصائح المهمة" فصلاً كاملاً يفصّل فيه القول في تحريم لبس الذهب والحرير للرجال ويستهلّه قائلاً: "ومن المنكرات التي عمت بها البلوى لكثير من الرجال الكبراء، والأعيان، والأمراء، لبس الذهب والحرير... فالذي نعرفه من مذهب إمامنا الشافعي أنه لا يباح الذهب والحرير للرجال بقصد الزينة، وقد يباحان في محل الضرورة، وليس هذا محل بسط الكلام في ذلك"<sup>(٤)</sup>.

ومن الأعمال التي أوضحت كتب المناصحة تحريمها، ونهت الكبراء والأمراء عنها ما يتصل فعله بمجلس استراحة الملوك، وهو ما يسمونه بمجالس الخاصة، فمن ذلك النهي عن سماع الغناء، يقول الماوردي رحمته الله: "وأما السماع من المزمار، والطناير، والمعازف فإن الناس قد اختلفوا فيه، فحرمه كثير منهم، وتحرّج عنه عامة أهل الدين والورع والفضل"<sup>(٥)</sup>، والعجب أن الحسن العباسي رحمته الله مع إعراضه عن ذكر مسائل التشريع والأحكام في الغالب إلا أنه فصّل في ذكر الخلاف على تحريمه في الباب الثامن من كتابه<sup>(٦)</sup>، والذي عنون له: ب "في مجلس السماع وراحة النفس واختيار ذلك"<sup>(٧)</sup>.

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٨ - ٣٥٩).

(٢) السكة: حديدة منقوشة تطبع بها الدراهم والدنانير. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (سكك) (١٠/٤٤٠).

(٣) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (٣٥٩)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٩٣ - ١٩٤، ٣٥٩/١).

(٤) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٢٢ - ١٢٣).

(٥) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٦٠).

(٦) انظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٢٤٩ - ٢٥٠).

(٧) المصدر السابق (ص ٢٤٧).

ومن المناهي المتصلة بهذا المقام النهي عن لعب القمار<sup>(١)</sup>، والشطرنج<sup>(٢)</sup>، والنرد، يقول الحسن العباسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "فأما ما يتعلق بالشرع فالنرد محرم بإجماع"<sup>(٣)</sup>، وكذا الميسر<sup>(٤)</sup>، والرهان على السبق<sup>(٥)</sup>.

ويستخلص الباحث مما سبق ما يأتي:

١- على الرغم من كون كتب المناصحة - من حيث الغالب - ركزت على موضوعات الأخلاق والآداب والتجارب والرأي السياسي، إلا أن مجال التشريع والأحكام حاضر في بعضها بعد القرن الخامس الهجري، وهذا راجع إلى حال المصنفين، حيث انبرى لذلك المجال - كما هو معلوم - ثلة من فقهاء الأمة وعلمائها.

٢- اتسم العرض الفقهي في تلك المصنفات بالاختصار الشديد، والبعد عن تعقيد العبارة، ومجانبة الإطناب الذي يجره الخلاف في المسائل، فيكتفي المصنف ببيان حكم المسألة، والإشارة إلى الخلاف الذي تدعو إليه الحاجة، منبهاً على أن محل الاستزادة يُرجعُ إليه في محله من مصنفات الفقهاء.

٣- لا يلتزم المصنفون بترتيب الفقهاء للمسائل، فمحل المسألة هو الحاجة إلى ذكرها؛ ولذا قد تجد مسائل الطهارة في موضوعات أصحاب المهام والوظائف، وأحكام الذبائح والصيد في الفصول المتعلقة بمؤانسة الملوك ونزعتهم، وحكم استعمال الذهب والفضة

(١) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٩١).

(٢) انظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٢٥٨ - ٢٥٩)، وانظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ١٣٩)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٥٤).

(٣) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٢٥٨) وانظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ٢٢٩)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٥٤).

(٤) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٥٤)،

(٥) انظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٢٥٩).

في هيئات الملوك ومراسمهم وهكذا.

٤- اختلفت دواعي إدراج المسألة الفقهية في تلك المصنفات: فمرة يقصد بها الفقيه إيضاح حكم المسائل لداعي الموعظة والاحتساب، وترى آخرين يُرغَّبون السلطان في الأخذ بمذاهبهم من أجل إقراره في ولاية القضاء، ويروم بعضهم تفقيه المحتسب والوالي بما يوجبه مقتضى الولاية كما فعله أبو حامد رحمته الله في "بذل النصائح".

٥- لم تخرج كتب المناصحة بإدراج مادة الفقيه عن مجالها - الذي يؤطره ما يسمى بالآداب السلطانية -، فالمصنف كما هو واضح يلتزم بنظام ما يكتب فيه؛ ولذا تجده يمسك قلمه عن الإطناب الفقهي، مكثفياً بالإشارة إلى مظان المسائل، وهناك فرق بين أن يُسمى الكتاب كتابَ فقه، أو أن يكون كتاباً فيه فقه.

## المبحث الثالث

### مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بموضوعات الوعظ والأخلاق

تشكل الكتابة في الوعظ والأخلاق عنصري التأليف الغالبين في مجال مناصحة أئمة المسلمين، فهما المحوران الحاضران، والأصلان الرئيسان في هذا الفن العلمي، حيث لا يعد الكتاب أديباً سلطانياً، أو نصيحة ملوك، ما لم يوجدان فيه<sup>(١)</sup>.

ويهيمن عنصر الوعظ على هذا الفن من التأليف<sup>(٢)</sup>، ويحيط به عنواناً، ودافعاً، ومادّةً، وغايةً، فالموعظة هجّيراه المصاحب، ودأبه الغالب الذي جهرت به عناوين الكتب على دفتها، فـ "الشفاء في مواعظ الملوك" لابن الجوزي، و "التذكرة الحمدونية" لابن حمدون، و "الذهب المسبوك في وعظ الملوك" للحميدي وغيرها دالة على ذلك، كما أن الفصول الأوّل، والأبواب المقدمة في المصنفات معربة عنه، فمن ذلك تقديم الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ لَهُ في "سراج الملوك" حيث عقد الباب الأوّل وجعله في مواعظ الملوك<sup>(٣)</sup>. مستهلاً مضامينه بقوله: "لقد خاب وخسر من كان حظه من الله الدنيا، اعلم أيها الرجل - وكلنا ذلك الرجل -: أن عقول الملوك وإن كانت

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٧-٤٠)، وانظر: مرايا الأمراء، أو الحكمة السياسية والأخلاق والتعاملية في الفكر الإسلامي الوسيط، تأليف: د. محمد أحمد دمج (ص ٩)، الناشر: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ودار المنال، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤/١٤١٥م؛ وانظر: النظريات السياسية في الإسلام، تأليف: د. محمد ضياء الرئيس (ص ٩٥)، الناشر: دار التراث، القاهرة، الطبعة السادسة ١٩٧٦م؛ وانظر: الفلسفة السياسية عند الفارابي، تأليف: عبدالسلام بن عبدالعالي (ص ٥٥-٥٧)، الناشر: دار الطليعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م؛ وانظر: من أصول الفكر السياسي الإسلامي لمحمد فتحي عثمان (ص ٧٤)، وانظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٢-٤٩).

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون (ص ٤٠).

(٣) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٩).

كباراً إلا أنها مستغرقة بكثرة الأشغال، فتستدعي من الموعدة ما يتولج تلك الأفكار...<sup>(١)</sup>، ومثله سبط ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ فِي "الجليس الصالح" الذي ابتداء كتابه بعد ترجمة السلطان قائلاً: "لما خلقت النفوس مائلة إلى شهواتها، محبة للبطالة، يثقل عليها العمل، ولا تصبر على الحصر، فهي تميل إلى ما تحبه، وإن آذاها في عاجلها وآجلها، فافتقرت حينئذ إلى مقوم يقومها، ورادٍ يصددها، فهي بمثابة الصبي الصغير يميل إلى ما يحبه وإن آذاه، فجاء الشرع متفقاً، وصدقه العقل، فردها بعض الرد، ثم تغلب الطبع، ودعا إلى مشتها، فافتقرت حينئذ إلى مداومة الموعدة كما يفتقر السكر إذا سُدَّ على دوام الملاحظة لا خروقه الخفية، فإن الماء يعمل فيه وإن خفي عمله، وأحوج الناس إلى دوام الموعدة السلطان؛ لأن الملك يُحصل إعراض النفس مع العز، والتمكن، والفرح، والمال، ونفاذ الأمر والنهي، يتحصل للنفس من ذلك حالةً شبيهة بالسكر، فيحتاج حينئذ إلى ما يقاومها من التحذير والتخويف؛ ل يتم العلاج"<sup>(٢)</sup>، وهما في ذلك يستنان بطريقة الماوردي رَحِمَهُ اللهُ قَبْلَهُمَا فِي "نصيحة الملوك"<sup>(٣)</sup>.

كما أن ذيل الكتب وخواتمها حافلة بقول الوعظ، وحديث الأدكار، فالحكم المنشورة<sup>(٤)</sup>، ورياض الذكر<sup>(٥)</sup>، والسير العطرة<sup>(٦)</sup>، والقصاص ذات العبرة<sup>(٧)</sup>، والوصايا الحكيمة<sup>(٨)</sup>،

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٩).

(٢) الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٩).

(٣) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٤١-٥٢).

(٤) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٥٠٧-٥٣٧).

(٥) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٦٩٢-٧٤٨).

(٦) انظر: تهذيب الرياضة للقلعي (ص ٢٥٣-٣٩٢).

(٧) انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (٧٠٥-٧٣٩)، وانظر: الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٨٨-

٣٠١)، وانظر: إرشاد الملوك لابن أبي زيد الهندي (ص ٢١٧-٢٣٦).

(٨) انظر: قوانين الوزارة للماوردي (ص ٢٢٩-٢٥٩)، وانظر: عين الأدب لابن هذيل (ص ٢٠٦-٢٩٥)، وانظر:

واسطة السلوك لأبي حمو الزياني (ص ٤٤٦-٤٧٧).

والتنبيهات والإشارات<sup>(١)</sup>، نهاية قول المصنفين في كتبهم، الأمر الذي لا يدع سبيلاً إلى عدم وصفها بذلك<sup>(٢)</sup>.

أما ما يتعلق بجانب الأخلاق والحديث المتصل بفلسفتها وقواعدها، وبيان محمودها ومذمومها، فمن "المؤكد أنها تشكل النقطة المركزية لكل كتابة سياسية سلطانية"<sup>(٣)</sup>، إذ لا يوجد كتاب في مناصحة أئمة المسلمين يخلو من ذكر جملة من الأخلاق مرتبة في أبوابها، أو مضمنة في سياقه العام، حيث يخصص الماوردي رحمته الله كتابه "تسهيل النظر" لموضوع أخلاق الملك، متحدثاً فيه بإسهابٍ وتحليلٍ عن الأخلاق والسجايا، والعادات، والفضائل، والردائل<sup>(٤)</sup>، ويجعل كلاً من البابين الرابع والخامس من "نصيحة الملوك" للموضوعات الأخلاقية نفسها<sup>(٥)</sup>، ومن بين ثلاثين باباً التي يتكون منها كتاب "الإشارة" يخصص المرادي رحمته الله أكثر من نصفها لأخلاقيات السلطان، وتشمل موضوعات الحلم ومواضعه، والصبر، والكلام، والصمت، والغضب، والرضا، والتجبر، والخضوع، والحزم، والتفريط، والكتمان، والإذاعة، والجود وضده، والشجاعة وضدها، والحيلة والمكر، والتغافل<sup>(٦)</sup>، ومن بين أربعة وستين باباً التي كونت كتاب "السراج" يخصص الطرطوشي رحمته الله ما يقارب نصف هذا الكم لموضوع الخصال السلطانية من عدل، وكرم، وحلم، وعفو، وغضب، وسخاء، وبخل، وصبر، ونحو ذلك<sup>(٧)</sup>.

ومن بين خمسة وعشرين فصلاً من "الشهب" يتحدث ابن رضوان رحمته الله فيما لا يقل عن

(١) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٣٤٧-٣٦٥).

(٢) انظر: في الوعظ السياسي لأحمد لسري (ص ١٧١).

(٣) الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٥٤).

(٤) انظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ١٢٧-٢٤٣).

(٥) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (١٠٣-١٩٠).

(٦) انظر: الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي (ص ١٤٥-١٩٩).

(٧) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢٠٨-٢٩٨، ٣٧٥-٣٨٦).

عشرة فصول عن موضوعات تتصل بالعدل، والحلم، والتغافل، والجود، والسخاء والإمساك، كما يتحدث عن خصال فاسدة يجب على الحاكم السلطاني اجتنابها<sup>(١)</sup>، كما يخصص أبو حمو الزياني رحمته الله باباً بأكمله من أصل أربعة أبواب لما أسماه "الأوصاف المحمودة التي هي نظام الملك وكماله"<sup>(٢)</sup>، وهي: الشجاعة، والكرم، والحلم، والعفو، إضافة إلى ذكر صفات أخرى مثل: الحزم، والدهاء وحسن التدبير في تضاعيف الأبواب الأخرى من وصيته السياسية لولده<sup>(٣)</sup>، ويفصل ابن الأزرق رحمته الله بإسهاب في الباب الثاني من الكتاب الثاني عن الصفات التي يجب أن يصدر بها الفعل السلطاني، وهي لا تقل عن عشرين صفة خلقية<sup>(٤)</sup>.

وفي كتاب "آداب الملوك" يتحدث الثعالبي رحمته الله في الباب الخامس وما بعده عن أخلاق الملوك وسلوكهم<sup>(٥)</sup>، ولا يخرج أبو سالم عن هذا السياق، إذ يخصص باباً كاملاً في مدح الصبر ودم الجزع<sup>(٦)</sup>، وباباً في صفة الشكر ودم الكفران<sup>(٧)</sup>، وباباً في العفو<sup>(٨)</sup>، وباباً كاملاً في ذكر الصفات العدمية مثل: الكبر<sup>(٩)</sup>، والعجب<sup>(١٠)</sup>، والغرور<sup>(١١)</sup>، والكذب<sup>(١٢)</sup>، أما كتاب "الجواهر

(١) انظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٢٣٤ - ٣١٧).

(٢) واسطة السلوك لأبي حمو الزياني (ص ٣٨٣).

(٣) انظر المصدر السابق (ص ٣٨٣ - ٤٠٦).

(٤) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (ص ١٠٥ - ١٧٤).

(٥) انظر: آداب الملوك للثعالبي (ص ٨٩ - ١٢٤).

(٦) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٦٣ - ٨٠).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٨١ - ٩٠).

(٨) انظر: المصدر السابق (ص ١٩٥ - ٢١٨).

(٩) انظر: المصدر السابق (ص ٢٣٩).

(١٠) انظر: المصدر السابق (ص ٢٣٩).

(١١) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٠).

(١٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤١).

النفيس" لابن الحداد رحمته الله فالموضوع الأخلاقي يكاد يستغرق كامل المضمون في أبوابه العشرة<sup>(١)</sup>، كما يمهد بها ابن طباطبا كتابه "الفخري في الآداب السلطانية"، متناولاً القول في ذلك عن العفو<sup>(٢)</sup>، والحقد<sup>(٣)</sup>، والكرم<sup>(٤)</sup>، والوفاء<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك<sup>(٦)</sup>.

ويبرز بعض المصنفين أهمية المحتوى الأخلاقي وحضوره الغالب في تلك المصنفات من خلال التسميات والعناوين الظاهرة على غلافها فـ "التاج في أخلاق الملوك" للجاحظ، و"تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك" للهاوردي رحمته الله، و"بدائع السلك في طبائع الملك" لابن الأزرق رحمته الله، و"التبر المسبوك في صفات الملوك" للميموني وغيرها، دليل واضح على الحضور الموضوعي لمجال الخلق في تلك المصنفات.

وتتناول الدراسة هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بموضوعات الوعظ.

المطلب الثاني: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بموضوعات الأخلاق.

(١) انظر: الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ٧٩-١٤٨).

(٢) انظر: الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٠-٢١).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢١-٢٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤).

(٦) الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٥٣-٥٤) بتصرف.

## المطلب الأول

### مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بموضوعات الوعظ

يشمل مجال التصنيف في وعظ أئمة المسلمين الموضوعات التي يتناولها كل واعظ يجول فيها بتفكيره وتأليفه<sup>(١)</sup> من "الأقوال المشتملة على العظات والعبر التي ترقق القلوب، وتهذب النفوس، وتقنعهم بصحة ما تدعوهم إليه، وترغبهم في الطاعة لله تعالى، وترهبهم من معصيته"<sup>(٢)</sup>.

ومجالات الوعظ كثيرة، وموضوعاته هي بعدد أوامر الله ونواهيه؛ إذ كل تقصير في العبادة إتياناً وتركاً فهو محل للموعظة<sup>(٣)</sup>، ولكن ثمة محاور رئيسة وعناصر ثابتة تدور عليها موضوعات الوعظ عند أكثر المشتغلين به، وهو ما عناه الغزالي رحمته الله لما سمع كلام الحسن البصري رحمته الله فقال: "يتكلم في علم الآخرة، والتفكير بالموت، والتنبيه على عيوب النفس، وآفات الأعمال، وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها، ويذكر بالآلاء الله ونعمائه، وتقصير العبد في شكره، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها، وتصرمها، ونكث عهدها، وخطر الآخرة وأهوالها، فهذا هو التذكير المحمود شرعاً"<sup>(٤)</sup>.

وإن مما تجدر الإشارة إليه أن مجال الوعظ في مناصحة أئمة المسلمين لا يخرج عن طبيعة الوعظ العام إلا أنه أكثر تركيزاً على بعض الموضوعات التي يختص بها الملوك دون غيرهم

(١) انظر: منهج السلف في الوعظ، تأليف: أبي يزيد سليمان العربي بن صفية (ص ٢٠٠)، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف: محمد سيد طنطاوي (٨/ ٢٦٢)، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، وانظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤/ ٢٦٠).

(٣) انظر: تفسير السعدي (ص ٨٤٣).

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٣٥).

اختصاصاً أولاً، حيث تأخذ تلك المجالات صدارة القول في الوعظ اللساني والكتابي معهم، مثل: التذكير بإقامة العدل والتحذير من الظلم، وإبراز فكرة "الصيرورة في الزمان وتقلب الأحوال، وكشفه للخلفاء أضرار وهم الخلود للأنفس والملك، وبيان أن ما يظنه المرء خاصاً من ملك وقوة، إنما انتهى إليه ممن فني قبله، وأن الخليفة سيفنى وسيصير الملك إلى غيره"<sup>(١)</sup>، والحث على الزهد في الدنيا،<sup>(٢)</sup> ومراقبة الله في تدبير الأموال تحصيلاً وإنفاقاً ونحو ذلك.

وتقتصر الدراسة على ذكر أبرز الموضوعات التي وُعظ بها الأئمة والخلفاء والملوك من خلال العناصر الآتية:

#### أولاً: الحث على تعظيم الله وتعظيم محارمه:

يتبوء الملوك الصدارة في الأمة، ويتربعون على رأس هرمها، إذ بأيديهم أزمة الأمور، ورقاب العباد، وسياسة المصالح، فهم يأمرون ولا يُؤمرون، ويسوسون ولا يساسون؛ فكان تذكيرهم بعظمة الرب الذي بيده الخلق والأمر، وإرشادهم إلى تعظيم حرمانه من أحق الحقوق لهم، ومن واجب النصيحة التي تؤدي فيهم، وقد كان الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز رحمته الله يظهر اغتنامه في هذا الباب قائلاً: "هيئات هيئات، أشتم ولا أشتم، أضرب ولا أضرب، أوذي ولا أوذي"<sup>(٣)</sup>.

إن تعظيم الله تعالى وإجلاله في صدور الملوك، وتعظيم حرمان الله وحدوده ومحارمه هي التي تحول بينهم وبين الذنوب، والمعتدون على المعاصي لم يقدروا الرب حق قدره، ولم يعظموه

(١) في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ٥٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٨-٢٩، ٥٧).

(٣) هذه الرواية أوردها الإمام أحمد في الزهد برقم [١٧٢٥] (ص ٢٤٢)، وذكرها جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن

محمد الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٢٢)، تحقيق: محمود فاخري، ود. محمد رواس قلعه جي، الناشر: دار

المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

حق التعظيم، إذ كيف يكونون معظمين له وقد هان عليهم أمره ونهيه؟! هذا من التناقض بين الدعاوى والأحوال<sup>(١)</sup>.

ولا يتم للعبد تعظيم ربه وخالقه، ومهابته في حرمانه وحدوده إلا بأمر ثلاثة: تعظيم أمر الله ونهيه، وتعظيم حكمه الكوني، وتعظيم الحق ﷻ<sup>(٢)</sup>، وجماع الثلاثة كائن في تعظيم الحق ﷻ كما يقول بشر الحافي ﷻ: "لو فكر الناس في عظمة الله ما عصوه"<sup>(٣)</sup>.

وإن من تعظيم الرب أن يُدرك العبد حقيقته ومنزلته من الله، يقول الغزالي ﷻ مخاطباً السلطان: "وأنت أيها الملك عبد مخلوق للخالق تعالى، وعبدته على الحقيقة..."<sup>(٤)</sup>، ويبين للسلطان كمال ربوبيته ﷻ قائلاً: "اعلم أيها السلطان أنك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم وجميع ما في العالم"<sup>(٥)</sup>، ولا يمكن أن يُعظم الرب حق التعظيم حتى يُقرَّ له العبد بكمال الذل والافتقار الكامنين في عبوديته لله ﷻ<sup>(٦)</sup>، يقول الشيخ علوان ﷻ: "ثم إذا عرف الملك نفسه بالعبودية، ومولاه بالربوبية، لا يزال مفتقراً إليه أشد من فقر غيره إليه؛ لأنه مضطر إليه من كل وجه وبكل حال"<sup>(٧)</sup>.

ويؤكد الناصحون على أئمة المسلمين بأن يقدموا رضا الله على رضا كل أحد، فإن هذا من

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ص ٦٩)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/٤٦٩).

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/١٨٠).

(٤) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٥ - ٩٦).

(٥) المصدر السابق (ص ٩٧).

(٦) انظر: النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٧٩).

(٧) المصدر السابق (ص ١٨٢).

إجلاله كما قال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾<sup>(١)</sup>، وفي هذا يقول الغزالي ﷺ للسلطين في الأحكام: "أن لا يطلب رضا أحد من الناس بمخالفة الشرع، فإن من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه، كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: إني لأصبح ونصف الخلق عليّ ساخط، ولا بد لكل من يؤخذ منه الحق أن يسخط، ولا يمكن أن يرضي الخصمين، وأكثر الناس جهلاً من ترك رضا الحق لأجل رضا الخلق"<sup>(٢)</sup>.

وعلى قدر علم العبد وإيمانه وإجلاله لربه، يكون خوفه وخشيته، فخشية الله ومراقبته بالغيب، علامة التعظيم ودليله، قال وهيب بن الورد ﷺ لرجل: "اتق الله أن يكون الله أهون الناظرين إليك"<sup>(٣)</sup>، وبها يعظ ابن الجوزي ﷺ الملوك في قوله: "وليعلم السلطان، أن زينة ملكه وبهجته الخوف من الله تعالى والتواضع"<sup>(٤)</sup>، ويعدها ابن طباطبا في الأمور السلطانية ذاكراً أن الخوف من الله "أصل كل بركة، فإن الملك متى خاف الله أمّنه عباد الله"<sup>(٥)</sup>.

أما الحث على تعظيم حرّمات الله فقد وعظ بذلك السلطان أبو حمو ﷺ ولده قائلاً: "يا بني أخلص سريرتك مع الله تعالى، واعلم أنه يطلع على سريرتك، فحسن معه جميل سيرتك، وراجع في أحوالك مع ربك بصيرتك، فإن الله مطلع على السرائر، وعالم بما في الضمائر... يا بني واعلم أنه كما لا تحب أن يعصيك خديمك فيما تأمره به، فكذلك لا ينبغي لك أن تعصي ربك فيما يأمرك به"<sup>(٦)</sup>.

ويبين الماوردي ﷺ في معرض ذكر المنهيات أن "أقل ما يجب من حق الله على المرء المسلم

(١) سورة التوبة، الآية (٦٢).

(٢) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٤٠).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٨/ ١٤٢).

(٤) الشفاء لابن الجوزي (ص ٥٨).

(٥) الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ١٩).

(٦) واسطة السلوك لأبي حمو الزباني (٤٤٦ - ٤٤٧).

أن يتجنب الحرام"<sup>(١)</sup>، وأن "الواجب على المقر بالله وبالشريعة، والمعترف بحق التنزيل والديانة أن يجتنب الحرام المطلق بالاتفاق"<sup>(٢)</sup>، ويستعمل بعضهم أسلوب التهيب في تعظيم الحدود كما فعله سبط ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ فِي "الجلس الصالح" مع السلطان في قوله: "وليعلم أن دوام دولته موقوف على العدل والشكر، وأن المعاصي سبب زوال النعم"<sup>(٣)</sup>.

إن موضوع الحث على تعظيم الله وتعظيم حرماته ليس بالضرورة أن يظهر مستقلاً في فصل، أو أن يكون شاخصاً على باب، ولكنه مستلهم من طرائق عرض المسائل، وإيجاعات خطاب العلماء للملوك والسلاطين.

### ثانياً: التنكير بخطر الولاية وجسامة أمرها:

إن أحوج ما تحتاجه الملوك من المواعظ، هو تذكيرهم بعظم الأمانة التي حملوها، وتنبههم إلى شرف ما أعطوا، وتبصيرهم بحقائق الأمر الذي تحجبه سكرة الدنيا وزخارفها، فإن ملوك الإسلام قاموا قيام النيابة عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا<sup>(٤)</sup>، يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ فِي بيان شرف الخلافة: "إن الخلافة نيابة عن الله رَحِمَهُ اللهُ فِي عبادته وبلاده، وتنفيذ أوامره وأحكامه، وقد كان يقوم بها الأنبياء ثم قام بها بعدهم الخلفاء"<sup>(٥)</sup>.

ولما كان الأمر كذلك تسابقت أقلام مصنفي كتب المناصحة في بيان خطر أمر الملك وجسامته، وما أعده الله من الثواب والعقاب لمن أصاب سببها، يقول الغزالي رَحِمَهُ اللهُ فِي مخاطباً السلطان في أصول العدل: "هو أن تعرف أولاً قدر الولاية وتعلم خطرها، فإن الولاية نعمة من

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٣).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٥٣).

(٣) المجلس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٤٨).

(٤) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٥).

(٥) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٨٩)، وانظر: تحرير اسلوك لابن الأعرج (ص ٢٤).

نعم الله عز وجل، من قام بحققها نال من السعادة مالاَ نهاية له ولا سعادة من بعده، ومن قصر عن النهوض بحققها حصل في شقاوة لا شقاوة بعدها إلا الكفر بالله تعالى<sup>(١)</sup>، ثم يعيد النداء عليه بعد وصيته بمصاحبة العلماء قائلاً: "أيها السلطان: خطر الولاية عظيم، وخطبها جسيم، والشرح في ذلك طويل، ولا يسلم الوالي إلا بمقاربة علماء الدين؛ ليَعَلِّمُوهُ طرق العدل ويسهلوا عليه خطر هذا الأمر"<sup>(٢)</sup>.

وفي الفصل الرابع عشر من كتاب "حسن السلوك" يسمي مؤلفه هذا الفصل بـ "خطر الولاية"<sup>(٣)</sup>، ويستهلله مخاطباً السلطان بقوله: "اعلم أن خطر الولاية عظيم، وأمرها جسيم، وخطرها جاءت الأحاديث في التغليظ في شأنها كما ثبت عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرِبَ بيده على منكبي، ثم قال: ((يا أبا ذر! إنك رجل ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها))<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>. ويوب الطرطوشي رحمته الله في "سراج الملوك" على ذلك بابين "الباب الثالث: فيما جاء في الولاية والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر"<sup>(٦)</sup>، و"الباب السادس: في أن السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح"<sup>(٧)</sup>، ويصدر هذا الباب بقوله: "اعلموا - أرشدكم الله - أن السلطان خطره عظيم، وبليته عامة، وقد يطرقه من الآفات، ويحتوشه من الأمور المهلكات، ما يجب على كل ذي لب أن يستعيذ بالله مما حمّله، ويشكره على ما عصمه، لا يهدأ فكره، ولا يسكن

(١) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٠٨ - ١٠٩)، وانظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ١١١).

(٢) التبر المسبوك للغزالي (ص ١١٧ - ١١٨).

(٣) حسن السلوك للموصلي (ص ١٧٥).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة برقم [١٨٢٥] (٣/١٤٥٧).

(٥) حسن السلوك للموصلي (ص ١٧٥).

(٦) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٩٣).

(٧) المصدر السابق (ص ١١٢).

خاطره، ولا يصفو قلبه، ولا يستقر لبه، الخلق في شغل عنه، وهو مشغول بهم، والرجل يخاف عدوً واحداً، وهو يخاف ألف عدو، والرجل يضيق بتدبير أهل بيته، وإيالة ضيعته، وتقدير معيشته، وهو مدفوع لسياسة جميع أهل مملكته، وكلما رتق فتقاً من حواشي مملكته انفتق آخر، وكلما رمّ منها شعثاً رث آخر، وكلما قمع عدوًّا أُرصد له أعداء، إلى سائر ما يعانيه من أخلاق الناس، ويقاسيه من خصوماتهم، ونصب الولاة والقضاة، وبعث الجيوش، وسد الثغور، واستجباء الأموال، ودفع المظالم"<sup>(١)</sup>.

وقد انتهج هؤلاء المصنفون منهج التحذير والترهيب؛ لأنهم لحظوا الميل الفطري والتشوف الطبعي للملك، فغلبوا باب التحذير، ولهذا المعنى أشار التبريزي رحمته الله في "النصيحة للراعي والرعية" حين عقد باباً في "ذكر الحرص على طلب الإمارة وما في عاقبتها من الندامة والملامة"<sup>(٢)</sup>، ثم ساق جملة من الأحاديث في هذا المعنى<sup>(٣)</sup>.

ويغايير بعض المصنفين في أسلوب التذكير بنخطر الولاية، مكتفين بذكر فضلها وشرفها وعلو مكانها، يقول ابن الجوزي رحمته الله: "وينبغي لمن يُذكر السلطان أن يجعل موعظته ممزوجة بذكر فضل الولاية"<sup>(٤)</sup>؛ ولذا جعل عنوان الباب الرابع من كتابه "في شرف الولاية وخطرها"<sup>(٥)</sup>، ومثله الحسن العباسي رحمته الله حيث جاء الباب الأول من كتابه "في فضل الملك وشرفه والحاجة الداعية إليه"<sup>(٦)</sup>، ثم صدره بقوله: "اعلم - أيدك الله - أن الملك فضل إلهي ينعم

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١١٢).

(٢) النصيحة للراعي والرعية للتبريزي (ص ٥٢).

(٣) انظر: النصيحة للراعي والرعية للتبريزي (ص ٥٢-٦٥)، وانظر: الدرر الغراء للخرميتي (ص ١١١-١١٦).

(٤) المجلس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٠١).

(٥) المصدر السابق (ص ٥٩).

(٦) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٥٧).

الله به على من يصطفيه من خلقه...<sup>(١)</sup>، متناولاً في ثناياه فضائل الملوك الواردة في الكتاب والسنة والحكم المنقولة<sup>(٢)</sup>، وأبين منه ابن طوغان الحنفي رَحِمَهُ اللهُ الذي خلع على كتابه في المناصحة اسم "البرهان في فضل السلطان"، وخصص الباب الأول منه في فضل السلطان وما ورد فيه من أدلة الكتاب والسنة<sup>(٣)</sup>.

ومهما تغايرت الأساليب، فإن المقصود - كما يظهر للباحث - هو تنبيه الأئمة والسلاطين على جسامه ما حُمِّلوا؛ ليقوموا بالعدل والقسط.

### ثالثاً: الترغيب في إقامة العدل والترهيب من مغبة الظلم:

العدل أساس الأحكام والسياسة، وميزان التشريع وصراطه المستقيم، وقوام الدول والسلاطين<sup>(٤)</sup>، وهو حاجة الرعية من ملوكها؛ لأنها "تستظمن إلى عدل الملك وتديره، استظماء أهل الجذب إلى الغيث الوابل، ويتتبعون بطلعته عليهم كانتعاش النبت بما يناله من ذلك القطر، بل الرعية بالملك أعظم انتفاعاً منها بالغيث؛ لأن للغيث وقتاً معلوماً، وسياسة الملك دائمة لا حد لها ولا وقت"<sup>(٥)</sup>، وعلى قدر عدل الملوك تنعم الرعايا.

إن قيمة العدل هي إحدى الموضوعات الكبرى، والقضايا المحورية التي صاغت الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين "فرغم كثرة الأبواب والاستشهادات من هنا وهناك، فإن ثلاثية بارزة ظلت تشكل جوهر هذه الكتابات وهي: ثلاثية الملك، والطاعة، والعدل"<sup>(٦)</sup>، ولا شك أن

(١) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٥٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٥٧-٦١).

(٣) انظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ٥١-٦٤).

(٤) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢٦)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٨٥)، وانظر:

بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢٢٩).

(٥) المنهج السلوك للشيزري (ص ١٦٥-١٦٦).

(٦) في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ١٧١).

العدل هو ثالثها الأكبر، الذي يقارنها كما يقارن جميع الأبواب وإن لم تصاحبه، فالخشد الكثير للنصوص، والتكرار المؤكد لهذه القيمة في مبدأ الكتب، وأواسطها، وذيولها مع إفراده في الفصول والأبواب، يكشف للقارئ عمق هذه القيمة التي صحت هذه المؤلفات واقعاً ومضموناً، وغاية<sup>(١)</sup>.

وتتوسط قيمة العدل موضوعات الوعظ في كتب المناصحة، ويستوعب بها بعض المصنفين مادة الكتاب من أوله إلى منتهاه، كما فعل الحافظ أبو نعيم رحمته الله في "فضيلة العادلين من الولاية" الذي أفصح عنوانه عن بطونه، كما يُبرزه آخرون عيانياً للناظر في تسميات الأبواب والفصول، مثل: صنيع ابن الجوزي رحمته الله في الباب الثاني الذي وسمه بـ "في فضل العدل"<sup>(٢)</sup>، والتبريزي رحمته الله في "باب ذكر العدل بالقسط، وثواب العادلين"<sup>(٣)</sup>، وأبي حمو رحمته الله في "الفصل الأول: توصية ترشد إلى الإنصاف بالعدل والتحلي بالفضل"<sup>(٤)</sup>، والغزالي رحمته الله في "الباب الأول: في ذكر العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم"<sup>(٥)</sup>، وابن الجوزي رحمته الله في البابين "السادس: في ذكر فضل العدل"<sup>(٦)</sup>، و "السابع: في ذكر ذم الظلم"<sup>(٧)</sup>، وغيرها<sup>(٨)</sup>، وهي مسألة ظاهرة الواضح.

(١) انظر: المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين لعبدالله الطويل (ص ٢٨)، وانظر: أدب النصيحة في الفكر السياسي

الإسلامي لهيام عبدالفتاح (ص ٢٩٥)، وانظر: في الوعظ السياسي لأحمد السري (١٦٩-١٧٢).

(٢) الشفاء لابن الجوزي (ص ٤٥).

(٣) النصيحة للرعي والرعية للتبريزي (ص ٢٧).

(٤) واسطة السلوك لأبي حمو الزباني (ص ٨٥).

(٥) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٧١).

(٦) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ١٧٧).

(٧) المصدر السابق (ص ١٩١).

(٨) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢٦)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢٢٩-٢٣٦).

كما لم يأل المصنفون جهداً في استدعاء كل نص من شأنه أن يعث همّة الملك إلى القيام بقيمة العدل في حكمه وعلى أرضه، ويُنفّر من الظلم والطرق المفضية إليه، ابتداءً من نص الوحي، كما فعل أبو نعيم رحمته الله في "فضيلة العادلين" الذي ساق فيه اثنين وأربعين حديثاً من أصل تسعة وأربعين أثراً في العدل وفضله، أو الموصلي رحمته الله في الفصل الأول<sup>(١)</sup> من كتابه "حسن السلوك"، ومثلها التبريزي رحمته الله في "النصيحة للراعي والرعية" الذي صدر كتابه بـ "ذكر العدل بالقسط وثواب العادلين"<sup>(٢)</sup> مسنداً فيه الأحاديث إلى النبي صلّى الله عليه وآله في هذا الباب<sup>(٣)</sup>، وغيرها<sup>(٤)</sup>، وانتهاءً بالحكم المختصرة الموروثة من كلام العرب أو ترجمات الفرس واليونان، مثل قولهم: "إذا عدل السلطان فيما قرب منه صلح له ما بعد عنه"<sup>(٥)</sup>، و"فضل الملوك في الإعطاء، وشرفها في العفو، وعزها في العدل"<sup>(٦)</sup>، و"العدل مكسبة النعم، والبغي مجلبة النقم"<sup>(٧)</sup>، و"أعظم الملوك من ملك نفسه وبسط عدله"<sup>(٨)</sup>، و"إذا عدل السلطان فقد اعتدل الجانف، وأمن الخائف، واقتصر الخائف"<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر: حسن السلوك للموصلي (ص ٥٥-٦٢).

(٢) النصيحة للراعي والرعية للتبريزي (ص ٢٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٧-٣٤).

(٤) انظر: الشفاء لابن الجوزي (ص ٤٥-٤٧)، وانظر: تهذيب الرياسة للقلعي (ص ٩٨-١٠٥)، وانظر: نصيحة

الملك الأشرف للمقدسي (ص ٢٣٩-٢٤١)، وانظر: المجلس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٦٥-٨٥)،

وانظر: الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ٧٩-٨٢)، وانظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٦٧)، وانظر:

إرشاد الملوك لابن أبي زيد الهندي (ص ١٤٣-١٦٨).

(٥) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢٧).

(٦) المصدر السابق (ص ١٢٧).

(٧) إرشاد الملوك لابن أبي زيد الهندي (ص ١٨٦).

(٨) المصدر السابق (ص ١٨٦).

(٩) آداب الملوك للثعالبي (ص ٩٠).

ويباشر المؤلفون مخاطبة الملوك في الموعدة بالعدل والتحذير من الظلم، وفي ذلك يقول الطرطوشي رحمته الله: "اعلم - أرشدك الله تعالى - أن الله تعالى أمر بالعدل، ثم علم - سبحانه - أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل، بل تطلب الإحسان وهو فوق العدل..."<sup>(١)</sup>، وبذلك يوصي السلطان أبو حمو رحمته الله ولده قائلاً: "اعلم يا بني أن العدل سراج الدولة، فلا تطفئ سراج العدل بريح الظلم، فإن ريح الظلم إذا عصفت قصفت، وريح العدل إذا هبت ربت..."<sup>(٢)</sup>، وهي الطريقة التي يستعملها الغزالي رحمته الله كثيراً في كتابه<sup>(٣)</sup>.

كما يُكثر المصنفون في هذا الباب من سرد أخبار الملوك والخلفاء السابقين الذين التزموا العدل في أحكامهم، ويوردون أيضاً حال أصدادهم الذين ساسوا ممالكهم بالظلم والبغي<sup>(٤)</sup>، ويبين الغزالي رحمته الله في "التبر المسبوك" الغرض من ذلك في قوله: "انظر كيف كانت سيرتهم مع رعيتهم يا سلطان الإسلام، فيجب أن تسمع أقوال هؤلاء الملوك، وتنظر أعمالهم، وتقرأ حكاياتهم من الكتب، وما ينظر فيها من نعت عدلهم وإنصافهم، وحسن سيرتهم، وطيب خبرهم، وذكرهم الجاري على السنة الخلق إلى يوم القيامة"<sup>(٥)</sup>.

ولا يقتصر المؤلف في النصيحة الملوكية على الوعد المجرد، لكنه يدل الولاة إلى السبل

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢٦).

(٢) واسطة السلوك لأبي حمو الزباني (ص ٨٥).

(٣) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١٠٧-١٦٩).

(٤) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١٧١-٢٦٩)، وانظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢٩-١٣٠)، وانظر:

المنهج المسبوك للشيزري (ص ٥٦٢-٥٧٠)، وانظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٠٤-٢٠٦)، وانظر:

الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٧٧-٨٤)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٨٨-

١٠٠)، وانظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٧٠)، وانظر: الدرر الغراء للخرميتي (ص ١٣١-١٤٤)،

وانظر: إرشاد الملوك لابن أبي زيد الهندي (ص ١٦٧-١٦٨)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرقي (١/٢٢٢).

(٥) التبر المسبوك للغزالي (ص ٢٠٥).

الموصلة للعدل، وقد عقد الموصلي رحمته الله فصلاً في "الطرق إلى العدل" يقول في صدره: "ومن أراد من ولاة الأمور العدل الذي أمر الله به، والتوصل إليه فليسلك ما نأمره به من الطرق يحفظ عليه ملكه في الدنيا، ويكون سبباً إلى الملك الحق في الدار الأخرى" <sup>(١)</sup>، متبعاً ذلك بذكر أهمية تقريب العلماء والصالحين، ولزوم المشورة، والتخلق باللين، واستشعار يوم الحساب <sup>(٢)</sup>، كما يوضح الشيزري رحمته الله في "المنهج السلوك" الخصال التي يتحقق بها العدل في الملك وهي: إقامة منار الدين، وحراسة البيضة والذب عن الرعية، وعمارة البلدان، والنظر في أحوال الجند، والجلوس لكشف المظالم، وتقدير ما يخرج من بيت المال، وإقامة الحدود، واختيار الولاية من أهل الكفاية والأمانة، وتنفيذ القضاء <sup>(٣)</sup>.

إن تأكيد المصنفين "على مبدأ العدل وسبل تحقيقه، وكثرة التفصيل والتكرار حوله ليس بمستغرب؛ لأنهم رأوا فيه مثلاً أعلى للسلطان، ومستنداً قوياً لثبات الحكم واستمراره" <sup>(٤)</sup>، فهو دافع التأليف، وغايته، ومضمونه الغالب.

#### رابعاً: التبصير بحقيقة الدنيا والبحث على الزهد فيها:

يُعد موضوع الزهد في الدنيا، والتذكير بحقيقة أمرها ومآل أحوالها من موضوعات الوعظ الكبرى التي أفرد لها سلف الأمة كتباً خاصة في التصنيف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "والذين جمعوا الأحاديث في الزهد والرفائق يذكرون ما روي في هذا الباب، ومن أجل ما صنف في ذلك وأندره "كتاب الزهد" لعبد الله بن المبارك، وفيه أحاديث واهية، كذلك "كتاب الزهد" لهناد بن السري، ولأسد بن موسى وغيرهما، وأجود ما صنف في ذلك: "الزهد"

(١) حسن السلوك للموصلي (ص ٧١).

(٢) انظر: حسن السلوك للموصلي (ص ٧١-٧٦)، وانظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١١٨).

(٣) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٤٩-٢٥٣).

(٤) المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين لعبدالله الطويل (ص ٢٩).

للإمام أحمد رحمته الله، لكنه مكتوب على الأسماء، وزهد ابن المبارك على الأبواب، وهذه الكتب يذكر فيها زهد الأنبياء والصحابة والتابعين<sup>(١)</sup>.

والوعظ بالزهد في الدنيا، والتبصير بحقيقتها، والتحذير من فتنها، والاعتبار بحال أهلها، من الموضوعات التي طفحت بها كتب المناصحة وموعظة الملوك، يقول أحمد السري عن طبيعة الوعظ السياسي عند السلف: "ثم رأينا تلازماً بين الوعظ والزهد، ووقفنا على عمق فلسفة الوعظ المتصلة بطبيعة السلطة والنفس الإنسانية، وكان الزهد هو الموضوع الأعظم للوعظ، مضافاً إليه الحث على العدل... ومن أفكار الوعظ المتكرر، إبرازه لفكرة الصيرورة في الزمان وتقلب الأحوال، وكشفه للخلفاء أضرار وهم الخلود للأنفس والملك، وبيان أن ما يظنه المرء خاصاً به من ملك وقوة، إنما انتهى إليه ممن فني قبله، وأن الخليفة سيفنى وسيصير الملك إلى غيره"<sup>(٢)</sup>.

ويجمع الماوردي رحمته الله في "نصيحة الملوك" بين القضيتين، ويؤب على ذلك باباً كاملاً<sup>(٣)</sup> في المواعظ التي تبصر غرور الدنيا وتنفع من نظر فيها واستمع لها، وتهديه إلى العدل في ملكه<sup>(٣)</sup>، يقول فيه: "فيجب على الملك الفاضل والسائس الكامل الذي ربما أنفق الأموال وعمل الأعمال ليمدحه به مخلوق جاهل، أو شاعر كاذب، أو ماجن مترخص أن يرغب في هذه المنزلة التي يمدحه بهارب العالمين ثم فضلاء المسلمين، وإن الله جل ذكره جعل الخير في الاعتبار، والاعتبار بالتفكر، وحث عليه في غير موضع من كتابه فقال: ﴿أَوْ لِمَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾<sup>(٤)</sup>... فمن قريب ما يجب أن يتفكر فيه

(١) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١١/٥٨٠).

(٢) في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ٥٩).

(٣) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٠٣).

(٤) سورة الروم، الآية (٨).

ويتدبره أن يتذكر أحوال القرون الماضية، والملوك الأولين الذين كانوا أشد منه قوة وأكثر جمعاً، وأبين آثاراً وأطول أعماراً، الذين بنوا المدائن وجمعوا الخزائن، وحفروا الأنهار وعمروا الديار، وشيدوا القصور ودبروا الأمور، وجمعوا الجموع وقادوا الجيوش وساقوا الخيول، ودوخوا البلاد، وأذلوا العباد، ومشوا في الأرض مرحاً، واختالوا بها أوتوا فرحاً فأخذهم الله بما كانوا يكسبون، فأصبحوا بعد العزّ والمنعة، والمُلْك والرفعة، والصوت والسطوة، والذكر والصلوة، عظاماً رمياً، ورُفاتاً هشيماً، وأصبحت منازلهم خاويةً، وقصورهم خالية، وأجسادهم بالية، وأصواتهم هادئة، تُنبيك آثارهم معانيته، وتقرع أسماعك أخبارهم مجاهرة...<sup>(١)</sup>.

كما يذكر الغزالي رحمته الله السلطان بجمل مؤثرة، وعبارات موقظة، يدعوه فيها إلى النظر في حقيقة الدنيا، مبيناً أنها متاع زائل، وعارية تؤدي بعد قليل إلى أهلها، وأن أعقل الناس من عمر آخرته ولم ينس دنياه<sup>(٢)</sup>، خاتماً موعظته بقوله: "واعلم أيها السلطان أن راحة الدنيا أيام قلائل، وأكثرها منغص بالتعب، مشوب بالنصب، وبسببها تفوت راحة الآخرة التي هي الدائمة الباقية، والملك الذي لا نهاية له ولا فناء، فيسهل على العاقل أن يصبر في هذه الأيام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء"<sup>(٣)</sup>.

ويبين ابن أبي الربيع رحمته الله في سلوك المالك للخليفة الفضائل التي ينال بها الملك أعلى المراتب<sup>(٤)</sup> ذكراً منها: "أن يهون عنده الدينار والدرهم وسائر الأعراض الدنيوية الفانية"<sup>(٥)</sup>.

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٠٥-١٠٦).

(٢) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١٤١ - ١٤٥).

(٣) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٤٣)، وانظر: سراج الملوك للطروشني (ص ١٩-٤٩)، وانظر: المجلسي الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٢٥-٢٣٢)، وانظر: حسن السلوك للموصلي (ص ١٤٩-١٥٩)، وانظر: إرشاد الملوك لابن زيد الهندي (ص ١٩٦).

(٤) انظر: سلوك المالك لابن أبي الربيع (ص ٣٧-٤٢).

(٥) المصدر السابق (ص ٤٠).

وبقلم الأدباء يدعو ابن المقفع إلى التأمل في حال الدنيا مع أهلها قائلاً: "كم قد انتزعت الدنيا ممن قد استمكن منها واعتكفت له، فأصبحت الأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وأخذ متاعهم من لم يحمدهم، وخرجوا إلى من لا يعذرهم، فأصبحنا خلفاً من بعدهم، نتوقع مثل الذي نزل بهم، فنحن إذا تدبرنا أمورهم أحقأ أن ننظر ما نغبطهم به، فتتبعه، وما نخاف عليهم منه فنجتنبه"<sup>(١)</sup>.

كما ينتهج بعض المصنفين أسلوب عرض النماذج في موضوع الزهد، ويعدّهم قدوة تُستحث بها همّة الملوك في هذا الباب، فمن ذلك تذييل ابن الجوزي رحمته الله كتابه "الشفاء" بفصل في "ذكر جماعة من الملوك تزهّدوا"<sup>(٢)</sup> يقول في أوله: "كان جماعة من الولاة يوعظون، فيؤثر الوعظ في قلوبهم فيخرجون من الدنيا، وكان فيهم من يتفكر في نفسه ويعلم انقطاع الدنيا عنه وقرب رحيله منها، ويخاف شدة الحساب، فيكفيه ذلك موعظة فينفر من الدنيا، ويزهد في الولاية"<sup>(٣)</sup>، ثم أخذ في سرد جملة من أخبار ملوك الأمم السابقة وبعض أمراء هذه الأمة<sup>(٤)</sup>، وتبعه في ذلك ابن الجوزي السبط رحمته الله في "الجلس الصالح"<sup>(٥)</sup>، وابن ظفر الصقلي في "سلوان المطاع"<sup>(٦)</sup>.

إن حرص المصنفين على تنبيه الملوك بهذه القضية من الفقه في الدعوة؛ ذلك أن التعلق بالدنيا سبب المعصية والغفلة، يقول الخوارزمي رحمته الله: "اعلم يا أمجد الأمجاد وأجود الأجواد أن

(١) الأدب الصغير لابن المقفع (ص ٤١)، وانظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٤٨-٦٩).

(٢) الشفاء لابن الجوزي (ص ٤٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٩١).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٩١-٩٤).

(٥) انظر: المجلس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٤٩-٢٨٢).

(٦) انظر: سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي (ص ٢٧١-٣٠٣).

الدنيا معيوبة، وهي رأس الفتن وشجرة المحن...<sup>(١)</sup>؛ ولذا كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان في مجال وعظ الملوك.

#### خامساً: الحث على طلب النصائح وقبولها:

من موضوعات الوعظ التي يُذكر بها الأئمة والسلاطين موضوع قبول النصائح والاستماع إلى المواعظ "فليس أحد - وإن جل خطره، وعظم قدره - ممن يجب أن يرتفع عن استماع الموعدة وقبول النصيحة؛ لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظّه الأجل، واستحقَّ من الله البشري في العاجل، والثواب في الآجل، ومن عقلاء خلقه الثناء والمدح والإكرام والدعاء، فإن الله عز ذكره يقول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

يوضح أهمية ذلك الشيزري رحمته الله في باب "الحث على استماع المواعظ وقبولها من النساك"<sup>(٥)</sup> فيقول: "اعلم أن استيلاء الدنيا على الملوك، وإقبالها عليهم ربما شغلهم عن أمر الآخرة، وأغفلهم عن مهمّات الدين، فيجنحون إلى اللذات، ويهملون الديانات؛ لأن النفوس مطبوعة على الميل إلى الترف، وإيثار التمتع، وكراهة التكليف، فلا ينبغي أن تخلو مجالسهم من علماء الدين، وأصالح المتنسكين؛ لينهوهم عند طريان الغفلة، ويذكروهم عند ضراوة الشهوة، ويوضحون لهم نهج الآخرة، ومعالم الشريعة، وقد كان ذلك شعار الملوك الغابرين، والخلفاء

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم، تأليف: أبي بكر الخوارزمي، محمد بن العباس (ص ٢٤٤)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤١٨هـ.

(٢) سورة الزمر، الآية (١٧ - ١٨).

(٣) سورة الزمر، الآية (١٨).

(٤) نصيحة الملوك للهاوردي (ص ١٠٥)، وانظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١٢٠ - ١٢٦).

(٥) المنهج السلوك للشيزري (ص ٦٩٠).

الراشدين، في مجالستهم الحكماء، واستماع مواعظ العلماء"<sup>(١)</sup>؛ ولذا بَوَّب الحسن العباسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في "آثار الأول" باباً في "سيرة الملك مع العباد والنسك والزهاد وقبول نصائحهم"<sup>(٢)</sup>، مبيناً أن من الواجب على الملك الصالح أن يقبل نصائح النسك، ويستمع إلى مواعظ الزهاد، وأن يصبر على خشوتها ومضض زجرها؛ ليحمد بذلك العاقبة<sup>(٣)</sup>.

ومما يدل على أهمية هذا المجال في وعظ الملوك أن الماوردي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ابتدأ به أبواب كتابه "نصيحة الملوك"، حيث جعل الباب الأول منه في "الحث على قبول النصائح"<sup>(٤)</sup>، يقول في ذلك: "وقدمنا أن أحق من تهدي إليه النصائح، ويتخول بالمواعظ الملوك، بان به أنهم أحق الناس بقبول النصيحة وسماع الموعدة خلال عدة..."<sup>(٥)</sup>، ثم شرع في عد أسباب أولويتهم بالموعدة والاعتاظ<sup>(٦)</sup>.

وفي تقديم النماذج والقدوات يخصص ابن رضوان المالقي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في "الشهب اللامعة" باباً في ذكر سير الملوك في سماع المواعظ وتعظيم أهل الخير وتسليم أحوال الصالحين إليهم"<sup>(٧)</sup>، قاصداً بذلك أن تكون تلك الأخبار والسير باعثاً للملوك على قبول النصائح، كما قال الغزالي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد ذكر خبرٍ لعمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في طلب المواعظ<sup>(٨)</sup>: "فينبغي لصاحب الولاية أن يجعل هذه الحكاية نصب عينيه، وأن يقبل المواعظ التي وعظ بها غيره، فكلما رأى عالماً سألته

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ٦٩٠).

(٢) آثار الأول للحسن العباسي (٢/ ١٢٠).

(٣) انظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ١٢١).

(٤) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٩).

(٥) المصدر السابق (ص ٤١).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٤١-٤٢).

(٧) الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٧٦).

(٨) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١٢٦).

أن يعظه"<sup>(١)</sup>.

ويعزو الباحث تخصيص هذا الموضوع بالذكر في تلك المصنفات، إلى فقه هؤلاء العلماء وعلمهم بواقع الحال الذي يتعاملون معه، مع إدراكهم لطبيعة الملك والملوك.

#### سادساً: التذكير بنعم الله والحض على شكرها:

الملك اختصاص يختص الله به من يشاء من عباده، كما قال ﷺ على لسان موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، فهو نعمة يُدكر بها، وعطية ينه أهلها إلى فضلها، قال الحسن العباسي رحمه الله للسلطان: "اعلم أيدك الله أن الملك فضل إلهي ينعم الله به على من يصطفيه من خلقه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾"<sup>(٣)</sup> قال المفسرون: اصطفاه بمعنى اختاره"<sup>(٤)</sup>.

وحق الله على من عرف هذا الفضل أن يُعقبه بالحمد والشكر، يقول ابن الجوزي رحمه الله في "المصباح المضيء": "فإن الله تعالى رفع قدر خليفته على جميع خليفته، وأمر الكل بطاعته، فأوجب هذه الإنعام تضاعف الشكر"<sup>(٥)</sup>، ويذكر ابن طباطبا الملك بوجوب الاعتراف والإقرار بالنعم مع لزوم شكرها قائلاً: "ويجب للملك أن يعرف نعمة الله عليه بأن اصطفاه لهذه المرتبة العلية دون سائر الخلق، وبأن جعله يفزع منه كل أحد، ولم يجعله يفزع من أحد، فلا يزال لها ذاكراً شاكراً، فأما الذكر فلا مثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾"<sup>(٦)</sup>، وأما الشكر

(١) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٢٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٢٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٤٧).

(٤) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٥٧).

(٥) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ١٥٩ - ١٦٠).

(٦) سورة الضحى، الآية (١١).

فلطلب المزيد لقوله تعالى: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup> (٢).

ويُدبِّجُ الغزالي رَحِمَهُ اللهُ بِتلك الموعظة خطبة كتابه قائلاً: "اعلم يا سلطان العالم، ملك الشرق والغرب، أن الله عليك نعماً ظاهرة، وآلاءً متكاثرة، يجب عليك شكرها، ويتعين عليك إذاعتها ونشرها، ومن لم يشكر نعم الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، فقد عرض تلك النعمة للزوال، وخجل من تقصيره يوم القيامة"<sup>(٣)</sup>.

وفي "نصيحة الملوك" يُرشد الماوردي رَحِمَهُ اللهُ الملوك إلى حقيقة الشكر في قوله: "فالواجب في جميع أبواب القضايا ألا يكون أحد أشكر الله وأحسن قياماً بأداء فرائضه وأوامره، ورعاية لما استرعى، وحفاظاً لما استحفظ منهم"<sup>(٤)</sup>، ويكرر هذا المعنى في "درر السلوك" قائلاً: "حق على كل من مكنه الله رَحِمَهُ اللهُ في أرضه وبلاده، وائتمنه على خلقه وعباده، أن يقابل جزيل نعمه بحسن السرية، ويجري في الرعية بجميل السيرة"<sup>(٥)</sup>.

ولا شك أن موعظة الملوك بلزوم الشكر وتحذيرهم من ضده، من أعظم أبواب النصح والصدق في الذكرى؛ ذلك أن الشكر سبب رئيس في دوام النعم ومزيدها، وقد عقد الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ باباً كبيراً "في بيان الخصلة التي هي رهن بسائر الخصال وزعيم بالمزيد من النعماء والآلاء من ذي الجلال وهي الشكر"<sup>(٦)</sup>، كما خصص الماوردي رَحِمَهُ اللهُ في "التحفة الملوكية" فصلاً كاملاً في الشكر، متحدثاً من خلاله عن أدلة وجوبه وكيفيته، وخطر التفريط فيه على الدول، وجزاء أهله

(١) سورة إبراهيم، الآية (٧).

(٢) الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٣٥)، وانظر: الذهب المسبوك للحميدي (ص ١٨٠ - ١٨١).

(٣) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٣).

(٤) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٦١).

(٥) درر السلوك للماوردي (ص ٨٧)، وانظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢٧١-٢٨٧)، وانظر: المنهج السلوك

للشيزري (ص ٣٢٧-٣٣٢).

(٦) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢٧١).

في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>، وهذا يعكس علم المصنفين بأهمية هذا الباب في استقرار أمر الدول، وبقاء الخير، ومزيده فيها.

### سابعاً: تسليية المصاب:

لَمَّا تَعَلَّقَ بِنَفْسِ الْمَلِكِ مَصْلِحَةُ الْعَامَّةِ، اقْتَضَى ذَلِكَ صِيَانَتَهَا عَنْ كُلِّ مَا يُسْلِمُهَا إِلَى دَرَكِ الْهَلَكَةِ، وَقَدْ لَحِظَ الْوَاعِظُونَ ذَلِكَ حَتَّى فِي شَرِّ الْجَزَعِ عَلَى نَفُوسِ الْمُلُوكِ، يَقُولُ الشَّيْزُرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَشْتَدَّ جَزَعُهُ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَذَهَبَ عَنْهُ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ تَعَجَّلَتْ لَهُ الْمَسَاءَةُ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَى ارْتِجَاعِهِ، وَيَسْتَسَلِفُ الْحَسْرَةَ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِدْرَاكِهِ، ثُمَّ يَشْغَلُهُ ذَلِكَ عَنْ تَدْبِيرِ مَسْتَأْنَفِ أَمْرِهِ، وَإِصْلَاحِ بَاقِي شَأْنِهِ، وَرَبْمَا أَفْضَى بِهِ الْحَالَ إِلَى الْهَلَاكِ، فَإِنْ شَدَّ الْجَزَعُ مُهْلِكٌ"<sup>(٢)</sup>.

وفي درء الجزع، وجبر المصيبة، وتسليية النفس المكلومة، وتعزيتها بالوعظ عن حسرة الفوات، صنف ابنُ ظفر الصقلي كتابه "سلوان المطاع في عدوان الاتباع"، و"يعتبر هذا الكتاب من الجنس الأدبي المعروف بالفرج بعد الشدة، وقد استخدمه المؤلف هنا ناظراً إليه بوصفه فرعاً على الآداب السلطانية التي سميت بالعصور الوسطى الأوربية باسم "مرايا الأمراء" وكان العرب يسمونها "نصائح الملوك"<sup>(٣)</sup>.

وقد أراد المصنف في هذا الكتاب التعزية، والتسليية، والإسناد الأخلاقي للأمير الذي خذله أتباعه، موضحاً للأمير أن الأمر صائر في النهاية إلى انتقام الله من الظالمين، ما دام أن الأمير صالح يقظ<sup>(٤)</sup>، والكتاب مقسم إلى خمس سلوانات وهي: التفويض، والتأسي، والصبر،

(١) انظر: التحفة الملوكية للهاوردي (ص ١٠٠-١٠١).

(٢) المنهج السلوكي للشيزري (ص ٥٥٣)، وانظر: الذهب المسبوك للحميدي (ص ١٥٧).

(٣) مقدمة رضوان السيد على سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي (ص ٩).

(٤) انظر: مقدمة رضوان السيد على سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي (ص ٩).

والرضى، والزهد. وهو لا يخرج عن مجمل النصائح السياسية، والقواعد الأخلاقية، والآداب الملوكية، والمكائد الحربية، شأنه في ذلك شأن كتب مناصحة أئمة المسلمين.

ويقاربه موضوعاً كتاب "جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى" لابن عاصم القيسي رحمته الله، الذي هدف من ورائه إلى موازنة من داهمتهم المصائب وتقلبات الزمن من الملوك والرعايا، "فقدم لهم النصائح وأرشدهم إلى السبل التي تخفف من وطء المحن التي تحيق بهم" (١).

ويعدّ الباحث هذه الموضوعات المذكورة أبرز ما يحتاجه الملوك في مجال الوعظ، مع اشتراكهم في سائر موضوعات الوعظ والتذكير العامة مثل: الحث على فعل الأوامر وترك النواهي، والوعظ بالجنة والنار، وذكر الموت وعذاب القبر، والحض على فعل النوافل، وصلة الأرحام، ونحو ذلك.

ولا تقصد الدراسة في هذا المقام أكثر من إبراز الأهم والأبين فيما يتعلق بمناصحة الملوك.

(١) مقدمة صلاح جرار على جنة الرضا للقيسي (ص ٦).

## المطلب الثاني

### مجال التصنيف في مناقحة أئمة المسلمين بموضوعات الأخلاق

تمهيد:

يبدو واضحاً من استقراء أي نص في كتب مناقحة أئمة المسلمين أن موضوع الأخلاق حاضر بجلاء، والكتابة في هذا الباب من حيث المادة الغالبة تمثل مجموعة من الصفات الخلقية والقواعد السلوكية التي يجب السير على منوالها؛ لبلوغ السعادة في الدارين<sup>(١)</sup>، كما تهيمن الرؤية الأخلاقية على مصنفي هذا المجال في تحليلهم السياسي، وهو ما يؤكد على ربط الأخلاق بالحفاظ على الملك<sup>(٢)</sup>، بوصفها إحدى دعائم استقراره ودوامه وفق مراد خطاب الشارع. يقول الشيزري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للملك: "واعلم أن الأدب أحد الأوصاف الأربعة التي يشترط قيامها بالملك في تدبير المملكة... فإذا عري الملك عنه اختلت سياسته وتدييره"<sup>(٣)</sup>، وقد شكلت هذه المفاهيم الأخلاقية داخل هذا المجال من التصنيف طبقة من طبقات الخطاب المعلنة والظاهرة، وهو ما يبالح به بعضهم فيزعم أن هذا الخطاب السياسي في أصله وممرماه لم يبرح دائرة الخطاب الأخلاقي<sup>(٤)</sup>.

وإن مما تجدر الإشارة إليه بين يدي هذا الموضوع هو توسع بعض المصنفين في دائرة نطاق المفهوم الأخلاقي، حيث يتم فيها مزج الملكات الإنسانية بالأخلاق التي جاء بها الشرع، مع المظهر الأخلاقي والعرف الاجتماعي، وهذا الأخير هو ما يعتني به الكُتَّاب الأوَّلون الذين أسسوا لهذا الفن، من أمثال ابن المقفع، والجاحظ، اللذين كانا ينظران إلى الأخلاق في مظهرها

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٦٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٢٩).

(٣) المنهج السلوك للشيزري (ص ١٦٩-١٧٠).

(٤) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٤٦).

الخارجي المتصل بالسلوك، والمجتمع، والأعراف، ومراسم الملك، مثل قول الجاحظ: "ومن أخلاق الملوك القعود للعامّة يوماً في المهرجان"<sup>(١)</sup>، وقوله في اللباس: "وأخلاق الملوك تختلف في اللبسة والطيب"<sup>(٢)</sup>، وقوله في مراسم الزيارة وعاداتها: "ومن أخلاق الملوك الزيارة لمن خُصَّ بالتكريمة..."<sup>(٣)</sup>.

كما تنظر كتب المناصحة إلى مقام الملك على أنه النموذج المُنتخب الذي يجب أن يتحلى بصالح الأخلاق وكريم الصفات، يقول الجاحظ في الصبر على مضض الحقد: "فليس في الأرض نفسٌ تصبر على مضض الحقد ومطاوله الأيام بها صبر الملوك، ولذلك بطل القياس على أخلاقهم، ووجهت آراء ذوي الحِجَا والتميز في العمل عليها والمقابلة بها، حتى تخرج على وزن واحدٍ وينظم مؤتلف"<sup>(٤)</sup>؛ ولذا كان عرضها لموضوع الخلق في أتم صورته وأكمل أحواله.

ويتنوع التصنيف الموضوعي لمجال الأخلاق في كتب مناصحة أئمة المسلمين، حيث قصد بعضهم النظر في فلسفة الأخلاق، وتحليل ماهيتها، واستخلاص قواعدها، كما فعل ابن أبي الربيع رحمته الله في "سلوك المالك"، والماوردي رحمته الله في "تسهيل النظر"، واكتفى بعضهم بالسرد العام مستقلاً في بابه، أو مدرجاً في تضاعيف مادة الكتاب، وقد ابتكر بعض هؤلاء طريقتاً في العرض، وهو فصل الأخلاق المحمودة في مباحث تفصلها عن مذموم الخصال<sup>(٥)</sup>، ووصفوها بالصفات الوجودية أو العدمية كما يقول ابن طباطبا: "وأما الخصال التي يُستحب أن تكون معدومة فيه فقد ذكرها ابن المقفع في كلام له..."<sup>(٦)</sup>، وتعرض الدراسة مجال التصنيف في مناصحة أئمة

(١) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ١٥٧).

(٢) المصدر السابق (ص ١٥١).

(٣) المصدر السابق (ص ١٥٤).

(٤) المصدر السابق (ص ٦٣).

(٥) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٤١، ٣٥٨)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٨).

(٦) الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٧).

المسلمين بموضوعات الأخلاق على وفق التصنيف الغالب بتلك المصنفات من خلال العناصر التالي:

### أولاً: التناول الفلسفي لموضوعات الأخلاق:

إن مما لا يمكن إرجاؤه في الحديث عن الموضوعات الأخلاقية، هو تسليط الضوء على النظرة الفلسفية للأخلاق والصفات عند مؤلفي هذا الفن، فالحديث عن ماهية الأخلاق، وتوازن الطبائع، وقانون الوسط، وشرح قواعد الصفات، ونتائج امتزاجها، حاضر في هذا المجال من التصنيف.

ويُشكل كتاب "سلوك المالك" لابن أبي الربيع رحمته الله المرتكز الرئيس في الحديث عن الفلسفة الأخلاقية بكتب المناصحة، فالفكر اليوناني واضح في ثنايا الكتاب، وهذا أمر يُجمع عليه محققوه<sup>(١)</sup>، فالصفات التي اشترطها المصنف في الرئيس لا تختلف عدداً ولا موضوعاً عن اشتراطات أفلاطون في جمهوريته<sup>(٢)</sup>، وقد جعل المصنف الفصل الثاني من كتابه في "أحكام الأخلاق وأقسامها"<sup>(٣)</sup> يقول في أحوال الخُلُق: "فإن الخُلُق الحاصل لا يخلو من ثلاثة أحوال، وهي: إما الوسط، والمائل عنه، والمائل إليه.

فإن كان الحاصل هو القرب من الوسط فقط من غير أن يكون قد جاوز الوسط إلى الضد الآخر، دُمنّا على تلك الأفعال زماناً آخر إلى أن ينتهي إلى الوسط، وإن كان الوسط قد جاوز

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١٠٥).

(٢) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٦٧)، وانظر: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، تأليف: د. أحمد صبحي (ص ٥٠-٥١)، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م؛ وانظر: تاريخ الفلسفة العربية لحنا الفاخوري وآخرين (ص ٣٧-٣٨)، وانظر: فلسفة الأخلاق، تأليف: د. إمام عبدالفتاح إمام (ص ٢٠)، الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٨٥م.

(٣) سلوك المالك لابن أبي الربيع (ص ٤٣).

الوسط إلى الضد الآخر عدنا ففعلنا الخلق الأول ودمنا عليه زماناً ثم نتأمل، وبالجملية كلما وجدنا أنفسنا مالت إلى جانبٍ عودناها الجانب الآخر، ولا نزال نفعل ذلك حتى نبليح الوسط أو تقاربه جداً.

ولما كان غرضنا في هذا الفصل من هذا الكتاب بيان السعادة الخلقية، وأن تصدر عنا الأفعال الجميلة - كما قدمنا -، وجب أن نقول قولاً يبين به ما الخلق؟ وما سبب اختلافه في الناس؟ وما المرضي منه المغبوط صاحبه والمتخلق به؟ وما المشين الممقوت فاعله والمتوسم به؟<sup>(١)</sup>.

ثم شرع في الحديث عن طبقات الناس ووجه منافعهم<sup>(٢)</sup>، وقوى الإنسان العقلية والبهيمية، مفصلاً القول في القوى البشرية الثلاث، وهي: القوة الفكرية، والقوة الغضبية، والقوة الشهوية، وما يتفرع عن كل قوة من فضائل ورتائل<sup>(٣)</sup>، كما تناول اختلاف الفلاسفة في الفرق بين السجايا والأخلاق<sup>(٤)</sup>، وغير ذلك مما يتصل بفلسفة الأخلاق.

ومن المصنفات التي عاجلت الموضوع الخلقية بالمنطق الفلسفي، كتاب "تسهيل النظر" للماوردي رحمته الله، الذي تبنى فيه نظرة أرسطية صريحة، ينقلها مترجمة حرفياً من كتب أرسطو<sup>(٥)</sup> مثل قوله: "وللنفس أخلاقٌ تحدث عنها بالطبع، ولها أفعال تصدر عنها بالإرادة، فهما ضربان لا تنفك النفس عنهما: أخلاق الذات، وأفعال الإرادة"<sup>(٦)</sup>، ويلتفت مرة أخرى التفاتة إلى كلام "جالونيس" يتساءل فيها عن الشيء، أو الأمر الذي يعطي الأخلاق ماهيتها أو طبيعتها: هل هو

(١) سلوك المالك لابن أبي الربيع (ص ٤٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٤٦ - ٤٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٤٨ - ٥٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٥٩ - ٦٥).

(٥) انظر: مقدمة رضوان السيد على تسهيل النظر للماوردي (ص ١٠٤).

(٦) تسهيل النظر للماوردي (ص ١٢٧).

النفس أو الفضائل والرذائل<sup>(١)</sup>؟ ثم يعود ليؤكد على تقسيم الأخلاق إلى غريزي وكسبي<sup>(٢)</sup>، وفي حديثه عن الفضائل والرذائل يلتزم الوسطية الأرسطية محسوبة بالنسب الرياضية، فهناك فضائل بسيطة وأخرى مركبة، وهناك رذائل بسيطة وأخرى مركبة<sup>(٣)</sup>، يقول في ذلك: "والفضائل توسط محمود بين رذيلتين مذمومتين، من نقصان يكون تقصيراً، أو زيادة تكون سرفاً، فيكون فساد كل فضيلة طرفيها، فالعقل واسطة بين الدهاء والغباء، والحكمة واسطة بين الشر والجهالة، والسخاء واسطة بين التقدير والتبذير، والشجاعة واسطة بين الجبن والتهور... وقد يحدث من تركيب الفضائل مع غيرها من الفضائل فضائل أخرى فيحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر في الملمات، والوفاء بالإبعاد، وعن تركيب العقل مع السخاء إنجاز المواعيد والإسعاف بالجاه..."<sup>(٤)</sup>.

وبعد أن يختم الماوردي رحمته الله هذا الفصل الذي جعله في قواعد الأخلاق، يستأنف فصلاً جديداً في السجايَا مستخدماً فيه الطريقة والمنهاج نفسه<sup>(٥)</sup>، ويجد القارئ هذا الإطار الموضوعي عند الماوردي رحمته الله أيضاً في الباب الخامس من كتابه "نصيحة الملوك" عند تناوله سياسة النفس ورياضتها<sup>(٦)</sup>، وكذلك في كتابه "قوانين الوزارة"<sup>(٧)</sup>.

ولم تقتصر النظرة إلى المجال الفلسفي للأخلاق على هذين المؤلفين، حيث يتناول غيرهم

(١) انظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ١٢٩)، وانظر: مقدمة رضوان السيد على تسهيل النظر للماوردي (ص ١٠٥).

(٢) انظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ١٢٩)

(٣) انظر: مقدمة رضوان السيد على تسهيل النظر للماوردي (ص ١٠٥)، وانظر: السلطة والسياسة لعز الدين العلام

(٧٠ - ٧٨).

(٤) تسهيل النظر للماوردي (ص ١٣٩ - ١٤٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٥٤ - ١٦٦).

(٦) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٨٠ - ١٩٠)

(٧) انظر: قوانين الوزارة للماوردي (ص ١٥١ - ١٥٥).

هذا الجانب بشيء من الإشارة، فالكتابة السلطانية - كما تقدم -<sup>(١)</sup> اعتمدت المنهج اليوناني مصدراً من مصادر مادتها، فمن ذلك ما ينقله ابن هذيل رحمته الله في "عين الأدب" عن الفلاسفة في تقسيم الآداب إلى كسبي وطبعي وصوفي، ثم يأخذ في بيان ماهية كل قسم على حدة<sup>(٢)</sup>، ويقعد الشيزري رحمته الله في "المنهج السلوك" للأخلاق قائلاً: "لما كان الأدب وصفاً مشروطاً للملك في تدبير المملكة، افتقر ذلك إلى معرفة قواعده التي لا يتحقق بدونها، ولا يُبتنى إلا عليها، وهما قاعدتان، لا يسع الملك تركهما إذ هما أصلان في السياسة والتدبير"<sup>(٣)</sup>. وهما: العلم<sup>(٤)</sup>، ونهي النفس عن الهوى<sup>(٥)</sup>، ويقاربه في ذلك المرادي رحمته الله في عامة كتابه "الإشارة إلى أدب الإمارة"<sup>(٦)</sup>.

ولو لبس المصنفون ثوب الفلاسفة في المجال الأخلاقي، فإن غرض المناصحة والوعظ هو الحاكم على تلك الكتب جميعها، يقول الماوردي رحمته الله في "تسهيل النظر" بعد تفصيل القول في فلسفة الأخلاق: "فإذا وضح ما استقرت عليه قواعد الأخلاق من محمود الفضائل ومذموم الرذائل، فشریف الأفعال لا يتصرف فيه إلا شريف الأخلاق سواء كان طبعاً أو تطبعاً؛ لأن الأفعال نفايج<sup>(٧)</sup> الأخلاق ونوازع الهمم، وقد نبه الله تعالى على ذلك في كتابه العزيز بقوله لنبية عليها السلام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٨)</sup>؛ لأن النبوة لما كانت أشرف منازل الخلق لاشتغالها على مصالح

(١) انظر: الباب الأول، الفصل الثاني، تمهيد البحث الأول: تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره

(ص ٢٥٦) من هذه الرسالة.

(٢) انظر: عين الأدب لابن هذيل (ص ١٢٠ - ١٢١).

(٣) المنهج السلوك للشيزري (ص ١٧٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٧٦ - ١٨٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٨٤ - ١٩٤).

(٦) انظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيدى (ص ٣٦).

(٧) النفايج: جمع نفيجة، والنفيجة: القوس. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (نفع) (٢/ ٣٨٢).

(٨) سورة القلم، الآية (٤).

الدين والدنيا، ندب الله تعالى لها من قد أكمل فضائل الأخلاق، وحاز أشرف الأعراف.

كذلك الإمارة والإمامة، لما كانت تالية لحاله وجب أن تكون مشاكلة لخصالها، فلزم أن يتدب لها من أنهضته الفضائل حتى تهذب، واستقل بحقوقها حتى تدرب؛ ليسوس الرعايا بآلته، ويباشر التدبير بصناعته"<sup>(١)</sup>، وهذا أمرٌ لا يخصُّ به كتاب الماوردي رَحِمَهُ اللهُ، فالحث والترغيب، وصيغة التذكير والحض، هو طريقة التصنيف في هذا الفن.

### ثانياً: التناول الموضوعي للأخلاق المأمور بها شرعاً:

خلق الله الخلق وجبله على أخلاق لا يحمد كلها، ولا يذم جميعها، فبعضها محمود، وشطرها مذموم، "غير أن من علت همته، وانصرفت إلى معالي الأمور عزمته، ورغب في أن تكون أخلاقه كلها حميدة يعرف بها سمته، راض نفسه رياضة تأديب وتدرّج وتكلف، فلم يلبث إلا هنية حتى تستقيم له أخلاقه بعضها طبعاً وبعضها تطبعاً، ويعلم أن شريف الأعمال لا يتصرف فيه إلا بشريف الأخلاق والخلال"<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت الولاية والسلطنة عالية الرتب، رفيعة المقام، منتظماً بها مصلحة الخاصة والعامّة، مرفوعة القدم على القمم، كان جديراً لمن لبس أثوابها، وأحرز رقابها، أن يأخذ نفسه برعاية أحوالها، ويروضها في أفعالها، حتى لا يسبقه أحد إلى شرف، مدركاً أنه متى ما قدر على سياسة نفسه كان على سياسة الرعية أقدر"<sup>(٣)</sup>؛ إذ "لا ينبغي لذي عقل ولب أن يطمع في طاعة غيره،

(١) تسهيل النظر للماوردي (ص ١٦٧).

(٢) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٧)، وانظر: درر السلوك للماوردي (ص ٥٧).

(٣) انظر: درر السلوك للماوردي (ص ٥٧)، وانظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٧٢)، وانظر: عين الأدب لابن

هذيل (ص ١٠٥)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٧).

وطاعة نفسه عليه ممتنعة"<sup>(١)</sup>، ومن بدأ بسياسة نفسه إصلاحاً، أدرك حسن سياسة الناس<sup>(٢)</sup>.

ولما كان العلم قبل العمل، والحكم على الأشياء من فروع تصورهما، قصد المؤلفون في المناصحة الإبانة والإيضاح عن كريم الأخلاق والتذكير بحميدها، فحشدوا في طيها من الآي والسنن، ثم من الأمثال والأشعار والحكم، ما يبين للمنصوح مقصودها المراد، احترازاً من تزيين الشيطان، وطبائع السوء، ورديء الخلال، يقول الطرطوشي رحمته الله: "اعلموا - أرشدكم الله تعالى - أن هذا الباب مما غلط الخلق فيه، وقلبوا القوس على ركة، فعمدوا إلى أخلاق العامة، وخلائق الغوغاء والدناة، وما يجري بينهم إذا تلاقوا وتعاشروا من الإفراط في مدح بعضهم بعضاً، وتعاطيهم الكذب، والتصنع، والتملق، والمراءاة، والمعارض عن الأمور المكنونة التي يسوء إظهارها، والانخراط في سلك المزاح والمهاترة، فهذا وما أشبهه عندهم من حسن الخلق، وهو عندنا نقيض ما نص الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم من حسن الخلق"<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت طريقة غالب المؤلفين في تصنيفهم أن يذكروا الخلق المشروع، ثم يذكروا ضده، سواء أكان مرتباً في أبواب وفصول كما هي طريقة الشيزري رحمته الله في "المنهج السلوك"<sup>(٤)</sup>، أو الوزير أبي سالم رحمته الله في "العقد الفريد"<sup>(٥)</sup>، أم مشاعاً في نواحي الكتب، يُجِلُّه في موضعه حاجة الذكر والسياق، وهذه هي غالب حالة المصنفين<sup>(٦)</sup>.

وتقتصر الدراسة في هذا العنصر على ذكر بعض الخصال والأخلاق المحمودة الواجبة في

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٧)، وانظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ١٤٦)، وانظر:

درر السلوك للماوردي (ص ٥٨).

(٢) انظر: درر السلوك للماوردي (ص ٥٨).

(٣) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٧٥).

(٤) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٤١ - ٢٤٣/٢).

(٥) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٣ - ٢٤٨).

(٦) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٦٧).

خلق الملوك، قاصدةً بذلك إبراز المثال في هذا المجال من التأليف، فالاستقراء لمادتها له محله المعلوم.

#### ١ - الشجاعة:

وهي من أركان المُلْك<sup>(١)</sup>، وحميد أوصاف المُلْك، وقد ابتدأ بها الشيزري رَحْمَةُ اللهِ فِي عَد الأوصاف المحمودة بقوله في ذلك: "اعلم أن الشجاعة من أحمد الأوصاف التي تلزم الملك أن يتصف بها ضرورة، وإن لم تكن له طبعاً، فيتطبع بها ليحسم بهيبته مواد الأطماع المتعلقة بقلوب نُظرائه، ويحصل منه حماية البيضة ورعاية المملكة، والذب عن الرعية"<sup>(٢)</sup>.

والشجاعة في الملك جناح الظفر، وسهم الغنيمة في الأمر، إذا وجد الدافع وزال المانع يقول الماوردي رَحْمَةُ اللهِ عَنِ الإِقْدَام: "فهو في السياسة أوفى شرطها، وفي الوزارة أكفى نظريها، لظفر الإقدام وخيبة الإحجام، وقد قيل: في منشور الحكم: بالإقدام ترتفع الأقدام، وإنما يجب الإقدام إذا ظهرت أسبابه من فرصة تنتهزها أو قوة تجدها، وقصدت أبوابه في إبانه وعند إمكانه"<sup>(٣)</sup>.

ويبين السلطان أبو حمو رَحْمَةُ اللهِ لَوْلَدِهِ أَوْصَافَ الشَّجَاعَةِ المَحْمُودَةِ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ قَائِلاً: "اعلم يا بني أن الشجاعة وصف محمود، وبها يتفاخر الوجود، وخصوصاً في الملوك، فإنها لمآثرهم كالوسائط في السلوك، وأصل الشجاعة الصبر في المواقف، وربط الجأش عند المخاوف، ورأسها الحذر والتوقي، وسياستها الممارسة عند التلقي"<sup>(٤)</sup>، ثم يشرع في إيضاح أنواع الشجاعة الأربعة وهي: الشجاعة التي يصحبها الرأي، وهذه المحمودة على كل حال<sup>(٥)</sup>، والشجاعة المعتمدة على

(١) انظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٨١).

(٢) المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٦٣-٢٦٤).

(٣) قوانين الوزارة للماوردي (ص ١٧٩).

(٤) واسطة السلوك لأبي حمو الزباني (ص ٣٨٥).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٣٨٦ - ٣٩٥).

العقل دون الرأي فهي المذمومة في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>، والشجاعة غير المفرطة مع مصاحبة الرأي وهي محمودة وإن كان القسم الأول أحمدَ منها<sup>(٢)</sup>، والقسم الرابع هو الشجاعة التي لا عقل فيها ولا رأي وهي المذمومة في جميع الأحوال<sup>(٣)</sup>.

ولا تعني شجاعة الملوك اقحام أنفسهم في مواطن العطب، فإن نفس الملك واحدة، لا ينتفع الناس بفواتها، بل يُضَرَّون، وقد أبان الشيزري رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن ثمرة شجاعة الملوك في قوله: "واعلم أن ثمرة الشجاعة من الجُند، الكرُّ والفرُّ، وثمرتها من الملوك الثباتُ حتى يكون قطباً يدورون عليه، ومُعقلاً يلجؤون إليه، هذا إذا كان بحضرته، ومن يذُبُّ عنه من أعوانه الذين يثق بهم، فإذا لم يكن بحضرته من يذُبُّ عنه حسن منه حينئذٍ أن يذُبُّ عن نفسه إما بالإقدام، وإما بالانحياز حيلةً"<sup>(٤)</sup>.

وتبقى الشجاعة في الملوك من الصفات الوجودية اللازمة؛ لأنهم محل الحراسة، وقطب الأمن، وحرز العدل، وإخافة الغاشم.

## ٢ - الحلم:

الحلم من الخصال المحبوبة عند ملك الملوك رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ<sup>(٥)</sup>، وهو من أسباب استحقاق السيادة بين الناس<sup>(٦)</sup>، و"أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب؛ لما فيه من راحة السر، واجتلاب الحمد، وأحق الناس به السلطان؛ لأنه منصوب لإقامة أود الخلائق وممارسة أخلاقهم، ولا يطيّفون به

(١) انظر: واسطة السلوك لأبي حمو الزباني (ص ٣٩٥ - ٣٩٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٣٩٦ - ٣٩٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٣٩٧).

(٤) المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٦٧).

(٥) يقول النبي ﷺ للأشج أشج عبد القيس ((إنك فيك خصلتين يجبهما الله: الحلم، والأناة))، رواه مسلم في صحيحه،

كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين والدعاء إليه برقم [١٧] (٤٨/١).

(٦) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٤٥٠).

في حال سلمهم، وإنما يغشون بابه حين تنازعهم وخصوماتهم وشروهم، وتكدر نفوسهم، وضيق أخلاقهم، فإن لم يكن معه حلم يرد بوادرهم وإلا وقع تحت حمل ثقيل" (١).

والحلم للملوك ناصر معين يقول الأحنف بن قيس رحمته الله: "وجدت الحلم أنصري من الرجال" (٢)، وقد عَقَّبَ على هذا القول الطرطوشي رحمته الله بقوله: "وصدق الأحنف فإن من حلم كان الناس أنصاره، كما روي أن رجلاً أسرع في شتم بعض الأدباء وهو ساكت، فحمى له بعض المارين في الطريق وقال له: يرحمك الله ألا أنتصر لك؟ قال: لا. قال: ولم؟ قال: لأنني وجدت الحلم أنصري من الرجال، وهل حاميت لي إلا لحلمي؟" (٣).

ولا يعني الحلم عند الملوك وغيرهم استدفاع الغضب بالكلية فإن "الاتصاف بالحلم الممدوح لا يتوقف على قمع الغضب بالكلية؛ لأن ذلك غير مطلوب، وإنما يتوقف كماله على انقياد الغضب للعقل، حيث يشير رده إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط، وإذا ذلك فتحقق الاتصاف به على الوجه المحمود، ومن هناك قيل: من لا يغضب فليس بحليم؛ لأن الحلم لا يعرف إلا عند الغضب" (٤).

يقول النابغة الجعدي رحمته الله في هذا المعنى:

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم تكن له      بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا  
ولا خَيْرَ في جَهْلٍ، إذا لم يكن له      حَلِيمٌ، إذا ما أوردَ الأمرَ أصدَرَ (٥)

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢٠٨)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ١٠١).

(٢) المجالسة وجواهر العلم، تأليف: أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي (ص ٣٨٨)، الناشر: دار ابن حزم، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

(٣) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢١٣).

(٤) بدائع السلك لابن الأزرقي (١/ ٤٥٢ - ٤٥٣).

(٥) ديوان النابغة الجعدي (ص ٨٥)، تحقيق: الدكتور واضح الصمدي، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة

وهو سبب بقاء الحمد، ودوام الذكر في الآخرين، يقول الطرطوشي رحمته الله: "فأخلق بخصلة تعم منفعتها، ويبقى على الدهر جمالها، وتحل في العقلاء والعلماء والملوك والسُّوقَة بهجتها، وحسن مصادرها ومواردها أن يتخذها الملوك شعاراً ودثاراً"<sup>(١)</sup>.

ولا ينبغي للملك أن يفوت على نفسه هذه الخصلة، فإنها من الأخلاق المكتسبة بالترويض، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما الحلم بالتحلم))<sup>(٢)</sup>، ومن اكتسبها بها سلم وغنم وأحسن.

### ٣- الأناة:

لا تكتمل فضيلة الحلم في السلاطين حتى تُكسى بالأناة، وقد لحظ هذا المعنى ابن الحداد رحمته الله في "الجوهر النفيس" فعقد باباً "في فضل الحلم والأناة من الملوك والولاية"<sup>(٣)</sup>، جامعاً فيه من الآثار، ومنطوق الحكم، والوصايا<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان الحلم يجمعُ العقل الذي يُبدده الغضب، فإن الأناة مصيدةُ الإصابة في الرأي، يقول الشيزري رحمته الله: "اعلم أن الأناة من أحمد أوصاف الملك، وأكمل أخلاقه، وعلامة توفيقه؛ لأنه يتعلق بها صواب الرأي في التدبير، واتضح الأمور في السياسة، ولا يقترن بها زلل، ولا يعقبها ندامة ولا فشل"<sup>(٥)</sup>، فالأناة والحلم توأمان، تستحثهما علو الهمة ورجاحة العقل<sup>(٦)</sup>.

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢٢١).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم [٢٦٦٣] (٣/ ١١٨)، وقال: "لم يرو هذا الحديث عن سفيان إلا محمد بن الحسن"، ورواه البيهقي في شعب الإيمان، باب الزهد وقصر الأمل برقم [١٠٢٥٤] (١٣/ ٢٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٦١).

(٣) الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ٩١).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٩١-٩٦).

(٥) المنهج السلوك للشيزري (ص ٣٣٣).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٣٥).

وفي التريث عند إبرام الأحكام والفصل فيها، يقول الطوسي رحمته الله: "يجب عدم التسرع في الأمور، فإذا ما سُمع خبر ما، أو طرأ شيء، يجب تدبره بتأنٍ وهدوء إلى أن تنجلي حقيقته، ويتبين الكذب من الصدق، فالتسرع من شأن الضعفاء لا الأقوياء" <sup>(١)</sup>، وقد أمر الله عباده المؤمنين بذلك في قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ وَندمِين﴾ <sup>(٢)</sup>.

ومن تريث لم يندم؛ لأن الزلل مع الاستعجال أحرى وبه أولى <sup>(٣)</sup>، يقول القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته      وقد يكون مع المستعجل الزلل <sup>(٤)</sup>

قال الشعبي رحمته الله: "قلت لابن هبيرة: عليك بالتؤدة، فإنك على فعل ما لم تفعل، أقدر منك على رد ما فعلت" <sup>(٥)</sup>.

وكم من أمر قارب الإنجاز على أتم وجه، غير أن التسرع أفسده وأحبطه، فالعجول في صراع دائم مع نفسه، يقضي عمره في التوبة والاعتذار، وتلقي اللوم، والغرم والخسران <sup>(٦)</sup>، ولذا كانت هذه الخصلة من أتم وأعظم خصال الرئاسة والملك.

(١) سير الملوك للطوسي (ص ١٧١).

(٢) سورة الحجرات، الآية (٦).

(٣) انظر: تهذيب الرياسة للقلعي (ص ٢٢٠-٢٢١).

(٤) ديوان القطامي (ص ٢٥)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، الناشر: دار الثقافة بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

(٥) الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ٩١)، وقد وردت هذه القصة بكاملها في بهجة المجالس وأنس المجالس، تأليف:

أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر (٣٤٧/١)، تحقيق: محمد مرسي الخولي، الناشر: دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت؛ وهناك قصة مشابهة في عين الأدب لابن هذيل (ص ١٥٦ - ١٥٧).

(٦) انظر: سير الملوك للطوسي (ص ١٧٢).

٤ - العفو:

وصف العفو خليق بالسلطين، لما فيه من المزية، وكمال مصالح الرعية؛ لأن الملك متى أخذ بكل زلة، وعاقب على كل عثرة، وقابل الجرم الصغير بأليم العقاب، قبحت سيرته، وفسدت سيرته<sup>(١)</sup>، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يدينهم عمر رضي الله عنه، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخيه هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس رضي الله عنه: فاستأذن لعيينة، فلما دخل قال: يا ابن الخطاب! والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه حتى همَّ بأن يقع به فقال الحر: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله"<sup>(٣)</sup>.

وبالعفو يوصي الطرطوشي رحمته الله الملوك في قوله: "واعلموا - أرشدكم الله - أن الله صلى الله عليه وسلم أمر بالعفو وندب إليه، وذكر فضله وحث عليه، ووصف به نفسه تعالى فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَلْكَ لَظْمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فأوجب الله تعالى محبته وأثنى عليه بالإحسان، وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(٥)</sup>، وعزائم الأمور من

(١) انظر: المنهج المسلوك للشيزري (ص ٣١٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٩٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم [٦٨٥٦] (٢٦٥٧/٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٣٤).

(٥) سورة الشورى، الآية (٤٣).

صفات المصطفين من الرسل عليهم السلام<sup>(١)</sup>.

والعفو أكمل ما يكون عند الملوك؛ لأن حمده يكون مع كمال المقدره، ولا أحد من العباد أقدر منهم على الانتقام<sup>(٢)</sup>، والخطأ فيه محمود، مذموم في العقوبة، قال الطرطوشي رحمته الله: "واعلم أنك إن تخطى في العفو في ألف قضية، خير من أن تخطى في العقوبة في قضية واحدة"<sup>(٣)</sup>. ولا يحمد عفو الملوك إلا مع الإصلاح والمصلحة يقول القلعي رحمته الله: "اعلم أن الحلم محمود في محله، والعفو مستحسن إذا استعمل مع أهله"<sup>(٤)</sup>.

وهو من أسباب بقاء الملك ودوامه<sup>(٥)</sup>؛ "ذلك أن الملك إذا تكرم بالعفو عن المذنبين من أصحابه وقواده ممن لم يقدحوا في ملكه، ولم يتعرضوا لحرمة، ولم يقدموا على إفشاء سره، اشتدت محبتهم له وظهرت موالاتهم إياه، وازدادت شفقتهم عليه، فبذلوا الجهد في مناصحته والذب عن سلطانه، وامتنال أوامره، وإذا لم يأخذ نفسه بالعفو وأخذته العزة بالإثم، وأسرف في العقوبة والقتل، فسدت نياتهم، وساءت آراؤهم، فسعوا في هدم ملكه، والإتيان على نفسه، وما أكثر أساطير الأولين في ذلك"<sup>(٦)</sup>.

وتوصي كتب مناصحة أئمة المسلمين بهذا الخلق كثيراً وتمد القول فيه، وتفزع في فقهه كما صنع الطرطوشي رحمته الله في "السراج"<sup>(٧)</sup>، وابن الأزرق رحمته الله في "بدائع السلك"<sup>(٨)</sup>، ولا غرو فإن

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٨٨).

(٢) انظر: واسطة السلوك لأبي حمو الزياتي (ص ٨٦).

(٣) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٩١)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١ / ٤٧١).

(٤) تهذيب الرياسة للقلعي (ص ٢٠١).

(٥) انظر: آداب الملوك للثعالبي (ص ٩٥)، وانظر: تهذيب الرياسة للقلعي (ص ٢٠٩)، وانظر: الجواهر النفيس لابن الحداد (ص ٩٧).

(٦) آداب الملوك للثعالبي (ص ٩٥)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١ / ٤٦٦).

(٧) انظر: سراج الملوك من (١٨٨ - ١٩٧).

(٨) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (ص ٤٦٦ - ٤٧٢).

العفو في ذاته علة العز، كما قال النبي ﷺ: ((ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً))<sup>(١)</sup>؛ ولذا كان المملوك أحرى به وأولى.

##### ٥- الصبر:

الصبر خلق كريم، قد كثر ذكره في الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>، وهو "زمام سائر الخصال، وزعيم الغنم والظفر، وملاك كل فضيلة، وبه ينال كل خير ومكرمة، قال ﷺ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٤)</sup>، فمعظم وظائف الدين ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ جزاء معلوماً لمن أقامها إلا الصبر، فإنه مجازى عليه بغير حساب، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا﴾<sup>(٥)</sup>، قيل: عن الدنيا"<sup>(٦)</sup>.

و"الصبر باب العز"<sup>(٧)</sup>، ومفتاح النصر، فعن ابن عباس رضيهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((...واعلم أن النصر مع الصبر...))<sup>(٨)</sup>، فالمملوك به أولى وهو عليهم حقيق.

(١) رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب البر والصلة الآداب، باب استحباب العفو والتواضع برقم [٢٥٨٨] (٤/٢٠٠١).

(٢) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٦٥)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٣٤).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٣٧).

(٤) سورة الزمر، الآية (١٠).

(٥) سورة السجدة، الآية (٢٤).

(٦) سراج الملوک للطرطوشي (ص ٢٤٧).

(٧) بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٤١).

(٨) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحین، کتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب ذکر عبد الله بن عباس رضيهما برقم [٦٣٠٤] (٣/٦٢٤)، قال الذهبي في تعليقه على المستدرک: "عيسى بن محمد القرشي ليس بمعتمد"، ورواه الطبراني في المعجم الكبير برقم [١١٢٤٣] (١١/١٢٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٠٨): "رواه الطبراني، وفيه علي بن أبي علي القرشي وهو ضعيف"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته =

وقد أطالت كتب المناصحة في ذكر أقسام الصبر وأنواعه، وتنوعت أقسامهم تبعاً لاعتباراتهم<sup>(١)</sup>، وأوجز الشيزري رَحِمَهُ اللهُ ذلك في قوله: "اعلم أن صبر الملوك يتنوع أنواعاً كثيرة أليقها بكتابي هذا صبر الملوك، وهو عبارة عن ثلاث قوى، القوة الأولى: قوة الحلم، وثمرتها العفو، والقوة الثانية: قوة الكلائة، وثمرتها عمارة المملكة، الثالثة: قوة الشجاعة، وثمرتها في يد الملوك الثبات؛ لأن إقدامهم في المعارك تهور وطيش"<sup>(٢)</sup>.

كما يوضح المرادي في "أدب الإشارة" مفهوم الصبر الجميل للملوك بقوله: "وليس الصبر المحمود أن يكون جسد الرجل قوياً على الضرب، ولا رجله قويةً على المشي، فهذه من صفات البهائم، وإنما الصبر المحمود أن يكون لنفسه غالباً، ولشهوته مخالفاً، وبما يقتضيه التدبير المحكم عاملاً، وعند الضّر متجملاً"<sup>(٣)</sup>.

والصبر حسن على كل أحد وهو في الملوك أحسن؛ لأنه من حق الرعية على ملوكها<sup>(٤)</sup>، ومن صبر ظفر بحسن العاقبة، وجميل الخاتمة.

#### ٦ - السخاء:

معلوم أن الجود من أشرف الخصال، وأكرم الخلال، و"هذه الخصلة الجليل قدرها، العظيم موقعها، الشريف موردها ومصدرها، هي إحدى قواعد المملكة وأساسها وتاجها وجمالها، تعنو لها الوجوه، وتذل لها الرقاب، وتخضع لها الجبابرة، وتسترقق بها الأحرار، وتستهمل بها الأعداء، وتستكثر بها الأولياء، ويحسن بها الثناء، وتملك بها القرباء والبعداء، وتسود بها في غير عشائهم

(١١٥١/٢).

(١) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢٤٧ - ٢٦٣)، وانظر: الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي (ص ١٥١ - ١٥٢)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٥٤٠).

(٢) المنهج السلوك للشيزري (ص ٣٠٩)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان الملقني (ص ١٩٧).

(٣) الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي (ص ١٥٣).

(٤) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٨٠).

الغرباء" (١).

وأحق من تسربل بهذه الخصلة الملوك؛ وذلك "لارتفاع أقدارهم، واجتماع أمواهم وعظيم أخطارهم" (٢)، ومن وسَّع الله له بالرزق في مملكته، ثم بسط نفسه بالجود، فقد عزَّ في الملوك نظراؤه، وكان يقال: "إذا جمع الملك العادل، العدل الشامل، والمال الوافر، والجود الغامر، والوزير الناصح، عسر على الملوك إدراك شأوه" (٣).

وقد اختلف أهل السياسة في وصف كرم الملك، غير أنهم اتفقوا على أن السخي على نفسه، الشحيح على رعيته بجانب للصواب، بعيد عن الحق، مذموم غير محمود (٤)، واتفقوا على أن حد العطاء ما كان متوسطاً لا مُقترراً ولا مفرطاً، وهذا هو الكرم المحمود (٥)، وأن الأصل فيه أن تؤدي الحقوق إلى أهلها، ويُتفضل بعد ذلك ببعض الفضل على قدر الوسع والطاقة (٦).

والجود ساتر لكل عيب، وجالب لمحبة الرعية، إذا سلم من آفته، يقول المرادي رَحْمَةً: "ومن صفات جود العقلاء أن يكون منسياً لا يحدد بالذكر، فإن احتقاره يعظمه، وستره يظهره؛ لأن المطلوب منه تمكين المحبة وتحسين الثناء، وتعزيز النصر، ولا يصح ذلك فيه إلا بوصوله إلى قائله في أجمل صورة وأحسن هيئة" (٧).

وجود الملك على ضريين، أحدهما: أن يبادر بالعطاء من غير سؤال، وهذا أشرف العطاء،

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢٢٦)، وانظر: الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي (ص ١٧٨)، وانظر: المنهج

المسلوك للشيزري (ص ٢٧١)، وانظر: الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٣).

(٢) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٧٣)، وانظر: آداب الملوك للثعالبي (ص ٩٧)، وانظر: بدائع السلك لابن

الأزرق (١/ ٤٤١).

(٣) آداب الملوك للثعالبي (ص ٩٧).

(٤) انظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٧٣ - ٧٤).

(٥) انظر: واسطة السلوك لأبي حمو الزياتي (ص ٣٩٧).

(٦) انظر: الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي (ص ١٧٨).

(٧) المصدر السابق (ص ١٨٠).

وأطبع السخاء. الثاني: ما كان عن طلب، وهو من درجات الحسن ما لم يُهن السائل<sup>(١)</sup>.  
وموضوع الجود والسخاء من الموضوعات التي توسع فيها مصنّفو كتب المناصحة؛  
لارتباطها بقوة المملكة، وصفاء النفس بين الرعية والراعي، وقد مضت سنة الخلفاء الراشدين  
وملوك الإسلام بصلة المسترفدين على ميزان الشريعة من غير إسراف ولا إقتار، وذلك مشهور  
ومعلوم<sup>(٢)</sup>.

وفي كتب المناصحة جُمٌّ غفير، وتفصيل طويل في ذكر جملة من الأخلاق الحسنة، والخصال  
النبيلة في الملوك، مثل: خلق الحزم<sup>(٣)</sup>، والعفاف<sup>(٤)</sup>، والإحسان<sup>(٥)</sup>، والوفاء<sup>(٦)</sup>، والرحمة<sup>(٧)</sup>،

(١) انظر: منهج السلوك للشيزري (١/ ٢٧٦ - ٧٧٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٨٠).

(٣) انظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ٣٢٠)، وانظر: الإشارة إلى أدب الإمارة للمراي (ص ١٦١)، وانظر: المصباح  
المضيء لابن الجوزي (ص ١٦٨)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٢٦٦)، وانظر: بدائع  
السلك لابن الأزرق (١/ ٢٠٣).

(٤) انظر: عين الأدب والسياسة لابن الهذيل (٩٠، ١٠٣)، وانظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٣٤٦)، وانظر:  
الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ١٢٥)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٤٣٥).

(٥) انظر: الشفاء لابن الجوزي (ص ٦١)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ١٩٧)، وانظر:  
الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ١٠٧)، وانظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٩٩)، وانظر: حسن السلوك  
للموصلي (ص ١٩٧)، وانظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ١٨٢)، وانظر: إرشاد الملوك لابن أبي زيد الهندي  
(ص ١٩٨)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ١٤٨).

(٦) انظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٢٥)، وانظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٩٠)، وانظر: العقد الفريد  
للملك السعيد لابن طلحة (ص ١٥٣)، وانظر: الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٤)، وانظر:  
بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٤٨٠).

(٧) انظر: درر السلوك للماوردي (ص ٧٧)، وانظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٤٧، ١٩٧)، وانظر: الجوهر  
النفيس لابن الحداد (ص ٨٨)، وانظر: حسن السلوك للموصلي (ص ١٩٦)، وانظر: واسطة السلوك لأبي حمو  
الزياني (ص ٩٧)، وانظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ١٨٢).

والصدق<sup>(١)</sup>، وغيرها، ولكن الدراسة اكتفت بما يسدّ مقام المثال.

### ثالثاً: التناول الموضوعي للأخلاق المنهي عنها شرعاً:

يفرد المصنفون موضوعاً خاصاً في معرفة الأوصاف الذميمة والأخلاق المنهي عنها، ويكون هذا في الغالب بعد ذكر المأمور به من الأخلاق، يقول الشيزري رحمته الله في الباب السادس من كتابه: "لما ذكرنا من مكارم الأخلاق أوصافاً جميلة، وأخلاقاً حميدة يزداد المتصف بها إجلالاً، وتعظيماً، أحببنا أن نوضح ما ذكرناه من محاسن بشرح قبائح أصدادها الخارجة بالنفس عن حد الاعتدال إلى ما يعقبها من الاضطراب في تأتّي الحال ليجتنبها الملك"<sup>(٢)</sup>.

وقد يقرن المصنفون في الباب نفسه بين الصفة وضدها، يقول ابن الأزرقي رحمته الله في: "القاعدة الخامسة: السخاء والجود: وفيها منهجان: الأول: في بيان هذا الوصف، والآخر في تقرير نقيضه وهو البخل"<sup>(٣)</sup>، وإلى هذا المنهج يشير أبو سالم رحمته الله في قوله: "وقد استقصينا تفاصيل الأخلاق والحلال المرغوبة المستحسنة، والشيم المستحبة المستهجنة، وشرحنا ما يتعين اكتسابه، وما يجب اجتنابه، وبسطنا القول في أقسام ذلك في القاعدة الأولى..."<sup>(٤)</sup>.

وتقتصر الدراسة في هذا الموضوع على ذكر بعض الأخلاق المذمومة التي تطرقت لها كتب مناصحة أئمة المسلمين، وتسوقها في سياق المثال وفق الآتي:

- 
- (١) انظر: درر السلوك للماوردي (ص ٦٤)، وانظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٩٥)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٢١)، وانظر: إرشاد الملوك لابن أبي زيد الهندي (ص ١٩٩)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرقي (١/٤٨٧).
- (٢) المنهج السلوك للشيزري (ص ٣٥٨)، وانظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٣١).
- (٣) بدائع السلك لابن الأزرقي (١/٤٤٤).
- (٤) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٦).

## ١- الكذب:

الكذب خلق مشين، وخصلة مزرية، وهو "نوع من الفحش، وضرب من الدناءة، وأصله استعذاب المنى، وهو أضغاث فكر الحمقى"<sup>(١)</sup>، وإن كان مذموماً على كل أحد، مشيناً على كل متخلق به، فهو على الملوك أفحش، ومنهم أعظم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم - قال أبو معاوية -: ولا ينظر إليهم - ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر))<sup>(٢)</sup>، وفي هذا الحديث زجر عظيم، ووعيد شديد، بمضاعفة العذاب على المملك الكذاب؛ لأن الكذاب إنما يكذب حيلة لما يعجز عنه، وليس فوق الملوك أحد يمنعهم، ولا دونهم شيء مما يعتاد دركه، فإذا عامل أحواله بالكذب نزل عن الكرامة إلى الدون، وعن الطاعة إلى العصيان<sup>(٣)</sup>.

أما في الدنيا فإنه من أسباب الذل والفضيحة، وبغض الناس ونزع ثقتهم عن صاحبه<sup>(٤)</sup>، وقد أجمع العقلاء على أن الكذب دناءة تنحط عن كل دناءة،<sup>(٥)</sup> يقول الشيرازي رحمته الله: "اعلم أن الكذب وصف ذميم، وخلق لئيم، لا ينفك صاحبه عن الفضيحة؛ لمناقضته كلامه بالسهو، ولا يكاد متعاطيه تسمو له رتبة، ولا تعلو له منزلة؛ لاحتقار الناس له، واستصغارهم إياه، ونفورهم عنه، وقلة ركونهم إليه؛ لأنه إن عاقد لم يوثق بعقده، وإن أوعد لم يركن إلى وعده، وإن ذكر شيئاً

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٣٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزيكهم، ولهم عذاب أليم برقم [١٠٧] [١٠٢/١].

(٣) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٢١)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرقي (١/٤٨٨)، وانظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٦/٦٧٢-٦٧٣).

(٤) انظر: بدائع السلك لابن الأزرقي (١/٤٨٩).

(٥) انظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٨٤).

تسارعت إليه التهمة، وإن نزل به مكروهٌ تراجعته عنه الرحمة، كل ذلك لما قد عَلِمته النفوس من مهانتها، وقلة أمانته وإن كان صادقاً"<sup>(١)</sup>.

وإن كان الأصل في الكذب التحريم ووجوب التوقي، فإن الشريعة قد أذنت به على قدر المصلحة، يقول الماوردي رحمته للملك: "فيحذر الكذب ولا يرخص لنفسه فيه إلا على وجه التورية في خداع الحروب، فإن ((الحرب خدعة))"<sup>(٢)</sup>، وقد جاءت السنة بإرخاص الكذب فيها على وجه التورية دون التصريح، فإن أرخص لنفسه فيه على غير هذا الوجه صار به موسوماً؛ لأن الإنسان بقدر ما يسبق إليه يعرف، وبما يظهر من أخلاقه يوصف، وبذلك جرت عادة الخلق: أنهم يُعدلون العادل بالغالب من أفعاله، وربما أساء، ويفسقون الفاسق بالغالب من أفعاله، وربما أحسن"<sup>(٣)</sup>، وإن مست الحاجة إلى استعمال القليل من صريحه في كيد الأعداء، وتألف البعداء فلا بأس، فإن مثله مثل السموم القاتلة تقتل على انفرادها، وتخالط بعض الأدوية فتصير دواءً بالتبع"<sup>(٤)</sup>.

## ٢- الغدر:

الغدر من صفات المنافقين؛ لأن الإيمان يقوم على الصدق والأمانة والوفاء، قال ابن بطال رحمته: "وقد ذم النبي صلوات الله عليه من إذا عاهد غدر، وجعل ذلك من أخلاق النفاق"<sup>(٥)</sup>. ولن يكون الغدر فرجاً لمن لا ذبه، ولا مأوى لمن أوى إليه، ولا معيناً لصاحبه، "فمراتعه

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ٣٩٠-٣٩١).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة برقم [٢٨٦٤] (٣/١١٠٢)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب جواز الخداع في الحرب برقم [١٧٣٩] (٣/١٣٦١)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) درر السلوك للماوردي (ص ٦٥)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٤٨٩).

(٤) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٣٩٦).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/٣٣٨)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ١٥٣).

وخيمة، وعواقبه ذميمة، من ارتقى في سلّمه كان السقوط إليه أقرب، ومن توصل بسهولة وقع في الأشد الأصبغ، ومن تتبع شرح مصارع ذوي الغدر ومواقع أهل المكر وجدها تجلُّ عن الحصر" (١).

وقد أوجب الله الوفاء بكل عهد، ونهى عن الغدر بمن وفي، يقول الشيزري رحمته الله: "اعلم أن الغدر بعد عقد العهد حرام، وعاقبته هلاكٌ ودمارٌ، ولا نقض حتى ينتهي أمده، وتنقضي مدده" (٢)، إلا أن يخاف الملك غدرًا فيحل له حينئذ أن يناجز العدو بالحرب قال رحمته الله: ﴿وَإِمَّا نَحَافَظُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَبْذُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٣)، والمعنى: إذا خشيت يا محمد صلى الله عليه وسلم من عدو بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك، فناجزهم بالحرب بعد إخبارهم بفسخ عهده قبل أجله (٤).

والغدر خطير على استقرار الدول، وثبات أمر الملوك، يقول الماوردي رحمته الله: "فإن الغدر قبيح، وهو بالملوك أقبح، ومضر، وهو بالملوك أضر؛ لأن من لم يوثق منه بالوفاء على بذله، ولم يتحقق منه تصديق قوله بفعله، ووسم بنقض العقود، ونكث العهود، قل الركون إليه، وكثر النفور منه وعنه، وانعقاد الملك إنما يكون بالركون الموجب للاستسلام والطاعة الباعثة على النصر، وليصير الناس مع الملك من بين مستسلم إليه، وناصر له، وبهذين يكون الملك منعقدًا. فإذا نفرهم الغدر انتقضت قواعده لزوال الاستسلام، وقلة التناصر، وإذا عرف الأعداء الوفاء منه لانوا، وطال عليهم بالبصرة فهانوا، وقوبل على غدره بمثله، فدان له الناس بمثل ما دان... وربما استسهل غدره ينتهزها فرصة، فسامح نفسه بها، وجعلها من الذنوب المكفرة

(١) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٨٤).

(٢) المنهج السلوك للشيزري (ص ٤٥٢-٤٥٣).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٥٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٥ / ١٤).

بالتوبة، ولا يعلم أنها أنكى في مملكته من عدو قاهر، ومتغلب جائر؛ لأنهم قد وسموه بها، وإن ندرت، واكتفوا بها وإن شذت، ولا يقبلون توبته، ويجعلون ما يعقبها من الوفاء اضطراباً<sup>(١)</sup>، وقد علم أنه ما حصل بالغدر ونكث العهود إلا اليسير مع فوات الكثير، فلكل عاثر مقيل إلا الغادر، فماله عند الناس من عذر ولا إقالة<sup>(٢)</sup>، ولا منزلة له في قلوب الخلق، وهو في نكثه إنما ينكث على نفسه، وفي بغيه إنما يبغي عليها.

### ٣- الكبر:

قد تكون الولاية والسلطان حاملاً لصاحبها على الكبر<sup>(٣)</sup>، فوجب على ذي الولاية أن يفتش عن نفسه، وأن يتطهر من درنها، فإن الكبر: "جالب لسخط الله قال ﷺ: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال رسول الله ﷺ حاكياً عن الله ﷻ: ((العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة))<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>.

والاتصاف بهذه الصفة من أسباب اختلال الممالك، واضطراب قواعد الدولة؛ لأنها تعمي صاحبها عن أبناء مصالحة، وتظهر مقاتله لسهام أعدائه، وتجلب المقت في قلوب أحبائه<sup>(٧)</sup>، يقول الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ: "ومن أعجب العجائب: دوام الملك مع الكبر والإعجاب"<sup>(٨)</sup>.

(١) تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٢٤ - ٢٢٥).

(٢) انظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ٨٦).

(٣) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١٣١).

(٤) سورة غافر، الآية (٣٥).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر برقم [٢٦٢٠] (٤/٢٠٢٣).

(٦) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٩)، وانظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٣٠).

(٧) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٣٨)، وانظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٤٢١)، وانظر: العقد الفريد

للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٩).

(٨) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٣٧).

ومن قطع أسباب الكبر عن قلبه، وحسم مواده، واعتاض به تواضعاً وإخباتاً لربه فقد أكد أسباب النعم، وأراح عنه المقت، وأمال إليه القلوب<sup>(١)</sup>، وأكسبه الله رفعةً وعزاً، فإن من جزاء التواضع لله الرفعة عند الناس.

#### ٤ - الحسد:

لا يتفق الحسد مع السؤدد؛ لأنه يمنع أتباعه عن الشرف، وإذا ضاعت الأشراف هلك من دونهم من الأتباع، ولا يصلح الخلق إلا على أسيادهم<sup>(٢)</sup>.

ولما كان الملك منتهى السؤدد وجب على الملوك اجتناب هذه الخصلة الدنيئة، قال الماوردي رحمته الله: "ومما يجب على الملك أن يحفظ نفسه من الحسد، فإنه خلق دنيء، وطبع رديء، فهو في عموم الناس مذموم وفي أخلاق الملوك أذم؛ لأن قدر الملك يجلب عن دناءته، ومنزلة المحسود مستصغرة في عظم همته"<sup>(٣)</sup>.

والحسد من أعظم أدواء القلوب، وأكبر شاغل لها عن الإصابة في الرأي والسياسة، يقول الشيزري رحمته الله: "اعلم أن الحسد داءٌ عظيم من أدواء النفس، لا يشفي سقيمه، ولا يرقى سليمه، مع ما فيه من إفساد الدين، وإضرار البدن؛ لأن الحاسد يدوم همه، ويكثر غمه، ويزوب جسمه، ويذهل عقله عن صواب الرأي، ويشغل قلبه عن صحيح الفكر، وهو أقبح من البخل؛ لأن الحاسد يجب ألا ينال أحدٌ شيئاً من ما لا يملكه، فكان أعظم قبحاً، وأشد ذمماً، وليس شيءٌ أعظم ضرراً من الحسد"<sup>(٤)</sup>.

ولا بد لقلب الملك أن يتسع لرعيته قبل أرضه، فإنهم إذا رأوا فيه قلباً سليماً، وصدراً يجب

(١) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٤٢٣-٤٢٤).

(٢) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٣٩).

(٣) تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٢٧).

(٤) المنهج السلوك للشيزري (ص ٤٢٥-٤٢٦).

لهم الخير، ألفوه، وصدقوه في الود والولاء، وبلغوا معه حالاً من الائتلاف يقل نظيره بين الناس.

#### ٥- الحقد:

يُغرب بعض الحكماء فيرى أن الحقد من الخصال المحمودة في الملوك<sup>(١)</sup>، وقد أنكر هذا ابن طباطبا في الفخري قائلاً: "كيف يقال ذلك والملك متى كان حقوداً فسدت نيته لرعيته، فمقتهم وقلل الالتفات إليهم بالشفقة عليهم، ومتى أحسوا بذلك تغيرت نياتهم له، وفسدت بواطنهم، وهل يتمكن الملك مما يريد من مهمات مملكته وبلوغ أغراضه كما في نفسه إلا بصفاء قلوب رعيته؟ وأي حكمة في ذلك؟ وهل فيه سوى تنغيص عيش الملك وتبغيص رعيته إليه وإيحاءهم منه؟ قال شاعر العرب:

ولا أحمل الحقد القديم عليهمُ      وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا<sup>(٢)</sup>"<sup>(٣)</sup>

ولما انتهى من عرض أقوال المادحين له<sup>(٤)</sup>، ذيل ذلك بقوله: "وهذا قول لا يعرج عليه، وإن عرج عليه أحد فليعرج عليه غير الملك، فإن الملك أحوج الخلق إلى استصلاح النيات، واستصفاء القلوب"<sup>(٥)</sup>، وقد صدق، فإن هذا مما يعرفه أهل المروءات وأبكار الفكر، يقول عنتره:

لا يحمل الحقد من تعلق به الرتب      ولا ينال العلا من دأبه الغضب<sup>(٦)</sup>

(١) انظر: الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢١).

(٢) ديوان المقنع الكندي (ص ١٠٤)، جمع وتحقيق ودراسة: أ. د. أحمد سامي زكي منصور، الناشر: جامعة طنطا، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثانية والثلاثون ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢١).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢١-٢٢).

(٥) المصدر السابق (ص ٢٢).

(٦) ديوان عنتره بن شداد (ص ٧٢)، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة

الثانية ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

وقد عده ابن الأزرق رحمته الله من الأخلاق السيئة، يقول في بدائع السلك: "القاعدة الثامنة عشر: سلامة الصدر من الحقد والحسد"<sup>(١)</sup>، ثم شرع في ذكر النقول والآثار في ذمه والتحذير منه<sup>(٢)</sup>.

ولا يحمد في الملك مجرد دفعه، بل لا بد أن يكون من أصبر الناس على حر جمهره، يقول الجاحظ: "فليس في الأرض نفس تصبر على مضمض الحقد، ومطاوله الأيام بها صبر الملوك"<sup>(٣)</sup>. ويكفي من سوء الحقد أنه يثمر الحسد، والشهامة بالمحسود، وهجر المسلم، وإفشاء الأسرار، وهتك الأستار، والسخرية والضرب والإيلام، ومنع الحقوق<sup>(٤)</sup>؛ ولذا وجب امتناع الملوك عنه ليقوم القسط في قلوبهم، فإن الحقد عمية تُردُّ بها الشهادات. وفي المصنفات جملة من محذور الأخلاق وسيء الصفات مثل: خلق البخل<sup>(٥)</sup>، والجبن<sup>(٦)</sup>، والقسوة<sup>(٧)</sup>، والعجب والغرور<sup>(٨)</sup>، والعجلة<sup>(٩)</sup>، والجزع<sup>(١٠)</sup>، وغير ذلك، وقد اكتفت الدراسة ببعض النماذج التي تفي بغرضها المقصود.

(١) بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٢٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٥٢٦ - ٥٢٧).

(٣) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٦٣).

(٤) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٥٢٧).

(٥) انظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ٢١٩)، وانظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٢٤٤)، وانظر: المنهج السلوك

للسيزري (ص ٣٧٦)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٤٠ - ٢٤١)، وانظر: الجوهر

النفيس لابن الحداد (ص ١٤٣)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢١٧، ٤٤٦).

(٦) انظر: الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي (ص ١٨١).

(٧) انظر: درر السلوك للماوردي (ص ٧٧)، وانظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ٢١٦).

(٨) انظر: عين الأدب لابن هذيل (ص ٩٠)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٩).

(٩) انظر: عين الأدب لابن هذيل (ص ٩٠)، وانظر: المنهج السلوك للسيزري (٢/٤٤٠)، وانظر: تهذيب الرياسة

للقلعي (ص ٢٢٠)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٦٦).

(١٠) انظر: المنهج السلوك للسيزري (ص ٥٥٣)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٧٢).

ويخلص الباحث في هذا المبحث إلى ما يأتي:

- ١- يُشكّل موضوعا الوعظ والأخلاق عنصري هذا المجال المهيمنين، إذ بهما تمتاز الكتابة في مجال "النصيحة الملوكية" عن غيرها، وهو أمر أبين من الوضوح، حيث يظهر هذا جلياً على تسميات الكتب، وفي محاور المصنفات الكبرى.
- ٢- يركّز الواعظون في مناصحة أئمة المسلمين على موضوعات تتناسب مع حال الملوك، مثل: موضوع إقامة العدل، والحث على الزهد، والإرشاد إلى حقيقة الدنيا، والحض على شكر النعم، ونحو ذلك، مع تطرقها لمجالات الوعظ الأخرى، التي تعم سائر الناس.
- ٣- ينوّع الواعظون والناصحون في مادة الموعدة ومحتواها، وفي بيان مضامين الأخلاق، فكلّ ما دل الناصح إلى الغرض، ابتداءً من الآية المحكمة، وانتهاءً بالقصص ذات العبر، فهو حاضرها المكتوب.
- ٤- حرص المصنفون على الجانب الخلقى بوصفه قاعدة من قواعد الملك التي تُكسبه الثبات - بعد عون الله -، واستوعبوا الحديث فيه وجوداً وعدمياً، وتفصيلاً وفقهاً.
- ٥- بقي الأثر الفلسفي في الجانب الخلقى حاضراً وواضحاً حتى عند متأخري الفقهاء من المصنفين، وتعاملت معه الكتب تعاملها مع سائر المواد، ولم تُغفل معها عرضها الوعظي والإرشادي، فهي مع تفصيلها المنطقي لهذا الباب إلا أنها تسير به في قالب الواعظين وإطارهم.

## المبحث الرابع

### مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل السياسة الشرعية

تمهيد:

تؤسس المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين مضامينها على ترسيخ الارتباط بين الدين والدولة، وتنظر إلى اقتران الدين بالملك اقتران السنن، قبل أن تحكم عليه بحكم الفقيه فـ "الدين والملك توأمان لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه؛ لأن الدين أُس، والملك حارس، ولا بد للملك من أُس، ولا بد للأُس من حارسه؛ لأن ما لا حارس له ضائع، وما لا أُس له منهدم"<sup>(١)</sup>، وهذه الحكمة المنقولة عن المتقدمين وغيرها مثل قولهم: "الملك خليفة الله في عباده وبلادته، ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته"<sup>(٢)</sup>، وهي منطلق المسلمات الملوكية إلى فريضة السياسة بالشرع، "فالسعيد من الملوك من وقى الدين بملكه، ولم يق الملك بدينه، وأحى السنة بعدله، ولم يُمتها بجوره، وحرَس الرعية بتدبيره؛ ليكون لقواعد ملكه موطئاً، ولأساس دولته مشيداً، ولأمر الله تعالى في عباده ممتثلاً"<sup>(٣)</sup>.

إن موضوع السياسة الشرعية في هذه المصنفات أظهر من أن يُقال فيه، وأشهر من أن يُدَلَّ عليه، فالكتابة في موضوع السلطنة، يؤلفها فقيه الشريعة، ويخاطب بها أصل السياسة ومحلها - أعني الملك ونوابه - مستدلاً بنص الشرع، ومحتكماً إلى قواعده ومقاصده ومآلاته، "ولا أحد يمكنه ادعاء انمحاء الشرع في مختلف التواريخ الإسلامية: السلطان والشرع يتكاملان

---

(١) عهد أردشير (ص ٥٣)، والفقرة [٤]، وقد نقل عنه الماوردي في درر السلوك (ص ٩٠)، وفي تسهيل النظر (ص ٢٤٩)، والشيزري في المنهج السلوك (ص ٢٣٩)، والقلعي في تهذيب الرياسة (ص ٩٥)، وابن الأزرقي في بدائع السلك (١/١٠٧).

(٢) درر السلوك للماوردي (ص ٩١).

(٣) المصدر السابق (ص ٩١).

ويتساكنان، كل واحد يجد في الآخر ضالته، فكما أن إقامة الشرع تتطلب وجود السلطان، فإن وجود هذا الأخير واستمراره يستلزمان حضور الشرع، بل إن تطبيقات الشرع هي أكثر من أن تحتزل في بعدها الأيديولوجي؛ إذ تحقق للسلطان انتظام الرعايا في حياتهم المدنية ومعاملاتهم، وفض منازعاتهم، واستقرارهم الاجتماعي، وكلها شروط أولية لوجود أي سلطة سياسية... أو كما عبر عن ذلك أحد الشعراء:

الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>

وتحتل الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين بين مؤلفات السياسة الشرعية مقعد التنفيذ والممارسة في الغالب، فالقول فيها متجه إلى تطبيق السياسة الشرعية في فعل الحاكم، وهيكله الدولة، وتنظيم مهامها، وطرق تنفيذها، إذ التناول الشرعي للسياسة أثمر التقسيم الثلاثي المعروف والمتداول كما مر في هذا البحث<sup>(٣)</sup>، وأياً ما دُعيت السياسة الشرعية، وبأي وصف نُعتت، فإنها ستبقى سياسة شرعية طالما أنها عنت "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينيوية الراجعة إليها"<sup>(٤)</sup>، وأرادت حفظ مهمات الدين والدنيا ممثلة في حفظ الحوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الحيف والجنف،

(١) البيت أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٣٥)، وعزاه لابن المعتز، والذي يظهر أن البيت من المنشور، الذي جاء على وزن الشعر، كما أفادني بذلك: الأستاذ محمد الحفظي، ونص المنشور عن ابن المعتز هو: "من صعب السلطان صبر على قسوته كصبر الغواص على ملوحة بحره، الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى، من نصح لخدمة نصحتهم المجازاة...". زهر الآداب وثمره الألباب، تأليف: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبي إسحاق الحصري القيرواني (٢/ ٨١)، تحقيق: أ. د. يوسف علي طويل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

(٢) الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١٣٩).

(٣) انظر: الباب الأول، الفصل الثاني، تمهيد (ص ٢٤٦ - ٢٥٥) من هذه الرسالة.

(٤) تاريخ ابن خلدون (ص ١٩١).

والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفائه على المستحقين على قانون الشريعة، وسنت أنظمتها وبننت هيكلها على ميزان المصلحة المعتبرة شرعاً<sup>(١)</sup>.

وإن من أصيل القول في هذا المقام أن يؤكد على أهمية تسليط الضوء على هذا المبحث في كتب مناصحة أئمة المسلمين؛ لأن سوء الفهم أو النية في تحليل مضامين تلك المصنفات أنتجت حكماً جانحاً عن الصواب، فالذين وسموا فقهاء الإسلام ومصنفي تلك الكتب بصانعي الاستبداد، أو حماة الظلم، لم يستوعبوا مقاصد السياسة الشرعية المتمثلة في تطبيقاتهم، ولم يفهموا مراد الشارع في تنصيب الأئمة وسنة الاجتماع، فجاءت توصيفاتهم بعيدة النجعة، غريبة المأخذ، بينة العوار<sup>(٢)</sup>.

ولما كان تناول مصنفي المناصحة لمجال السياسة الشرعية تطبيقياً من خلال مباشرة مناصحة الحاكم، وسن الأنظمة له، ورسم هيكل السلطنة الإداري، مع إرجاء جانب التنظير والتأصيل من حيث الغالب، فإن استقراء الباحث لتلك المصنفات انتهى به إلى قصر موضوعات السياسة الشرعية على مجالات ثلاثة، وهي: اعتبار قاعدة المصلحة في تأصيل مسائل السياسة الشرعية، والإطراب في ذكر أنواع الولايات والوظائف السلطانية التي تشكل منها الدولة، مع تفصيل القول في مسؤولية الإمام وواجباته، وتعرض الدراسة لتلك المجالات وفق العناصر الآتية:

#### أولاً: تقرير اعتبار المصلحة في مسائل السياسة الشرعية:

من المعلوم أن علم السياسة الشرعية قائم على تحقيق المصلحة العامة، وهذا أمر قد استقرّ

(١) انظر: غياث الأمم للجويني (ص ٢٢)، وانظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تأليف: أبي عبد الله محمد بن

أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (١/ ٢٩ - ٣٠)، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة

المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.

(٢) انظر: الباب الأول، الفصل الثاني، تمهيد (ص ٢٤٦) من هذه الرسالة.

عليه العلم. والذي يتتبع كتب المذاهب الفقهية، يخرج بعشرات ومئات من المسائل التي تعلق بتعليل مصلحي سياسي<sup>(١)</sup>، يقول القرافي رحمته الله: "وإذا افتقدت المذاهب وجدتهم إذا قاسوا وجمعوا وفرّقوا بين المسألتين لا يطلبون شاهداً بالاعتبار لذلك المعنى الذي به جمعوا وفرّقوا، بل يكتفون بمطلق المناسبة، وهذا هو المصلحة المرسلة، فهي حينئذ في جميع المذاهب"<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن العمل بها فيما لا يخالف أصول الدين من التوسعة على الملوك والسلاطين، وعامة ولاية أمور المسلمين، فيما لم يقد عليه دليل خاص، وهو أمر مقصود شرعاً، قال ابن فرحون: "فصل التوسعة على الحكام في الأحكام السياسية، قال القرافي: واعلم أن التوسعة على الحكام في الأحكام السياسية ليس مخالفاً للشرع..."<sup>(٣)</sup>، وقد استدلل بالمصلحة المرسلة على التوسعة عليهم في باب السياسة<sup>(٤)</sup>.

ويقرر ابن القيم رحمته الله هذه المسألة في قوله: "وقال ابن عقيل في "الفنون": جرى في جواز العمل في السلطنة بالسياسة الشرعية: أنه هو الحزم، ولا يخلو من القول به إمام، فقال شافعي: لا سياسة إلا ما وافق الشرع، فقال ابن عقيل: السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نزل به وحي، فإن أردت بقولك: "إلا ما وافق الشرع" أي: لم يخالف ما نطق به الشرع: فصحيح، وإن أردت: لا سياسة إلا ما نطق به الشرع فغلط، وتغليط للصحابة، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل ما لا يبيحه عالم بالسنن، ولو لم يكن إلا تحريق المصاحف، فإنه كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة

(١) انظر: السياسة الشرعية لعبد الغني مستو (ص ٧٦).

(٢) شرح تنقيح الفصول، تأليف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ص ٣٩٤)، تحقيق: طه عبدالرؤوف، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(٣) تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، تأليف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (٢/١٥٣)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٤) انظر: المصدر السابق (٢/١٥٣).

الأمة، وتحريق علي عليه السلام الزنادقة في الأخاديد فقال:

لما سمعت القول قولاً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً<sup>(١)</sup>

ونفي عمر بن الخطاب عليه السلام لنصر بن حجاج<sup>(٢)</sup>.

ومن أجل اعتبار المصالح في السياسة الشرعية ثقل أمرها عند من لا نظر عنده، يقول ابن طباطبا: "سياسة الرئاسة أشد من الرئاسة، كما أن سياسة الخدمة أشد من الخدمة"<sup>(٣)</sup>؛ ولذا جعلت كتب المناصحة أهلية السلطان وقدرته ومُكنته في تحصيلها والإصابة فيها أول منازلها، يقول الماوردي رحمته الله: "يجب على الملك أن يكون في بُعد همته وتتمام قوته، وشدة صولته، وطهارة أخلاقه، ومحاسن عاداته، وصواب تدبيره، وكريم آرائه مَلِكًا، وفي تواضعه لله، ولين جانبه، واستقامة دينه، ومخافته لربه، ومراقبة زوال دولته والتفكير في عاقبتها ناسكًا، وفي قربه من رعيته ورأفته بأهل مملكته وولايته عاميًا، وفي حدة فكره ودقة نظره في أسباب ملكه سوقياً"<sup>(٤)</sup>، وفي معرفته بما فوض إليه وعصب به من العدل بين رعيته عالماً فقيهاً، فهذه خصال رجوت من أخذى عليها سيرته، وساس بها رعيته كان قد نال فضيلة السياسة، وأدى حق المملكة"<sup>(٥)</sup>، وإلى هذا المعنى يشير الخرميني رحمته الله في "الدرة الغراء" بقوله: "اعلم أن الأمير لا يقيم مصالح الناس،

(١) روى الأبيات الآجري في "الشریعة" (٥/ ٢٥٥٤)، وحديث حرق علي عليه السلام للزنادقة في صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم برقم [٦٥٢٤] (٦/ ٢٥٣٧).

(٢) الطرق الحكمية لابن القيم (١/ ٢٩ - ٣٠).

(٣) الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٥٧).

(٤) السوقي: للفظ السوقي معنيان، هما: ١/ المصلح الطيب، ٢/ غير المصلح، كما يطلق أيضاً ويراد به العامة، ولا شك أن الماوردي أراد معنى المصلح الطيب. انظر: المصباح المنير للفيومي، مادة (سوق) (١/ ٢٩٦)، وانظر:

تاج العروس للزبيدي، مادة (سوق) (٢٥/ ٤٨٣).

(٥) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٧٢).

ولا يعدل فيهم إلا بعد رعاية عشرة قواعد...<sup>(١)</sup>، ثم ذكر أوصافاً متعلقة بالملكات، والعدالة، والمروءات، والعدل، والعلم، وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وإن من أظهر مسائل السياسة الشرعية التي تناولتها كتب المناصحة مسائل الأهلية في الولاية؛ لأن من مسؤولية الإمام "أن يتخير ولاته وعماله؛ لتعذر مباشرته لجميع الأمور ولئلا يشتغل عن التدبير بأعظم من ذلك"<sup>(٣)</sup>، فاقضى ذلك أن يبذل الوسع في تولية الأصلح على كل عمل من أعمال المسلمين و"عليه أن يبحث عن المستحقين للولايات من نوابه في سائر الأمصار التي في عمله من القضاة، والأمراء، والأجناد، ومقدمي العساكر، والوزراء، والكتاب، والشادين<sup>(٤)</sup>، والسعاة على الخراج والصدقات، وأئمة الصلاة والمؤذنين، والخطباء، والمقرئين، وأمراء الحاج، وخزان الأموال، وحراس الحصون والبوابين وغيرهم، وعلى كل من ولي شيئاً من أعمال المسلمين من هؤلاء، وغيرهم أن يستعمل فيما تحت يديه في كل موضع أصلح من يقدر عليه"<sup>(٥)</sup>.

ولا يجل لولاية الأمور أن يعدلوا عن الأصلح؛ فإن عدلوا عنه إلى غيره لأجل مصلحة خاصة فقد خانوا الله ورسوله والمؤمنين، ودخلوا فيما نهى الله عنه في قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) الدررة الغراء للخرميتي (ص ١٥٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٥٤ - ١٥٩).

(٣) بدائع السلك لابن الأزرقي (١/٣٣٥)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٥١).

(٤) الشادين: جمع شاد، وهو: المفتش، يقال: فلان شاد الدواوين، أي: الذي يفتش على الدواوين ويراجع حساباتها، ومثله شاد الجوال وشاد الزكاة، وقيل: وظيفته استخلاص ما يتقرر في الديوان على من يعسر استخلاصه منه، أشبه بعمل معاون القضاة (المحضر) الآن. انظر: معيد النعم للسبكي (ص ٢٨)، وانظر: معجم الألفاظ التاريخية لمحمد دهمان (ص ٩٥).

(٥) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١١٢ - ١١٣)، وانظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧).

لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>(١)</sup> ﴿٢﴾، ومتى تعذر الأصلاح اجتهد في اختيار الأحق الأمثل فالأمثل<sup>(٣)</sup>.

ويتبين اعتبار المصلحة عند مصنفي مناصحة أئمة المسلمين عند تناول تعارض المصالح في تولية الولاية، حيث يقرر الموصلية رحمته أن الصالح يقدم على الأصلاح في الولاية لوجود مصلحة راجحة معه، مثل: كونه محبوباً عند من يتولى عليهم، الأمر الذي يؤدي إلى تحقيق العدل وإصلاح شأن المملكة ونحو ذلك<sup>(٤)</sup>، ويقعد لذلك أبو حامد المقدسي رحمته في قوله: "وينبغي على السلطان أن يتبصر في الولايات على المسلمين في جميع جهاته، وأن يستعمل الرجل للمصلحة الراجحة للناس؛ لأنهم كانوا في زمن الصحابة رضي الله عنهم يستعملون الرجل ومعه من هو أفضل منه في العلم والإيمان طلباً للمصلحة، فيتعرف الأصلاح في كل منصب بحسبه"<sup>(٥)</sup>، وإذا كانت الولاية تقوم على ركني القوة والأمانة<sup>(٦)</sup>، فإن من اعتبار المصلحة في ذلك أن يتولى الأمين على المال، والقوي الشجاع على الحرب، وذو الرأي في المشورة والوزارة وهكذا<sup>(٧)</sup>.

وعند ازدحام أهل الكفاية مع التساوي على ولاية الأحكام، يولى كل واحد منهم قطراً إن

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٧).

(٢) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٤٦)، وانظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٨)، وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٨٦)، وانظر: حسن السلوك للموصلية (ص ٨٢ - ٨٤، ٨٧).

(٣) انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٣٥)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١١٥)، وانظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٣٦).

(٤) انظر: حسن السلوك للموصلية (ص ٨٨).

(٥) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٢٣)، وانظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٤).

(٦) انظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٢).

(٧) انظر: حسن السلوك للموصلية (٩٣ - ١٠١)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٢٣ - ١٢٧).

شغرت الأقطار، ومع الاستغناء فإن الوالي يتخير منهم، أو يقرع بينهم، أو يولي كل واحد منهم جانباً للمصلحة المعتبرة<sup>(١)</sup>.

والضابط في ذلك كله هو قاعدة المصلحة، فإن "الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتبطلت المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناهما هو المشروع"<sup>(٢)</sup>.

ويقعد الثعالبي رحمته الله في "تحفة الوزراء" لتولية الوزير، منتقداً المذهب الذي يميل إلى تعددهم عند الملوك قائلًا: "قد جرت عادة الملوك باستيزاد الواحد والاثنين فصاعداً من الوزراء، والجمع بينهم في زمان واحد، وذلك خطل من الرأي، وخطأ في التدبير، وفيه خطر على المملكة؛ إذ لا يسع الغمد سيفين، وكثرة الأيدي في الصلاح فساد... وأجل الأقوال وأحسنها وأصدقها قول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(٣)</sup>، وإذا كانت الوزارة تالية للملك فكما لا يصلح ملكان في مملكة لا يصلح وزيران في دولة، وقد كان الخلفاء من بني العباس على اتساع ملكهم، وانتظام الشرق والغرب في عقد سلطانهم لا يتوزرون أحداً على ما تنطق به أخبارهم، وأخبار وزرائهم إلى أن كانت أواخر أيام المقتدر فمرضت الدولة"<sup>(٤)</sup>، ولا شك أن قول الثعالبي هذا مبني على اعتبار المصلحة في هذا الباب.

ومن المسائل التي يؤكد عليها مؤلفو المناصحة عدم تولية طالب الولاية والإعراض عنه؛ لأن هذا من الريبة فيه<sup>(٥)</sup>، يقول الطرطوشي رحمته الله: "اعلموا - أرشدكم الله تعالى - أن معظم ما

(١) انظر: قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام (٧٨/١)، وانظر: حسن السلوك للموصلي (٨٨).

(٢) حسن السلوك للموصلي (١٤١ - ١٤٢)، وانظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤٠).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٢٢).

(٤) تحفة الوزراء للثعالبي (ص ٥٣ - ٥٤).

(٥) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١١٣/١ - ١١٤).

يدخل على الدول من الفساد من تقليد الأعمال أهل الحرص عليها؛ لأنه لا يخطبها إلا لص في ثوب ناسك، وذئب في مسلاخ عابد، حريص على جمع الدنيا، نابذ لدينه ومروءته، يبتغي عَرَض الحياة الدنيا"<sup>(١)</sup>، وتولية مثله من الطرق المفضية إلى الجنف والظلم، والحيدة عن العدل.

كما يؤصل مؤلفو كتب المناصحة سياسة العامة على تقصي المصلحة والتماسها في جميع الأحوال، حتى ينتظم أمر العدل في الممالك؛ لأن "لكل وقت حكماً، ولكل قوم تدبيراً"<sup>(٢)</sup>، وما يجوز في ساعة قد لا يحل في أختها، يقول الملك أبو حمو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في وصية ولده: "اعلم يا بني أنه ينبغي لك أن تجري مع الناس على وفق زمانهم وأوقاتهم وأغراضهم وطبائعهم وطبقاتهم، وأن تسياس من كان مفرط الجهالة من الخدام، وترايضه مرايضة الجموح باللجام، حتى تنتفع بخيره وتأمين من شره، فتستدرجه بلطف سياستك، وترده إلى وفق غرضك، وذلك من رئاستك، حتى يصير بعد جفوته طوع قيادك، ولا تتلقاه بالعنف من أول وهلة، فالخير كله في التأني والمهلة، ولا خير في السرعة والعجلة، ولا تعنفه على لاجة إذا كان لك به حاجة، وكن كالطبيب الماهر الذي يعرف الأعراض، فيعطي الأدوية على حسب الأمراض... وإن كان في زمان فتنة ثائرة، وفساد في البلاد ومشاجرة، فتشدد على الرعية جهد الاستطاعة، وتظهر عليهم فضلك فتنتفع بهم في الطاعة، وتراجع عنهم إما وجوه السياسة، وتديير الخلافة والرياسة، وإما بوافر أجنادك بما تراه من قوتك واستعدادك، وإن كان زمن قحط ومحل، ومجاعة واقعة وأزل، فترفق بهم في المخازن والمخابي، وتحسن لضعفائهم المحتاجين وتحابي، وتؤثرهم مما ادخرته لشدائدهم في زمن الرخاء من فوائدهم، فتعمر أسواقهم بما اختزنته من الطعام، مما يقوم به أود الناس في ذلك العام، فإذا كنت يا بني عاملاً على هذا الأسلوب، جبلت على محبتك القلوب، ودعت لك الرعية ببقاء

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٦٦).

(٢) تسهيل النظر للماوردي (ص ٣٢٢).

الدولة والتمهيد، والنصر والتأييد، وفي ذلك الصلاح التام لدولتك، والخير العام لرعيك" (١).  
 والممازجة بين الأحوال مع فهم منازلها هي السياسة الناجحة، والعدل التام، "فالسياسة  
 أن يخلط الوعد بالوعد، والعطاء بالمنع، والحلم بالإيقاع، فإن الناس لا يصلحون إلا على  
 الثواب والعقاب، والإطعام والإخافة، ومن أخاف ولم يوقع وعرف بذلك كان كمن أطمع ولم  
 ينجز، فخير الخير ما كان ممزوجاً، وشر الشر ما كان صرفاً، وإذا كان الناس إنما يصلحون على  
 الشدة واللين، والعفو والانتقام، وعلى البذل والمنع، وعلى الخير والشر عاد ذلك الشر خيراً،  
 وذلك المنع عطاءً، وذلك المكروه نفعاً، قال الله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ  
 تَتَّقُونَ﴾ (٢)، فأسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها، وقلوبها بخواطرها، وخواطرها  
 بأسبابها من الرغبة الرهبة" (٣)، وفي هذا السياق يقول ابن الجوزي ﷻ: "وأما العوام فينبغي أن  
 تكون رياضتهم ممزوجة بين التخويف والرفق، ويكون الرفق فيها أغلب، والحلم فيها أكثر" (٤).  
 وهذه من أدق المسائل في السياسة بالشرع التي تزل فيها أقدام من لا يدركها؛ إذ تقتضي المصلحة  
 المغايرة في سياسة الناس ولو تشابهت في الظاهر عند من لا يحيط بها، يقول أبو حامد المقدسي ﷻ  
 في التشديد على قطاع الطريق ونحوهم: "النظر في أمر المفسدين من قطاع الطريق، وأهل الفتن  
 كالعشران، والعربان بالغلظة، والتشديد عليهم، ولا يهمل أمرهم فيزداد فسادهم، وإن رأى  
 تقليد بعض المذاهب في شدة تعزيرهم والمبالغة في عقوبتهم، وطول حبسهم فله ذلك، بشرط  
 أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة للمسلمين، ودفع الأذى عنهم، لا التشهي وحظ النفس،  
 ومحبة شياع الاسم بالانتقام؛ فإن ذلك فن من الجنون؛ وقل أن يحصل للمسلمين نصره على يدي

(١) واسطة السلوك لأبي حمو الزباني (ص ٢٦٩ - ٢٧٢)، وانظر: الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا  
 (ص ٤١).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٩).

(٣) عين الأدب لابن هذيل (ص ١٦٥)، وانظر: آداب الملوك للشعالبي (ص ١٠٣ - ١٠٤).

(٤) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٣٩).

من هذه نيته" (١).

وفي ترسيخ هيبة الولاية، والمحافظة على رهبة الملك، التي يحصل بها انتظام الأمر وثباته، يورد بعض مصنفي كتب المناصحة شيئاً من الأعمال التي يحصل بها تحقيق المقصود تأسيساً على اعتبار المصالح في هذا الباب، فمن ذلك الإبانة عن أهمية التزين بالملابس والمظاهر الجالبة للعظمة والعز للسلطين، يقول الثعالبي رحمته الله: "من عادات الملوك الذين يعطون السيادة حقوقها، ويوفون السياسة شروطها الاستكثار من كل ما يزيد في أهبة سلطانهم، وروعة ملكهم، ويعود بكمال عددهم وجمال عددهم، ويؤدي إلى انتظام هيبتهم وانتشار رهبتهم، ويملاً عيون أوليائهم وأعدائهم، ويمشوا صدور العامة والخاصة فرط إجلالهم وبلوغ كل مبلغ من التفضيم وتجريد العناية بالتزيين والتهويل، ومن خصائص الملوك عقد التيجان، وارتباط الفيلة لحسن محلها عند الملوك، وموقع نفعها في الحروب، ومهابتها في القلوب، وجلالتها في النفوس، وارتفاعها عن ملك السقاط والحشوة، واقتناء الأندال والسفلة، واجتماع الملوك عربها وعجمها على اجتلابها والتزين بها، والافتخار بكثرة ما يتهيأ لهم منها، حتى صارت عندهم من أكرم الهدايا وأشرف الألفاف، وحتى صار اقتناؤها مروءة ونجدة، وعدة ودليلاً على أن متربطها صاحب قوة وعتاد، وصاحب حرب وجلاد، والدنيا لمن غلب والآخرة لمن طلب" (٢).

وإذا كانت هذه المظاهر تفيد المصلحة عند أهل السياسة، فإن الشريعة لا ترد ما يجلب المصلحة ويدفع المفسدة، يقول ابن القيم رحمته الله عن قيام المغيرة على رأس النبي ﷺ في صلح

(١) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٦٦)، وانظر: معيد النعم ومبيد النقم، تأليف: تاج الدين

عبدالوهاب السبكي (ص ٢٣)، تحقيق: محمد علي النجار، وأبي زيد شلبي، ومحمد أبي العيون، الناشر: دار

الكتب العربي، مصر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

(٢) آداب الملوك للثعالبي (ص ١٢٢ - ١٢٣)، وانظر: الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ١٨).

الحديبية<sup>(١)</sup>: "وفي قيام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف - ولم يكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد - سنة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو من إظهار العز والفخر، وتعظيم الإمام وطاعته، ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين، وليس هذا من هذا النوع الذي ذمه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار))<sup>(٢)</sup>، كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره"<sup>(٣)</sup>، ويؤكد ابن الأزرق رحمته الله في "بدائع السلك" على هذه المسألة، حينما عرّج على موضوع تلقي الوفود قائلاً: "وللسياسة الفاضلة بهم عنايات: العناية الأولى: احتفال السلطان للقائهم، بإظهار زينة الملك وجماله، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجمل بها للوفود والعظماء، قال القرافي: وذلك أهيب وأوقع في النفوس"<sup>(٤)</sup>.

ولا مشاحة في أمر اتصال زينة الملوك ومراسم الملك بالسياسة الشرعية، "فإن التجمل لإظهار هيبة السلطان مصلحة اعتبرتها الشريعة"<sup>(٥)</sup>، وقد نص على ذلك فقهاء الشريعة، يقول الشاطبي رحمته الله: "التجمل بالنسبة إلى ذوي الهيئات والمناصب الرفيعة مطلوب، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يتجمل بها للوفود، ومن العلة في ذلك ما قاله القرافي رحمته الله: "من أن ذلك أهيب وأوقع في النفوس التعظيم في الصدور، ومثله التجمل للقاء العظماء، كما جاء في حديث أشج

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالح مع أهل الحرب برقم [٢٥٨١] (٢/٩٧٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل برقم [٢٧٥٥] (٥/٩٠)، وقال: "هذا حديث حسن"، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٦٩٤).

(٣) زاد المعاد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٣/٢٧٠ - ٢٧١)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(٤) بدائع السلك لابن الأزرق (٢/٨٣).

(٥) هيبة الدولة للحمادي (ص ٦١٠).

عبد القيس" (١).

وصفوة القول فإن الإحاطة بمسائل السياسة الشرعية التي قامت على اعتبار المصلحة في كتب المناصحة، بعيدة الذيل، صعبة الاستقراء، وليس هذا البحث محلاً لها، وإنما المقصود في هذا المقام هو الكشف عن العمق الفقهي والبعد المقاصدي للسياسة الشرعية عند مصنف تلك الكتب، فإن الجاهل بمقاصد الشرع، والغائب عن معرفة فقه الموازنة، لا يمكن له أن يستوعب ما سطره أولئك المؤلفون؛ لأن ما سيبدو له في ظاهر الأمر ظمناً، هو في الحقيقة مسلك العدل عند من فهم السياسة بالشرع، وما رآه شراً هو عند أهل النظر محض الخير، ولا يمكن لأحد أن يحكم على تلك المصنفات، أو أن يعالجها بالنقد سلباً وإيجاباً ما لم يكن مستوعباً لفقه السياسة الشرعية ومقاصدها.

ثانياً: تدوين الولايات والوظائف السلطانية:

يقدم مؤلفو كتب المناصحة مؤلفاتهم للملوك والوزراء؛ لتكون دليلاً لهم في حسن سياستهم، وترتيب ممالكهم، ومنهاجاً يسرون عليه، يقول أبو حمزة رحمته الله في "واسطة السلوك": "فأرأينا أولى ما نتحف به ولي عهدنا، ووارث مجدنا، والخليفة - إن شاء الله من بعدنا - وصايا حكيمية، وسياسة عملية علمية مما يختص به الملوك، وتتظم بها أمورهم انتظام السلوك" (٢).

ولذا أخذ التدوين في الولايات والوظائف السلطانية، وتوضيح ترتيبها، والكشف عن حقيقتها، والسياسة بالشرع فيها جانباً كبيراً من تلك المصنفات، ومن ذلك تخصيص المرادي رحمته الله

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٥٠ - ٢٥١).

(٢) واسطة السلوك لأبي حمزة الزباني (ص ٨١)، وانظر: درر السلوك للهاوردي (ص ٥٥)، وانظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ١٥٨ - ١٥٩)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٥٢)، وانظر: الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ١٣)، وانظر: حسن السلوك للموصلي (٥١ - ٥٣)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٣٤).

فصولاً في كتابه: "الإشارة إلى أدب الإمارة" عن وظائف المستشار<sup>(١)</sup>، والأعوان<sup>(٢)</sup>، والحاشية<sup>(٣)</sup>، والجند<sup>(٤)</sup>، كما يذكر ابن رضوان رَحِمَهُ اللهُ في فصول مستقلة موضوعات الوزراء<sup>(٥)</sup>، والكتاب<sup>(٦)</sup>، ويخصص فصلاً للخطط الدينية، يشير فيه إلى مراتب كل من والي المظالم<sup>(٧)</sup>، ووالي الحسبة<sup>(٨)</sup>، ووالي الشرطة<sup>(٩)</sup>، وصاحب البريد<sup>(١٠)</sup>، وعامل الزكاة<sup>(١١)</sup>، والسفير<sup>(١٢)</sup>، ويكتفي ابن الخطيب في كتابه حول السياسة بذكر وظائف الوزير<sup>(١٣)</sup>، والعامل<sup>(١٤)</sup>، وولاية الجند<sup>(١٥)</sup>، والحاشية<sup>(١٦)</sup>، أما ملك تلمسان فقد مدّ القول في موضوعات الوزراء<sup>(١٧)</sup>، والكتاب<sup>(١٨)</sup>،

(١) انظر: الإشارة إلى أدب الإمارة للمراي (ص ٦٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١١٥).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١١٥).

(٥) انظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٢٠٤).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٢١١).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٥).

(٨) انظر: المصدر السابق (ص ٣٢٧).

(٩) انظر: المصدر السابق (ص ٣٢٨).

(١٠) انظر: المصدر السابق (ص ٣٢٩).

(١١) انظر: المصدر السابق (ص ٣٣١).

(١٢) انظر: المصدر السابق (ص ٣٤٣).

(١٣) انظر: الإشارة إلى أدب الوزارة لابن الخطيب (ص ٨٨).

(١٤) انظر: المصدر السابق (ص ٩٠).

(١٥) انظر: المصدر السابق (ص ٨٩).

(١٦) انظر: الإشارة إلى أدب الإمارة للمراي (ص ٩٥).

(١٧) انظر: واسطة السلوك لأبي حمو الزياتي (ص ١٦٥).

(١٨) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢١).

والفقهاء<sup>(١)</sup>، والقضاة<sup>(٢)</sup>، والأعوان<sup>(٣)</sup>، وقوَّاد الجند<sup>(٤)</sup>، والعمال<sup>(٥)</sup>، والجيش<sup>(٦)</sup>، ويخصص الطرطوشي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ما لا يقل عن تسعة فصول يتحدث فيها عن الوزير<sup>(٧)</sup>، وأمراء الجند<sup>(٨)</sup>، والولاية<sup>(٩)</sup>، والعمال<sup>(١٠)</sup>، ومن جهته يطنب ابن الأزرق رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ في "بدائع السلك" في القول عن منصب الوزير<sup>(١١)</sup>، والخطط الدينية من إمامة وتدریس<sup>(١٢)</sup>، وإفتاء<sup>(١٣)</sup>، وقضاء<sup>(١٤)</sup>، وحسبة<sup>(١٥)</sup>، والمراتب السلطانية كالكتابة<sup>(١٦)</sup>، وديوان العمل والجباية<sup>(١٧)</sup>، والشرطة<sup>(١٨)</sup>، كما

- 
- (١) انظر: واسطة السلوك لأبي حمو الزياتي (ص ٢٢٢).
- (٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٣).
- (٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٣).
- (٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٤).
- (٥) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٥).
- (٦) انظر: المصدر السابق (ص ٢٥٥).
- (٧) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٧٦).
- (٨) انظر: المصدر السابق (ص ٣١٨).
- (٩) انظر: المصدر السابق (ص ٣٥٩).
- (١٠) انظر: المصدر السابق (ص ٣٤٥).
- (١١) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ١٧٥).
- (١٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٣).
- (١٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٤١).
- (١٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٤٩).
- (١٥) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٦٢).
- (١٦) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٧٠).
- (١٧) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٨٣).
- (١٨) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٨٩).

يخصص الثعالبي رحمته الله في "آداب الملوك" باباً بأكمله لموضوعات تخص الوزراء<sup>(١)</sup>، والعمال<sup>(٢)</sup>، والقضاة<sup>(٣)</sup>، ويسهب الطوسي رحمته الله عند تناوله لموضوعات القضاة<sup>(٤)</sup>، وصاحب الشرطة<sup>(٥)</sup>، وأمراء الجيش<sup>(٦)</sup>، وفي "نصيحة الملوك" يتناول الماوردي رحمته الله سياسة الأعوان من وزراء<sup>(٧)</sup>، وقضاة<sup>(٨)</sup>، وحكام<sup>(٩)</sup>، وأمراء الأجناد<sup>(١٠)</sup>، وجباة الأموال<sup>(١١)</sup> وغير ذلك من الوظائف<sup>(١٢)</sup>.

كما يتحدث الوزير أبو سالم رحمته الله في "العقد الفريد" عن الوزارة<sup>(١٣)</sup>، والشورى<sup>(١٤)</sup>،

(١) انظر: آداب الملوك للثعالبي (ص ١٢٥ - ١٣١).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٤ - ١٣٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٦ - ١٣٩).

(٤) انظر: سير الملوك للطوسي (ص ٧٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٨).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ١٤٩).

(٧) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٢٥).

(٨) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٦).

(٩) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٥).

(١٠) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٥).

(١١) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٥).

(١٢) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٥٥ - ٥٦)، وانظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٦٣ - ٦٤).

(١٣) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٥٢).

(١٤) انظر: المصدر السابق (ص ٩٢).

والدواوين<sup>(١)</sup>، والجيش<sup>(٢)</sup>، والفتيا<sup>(٣)</sup>، وولاية القضاء<sup>(٤)</sup>، والحسبة<sup>(٥)</sup>، مرتبة على طبقاتهم، ويقتصر ابن هذيل رحمته الله في "عين الأدب" على ولاية المظالم<sup>(٦)</sup>، وأصحاب البريد<sup>(٧)</sup>، والنقباء، والحرس، والأعوان<sup>(٨)</sup>، أما أبو حامد المقدسي رحمته الله فقد اعتنى بالمراتب السلطانية عناية تزيد على غيره، حيث خصص الباب الأول والثاني والثالث من كتابه للسلطان وأهل دولته على اختلاف مراتبهم ووظائفهم، وكذا القضاة، والعلماء، والمحتسبين، مرتبين وفق منازلهم<sup>(٩)</sup>.

أما الولاية العظمى، ومنصب الخليفة فقد قدمه الخرميني رحمته الله في كتابه "الدرة الغراء" وعقد لذلك باباً كاملاً يتحدث فيه عن مكانة الإمامة وشروطها، وكيف يحكم الإمام<sup>(١٠)</sup>، وأوسع منه طرحاً القلقشندي رحمته الله في "مآثر الإنافة" حيث تطرق في الباب الأول إلى معنى الخلافة، وحكم عقدها وبيان شروطها، وما يلزم الإمام للرعية، وما يلزم الرعية للإمام، وما ينزل به الخليفة ويخرج به من الإمامة<sup>(١١)</sup>، ويقاربهام عرضاً أبو حامد المقدسي رحمته الله، الذي استهل الباب الأول من كتابه بقوله: "قد أكثر الفقهاء في باب الإمامة من الكلام في أحكامها، وأفرد كثير من العلماء الأحكام السلطانية بالتصنيف، وكذا آداب الملوك وسياستها أكثر من أن تحصر،

(١) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٧٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٦٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٨١).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٨١).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٢٩٩).

(٦) انظر: عين الأدب لابن هذيل (ص ١٦٨).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ١٧٧).

(٨) انظر: المصدر السابق (ص ١٨٧).

(٩) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (ص ١٠٦ - ٢٩٨).

(١٠) انظر: الدرّة الغراء للخرميني (ص ٨٩ - ١٥٧).

(١١) انظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (ص ٥ - ٦٤).

ولكن أشير إلى مهمات وأصول من ذلك، ونفائس لا يستغني عن معرفتها، باختصار إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

ويصير المصنفون بعد إيضاح ما يتعلق بالإمامة العظمى إلى تفصيل القول في المراتب السلطانية، وطبقات الولاية، باعتبارها أصل الإمامة وعمل الإمام التي آلت إلى غيره بالتفويض والإنابة والتنفيذ، فالولايات ليست قسيمة الإمامة العظمى بل هي متفرعة عنها، يقول القلقشندي رحمته الله في صدر الباب السابع الذي أعقب فصول الإمامة العظمى: "في ذكر الوظائف التي كانت تصدر عن الخليفة في الزمن المتقدم وما يصدر عنه الآن من تفويض السلطنة إلى السلطان ويرجع المقصود من ذلك إلى عشر وظائف..."<sup>(٢)</sup>، كما بينها المصنفون للأئمة انطلاقاً من واجب النصيحة؛ ذلك أن عمل الوالي عنه هو عمله، والواجب على الإمام أن يتبصر في وظائف السلطنة وسياساتها؛ ليتوخى الأجدر والأصلح لها، يقول الوزير أبو سالم رحمته الله في "باب الولايات": "قد تقدم القول مشتركاً في الباب الأول فيما يعتمده السلطان، وهذا باب معقود لبيان ما يعتبر في القائمين بمصالح المملكة المباشرين تفاصيل أحوالها، فإن السلطان وإن كان يعتمد التطلع والنظر في ذلك فإنه نظر كلي إجمالي غير تفصيلي، ويكون النظر في التفصيل والقيام بجزئيات الأمور والأعمال مفوضاً على من أقامه السلطان وولاه واستنابه فيما هو أهل لما تولاه، فعلى السلطان في ذلك وظيفتان:

**الوظيفة الأولى:** أن يعلم أنه نائبه قد أقامه الله - تعالى - في عبادته، وارتضاه من بين خلقه برعاية بلاده، فيعمل في نيابته عن الله - تعالى - ما يجب أن يعمل من يستنبيه هو من مملكته وعبيده على وفق مراده.

**الوظيفة الثانية:** أن يجتهد رأيه ويعمل فكره في اختيار من يفوض إليه شيئاً من أعمال مملكته،

(١) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٠٦).

(٢) مآثر الإنافة للقلقشندي (١/٧٤).

ويستخدمه في بعض أحوال دولته، ويوليه أمراً من أمور رعيته، فإن أفعالهم إليه منسوبة وأعمالهم عليه محسوبة"<sup>(١)</sup>.

وتقتصر الدراسة القول على ذكر أبرز الولايات التي تناولتها كتب مناصحة أئمة المسلمين على النحو الآتي:

#### ١ - الوزارة:

تحتل الوزارة المنصب الثاني في الدولة الإسلامية، ولها دور عظيم في سياسة السلطنة<sup>(٢)</sup>؛ لأنها الوساطة بين الملك ورعيته<sup>(٣)</sup>، يقول ابن خلدون رحمته الله: "الوزارة: وهي أم الخطط السلطانية، والرتب الملوكية؛ لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة"<sup>(٤)</sup>، وقد اهتم العلماء والكتاب، والأدباء، والفقهاء، بهذا المقام الرفيع، فكتبوا عنه من زواياه المتعددة: الفقهية، واللغوية، والتاريخية، والأدبية، والسياسية، وفي المكتبات العربية والإسلامية كتب مفردة لمنصب الوزارة، وبعضها لوزير معين<sup>(٥)</sup>، وقد ساهمت مصنفات مناصحة أئمة المسلمين في تعزيز العلم بسياسة هذه الولاية من خلال الكتابات المضمنة في تضاعيفها، أو المفردة لذاتها مثل: كتاب "تحفة الوزارة" للثعالبي رحمته الله، وكتاب "قوانين الوزارة" للهاوردي رحمته الله، وكتاب "الإشارة إلى أدب الوزارة" لابن الخطيب رحمته الله.

ويوضح الغزالي رحمته الله عظم مكانة الوزارة في الدولة ويعقد لذلك باباً "في سياسة الوزارة

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٥١).

(٢) انظر: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي - الحياة الدستورية -، تأليف: ظافر القاسمي (ص ٤٠٩)، الناشر: دار النفائس، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

(٣) انظر: الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ١٤٩) وانظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (١/ ٧٤ - ٧٥).

(٤) تاريخ ابن خلدون (١/ ٢٩٤).

(٥) انظر: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي للقاسمي (ص ٤٠٩).

وسيرة الوزراء"<sup>(١)</sup>. يقول في ذلك: "اعلم أن السلطان يرتفع ذكره ويعلو قدره بالوزير إذا كان صالحاً كافياً عادلاً؛ لأنه لا يمكن لأحد من الملوك أن يصرف زمانه ويدبر سلطانه بغير وزير، ومن انفراد برأيه زل من غير شك"<sup>(٢)</sup>، ثم أخذ في إرشاد الوزراء إلى قاعدة السياسة في الوزارة وهي بسلوكهم مسار التوسط بين الشدة واللين، وحسن التعامل مع الملوك في أخذهم إلى مسلك الصواب"<sup>(٣)</sup>، مؤكداً على مركزية الوزارة في هيكل الدولة بقوله: "وينبغي أن يعلم أن دوام الملك بالوزير، وأن دوام الدنيا بالملك، وينبغي أن يعلم أنه لا يجوز له أن يهتم بغير الخير، ويعلم أنه أول إنسان يحتاج إليه السلطان"<sup>(٤)</sup>.

وفي "مآثر الإنافة" يبين القلقشندي رحمته الله نوعي الوزارة وهما: وزارة التفويض، ووزارة التنفيذ، قائلاً: "الوظيفة الأولى الوزارة وهي على ضربين: الضرب الأول: وزارة التفويض، وهي: أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضائه على اجتهاده، وهي أجل الولايات بعد الخلافة، قال الماوردي رحمته الله: فهو ينظر في كل ما ينظر فيه الخليفة، الضرب الثاني: وزارة التنفيذ: والنظر فيها مقصور على رأي الإمام وتديره، والوزير فيها واسطة بينه وبين الرعايا والولاة، يؤدي عنه ما أمر، وينفذ ما ذكر، ويمضي ما حكم، ويميز تقليد الولاة، وتجهيز الجيوش ونحو ذلك، وربما عبر عن هذا الوزير بالوساطة"<sup>(٥)</sup>.

ويُعد كتاب "قوانين الوزارة" للماوردي رحمته الله - من وجهة نظر الباحث - قانون السياسة

(١) التبر المسبوك للغزالي (ص ٢٧١).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٧٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٧١-٢٧٨).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٧٣).

(٥) مآثر الإنافة للقلقشندي (١/ ٧٤-٧٥)، وانظر: تحفة الوزراء للثعالبي (٧٥-٨٣)، وانظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٥٠-٦١)، وانظر: قوانين الوزارة للماوردي (ص ١٥٨-١٦٣)، وانظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٠١-٢٠٩)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٥٥).

الشرعية في موضوع الوزارة، فهو كتاب "يتضمن القوانين أو الشروط التي تحكم الوزارة والوزراء، وكيف يساس بها الملك، ويبين فيه طبيعة منصب الوزير، وأنه سائس للرعية، ومسوس بالحاكم الأعلى، ويحدد المبادئ التي يتوجب على الوزراء الالتزام بها، مثل: تحقيق العدل في الرعية، وتولية الأكفاء الأمناء، والهيبة والصدق في القول، والإخلاص في العمل"<sup>(١)</sup>.

فبعد أن مهّد الماوردي رحمته الله لكتابه بموعظة الوزير وبيان معنى الوزارة ونوعيتها<sup>(٢)</sup>، المذكورين في "الأحكام السلطانية"، كشف عن جوهر وظيفة الوزارة في الفصل الثاني الذي عنون له بـ "الدفاع مهمة الوزير"، وهذه - من وجهة نظر الباحث - ترسيخ لقاعدة الوزارة التي يبنى عليها الوزير مصلحة سياسته، وقد حصر دفاعه على ثلاث مسؤوليات، هي:

١ - الدفاع عن الملك وخاصته.

٢ - الدفاع عن المملكة من أعدائها.

٣ - الدفاع عن نفسه<sup>(٣)</sup>.

و"لكي لا يتطرق إلى الأذهان أن الوزير لا يحتاج إلى الاستنابة عقد الماوردي رحمته الله فصلاً سماه "فصل التقليد والعزل"<sup>(٤)</sup>، فصل فيه الأمور التي على الوزير أن ينيب غيره فيها، والصفات التي ينبغي توافرها في كبار معاونيه هؤلاء، وكما استنكر الماوردي رحمته الله عزل الوزير بغير سبب أنكر على الوزير كذلك الحق في عزل معاونيه بغير سبب، وهو يذكر أسباباً كثيرة ممكنة يلجأ فيها الوزير إلى العزل، ويرى أنها كلها لا تبرر العزل الذي لا يسوغه إلا الخيانة"<sup>(٥)</sup>.

(١) السياسة الشرعية لعبدالغني مستو (ص ١٤٢).

(٢) انظر: قوانين الوزارة للماوردي (ص ١٤٠-١٦٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٦٥-١٧٨).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٠٩).

(٥) مقدمة رضوان السيد على قوانين الوزارة للماوردي (ص ١٢٦-١٢٧).

وفي الفصل الأخير يخصص الماوردي رحمته الله الحديث عن مهام وزير التنفيذ<sup>(١)</sup>، ثم يعقبه بفصل يسميه "في الحقوق" يذكر فيه المشتركات بين وزارتي التنفيذ والتفويض<sup>(٢)</sup>، ويغلب على مضامينه النزعة الأخلاقية، وعلى خطابه فيها أسلوب الوعظ<sup>(٣)</sup>.

ويلى كتاب "قوانين الوزارة" في الأهمية كتاب: "تحفة الوزراء" للثعالبي رحمته الله، تناول فيه مصنفه معنى الوزارة<sup>(٤)</sup>، وأقسامها ورسومها<sup>(٥)</sup>، ومنافعها<sup>(٦)</sup>، وآدابها، وحقوقها، ولوازمها<sup>(٧)</sup>، وقد أكد في كتابه على أهمية حسن الرابطة بين الملك والوزير، فعقد لذلك فصلين الأول: "في حق الملك على الوزير، وحق الوزير على الملك"<sup>(٨)</sup>، والثاني: "في حقوق الوزراء على الملوك"<sup>(٩)</sup>؛ لأن "الوزير هو قطب الدولة ومدارها، وزند المملكة وسوارها، يستضيء السلطان في ظلم المهام بأنوار تديره، ويحمل عنه أعباء ما يحدث من قليل الخطب وكثيرة"<sup>(١٠)</sup>، فإذا اختل وثاق الثقة بينهما اهتز نظام الملك واستقراره.

وقد أخذت ولاية الوزارة من كتب المناصحة بحظ وافر، وتبوأ من الكتب موضعها من الدولة، فعدها الشيزري رحمته الله في "المنهج السلوك" الركن الأول من أركان الملك الأربعة<sup>(١١)</sup>،

(١) انظر: قوانين الوزارة للماوردي (ص ٢١٩-٢٢٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٩-٢٥٩).

(٣) انظر: مقدمة رضوان السيد على قوانين الوزارة للماوردي (ص ١٢٨).

(٤) انظر: تحفة الوزراء للثعالبي (ص ٣٩-٤٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٧٥-٧٦).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٥٧-٥٨).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٦١-٧٣).

(٨) المصدر السابق (ص ٦٧-٧١).

(٩) المصدر السابق (ص ٧٢-٧٣).

(١٠) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٥٢).

(١١) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٠٠)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ١٧٥).

وعقد لها الطرطوشي رحمته الله باباً سماه "في الوزراء وصفاتهم" <sup>(١)</sup>، كما أخذت عند الوزير أبي سالم رحمته الله المرتبة الأولى من طبقات الولاية <sup>(٢)</sup>، وأفرد لها الخرميتي رحمته الله فصلاً طويلاً في "الدرة الغراء" <sup>(٣)</sup>، وجعل الماوردي رحمته الله محلهم فيما يلي الملوك في كتابه "تسهيل النظر" <sup>(٤)</sup>، وعامة ما تطرق إليه المصنفون في مضامين تلك الكتب متشابه المحتوى، إذ لا تتجاوز موضوعاتهم مكانة الوزير، وطرق سياسة عمله، وشروط توليته، وضبطه لمهامه، وقيامه بالواجبات ونحو ذلك.

## ٢- ولاية القضاء:

القضاء ضرورة من ضرورات الدول، ولازم من لوازم المجتمعات، يقول الوزير أبو سالم رحمته الله عنه: "وهو من أعظم الأركان وقعاً وأعمها نفعاً، وعليه مدار مصالح الأمة عقلاً وشرعاً، والمقصد منه نصب ميزان المعدلة في الأحكام، وفصل القضايا بين الأنام عند الخصام، وبسط بساط التناصف بين الخاص والعام في النقض والإبرام" <sup>(٥)</sup>.

والقضاء من الوظائف التي كانت تصدر عن الخليفة؛ ولذا كان القاضي نائباً عن السلطان في الحكم <sup>(٦)</sup>؛ لتعذر القيام بذلك يقول الخرميتي رحمته الله: "وينبغي للملوك والسلاطين أن ينصبوا في ولايتهم قاضياً عادلاً عالماً متديناً" <sup>(٧)</sup>.

ويأتي ذكر القضاء في كتب المناصحة بعد درجة الوزارة، يقول الماوردي رحمته الله في تسهيل النظر: "والطبقة الثانية: القضاة والحكام الذين هم موازين العدل وتفويض الحكم إليهم،

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٧٦).

(٢) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٥٢).

(٣) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ١٩٧-٢٨٢).

(٤) انظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٩١-٢٩٣).

(٥) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٨١-٢٨٢).

(٦) انظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (١/ ٧٧ - ٧٨).

(٧) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ١٩٩).

وحراس السنة باتباعها في أحكامهم وبهم ينتصف المظلوم من الظالم في رد ظلامته، والضعيف من القوي في استيفاء حقه"<sup>(١)</sup>.

ولما كانت "ولاية القضاء تستدعي تقدم أوصاف في مباشرها حتى يجوز له الارتقاء إلى ذروتها، وتستلحق آداباً يؤمر بحكم الولاية بالقيام بها، والاستمسك بعروتها"<sup>(٢)</sup>، فقد فصل الوزير أبو سالم رحمته الله وابن رضوان رحمته الله في الشروط اللازمة التي تجب في متقلد القضاء وهي: الإسلام، والحرية، والبلوغ، والعقل، والذكورة، والسلامة في السمع والبصر واللسان، ولا يقتنع بالعقل الذي هو مناط التكليف، بل ينبغي أن يكون صحيح التمييز جيد الفطنة، بعيداً عن السهو والغفلة<sup>(٣)</sup>، مع مراعاة المروءة وحسن السيرة يقول ابن رضوان رحمته الله: "ويستحب أن يكون ورعاً غنياً ليس بمديان ولا محتاج، وأن يكون من أهل البلد معروف النسب جزلاً نافذاً فطنا غير مخدوع لغفلة، ذا نزاهة عن الطمع، حليماً عن الخصوم، مستشيراً لأولي العلم والفقهاء"<sup>(٤)</sup>.

ومن مسائل السياسة الشرعية في كتب المناصحة المتعلقة بولاية القضاء تعيين القضاة وعزلهم، حيث تطرق الطرسوسي رحمته الله إلى ما يجب على الوالي من التدابير اللازمة في امتحان القضاة ومعرفة أهل الكفاية منهم<sup>(٥)</sup>، وفي العزل يعقد الموصل رحمته الله فصلاً كاملاً يسميه "عزل الإمام للقضاة" موضحاً فيه الأسباب الموجبة للعزل، ومؤكداً على مسؤولية الإمام في تحري

(١) تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٩٣).

(٢) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٨٢).

(٣) انظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٣٢٣-٣٢٤)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٨٢).

(٤) الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٣٢٥)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٨٣-٢٨٤).

(٥) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٨٥).

عمل القضاة ومراقبتهم في أعمالهم<sup>(١)</sup>.

كما يعقد الخرميني رحمته الله في "الدرة الغراء" فصلاً كاملاً في كيفية جلوس القاضي للقضاء، متناولاً فيه بعض الآداب المتعلقة بمجلس الحكم مثل: رد السلام، والجلوس في المسجد، وأحكام الكتبة، والمسائل المتعلقة بأطراف الخصوم وغير ذلك، وقد أدرج في هذا الفصل مسائل أخرى متعلقة بأدب القضاء العامة<sup>(٢)</sup>.

ومن المصنفات التي أسفرت عن وجه السياسة الشرعية في باب القضاء كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق رحمته الله، حيث أجمل سياسة القضاء في عشر مسائل، شملت أهمية القضاء، ومشروعيته وحكمه، وطريقة ترشيح أهله، ومهامه، ومراقبته، وحقوق القضاة المالية، وعلم القضاء وآدابه<sup>(٣)</sup>.

ولعظم شأن القضاء في باب السياسة الشرعية ومنزلته من السلطنة، فإن كتب المناصحة تُصَرِّح باختصارها وإجمال عرضها في هذا الباب، يقول أبو حامد المقدسي رحمته الله: "وقد أفرد جماعة من العلماء كتاب القضاء بالتصنيف، وكتب الفقه مشحونة بما يتعين للقاضي وعليه، ولكننا نشير هاهنا إلى عيون من ذلك.."<sup>(٤)</sup>، وهذا أمر ملحوظ في طريقة ومنهج المصنفين في هذا الباب.

(١) انظر: حسن السلوك للموصلي (ص ١٠٣-١٠٧)، وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٠٥-١٠٩)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢٥٣).

(٢) انظر: الدرة الغراء للخرميني (ص ٢٤٨-٢٥٤)، وانظر: حسن السلوك للموصلي (ص ١٠٩-١١٠)، وانظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٤٦-٥٧).

(٣) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢٤٩-٢٥٨).

(٤) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٠١)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٨٥).

### ٣- ولاية المظالم:

الظلم عمل ممقوت تأباه النفوس الزكية، وتنفرد منه الطباع السليمة، وهو تسلط وإيذاء، وتفريق بين الناس خاصة إذا كان من صاحب نفوذ وجاه ومنزلة عالية في قومه<sup>(١)</sup>، ودفعه ورفعه من أنبل الأعمال السلطانية، وأوجب الأمور العدلية، يقول الشيزري رحمته الله: "اعلم أن جلوس الملك لكشف قصص المظلومين<sup>(٢)</sup>، والفصل بين المتنازعين من أعظم قوانين العدل الذي لا يعم الصلاح إلا به"<sup>(٣)</sup>.

وتختص ولاية المظالم بالنظر في تعدي الولاة على الرعية، وجور العمال فيما يحصلونه من أموال، ومحاسبة كتاب السجلات المالية على ما يثبتونه من استحقاقات المسلمين، وكذا النظر في تظلم الموظفين ومن في حكمهم من نقص حقوقهم، ورد المغصوب، والإشراف على تنفيذ الوقف، وتنفيذ ما عجز القضاء على تنفيذه، والنظر في مصالح العامة، ومراعاة العبادات الظاهرة، والنظر بين المتشاجرين<sup>(٤)</sup>.

كما يوضح ابن رضوان المالقي رحمته الله الفرق بين نظر والي المظالم وبين نظر القاضي في عشر

(١) انظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٣٧)، وانظر: أهلية الولايات السلطانية في الفقه الإسلامي، تأليف: د. عبدالله بن عبدالمحسن الطريقي (ص ١٦١)، الناشر: مؤسسة الجريسي للتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) كشف قصص المظلومين: أي الحكم بالقصاص، يقال: "أقص الأمير فلاناً من فلان إذا اقتص له منه فجرحه مثل جرحه، أو قتله قوداً". لسان العرب لابن منظور، مادة (قصص) (٧/٧٦).

(٣) المنهج السلوك للشيزري (ص ٥٦٢ - ٥٦٣)، وانظر: الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٥٥)، وانظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ١٦٨)، وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٨١).

(٤) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٣٠ - ١٥٤)، وانظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ٧٣ - ٩٠)، وانظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٣٨)، وانظر: أهلية الولايات السلطانية لعبدالله الطريقي (ص ١٦٣).

مسائل ترجع في مجملها إلى اتساع دائرة صلاحية والي المظالم<sup>(١)</sup>، ويختزلها القلقشندي رَحْمَةُ اللهِ فِي قوله: "وهي قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبية، وهي ولاية دائرة بين سطوة الولاية وتثبت القضاة، وهي في معنى حكم نائب السلطنة الآن بين الخصوم بأحكام السياسة"<sup>(٢)</sup>.

ومن المسائل المتعلقة بالسياسة الشرعية في ولاية المظالم الإبانة عن أعضاء مجلس الديوان يقول الشيزري رَحْمَةُ اللهِ فِي: "وينبغي للملك إذا جلس لكشف المظالم أن يستكمل مجلسه بحضور خمسة أصناف من الناس، لا غنى له عن حضورهم ولا ينتظم أمور نظره إلا بهم: الصنف الأول: الفقهاء، والعلماء أصحاب الفتوى؛ ليرجع إليهم فيما أشكل، ويسألهم عما اشتبه عليه وأعضل.

الصنف الثاني: القضاة والحكام؛ لاستعلام ما يثبت من الحقوق، ومعرفة ما يجري في مجالسهم بين الخصوم وتنفيذ القضايا والأحكام.

الصنف الثالث: العدول ومشايخ البلدة؛ ليشهدهم على ما أوجبه من الحقوق، وأمضاه من الحكم.

الصنف الرابع: الكتاب؛ ليثبتوا ما يجري بين الخصوم، وما يوجبه الشرع المطهر لهم أو عليهم من الحقوق.

الصنف الخامس: الكبار من حملة دولته، وأعوانه وخاصته؛ لتظهر بهم الرهبة، وتحصل بهم الهيبية، فيخاف المعتدي فينزجر ويشتد أزر المظلوم فيتتصر، فإذا استكمل مجلس نظره بمن ذكرناه شرع حينئذ في تصفح القصص وتنفيذ الأمور، والنظر في أمور الرعية والولاية،

(١) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٣٠)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٣٢٥-

٣٢٦)، وانظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٣٧-٣٨).

(٢) مآثر الإنافة للقلقشندي (١/٧٨-٧٩).

والعمال" (١).

كما يؤكد مؤلفو كتب المناصحة على أهمية هذه الولاية سواء أكانت بمباشرة الملك أم في نوابه؛ لقيام أمر العدل، ومن ذلك حثهم الملوك أو من قام مقامهم على تخصيص أيام لمجلس القضاء (٢)، وكذا البروز للناس، يقول ابن رضوان رحمته الله في شرطها: "ومن شروطه: أن يكون سهل الحجاب، نزه الأصحاب" (٣)، وكل هذا لتوطين السياسة الشرعية على أرض العدل.

#### ٤ - الرقابة والحسبة:

مدار السياسية الشرعية على تحقيق مصالح العباد الدينية والدنيوية، والأئمة ونوابهم محل قيامها وسبيل أدائها، ولما كانت السياسة قائمة على الاجتهاد تحت سقف الشريعة، كان الخطأ والفساد مظنة عملها؛ ولذا وجب تحصينها بالعدل، ودرء الفساد بمراقبة العمال والولاية ومحاسبتهم (٤)، وكذا قيامهم بواجب الاحتساب فيما بينهم وعلى رعاياهم، يقول القلقشندي رحمته الله في واجب الإمام: "النظر في الحسبة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما في معنى ذلك مما ينخرط في هذا السلك" (٥).

وتنظر الآداب السلطانية إلى يقظة الحاكم وكمال فطنته، ومعرفته بحال ولايته بعين الاعتبار الشديد، يقول الجاحظ: "فأما الملك السعيد، فمن أخلاقه البحث عن كل خفي ودفين حتى يعرفه معرفة نفسه عند نفسه، وألا يكون شيء أهم ولا أكبر في سياسته ونظام ملكه من الفحص

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ٥٧٠-٥٧٢).

(٢) انظر: سير الملوك للطوسي (ص ٥٤)، وانظر: الشفاء لابن الجوزي (ص ٦٣).

(٣) الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٣٢٥).

(٤) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٠٥).

(٥) مآثر الإنافة للقلقشندي (١/٧٩).

عما قدمنا ذكره"<sup>(١)</sup>، ويعني بذلك مخالقات الولاية والعمال<sup>(٢)</sup>، وقد ألحق الملك أبو حمو رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كتابه باباً كاملاً امتاز به عن بقية كتب المناصحة، وجعله "في الفراسة وهي خاتمة السياسة"<sup>(٣)</sup>، ولا شك أن أمر الفراسة يحمل معنى أبعد من الرقابة، فهي الرقابة وشيء يزيد. ومن أبرز الذين تطرقوا لمسؤولية الرقابة في السياسة الشرعية الطرسوسي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "تحفة الترك"، حيث عقد على ذلك فصلاً كاملاً سماه "في كشف أحوال الولاية والدواوين، وما يجب أن يفعل بواحد منهم إذا ظهرت عليه خيانة"، يقول في مبدئه: "يتعين على السلطان أن يتعاهد الولاية والدواوين في كل وقت بالكشف عن أحوالهم ومحاسبتهم على ما جوبه وحملوه من أموال بيت المال وصرفه في مصارفه، ويكون الكاشف عليهم من أعقل الناس، وأكثرهم أمانة وعفة بحيث لا يقبل من أحد منهم شيئاً، ولا يداجي"<sup>(٤)</sup> على السلطان في أمرهم"<sup>(٥)</sup>، ثم أعقبه بفصل آخر "في الكشف عن القضاة ونوابهم، وبيان ما يستحقه الخائن منهم"<sup>(٦)</sup>، وقد أشار فيه إلى أن ولاية القضاء أبعد عن الفساد؛ لأنه "لا مال تحت أيديهم من بيت المال، ولا يجبر أحدٌ منهم على الخروج عن مذهبه، فكان أمرهم أضبط، وإن كان يقع من بعضهم ممن يكون جاهلاً"<sup>(٧)</sup>، مُرجعاً سبب نزاهتهم إلى شدة التحري في توليتهم"<sup>(٨)</sup>.

(١) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ١٦٥)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ١٨٠).

(٢) انظر: التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ص ١٥٧-١٦٥).

(٣) واسطة السلوك لأبي حمو الزباني (ص ٤٠٧).

(٤) المداجاة معناه: المداراة، يقال: داجيته، أي: داريته، كأنك سترته العداوة، وداجيت فلاناً: إذا ماسحته على ما في

قلبه وجاملته. انظر: الصحاح للجوهري، مادة (دجا) (٦/ ٢٣٣٤)، وانظر: لسان العرب لابن منظور، مادة

(دجا) (١٤/ ٢٥٠)، وانظر: تاج العروس للزبيدي، مادة (دجو) (٣٨/ ٣٤).

(٥) تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٠٣).

(٦) تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٠٥)، وانظر: درر السلوك للماوردي (ص ٩٩-١١١).

(٧) تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٠٥).

(٨) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٦).

أما ولاية الحسبة ف"هي أرسخ قواعد الدين، وإقامة شعائرها من أقوم المسالك إلى التمسك بحبل الله المتين، وهي ولاية جليلة لا يقوم بها غير القوي الأمين، ولا يؤدي فرضها إلا من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين"<sup>(١)</sup>.

والحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم، فهي قائمة على الرهبة بالحق دون الجور، والقضاء قائم على الإنصاف بين الناس بالعدل دون الظلم<sup>(٢)</sup>، وقد كانت في كثير من العصر الأول داخلة في القضاء، فلما انفردت ولاية السلطان، وصار نظره عاماً في السياسة، اندرجت في مهام الملك، وأفردت بالولاية<sup>(٣)</sup>.

والنظر في الاحتساب في كتب المناصحة يتعلق بقسمين:

الأول: في الشروط المعتبرة في القائم بها والمتصب لها.

الثاني: فيما يلزمه من أعمالها وبياشره من أحوالها<sup>(٤)</sup>.

أما القسم المتعلق بالشروط المعتبرة في القائم بها فهي: أن يكون حراً، عدلاً، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، عالماً بالمنكرات الظاهرة؛ لينكرها، أميناً، لا يقبل رشوة، ولا يرتكب خيانة<sup>(٥)</sup>.

وأما القسم الثاني فهو متعلق بالعلم الذي هو "تأصيل ما يأتيه من الأعمال وما يذره، وما

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٩٩).

(٢) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٦٥)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٢٦٣).

(٣) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٢٦٤).

(٤) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٩٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٢٩٩).

يأمر به وما ينكره"<sup>(١)</sup> من حقوق الله وحقوق العباد"<sup>(٢)</sup>.

ويجب على السلاطين تعيين المحتسبين في المدن والقرى، وتكون من مهمتهم مراقبة الأوزان ومعرفة المبيعات، والأخذ على يد السفهاء، وصيانة الحريم، والأمر بإقامة شعائر الدين<sup>(٣)</sup>، و"إن من واجب الملك وولاته مؤازرة المحتسب والأخذ بيده، فمهمته ركيزة من ركائز المملكة، وهي نتيجة العدل في الوقت نفسه"<sup>(٤)</sup>.

ومن المصنفات التي أولت موضوع الاحتساب عناية بالغة كتابا: "بذل النصائح" لأبي حامد المقدسي رحمته الله، و"النصائح المهمة" للشيخ علوان رحمته الله، حيث عقد الأول باباً كاملاً "في الكلام على حقيقة الحسبة وما على المحتسب بخصوصه وما يشارك فيه غيره من الحكام، وما ينفرد به"<sup>(٥)</sup>، والكتاب من أوله إلى آخره - على رأي الباحث - موسوعة فقهية وسياسة شرعية في باب الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما كتاب "النصائح المهمة" فالمصنف جميعه مبني على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هو واضح في تفاريحه.

وعلى الجملة فإن محل هذه الولاية من السياسة مكين، و"لابد لمن امتطى مُطاً هذه الولاية الظاهرة الرياسة، المشهود لها بالجلالة والنفاسة؛ من إقامة أوضاعها المبنية على الحماية والحراسة، ومعرفة أحكامها المتعلقة بالسياسة، فلا يكفي فيها مجرد القراءة والدراسة، بل تفتقر إلى نفس متصفّة باليقظة والكياسة، متحلية بشيء من التجربة والفراسة، فإنها ولاية شاملة للأعيان والرعايا، عامة في جميع الأوضاع، حاکمة بقطع اتباع الأطماع، نافذة في تأديب أهل المكر

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٣٠٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٣٠٠-٣٠٣).

(٣) انظر: سير الملوك للطوسي (ص ٨٢).

(٤) المصدر السابق (ص ٨٢).

(٥) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٤١).

والخداع، مسلطة على ردع ذوي التحيل والتمحل من الصنع، مسيطرة في استنباط حال الظالم والمظلوم عند الاختصاص والنزاع، فلهذا يحتاج إلى نفس مستيقظة عارفة، ومعرفة تالدة وطارفة، وتجربة لأنواع الوقائع مشارفة، وفراصة لتحقيق الحق إذا تعارضت الشبه كاشفة، وديانة عند أوامر الشريعة الشريفة واقفة"<sup>(١)</sup>.

وتكتفي الدراسة بذكر هذه الولايات؛ لأنها رأس المناصب وأعظمها، وفي مضامينها ما يدل على ما دونها من الولايات؛ إذ المقصود هو توضيح منهاج السياسة في تلك الكتب.

### ثالثاً: مسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها:

جاءت تولية الإمام ونوابه من الأمراء وأصحاب الولايات والوظائف لحفظ واجبات الإسلام وأركانه، وحفظ مصالح المسلمين عامة، التي تفتقر إقامتها إلى كتاب هادي وسيف ناصر<sup>(٢)</sup>، يقول الماوردي رحمته الله: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"<sup>(٣)</sup>، والمعنى أن للإمامة مقصدين: حراسة الدين وسياسة الدنيا، وهذان المقصدان ينضوي تحتها مقاصد فرعية ملازمة لها تقوم عليها الأحكام<sup>(٤)</sup>، وقد عدها الماوردي رحمته الله وأبو يعلى رحمته الله إجمالاً<sup>(٥)</sup>.

وإذا كانت الولاية العظمى وما انضوى تحتها من ولايات إنما أقيمت لنصب العدل الذي أمر الله به كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾<sup>(٦)</sup>، فإن كتب مناصحة أئمة

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٣٠٠).

(٢) انظر: أهلية الولايات للطريقي (ص ٨١).

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٥).

(٤) انظر: المآلات وأثرها في أحكام السياسة الشرعية للسامرائي (ص ٦٠).

(٥) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠)، وانظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ٢٧).

(٦) سورة النساء، الآية (٥٨).

المسلمين قصدت في تقسيم هيكل الدولة تحقيق المسؤولية وتنفيذ الواجبات التي يتم بها مقصود الإمامة، يقول الشيزري رحمته الله في المنهج السلوك: "واعلم أن العدل لا يتحقق من الملك إلا بلزوم عشر خصال:

أحدها: إقامة منار الدين، وحفظ شعائره، والحث على العمل به، من غير إهمال له، ولا تفريط بحقوقه.

الثاني: حراسة البيضة والذب عن الرعية من عدو في الدين أو باغ في النفس والمال.

الثالث: عمارة البلدان، باعتماد المصالح وتهذيب السبل والمسالك.

الرابع: النظر في تعدي الولاة، وأهل العز من الأعوان على الرعية؛ لأن تعديهم منسوب إليه...

الخامس: النظر في أحوال الجند، وغيرهم من أهل الرزق؛ لئلا تبخسهم العمال أرزاقهم، أو يؤخروا العطاء فيجحف الانتظار بهم.

السادس: الجلوس لكشف المظالم، والنظر بين المتشاجرين من الرعية، والفصل بينهم بالنصفة على وجه الشرع.

السابع: تقدير ما يخرج من بيت المال على طبقات أربابه من غير إسراف ولا إقتار.

الثامن: إقامة الحدود على أهل الجرائم بالشرع المطهر على قدر الجريمة.

التاسع: اختيار خلفائه في الأمور، وولاته وقضاته، وعماله بأن يكونوا من أهل الكفاية، والأمانة والحذق، والدراية فيما هم بصدده.

العاشر: تنفيذ ما وقف من أحكام القضاة وأهل الحسبة، وما عجزوا عن تنفيذه؛ لقوة يد المحكوم عليه وتعززه فينفذ الملك ما حكّمه عليه بالشرع.

فإذا فعل الملك هذه العشرة خصال كان مؤدياً لحق الله - تعالى - في الرعية بالعدل الذي أمر الله - تعالى - به، وكان مستوجبا لطاعتهم، ومستحقاً لمناصحتهم، وإن ترك شيئاً من ذلك كان عن العدل ناكباً وفي الجور راغباً<sup>(١)</sup>.

وعموم هذه الواجبات والمسؤوليات محل اتفاق الكاتبين في السياسة الشرعية، والأحكام السلطانية، وآداب الملوك<sup>(٢)</sup>.

وتُرجع الدراسة واجبات الولاية السلطانية ومسؤولياتها التي تناولتها كتب المناصحة إلى أربعة عناصر هي: حفظ الدين، وحراسة الرعية، وتدبير الأموال وحفظها، وعمارة الأرض، ويكون بيانها على النحو الآتي:

#### ١ - حفظ الدين:

إن مقصد الشارع هو إصلاح دين الناس الذي متى فاتهم خسروا خسروا مبيناً، ولم ينتفعوا بما أعطوا من الدنيا<sup>(٣)</sup>، فحفظ الدين هو أول واجبات الإمام وأولاهها، وحراسته من جانبي الوجود والعدم أجل مسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية؛ "لأن الملك والدين مثل أخوين ولدا في بطن واحد"<sup>(٤)</sup>، وعليه تقوم الممالك ويشتد أمرها، يقول الماوردي رَحِمَهُ اللهُ فِي نصيحة الملوك: "وكان مما جرت عليه أمور العالم واستمرت عليه ديانة من الديانات أنه لم تكن مملكة إلا كان أسها وأصلها ملة من الملل عليها بنيت شرائطها وفروضها، وجرت أحكامها وحدودها؛

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٤٩-٢٥٤)، وانظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٢٥-٢٦).

(٢) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠)، وانظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٤١-٢٦٦)، و(ص ٦٢)، وانظر: الأحكام السلطانية لأي يعلى (ص ٢٧)، و(ص ٣٤)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٧٤)، وانظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (١/٥٩-٦٠)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأي حامد المقدسي (١/١٠٦-١٠٧).

(٣) انظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢١).

(٤) الدررة الغراء للخرميتي (ص ١٤٣).

ولم تكن ديانة قديمة ولا حديثة إلا كان أولها الدعاء إلى معرفة الله ﷻ، وتوحيده، والترغيب فيما عنده للمطيعين" (١).

والمراد بحراسة الدين وصيانتة حفظه على الأصول التي أجمع عليها السلف الصالح من هذه الأمة، فإذا زاغ ذو شبهة عنه لزم الولاية تبيين الحجة وإيضاح الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، حتى يكون الدين محروساً من الخلل، والأمة محفوظة من الضلال (٢)، ويدخل فيه جهاد المعاند بعد دعوته حتى يسلم أو يدخل في الذمة (٣)، وكذا "الحمل على ظاهر الشريعة، والحث عليها والترغيب فيها، وإظهار كرامة المتدينين عليه، وجلالتهم عنده، والمنع من إظهار الفساد والفجور من الميسر، وشرب الخمر، وإظهار السكر، والفسوق، والقذف، والنياحات الفاحشة على الموتى، وكل محرم ومكروه في الدين، وما يدخل في أبواب الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (٤).

#### ووظيفة الولاية في حراسة الدين وظيفتان:

الوظيفة الأولى: حفظه من جانب الوجود، وذلك بإقامة أركانه ورعاية مكملاته، وإظهار شعائره، وبت الدعوة إليه بالترغيب والترهيب.

الوظيفة الثانية: حفظه من جانب العدم، وذلك بدرك الخلل الواقع والمتوقع فيه، وذلك بجهاد الكافر، وقتل المرتد والزنديق، وقمع الضال المبتدع (٥).

ومن المسائل المتصلة بحفظ الدين التي يخصها المصنفون كثيراً بالذكر، محاربة البدع وقمع

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٧٩)، وانظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٥١-٢٥٥).

(٢) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠)، وانظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ٢٧).

(٣) انظر: المآلات وأثرها في أحكام السياسة الشرعية للسامرائي (ص ٦١).

(٤) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٤٢).

(٥) انظر: بدائع السلك لابن الأزق (١/١٩٥).

أهلها بالقوة والقهر، يقول الماوردي رحمته الله في المجاهرين بها: "ثم من أظهر في الدين بدعة خرق بها إجماع الأمة، وناقض بها التوحيد وأصول الشرعية، أو خرج منه شيء أو دخل فيه، فعلى الإمام والسلطان أن يحضره مجلسه أو مجلس صاحبه، ويأمر بمناظرته أو يناظر بنفسه بحضرة العلماء من المتكلمين والفقهاء العارفين بأصول الدين، فيقيم عليه حجة الله، فإن قبلها ورجع عن البدعة التي أحدثها عفا عنه، وإن لم يقبلها ولم يرجع عنها فعليه ما على المرتد بعد الاستتابة"<sup>(١)</sup>، ويرشد الحسن العباسي رحمته الله السلطان إلى مثله قائلاً: "ثم ينظر في المتفهمة الذين ينتحلون البدعة ويدعون إليها، ويخالفون ما عليه الجمهور ويردعهم، ويفرق جمعهم، وكذلك يمنع من التعصب للمذاهب والمغالاة في ذلك، فإنها تؤدي إلى فتن عظيمة وخطوب جسيمة وقد خرب كثير من بلاد المشرق بهذا السبب"<sup>(٢)</sup>، كما يبين ابن الأزرق رحمته الله فرض الإمامة فيها من خلال سرد خمس عشرة مسألة تخص الإنكار على المبتدعة، مرتبة وفق الأولوية<sup>(٣)</sup>.

ولا يختلف المصنفون في مسؤولية الولايات عن هذا الواجب الرئيس؛ ولذا صرحوا بوجوبه على الملوك والسلاطين ونوابهم، يقول الحسن العباسي رحمته الله: "يتعين على الملك أن يبذل اجتهاده في إظهار رونق الشريعة واحترام أهلها وإكرامهم، والإثابة على تعليمها والمحافظة عليها، ويأمر أولاد العلماء بالاشتغال بالعلم"<sup>(٤)</sup>، ويعقد الطوسي رحمته الله لذلك فصلاً يصدره بقوله: "على الملك تحري أمور الدين، وإقامة الفرائض والسنن وأوامر الله تعالى، وحفظ حرمة علماء الدين، وتأمين أرزاقهم من بيت المال، وإكرام الزهاد والمتقين وتقديرهم"<sup>(٥)</sup>، كما يربط بين استقرار أمن الدولة وقيامها على الدين في قوله: "إن الاستقامة في الدين لأجل ما يجب أن

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣١٢)، وانظر: الدرة الغراء للخرميتي (ص ١٤٣).

(٢) آثار الأول للحسن العباسي (ص ١١٦).

(٣) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (٢/١٢٧-١٣٠)، وانظر: الدرة الغراء للخرميتي (ص ١٤٣-١٤٤).

(٤) آثار الأول للحسن العباسي (ص ١١١).

(٥) سير الملوك للطوسي (ص ٩٧)، وانظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ١١٦-١١٨).

يتصف به الملك؛ لأن الملك والدين صنوان، فأى اضطراب في المملكة، لا بد أن يرافقه اختلال في أمور الدين" (١).

وتختص الولايات والوظائف الدينية بالقيام على هذه المسؤولية، يقول ابن الأزرق رحمته الله في الركن السابع من أركان الملك: "الركن السابع: تولية الخطط الدينية: وقد تقدم أن حقيقة الخلافة نيابة عن الشارع في حفظ الدين وسياسة الدنيا به، وأن الملك مندرج فيها، وتابع للقصد بها، وعند ذلك، فتمام القيام به اتباعاً لمقاصد الخلافة ما أمكن، موقف على تولية خطتها، من يقوم بها على التعيين؛ لتعذر وفاء السلطان بها مباشرة، وأمها ما يذكر منها جملة" (٢)، ثم ذكر إمامة الصلاة، والحسبة، والقضاء، والفتيا، والتدريس، وغير ذلك (٣)، وتقوم تلك الوظائف والولايات على إقامة الدين من جانب الوقاية والمعالجة.

## ٢- حراسة الرعية:

إن الأمن على الأنفس والأعراض والأموال، وطلب الإنصاف في الحقوق، هو مطلب الشعوب؛ ولذا كان من مسلمات الولايات أيًا كانت هو توفير الأمن لرعاياهم، وإقامة العدل فيهم، وقد أوجز الماوردي رحمته الله مفهوم هذا الواجب للملك في قوله: "فلأنهم أمانات الله التي استودعه حفظها، واسترعاه القيام بها، لا يقدر على الدفع عن أنفسهم إلا بسلطانه، ولا يصلون إلى العدل والتناصف إلا بإحسانه، وهو منهم بمنزلة ولي اليتيم المندوب لكفالاته، والقيم بمصالحه... والذي يلزم الملك في حقوق الاسترعاء عليهم عشرة أشياء، أحدها: تمكين الرعية من استيطان مساكنهم وادعين. والثاني: التخلية بينهم وبين مساكنهم آمنين. والثالث: كف

(١) سير الملوك للطوسي (ص ٩٧).

(٢) بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢٣٦).

(٣) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢٣٦-٢٨٢)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٣٢٢-

الأذى والأيدي الغالبة عنهم. والرابع: استعمال العدل والنصفة معهم. والخامس: فصل الخصام بين المتنازعين منهم. والسادس: حملهم على موجب الشرع في عباداتهم ومعاملاتهم. والسابع: إقامة حدود الله تعالى، وحقوقه فيهم. والثامن: أمن سبلهم ومسالكهم. والتاسع: القيام بمصالحهم في حفظ مياهم وقناطيرهم. والعاشر: تقديرهم وترتيبهم على أقدارهم، ومنازلهم، فيما يتميزون به من دين وعمل وكسب وصيانة. فإذا قام فيهم بهذه الحقوق فهي السياسية العادلة، والسيرة الفاضلة التي تستخلص بها طاعة الرعية، وينتظم بها صلاح المملكة"<sup>(١)</sup>.

ومن المسائل المتعلقة بالسياسة الشرعية في حراسة الرعية تعزيز المخالف بترك واجب أو فعل محرم، وهذا أمر يرجع فيه إلى تقدير الإمام، يقول الماوردي رحمته الله في نصيحة الملوك: "وفيما دون الحدود من ذلك من قذع، أو شتم، أو سوء أدب، يعود بجرأة على السلطان أو استخفاف بالدين تعزيز على ما يراه السلطان في مذهبه إذا كان من أهل العلم أو يفتي له المفتون"<sup>(٢)</sup>، وقد بسط ابن الأزرق في "بدائع السلك" القول في ذلك"<sup>(٣)</sup>.

إن تتبع الطرق والوسائل المستلزمة لحراسة الرعية وتأمين سبلهم، وحفظ كل شأنهم، حاضر في خط المصنفين وتأليفهم؛ إذ لا يدع المصنف أمراً يقتضيه الذكر إلا أورده، ومن ذلك تخصيص ابن رضوان رحمته الله باباً كاملاً في "ذكر السجون وأحوالها، وتفقد أهلها، وما يلحق ذلك"<sup>(٤)</sup>، وتناوله لموضوع تأمين الطريق التجاري للضاربيين في الأرض"<sup>(٥)</sup>، وكذا عدَّ

(١) تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٦٤-٢٦٥).

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣١١)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٦٦).

(٣) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (ص ١٥٥/٢-١٧٢).

(٤) الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٣٥٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٣١٤).

الشييزري رحمته الله بناء الحصون من أركان المملكة<sup>(١)</sup>، وتأكيد الماوردي رحمته الله في "درر السلوك" على تفقد سيرة حماة البلاد وولاية الأطراف والاهتمام بأمن السبل والمسالك<sup>(٢)</sup>.

وتختص السلطة القضائية ممثلة في ولاية القضاء وولاية المظالم وكذا المنفذون من ولاية الشرط والجند بواجب حراسة الرعية ومسؤوليتها.

### ٣- حفظ وتدبير الأموال:

المال قوام الحياة، وركن الدولة، وهو من أهم واجبات السلطنة؛ لأن المسؤولية في جمعه وحفظه وصرفه بالعدل يقع على عاتق الإمامة<sup>(٣)</sup>، يقول الشييزري رحمته الله: "اعلم أن بيت المال ركن عظيم للمملكة، يتعلق به المصالح الكلية من أرزاق المقاتلة والولاية وأعوانهم، وتجهيز الجيوش، وأرزاق الفقراء والمساكين وأهل العلم، وسد الثغور، وبناء المعامل والحصون، وغير ذلك مما يقوم به مصالح الرعية، وبقدر زيادته ونقصانه يكون حال المملكة، وناموس الملك عند نظرائه وخاصته وأعوانه؛ لأنه ذخيرة يرجع إليها الملك، والأعوان، والرعية عند نزول الحوادث، فإذا اشتهر بكثرة أنواع الأموال واختلاف أجناس الجواهر اشتد أزر الرعية، وقويت نفوس الجند، وعظم قدر الملك عند نظرائه، وإذا اشتهر بالنفاد والقلة، صغر قدر الملك واختلت أمور المملكة، وطمع فيه أعداؤه، فيجب حفظه والاحتياط عليه بتولية الثقات وأهل الأمانة، ويتوقى الإسراف في بذله وصرفه إلى غير أهله، ولا يمنعه أهل الحقوق، فيحصل بذلك الزلل، ويتطرق إليه الخلل"<sup>(٤)</sup>.

ويجب على الإمام أن يحسن تدبير المال بضبط ميزانه، وقد عدَّ الماوردي رحمته الله ذلك قاعدة

(١) انظر: المنهج السلوك للشييزري (ص ٢٣٣).

(٢) انظر: درر السلوك للماوردي (ص ١٠٥-١١٦).

(٣) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠)، وانظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٥٩-٢٧٥).

(٤) المنهج السلوك للشييزري (ص ٢٢٦-٢٣٠).

من قواعد الملك، يقول في "تسهيل النظر": "وأما القاعدة الرابعة: وهي تقدير الأموال؛ فلائها المواد التي يستقيم الملك بوفورها، ويختل بقصورها، وتقديرها على الملوك مستصعب؛ لأنهم يرون بفضل القدرة بلوغ كل غرض، ودرك كل مطلب، فإن وصلوا إليه بالأسهل الألف وإلا توصلوا بالأصعب الأعنف، وإن استباحوه شرعاً، وإلا ارتكبوا محظوره، وكابدوا معسوره، فإن أقاموا بفضل الحزم على السياسة العادلة حتى وقفت بهم القدرة على تقدير الأموال أن يعتبر بما استدام حصوله، ويسهل وصوله، ولم يحتج معه إلى التماس معوز، وارتياح متعذر، اعتدلت ممالكهم، وتعذلت مطالبهم، فلم يعجزوا عن حق، ولم يتعدوا إلى باطل، وكان الظافر بهذه الحال منهم هو الملك السعيد، ورعيته به أسعد الرعايا، وكان المقصر فيها على ضدها"<sup>(١)</sup>.

وتكمن مسؤولية الولاية حيالها في ثلاثة أمور:

**الأمر الأول:** حصرها لجهات الأموال السلطانية، وأصول تلك الأموال ثلاثة أصناف، هي: الغنيمة، والصدقة، والفيء، وما يلحق بها من الجزية، والخراج، والعشر، والأجور، وما لا مالك له، ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

**الأمر الثاني:** جبايتها على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير ظلم ولا عسف<sup>(٣)</sup>.

**الأمر الثالث:** تقدير العطايا وما يستحق من بيت المال، وإيصاله إلى أهله من غير سرف ولا تقتير، ولا تقديم ولا تأخير<sup>(٤)</sup>، يقول أبو حامد المقدسي رحمته الله: "وقد قدر الشارع المصارف

(١) تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٧٢)، وانظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٨٦)، وانظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٢٤-٣٢٨).

(٢) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٧٠-٢٧٢)، وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١١٩-١٢١)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ١٣٠).

(٣) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠)، وانظر: سير الملوك للطوسي (ص ٦٢)، وانظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٥٩-٢٧٥).

(٤) انظر: الأحكام السلطانية (ص ٤٠).

فيه، وجعل لكل مال أقواماً وقدرًا، فإن تعدى هذا كله وصرفه في شهواته ولذاته، وظن أن الملك عبارة عن ذلك، فلا يلوم إلا نفسه"<sup>(١)</sup>.

ولا يكاد يخلو كتاب في مناصحة أئمة المسلمين من تناول قضية تدبير المال وحفظه، ومراعاة المصلحة في بذله ومنعه وصرفه"<sup>(٢)</sup>؛ لأن الإمامة تقوم عليه قيام الوكيل والنقيب والأمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "وليس لولاية الأمور أن يقسموها بحسب أهوائهم، كما يقسم المالك ملكه، فإنما هم أمناء ونواب ووكلاء، ليسوا ملاكاً"<sup>(٣)</sup>.

ويتولى "ديوان بيت المال" المسؤولية المالية في الدولة، وهذا الديوان في كتب المناصحة هو أصل الدواوين ومرجعها، ووظيفته أن يثبت في جرائده جميع أصول الأموال السلطانية، ويقيم على كل مصرف أهله الأمناء، من قضاة، وعدول، ومحتسبين"<sup>(٤)</sup>، و"صاحب الديوان وإن كان فرعاً فإن ولايته واسعة وإيالته جامعة... وهو في الحقيقة كافل لمرجو المملكة وحامل أثقالها"<sup>(٥)</sup>، ويشبهه صاحب الديوان في الوقت المعاصر وزير المالية.

#### ٤ - عمارة البلاد:

عمارة البلدان واستصلاح الأرض وإحيائها للمعاش مقصود في الشرع"<sup>(٦)</sup>، وقد "اتفق

(١) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٨٦)، وانظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٤٥-٣٤٩)، وانظر: تحفة

الترك للطرسوسي (ص ١٥٤)، وانظر: واسطة السلوك لأبي حمو الزباني (ص ٢٦٩-٢٧٢)، وانظر: الدررة الغراء

للخرميتي (ص ١٨٣)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ١٥٤).

(٣) السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٦).

(٤) انظر: آثار الأول للحسن العباسي (ص ١٦٦).

(٥) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٧٠).

(٦) للاستزادة انظر: المقاصد الشرعية في عمارة الأرض، إعداد: ضحية قطرون، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في جامعة الوادية، كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، عام ١٤٣٤ - ١٤٣٥ هـ.

الأولون والآخرين من التشريعين وغيرهم على اعتباره في مباني الملك وشروط الاجتماع الإنساني، قال ابن حزم: يأخذ السلطان الناس بالعمارة وكثرة الغراس، ويقطعهم الإقطاعات في الأرض الموات، ويجعل لكل أحد ملك ما عمره، ويعينه على ذلك فيه؛ لترخص الأسعار، وبعيش الناس والحيوان، ويعظم الأجر، ويكثر الأغنياء، وما تجب فيه الزكاة<sup>(١)</sup>.

وقد عدّ الماوردي رحمته الله عمارة الأرض واحداً من قواعد سياسة الملك بعد استقراره في قوله: "فأما القاعدة الأولى، وهي عمارة البلدان، فالبلاد نوعان: مزارع وأمصار.

فأما المزارع فهي أصول المواد التي تقوم بها أود الملك وتتنظم بها أحوال الرعايا... فلزم مدبر الملك فيها ثلاثة حقوق، أحدها: القيام بمصالح المياه التي هو عليها أقدر ولها أقهر،... والحق الثاني: أن يحميهم من تخطف الأيدي لهم، ويكف الأذى عنهم،... والحق الثالث: عليه تقدير ما يأخذ منهم بحكم الشرع وقضية العدل حتى لا ينالهم في قدرها حيف، ولا يلحقهم في أخذها عسف، فإنهم لا يصلون إلى إنصافه إلا بعدله؛ لتدعن نفوسهم ببذل الحق منها طوعاً، ويكون لهم في تخفيف الكلف عنهم فضل، فإن الزمان باتساعهم خصب، والملك باستقامة أمورهم ملتئم<sup>(٢)</sup>.

وفي عمارة الحصون وبناء الجسور والثغور والمساجد وكسوة الكعبة وإصلاح الطريق للحجاج، يقول الطرسوسي رحمته الله: "يجب على السلطان أن يعمر الحصون والجسور التي تكون على الأنهر والمخاض، ومواضع الرحل في طريق المسلمين، والمبادرة إلى ذلك من غير تأخير، وعمارة الحصون أيضاً بإقامة الرجال بها، والعدد وما يحتاج إليه الحصن من جميع ذلك، وكذلك عمارة المساجد التي لا أوقاف لها، وأما كسوة الكعبة - زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً - فتكسى في كل سنة كما جرت به العادة، ويكون ثمن الكسوة وما يُصرف عليها من مال الخراج والجزية

(١) بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢١٩).

(٢) تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٥٦-٢٥٨).

وما يُهديه أهل الحرب إلى السلطان، وكذلك إصلاح ما تقدم ذكره، وإصلاح طريق الحاج من عمارة البرك التي في الطريق، وتشبيد وتصريف الماء إليها، ونزح الطين من الأعين، وتمهيد ما في الطريق من الوعر، وتسهيل ذلك، وكذلك توسيع المضائق، وبناء العلائم، وتوطئة العقاب في كل سنة يُفعل ذلك من غير تأخير، وكذلك تجهيز المحمل والسُّبُل، وذلك كله من المال المذكور"<sup>(١)</sup>.

ولأن في عمارة البلدان تفخيمها في عين الأعداء، وإرساء لقاعدة الملك، فقد حث المصنفون الملوك والسلاطين على ذلك، يقول الثعالبي رحمته الله: "من رسوم الملك على وجه الزمان: بناء البلدان، وتفخيم البنيان، وتشبيد الحصون المنيعة، والقصور الرفيعة"<sup>(٢)</sup>، كما عدوها من مسؤوليات الإمامة، يقول الشيزري رحمته الله في الواجب على السلطان: "الثالث: عمارة البلدان، باعتماد المصالح وتهذيب السبل والمسالك"<sup>(٣)</sup>.

وغالب الكاتبين في مناصحة أئمة المسلمين يعدون تكثير العمارة من أركان الملك، بل إن بعضهم يصرح به كما فعل الماوردي رحمته الله<sup>(٤)</sup>، وابن الأزرقي رحمته الله<sup>(٥)</sup>، ويتولى الخليفة بنفسه مباشرة هذا الواجب ومتابعة تنفيذه"<sup>(٦)</sup>.

(١) تحفة الترك للطرسوسي (ص ١١٧-١١٨).

(٢) آداب الملوك للثعالبي (ص ١١٣).

(٣) المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٥٠-٢٥١).

(٤) انظر: تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٥٦-٢٥٧).

(٥) انظر: بدائع السلك لابن الأزرقي (١/٢١٩-٢٢٩).

(٦) انظر: منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع أنموذجاً) إعداد: خليف

مصطفى غرايبة (ص ١٨٩)، بحث منشور في المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد الثامن، العدد الأول،

عام ٢٠١٥م.

وتتلخص الدراسة في هذا المبحث إلى ما يأتي:

١- تمثل الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين الجانب التطبيقي للسياسة الشرعية من خلال تقرير اعتبار المصلحة في بناء مسائل السياسة الشرعية، ورسم هيكل الدولة، وتدوين وظائفها، مع توضيح الواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتقها.

٢- إنَّ مسألة وجود موضوع السياسة الشرعية في كتب المناصحة أمر لا يحتاج إلى زيادة بيان، فالسياسة تُعدُّ الخطَّ الناظمَ لمسائل الكتاب؛ لأنها تخاطب الملك ومؤسسات الدولة، من منظور تحقيق المصلحة المعتمدة شرعاً عند الفقيه.

٣- ركزت كتب المناصحة على موضوع رسم هيكل الدولة، من رأس الدولة - الخليفة أو السلطان - حتى أدنى تفاصيل الدولة؛ لتكون تلك الكتب منهاج سياسة ملوك الإسلام وسلاطينه.

٤- غالب المصنفين في السياسة الشرعية ينقلون عن ابن حزم في "سياسته"<sup>(١)</sup>، والماوردي رَحِمَهُ اللهُ فِي "الأحكام السلطانية"، والجويني رَحِمَهُ اللهُ فِي "الغياثي"، والعز بن عبدالسلام رَحِمَهُ اللهُ فِي "قواعد الأحكام"، ويكثر بعضهم من النقل عن شيخ الإسلام في كتابه "السياسة الشرعية".

٥- يبقى مجال السياسة الشرعية خارج اختصاص الدراسة، وإنما أرادت الدراسة من طرحه إثبات وجوده عند مصنفي الكتب، دفاعاً عن مقاصد السياسة الشرعية التي فسرت على غير وجهها من محللين وقارئين خارج دائرة التخصص الشرعي.

---

(١) لابن حزم كتاب في السياسة الشرعية اسمه: "الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها، والندب إلى الواجب منها"، وقد نقل عنه ابن الأزرقي في "بدائع السلك"، وابن رضوان في "الشهب اللامعة"، وقد أفاد الأستاذ إحسان عباس بأن هذا الكتاب مفقود. انظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي (١/٥)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

## الفصل الرابع

### التصنيف عند أصحاب المذاهب الأربعة في مناقحة أئمة المسلمين وخصائصها

تمهيد:

شهد القرن الخامس الهجري تحولاً سياسياً في المشرق الإسلامي عامة، وفي مركز الخلافة على وجه الخصوص، حيث عاشت الخلافة العباسية في عصرها الثاني أحداثاً مرحلية تمثلت في صعود الدولة البويهية وتربعها على سدة الحكم<sup>(١)</sup>، ثم سقوطها على يد الأتراك السلاجقة القادمين من المشرق والذين لم يألوا حياة الحضر، ولم يكونوا على علم كاف بالشريعة ولغتها<sup>(٢)</sup>. وقد كان العصران - عصر الدولة البويهية ودولة السلاجقة - سبباً في ظهور نهضة علمية قام بها رجال الدولة وفقهاء أهل السنة، بتأييد من الخليفة العباسي "القادر بالله" (٣٨١-٤٢٢هـ)، في محاولة جادة لاستعادة قوة الخلافة من خلال مؤلفات العلماء والفقهاء التي اتخذت جانباً وعظيماً في خطابها للخليفة أو الملك البويهي وغيره، أو جانباً فقهياً وهي تخاطب الولايات والوظائف السلطانية<sup>(٣)</sup>، كما أن ضعف الخبرة الإدارية والعلمية لدى حكام السلاجقة في مبدئهم قد حفز الفقهاء إلى "إرشاد الأمراء الجدد، إلى معنى السياسة وكيفية ممارستها باتجاه إنشاء تقاليد للملك والسلطان، وسبل معاملة الرعية والجند، كما كان ينبغي ربط السياسة

(١) انظر: الوثائق السياسية والإدارية لمحمد حمادة (ص ١٧-١٨).

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (١٩/١)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م؛ وانظر: دوافع التأليف في كتب أدب الملوك لنوفل نوري (ص ٨٥)، وانظر: مقدمة رضوان السيد على الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ٢١).

(٣) للاستزادة انظر: دولة الخلافة لسعيد العلوي، وانظر: دوافع التأليف في كتب أدب الملوك لنوفل نوري (ص ٨٥).

بالشريعة في محاولة لتجاوز التقاليد والأعراف التي جلبها الترك من مواطنهم الأصلية"<sup>(١)</sup>.

وهذا النوع من المؤلفات قد بدأ مع الماوردي رحمته الله الذي يمثل طور تصحيح وتأصيل كتب مناصحة أئمة المسلمين من خلال كتبه "نصيحة الملوك" و"قوانين الوزارة" و"تسهيل النظر"، و"درر السلوك"، وكذا مع معاصريه من أمثال الثعالبي في كتابيه "آداب الملوك"، و"تحفة الوزراء"، والحافظ أبي نعيم رحمته الله في "فضيلة العادلين"، ومن بعدهم الذين انتهجوا الطريقة، وساروا في المسلك، مثل: الغزالي رحمته الله في "التبر المسبوك"، والطوسي رحمته الله في "سياسة الملوك"، والطرطوشي رحمته الله في "سراج الملوك" وغيرهم كما مر في تاريخ التصنيف<sup>(٢)</sup>.

لم تكن إسهامات الفقهاء بالتأليف في هذا الفن منطلقة من إطار مذهبها الفقهي، ولا ممتازة به عن غيرها من الكُتَّاب في الآداب السلطانية، ولكنهم كتبوا في هذا المجال بسياته وخصائصه التي تحدد مساره العام<sup>(٣)</sup>؛ "إذ جاءت صيغة التحرر من المحددات الفقهية أمراً مهماً؛ لتكون الفائدة أعم في النصح، ولفظة الحاكم والملك والسلطان التي غلبت على هذا النوع من المدونات أعطتها صفة العمومية في الخطاب، والتي تجسدت في كتابات أبي حامد الغزالي رحمته الله، والطرطوشي رحمته الله، والشيزري رحمته الله"<sup>(٤)</sup> وغيرهم، فكتب الفقهاء وعلماء الشريعة مثل سائر كتب الآداب السلطانية التي "تصوّر أنظمة الحكم والسياسات؛ وأخلاق الملوك وآداب التعامل، وتعتبر بأسلوب الوعظ والنصح والإرشاد عن الأخلاق الاجتماعية والاقتصادية والقيم

(١) مقدمة تحقيق رضوان السيد على "الجواهر النفيس" لابن الحداد (ص ٢٢ - ٢٣).

(٢) انظر: الباب الأول، الفصل الثاني، المبحث الأول: تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره (ص ٢٥٦) من هذه الرسالة.

(٣) انظر: مقدمة دراسة وتحقيق رضوان السيد على البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١١).

(٤) دوافع التأليف في كتب أدب الملوك لنوفل نوري (ص ٨٦)، وانظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٣٨)، و(ص ٥٩)، وانظر: مقدمة دراسة وتحقيق رضوان السيد على البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١١).

المجتمعية السائدة"<sup>(١)</sup> مدعومة بالدليل الشرعي والنص الأثري؛ ولذا فإن القارئ قد لا يتمكن من التعرف على مذهب بعض مصنفي هذه الكتب من خلال مضامينها، وسيطالع أيضاً كتباً متشابهة من مذهبين مختلفين، كما هو الحال مع كتاب "الشفاء" لابن الجوزي الحنبلي، وكتاب "الجلس الصالح" لسبطه الحنفي.

ولا يعني غياب أثر الاختلاف الفقهي في هذه المصنفات، خلوها من الخصائص والسمات التي تمتاز بها بعض المصنفات عن البعض الآخر داخل إطار الكتابة في الأدب السلطاني، فالدراسة قد وقفت على شيء من ذلك، وهي تُرجع أسباب وجودها إلى عدة أمور منها:

١ - ارتباط هذه المصنفات بواقعها المعاش، فهي وليدة الاحتياج الظرفي الذي يكتنفها؛ لذلك كان هناك تقليد شبه دائم أن يقدم الكتاب إلى حاكم، أو يؤلف بناء على رغبته في إيجاد خطة علمية عملية لتنظيم مملكته أو دولته، ومن ثم فقد ارتبط هذا الفكر أشد الارتباط بالواقع بصورة تجعل من العسير فهمه وتحليله دون فهم واقعه، وظروفه التاريخية، وطبيعة الحاكم"<sup>(٢)</sup>.

٢ - اختلاف الانتماءات الثقافية والتخصصات العلمية لدى الكاتبين، وكذا الموقع الوظيفي الذي يتسمنه البعض، فهذه المؤلفات كتبها الفقهاء والقضاة والوزراء، بل حتى الأمراء والملوك<sup>(٣)</sup>، وهذا بلا شك يؤدي إلى التغيرات المنهجية نسبياً داخل هذا الفن، رغم الوحدة الناعمة لنصوصهم، والغاية المشتركة لنمط كتاباتهم، وهذا يبرز جلياً في تفاوت وزن الموضوعات المتناولة في طي المصنفات، يقول عز الدين العلام: "انطلاقاً من طبيعة

(١) مرايا الأمراء لمحمد أحمد دمج (ص ١٠).

(٢) في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ٨٢)، وانظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام

(ص ٣٧)، وانظر: مقدمة تحقيق رضوان السيد على الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٧).

(٣) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٣٨).

النصوص الإسلامية يمكن أن تُصنف كتابات ابن رضوان رحمته الله والطراطوشي رحمته الله والشعالبي رحمته الله في مجال الأخلاقيات، وأن ندخل ما كتبه ابن طباطبا، والقلعي رحمته الله، وابن الصيرفي في باب التاريخيات، وأن نُدرج ما دونه ابن أبي الربيع رحمته الله والعامري رحمته الله بل بعض ما كتبه الماوردي رحمته الله أيضاً في نطاق الفلسفة السياسية، وأن نعد كتاب "الشفاء في مواعظ الملوك" لابن الجوزي رحمته الله مجرد شرعيات، بل قد يكون بإمكاننا أن ندرج كتاب ابن الأزرق الذي كاد يستنسخ مجمل مقدمة ابن خلدون رحمته الله في نطاق علم العمران<sup>(١)</sup>.

٣- أن علاقة بعض كتب المناصحة بهذا الفن من الكتابة "هي بمثابة العلاقة بين الخاص والعام؛ إذ غالباً تختص بموضوع معين من الموضوعات التي تهم السياسة السلطانية مثل: ضرورة العدل، أو الجند، ما يعد تقليداً في الكتابة السياسية السلطانية"<sup>(٢)</sup>، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب "فضيلة العادلين" لأبي نعيم رحمته الله الذي قَصَرَ كتابه على موضوع فضيلة العدل، وكتاب "لطف التدبير" للخطيب الإسكافي الذي لم يتجاوز قواعد تدبير الملك.

وهذه وغيرها من الأسباب تؤكد على وجود الاختصاص النسبي في دائرة مصنفات المناصحة.

لكن ما يهم في هذا المقام هو أن يُعلم أن هذه المصنفات قد "غطت جميع فترات التاريخ الإسلامي وجميع أماكنه ومذاهبه"<sup>(٣)</sup>، وأنَّ الكاتبيين الذين امتازوا بسماهم في التأليف قد انحدروا من مذاهبهم الفقهية التي تلقته الأمة بالقبول، وهي: مذهب أبي حنيفة رحمته الله (ت ١٥٠ هـ) ومالك رحمته الله (ت ١٧٠ هـ)، والشافعي رحمته الله (ت ٢٠٤ هـ)، وأحمد رحمته الله (ت ٢٤١ هـ)، وأنَّ هذه المصنفات تعكس قوة الأصرّة، والموقف المشرف المؤسس على أصول الدين في باب

(١) النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٣٩).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٦).

(٣) في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ١٠٦).

الإمامة؛ فالمناصحة بمعناها العام عند أصحاب المذاهب الأربعة هي مرآة صادقة للمنهج الشرعي الذي يجب أن يكون بين عالم الشرع، وإمام المسلمين؛ إذ لم تكن مناقفة الأئمة، والخروج عن جماعة المسلمين إلا نشازاً في الأمة أنجبه الجهل والهوى. وفي سلامة منهج جمهور أتباع المذاهب الأربعة، يقول أبو حامد المقدسي رحمته الله في "بذل النصائح": "وهذه المذاهب الأربعة - والله الحمد - في العقائد واحدة، إلا من لحق منها بالاعتزال أو التجسيم، وإلا فجمهورها على الحق؛ يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول..."<sup>(١)</sup>.

وتعرض الدراسة في هذا الفصل نماذج من مصنفات المناصحة عند أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة، مع تسليط الضوء على أبرز الخصائص والسمات التي امتاز بها المصنف المنتخب من كل مذهب، وذلك من خلال المباحث الآتية:

(١) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ١٦٤ - ١٦٥)، وانظر: معيد النعم لتاج الدين السبكي (ص ٦٢).

## المبحث الأول

### مصنفات الحنفية في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها

لم يكتب المصنفون الأحناف كثيراً في السياسة الشرعية والآداب السلطانية<sup>(١)</sup>، وكل ما وقفت عليه الدراسة من المطبوع في مجال مناصحة أئمة المسلمين - الآداب السلطانية - لا يتجاوز ستة كتب تقريباً، وهي: كتابا "الجلس الصالح والأنيس الناصح" و"كتر الملوك في كيفية السلوك"<sup>(٢)</sup>، لسبط ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ، وكتاب "تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك" للطرسوسي رَحِمَهُ اللهُ، وكتاب "الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء" للخرمي رَحِمَهُ اللهُ، وكتاب: "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" لابن عربشاه رَحِمَهُ اللهُ، وكتاب: "حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين" لابن كنان رَحِمَهُ اللهُ.

ولا يختلف الأحناف في الجملة عن غيرهم من الكاتبين في الآداب السلطانية، من المالكية والشافعية والحنابلة "فكُتِّبَ مرآيا الأمراء ونصائح الموك لا يقرأون المسألة السياسية استناداً إلى إشكالية الشرعية، كما هو شأن كُتِّبِ الأحكام السلطانية، والسياسة الشرعية، بل هم يسلمون بتحقيق الشرعية منذ البداية، ويمضون في نصح السلطان بالعدل والإحسان إلى الرعية"<sup>(٣)</sup>، وما إلى ذلك من الموضوعات المتعلقة بإصلاح الملوك وفق الشريعة.

وتقف الدراسة على نموذجين من مصنفات الأحناف في مناصحة أئمة المسلمين، وذلك من خلال التعرف على ترجمة المصنف، ومحتوى الكتاب، واستخراج أبرز الخصائص التي امتاز بها المصنف المنتخب.

(١) انظر: مقدمة دراسة وتحقيق رضوان السيد على البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١١).

(٢) ذكر محقق كتاب المجلس الصالح: أن الكتاب منشور في السويد عام ١٩٧٠ هـ، ولم يحصل الباحث على نسخة

منه، انظر: مقدمة تحقيق د. فواز صالح على المجلس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ١٤).

(٣) مقدمة دراسة وتحقيق رضوان السيد على البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١١).

## أولاً: كتاب "تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك":

يعد كتاب "تحفة الترك" للطرسوسي من أهم وأشهر كتب المناصحة عند الأحناف، التي أثار فيها موضوعات عدة: عقدية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وعسكرية، ونصح فيها ووجه إلى ما يجب أن يكون عليه الحاكم المسلم؛ رجاء أن يلحق بالسلف الصالح في عمل الإمامة، وتتناول الدراسة بيان هذا العنصر من خلال الآتي:

### ١ - ترجمة المصنّف:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبدالواحد بن عبدالمنعم بن عبدالصمد الطرسوسي، نجم الدين، ابن عماد الدين<sup>(١)</sup>، ولد بدمشق سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، ونشأ بها<sup>(٢)</sup>، وتفقه "على علماء عصره، وبرع في الفقه والأصول العربية، وشارك في عدة فنون، وتصدر للإفتاء والتدريس مدة طويلة، ثم ولي قضاء القضاة الحنفية بدمشق، ومُحِّد سيرته مع ملازمته

(١) انظر: أعيان الأعصر وأعيان النصر، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (١/١٠٠)، تحقيق: د. علي أبي زيد، د. نبيل أبو عشمه، د. محمد موعد، د. محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبدالقادر المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م؛ وانظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (١/٤٧)، تحقيق ومراقبة: محمد عبدالمعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الهند، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٢ م؛ وانظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تأليف: يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، أبي المحاسن، جمال الدين (١/١٢٩)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، د. ت؛ وانظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تأليف: أبي الحسنات محمد عبدالحكي اللكنوي الهندي (ص ١٠)، عنى بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، الناشر: طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد إسماعيل، الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ.

(٢) انظر: أعيان الأعصر للصفدي (١/١٠٠)، وانظر: الدرر الكامنة لابن حجر (١/٤٧).

للإقراء والتدريس والتأليف"<sup>(١)</sup>.

له مصنفات كثيرة، منها: "رفع الكلفة عن الإخوان"<sup>(٢)</sup>، و"الإشارات في ضبط المشكلات"، عدة مجلدات<sup>(٣)</sup>، و"الإعلام في مصطلح الشهود والحكام"<sup>(٤)</sup>، و"الاختلافات الواقعة في المصنفات"<sup>(٥)</sup>، و"أنفع الوسائل"، المعروف بـ"الفتاوى الطرسوسية"<sup>(٦)</sup>، و"تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك"<sup>(٧)</sup>، وغيرها.

قال عنه الصفدي رحمته الله في "أعيان العصر": "وكان قاضي القضاة نجم الدين رحمته الله ملء منصبه، بالغاً بحسن سعيه نهاية أمله وغاية مطلبه، نافذ الأحكام والقضايا، عارفاً باستخراج النكت في الوقائع من خبايا الحنايا، عليه تؤدة، وحسن سمت، وله مهابة، وطول صمت، ولم تعد له في مدة ولايته هفوة تتعلق بأحكامه، أو زلة يؤاخذ بها في نقضه وإبرامه، وكان النواب يعظمونه، ويجلّونه ويحترمونه لسعادة نطقه في المحافل، وترفعه في ذرا المعالي عن الأسافل... وكان رئيساً نبيلاً، فيه مكارم وحشمة ورياسة، وقعدة وتؤدة، ولازم الاشتغال وطالع واجتهد،

(١) المنهل الصافي لابن تغري بردي (١/١٢٩).

(٢) انظر: تاج التراجم، تأليف: أبي الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا السوداني، الجمالي الحنفي (ص ٩٠)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م؛ وانظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/٦٢).

(٣) انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص ٩٠)، وانظر: الأعلام للزركلي (١/٥١)، وانظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/٦٢).

(٤) انظر: المنهل الصافي لابن تغري بردي (١/١٣٠)، وانظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص ٩٠)، وانظر: الأعلام للزركلي (١/٥١)، وانظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/٦٢).

(٥) انظر: المنهل الصافي لابن تغري بردي (١/١٣٠)، وانظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص ٩٠)، وانظر: الأعلام للزركلي (١/٥١)، وانظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/٦٢).

(٦) انظر: المنهل الصافي لابن تغري بردي (١/١٣٠)، وانظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص ٩٠).

(٧) انظر: الأعلام للزركلي (١/٥١).

ودأب وتعب" (١).

وقال عنه ابن تغري بردي رَحِمَهُ اللهُ فِي "المنهل الصافي": "كان إماماً مفتياً، ديناً، خيراً، ذكياً، حسن المعاشرة، حلو المحاضرة" (٢).

وفي "سلم الوصول": "وكان وقوراً معظماً في الدولة" (٣).

توفي يوم السبت، وصلي عليه بالجامع الأموي في الرابع من شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة بالمزة، وكانت جنازته حافلة، بها الحكام، والعلماء، والأمراء، وصلى عليه ملك الأمراء - الأمير علاء الدين أمير علي المارديني - إماماً (٤).

## ٢- محتوى الكتاب:

صاغ الطرسوسي كتابه على شكل النوع الأدبي المعروف بمرايا الأمراء - نصيحة الملوك - (٥)، مستهلاً كتابه على طريقتهم بقوله: "وبعد، فإن الله جعل حفظ نظام الأنام بالسلطان، وأدام له الأيام بالقبول في الشريعة والإحسان، ورأيت الواجب في هذا الزمان بذل النصيحة له بقدر الإمكان، بتأليف كتاب يشتمل على فصول تجتمع فيها أنواع مصالح الملك، وما تعتمد عليه الملوك، وبيان طريق يدوم لهم بها الملك بحسن السلوك، ولم أقصد بذلك سوى القيام بهذا الواجب، وحفظ نظام الملك ما رغب في اتباع الشرع من الملوك راغب؛ رجاء أن يلحق بالخلفاء

(١) أعيان العصر للصفدي (١/١٠٠ - ١٠١).

(٢) المنهل الصافي لابن تغري بردي (١/١٣٠).

(٣) سلم الوصول لحاجي خليفة (١/٣٨).

(٤) انظر: أعيان العصر للصفدي (١/١٠٠)، وانظر: الدرر الكامنة لابن حجر (١/٤٧)، وانظر: المنهل الصافي لابن

تغري بردي (١/١٣٠)، وانظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص ٩٠)، وانظر: الفوائد البهية للكنوي (ص ١٠).

(٥) انظر: مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ٢٤).

الراشدين والأئمة المهديين..."<sup>(١)</sup>.

وقد قصد من وراء كتابه إقناع السلطان المملوكي بأن المذهب الحنفي هو الأرفق بقانون السلطنة، والأوفق لمقاصد السياسة الشرعية، وتنقسم الرسالة إلى اثني عشر فصلاً:

**الفصل الأول:** في بيان شرعية ولاية الترك، ولا يشترط أن يكون السلطان مجتهداً ولا قرشياً، وذكر مذهب الشافعي في هذا الفصل في ذلك كله، ويندرج في هذا الفصل مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه بأنه أوفق للترك من مذهب الشافعي رحمته الله، وقد أخذ في سرد عدة مسائل: في الخراج، وسلب القتيل، والضمان في التعزير، وإحياء الموات، وغيرها، وهو في هذا كله يحكي الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي؛ معللاً أن مذهب أبي حنيفة أكثر ملاءمة لسياسة الترك من مذهب الشافعي<sup>(٢)</sup>.

**الفصل الثاني:** في جواز التقليد منهم عند الأحناف خلافاً للشافعي، وهو يعيد ما أصل له في المسألة الأولى، ويؤكد على صحة تقليد العمال منهم بطريق الأولى<sup>(٣)</sup>.

**الفصل الثالث:** في الجواب عن القصص أنه أنواع: ويندرج فيه اعتبار أحوال من تفوض إليه ولاية من الولايات، مثل: نيابة السلطنة وولاية الوزارة والقضاء، وولاية الشرط إلى غير ذلك، وكيفية كل ولاية بحسبها<sup>(٤)</sup>.

**الفصل الرابع:** في كشف أحوال الولاة والدواوين، وما يفعل بالواحد منهم إذا ظهرت منه خيانة، وقد تناول فيه طرق الرقابة على الولاية، وأهمية محاسبة المخالفين<sup>(٥)</sup>.

(١) تحفة الترك للطرسوسي (ص ٦٧ - ٦٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٧١ - ٧٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٧٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٨١ - ١٠٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٣ - ١٠٤).

**الفصل الخامس:** في الكشف عن أحوال القضاة ونوابهم، وبيان ما يستحقه الخائن منهم، وهو قريب من الفصل الذي قبله، ولكنه خص القضاة بنوع امتياز؛ مُرجعاً ذلك إلى شدة التحري وقت اختيارهم، مع ضيق دائرة سلطانهم على المال والعقار التي هي من أسباب فساد الولاية، كما أن اتساع باب الاجتهاد للقضاة مندوحة لهم عن الفساد<sup>(١)</sup>.

**الفصل السادس:** في النظر في أحوال الرعية، والأوقاف، وجهات البر، تناوُل فيه وجوب يقظة الحكام لحاجات الرعية، وتحريم الاحتجاب عنهم، وقد أدرج فيه حديثاً عن الأوقاف عامة، ووقف الجامع الأموي خاصة<sup>(٢)</sup>.

**الفصل السابع:** في النظر في أمر الجسور والقلاع والمساجد والشعور، وجميع ما يتعلق بذلك من مصالح المسلمين، وكسوة الكعبة، وإصلاح طريق الحاج<sup>(٣)</sup>.

**الفصل الثامن:** في صرف أموال بيت المال على اختلاف أنواع وبيان مصارفها، وقد اكتفى فيه بذكر منظومة لجدّه ﷺ، مكونة من ثلاثة عشر بيتاً، أبانت عن مصادر بيت مال المسلمين ومصارفهم<sup>(٤)</sup>.

**الفصل التاسع:** في الأموال التي تؤخذ مصادرةً، وبيان وجه أخذها، ومن يستحق أن تؤخذ منه، وبيان صرفها<sup>(٥)</sup>.

**الفصل العاشر:** في هدايا أهل الحرب للسلطان والأمراء، وهدايا السلطان لهم، وقد أكد على هذه المسألة تأكيداً بليغاً، محذراً السلاطين، وقادة الجيش، من أخذ الهدايا المقدمة للمسلمين،

(١) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٠٥ - ١٠٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١١١ - ١١٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١١٧ - ١١٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١١٩ - ١٢١).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٢٣).

ووجوب ردها إلى بيت مال المسلمين<sup>(١)</sup>.

**الفصل الحادي عشر:** في ذكر أحكام البُغاة والخوارج على السلطان، وقد أجمل موضوعات الباب في عشرة مسائل، هي: الأولى: في تفسير أهل البغي. الثانية: في بيان هل يجوز لنا بدء القتال أم لا نبدأ حتى يبدؤونا. الثالثة: في بيان متى يجوز أن يقاتلوا. الرابعة: في بيان حكم من يؤخذ منهم أنه هل يُقتل أم لا. الخامسة: في بيان ما يُمنع من قتل المأخوذ منهم، وما لا يُمنع. السادسة: في بيان ما يُعمل بأموالهم ونسائهم إذا قدرنا عليهم. السابعة: في بيان حكم من يُقتل منهم في حال القتال هل يُغسل ويُصلى عليه أم لا؟ الثامنة: في بيان حكم من يُقتل من أهل العدل في مُقاتلتهم وهل يُغسل ويصلى عليه أم لا؟ التاسعة: في بيان أنه إذا قتل الباغي أحداً من أهل العدل في حالة القتال ثم ظهر عليهم هل يُقتص للعادل منهم، وهل إذا كان الباغي قد مات أو قتل وترك مالاً هل تُؤخذ دية المقتول العادل من ماله أم لا؟ العاشر: في بيان حكم العادل إذا قتل الباغي<sup>(٢)</sup>.

**الفصل الثاني عشر:** في الجهاد وقسمة الغنائم، والكلام في هذا الفصل في عدة مسائل: أحدها: في بيان وقت وجوبه. الثانية: في الجعائل. الثالثة: في الفرار من الزحف. الرابعة: من يجوز قتله من المشركين ومن لا يجوز. الخامسة: في بيان ما ينتهي به أمر القتال. السادسة: فيما يجب من طاعة الإمام وما لا يجب ويندرج فيه صلاة الخوف. السابعة: في الأمان. الثامنة: في المحاصرين من الكفار إذا طلبوا الإسلام أو عقد الذمة وأبى الإمام. التاسعة: السبايا. العاشرة: في الشهيد وما يصنع به. الحادية عشر: في مفاداة الأسرى بالأسرى. الثانية عشر: الغنائم وكيفية قسمتها<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٢٥ - ١٢٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٢٩ - ١٤٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٤٥ - ١٥٥).

وبهذه الفصول يتم ما أراده المصنف من كتابه، حيث ختم الفصل الثاني عشر بقوله: " وهذا آخر ما قصدته، تم الكتاب، والله أعلم بالصواب"<sup>(١)</sup>، إذ لم يجعل لكتابه خاتمة تلخص مباحث الكتاب.

### ٣- أبرز خصائص الكتاب:

على الرغم من صغر حجم كتاب "تحفة الترك" إلا أنه يعد أهم كتب المناصحة عند الأحناف على وجه الخصوص، ومن قلائل الكتب التي امتازت بوضوحها، وواقعيتها، وترتيبها الخاص بين سائر كتب الآداب السلطانية عموماً، ولا شك أن هذا الامتياز كان نتيجة لعدة عوامل وأسباب تعود إلى مكانة المصنف، وظرفه التاريخي، والاجتماعي، والسياسي، فالمصنف فقيه حنفي، اشتغل بالتدريس والفتوى، وولي في الدولة منصب قاضي القضاة، كما اتصل بحكام المماليك في زمنه، وقد أفصح عنوان كتابه "تحفة الترك" الذي يشير فيه إلى الأصل العرقي لحكام زمانه، عن العنصر الموضوعي الذي سبقت منهجية الكتاب عليه.

لا بد من الإشارة إلى أمر مهم يُعدّ فهمه شرطاً لاستيعاب مضامين هذا الكتاب، وإدراك مراميّه، ومقاصده، فرغم حرص المؤلف - من حيث الشكل - على اتباع تقليد كتب مرايا الأمراء - نصائح الملوك -، إلا أنه دخل في جدل فقهي مع الشافعية في مسألة شديدة الحساسية، وهي مدى مشروعية ولاية المماليك - الترك -<sup>(٢)</sup>، حيث جعل موضوعها أول فصول كتابه<sup>(٣)</sup>، كما أنه أطنب في مقارنته الفقهية مع الشافعية لمسائل متعلقة بالقضاء، وتدير الأموال؛ ليثبت من خلالها أنّ مذهب الأحناف أوفق وأولى من مذهب الشافعية لدولة المماليك<sup>(٤)</sup>.

(١) تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٥٥).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧، ٢٦، ٣١).

(٣) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧١).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٧١ - ٧٩).

عزم السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة: ٦٦٠هـ على تعيين أربعة قضاة للمذاهب السنية الأربعة بمدينة القاهرة<sup>(١)</sup>، ثم قام بتعميمه بعد أشهر على سائر سلطنة المماليك في مصر والشام<sup>(٢)</sup>، "على الرغم من أن هذه المذاهب لم تكن على نفس الدرجة من الانتشار بين الناس بمصر والشام، فقد كان الشافعية هم الكثرة الساحقة بمصر والشام، مع قلة من المالكية بمصر، وقلة من الحنابلة بدمشق، وقلة من الحنفية بالقاهرة ودمشق"<sup>(٣)</sup>، ويُرجع بعض الباحثين سبب ذلك إلى أن القاهرة تحولت بعد موقعة عين جالوت ضد التتار عام ٦٥٨هـ وانتقال الخلافة العباسية إليها عام ٦٥٩هـ إلى عاصمة لدار الإسلام<sup>(٤)</sup>، وصار السلطان المملوكي سلطاناً للإسلام والمسلمين<sup>(٥)</sup>، وهذا الفهم عند الحكام المماليك مع مصاحبته لمواجهة الصليبيين والتتر كان وراء تعيين القضاة من المذاهب الأربعة؛ ليحصل بذلك توحيد صف المسلمين؛ إذ كانت هذه المذاهب في وقت الأزمة والتحدي الحربي مراكز للتضامن والاتحاد والاجتماع<sup>(٦)</sup>، خاصة و"أن شيوخ المذاهب وفقهاءها صاروا الحماة للشريعة والمولجين بتأويلها، وتمثيلها في المجتمع والدولة"<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (١١٩/٢).

(٢) انظر: صبح الأعشى للقلقشندي (٤٧٧/١)، وانظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (١١٩/٢)، وانظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (٦٩/٦، ١٠٤).

(٣) مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٧).

(٤) انظر: دولة سلاطين المماليك في مصر، تأليف: أيمن فؤاد سيد (ص ٩٩)، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ٢٠٢٠م.

(٥) يقول العمري عن دولة المماليك: "مملكة مصر والشام والحجاز، وتلك عمود الإسلام وفسطاط الدين". مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تأليف: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (٢٨/٣)، الناشر: الجمع الثقافي، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

(٦) انظر: مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٩).

(٧) مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٩).

ومع تقاسم المذاهب الأربعة لمنصب القضاء، والتعليم، والفتيا، والحسبة، والتدريس، والوعظ، والإرشاد، إلا أنَّ المذهب الشافعي الذي كان الغالب بكثرة الاتباع قد حُصَّ قضاياه بالنظر في الأوقاف وأموال الأيتام، وبعض الامتيازات الأخرى<sup>(١)</sup>، الأمر الذي ترك تنافساً مع الأحناف الذين كانوا يرون لهم الأولوية في ذلك، خاصة وأنَّ "رجال السلطنة منذ ظهور السلاجقة كانوا أحنافاً فيما عدا صلاح الدين الأيوبي الذي كان شافعي المذهب"<sup>(٢)</sup>، وقد برز عند المصنف وقتها فكرة تحويل المذهب الحنفي إلى مذهب رسمي للدولة في القضاء والفتيا، فعرض في كتابه ما يمتاز به المذهب الحنفي عن المذهب الشافعي، ولم يشر فيه إلى مذهب المالكية والحنابلة؛ لقلّة أعداد أتباعهم بمصر والشام، فكتب وقتها رسالته "تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك" في منتصف القرن الثامن الهجري، محاولاً فيها إقناع السلطان المملوكي بتحويل المذهب الحنفي إلى نظام للدولة، وتأخير المذاهب الثلاثة الأخرى، باعتبار أن المالك أحناف، وأن المذهب الحنفي هو الأوفق للسلطنة والسلطان<sup>(٣)</sup>.

وبعد هذه التّقدمة التي توضح الأمور المؤثرة في مقاصد هذا الكتاب، فإنَّ أبرز الخصائص والسمات التي حملها الكتاب ما يأتي:

- ١- اتسم هذا الكتاب بسمة التأسيس والابتكار، حيث إنَّ المذهب الحنفي - كما تقدم في تمهيد البحث - كان مقلداً من التصنيف في السياسة الشرعية عموماً وفي الآداب السلطانية على وجه الخصوص، حيث لم يسبق الطرسوسي من الأحناف - على حد علم الباحث - إلا كتاب "الجلس الصالح" لسبط ابن الجوزي الذي احتذى فيه بخطى ابن

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (٦/١٠٨).

(٢) مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ٢٨)، وانظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (٧/٨١).

(٣) انظر: مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ٢١، ٥٣).

الجوزي الجد في كتابيه "الشفاء" و"المصباح المضيء"، يقول رضوان السيد: "فربما كان التأسيس لهذا النوع من التأليف لدى الحنفية من بين أهداف الطرسوسي في كتابه، وإن تكن النزعة الجدلية قد أبعدهت عن ذلك الهدف بعض الشيء"<sup>(١)</sup>.

٢- يظهر كتاب "تحفة الترك" في الإطار العام لمناصرة أئمة المسلمين على أنه يمثل طوراً من أطوارها، انتهج المصنف فيه نهجاً جديداً، قوامه الفهم المدرك لظروف المرحلة التاريخية التي يعيشها، وتركيبها الاجتماعي، والإحاطة بحال القائمين على الدولة، وأسلوبهم في إدارة دفة الحكم وتسيير شؤون البلاد، مع استغلال احتفائهم الكبير بالعلماء والفقهاء ليقدم لهم مقترحاً يصلح أمر الحكم؛ ولذا عالج في كتابه مسائل المال التي كانت تهم الدولة والمجتمع في زمانه<sup>(٢)</sup>.

٣- تغلب النزعة العملية على الطرسوسي في كل ما كتبه في التحفة، فهو يقصد مباشرة الأمر الذي يروم معالجته؛ ولذا لم يبرز في جانب الترتيب والتنظير<sup>(٣)</sup>.

٤- مع أن الطرسوسي قد نظم كتابه من حيث الشكل على طريقة كتب المناصحة - مرايا الأمراء - إلا أنه في المضمون شابه ثلاثة تخصصات علمية وهي: الأحكام السلطانية، وكتب اختلاف الفقهاء، وكتب السياسة الشرعية التي عرفت في العصر المملوكي، مثل: كتاب "السياسة الشرعية" لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ و"مفيد النعم" للسبكي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٤)</sup>، وهذا راجع إلى التخصص العلمي والموضع الوظيفي للمؤلف، مع هيمنة الغاية التي

(١) مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ٥٥).

(٢) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧٢ - ٧٥، ٧٦ - ٧٧، ٨٨، ١١٢، ١١٦، ١١٩ - ١٢١، ١٢٣ - ١٢٨)،

وانظر: مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧، ٤٢).

(٣) انظر: مقدمة تحقيق ودراسة رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ٥٥).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٦).

يشهدها كتابه؛ إذ إن محاولته في إقناع الخليفة المملوكي باعتماد المذهب الحنفي ألجأه إلى الجدل الفقهي مع الشافعية المنافسين لمذهبهم، مع إبقائه على النصح للسلطان والدعوة إلى الإصلاح.

٥- خلو الكتاب من الخطاب الوجداني، حيث يأخذ الأسلوب الجدلي والإقناع العقلي، وكذا العرض العلمي الصرف، طريقة الكتاب برمته، ومن ذلك إبرازه للمصالح المادية، والمعنوية التي يحققها السلطان في تقرير المذهب الحنفي، سياسة، واقتصاداً، واجتماعاً، وحرماً، وسلاماً، وهذا في كل الكتاب.

٦- يُقدم الطرسوسي في كتابه تأصيلاً إدارياً للرقابة الإدارية في الإسلام، حيث يعقد لذلك فصلين: الفصل الرابع "في كشف أحوال الولاة والدواوين وما يفعل بواحد منهم إذا ظهرت عليه خيانة"<sup>(١)</sup>، والفصل الخامس "في الكشف عن القضاة ونوابهم وبيان ما يستحقه الخائن منهم"<sup>(٢)</sup>، وهذا أمر امتاز به الكتاب عن سائر كتب المناصحة.

هذا مجمل ما وقفت عليه الدراسة من خصائص الكتاب، ويعد الباحث هذا المصنف على اختصاره من أبرز كتب المناصحة التي خرجت عن طوق التقليد والنقل الذي يظهر في غالبها.

ثانياً: كتاب "الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء":

أُلف كتاب "الدرة الغراء" إبان العصر المملوكي، حيث شهد هذا الزمن وما قبله حركة علمية تعليمية قام بها الفقهاء لتثقيف الترك من السلاجقة والمماليك بشؤون الحكم والسياسة بالشرع<sup>(٣)</sup>.

(١) تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٠٣).

(٢) المصدر السابق (ص ١٠٥).

(٣) انظر: دوافع التأليف في كتب أدب الملوك لنوفل محمد نوري (ص ٨٦ - ٩١)، وانظر: دولة المماليك في مصر

لأيمن فؤاد (ص ٩٩ - ١٠١)، وانظر: مقدمة تحقيق ودراسة أحمد الزعبي على الدرة الغراء للخرميتي (ص ٩).

ويعد هذا الكتاب من مشاركات فقهاء الأحناف بعد عمل الطرسوسي في كتابه "تحفة الترك"، حيث قدم الخرمي كتابه إلى السلطان المملوكي أبي سعيد جقمق سنة (٨٤٣هـ)، وقد تزامن مع إخراج هذا المصنف كتاب آخر للأحناف، وهو كتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" لابن عربشاه (ت ٨٥٤هـ)، وهذا الكتاب على الطريقة الرمزية التي يحاكي فيها كتاب "كليلة ودمنة" على لسان الحيوان.

وتتناول الدراسة هذا العنصر من خلال المحاور الآتية:

#### ١- ترجمة المصنف:

لم أقف على ترجمة وافية للمصنف ف"قليلة هي المصادر التي ألمحت إلى محمود بن إسماعيل الخرمي، أو إلى درته الغراء"<sup>(١)</sup>؛ إذ لا يوجد بين المصادر التاريخية وكتب التراجم والفهارس نبذة عنه سوى إشارات قليلة، وبعبارات متكررة، كما أن المؤلف لم يترجم لنفسه صنيع بعض المصنفين، "ولم يذكره مصنفو تلك المرحلة على وفرة مصنفاتهم في التراجم والأعلام، ومن المستغرب أن السخاوي لم يذكره في الضوء اللامع، مع أنه استوفى ترجمة موسعة للسلطان أبي سعيد جقمق، الذي كان للخرمي صلة به وببلاطه"<sup>(٢)</sup>، وعلى كل حال فإن المعلومات التي تورخ له وتعرف به قليلة ولا تفي بغرض البحث<sup>(٣)</sup>.

وتذكر الدراسة في هذا المقام ما توصلت إليه من قليل الإشارات المبثوثة في الكتب:

(١) مقدمة تحقيق ودراسة أحمد الزعبي على الدرّة الغراء للخرمي (ص ٤٨).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٨).

(٣) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (٣/٧١)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت؛ وانظر: الأعلام للزركلي (١٦٦/٧).

نسبه: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن ميكائيل "الخرميتي"<sup>(١)</sup>، أو "الخيريبيتي"<sup>(٢)</sup>،  
"الأشعري، الحنفي"<sup>(٣)</sup>.

لم تذكر كتب التراجم سنة ولادته ولا وفاته، وما يُعلم أنه كان حياً سنة (٨٤٣هـ) في الزمن  
الذي قدم فيه كتابه للسلطان<sup>(٤)</sup>.

أما عن أقوال المترجمين له:

فقال الزركلي رحمته الله عنه: "باحث، كان على اتصال بالملك الظاهر جقمق العلائي، ملك  
مصر، وألف له كتاباً سماه "الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء"<sup>(٥)</sup>.

ووصفه صاحب "معجم المؤلفين" بأنه: فاضل<sup>(٦)</sup>.

## ٢- محتوى الكتاب:

أصل المصنّف رسالة في المناصحة أرسلها الخرميتي إلى السلطان المملوكي أبي سعيد  
جقمق رحمته الله (ت ٨٥٧هـ)، يبين له فيها مسائل تتعلق بالإمامة والسياسة الشرعية، والأخلاق،  
وبعض المسائل الفقهية، يقول في سبب تأليفه للكتاب: "أردت أن أجمع لخزانتة الطاهرة نسخة  
شريفة مشتملة بضبط قواعد السلاطين، والقضاة، والأمراء، والوزراء، والولاة، ومما لا بد منه

(١) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٥٢/١٢).

(٢) الأعلام للزركلي (١٦٦/٧).

(٣) مقدمة تحقيق ودراسة أحمد الزعبي على الدرة الغراء للخرميتي (ص ٤٩).

(٤) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (١/٧٤١)، وانظر: هدية العارفين للباباني (٦/٤١١)، وانظر: معجم

المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٥٢/١٢)، وانظر: الأعلام للزركلي (١٦٦/٧).

(٥) الأعلام للزركلي (١٦٦/٧).

(٦) انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٥٢/١٢).

للناس من المسائل الشرعية"<sup>(١)</sup>.

والكتاب مقسم على عشرة أبواب، جاءت على النحو الآتي:

**الباب الأول: في الإمامة:** تناول فيه مسائل الإمامة، ومكانتها، وأهميتها، والحاجة إليها، وما يبنى على ذلك من صلاح أمر الناس في معاشهم، ودينهم، وما يكون عليهم من الشرور، والضرر بفواتها<sup>(٢)</sup>.

**الباب الثاني: في شروط الإمامة:** ويقسم الخرميتي في هذا الباب شروطها إلى شرط لازم، وهو ما لا تنعقد الإمامة إلا به، وشرط كمال، ثم يتطرق المؤلف إلى اختلاف المذاهب حول هذه الشروط، وطرق انعقاد الإمامة<sup>(٣)</sup>.

**الباب الثالث: في حكم الإمامة:** وقد أصل هذا الباب على قوله ﷺ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>، مستنبطاً منه عشرة أحكام، هي قواعد الإمامة - كما يراها المصنف -، وهذا الباب فيه حشدٌ كثير للنصوص، والآثار، والحكم المنقولة عن أدبيات فارس واليونان والهند، كما هي صيغة الكتابة السلطانية<sup>(٥)</sup>.

**الباب الرابع: في قواعد الإمامة وأحوالها:** وهي قواعد تتعلق بذات السلطان وعلاقته مع ربه ﷻ ومع رعيته، وفيه ركز المصنف على قيمة العدل<sup>(٦)</sup>.

**الباب الخامس: في الوزارة،** تحدث فيه عن أهمية الوزارة، وعن أخلاق الوزير ومنزلته من

(١) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٨٥ - ٨٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٨٩ - ٩٣).

(٣) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٩٥ - ١٠٨).

(٤) سورة ص، الآية (٢٦).

(٥) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ١٠٩ - ١٥٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ١٥٣ - ١٩٦).

السلطان، وقد اختصر القول فيه اختصاراً كثيراً<sup>(١)</sup>.

الباب السادس: في قواعد الأجناد: تناول فيه قواعد الجند وأدابهم، وجعل مدخل الباب خطورة خدمة السلاطين وجسامة أمره، موصياً من تحمل هذه الأمانة بأمر، جعلها قواعد للباب<sup>(٢)</sup>.

الباب السابع: في المسائل الشرعية المتعلقة بالأمر والسلاطين: وقد تحدث فيه عن المسائل الشرعية المتعلقة بالقضاة وشروط توليتهم، ثم تطرق إلى أحكام البغاة والخارجين، وختمه بالحديث عن شرائط الجمعة، وذكر أحكام الجزية ومصارفها<sup>(٣)</sup>.

الباب الثامن: في الحيل الشرعية: وتناول فيه المخارج الفقهية التي يخرج بها الفقيه عن الحرام، يقول في أوله: "الهرب من الحرام والتخلص منه حسن، قال تعالى: ﴿وَحَذِّبْ يَدَكَ ضِعْفًا﴾"<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>، ثم أخذ في سرد المسائل مقرونة بالمخرج الشرعي كما يراه المصنف<sup>(٦)</sup>.

الباب التاسع: في تنبيه المجيب من المسائل الشرعية: وهو باب مائع في تدريب المجتهد على فقه الفتوى<sup>(٧)</sup>.

ثم يختم الخرمي كتابه بباب وسمه "في المسائل المتفرقة" وهو عبارة عن مسائل متفرقة في الطهارة، والصلاة، وأحكام المساجد، ثم عاد على بدء، فختم كتابه بموعظة في التزوّد لدار

(١) انظر: الدرّة الغراء للخرمي (ص ١٩٧ - ٢٢٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٥ - ٢٤٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤١ - ٢٨٢).

(٤) سورة ص، الآية (٤٤).

(٥) الدرّة الغراء للخرمي (ص ٢٨٣).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٢٨٣ - ٢٩١).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٢٩٣ - ٣١٣).

الرحيل والزهد في الدنيا<sup>(١)</sup>.

٣- أبرز خصائص الكتاب:

قدم الخرميني كتابه للملك الظاهر أبي سعيد جقمق، وأبو سعيد هذا هو الرابع والثلاثون من ملوك الترك<sup>(٢)</sup>، وإذا كان التأليف في مناصحة الأئمة في الجملة ذا سمة عامة وخصائص مشتركة؛ فإنه يتميز في كل عصر من عصوره ببعض السمات التي تضعه في السياق التاريخي الذي كتب فيه<sup>(٣)</sup>؛ ولذا من المهم أن يُعلم أن المقصود بهذه الرسالة "كان ملكاً عظيماً، ديناً، متواضعاً، كريماً، هدأت البلاد في أيامه من الفتن، وكان فصيح اللسان، متفهماً له مسائل في الفقه عويصة يرجع إليه فيها"<sup>(٤)</sup>.

وقد أثر ذلك جلياً في طريقة عرض الخرميني، وتبويبه، ومحتوى كتابه، وتعرض الدراسة أبرز خصائص هذا الكتاب وسماته التي امتاز بها عن غيره من مصنفات المناصحة، وهي كما يلي:

١- يُدرجُ كتاب الخرميني ضمن كتب نصائح الملوك - مرايا الأمراء - التي أنتجها الفقهاء بعد طور التصحيح طور الماوردي رحمته الله، وهي ظاهرة لا تخص الخرميني فحسب، فكتاب "آثار الأول" للحسن العباسي رحمته الله، و"العقد الفريد" لابن طلحة رحمته الله، و"مفيد النعم ومبيد النقم" للسبكي رحمته الله كلها على هذا المنوال، ولكن على تفاوت يحافظ على الخصوصية والامتياز بينها، فكتاب "تحفة الترك" - على سبيل المثال - جاء خالي الوفاض من أساليب

(١) انظر: الدرّة الغراء للخرميني (ص ٣١٥ - ٣٣٩).

(٢) انظر: المنهل الصافي لابن تغري بردي (٤/ ٢٧٥)، وانظر: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تأليف: يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، أبي المحاسن جمال الدين (٢/ ١٨٥)، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز أحمد، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.

(٣) انظر: مقدمة رضوان السيد على الدرّة الغراء للخرميني (ص ٧).

(٤) بدائع الزهور في وقائع الزهور، تأليف: ابن إياس الحنفي (٢/ ٢٤)، د. ط، طبعة مصر ١٣١١ هـ.

الوعظ والتذكير، والقصص والأمثال، سوى الإشارة في مقدمة الكتاب، على خلاف ما عليه الخرميتي في "الدرة الغراء"، الذي مزج بين الوعظ، والحكمة، والقصة، والمثل الفارسي، مع الأفراد الفقهي المجرد من هذه المحتوى، وهو ما يُسمى عند المتخصصين بدراسة هذا المجال بالمرجعية الجامعة، يقول أ. د. رضوان السيد: "تبين لي أن كتاب الخرميتي هذا لا ينتمي بكلية إلى ذلك الفن الكلاسيكي الذي شارك في العمل فيه، وعليه المئات من كتاب الديوان والفقهاء والوعاظ والمتأدين طول حوالي العشرة قرون، فالكتاب في بُنيته هو من كتب الأحكام السلطانية؛ لأنه يبدأ باب الإمامة، فيفصل فيه أكثر مما فعلته الكتب السابقة من هذا النوع، بما في ذلك كتاب الماوردي الشهير، ثم يثني بذكر الوزارة، وأنواعها، وصلاحتها، كما فعل الماوردي رحمته الله في "الأحكام السلطانية" و"قوانين الوزارة وسياسة الملك". ثم يفترق عن كتب الأحكام السلطانية في أبوابه الأخيرة بالانصراف إلى تعليم القضاة المبتدئين، والمحاسبين، ومحبي الفتاوى، والمتأدين، من طريق إيراد مسائل كثيرة على أبواب الفقه، وذكر آراء الفقهاء والمفتين فيها، مع تقديم آراء أبي حنيفة وأصحابه، وفقهاء مدرسته حتى القرن السابع الهجري، وهو يحشو الأبواب الأولى من الكتاب، والخاصة بالإمامة والوزارة بالكثير من الآيات القرآنية، والأحاديث، والقصص، والأمثال السائرة، شأن ما يفعله كتب النصائح ومرايا الأمراء في الرسائل المعروفة بهذا الاسم، أما الأبواب الأخيرة المخصصة للآراء والفتاوى الفقهية فهي خالية من ذلك الحشو البياني؛ ولذا فقد ترجح لدي أن كتاب الخرميتي هو مزيج من جنسين أو نوعين: الأحكام السلطانية، وكتب الفتاوى التعليمية؛ ولذا فإن المعنى بالنصيحة في العنوان ليس الوعظ، بل هو التعليم والإرشاد، وللسلاطين كما لغيرهم من شدة الثقافة الفقهية، أما الشبه بنوع أو جنس مرايا الأمراء فإنه لا يتجاوز ذلك الحشو من الأقوال

والأمثال والعبر الواردة في أبواب الإمامة والوزارة"<sup>(١)</sup>.

ويرى الباحث أن الكتاب كتاب وعظ وأخلاق على الحقيقة، شأنه شأن كتب المناصحة ومرايا الأمراء، ولكنه بقلم الفقيه، فإن الفقهاء لم يكونوا مطمئنين غاية الاطمئنان إلى هذا النوع من الكتابة المنقولة عن الإرث الفارسي أو اليوناني<sup>(٢)</sup>؛ ولذا كتبوا فيه بالتجريد والاحتراز، أما ما يُثبت وجود المعظة وموضوع الأخلاق فيه فهذا أبين من أن يدل عليه، فقد مدّ القول في الباب الثالث من كتابه بوعظ السلطان في قضية العدل، حاشداً فيه الأدلة، والقصص، والحكم، كما يفعله كتاب نصائح الملوك<sup>(٣)</sup>، ثم أعاد عليه الكرة في خاتمة الكتاب<sup>(٤)</sup>.

وإن مما يدل على النفس الوعظي عنده هو النقل الكثير عن "التبر المسبوك" و"سراج الملوك" في مواضع كثيرة من كتابه<sup>(٥)</sup>.

وإنّ ما يمكن قوله فيه: إن موضوعات الأحكام السلطانية، وكتب السياسة الشرعية، وموضوعات مرايا الأمراء مجتمعة "تحضر بنسب متفاوتة في الرسالة، وهو ما يعطيها ميزات خاصة من بين مصنفات تلك المرحلة، وتلاقٍ ضمّني معها في الشكل أو المضمون"<sup>(٦)</sup>.

٢- ما يميز الكتاب أيضاً محورية موضوعاته، والتزام المصنف بمنهجية دقيقة موصلة إلى

(١) مقدمة رضوان السيد على الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٧-٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٩).

(٣) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ١٠٩-١٥٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٣٣٦-٣٣٨).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٩٧، ١١١، ١١٣، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧،

١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٧، ١٦٨).

(٦) مقدمة تحقيق ودراسة أحمد الزعبي على الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٦٢).

الهدف، "فموضوعه يتمركز حول السلطة وآداب التعامل السياسي، ومادته تنحصر في مجموعة وصايا أخلاقية، ونصائح وإرشادات سياسية عملية يزود المؤلف بها السلطان ويعلمه كيف يحكم"<sup>(١)</sup>.

كما أن عنوان الكتاب يُعدُّ ضابطاً دقيقاً للمستهدفين من النصح، فقد نص في عنوانه على أن النصح موجه إلى السلاطين، والقضاة، والأمراء، فجاءت الموضوعات خادمة لهذا المراد، حيث خصص باباً "في كيفية حكم الإمام"<sup>(٢)</sup>، وباباً "في قواعد الإمامة وأحوالها"<sup>(٣)</sup>، وباباً "في المسائل الشرعية المتعلقة بالقضاة والسلاطين والأمراء"<sup>(٤)</sup>، وعقد فصلاً "في كيفية جلوس القاضي للقضاء"<sup>(٥)</sup>.

ولم تقف الدراسة على كتب مماثلة في المناصحة جمعت هذه الفئات الثلاث، مع الاستيفاء الموضوعي لكل طبقة منها.

٣- عند معرفة المقصود بالمناصحة، يزول عن القارئ الاستغراب من إدراج المؤلف لباب "في الحيل الشرعية"، وباب "في تبين المجيب من المسائل الشرعية"، وباب "في مسائل متفرقة"، فالسلطان جقمق كان فقيهاً، له "مسائل في الفقه عويصة يرجع إليه فيها"<sup>(٦)</sup>، وأبين من ذلك حاجة القضاة إلى تلك المسائل وهم من جملة المقصودين؛ وهذا يدخل في مسألة مراعاة حال المدعو، والحضور المستوعب لمتطلبات الزمان والعصر، وهو أمر قد أعرب عنه المصنف في مقدمته حين قال عن رسالته: "مشملة بضبط قواعد

(١) مقدمة تحقيق ودراسة أحمد الزعبي على الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٦١).

(٢) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ١٠٩).

(٣) المصدر السابق (ص ١٥٣).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٤١).

(٥) المصدر السابق (ص ٢٤٨).

(٦) بدائع الزهور لابن إياس (٢/ ٢٤).

السلطين، والقضاة، والأمراء، والوزراء، والولاة، ومما لا بد منه للناس من المسائل الشرعية من الملتقط والمشكلات والواقعات"<sup>(١)</sup>.

٤- تظهر نصوص الكتاب حماسة ممزوجة بالحرص على السلطان وسلطته، ففي عدة مواضع في الكتاب يبدو المؤلف واعظاً محذراً للسلطان من الوقوع في المعصية، ومن اتباع الهوى في الحكم، أو الاستماع إلى علماء السوء ووسوساتهم"<sup>(٢)</sup>.

٥- ظهور الأمانة العلمية عند المصنف، وقد ذيل الكتاب بقوله: "المذكور في هذا الكتاب على أنواع، ما هو متعلق بالقرآن فهو مأخوذ من تفسير "معالم التنزيل" ومن تفسير "زاد المسير" ومن تفسير أبي الليث السمرقندي، وما يتعلق بالمسائل الشرعية فهو مأخوذ من "الفتاوى الكبرى" للتجارى، ومن "فتاوى الواقعات"، ومن "فتاوى المنية"، ومن "فتاوى الملتقط"، وما يتعلق بالملوك والسلطين، والأمراء، والوزراء، فهو مأخوذ من الأحاديث المسندة، والآثار المرويات من الثقات، ومن كتاب "إحياء علوم الدين" ومن التواريخ المعتمد عليها، رحمة الله على مؤلفيهم رحمة واسعة"<sup>(٣)</sup>.

٦- من الخصائص الظاهرة في الكتاب: أنه كتاب تعليم للأمراء والقضاة وسائر الناس، حيث خصص باباً كاملاً للمسائل الشرعية المتعلقة بالقضاة والسلطين والأمراء، وصدرها بنصوص تحث على طلب العلم والازدياد منه"<sup>(٤)</sup>، كما عقد باباً كاملاً عنون له بـ "في تنبيه المجيب من المسائل الشرعية"<sup>(٥)</sup>، وهو باب في تدريب المفتي على فقه

(١) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٨٥ - ٨٦).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق ودراسة أحمد الزعبي على الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٦١)، وانظر: الدرّة الغراء للخرميتي (١٤٣ - ١٤٨).

(٣) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٣٣٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤١ - ٢٤٧).

(٥) المصدر السابق (ص ٢٩٣).

الفتوى، وتوضيح القواعد التي يتم بها استكمال تكييف المسائل عرضاً وجواباً<sup>(١)</sup>، وختم كتابه بمسائل متفرقة مما تعم به البلوى في زمانه، وتقرضه حاجة الناس إليها<sup>(٢)</sup>.

٧- في هذا الكتاب نص فقهي سياسي حنفي، "جاء ليسد النقص الحاصل في مصنفات فقهاء الحنفية السياسية، وبكونه جمع بين نوعي الكتابة السياسية، والأحكام السلطانية ومرايا الأمراء في أبوابه ومباحثه"<sup>(٣)</sup>.

هذه مجمل أبرز خصائص كتاب "الدرة الغراء"، التي امتاز بها عن غيره من المصنفات، والتي ساعدت في محدداتها واقعية المصنف ومكنته، مع حسن اتصاله بولاية أمره.

وبناء على ما تقدم فإن الباحث يخلص إلى ما يأتي:

١- لا يفارق الأحناف غيرهم من المصنفين في مناصحة الملوك في الجملة، فهم كغيرهم من الكاتبين في هذا الباب، ينطلقون من السمة الغالبة لهذا الفن نحو الهدف المحدد عند جميعهم، وإنما يكون التمايز والاختلاف عند كل مصنف بحسبه، باعتبار ظرفه الزماني، والمكاني، والسياسي، والاجتماعي، وكذا تخصصه العلمي، وموقعه الوظيفي.

٢- يُعدّ الأحناف من المقلين في مؤلفات السياسة الشرعية عموماً، وفي الآداب السلطانية - نصيحة الملوك - على وجه الخصوص؛ لأن فريضة المناصحة مسؤولية عالم الأمة، لا تفتقر إلى مذهب العالم، فهي من فروض الكفاية، متى قام بها عالم أو فقيه حملها عن الباقيين.

٣- يُعدّ كتابا "تحفة الترك" و"الدرة الغراء" أهم كتب الأحناف في مجال مناصحة أئمة المسلمين، وقد صدرا من فقيهين حنفيين اتصلا بالبلاط السلطاني، وقد امتاز الأول

(١) انظر: الدرة الغراء للخرميتي (٢٩٣ - ٣١٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٣١٥ - ٣٤٢).

(٣) مقدمة تحقيق ودراسة أحمد الزعبي على الدرة الغراء للخرميتي (ص ٦٤).

بالتأسيس للكتابة الحنفية في هذا الباب، وجاء الثاني مكماً له بعد ثمانين عاماً تقريباً.

٤- امتاز كتاب "تحفة الترك" بالعرض الفقهي العقلي الجدلي الخالي من الأسلوب الوجداني الوعظي، وغلبت عليه النزعة العملية التطبيقية الواقعية، فمؤلفه يروم هدفاً محدداً وإن لم يفصح عنه في مقدمة كتابه، وهو جمع الأمة تحت مذهب واحد؛ لأن هذا - من وجهة نظره - أبعد لها عن الافتراق الذي قد ينتج التعصب المذهبي، أما "الدرة الغراء" فقد جاء على صيغة عامة كتب المناصحة ذات المرجعية المركبة، ممتازاً عنها بخصائص وسمات، صاغت الخلفية الفقهية، ومعاصرة الأحداث والظروف التي تعايش معها المصنف وعاشها.

## المبحث الثاني

### مصنفات المالكية في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها

ارتبط تصنيف المالكية في مجال المناصحة مع انتقال هذا الفن الكتابي إلى بلاد المغرب منذ منتصف القرن الخامس الهجري كما تقدم<sup>(١)</sup>، فكانت باكورة الكتابة فيه عند المالكية مع الفقيه الأديب المالكي أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني رحمته الله في مؤلفه "الإشارة إلى أدب الإمارة" الذي أفادت منه "كل رسائل الفكر السياسي المغربي والأندلسي حتى القرن العاشر الهجري"<sup>(٢)</sup>.

لقد قدّم المغاربة المالكيون في "مناصحة أئمة المسلمين" كتباً ذائعة الصيت، ثقيلة الوزن، وحسبهم أن يكون كتاب "سراج الملوك" للطرطوشي رحمته الله، وكتاب "الشهب اللامعة" لابن رضوان المالقي رحمته الله، وكتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق رحمته الله من جملة مصنفاتهم، وهذا التنوع في تخصص المؤلفين ساعدهم على مشاكلة الكتاب في هذا الباب منذ زمن ابن المقفع، فالمصنفون من أهل المغرب قد انبروا لهذه الكتابة من كل طبقة وفن، فكتب فيه الملوك، كما فعل أبو حمو الزياني رحمته الله في "واسطة السلوك" والوزراء، والمؤرخون، كما صنع ابن الخطيب رحمته الله في "الإشارة إلى أدب الوزارة"، والأدباء كما يبدو عند ابن هذيل رحمته الله في "عين الأدب والسياسة"، وكذا القضاة والفقهاء، وهو عمل الطرطوشي وابن رضوان وابن الأزرق وابن ظفر الصقلي الذي أظهرها في أديباته<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الباب الأول، الفصل الثاني، المبحث الأول، المطلب الثالث: السياق التاريخي للتأليف في مناصحة أئمة

المسلمين وتطوره في بلاد المغرب (ص ٣٠٢) من هذه الرسالة.

(٢) مقدمة تحقيق رضوان السيد على الإشارة إلى أدب الإمارة (ص ٧).

(٣) من الأمور التي دعمت التصنيف عند المالكية في هذا السياق هو دعم السلطان في المغرب الإسلامي لمذهبهم،

ولا شك أن من أسباب انتشار المذاهب مساندة الدولة لها، يقول ابن حزم رحمته الله: "مذهبان انتشرا في بدء أمرهما

وتقتصر الدراسة على ذكر نموذجين من نماذج كتب المالكية في مجال مناصحة أئمة المسلمين

على النحو الآتي:

### أولاً: كتاب "سراج الملوك":

ليس هناك خلاف بين القارئین لهذه الكتب على مركزية هذا الكتاب وعظم منزلته في مجاله<sup>(١)</sup>، فكتاب "سراج الملوك" للطرطوشي أضحى من مصادر كتب المناصحة الكبرى التي ينقل منها ويعول عليها، ليس عند المالكية فحسب، بل عند جميع المشتغلين بهذا المجال من داخل المذاهب الفقهية الأربعة، ومن خارجها<sup>(٢)</sup>، وهو منقبة من مناقب الطرطوشي رحمته الله التي شهدت بفضل علمه وإصلاحه، "وكفى به دليلاً على فضله"<sup>(٣)</sup>.

وتعرض الدراسة في هذا المقام ترجمة المؤلف، والمحاور الكبرى لمحتوى الكتاب، مع

---

الرئاسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة، فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية، فكان لا يولي إلا أصحابه والمتسبين إلى مذهبه، ومذهب مالك عندنا بالأندلس، فإنه يحيى بن يحيى كن مكيناً عند السلطان، مقبول القول في القضاة، وكان لا يولي قاضياً في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به". نفع الطيب للمقري (٢/١٠)، وانظر: الفقه السياسي عند المالكية في الغرب الإسلامي، تأليف: د. عماد المرزوق (ص ٢٢٠ - ٢٢١)، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

(١) انظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (٢٤٢).

(٢) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١١-١٢).

(٣) شجرة النور الزكية، تأليف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١/١٨٤)، علق عليه: عبدالمجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م؛ وانظر: مجاني الأدب في حقائق العرب، تأليف: زرق الله بن يوسف بن عبدالمسيح بن يعقوب شيخو (٥/٢٨٦)، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت - لبنان، د. ط ١٩١٣م.

الوقوف على أبرز خصائصه فيما يأتي:

### ١ - ترجمة المصنف:

هو أبوبكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي المالكي، المعروف بابن أبي رندقة<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة في مدينة طرطوشة<sup>(٢)</sup>، وبها درس الفرائض، والحساب، ثم تحول إلى غيرها من بلاد الأندلس، وصحب القاضي أبا الوليد الباجي بالسرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف، وكان يميل إليها<sup>(٣)</sup>، وتفقه عليه وسمع منه حتى أجازته<sup>(٤)</sup>، ثم رحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة، وحبَّ<sup>(٥)</sup>، ودخل بغداد والبصرة، وتفقه على علمائها<sup>(٦)</sup>، ثم رحل إلى الشام وسكن بها مدة ودرَّس<sup>(٧)</sup>، ثم تحول إلى الإسكندرية واستقر بها<sup>(٨)</sup>، وكان له فيها أعظم الأثر في الدعوة وهداية الناس، وكان يقول: "إن سألتني الله تعالى عن المقام بالإسكندرية - لما كانت عليه في أيام الشيعة العبيدية من ترك إقامة الجمعة، وغير ذلك من المنكرات الظاهرة - أقول له: وجدت

(١) رندقة: لفظة إفرنجية، معناها: رد تعال. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢٦٢ - ٢٦٥)، وانظر: سير

أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٤٩٠)، وانظر: نفع الطيب للمقري (٢/٨٥).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٣٥٥)، وانظر: شجرة النور الزكية لابن سالم مخلوف (١/١٨٤).

(٣) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢٦٢)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٤٩٠)، وانظر: شجرة

النور الزكية لابن سالم مخلوف (١/١٨٤)، وانظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تأليف: محمد بن

الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (٢/٢٥٦)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٤) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢٦٢)، وانظر: شجرة النور الزكية لابن سالم مخلوف (١/١٨٤).

(٥) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢٦٢).

(٦) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢٦٢)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٤٩٠).

(٧) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢٦٢)، وانظر: الفكر السامي للحجوي (٢/٢٥٦).

(٨) انظر: الفكر السامي للحجوي (٢/٢٥٦).

قوماً ضلالاً فكنت سبب هدايتهم" (١).

كان الطرطوشي رحمته الله عالماً بالفقه، ومسائل الخلاف، والأصول، والفرائض، والأدب، وكان عاملاً، زاهداً، ورعاً، ديناً، قال عنه ابن بشكوال رحمته الله: "كان عالماً، زاهداً، ورعاً، ديناً، متواضعاً، متقشفاً، متقللاً من الدنيا، راضياً منها باليسير" (٢).

ونعته تلميذه القاضي أبو بكر بن العربي رحمته الله بالعلم، والفضل، والزهد، وترك ما لا يعني (٣)، وقال: "سمعته يقول: إذا عرض الأمران: أمر دنيا وأمر أخرى، فبادر بأمر الآخرة يحصل الأمران: الدنيا والأخرى" (٤).

له مؤلفات قيمة منها: "الحوادث والبدع" (٥)، و"رسالة في تحريم الجبن الرومي" (٦)، و"مختصر تفسير الثعالبي" (٧)، و"سراج الملوك" - محل الدراسة -.

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (٢/٢٤٧)، تحقيق وتلخيص: د. محمد الأحمدى أبي النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.

(٢) الصلة لابن بشكوال (ص ٥٤٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٥٤٥).

(٤) المصدر السابق (ص ٥٤٥).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧/٤٥٤)، وانظر: شجرة النور الزكية لابن سالم مخلوف (١/١٨٤).

(٦) هداية العارفين للبغدادي (٢/٨٥)، وشجرة النور الزكية لابن سالم مخلوف (ص ١٨٤).

(٧) انظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبي العباس المقرئ التلمساني (١/٢٩٠)، تحقيق: مصطفى السقاء، وإبراهيم الإبياري، عبدالعظيم شلبي، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - مصر، د. ط، ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م، وانظر: شجرة النور الزكية لابن سالم مخلوف (ص ١٨٤).

توفي في الأسكندرية سنة عشرين وخمسة مائة من الهجرة<sup>(١)</sup>.

## ٢- محتوى الكتاب:

كتاب "سراج الملوك" من الكتب التي ظهرت في فترة تغلب الأمراء والوزراء على السلطة في التاريخ الإسلامي، ويوثق لمرحلة تاريخية هامة من مراحل الفكر السياسي الإسلامي والعلاقة بين الفقيه والسياسي في تلك المرحلة، أما عن السبب وراء كتابة الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ لهذا الكتاب والدافع له، هو تعرض مؤلف الكتاب إلى مضايقة ومعاناة من قبل الوزير الفاطمي الأفضل، وتم تقديم هذا الكتاب للوزير المأمون البطائحي سنة ٥١٦ هـ<sup>(٢)</sup>.

يشتمل كتاب "سراج الملوك" على أربعة وستين باباً تعرّض في بدايتها إلى أحكام القرآن والسنة النبوية، وسير الأنبياء، والخلفاء، وسير الملوك، والحكماء السابقين من الهند والروم والفرس، وضمّنه شيئاً من مواعظ الملوك، ثم تناول في الأبواب الأخرى منزلة العلماء، والصالحين عند الملوك والسلاطين، وتحدّث عن الولاة، والقضاة، وفضلهم في معرفة الفائدة من وجود الملك، والضرر الحاصل عند زوالهم، وتطرق إلى علاقة السلطان مع الرعية، والخصال الواجب توفرها فيه، وحاجته للعلم والمعرفة، وتقريب العلماء، والمشورة، وبيان صفات الوزراء<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/ ٣٠)، وانظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٦٤)، وانظر: الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي (٥/ ١١٥)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م؛ وانظر: نفع الطيب للمقري (٢/ ٨٥)، وانظر: شجرة النور الزكية لابن سالم مخلوف (١/ ١٨٤)، وانظر: الفكر السامي للحجوي (٢/ ٢٥٦).

(٢) دراسة في الفكر السياسي الإسلامي، تأليف: د. خضر عيد السرحان (ص ٤٣ - ٤٤)، الناشر: الآن ناشرون وموزعون، الطبعة الأولى ٢٠٢٠ م؛ وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٤٩٢)، وانظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٣٢٥)، وانظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٥/ ١١٥).

(٣) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١١ - ١٨).

ومن الموضوعات التي تناولها الكتاب بشيء من التفصيل هي موضوعات الأخلاق، حيث عرض فيها الأخلاق المحمودة، مثل: اللين<sup>(١)</sup> والحلم<sup>(٢)</sup>، والعفو<sup>(٣)</sup>، وكذا الأخلاق المذمومة مثل: الكبر<sup>(٤)</sup>، والحسد<sup>(٥)</sup>، والخبث، والمكر<sup>(٦)</sup>، وغير ذلك من الأمور التي تصلح الراعي والرعية.

وقد جاءت نهاية الكتاب متضمنة لبعض المواعظ والحكم في نصائح الملوك، والولادة، والحكام، والأمراء، والوزراء، وإرشادهم<sup>(٧)</sup>.

ومن الموضوعات التي تناولها الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه مسائل السياسة الشرعية، وقضايا الحكم في الإسلام "فالطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ يَشِيرُ إِلَى أن كتاب سراج الملوك والخلفاء، ومناهج الولاية والأمراء، وتدبير الملك، مقتضب من كتاب الله العزيز، وأخبار الأنبياء، وسياسات ملوك العرب والعجم والروم، والفرس والهند والسند، ومستحسن أخلاقهم وأخبارهم، ونوادير كتبهم وتواقيع رؤساءهم، فهو لم ينظر إلى الوضع السياسي القائم بمقدار ما قدم النصح والإرشاد للحاكم"<sup>(٨)</sup>.

وترجع الدراسة مجمل الأربعة والستين باباً إلى المحاور الآتية:

(١) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢٢ - ١٢٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٤٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٨٨ - ١٩٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٩).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ١٦٤ - ١٦٨).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٤٩٩ - ٥٣٧).

(٨) دراسة في الفكر السياسي الإسلامي لخضر السرحان (ص ٤٤ - ٤٥)، وانظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٣).

- ١- ضرورة إقامة السلطان.
- ٢- الخصال والأخلاق المتعلقة بشخص الملك أو مهامه.
- ٣- التدبير السياسي.
- ٤- سياسة الحروب.
- ٥- الأمور المتعلقة بالوزراء والحاشية.
- ٦- نكت ولطائف في التاريخ وأحوال الأمم.
- ٧- طبيعة علاقة الراعي بالرعية.
- ٨- سرد الحكم والأمثال المنقولة في الوعظ السياسي.

وقد جاء كتاب الطرطوشي رحمته الله متكاملًا في البنية العلمية، مشتملاً على مواعظ، وعبر، أراد من خلالها أن يقدم النصيحة والموعظة والإرشاد، لمن يتولى أمر المسلمين؛ ليفوز في الدارين.

### ٣- أبرز خصائص الكتاب:

أحكم الطرطوشي رحمته الله القول في حسن التدبير وأصول السياسة وأخلاقها، واجتهد في حسن العرض، وتجويد الترتيب والنظم، وأتى على محاوره الكبرى في أربعة وستين باباً، يقول في ذلك: "ورتبته ترتيباً أنيقاً وترجمته تراجم بارعة، حاوية لمقاصدها، ناطقها بحكمها ومضمونها، يلج الأذن من غير إذن، ويتولج التأمور<sup>(١)</sup> من غير استئثار، ألفاظها قوالب معانيها، ليس ألفاظها إلى السمع بأسرع من معانيها إلى القلب.

فانظم الكتاب - بحمد الله وعونه وإحسانه - غاية في بابه، غريباً في فنونه وإنشائه"<sup>(٢)</sup>.

(١) التأمور: القلب، انظر: جبهة اللغة لابن دريد (٣/١٣٢٥)، وانظر: الصحاح للجوهري، مادة (تمر) (٢/٦٠١).

(٢) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٣-١٤).

وقد أراد الطرطوشي رحمته الله أن يكون كتابه هذا من نفائس مؤلفاته، حيث رام فيه الاستغناء والاكتفاء به عن غيره، يقول في تمهيده: "فلا يسمع به ملك إلا استكتبه، ولا وزير إلا استصحبه، ولا رئيس إلا استحسنته واستوسده، عصمة لمن عمل به من الملوك وأهل الرياسة، وجنة لمن تحصن به من أولي الإمرة والسياسة، وجمال لمن تحلى به من أهل الآداب والمحاضرة، وعنوان لمن فاوض به من أهل المجالسة والمذاكرة، وسميته "سراج الملوك"، يستغني الحكيم بدراسته عن مباحثة الحكماء، والملك عن مشاورة الوزراء"<sup>(١)</sup>.

وما يستوقف الباحث أن المؤلف فرغ من كتابه وتأليفه قبل وفاته بأربع سنين، يقول في ذيل المؤلف: "وكان الفراغ من إملائه بفسطاط مصر - حرسها الله - لأربع عشر ليلة خلت من رجب من سنة ستة عشر وخمسةائة"<sup>(٢)</sup>، فالكتاب إذاً يمثل خلاصة التجارب التي عاشها فقه الطرطوشي رحمته الله وعلمه بالشرعية والواقع، والسنن وأحوال الأمم.

وليس بوسع الدراسة في هذه الحال أن تستوعب دراسة جميع خصائص "السراج" ولكنها تكفي بالوقوف على أبرز السمات والخصائص، التي ظهرت على مصنفه دون غيره على النحو الآتي:

١ - يمثل كتاب "السراج" طوراً من أطوار الكتابة في نصيحة الملوك، ومرحلة ارتقت فيها الكتابة في الآداب السلطانية مرتقياً آخر، وهذا أمر أurdاه المصنف في هذا الكتاب واستصحبه معه، يقول في وصف الكتاب: "لم تسبق إلى مثله أقلام العلماء، ولا جالت في نظمه أفكار الفضلاء، ولا حوته خزائن الملوك والرؤساء"<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان الطور يعني التحول النسبي عن الأصل الذي تسير عليه الكتابة، والإضافة التي

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٥٣٧).

(٣) المصدر السابق (ص ١٤).

يحصل بها المزيد في الجوهر والشكل، فإن ما يميز كتاب "السراج" أنه يُمثّل لحظة استواء النص في "مناصحة أئمة المسلمين"، كما يُعبّر عن لحظة من لحظات مراحل الخطاب في التاريخ الإسلامي، وهي صيغة التشبع النظري التاريخي، والتي يتحكم فيها نظامه في النظر السياسي.

إن ميزة هذا الكتاب الكبرى تكمن في الطابع الشمولي، فهو نص شامل، سواء في مستويات التبويب الجامع لأبواب المعرفة في هذا المجال، أو في مستوى المرجعية وطريقة الاستدلال وبنية الكتابة، التي يغلب عليها النقل والاستشهاد الكثير، حتى يبدو وكأنه خزانة علمية، ومستودع معرفي من الأثر، والقول، والقصة، والنظم، والحوادث، والمواعظ.

وهذه الشمولية ليست شمولية مرسلة، فالقول بأنها تمثل مرحلة الاستواء، يثبت أنها ذاكرة قارنتها التجربة، فعندما يقوم الطرطوشي رحمته الله باستدعاء شواهد هذه التجربة، فإنه يعمل على تحقيق درجة من درجات تطور هذه الكتابة، وما يؤكد ذلك هو موقف ابن خلدون رحمته الله من كتابه، ومن كتابات ابن المقفع الذي يمثل رأس الكتابة في الآداب السلطانية<sup>(١)</sup>، وهذا بلا شك دليل يقطع بمركزية "سراج الملوك" ومرحليته في الكتابة السلطانية<sup>(٢)</sup>، كما تُثبت "تلك القفزة النوعية التي حققها التنظير الفقهي في معالجة المسألة السياسية، حيث إن الفقيه أو رجل العلم لم يظل حبيساً لمفاهيم نظرية متدينة، عديمة الصلة بالواقع السياسي الجديد، بل كان شديد الصلة بواقعه، حيث تعامل مع هذا الواقع، وسخر كل إمكانياته وآلياته بقصد استيعابه وتطويره... حفاظاً على تماسك الأمة، فهو موقف سياسي، يحكمه منطق الضرورة، وفكرة المقاصد، وميزان الترويج بين المصالح والمفاسد، ضمن هذا الإطار فقط يمكن أن تفهم ذلك التميز الذي قدمه

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون (ص ٤٠).

(٢) انظر: النصيحة السياسية لعز العلام (ص ٢٤٢)، وانظر: ابن رضوان وكتابه في السياسة لإحسان عباس (ص ٣٧٩).

الطرطوشي رحمته الله (١).

٢- ومن أبرز سمات وخصائص كتاب "السراج" هي أصالة المعرفة فيه، فالمؤلف فقيه وعالم، لامس الواقع، وخبر التجارب، فسطر فيه علومه، ورقم اجتهاداته، حتى اتصف كتابه بصفة المصدرية، ليس عند مؤلفي كتب المناصحة فحسب، بل عند الفقهاء والأدباء والوعاظ وغيرهم، فكتاب "السراج" يعد مصدراً من مصادر المعرفة التي يعول عليها داخل مجال الكتابة السلطانية وخارجها (٢).

٣- يغلب على كتاب "السراج" الطابع السياسي الاجتماعي والأخلاقي، على الطابع الفقهي

(١) الطاعة في الفكر السياسي الإسلامي "قراءة في كتاب "سراج الملوك"، إعداد: بشرى الشقوري، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية: [https://www.aljabriabed.net/n/٧\\_٦\\_٠٧.htm](https://www.aljabriabed.net/n/٧_٦_٠٧.htm). تاريخ الدخول: ١٤٤٣/٣/٥هـ.

(٢) تنقل كتب المناصحة من كتاب "سراج الملوك" كثيراً، يقول عز الدين العلام: "إذ ينقل عنه أبو حمو الزباني في "واسطة السلوك في سياسة الملوك" فيما لا يقل عن عشرين موضعاً، ولا يكاد تخلو صفحة من صفحات "الشهب اللامعة في السياسة النافعة" من ذكر الطرطوشي، كما لجأ إليه ابن الخطيب في صياغته لكتابه حول: الوزارات، واعتمد عليه ابن الأزرق مراراً في تأليفه بـ "بدائع السلك"...". الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١١ - ١٢)، كما ينقل عنه القضاة، وشرح الحديث، والأدباء، وغيرهم. انظر: الذخيرة للقرافي (٦/ ٢٥)، وانظر: نفائس الأصول للقرافي (٩/ ٤٠٩٢)، وانظر: شرح الإمام بأحاديث الأحكام، تأليف: تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (٤/ ٩٦)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد خلوف العبد الله، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م؛ وانظر: المدخل، تأليف: أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (٣/ ٢٨٠)، الناشر: دار التراث، د. ط، د. ت؛ وانظر: فتاوى السبكي، تأليف: أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (٢/ ٣٨٨)، الناشر: دار المعارف، د. ط، د. ت.

الكلامي<sup>(١)</sup>، "ويبدو المؤلف أكثر استيعاباً لتجربة الأمة التاريخية، وأعمق فهماً لظروف الأحداث وواقع العصر، فالمسؤولية السياسية والأخلاقية باعتقاده ثابتة وواحدة في كل زمان ومكان، رغم تغير ظروف الحياة المادية؛ لذلك فإن هدف العودة بالدولة الإسلامية إلى عهد النبي ﷺ والخلفاء الأربعة الأوائل، وبعث القيم الأخلاقية والمثل العليا الإسلامية من جديد وفق خطة تجديدية، مسؤولية يتحملها الحاكم والمحكوم، كالوزير، والمشير، والحاجب، والجابي، والقائد"<sup>(٢)</sup>، والمميز للطرطوشي هنا أنه قدم تلك الأهداف في قالب المحتوى العام لمصنفه<sup>(٣)</sup>.

٤- التوازن الموضوعي لمادة ومحتوى الكتاب، فالكتاب قد ضم أربعة وستين باباً، يدور الاهتمام فيها بالأحكام، والقوانين، والقواعد، وسياسات التدبير في مختلف أوجهها، وهذه الأبواب على كثرتها قد جاءت من حيث العدد متوازنة، إذا استثنى بعض الاستطرادات التي ودرت في البابين الأول، والثاني، من كتابه<sup>(٤)</sup>، وهذا يعكس جودةً في التأليف، وقدرةً فائقة على حسن الرصف والترتيب، كما يدل على حس دعوي يرمي إلى دفع السامة عن القارئ والحرص على استيعابه.

(١) انظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص٣٩)، وانظر: الطاعة في الفكر السياسي الإسلامي لبشرى الشقوري، [https://www.aljabriabed.net/n/chkuri.htm%07\\_64](https://www.aljabriabed.net/n/chkuri.htm%07_64)، تاريخ الدخول: ١٤٤٣/٣/٥هـ.

(٢) حجاج التمثيل في الآداب السلطانية، تأليف: د. هاجر مدقن (ص٣٩)، الناشر: دار النابعة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(٣) انظر: دراسة في الفكر السياسي الإسلامي لخضر السرحان (ص٤٦).

(٤) انظر: الفكر السياسي الإسلامي في العصر الوسيط في كتابات الآداب السلطانية المغربية والأندلسية خلال القرنين (٥ و١١ و١٤)، إعداد: ياسين شبيايبي (ص١٤١)، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في تخصص: التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، عام ١٤٣٨ - ١٤٣٩هـ/٢٠١٧-٢٠١٨م.

٥- ومن خصائص كتاب "السراج" خاصة "التحليل"، "فقد تجاوز الطروشني ﷺ في معظم أبواب كتابه مستوى العرض والترتيب إلى التحليل، وهو بذلك ينفرد عن مناهج معاصريه، بل وحتى عن من جاء بعده في الكتابة السياسية السلطانية، بحيث كانوا يعتبرون السياسة شأنًا أخلاقياً لا يشمل التحليل"<sup>(١)</sup>.

٦- يذهب بعض الدارسين إلى أن الطروشني ﷺ في كتابه "السراج" امتاز بخاصية "الانفتاح"، فهو يتجاوز بأسلوبه الأسلوب المعهود في الاستفادة من التراث السياسي اليوناني أو الفارسي، الذي يقف عند مجرد النقل والنهل من أقوالهم، فتراه يتعدى إلى استحضار النظم والقواعد السياسية لليونان والفرس، ويحاول المقارنة بينها من جهة، وبين النظام السياسي الإسلامي من جهة أخرى<sup>(٢)</sup>.

لقد كان "سراج الملوك" لأبي بكر الطروشني ﷺ نموذجاً مثالياً لتجربة فقهاء المذهب المالكي في مجال مناصحة أئمة المسلمين، وله مكانة خاصة في الأدبيات السياسية في المغرب الإسلامي، حتى أصبح نمطاً في القول لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة لرجال الدولة، ولكل مهتم بالتصنيف في الشأن السياسي، في كل مراحل ودرجاته<sup>(٣)</sup>، وهو وإن لم يكن الأول في بابه، والمستقل بالاختصاص التام، فإنه كان إسهاماً علمياً، ودعواً مميزاً بخصائصه، وسماته الواضحة، وقد عوّل عليه من جاء بعده من الكاتبين في مشارق بلاد الإسلام ومغارها.

ثانياً: كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك":

ألف كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك" في أخرج مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي في الأندلس، وهي فترة تهاوي وانهايار ممالك الإسلام وخروج المسلمين من بلاد الأندلس، وتأتي

(١) الفكر السياسي الإسلامي لشبايبي (ص ١٤١).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٤١ - ١٤٢).

(٣) انظر: التنظير الحربي في الاستراتيجية والتكتيك عند أبي بكر الطروشني من خلال كتابه: سراج الملوك، إعداد:

بولعراس خميسي (ص ٨٠)، مقال منشور في مجلة معرفة، المجلد الثامن، العدد [٢٣]، ٢٠١٦ م.

أهمية هذا الكتاب كونه صادراً من فقيه مالكي عاش هذه الأحداث وزاقتها، وقدم هذا الكتاب غيرة على أمته وبلاده، في محاولة صادقة، يستحضر من خلالها مسؤولية العالم لرأب الصدع، وتدارك الفئات<sup>(١)</sup>.

وتتناول الدراسة هذا الكتاب من خلال العناصر الآتية:

#### ١- ترجمة المصنف:

هو أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن علي بن قاسم بن مسعود الحميري الأصبحي الأندلسي، الغرناطي، المالقي<sup>(٢)</sup>، المعروف بابن الأزرق أو الأزرق<sup>(٣)</sup>، ولد بهالقة سنة ٨٣٢هـ<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: بدائع ابن الأزرق في السياسة والأخلاق، تأليف: د. زينب عفيفي شاعر (ص ٥٦)، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٩هـ.

(٢) انظر: الضوء اللامع للسرخاوي (٩/٢٠-٢١)، وانظر: الأنس الجليل، تأليف: عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العليمي المقدسي الحنبلي، أبي اليمن، مجير الدين (٢/٢٥٥)، تحقيق: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس، عمان، د. ط، د. ت؛ وانظر: درة الحجال في أسماء الرجال، تأليف: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (١/٢٢٩)، تحقيق: د. محمد الأحدي أبي النور، الناشر: دار التراث، القاهرة - مصر، والمكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ / ١٩٧١م؛ وانظر: أزهار الرياض للمقري (٣/٣١٧ - ٣١٨).

(٣) الأزرق أو ابن الأزرق من الأسماء الذائعة والشائعة في مشرق الإسلام ومغربه، وهو جد قديم في الجاهلية تنسب إليه بعض بيوت العرب، وليس المترجم له منهم، والذي يظهر أن الأزرق صفة لهذا العالم، إذن العادة في بلاد الأندلس أن يلقبوا بالألوان مثل: الأحمر كما في ملوك بني الأحمر، والأصفر، والأخضر، والأشقر، وغير ذلك، انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تأليف: أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ص ٩٢)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب اللبنانيين، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م؛ وانظر: مقدمة تحقيق علي نشار على بدائع السلك لابن الأزرق (ص ٧)، وانظر: بدائع ابن الأزرق لزيب شاعر (ص ٣١)، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيد (ص ٤٤٠).

(٤) هذا تاريخ تقريبي إذ لم تذكر سنة ولادته فيما بين يدي من التراجم، لكن المؤرخ والمعاصر له عبدالرحمن المقدسي صاحب كتاب "الأنس الجليل" ذكر أنه توفي بعد أن بلغ خمسة وستين عاماً، وذلك في سنة ٨٩٦هـ، وبهذا تكون

=

ونشأ بها، وأخذ عن قاضيها المالكي إبراهيم بن أحمد أبي إسحاق الأنصاري الغربي المالقي العربية والفرائض، وتلا عليه ابن كثير، ثم انتقل إلى غرناطة ولازم فقيها إبراهيم بن أحمد العقيلي المغربي الغرناطي في الفقه، والنحو، والمنطق، بحيث كان جل انتفاعه به<sup>(١)</sup>، وقد كانت غرناطة عاصمة المملكة وقتئذ، ثم رحل إلى فاس، وتلمسان، وتونس<sup>(٢)</sup>، ودرس على علماء تلك البلاد، والذي يظهر أنه اطلع حينها على مقدمة ابن خلدون رحمته الله، يقول الدكتور علي النشار: "ومن المحتمل كثيراً أن واحداً من أساتذته وجهه أيضاً إلى دراسة مقدمة ابن خلدون رحمته الله وتفحصها، وخاصة أنه درس في تلمسان، وتونس، ولا شك أن ابن خلدون رحمته الله كان قد أرسل نسخته الشهيرة من المقدمة الموسومة باسم الفارسية إلى السلطان أبي فارس"<sup>(٣)</sup>.

ثم عاد إلى وطنه، وولي قضاء غربي "مالطة" في أيام سعد بن علي بن يوسف بن نصر أمير غرناطة في زمنه، ثم ولي قضاء مالقة نفسها، ثم قضاء وادي آش، حتى عينه السلطان أبو الحسن قاضي الجماعة بغرناطة<sup>(٤)</sup>.

كان ابن الأزرق رجل دولة، حاضراً في وقائع زمانه، غيوراً على بلاد المسلمين، مشاركاً في رفع البلاء ودفعه عنهم، فحين اشتد الحصار على غرناطة، واشتد الخلاف بين الملوك النصيرين، ورأى أن ذلك قد أنهك المسلمين وأضعف شوكتهم، عمد إلى ملوك العالم الإسلامي في الشرق

سنة ولادته كما ذكر. انظر: الأئس الجليل للمقدسي (٢/٢٥٦)، وانظر: مقدمة تحقيق علي سامي النشار على بدائع السلك لابن الأزرق (ص ٧).

(١) انظر: الضوء اللامع للسخاوي (١/٣٠)، وانظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (ص ٥٦١)، وانظر: أزهار الرياض للمقري (٣/٣١٧).

(٢) انظر: أزهار الرياض للمقري (٣/٣١٨)، وانظر: شجرة النور الزكية لابن سالم مخلوف (١/٣٧٨)، وانظر: معجم مؤلفين لعمر رضا كحالة (٦/٣٣)، وانظر: الأعلام للزركلي (٦/٢٨٩).

(٣) مقدمة تحقيق علي نشار على بدائع السلك لابن الأزرق (ص ٨).

(٤) انظر: الضوء اللامع للسخاوي (٩/٢١)، وانظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (ص ٥٦١).

مستنصراً لإنقاذ غرناطة ومساعدة الأندلس في محتتها الأخيرة<sup>(١)</sup>، وكل ذلك لم يُجد شيئاً، ولم يعد منه بشيء، يقول المقدسي رحمته الله في "الأنس الجليل": "فلما استولى عليها الإفرنج خرج منها يستنفر ملوك الأرض في نجدة صاحب غرناطة، فتوجه لملوك المغرب فلم يصل منهم بنتيجة، فحضر إلى السلطان الملك الأشرف قايتباي، وكان مشتغلاً بقتال سلطان الروم أبي يزيد ابن عثمان، فتوجه إلى مكة المشرفة وجاور بها، وزار النبي صلوات الله عليه ورجع إلى القاهرة المحروسة في أول سنة ست وتسعين وثمانائة، فتكلم له في شيء يحصل منه ما يستعين به على القوات، فولاه السلطان قضاء المالكية بالقدس الشريف في رابع رمضان من السنة المذكورة، عوضاً عن القاضي شمس الدين محمد بن مازن الغزي، وقدم إلى القدس في يوم الإثنين السادس عشر من شوال سنة ستة وتسعين، وأقام به نحو الشهر وهو يتعاطى الأحكام بعفة ونزاهة من غير تناول شيء من الناس"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يكون ابن الأزرق رحمته الله قد عاش "قمة الصراع الأندلسي في ذروته، ورأى تعاضم ملك الأاسبان وقوته، وتمزق مسلمي غرناطة مع تمزق أسرة بني الأحمر، عاشها قاضياً، وسفيراً لبلاده وارتحاله إلى تلمسان، ومنها إلى مصر"<sup>(٣)</sup>، وهذا بلا شك أمر قد أثر على تصنيفه وطريقته في هذا الكتاب.

ولابن الأزرق عدة مصنفات، يقول المقري التلمساني رحمته الله: "وله تأليف عظيمة النفع وقفت عليها بتلمسان منها: شرحه الحافل على مختصر خليل، وسمّاه: شفاء الغليل... ومن جملة تأليفه روضة الأعلام، بمنزلة العربية من علوم الإسلام، غاية في بابه، سفر ضخّم فيه فوائده

(١) انظر: الضوء اللامع للسخاوي (٢١/٩)، وانظر: نفع الطيب للمقري (٢/٦٩٩ - ٧٠٤)، وانظر: الأعلام للزركلي (٦/٢٨٩).

(٢) الأنس الجليل للمقدسي (٢/٢٥٥)، وانظر: أزهار الرياض للمقري (٣/٣١٨).

(٣) بدائع ابن الأزرق لزينب شاکر (ص ٥٦).

وحكايات، وكتاب "بدائع السلك وطبائع الملك"، كتاب بديع في موضوعه لخص فيه مقدمة تاريخ ابن خلدون رحمته الله المسمى بكتاب العبر، وزاد عليه زيادات كثيرة نافعة<sup>(١)</sup>.

قال عنه المقدسي رحمته الله: "كان من أهل العلم والصلاح، حسن الشكل، منور الشيبة، عليه الأبهة والوقار، وكان قاضياً بمدينة غرناطة بالأندلس"<sup>(٢)</sup>.

ووصفه المقري التلمساني رحمته الله بـ "الإمام، العلامة، الخطيب، الحجة، الأعراف، المؤرخ، الناظم الراوية، قاضي الجامعة بحضرة غرناطة"<sup>(٣)</sup>.

توفي يوم الجمعة بعد فراغ الصلاة سابع عشر ذي الحجة سنة ستة وتسعين وثمانمائة، وصلى عليه في يومه بعد صلاة العصر بالمسجد الأقصى، وكان عمره حينها ٦٤ سنة رحمته الله<sup>(٤)</sup>.

## ٢- محتوى الكتاب:

يُجمع المترجمون لابن الأزرق على أن له كتاباً اسمه "بدائع السلك في طبائع الملك"، والذي يظهر أنه الكتاب الوحيد في مناصحة أئمة المسلمين<sup>(٥)</sup>، وهو كتابٌ مستفادٌ من كتاب "المقدمة لابن خلدون"، حيث جمع ونظم أفكار ابن خلدون رحمته الله السياسية ونظرتيه في العمران، ورتبها ترتيباً منهجياً، وزاد عليه، يقول المقري في "نفح الطيب": "كتابٌ مفيدٌ في موضوعه، لخص فيه كلام ابن خلدون رحمته الله في "مقدمة تاريخه"، مع زوائد كثيرة عليه"<sup>(٦)</sup>، ثم يُثني بالمدح عليه في

(١) أزهار الرياض للمقري (٣/٣١٧-٣١٨)، وانظر: نفح الطيب للمقري (٢/٧٠١)، وانظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (ص ٥٦١).

(٢) الأئس الجليل للمقدسي (٢/٢٥٥-٢٥٦).

(٣) أزهار الرياض للمقري (٣/٣١٧).

(٤) انظر: الأئس الجليل للمقدسي (١/٢٥٦).

(٥) انظر: مقدمة تحقيق وتعليق علي سامي النشار على بدائع السلك لابن الأزرق (ص ٢٠)، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيد (ص ١٥٥).

(٦) نفح الطيب للمقري (٢/٦٩٩)، وانظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (ص ٥٦١).

"أزهار الرياض" قائلاً: "بديع" في موضوعه، لخص فيه "مقدمة تاريخ ابن خلدون" المسمى بكتاب "العبر"، وزاد عليه زيادة كبيرة نافعة، وهو في سفر ضخمة<sup>(١)</sup>.

والكلام في اتصال "مقدمة ابن خلدون" بهذا الكتاب سيأتي بيانه في فقرة الخصائص والسماط.

احتوى كتاب "بدائع السلك" على مقدمتين وأربعة كتب وخاتمة، حيث ذكر: "ورتبته على مقدمتين وأربعة كتب وخاتمة، أذكرها الآن إجمالاً، وأدل بها الناظر إليه على ما اشتملت عليه اشتهاً"<sup>(٢)</sup>.

المقدمة الأولى: في تقرير ما يوطئ للنظر في الملك عقلاً، وفيها عشرون سابقة<sup>(٣)(٤)</sup>.

المقدمة الثانية: في تمهيد أصول من الكلام فيه شرعاً، وفيها عشرون فاتحة<sup>(٥)(٦)</sup>.

وبعد أن فرغ من تناول المقدمتين بالتفصيل شرع في الكتب على النحو الآتي.

الكتاب الأول: في حقيقة الملك والخلافة وسائر أنواع الرياضات، وسبب وجود ذلك وشرطه، وفيه بابان: الباب الأول: في حقيقة الملك والخلافة، وسائر أنواع الرياضة، وفيه ثلاثة

(١) أزهار الرياض للمقري (٣/٣١٨).

(٢) بدائع السلك لابن الأزرق (١/٣٦).

(٣) السابقة هي: الحقيقة العلمية أو الفرض العلمي. انظر: الفكر السياسي الإسلامي، تأليف: د. عادل الثابت (ص ٢٠١) الناشر: دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية - مصر، د. ط، ٢٠٠٢ م.

(٤) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٤٦ - ٦٧).

(٥) من خلال سياق الكلام الذي يظهر للباحث أن الفاتحة بمعنى المتقضى أو اللازم، ومن ذلك قوله في الفاتحة الأولى: "أن الضرورة في الاجتماع الطبيعي لنوع الإنسان، كما تقدم، تدعو إلى المعاملات واقتضاء ضرورات المعاش وحاجياته، ومن لوازم ذلك تولد المنازعات في اختصاص كل يد بما تمد إليه" بدائع السلك لابن الأزرق (١/٦٧).

(٦) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٦٧ - ٨٦).

أنظار: النظر الأول: في حقيقة الملك، وفيه خمس مسائل. النظر الثاني: في حقيقة الخلافة، وفيه خمس مسائل. النظر الثالث: في سائر أنواع الرياسة، وهي نوعان<sup>(١)</sup>. الباب الثاني: في سبب وجود الملك وشرطه، وفيه ثلاثة أطراف<sup>(٢)</sup>: الطرف الأول: في سبب وجود الملك، وفيه عشر حكم يشتمل عليها سبب الحاجة إليه. الطرف الثاني: في شرط وجود الملك، وفيه عشرون مسألة. الطرف الثالث: في الحروب ومذاهب الأمم في ترتيبها، وما يلزم فيها من الآداب والمكائد<sup>(٣)</sup>.

أما الكتاب الثاني: فهو في أركان الملك وقواعد مبناه ضرورة وكمالاً، وفيه بابان: الباب الأول: في الأفعال التي تقام بها صورة الملك ووجوده، وهي عشرون ركناً ضرورية وكمالية، والباب الثاني: في الصفات التي تصدر بها تلك الأفعال على أفضل نظام، وفيه ست مقدمات وعشرون قاعدة<sup>(٤)</sup>.

أما الكتاب الثالث: فيما يطالب به السلطان، تشييداً لأركان الملك، وتأسيساً لقواعده، وفيه مقدمة وبابان، والمقدمة عن التحذير من محظورات تحل بذلك المطلوب شرعاً وسياسة، وهي جملة اتباع الهوى والترفع وقبول السعيا، والنميمة، واتخاذ الكافر ولياً، والغفلة من مباشرة الأمور، والباب الأول: في جوامع السياسة المطلوبة من السلطان ومن يليه، وبه ثلاثة فصول. والباب الثاني: في واجبات ما يلزم السلطان سياسة القيام بها، وفاءً بعهدة ما تحمله وطولب به، والمذكور منها خمسة<sup>(٥)</sup>.

أما الكتاب الرابع: فهو في عوائق الملك، وعوارضه. وفيه بابان: الباب الأول: في عوائق

(١) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/٨٧ - ١٠٤).

(٢) من خلال سياق الكلام، الذي يظهر للباحث أن معنى الأطراف: النقاط أو العناصر.

(٣) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/١٠٥ - ١٥٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/١٧٣ - ٨/٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢/٩ - ٢/١٩٨).

الملك المانعة من دوامه، وفيه ثلاثة أنظار. **والباب الثاني:** في عوارض الملك اللاحقة لطبيعة وجوده، وفيه أربعة فصول<sup>(١)</sup>.

ختم ابن الأزرق هذا السفر الكبير بسياستين ومسكاً للختام، وهما: **السياسة الأولى:** سياسة المعيشة، وفيها ثلاثة مطالع. **والسياسة الثانية:** سياسة الناس، وفيها ست مسائل<sup>(٢)</sup>.

أما مسكة الختام فهي بتقرير أن سيرة النبي ﷺ في سياستي الدين والدنيا هي السيرة الجامعة لمحاسن الشيم، ومكارم الأخلاق<sup>(٣)</sup>.

ومن الملاحظ من خلال استعراض الكتاب مع كثرة تفاصيله أن ابن الأزرق يُردف كل باب بمقدمة وبعناوين مبتكرة أصلية وفرعية، تُتبع بعناوين أخرى تدل على معانٍ مختلفة، مثل: لفظه "اعتبار"<sup>(٤)</sup>، إذا كان في النص ما يدل على العبرة، و"فهم حقيقة"<sup>(٥)</sup>، إذا كان في النص حقيقة يجب أن يؤخذ بها، و"مغلطة"<sup>(٦)</sup>، إذا كان في المحتوى تنبيهٌ على خطأ جاء من بعض العلماء.

ويبقى كتاب ابن الأزرق كما تحدّث عنه المترجمون سفراً عظيماً، وكتاباً كبيراً، قد أمعن فيه مؤلفه بفكره، وأطال فيه بقوله، وهو من أصول كتب المناصحة المؤصلة له.

### ٣- أبرز خصائص الكتاب:

لا بد قبل تناول خصائص هذا الكتاب، والوقوف على أبرز سماته التي فارق بها كتب المناصحة، أن يشار إلى ثلاثة أمور صاغت مادة الكتاب، ورسمت منهجية الكاتب، وشكلت

(١) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (٢/ ١٩٩ - ٢/ ٣٧٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٣٩٨ - ٤٧٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ٣٧٩ - ٤٨٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٦٠، ٦٤، ١٢٣، ١٣٠، ٢٥٦) (٢/ ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٨٣، ٣٤٤).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٨٠).

(٦) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٧٠).

بنيته الفريدة التي امتاز بها عن سائر كتب المناصحة والآداب السلطانية وهي كما يلي:

١- عاش مصنف هذا الكتاب كما مر في الترجمة أصعب المراحل التاريخية في تاريخ الأندلس، وهي مرحلة السقوط، وكان حينها في محل مسؤولية العالم، الذي أراد بكل ما أوتي أن يتدارك الأمر الفائق، يضاف إلى ذلك حضوره الوظيفي في مشهد الأحداث، فهو قاضي الجماعة، ومحل ثقة السلاطين حتى من خارج مملكة غرناطة، حيث كان وقت الحدث قاضياً، ومستشاراً، وسفيراً بين الدول والملوك<sup>(١)</sup>.

٢- ارتباط هذا الكتاب بمقدمة ابن خلدون رحمته الله، تلك المقدمة التي كانت تحمل موقفاً رافضاً في الجملة لمنهجية وطريقة كتب المناصحة - الآداب السلطانية - فابن خلدون رحمته الله "عاش في فترة عرفت فورة في إنتاج الأدبيات السياسية السلطانية، بدءاً من كتاب صديقه ابن رضوان "الشهب اللامعة في السياسة النافعة"، إلى وصية سلطان تلمسان أبي حمو موسى الزياني "واسطة السلوك في سياسة الملوك"، مروراً بكتابات معاصره لسان الدين الخطيب، حول "مقامة السياسة" و"الإشارة إلى أدب الوزارة"، إضافة إلى "عين الأدب والسياسة" للكاتب الأندلسي ابن هذيل رحمته الله"<sup>(٢)</sup>، "ومع هذا الإقبال الغالب في تلك الفترة على ذلك الفن إلا أن ابن خلدون رحمته الله جعل حدود علمه الجديد في إخراج تلك المؤلفات من طبيعة رؤيته وفكرته، يقول في مقدمة كتابه: "وكذلك حوّم القاضي أبو بكر الطرطوشي في كتاب "سراج الملوك"، وبوّبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله، لكنه لم يصادف فيه الرمية، ولا أصاب الشاكلة، ولا استوفى المسائل، ولا أوضح الأدلة، إنها ييوب الباب

(١) انظر: الفكر التربوي عند ابن الأزرقي، تأليف: د. صفاء التميمي (ص ٥٣)، الناشر: دار دجلة، العراق، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، وانظر: بدائع ابن الأزرقي لزينب شاکر (ص ٥٦)، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيد (ص ١٥٣).

(٢) النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٣٩)، وانظر: السلطة والسياسة لعز الدين العلام (ص ٢٠٥-٢١٤).

للمسألة، ثم يستكثر من الأحاديث والآثار، وينقل كلمات متفرقة لحكاماء الفرس، مثل: بزرجمهر والموبدان، وحكاماء الهند، والمأثور عن دانيال وهرمس وغيرهم من أكابر الخليفة، ولا يكشف عن التحقيق قناعاً، ولا يرفع للبراهين الطبيعية حجاباً، إنما هو نقل وتركيب شبيه بالمواعظ، وكأنه حوّم على الغرض ولم يصادفه، ولا تحقق قصده، ولا استوفى مسأله<sup>(١)</sup>، وإذا عَلِمَ أَنَّ كتاب الطرطوشي رَضِيَ اللهُ بِهِ الذي يرفض ابن خلدون رَضِيَ اللهُ بِهِ منهجيته رفضاً قاطعاً، هو من بين أهم الكتب التي جعلت من أسس الكتابة السلطانية، فإن هذا يستلزم بلا شك تعميم حكمه على جميع الكتب التي نسجت على منواله<sup>(٢)</sup>.

أما عن حقيقة الفرق بين كتب المناصحة ورؤية العمران عند ابن خلدون رَضِيَ اللهُ بِهِ، فإن كتب المناصحة تنظر إلى المثال، وتحث الحاكم بالتوجيه والوعظ إلى ما يجب أن يكون عليه، في حين أن المقدمة تناقش السنن الكونية في طبيعة العمران، وتدرس العلل الحتمية في الواقع؛ ولهذا فإنها ترى استحالة أثر هذا النوع في التأثير والتغيير، إذا لم تكن معطيات السنن موافقة له<sup>(٣)</sup>، يقول أحد الدارسين: "يُصدر ابن خلدون أحكاماً عامة وقوية تتعلق بنص "السراج"، وتتعداه إلى الكتب السابقة عليه، والكتب التي نسجت على منواله، دون أن يسميها، ويتعلق الأمر بتصوير الطرطوشي رَضِيَ اللهُ بِهِ لطبيعة الدول، فقد اعتبر ابن خلدون رَضِيَ اللهُ بِهِ أن نص "السراج" لا يفكر في أصل الدولة ونشأتها، بل يكتفي بمقاربة موضوعها في استوائه الواقعي، بدون أدنى بحث في كفيات التأسيس؛ إنه نص لا يهتم بتعليل الوقائع موضوع الخطاب؛ فهو يقفز على الأصل والعلة؛ ليصوب نظره فقط نحو السلطة القائمة، ويحاول تبرير استمرارها وضرورتها، وذلك من خلال

(١) تاريخ ابن خلدون (ص ٤٠).

(٢) انظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٤٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٣).

المرويات والمأثورات التي يسردها، ممزوجة بنفحة وعظية من أجل غرض تعليمي" (١).

وما يعني من إيراد هذا الأمر، هو محاولة تفسير العلاقة بين "مقدمة ابن خلدون" و"بدائع ابن الأزرق"، رغم مخالفة المقدمة وموقفها الرفض للمجال الذي يكتب فيه ابن الأزرق.

٣- التأخر الزمني لمؤلف هذا الكتاب، فالمؤلف جاء في القرن التاسع الهجري، بعد أن استوعبت الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين كبار الكاتين، من أمثال: الماوردي رحمته الله، والطرطوشي رحمته الله، والمرادي رحمته الله، وابن الخطيب رحمته الله، وابن رضوان المالقي رحمته الله، وغيرهم، وبعد أن تلتقت - أي الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين - تفنيدات ابن خلدون رحمته الله ونقده لها في مقدمته، وهذا كله جعل منه صاحب رؤية مستقلة نسبياً في هذا المجال. وتعد الدراسة تلك الأمور مؤثراً مباشراً في رسم خصائص وسمات امتازها كتاب "بدائع السلك" عن غيره من مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.

وتأسيساً على ذلك فإن أبرز تلك الخصائص التي تستنتجها الدراسة هي كما يلي:

١- ترى الدراسة أن أبرز ما يميز كتاب "بدائع السلك" هو محاولة التوفيق، والمقاربة، بين مقدمة ابن خلدون رحمته الله التي جعلها ابن الأزرق رحمته الله أصلاً لكتابه، وبين كتب المناصحة والوعظ التي يكتب على منوالها وفي سياقها، وقد اختلفت آراء الدارسين لكتب المناصحة حيال هذا التوفيق والتوليف الذي صاغه ابن الأزرق في بدائعه، حيث ذهب بعضهم إلى تقرير وجوده، مع إبداع ابن الأزرق فيه، يقول د. سامي النشار: "إنه - أي: ابن الأزرق - خطى بالنظريات الاجتماعية السياسية لدى المسلمين خطوات أوسع، ووصل بهذه النظريات إلى مرحلة نضج، ومزج بين نظريات ابن خلدون رحمته الله ونظريات أخرى سياسة إسلامية، تستند على اتجاه آخر، يخالف اتجاه ابن خلدون رحمته الله السياسي البحت، وهو علم

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١٤٨).

الأخلاق السياسي، وهو علم لم يحظ عند ابن خلدون بمكانة واسعة، ورأى ابن الأزرقي أن يضع له مكاناً في علم الاجتماع السياسي، فحاول أن يوفق بين نظريات ابن خلدون رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، ونظريات ابن رضوان رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ والطرطوشي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>، وذهب آخرون إلى أن ابن الأزرقي "درس المقدمة دراسة عميقة، استوجبت تلخيصه إياها تلخيصاً محكماً، ثم دمج هذا التلخيص في كتابه دمجاً موضوعياً ومنطقياً أيضاً"<sup>(٢)</sup>، ويرى غيرهم أن علم العمران قد توقف عند ابن خلدون رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وأن القارئ للمقدمة وأهمهم ابن الأزرقي قد قرؤوها بفكر ما قبل ابن خلدون رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، أي: من منظور يمزج السياسة بالأخلاق، وتقرير الواقع بالوعظ والإرشاد، وجزم البعض باستحالة التوفيق بين التصورين<sup>(٣)</sup>.

وان اختلف القارئون من المتأخرين في طبيعة العلاقة بين الكاتبين، فإن أثر ابن الأزرقي على المقدمة في كتابه لا يمكن إنكاره، حيث لخص بعض فصول كتاب المقدمة، وعرض نظرياته المتعددة، ونظم بعض هذه النظريات تنظيماً منهجياً، وأخذ من المقدمة فوائد متعددة وشرحها، بل تجاوز ابن خلدون رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ تجاوزاً كبيراً، وهو ما دعا المترجمين له إلى القول: بأنه أضاف عليها زوائد كثيرة ونافعة<sup>(٤)</sup>، كما ظهر أثره جلياً في صرف نظرية ابن خلدون رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ اليائسة إلى التفاؤل؛ لتأخذ منحى جديداً في الأمل، حيث أعربت رؤيته السياسية في مشروعه الأخلاقي عن محاولة انتشار الأمة الإسلامية من السقوط، والتي أثبت من خلالها أن باب الاجتهاد في هذا المجال لم

(١) مقدمة تحقيق سامي النشار على بدائع السلك لابن الأزرقي (ص ٦).

(٢) مقدمة تحقيق محمد عبدالكريم على بدائع السلك لابن الأزرقي (ص ٦)، الناشر: الدار العربية للكتاب، د. ط، د.ت.

(٣) انظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ٢٤١)، وانظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٧٠-٧١، ١٠٥-١٠٧).

(٤) انظر: نفع الطيب للمقري (٢/٦٩٩)، وانظر: أزهار الرياض للمقري (٣/٣١٨)، وانظر: نيل الابتهاج لتبكتي (ص ٣٢٤)، وانظر: مقدمة تحقيق علي نشار على بدائع السلك لابن الأزرقي (ص ٢١).

يغلق بوفاة ابن رشد وابن خلدون رحمهما الله، فعرض في كتابه كل ما قدر عليه من الكتابات في السياسة الشرعية، والآداب السلطانية، والفلسفة السياسية، وما كتبه كل مراجع الإسلام، مستعيناً في تحليله لطبيعة الملك، وفلسفة الحكم بمصادر الشريعة، والقواعد العقلية الواقعية<sup>(١)</sup>.

٢- استطاع مؤلف هذا الكتاب برؤيته العقلية الموضوعية، أن يؤلف تركيباً جديداً من كل ما سبق، فجاءت رؤيته لظاهرة الملك، رؤية موسوعية متكاملة، غير بعيدة عن سياقها الزماني والمكاني للعصر الذي عاش فيه، يساعده في ذلك عاملان:

الأول: ممارسته العملية لأمر السياسة وذلك من خلال اتصاله بالملوك، وسفارته بينهم إبان عصر سقوط الأندلس<sup>(٢)</sup>.

الثاني: تأخره الزماني، وهذا أتاح له فرصة موسوعية النقل، والاستفادة، والجمع، والقراءة، حيث استطاع من واقع ظرفه الزماني والمكاني أن يباشر الاطلاع على العديد من المؤلفات والمصادر، في الشريعة، والأصول، والفلسفة، والسياسة، والأخلاق، والتراجم، والجغرافيا، وأدب الرحلات، وكتب الحكماء والواعظين، كما استطاع أيضاً من انتقاء الشخصيات التي جعلها مصدراً من مصادر رؤيته، "كابن خلدون رحمهما الله، والطرطوشي رحمهما الله، وابن رضوان رحمهما الله، والغزالي رحمهما الله، والماوردي رحمهما الله، وابن حزم رحمهما الله، والمرادي الحضرمي رحمهما الله، والشاطبي رحمهما الله، وأبي بكر العربي رحمهما الله، وابن فرحون رحمهما الله، وابن القيم الجوزية رحمهما الله، وابن المقفع، وسيف الدين الأمدى رحمهما الله، وفخر الدين الرازي رحمهما الله، وكتب فلاسفة المشرق والمغرب كالفارابي، والغزالي رحمهما الله، وابن رشد رحمهما الله، وفلاسفة اليونان كأفلاطون، وأرسطو، ناهيك عن كتب الفقهاء والمحدثين"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: مقدمة رضوان السيد على بدائع ابن الأزرقي لزينب شاكر (ص ١٦-١٧).

(٢) انظر: بدائع ابن الأزرقي لزينب شاكر (ص ٥٦).

(٣) المصدر السابق (ص ٦٢-٦٣).

- وهذه بلا شك هيئت له شيئاً لم يسبق إليه في ذلك، حتى أصبح مدرسة يقتفي أثرها<sup>(١)</sup>.
- ٣- يجمع كتاب ابن الأزرق رحمته الله بين الإيمان الغيبي، وبين التفكير العقلاني والوجداني، ورؤيته رؤية موسوعية منفتحة على جميع المذاهب والاتجاهات، يحكمها بسلطان الشرع، كما تحكمها ذاتية ابن الأزرق رحمته الله للظواهر السياسية من جهة، والتحليل المنبثق من الإيمان بالغيب من جهة أخرى، خاصة فيما يتعلق بمسألة انهيار الملك<sup>(٢)</sup>.
- ٤- تميز كتاب بدائع السلك بمنهجيته في الكتابة مبتكرة في مجال الكتابات السلطانية، وذلك بكثرة التفاريع والتشجير المفصل، وهي تدل على عقلية منظمة ودقيقة، حيث بدأ بالكليات، ثم انتقل منها إلى الجزئيات تدريجياً<sup>(٣)</sup>، وهذا يرجع إلى طبيعته العلمية، فالمصنف فقيه عمل بالقضاء، ودرس الأصول والمنطق، كما أنه يعكس ذكاءً وإدراكاً لما يكتب فيه ويتناوله بالبحث والتحليل.
- ٥- أكد في كتابه أهمية ارتباط الأخلاق بالسياسة، وهي من المسائل التي عاجلها في مقدمة ابن خلدون رحمته الله؛ لأن "المقدمة تفتقد البعد الأخلاقي"<sup>(٤)</sup>، فجاء كتابه بكل ثقله ليعيد هذا الحق إلى نصابه<sup>(٥)</sup>، ووجه الاختصاص هنا في تدارك خطورة دخول هذه الرؤية في سياسة
- 
- (١) انظر: مقدمة تحقيق علي النشار على بدائع السلك لابن الأزرق (ص ٢٨).
- (٢) انظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيدي (ص ١٨٠)، وانظر: بدائع ابن الأزرق لزوينب شاکر (ص ٧٣).
- (٣) انظر: بدائع ابن الأزرق لزوينب شاکر (ص ٧١)، وانظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوى الرشيدي (ص ١٧٩).
- (٤) بدائع ابن الأزرق لزوينب شاکر (ص ٧٨)، وانظر: النصيحة السياسية لعز الدين العلام (ص ١٢-١٣)، وانظر: مع ابن الأزرق في مخطوطته، إعداد: د. عبدالمهدي التازي (ص ٥٠)، منشور في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد [٢٢]، ١٩٨٤م، وانظر: السلطة والسياسة لعز الدين العلام (ص ٨٠-٨١).
- (٥) يخصص ابن الأزرق النصف الثاني من كتابه في شرح الأخلاق وتفصيلها وفلسفتها.

المسلمين؛ فرؤية ابن خلدون رَجَّتْ البعد الأخلاقي في السياسة من خلال تأكيد حقيقة العصبية وهيمنة العمران، قد تبنتها الرؤية الميكافيلية المعاصرة<sup>(١)</sup>؛ ولذا أُعيد إليه هذا الفضل، تقول الدكتورة زينب شاکر: "وإذا كان ابن خلدون رَجَّتْ قد شاع اسمه بمقدمته المشهورة في مجال الاجتماع السياسي، فإن ابن الأزرق يعود إليه تأسيس علم الاجتماع السياسي الأخلاقي، أو علم السياسة الأخلاقية"<sup>(٢)</sup>، وقد حفَّزه إلى ذلك أيضاً أنَّ عصره الذي عاش فيه كان عصر انحطاط وانحلال أخلاقي وسياسي واجتماعي وغياب تعليمي<sup>(٣)</sup>.

(١) ربط الفكر السياسي الإسلامي بين الأخلاق والسياسة، في حين فصل ميكافيلي بينهما، وقد سيطرت على مؤلفات أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي فكرة الجمع بين الأخلاق والسياسة، حيث لا سياسة ناجحة بلا أخلاق، في حين سخر ميكافيلي الأخلاق للسياسة، وجعلها تتلون معها لخدمة مصلحة واحدة هي: توحيد إيطاليا، ولو كانت الوسيلة غير أخلاقية، وهي ما يعبر عنه مبدأ الغاية تبرر الوسيلة الذي نادى به ميكافيلي في نصائحه للأمير، ويرى الفكر السياسي الإسلامي أن وسيلة تحقيق الهدف لا بد أن تكون أخلاقية، حيث يستند هذا الفكر إلى القرآن والسنة باعتباره مرجعاً تحكم توجهاته، ومن ثم كان التوكيد على الجانب الأخلاقي في السياسة، في حين أن ميكافيلي رأى ضرورة الوصول إلى الهدف - توحيد إيطاليا -، ولو كانت الوسيلة غير أخلاقية، ومن ثم كان اختلاف التوجهين.

حول تحليل أهم آراء ميكافيلي السياسية في ضوء عصره: انظر:

J. W. Allen, "A history of political Thought in the sixteen century", London: Methuen, ١٩٦٠, pp ٤٤٧ - ٤٩٤.

وحول كتاب الأمير وأهميته ضمن مؤلفات ميكافيلي، وأهم ما ورد به من مبادئ سياسية، انظر:

James L. Wiser, "Political Philosophy" A History of the search for order, Prentice - Hall, INC, Englewood Cliffs, New Jersey, ١٩٨٣, pp ١٣٤ - ١٤٣.

(٢) بدائع ابن الأزرق لزینب شاکر (ص ١٧٩)، وانظر: مقدمة تحقيق علي النشار على بدائع السلك لابن الأزرق (ص ٦).

(٣) انظر: أدب السياسة في بلاد المغرب لنشوی الرشیدی (ص ١٧٦).

هذه مجمل خصائص كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق المالكي رحمته الله، الذي جاء متأخراً في تاريخه، مقدماً في مكانته وتأليفه، فالدراسة تعد كتاب ابن الأزرق من المفاصل الكبرى في كتابة آداب الملوك، وإذا كان ابن المقفع يُعد المؤسس لذلك المجال، والماوردي رحمته الله مصححاً له، والطرطوشي رحمته الله مطوراً فيه، فإن "بدائع السلك" قد جمع بين تناول العلمي والعملية، والتنظيري، والتوليقي، والاستيعابي المصدرية، الذي ترك له مساراً خاصاً داخل الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين.

وتتلخص الدراسة مما سبق إلى ما يأتي:

- ١- ارتبط التصنيف عند المالكية في مجال المناصحة مع انتقال هذا الفن الكتابي إلى بلاد المغرب الإسلامي منذ منتصف القرن الخامس الهجري.
- ٢- قدّم المغاربة المالكيون مصنفات بدیعة في مناصحة أئمة المسلمين، جاءت على شاکلة جميع الكاتبين منذ زمن ابن المقفع حتى وقتهم الذي يكتبون فيه، وتُرجع الدراسة سبب ذلك إلى التنوع الوظيفي والعلمي عند المؤلفين.
- ٣- تعدّ الدراسة كتاب "سراج الملوك" للطرطوشي من بدائع كتابات المغرب الإسلامي، والذي مثّل طوراً من أطوار الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين عند جميع المصنفين من مشرق بلاد المسلمين ومغربه.
- ٤- كان كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق الذي تأخر زمنياً، كتاباً جديداً، أضاف لكتب الآداب السلطانية رؤية جديدة، من خلال توليفه لنظرة العمران لابن خلدون رحمته الله، ورؤية كتاب مناصحة أئمة المسلمين الذين يكتب في مجالهم.
- ٥- تعدّ الدراسة المؤلفات المالكية في المناصحة، جزءاً من النسيج العام في النصيحة الملوكية، وتُرجع امتياز الكتابة فيها إلى الطريقة الخاصة لكل كاتب من جهة، وإلى الظرف الزمني

والواقع السياسي والاجتماعي الذي يَحْتَمُّ طريقة التصنيف من جهة أخرى، شأنها في ذلك شأن جميع المؤلفات من كل مذهب.

## المبحث الثالث

### مصنفات الشافعية في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها

برزت مشاركة العلماء والفقهاء في مناصحة أئمة المسلمين في منتصف القرن الخامس الهجري كما تقدم في تاريخ التصنيف<sup>(١)</sup>، وكان مستهل الكتابة فيها على يد علماء وفقهاء الشافعية، يتقدمهم في ذلك أبو منصور الثعالبي رحمته الله في كتابيه "آداب الملوك" و"تحفة الوزراء"، والحافظ أبو نعيم الأصفهاني رحمته الله في جزئه الحديثي "فضيلة العادلين"، حتى حمل لواءها تأصيلاً وتقييداً ورسماً الماوردي الشافعي رحمته الله في كتبه "نصيحة الملوك"، و"تسهيل النظر"، و"قوانين الوزارة"، و"درر السلوك"، و"التحفة الملوكية".

وقد تهيأ للشافعية من الظروف ما لم يتهيأ لغيرهم من أتباع المذاهب الفقهية الأخرى، الأمر الذي أفسح لهم القول بالمشاركة في هذا المجال، مع استوائهم من حيث السمة مع غيرهم من الكاتبين أتباع المذاهب الفقهية الثلاثة الباقية، وتُرجم الدراسة كثرة تصنيف الشافعية في مبدأ الأمر وسبقهم إليه للأمر التالية<sup>(٢)</sup>:

(١) انظر: الباب الأول، الفصل الثاني، المبحث الأول: المطلب الثاني: السياق التاريخي في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره في بلاد المشرق (ص ٢٧١) من هذه الرسالة.

(٢) وقف الباحث على عدد لا بأس به من كتب المناصحة المطبوعة لمؤلفي الشافعية، مثل: "فضيلة العادلين" للحافظ أبي نعيم، و"آداب الملوك"، و"تحفة الوزراء" للثعالبي، و"نصيحة الملوك"، و"درر السلوك"، و"تسهيل النظر"، و"قوانين الوزارة"، و"التحفة الملوكية" للماوردي، و"التبر المسبوك" للغزالي، و"المنهج السلوك" للشيزري، و"تهذيب الرياسة" للقلعي، و"العقد الفريد" لأبي طلحة القرشي، و"النصيحة للراعي الرعية" لأبي الخير التبريزي، و"آثار الأول" للحسن العباسي، و"حسن السلوك" للموصلي، و"بذل النصائح" لأبي حامد المقدسي، و"تحرير السلوك في تدبير الملوك" لابن الأعراب، و"النصائح المهمة" للشيخ علوان.

ووجود هذا المطبوع للمذهب الشافعي لا يدل دلالة قاطعة على أنه هو الأكثر، فخزانة المطبوعات في المغرب العربي تزخر بكم هائل من مخطوطات النصيحة الملوكية، وقد وقف الباحث أيضاً على مخطوطات في دار الكتب

١ - أن الماوردي رحمته الله الذي يعدّ مؤسس القول في الآداب السلطانية على طريقة الفقهاء، والذي عدّه الكاتبون بعده إماماً في هذا الباب كان شافعي المذهب<sup>(١)</sup>.

٢ - استفاد فقهاء الشافعية إبان العصر السلجوقي من وزير السلاجقة الشافعي نظام الملك الحسن بن علي الطوسي رحمته الله، الذي كان مشاركاً في هذا الفن الكتابي بمؤلفه المشهور "سير الملوك" أو "سياست نامه" والذي قدمه للملك السلجوقي ملك شاه<sup>(٢)</sup>، ولم تقتصر استفادة الشافعية من الوزير وقت حياته بل استمرت حتى بعد وفاته، يقول ابن الجوزي رحمته الله عنه: "وأحسن خلاله مراعاة العلماء وتربية العلم، وبناء المدارس والمساجد والرباطات، والوقوف عليها، وأثره العجيب ببغداد هذه المدرسة وسقوفه الموقوف عليها، وفي كتاب شرطها أنها وقف على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً، وكذلك الأملاك الموقوفة عليها شرط فيها أن يكون على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً، وكذلك شرط في المدرس الذي يكون بها والواعظ الذي يعظ بها ومتولي الكتب"<sup>(٣)</sup> وهذه المدارس والأعمال والأوقاف أكسبت الشافعية حضوراً في المحافل والمؤسسات العلمية، حتى مهدت لهم الطريق في القرن السادس الهجري لعرض مشروعهم الفكري والإداري، ولكن بعيداً عن المحددات الفقهية؛ إذ جاءت الصيغة الكتابية شاملة عامة، شأنها شأن بقية الكتب في هذا الباب<sup>(٤)</sup>.

٣ - كثرة أتباع المذهب الشافعي إبان عصر المماليك، الأمر الذي أكسب قضاتهم نوعاً من

المصرية، فلا يمكن إصدار حكم قاطع حياله، حتى يتم الاستقراء التام، لكن ما ظهر للباحث هو سبق المذهب الشافعي للتصنيف فيه على طريقة العلماء والفقهاء، للأسباب المذكورة.

(١) انظر: دوافع التأليف لنوفل محمد نوري (ص ٨٥).

(٢) انظر: حجاج التمثيل لهاجر مدقن (ص ٣٩).

(٣) المنتظم لابن الجوزي (١٦ / ٣٠٤).

(٤) انظر: دوافع التأليف لنوفل محمد نوري (ص ٨٥-٨٦).

الامتياز من بين سائر قضاة المذاهب، كما أن كثرة أتباع الشافعي يقتضي كثرة علمائهم ومصنفاتهم<sup>(١)</sup>.

وتقف الدراسة على نموذجين من نماذج كتب المناصحة، التي شهدت حضوراً وأثراً في سياق مؤلفات مناصحة أئمة المسلمين.

### أولاً: كتاب "نصيحة الملوك":

كان لدراسات ونظريات الماوردي رحمته الله في السياسة الشرعية، والآداب السلطانية، مكان الصدارة بين الذي اعتنوا بهذا الجانب من التراث الإسلامي السياسي، وكل من كتب في علم السياسة من المسلمين، ويعود ذلك إلى أن الماوردي رحمته الله كتبها في ميدان الواقع، حيث كان قريباً من السلاطين والخلفاء والوزراء<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان كتاب "الأحكام السلطانية" من أعظم الكتب المتعلقة بالفقه السياسي، فإن كتاب "نصيحة الملوك" هو إمام كتب المناصحة بلا منازع، والذي قدّمه زمناً على كتابي "قوانين الوزارة" و"تسهيل النظر"، بل حتى على مؤلفه البديع "الأحكام السلطانية"<sup>(٣)</sup>.

لا يتعلق الحديث عن مكانة وأهمية "نصيحة الملوك" بمصنفات مذهب الشافعية فحسب، فهذا الكتاب أساس وأصل في باب مناصحة أئمة المسلمين، فذكره يجيء في هذا الموضوع؛ ليثبت الاستواء النسبي بين المذاهب الأربعة بالمشاركة في هذا الواجب الشرعي الشريف.

ومن البدهي أن يكون كتاب "نصيحة الملوك" هو الكتاب المنتخب للوقوف على ترجمة مؤلفه، ومحتوى مضامينه، مع التعرّيج على أبرز خصائصه وسماته من خلال الآتي:

(١) انظر: مقدمة تحقيق رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٧).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق ودراسة علي عبدالله الموسى على المنهج السلوك للشيزري (ص ٨٩).

(٣) انظر: مقدمة تحقيق رضوان السيد على تحفة الترك للطرسوسي (ص ٢٤).

١ - ترجمة المصنف:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي رحمته الله - نسبة إلى مهنة بيع ماء الورد -، ولد في البصرة سنة أربع وستين وثلاثمائة للهجرة، ونشأ بها، وفيها تلقى العلم وأخذ عن عالمها أبي القاسم عبدالواحد بن الحسين الصيمري، وكان حافظاً للمذهب الشافعي ومصنفاً فيه، فكان الماوردي رحمته الله يخرج مع جماعة تحيط به وتجالسه<sup>(١)</sup>، ثم ارتحل إلى بغداد ولقي علماءها وأخذ منهم، ومنهم الشيخ أبو حامد أحمد بن أحمد الاسفراييني رحمته الله الذي انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا في بغداد، وقد تأثر الماوردي رحمته الله بعلم هذا العالم وأخلاقه<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث أخذ عن الحسن بن علي بن محمد الجبلي رحمته الله<sup>(٣)</sup>، ومحمد بن عدي المنقري رحمته الله<sup>(٤)</sup>، ومحمد بن المعلی الأزدي رحمته الله<sup>(٥)</sup>، وجعفر بن الفضل البغدادي رحمته الله المعروف

(١) انظر: طبقات الفقهاء، تأليف: أبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ص ١٢٥)، هذبه: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٠م؛ وانظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٢٨٢)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٢٦٧).

(٢) انظر: تاريخ بغداد، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (١٣/٥٨٧)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م؛ وانظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٢٨٢)، وانظر: شذرات الذهب لابن العماد (٥/٢١٨)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٢٦٧).

(٣) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/٥٨٧)، وانظر: الأنساب، تأليف: عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (٣/١٩٣)، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م؛ وانظر: فيات الأعيان لابن خلكان (٣/٢٨٢)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٢٦٧).

(٤) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/٥٨٧)، وانظر: فيات الأعيان لابن خلكان (٣/٢٨٢)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٢٦٧).

(٥) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/٥٨٧)، وانظر: فيات الأعيان لابن خلكان (٣/٢٨٢)، وانظر:

بالمارستاني<sup>(١)</sup> (ت ٣٨٤هـ)، وتلمذ في العربية والأدب والشعر على عبدالله بن محمد البخاري الملقب بالخوازمي رحمته الله (ت ٣٩٨هـ) وكان شافعياً أديباً فقيهاً فصيحاً شاعراً<sup>(٢)</sup>.

ظهر أبو الحسن الماوردي رحمته الله في الفترة الثانية من الحكم العباسي إبان هيمنة الدولة البويهية على الخلافة العباسية، حيث كانت بدايتهم في الحضور السياسي عام ٣٣٤هـ قريباً من مولد الماوردي رحمته الله<sup>(٣)</sup>، واستمروا مع حياة الماوردي رحمته الله حتى تقارباً في النهاية، فكان سقوطهم عام ٤٤٧هـ، أي: قبل وفاة الماوردي رحمته الله بثلاث سنين تقريباً<sup>(٤)</sup>، وقد اتسم عصر الماوردي رحمته الله بالاضطراب والقلاقل السياسية، وكذا الصراعات الطائفية، فالبويهيون "وهم شيعة باطنيون" قد أحكموا القبضة على الخلافة العباسية؛ حتى صار حكم الخليفة فيها صورياً<sup>(٥)</sup>.

لقد كان الماوردي رحمته الله ذا منزلة رفيعة في العلم، قاضياً، ومحدثاً، ومفسراً، وفقهياً، وأديباً لغوياً، وقد: "اشتهر الماوردي رحمته الله في الفكر الإسلامي ببحوثه السياسية، وتكاد أن تكون تلك هي صبغته"<sup>(٦)</sup>.

طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٦٧/٥).

(١) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/٥٨٧)، وانظر: فيات الأعيان لابن خلكان (٣/٢٨٢)، وانظر:

طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٦٧/٥).

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/٣١٧)، وانظر: شذرات الذهب لابن العماد (٥/٢١٨).

(٣) انظر: الإنباء في تاريخ الخلفاء، تأليف: محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ص ١٦٤، ١٧٠)، تحقيق:

قاسم السامرائي، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م؛ وانظر: تاريخ ابن

خلدون (٣/٤٩٠ - ٥٢٢).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٩/٦١٣).

(٥) انظر: الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٣٢)، وانظر: الوثائق السياسية لمحمد ماهر حمادة

(ص ١٧ - ١٨)، وانظر: الفكر السياسي عند الماوردي، تأليف: صلاح الدين بسيوني رسلان (ص ٢٨)، الناشر:

دار الثقافة، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٨٣م.

(٦) مقدمة تحقيق فؤاد عبد المنعم على درر السلوك للماوردي (ص ١٩).

يقول عنه الشيرازي رحمته الله: "له مصنفات كثيرة في الفقه، والتفسير، وأصول الفقه، والآداب، وكان حافظاً للمذهب"<sup>(١)</sup>، ومن أهم مؤلفاته: "النكت والعيون" في التفسير، و"الحاوي"، وهو كتاب ضخيم في الفقه شرح فيه مختصر المزني، و"الأحكام السلطانية"، و"نصيحة الملوك"، و"قوانين الوزارة"، و"تسهيل النظر وتعجيل الظفر"، و"أدب الدنيا والدين"، وغيرها<sup>(٢)</sup>.

وقال عنه الخطيب البغدادي رحمته الله - وكان من تلامذته -: "كان من وجوه الفقهاء الشافعيين"<sup>(٣)</sup>، وقال السبكي رحمته الله في نعتة: "كان إماماً جليلاً رفيع الشأن، له اليد الباسطة في المذهب، والتفنن التام في سائر العلوم"<sup>(٤)</sup>، وذكره تغري بردي رحمته الله فقال: "الإمام الفاضل... صاحب التصانيف الحسان وكان محترماً عند الخلفاء والملوك"<sup>(٥)</sup>.

توفي في يوم الثلاثاء آخر شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة للهجرة، ودفن بمقبرة باب حرب ببغداد، وصلى عليه تلميذه الخطيب البغدادي وله ست وثمانون سنة<sup>(٦)</sup>.

## ٢ - محتوى الكتاب:

هذا الكتاب هو أحد الكتب الرئيسة في الآداب السلطانية أو نصيحة الملوك، وهو مقسم إلى عشرة أبواب على النحو الآتي:

- (١) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص ١٣١)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٥/٢٦٨).
- (٢) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٩/٧٥١)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٦٥-٦٦)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/١٧٥-١٧٦)، وانظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (١/٢٣١-٢٣٢).
- (٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/٥٨٧).
- (٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٢٦٨).
- (٥) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٥/٦٤).
- (٦) انظر: معجم الأدياء لياقوت الحموي (٥/١٩٥٥)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٢٦٩)، وانظر: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٥/٦٤).

**الباب الأول:** جعله في الحث على قبول النصائح، مبيناً منزلة النصيحة من الدين، وحاجة الولاية والملوك إليها، ثم ذكر الأسباب والدواعي التي يمتاز بها الملوك عن غيرهم في الحاجة إلى النصح، معرجاً على الآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها المنصوح مع النصيحة<sup>(١)</sup>.

**الباب الثاني:** جعله في بيان جلاله وعظم منزلة الملوك وعلو مراتبهم على سائر الناس، موضحاً سبب تفضيلهم واصطفائهم، ومبيناً أن من لازم التفضيل أولويتهم بلزوم طريق الاستقامة، والتحلي بالأخلاق الفاضلة؛ لأن التكليف على قدر التشريف<sup>(٢)</sup>.

**الباب الثالث:** أوضح فيه الأسباب التي تؤدي إلى فساد الممالك، جامعاً فيه بين مادة الشرع، وقانون السنن، وتجارب الأمم، وهو يفارق بذلك صياغة المواعظ العامة من خلال عرضه التنظيري في الدين والمملك، وسيأتي إيضاحه في السمات والخصائص<sup>(٣)</sup>.

**الباب الرابع:** عنون له بـ "في المواعظ التي تبصر بغرور الدنيا"، وهذا الباب هو باب النصيحة في الحقيقة، حيث نهج فيه التنوع في عرض النصح، فبعد أن أورد الآيات والآثار في التذكرة والموعظة، اتجه إلى الملك مذكراً إياه بسنن الغابرين، وقد لزم في هذا الباب عرض الأدلة الحاثئة على هذا الغرض مع الإرشاد إلى العمل الصالح<sup>(٤)</sup>.

**الباب الخامس:** خصصه في ترويض النفس وتهذيبها وسياستها، والبديع في الأمر أنه أصل العلوم للملك على خمسة أقسام هي: علم التوحيد، وعلم السنة، وعلم الفقه، وعلم المواعظ، وعلم اللغة، وكأنه يرشده إلى أن العلم هو رأس الإصلاح وشرطه<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: نصيحة الملوك للهاوردي (٣٩-٥٢).

(٢) انظر المصدر السابق (ص ٥٣-٧٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٧٨-١٠١).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٣-١٣٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٣-١٩٠).

الباب السادس: في سياسة الخاصة من الخدم، والولد، والحاشية ونحوهم، وقد أطلال القول فيه "حتى لا تنشر بسلوكها الشاذ فكرة سيئة عنه بين العامة"<sup>(١)</sup>، وحتى يكونوا قدوة للناس<sup>(٢)</sup>.

الباب السابع: وهو مخصص لسياسة العامة، وقوامها الرحمة والعدل، وغاية ما فيه معاد من كتابيه "أدب الدنيا والدين" و"تسهيل النظر"<sup>(٣)</sup>.

الباب الثامن: في تدبير الأموال: وقد جاء بعد تدبير الخاصة والعامة، ذاكراً فيه ضرورة التزام الحلال، وتجنب البخل والتبذير، موضحاً قواعد التدبير والصرف المالي المصلح لأموال الدول، وهذا الباب يكاد يكون مشتركاً بين كتب الآداب السلطانية في الغالب<sup>(٤)</sup>.

الباب التاسع: في تدبير الأعداء وأهل الجنايات، وقد سلك فيه مسلكين: أحدهما تدبير سياسي "سياسة شرعية"، والآخر فقهي شرعي، ففي الأول: تناول خصلاً قسمها إلى مواد هي: المداراة، والمسالمة، وتحصين الملك، واجتذاب حسن الذكر، وتجنب الحرب بقدر الإمكان ونحو ذلك، والثاني: تحدث فيه عن الخصوم، والحدود، وتطبيق الأحكام، وطرق معاملة أهل البدع ومحاسبتهم<sup>(٥)</sup>.

الباب العاشر: "في تقديم النيات وطلب التأويلات مما يجري في أيدي الملوك والأمراء مما اختلف فيه كثير من العلماء وكرهه كثير من الفقهاء"<sup>(٦)</sup>، وهو باب حسن لطيف، تناول فيه ما

(١) مقدمة تحقيق رضوان السيد على نصيحة الملوك للهاوردي (ص ٢١).

(٢) انظر: نصيحة الملوك للهاوردي (ص ١٩١ - ٢٣٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٣٣ - ٢٧٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٧٣ - ٣٠١).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٣٠٣ - ٣٤٧).

(٦) المصدر السابق (ص ٣٤٩).

يختص به الملوك من العادات والرسوم التي اختلف فيها الفقهاء بين الإباحة والتحریم، وقد قرن القول فيه بالمواعظ والتذكير، مع إيجاد البدائل التي تكون مندوحة لهم عن فعل الحرام<sup>(١)</sup>.

وختم الماوردي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ كتابه بقصة للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ مع أحد الواعظين معقّباً عليها بقوله: "هذه موعظة جامعة تبين عن كثير من أصول فساد الممالك والأديان وصلاحتها، ورأينا أن نختم به كتابنا هذا الذي جمعنا فيه جمل ما أوجب الله على ملوك أهل الملة وأمرائها وأئمتها وخلفائها، وامتحنهم بها في أنفسهم، قد أسرف فيها وتعدّى حدودها، وعدل عن طريقها، وقد أشبعت لهم الموعظة، وبذلت لهم النصيحة، وأديت لهم الأمانة ديناً ودنياً، وآخرة وأولى، فلينظر ناظر، وليتعظ متعظ، وفقههم الله وإيانا للسداد، وهدانا وإياهم سبيل الرشاد"<sup>(٢)</sup>.

هذا مجمل ما تضمنه كتاب "نصيحة الملوك" الذي يعدّ المقدم في هذا المجال من الكتابة والتأليف.

### ٣- أبرز خصائص الكتاب:

يُعدّ الماوردي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ من خاصة الخليفة العباسي "القادر بالله" الذي قدم عملاً وجهاداً سنياً في مواجهة خطرين هما: انتشار الباطنية الإسماعيلية، والفكر الشيعي، محاولاً استعادة مكانة الخلافة العباسية التي سلب حقها، وباتت رهينة لتصرف الحكم البويهي<sup>(٣)</sup>.

وفي الوقت نفسه حظي الماوردي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ بثقة السلاطين البويهيين، وأكسبه هذا الرضا فرصة قل نظيرها، استفاد منها في القيام بأعمال مهمة، تمثلت في السفارة بين الحكام، وتذليل العمل

(١) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٤٩ - ٣٦٣).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٨١).

(٣) انظر: متاهة الحاكمية لهاني نسيرة (ص ١١٠).

على معالجة مشاكل عصره السياسية<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن مصنفات الماوردي رحمته الله في السياسة الشرعية كانت جزءاً من العمل الكبير الذي رامه الخليفة العباسي لاستعادة كامل صلاحية الحكم لبني العباس، يمثلها في الجانب الشرعي والنظري الماوردي رحمته الله وإخوانه من علماء عصره<sup>(٢)</sup>.

قدم الماوردي رحمته الله كتابه "نصيحة الملوك" - كما يظن بعض الدارسين - للملك البويهي جلال الدولة (ت ٤٣٥ هـ)، فكانت مضامينه بها فيها من مواعظ وإرشاد، قد تنعكس إيجاباً على علاقته بالخلافة العباسية، فيصيب بذلك مرامه من الإصلاح ولم الشعث قدر الإمكان<sup>(٣)</sup>، مع أن ظاهر الكتاب يدل على عموم النصيحة لكل ملوك الإسلام.

ويعد كتاب "نصيحة الملوك" من أهم كتب الماوردي رحمته الله التي تبيّن "فيها العديد من الاتجاهات والمحاور التي تسعى للحيلولة دون انهيار الممالك، معبراً عن ذلك بالنصائح والمواعظ التي قدمها إلى الخلفاء والحكام في الممالك، بعد أن كوّن شخصيته الفكرية، وتجربته السياسية، واطلاعه على تواريخ الأمم الماضية، فضلاً عن رتبته السياسية في بلاط الدولة العباسية، جعله هذا الأمر في موضع التأثير، بحكم المكانة الدبلوماسية التي نالها، فاستطاع بذلك أن يرسم إطاراً منهجياً سياسياً، هدفه الإصلاح، ومعالجة مواطن الخلل من خلال ما قدمه"<sup>(٤)</sup>، وتقف الدراسة على أبرز سمات هذا الكتاب وخصائصه من خلال العناصر الآتية:

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي (ص ١٥-٢٢٥ و ٢٨٥)، وانظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٩٥٥/٥)،

وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/٥١١)، وانظر: دوافع التأليف لنوفل محمد نوري (ص ٨٥).

(٢) انظر: متاهة الحاكمية لهاني نسيرة (ص ١١٠)، وانظر: دوافع التأليف لنوفل محمد نوري (ص ٨٨)، ولمزيد من

التفصيل حول هذا الموضوع: انظر: دولة الخلافة لسعيد العلوي.

(٣) انظر: دوافع التأليف لنوفل محمد نوري (ص ٨٥).

(٤) الانهيار الحضاري للمالك عند الماوردي في كتابه "نصيحة الملوك" دراسة منهجية تاريخية، إعداد: أ. م. د. محمد

عايد الحسيني (ص ٧٨)، منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، جامعة القادسية - العراق، المجلد ٢٣،

١- إن من أبرز خصائص هذا الكتاب وسماته أنه يُعدّ منطلق الفقهاء والعلماء بمجال التأليف في نصيحة الملوك، والذي يُعبّر عنه بطور التصحيح في الكتابة بهذا المجال، حيث جاء الماوردي رَحِمَهُ اللهُ إِلَى تلك الكتابة التي أخذت الصياغة الفارسية، والبنية الفلسفية اليونانية، قاصرة القول على مراسم الملك، ومظاهر التدبير، مرجأة تناول الشرعي والمقصد الرباني؛ ليربطها بمراد الشارع في الولاية والرئاسة، ويطبق عليها ما نص عليه في الأحكام السلطانية عن مفهوم الخلافة، التي جاءت نائبة عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا<sup>(١)</sup>.

فكتاب "نصيحة الملوك" هو تأصيل للكتابة الشرعية في النصيحة الملوكية - الآداب السلطانية -، وهذا أمر لا يحتاج إلى تحليل أو تعليل، حيث أفصح وأبان عنه المؤلف بصريح العبارة قائلاً في تمهيد الباب الخامس من كتابه: "ومما يجب أن يُقدم في هذا الباب أنا لم نقصد في كتابنا هذا ما يُعده كثيرٌ منهم أدباً في الجلسة، واللبسة، والركبة، والطعمة، والأثاث التي يتجمّلون بها فيما بينهم، والزي الذي يتزيفون به؛ لأنهم بذلك أعلم منا، وأنهم قد أخذوا منها فوق ما يمكننا وصفه وشرحه، ثم قد ألف لهم أتباعهم وأبناء الدنيا منهم كُتُباً كثيرةً قديمةً وحديثةً في دونها كفاية عن هذه البواب، ومندوحة عما يتكفله متكلف من أهل هذا الزمان، ولعل كثيراً مما فعلوه من ذلك ليست فيه فائدة في باب السياسة، ولا جدوى على الراعي والرعية، ولكننا أردنا أن نجعل كتابنا هذا كتاباً دينياً تُريهم فيه صالح معادهم، ومعاشهم، ونظام ممالكهم، وأحوالهم بكتاب الله رب العالمين، وسُنن الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين، والملك الأولين، ونحذّرهم سوء المصرع ولؤم الميتة، وقُبْح الأحداث، واستحقاق العقوبة عاجلاً وأجلاً"<sup>(٢)</sup>.

العدد [٤]، السنة ٢٠٢٠م.

(١) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٥).

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٥).

وكلام الماوردي رحمته الله هذا يشير إلى رفضه توجه الآداب السلطانية التي سَطَّرت معالمه الكبرى في موضوع أدب الملوك، ويروم وضع نمطية جديدة في المقاربة والتناول، تبدأ بمراجعة أولوية مرجعية الكتابة في هذا الباب؛ ليكون النص الشرعي والمنت الأثري في الصف الأول من التصنيف، وتأخذ مقولات الثقافات الأخرى مقام التابع؛ ليتحقق بذلك التوازن الذي بدا مفقوداً في نمط النصوص التي يلّمح إليها في قوله، دون أن يسميها<sup>(١)</sup>.

إن عمل الماوردي رحمته الله في "نصيحة الملوك" والذي يشكل الأثر المركزي في كتاباته مع سائر كتبه التي أدرجها في هذا الإطار، قد تحوّل في سياق تطور الكتابة في النصيحة السياسية إلى نمط جديد مؤثر في الكتابة، فقد أُلِّفت كتابات ومصنفات على شاكلة نصوصه، سواء في روحها الوعظي، أو في مضمونها العلمي، أو في طريقة تبويبها وتشجير معطيات أبوابها ومضمونها<sup>(٢)</sup>، وهي غالب كتب المناصحة التي عاصرت أو جاءت بعده.

٢- ما يميز الماوردي رحمته الله في "نصيحة الملوك" أيضاً هو أنه لا يعظ مرسلأً، ولا يُذكّر ويرشد بغير تعليل، فكتابه كتاب رؤية، وتنظير، ونظر، يُقَعَّد فيه ويؤصل، ويؤسس ويسبب ويعلل، ففي الباب الثالث الذي عنون له بـ "الإبانة عن الأسباب التي من جهتها يعرض الاختلال والفساد في الممالك وفي أحوال الملوك"<sup>(٣)</sup>، أصَّل للملك على قاعدة الارتباط بالدين، يقول في ذلك: "وكان مما جرت عليه أمور العالم، واستمرت عليه ديانة من الديانات أنه لم تكن مملكةً إلا كان أسُّها وأصلها ملة من الملل، عليها بُنيت شرائطها وفروضها، وجرت أحكامها وحدودها، ولم تكن ديانةً قديمة ولا حديثة إلا كان أولها الدعاء إلى معرفة الله جل وعز، وتوحيده، والترغيب فيما عنده للمطيعين من جزيل الثواب وكريم المآب، والحث على التزود إلى دار القرار والبقاء، والتزهد في دار النُّقْلة والفناء، حتى

(١) انظر: مقدمة تحقيق رضوان السيد على نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٤ - ٣١).

(٢) انظر: دراسة في الفكر السياسي الإسلامي لخضر السرحان (ص ٣٤).

(٣) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٧٧).

إذا خرج الآتي بشريعتها، والواضع لأركان ملتها؛ حقاً كان ذلك أم باطلاً، من بينها وقع الاختلاف بين أمته، والتنازع في أهل ملته<sup>(١)</sup>، فكل ملك عند الماوردي رحمته الله إذا يقوم على دعوة دينية<sup>(٢)</sup>، ثم يعرض إلى أسباب اختلال الدول ويجعله في سببين وهما: وجوه العز والمال واتساع السطوة وإقبال الدنيا، وتوريث غير الأكفاء، أما الفساد الذي يعرض للملك، إنما يكون من جهة الدين وهو ما يكون بالتأول الفاسد، فهما عند الماوردي سببان، سياسي وديني<sup>(٣)</sup>.

والمقصود أن نزع التأصيل والتفعيد حاضرة في قلم الماوردي رحمته الله بوضوح وجلاء، وكأنه يشاكل ابن خلدون رحمته الله في مقدمته ولكن مع اختلاف الرؤيتين.

٣- تميز أسلوب الماوردي رحمته الله في كتابه بالوضوح، "حيث كان ينتقي اللفظ والمعنى، ويؤلف بينهما في تطابق تام، رغم إدخاله للفقه في كثير من أخباره المروية"<sup>(٤)</sup>، كما ظهرت بجلاء صنعته البلاغية الأدبية، التي تجسدت في جودة الرصف، وجزالة العبارة، وانتقاء اللفظ، وكثرة الاقتباس والاستعارة، ولا غرابة في ذلك فالماوردي رحمته الله من أدباء الفقهاء الذين ترجم لهم ياقوت الحموي في معجمه<sup>(٥)</sup>.

٤- أن الطابع السياسي هو الصفة الغالبة على منهج الماوردي رحمته الله في "نصيحة الملوك" والذي يشتمل على عرض تاريخي فيما يتعلق بالسياسة الأخلاقية والإدارية، لحفظ الحكم والملك فمثلاً: سياسة الحكم، سياسة الخاصة، سياسة النفس، سياسة العامة، سياسة الجند، والظاهر أنه أراد بطريقة التأليف في السياسة لبعض المحاور، هو طبيعة التعامل مثل:

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٧٩).

(٢) انظر: مقدمة رضوان السيد على نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣).

(٣) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٧٩-١٠١).

(٤) الانهيار الحضاري للملك عند الماوردي لمحمد عايد الحسيني (ص ٨٧).

(٥) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٩٥٥/٥).

سياسة النفس، أي: تربيتها وترويضها<sup>(١)</sup>، ولكن ما يعني هو محاولة الاصطباغ بالحس السياسي، تمثيلاً مع المجال الذي يكتب فيه، فهو يخاطب الملك الذي تُعد السياسة هي دارج ألفاظه، ومألوف كلامه، ومفهومه المتكرر.

٥- من خصائص كتاب "نصائح الملوك" نضج المعلومة، وأصالة الفكر، فهو يكتب من تلقاء نفسه، معللاً لما يقول ومؤصلاً له، وتقصد الدراسة بالأصالة هنا الأصالة في الفكر السياسي الإسلامي، وإلا فقد يجد القارئ معلومات أصيلة في "سراج الملوك" مثلاً، ولكنها تخص الجانب الفقهي أو العقدي، أما كتابات الماوردي رَحِمَهُ اللهُ فهي استنباطات في علم السياسة، مصدرها الشرع، ثم السنن، وتجارب الأمم، وحكمهم، وقد ظهر ذلك جلياً في الباب الثالث: "الإبانة عن الأسباب التي من جهتها يعرض الاختلال والفساد في الممالك وفي أحوال الملوك"<sup>(٢)</sup>، والباب الخامس: "في سياسة النفس ورياضتها"<sup>(٣)</sup>، وإن كانت لا تفارق كل كتابه.

وإذا عد الماوردي رَحِمَهُ اللهُ مؤصلاً للكتابة في المناصحة على طريقة مرايا الأمراء - الآداب السلطانية، أو نصيحة الملوك - فإن خصائصه الكبرى ترجع إلى: التأصيل، والتقعيد، والأصالة، ويبقى هذا الكتاب - من وجهة نظر الدراسة - نموذج الكتابة في الباب؛ لاجتماع سمات التأليف الظاهرة والباطنة فيه، فاسمه "نصيحة الملوك"، ومقصوده الملك البويهبي أو ملوك الإسلام، وقد اشتمل مضمونه على الكتاب، والسنة، والأثر، والفلسفة اليونانية، والحكمة الفارسية، فحق له أن يُنعت بالكتاب المثال في بابه.

ثانياً: كتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك":

من مؤلفات الشافعية في مناصحة أئمة المسلمين كتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك"

(١) انظر: الانهيار الحضاري للممالك عند الماوردي لمحمد عايد الحسيني (ص ٨٧).

(٢) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٧٩-١٠١).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٥-١٨٩).

الذي ألفه الغزالي بالفارسية وقدمه نصيحة للسلطان محمد بن ملك شاه، ونقل إلى العربية بأمر من حاكم الموصل الأتابك بترجمة صفى الدين علي ابن المبارك الإربلي أحد تلامذة الغزالي<sup>(١)</sup>، وقيل: أنه تُرجم إلى التركية أيضاً<sup>(٢)</sup>، وهذا يُبين عن منزلة هذا الكتاب بين كتب هذا الفن.

وهذا المصنف من بين التراث العلمي الذي تركه الغزالي "نموذجاً من كتب المرايا التي تبحث في الحكمة العملية، وأدائية التعامل السياسي والاجتماعي، فهو يبحث في آداب النفس وأصول التعامل، ويذكر وصايا يعم نفعها على الحكام والأمراء والعاملين في ميادين الإدارة"<sup>(٣)</sup>، وهو نبراس مضيء للملوك والسلاطين، رسم من خلاله الخطوط العريضة، والتفاصيل الدقيقة، لأهمية التعامل بالعدل والقسط بين العباد، وقدم فيه مواعظ مؤثرة لأئمة المسلمين ونوابهم.

وتتناول الدراسة التعريف بهذا النموذج الشافعي من خلال الوقوف على ترجمة مصنفه، وتوضيح معالم محتواه، مع تسليط الضوء على أبرز خصائصه وسماته كما يلي:

#### ١- ترجمة المصنف:

هو محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الشافعي، الملقب بحجة الإسلام، ويكنى بأبي حامد، وشهرته أبو حامد الغزالي<sup>(٤)</sup>، ولد بالطابران، إحدى بلدتي طوس، سنة ٤٥٠ هـ<sup>(٥)</sup>، وهي السنة التي توفي فيها الماوردي رحمته الله.

(١) انظر: الأعلام للزركلي (٢٢/٧)، وانظر: مقدمة تحقيق محمد أحمد دمج على التبر المسبوك للغزالي (ص ٧)، وانظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ١٤٥).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق محمد أحمد دمج على التبر المسبوك للغزالي (ص ٧ - ٨)، وانظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ١٤٥).

(٣) حجاج التمثيل لهاجر مدقن (ص ٤٠).

(٤) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢١٦/٤)، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٩١/٦).

(٥) انظر: شذرات الذهب لابن العماد (١٩/٦).

نشأ الغزالي رحمته الله في بلدة طوس يتيماً من بيت فقير<sup>(١)</sup>، وبها اشتغل في مبدأ أمره بالعلم، فدرس على الشيخ علي بن أحمد الراذكاني رحمته الله الفقه، ثم رحل إلى جرجان وتلمذ على أبي القاسم الإسماعيلي أحد شيوخ الشافعية فقراً عليه علم الأصول والفقه<sup>(٢)</sup> ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني رحمته الله، وجدَّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، وصنف في ذلك الوقت، وكان أستاذه يتبجح به، ولم يزل ملازماً له إلى أن توفي<sup>(٣)</sup>.

وبعد وفاة إمام الحرمين خرج الغزالي رحمته الله من نيسابور إلى العسكرة، ولقي الوزير نظام الملك رحمته الله فأكرمه وعظمه وبالغ في الإقبال عليه، وكان في مجلس الوزير جماعة من الأفاضل، فجرى بينهم الجدل والمناظرة في عدة مجالس، فظهر عليهم، واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان، وعندها ولاه الوزير نظام الملك المدرسة النظامية<sup>(٤)</sup> سنة ٤٨٨ هـ، واستمر بها مدة أربع سنوات حتى عام ٤٩٢ هـ<sup>(٥)</sup>.

وفي بغداد عكف على دراسة الفلسفة دراسة عميقة، وألف كتابه "مقاصد الفلاسفة" وهو مجرد عرض لأقوالهم وشرح لها، ثم صنف كتابه "تهافت الفلاسفة" الذي فند فيه أقوالهم وأصولهم، وبيّن تهافت أقوالهم وبطلان سبيلهم<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٣٣٥)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٩١/٦-١٩٣).

(٢) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢١٩)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/١٩٥).

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢١٧).

(٤) المدارس النظامية: هي المدارس التي أسسها الوزير نظام الملك الطوسي رحمته الله في عهد السلاجقة؛ ولذا سميت باسمه، وهي من المدارس الجيدة البناء، المتعددة المرافق، وقد جدَّ الوزير في إنشائها، وأوقف عليها الأوقاف الواسعة، واختار لها الأكفاء من الأساتذة. انظر: البغداديون وأخبارهم ومجالسهم، تأليف: إبراهيم عبدالغني الدروبي (ص ٢٧٦)، الناشر: مطبعة الرابطة، بغداد - العراق، د. ط، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م.

(٥) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٩٧)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/١٩٦-١٩٧).

(٦) انظر: المنقذ من الضلال، تأليف: أبي حامد الغزالي (ص ١٤٣)، الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر، د. ط، د. ت.

وبعد أن ذاع صيته في الناس ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة ٤٨٨هـ، وسلك طريق الزهد والانقطاع، وأتاب عنه أخاه محمداً في التدريس<sup>(١)</sup>، ثم خرج من بغداد إلى الشام، فتنقل بين دمشق، والقدس، ومكة، والمدينة، يقول الغزالي رحمته: "ثم دخلت الشام، وأقمت به قريباً من سنتين أشغل الشغل لي إلا العزلة والخلوة، والرياضة والمجاهدة، اشتغلاً بتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب لذكر الله تعالى، كما كنت حصلته من كتب الصوفية، فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق، أصعد منارة المسجد طول النهار، وأغلق بابها على نفسي، وثم رحلت منها إلى بيت المقدس، أدخل كل يوم الصخرة، وأغلق بابها على نفسي، ثم تحركت في داعية فريضة الحج"<sup>(٢)</sup>، وهذه المرحلة سيأتي الكلام عليها في الخصائص؛ وذلك لارتباطها بمنهجه الكتابي في التبر المسبوك.

بعدها عاد إلى التدريس، وخرج من خلوته بعد إلحاح الوزير نظام الملك الطوسي، وأقام في التدريس حتى عام ٥٠٣هـ، ثم عاد بعدها إلى بيته في طوس، وبنى مدرسة وزاوية بجوار بيته وعكف على التربية والتعليم<sup>(٣)</sup>.

احتل الغزالي منزلة رفيعة بين علماء عصره، وأثنوا عليه وعتوه بجميل الصفات، يقول عنه شيخه الجويني رحمته: "الغزالي بحر مغدق"<sup>(٤)</sup>، وقال عنه تلميذه محمد بن يحيى النيسابوري رحمته: "الغزالي هو الشافعي الثاني"<sup>(٥)</sup>، ووصفه السبكي رحمته فقال: "حجة الإسلام، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام، جامع أشتات العلوم، والمبرز في المنقول منها والمفهوم، جرت الأئمة

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢١٦).

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي (ص ١٧٦)، وانظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢١٦).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (١/٢١١)، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/٢٠٠).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/١٩٦).

(٥) المصدر السابق (٦/٢٠٢).

قبله بشأن لم يقع منه بالغاية، ولا وقف عند مطلب وراء مطلب لأصحاب النهاية والبداية"<sup>(١)</sup>. له مصنفات عديدة، قال ابن خلكان: "ثم عاد إلى وطنه بطوس، واشتغل بنفسه وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون، منها ما هو أشهرها كتاب "الوسيط" و"البسيط" و"الوجيز" و"الخلاصة" في الفقه، ومنها: إحياء علوم الدين... وله في أصول الفقه "المستصفى" فرغ من تصنيفه في سادس المحرم سنة ثلاث وخمسة، وله: "المنحول" و"المنتحل" في علم الجدل، وله: "تهافت الفلاسفة" و"محك النظر" و"معيار العلم" و"المقاصد" و"المضنون به على غير أهله" و"المقصد الأقصى" في شرح أسماء الله الحسنى، و"مشكاة الأنوار" و"المنقذ من الضلال" و"حقيقة القولين" وكتبه كثيرة، وكلها نافعة"<sup>(٢)</sup>، والغزالي من المكثرين في التصنيف، وقد أوصل بعضهم مصنفاته إلى خمسمائة مصنف"<sup>(٣)</sup>.

توفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران ودفن بها وهي من مدن طوس<sup>(٤)</sup>.

## ٢- محتوى الكتاب:

قدم الغزالي لمصنفه "التبر المسبوك" بتمهيد في موعظة السلطان، وأتبعها بمبحث عن أصول قاعدة الاعتقاد ومنابع شجرة الإيمان، ثم قسّم باقي الكتاب إلى سبعة أبواب جاءت جميعها على النحو الآتي:

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٩١/٦ - ١٩٢).

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢١٨/٤).

(٣) انظر: مؤلفات الغزالي، تأليف: د. عبدالرحمن بدوي (ص ٣٣٨)، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٧٧هـ.

(٤) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠٤/٥٥)، وانظر: طبقات الفقهاء الشافعية، تأليف: عثمان بن عبدالرحمن، أبي عمرو، تقي الدين، المعروف بابن الصلاح (١/٢٦٤)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م؛ وانظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣١٨/٤).

التمهيد: وفيه وعظ مباشر للسلطان بوجوب شكر الله، ولزوم طاعته، أوضح له فيها أن أجل النعم هي نعمة الإيمان يقول في ذلك: "فالقدر النعمة التي تبقى على الدوام وتدوم مدى الليالي والأيام، وهي نعمة الإيمان الذي هو بذرة السعادة المؤبدة"<sup>(١)</sup>، وهو يريد أن يؤصل جميع كتابه على هذا الأمر، فجعل هذه البذرة هي أصل شجرة الإيمان، ودلّه على الخير الذي هو ماء هذه البذرة "حتى تصير شجرة أصلها في قعر الأرض السفلى، وفرعها في السموات العلى، كما قال تعالى: ﴿الْمُتْرَكِيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>"<sup>(٣)</sup>.

وقد قسم تشجيرها للإيمان على قسمين:

القسم الأول: أصول الشجرة: وجعلها عشرة أصول، هي: الأصل الأول: الاعتقاد: الذي هو أصل الإيمان<sup>(٤)</sup>، الأصل الثاني: في تنزيه الخالق<sup>(٥)</sup>، الأصل الثالث: في القدرة<sup>(٦)</sup>، الأصل الرابع: في العلم<sup>(٧)</sup>، الأصل الخامس: الإرادة<sup>(٨)</sup>، الأصل السادس: في أنه سميع بصير<sup>(٩)</sup>، الأصل السابع: في الكلام<sup>(١٠)</sup>، الأصل الثامن: في أفعاله تعالى<sup>(١١)</sup>، الأصل التاسع: في ذكر

(١) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٣ - ٩٤).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٢٤).

(٣) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٩٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٩٨ - ٩٩).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٩٩).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٩٩ - ١٠٠).

(٨) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٠).

(٩) انظر: المصدر السابق (ص ١٠١).

(١٠) انظر: المصدر السابق (ص ١٠١).

(١١) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٢).

الآخرة<sup>(١)</sup>، الأصل العاشر: في ذكر رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

**القسم الثاني:** فروع شجرة الإيـمان: وقد فسره بقوله للسلطان: "اعلم أيها السلطان أن كل ما كان في قلب الإنسان من معرفة واعتقاد فذلك أصل الإيـمان، وما كان جارياً على أعضائه السبعة من الطاعة والعدل فذلك فرع الإيـمان، فإذا كان الفرع ذائباً، دل على ضعف الأصل، فإنه لا ينبت عند الموت، وعمل البدن عنوان إيـمان القلب"<sup>(٣)</sup>.

وجعل أعمال البدن التي هي فروع الإيـمان على قسمين: **القسم الأول:** بين الله والعبد، وجعلها في فعل العبادات وترك المنهيات.

**القسم الثاني:** بين السلطان ورعيته، وهي العدل في الرعية والكف عن الظلم<sup>(٤)</sup>، وأطال في أصل العدل وأقامه على عشرة أصول<sup>(٥)</sup>.

ثم جعل بقاء هذه الشجرة مرهوناً بسقيها من عينين نضاختين هما: معرفة حقيقة الدنيا، وذكر الموت<sup>(٦)</sup>.

بعد ذلك التمهيد المتعلق بالإيـمان والاعتقاد، والوعظ والتذكير الذي وجهه إلى السلطان، شرع في أبواب مصنفه كما يلي: **الباب الأول:** في ذكر العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم، وقد أكد فيه على ضرورة العدل في الحكم، وأن الله اختار الملوك لتحقيق ذلك بين العباد، مورداً في ذلك قصصاً وحكايات وحكماً من هذه الأمة ومن الأمم السابقة، وتناول بعض الوسائل

(١) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١٠٢ - ١٠٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٣) المصدر السابق (ص ١٠٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٧ - ١٠٨).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٨ - ١٤٠).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ١٤١ - ١٦٩).

والسبل المعينة على إقامة العدل<sup>(١)</sup>.

**الباب الثاني:** في سياسة الوزراء وسير الوزراء: وتناول في هذا الباب منزلة الوزير من السلطان وأثره في نجاح المملكة، كما تحدث عن افتقار الوزراء إلى بركة السلطان؛ والأخلاق الواجبة في الوزراء<sup>(٢)</sup>.

**الباب الثالث:** في ذكر الكتّاب وآدابهم: تحدث فيه عن فضل الكتابة، وآداب الكتّاب، وشروط اختيارهم<sup>(٣)</sup>.

**الباب الرابع:** في سمو همم الملوك: وقد أورد في الباب قصصاً وحكماً وحكايات، وهو يريد من ذلك كما يوضحه في تذييل الباب بقوله: "وفي هذا الباب كلام طويل، ونكتفي بهذا لئلا يطول الكتاب، وينبغي أن تعلم أن المهمة وإن تأخرت فإنها توصل بصاحبها بر مراده يوماً من الزمان"<sup>(٤)</sup>، والمعنى أنه جعل المهمة هي العلة الفاعلة للنجاح<sup>(٥)</sup>.

**الباب الخامس:** في ذكر حلم الحكماء: وهذا الباب مشتمل على جمل من الحكم في الوعظ، والتذكير، والتدبير، والسياسة، والأخلاق<sup>(٦)</sup>.

**الباب السادس:** في شرف العقل والعقلاء: وهذا الباب من حيث المضمون كالذي قبله؛ لأن محتواه نقلي صرف من أوله إلى آخره، جمع بين شيء من الحكمة والقصة التي تدل على مكانة العقل وفضل أهله<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١٧١ - ٢٦٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٧١ - ٢٨١).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٨٣ - ٢٩٠).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٩٠).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٢٩١ - ٣١٥).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٣١٧ - ٣٣٩).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٣٤١ - ٣٥٦).

**الباب السابع:** في ذكر النساء: وتناول في هذا الباب فضل النساء الصالحات وأثرها على استقرار حياة الرجال، وكأنه يريد ربط أمره بحسن التدبير<sup>(١)</sup>، يقول في أول الباب: "من أراد صلاحه وتدييره ولم يجد المرأة الحسناء يلهو بها فعليه بالمرأة الدينية فذات الدين خير، وأبرك وإذا جاءت الديانة، أتى المال وكان أبرك؛ لأن المرأة التي لا دين لها فما لها أصل، ولا معها بركة، وببركة الديانة يوجد كل خير"<sup>(٢)</sup>.

وبهذا الباب ختم مصنفه بالصلاة والسلام على النبي ﷺ دون أن يعقب عليه بتلخيص أو تذكير أو تنبيه.

### ٣- أبرز خصائص الكتاب:

يعالج كتاب "التبر المسبوك" موضوعات سياسية، ومالية، واجتماعية في ثوب وعظي، و"الكتاب بمضمونه ومختلف موضوعاته هو لسان حال العصر الذي عاش فيه الغزالي، فهو يصور المجتمع والحياة العامة، وسياسة الحكام والسلاطين، وحياة البلاط"<sup>(٣)</sup>، وتقف الدراسة على أبرز خصائص هذا الكتاب وسماته من خلال الآتي:

١- من خصائص هذا الكتاب التركيز على التربية والسلوك، والإطناب في موضوعات تزكية النفس وتقويتها بالإيمان والعمل الصالح، مع ما في مؤلفه من نزعة صوفية مذمومة<sup>(٤)</sup>، والملاحظ أنه في بداية الكتاب باشر خطاب الملك باعتباره مؤمناً مكلفاً عبداً

(١) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ٣٥٧ - ٣٨٥).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٥٧).

(٣) مقدمة محمد أحمد دميح على التبر المسبوك للغزالي (ص ٨).

(٤) ما يجب التنبيه عليه هو ما يوجد في مصنفات الغزالي من مخالفات تتعلق بمسائل الاعتقاد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: "يوجد في بعض كلامه مادة فلسفية وأمور أضيفت إليه توافق أصول الفلاسفة الفاسدة المخالفة للنسبة، بل المخالفة لصريح العقل، حتى تكلم فيه جماعات من علماء خراسان والعراق والمغرب، كرفيقه أبي إسحاق المرغيناني، وأبي الوفاء ابن عقيل، والقشيري، والطرطوشي، وابن رشد، والمازري، وجماعات من

لله، وقدّم في الخطاب حق نفس الملك عليه، بدلالته إلى الله ﷻ، وقد ظهر ذلك للدراسة فيما يأتي:

أ- أن مقصود التأليف من أصله هو دلالة السلطان على حفظ بذرة الإيمان، وتعهدا بقاء الطاعة، حتى تصير شجرة أصلها في قعر الأرض السفلى، وفرعها في السماوات العلى، وانصبّ الحديث في ذلك على أمر الاعتقاد الذي هو أصل الإيمان، فجعله أول كتابه، وذلك في قوله: "ابتداء: قاعدة الاعتقاد الذي هو أصل الإيمان"<sup>(١)</sup>، ثم خلص بعد ذلك إلى الأعمال التي هي فرع الإيمان، وجعلها قسمين: بين السلطان وبين الله تعالى مثل: الصوم والصلاة والحج، وغير ذلك من العبادات. وبين الملك وبين العباد، وهي العدل في الرعية، والكف عن الظلم<sup>(٢)</sup>؛ ليؤسس السياسة كلها على مفهوم العبادة، ويربطها في نفس الملك بطاعة الله والتقرب إليه.

ب- التأكيد على أمر القيام بالعبادات والقرب، التي يحصل بها زيادة الإيمان وتزكية النفس حيث قرّر أمر العبودية في نفس الملك بقوله: "اعلم أيها السلطان أنك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم وجميع ما في العالم، وأنه لا شريك له"<sup>(٣)</sup>، ثم حثّه على نوافل الصيام، والحرص على يوم الجمعة وسننها، وتحري ساعة الاستجابة فيها، والمحافظة

الأولين، حتى ذكر ذلك الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فيما جمعه من طبقات أصحاب الشافعي، وقرّره الشيخ أبو زكريا، قال في هذا الكتاب: "فصل في بيان أشياء مهمة أنكرت على الإمام الغزالي في مصنّفاته ولم يرتضها أهل مذهبه وغيرهم من الشذوذ في تصرفاته، منها: قوله في مقدمة المنطق في أول المستصفي: هذه مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة بعلومه أصلاً". شرح العقيدة الأصفهانية، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (ص ١٦٩)، تحقيق: إبراهيم سعدي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(١) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٧ - ١٠٨).

(٣) المصدر السابق (ص ٩٧).

على صلاة الصبح في الجماعة، والجلوس بعد الفجر في المصلى، والمحافظة على سنة الضحى، والحث على الصدقة<sup>(١)</sup>.

ج- ترويض النفس على الأخلاق الحسنة، والبعد عن مساوئ الأخلاق، وهذه من المسائل المسلكية، يقول في الأصل الرابع: "أنَّ الوالي في الأغلب يكون متكبراً، ومن التكبر يحدث عليه السخط الداعية إلى الانتقام، والغضب غول العقل وعدوه وآفته، وقد ذكرنا ذلك في كتاب الغضب في ربيع المهلكات، وإذا كان الغضب غالباً فينبغي أن يميل في الأمور إلى جانب العفو، ويتعود الكرم والتجاوز، فإذا صار ذلك عادة لك ماثلت الأنبياء والأولياء، ومتى جعلت إمضاء الغضب عادة ماثلت السباع والدواب"<sup>(٢)</sup>، وهو يرمي من خلاله إلى أنَّ السياسة مناقب وأخلاق، وكل مجتمع سياسي مضطر للالتزام بالأخلاق والقيم؛ إن أراد لنفسه البقاء أو الاستمرار؛ ذلك أن ارتباط بقاء قوة الملك بالقيم مستقر وظاهر<sup>(٣)</sup>.

فطريقة عرض الغزالي لكتابه تشهد بتأثيره الصوفي عليها، وكأن هذا الكتاب دليلٌ مرشد للملك في موضوع التزكية والتهديب.

٢- تعد الدراسة هذا الكتاب هو النموذج الوعظي في مناصحة أئمة المسلمين؛ لأنه أصَّل للكتاب وقعد له على الإيمان والتزكية، حتى قضية العدل التي هي أساس الملك، جعل منطلق الحديث فيها من قاعدة الاعتقاد وشجرة الإيمان، يقول في ذكر فروع الشجرة: "واعلم أنَّ ما كان بينك وبين الخالق - سبحانه - فإن عفوه قريب، وأما ما يتعلق بمظالم الناس، فإنه لا يتجاوز به عنك على كل حال يوم القيامة، وخطره عظيم، ولا يسلم من هذا الخطر أحد من الملوك، إلا ملكاً عمل بالعدل والإنصاف؛ ليعلم كيف يطلب العدل

(١) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٦ - ٩٧).

(٢) المصدر السابق (ص ١٣١).

(٣) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ١٦٩ - ١٧٠)، وانظر: السلطة والسياسة لعز الدين العلام (ص ٦٧).

والإنصاف يوم القيامة"<sup>(١)</sup>، ثم شرع في ذكر أصول العدل، وجعلها عشرة أصول وهي:  
عظم قدر الولاية<sup>(٢)</sup>، والاشتياق لرؤية العلماء ومجالستهم وقبول  
نصيحتهم<sup>(٣)</sup>، ومتابعة النواب في العدل<sup>(٤)</sup>، والتواضع<sup>(٥)</sup>، ومحبة الخير للمؤمنين كما يجب  
الملك لنفسه<sup>(٦)</sup>، وتعظيم حاجة الناس<sup>(٧)</sup>، واجتناب الشهوات<sup>(٨)</sup>، والرفق بالرعية<sup>(٩)</sup>،  
والتماس رضا الله وحده<sup>(١٠)</sup>، وتوخي رضا الناس في رضا الله<sup>(١١)</sup>.

والملاحظ أنّ حديثه عن العدل حديثٌ إيماني وعظي صرف، وهذا يؤكد ما تذهب إليه الدراسة.  
٣- يتّبع الغزالي في سرد القصص طريقة عرض النموذج، وهذه خاصية واضحة فيه، فتراه  
إذا ما ذكر أخباراً في العدل - مثلاً - أعقبها بقوله: "يجب على الملوك العقلاء،  
والأفاضل الألباء أن ينظروا في هذه الأخبار؛ ليأخذوا نصيباً من أيام دولتهم، وينصفوا  
المظلومين ويقضوا حوائج السائلين، ويتيقنوا أن هذا الفلك لا يثبت على دور واحد؛  
لأنه لا اعتماد على الدولة، وأن القضاء سهاوي لا يرد بالعساكر، وكثرة الأموال  
والذخائر، وإذا انحلت الدولة، وتلاشت الأموال، وتفانت الرجال، فلا ينفع الندم إذا

(١) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٠٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٨- ١١٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١١٨- ١٢٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٢٧- ١٣١).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٣١- ١٣٦).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٦- ١٣٧).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٧).

(٨) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٨).

(٩) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٩).

(١٠) انظر: المصدر السابق (ص ١٤٠).

(١١) انظر: المصدر السابق (ص ١٤٠).

زلت القدم كما جاء في الحكاية"<sup>(١)</sup>.

وبعد ما ذكر جملة من أخبار ملوك الأمم في العدل خاطب السلطان بقوله: "انظر كيف كانت سيرتهم مع رعيتهم يا سلطان الإسلام، فيجب أن تسمع أقوال هؤلاء، وتنظر أعمالهم، وتقرأ حكاياتهم من الكتب، وما ينظر فيها من نعت عدلهم وإنصافهم، وحسن سيرتهم وطيب خبرهم، وذكرهم الجاري على السنة الخلق إلى يوم القيامة"<sup>(٢)</sup>، وهذا كثير في كتابه، وهو بهذا يخرج من مذمة القصاص الذين يذكرون الأعاجيب بغية جذب السامعين.

٤- تذهب الدراسة إلى اتصاف هذا الكتاب بـ "الذاتية"، وتعني بذلك أنه يركز تركيزاً مباشراً على شخص الملك في عبادته، وإيمانه، وصلاته، وأخلاقه، حتى في مسائل السياسة يربطها بالإيمان، وتركية النفس، والتأمل والتدبر، ومما يؤكد على ذلك أيضاً ما اختص به الكتاب من إدراج باب كامل في فضل النساء، والحديث عن فضلهن، وبركة صلاحهن<sup>(٣)</sup>، وهي مسألة تخص شخص الملك، وتعود عليه بلا شك في حسن سياسته وتدبيره، كما كانت خديجة عليها السلام مع النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

هذه أبرز ما وقفت عليه الدراسة من خصائص كتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك".

وتلخص الدراسة مما سبق إلى ما يأتي:

١- أتيح للشافعية في كتابة مناصحة الملوك بشكل خاص، وفي السياسة الشرعية بشكل

(١) التبر المسبوك للغزالي (ص ٢٥٩).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٠٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٣٥٧-٣٨٥).

(٤) يذهب بعض الدارسين إلى أن تخصيص النساء بالذكر في كتاب الغزالي راجع إلى بنية الكتابة في الآداب السلطانية؛ "إذ لا غرابة أن يتحدث الغزالي عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، ويدخلها في صميم المباحث السياسية، فإن الفلاسفة اليونانيين والمسلمين اعتبروا الفلسفة العملية... أحد فروع علم السياسة، بما فيها تدبير المنزل، وتنظيم الدخل، والخرج، وتربية الصبيان، ورعاية الخدم". مقدمة أحمد محمد دمج على التبر المسبوك للغزالي (ص ٧١).

عام، فرصة لم تتح لغيرهم، وقد تمثل ذلك في فترة أتباع الشافعي في عهدي السلاجقة ودولة المماليك، الأمر الذي أفسح لعلمائهم الطريق للوصول إلى الحكام والسلاطين، كما أن استزوار نظام الملك الطوسي رحمته الله عند ملك شاه السلجوقي رحمته الله، وشدة اهتمام هذا الوزير بالمذهب الشافعي، جعل لهم مكنة في عرض إصلاحهم الإداري، المتمثل في تلك المصنفات وغيرها.

كما أن ابتداء القول على طريقة الفقهاء كان على يد الماوردي الشافعي رحمته الله، الذي عدته الدراسة مؤسساً لهذا الطور في الآداب السلطانية.

٢- يُعدّ كتاب "نصيحة الملوك" نموذج الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين من حيث قواعد الكتابة فيه، باعتباره فناً من فنون التأليف، فعنوانه، ومضامينه، وغايته جاءت مطابقة له.

٣- ارتبط بتأليف "نصيحة الملوك" مرحلة التصحيح لمسار الكتابة في الآداب السلطانية، حيث ألبسها لبوس الشرع؛ ليأخذ نص الوحيين وضوابط الشريعة الصدارة فيه، بعد أن كانت كتابة أدبية، وفلسفة أرسطية، وحكمة فارسية، لا تتجاوز قول الأنيس الذي لا يروم إلا التلميح والإشارة، والتصحيح النسبي.

٤- تعدّ الدراسة كتاب "التبر المسبوك" كتاب الوعظ المباشر الذي يخاطب وجدان الملك، ويعالج ذاته الخاصة، وقد أُصلّ الكتابُ على الخطاب الوعظي الإيماني، الذي يوجه السياسة بالتقوى والخلق وحسن السلوك.

## المبحث الرابع

### مصنفات الحنابلة في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها

للحنابلة أثر ملموس بالتصنيف في السياسة الشرعية، ومن "الفقهاء الذين استوفوا الكلام في الفقه السياسي، وشرح فأحسن شرحه، وأبان عن قدرة فطنة في معالجة النوازل السياسية، الإمام ابن تيمية رائد المدرسة الحديثية التي جمعت بين العقل والنقل، ومن الذين أسهموا في تاريخ الحضارة الإسلامية، فألفوا وتفاعلوا مع واقعهم بشكل إيجابي"<sup>(١)</sup>، ومن أهم مؤلفاته في هذا الباب كتاب "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية" الذي نهلت منه كتب المناصحة من المذاهب الفقهية الأخرى مثل كتاب "حسن السلوك" للموصلي الشافعي، وكتاب "بذل النصائح الشرعية" لأبي حامد المقدسي الشافعي، وكتاب "النصائح المهمة" للشيخ علوان الشافعي، ومن مصنفاته رحمته الله في هذا المجال "الحسبة" الذي تحدث فيه عن وظيفة المحتسب ومنع الاحتكار والتسعير.

ومن مصنفات الحنابلة أيضاً في السياسة الشرعية كتاب "الطرق الحكيمة" وكتاب "أحكام أهل الذمة" وكلاهما لابن قيم الجوزية.

غير أن تأليفهم في - مناصحة الملوك - يأتي في الدرجة الرابعة بين مصنفات كتب المناصحة؛ إذ لم تقف الدراسة إلا على أربعة كتب مطبوعة فحسب، وهي: كتاب "الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء"، وكتاب "المصباح المضيء في خلافة المستضيء"، وهما لأبي الفرج ابن الجوزي رحمته الله، وكتاب "نصيحة الملك الأشرف" للحافظ ضياء الدين المقدسي رحمته الله، وهو عبارة عن مصنف مختصر لا يتجاوز الصفحات المعدودة، والأخير هو كتاب "عزة العلماء ومناصحة

(١) الفقه السياسي عند المالكية لعلماد المرزوق (ص ٧٢٥-٧٢٦).

السلطين والأمراء" للأستاذ الدكتور عبدالله بن حسين الموجان<sup>(١)</sup>.

أما كتابا ابن الجوزي رحمته الله "الشفاء" و"المصباح"، فهما مصنفاه الوحيدان في وعظ أئمة المسلمين<sup>(٢)</sup>، وقد اشتمل الكتاب الأول "على عشرة أبواب سبعة منها ستجدها مكررة في كتابه الثاني "المصباح المضيء" مع فارق أساس هو غنى الأبواب المكررة بمادة وعظية أشمل في كتاب المصباح"<sup>(٣)</sup>؛ ولذا فإن الدراسة ترى الاستغناء بكتاب "المصباح" عن كتاب "الشفاء" لاشتماله على ما فيه من خصائص وسمات وزيادة.

وتتناول الدراسة عرض نموذجين من كتب الحنابلة، من خلال الوقوف على ترجمة المصنف، وتسلط الضوء على محتواه العام، مع إبراز خصائصه وسماته التي تميزه عن كتب المناصحة، وذلك فيما يأتي:

#### أولاً: كتاب "المصباح المضيء في خلافة المستضيء":

كتاب "المصباح المضيء في خلافة المستضيء"، أحد مؤلفات ابن الجوزي التي قصد بها وعظ وإرشاد الخليفة العباسي "المستضيء بأمر الله" (ت ٥٧٥هـ)؛ ولتكون مرجعاً للخليفة في تطبيق السياسة الشرعية<sup>(٤)</sup>.

وهذا المصنف من أثرى المصنفات في مناصحة أئمة المسلمين؛ وذلك لموسوعية مؤلفه العلمية من جهة، ولنبوغه في مادة الوعظ عموماً من جهة أخرى<sup>(٥)</sup>، كما أن عصر الخليفة المقصود

(١) قام بنشره مركز الكون، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م.

(٢) انظر: في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ١١٢).

(٣) المصدر السابق (ص ١١٢).

(٤) انظر: مقدمة تحقيق ناجية عبدالله على المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٩)، وانظر: في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ١١٢).

(٥) انظر: تذكرة الحفاظ، تأليف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيهاز الذهبي (٩٢/٤)، الناشر:

بالوعظ "كان عصرًا حافلًا بمختلف التيارات المذهبية، والاتجاهات الفكرية التي أغنت الفكر العربي الإسلامي، ودلت على حيويته وأصالته، فقد كان للعلماء والمفكرين أثر كبير وواضح في هذا المجال"<sup>(١)</sup>، وتتطرق الدراسة لترجمة ابن الجوزي وإيضاح أهم محتويات كتابه "المصباح المضيء"، مع الوقوف على أبرز خصائصه على النحو الآتي:

#### ١ - ترجمة المصنف:

هو أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن عبدالله بن حمّاد القرشي التميمي البكري الصديقي المعروف بابن الجوزي، الفقيه الحنبلي البغدادي<sup>(٢)</sup>.

ولد بدر ب حبيب ببغداد<sup>(٣)</sup>، وقد اختلف المترجمون في سنة مولده فقيل: إنه ولد سنة ثمان وخمسةائة، أو سنة عشر وخمسةائة<sup>(٤)</sup>، وابن الجوزي نفسه لا يحقق سنة مولده، يقول: "لا أحقق مولدي، غير أنه مات أبي في سنة أربعة عشر وخمسةائة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

(١) مقدمة ناجية عبدالله على المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٩)، وانظر: في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ١١١).

(٢) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ١٤٠)، وانظر: الوافي بالوفيات للصفدي (١٨/ ١٠٩)، وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تأليف: أبي محمد عفيف الدين عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٣/ ٣٧٠)، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م؛ وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٦/ ٧٠٧)، وانظر: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٦/ ١٧٥).

(٣) انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تأليف: شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبدالله، سبط ابن الجوزي (٢٢/ ٩٤)، تحقيق وتعليق: محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريجاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزبيق، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.

(٤) انظر: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢٢/ ٩٤).

ثلاث سنين" <sup>(١)</sup>، فلي هذا يكون مولده في سنة إحدى عشرة أو اثنتي عشرة وخمسةائة.

نشأ ابن الجوزي يتيماً فكفلته أمه وعمته <sup>(٢)</sup>، وبدأ في أخذ الحديث صغيراً، حيث أخذته عمته بعد تمييزه إلى الشيخ أبي الفضل محمد بن ناصر وكان محدثاً وفتياً صالحاً أميناً فحفظ على يديه القرآن والحديث <sup>(٣)</sup>، ويذكر ابن الجوزي عن نفسه وهو صبي فيقول: "إنني رجل حُبب إليَّ العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يجب إليه فن واحد منه بل فنونه، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه بل أروم استقصاءه" <sup>(٤)</sup>.

وصحب ابن الجوزي أبا الحسن الزاغوني رحمته الله ولازمه في الفقه والوعظ، وكان يثني على شيخه هذا <sup>(٥)</sup>، وأخذ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري رحمته الله، والقاضي أبي يعلى الصغير رحمته الله، وقد جمع المصنف مشيخةً ذكر فيها شيوخه وأحوالهم، ضمن فيه سبعة وثمانين شيخاً منهم ثلاث نسوة <sup>(٦)</sup>.

وكان متوسعاً في الطلب، يقول عن نفسه: "ولم أقنع بفن من العلوم، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت العربية، ولم أترك أحداً ممن يروي ولا يعظ، ولا

(١) ذيل طبقات الحنابلة، تأليف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي (٢/٤٦٢)، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٤٦٣).

(٣) انظر: المنتظم لابن الجوزي (١/١٥)، وانظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/٥٨).

(٤) صيد الخاطر، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ص ١١)، عناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٥) انظر: صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ١٢)، وانظر: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢٢/٩٥)، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٣٨).

(٦) انظر: المنتظم لابن الجوزي (١٣/٢٨٦)، وانظر: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢٢/٩٤).

غريباً يقدم إلا وأحضره وأتخير الفضائل...<sup>(١)</sup>.

تميّز ابن الجوزي بالوعظ، وبدأ فيه مبكراً في سن التاسعة، وله في الوعظ وفنونه ما لم يصنف مثله<sup>(٢)</sup>؛ ولقوته وفضله في الوعظ أطلق عليه عالم العراق وواعظ الآفاق<sup>(٣)</sup>، يقول الذهبي رحمته الله: "وإليه المنتهى في النثر والنظم والوعظ"<sup>(٤)</sup>، ونعته ابن رجب رحمته الله فقال: "إن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير ولم يسمع بمثلها، وكانت عظيمة النفع، يتذكر بها الغافلون، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب بها المذنبون، ويسلم فيها المشركون"<sup>(٥)</sup>.

أثنى عليه جماعة من العلماء بالعلم والتقوى والصلاح، يقول أبو مظفر رحمته الله: "كان زاهداً في الدنيا، متقللاً منها، وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره: كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مئة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونصراني، وكان يجلس بجامع القصر، والرصافة، والمنصور، وباب بدر، وتربة أم الخليفة وغيرها، وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة وللمجلس، وما مازح أحداً قط، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى"<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن خلكان رحمته الله: "علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون عديدة، منها: "زاد المسير في علم التفسير" أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة، وله في الحديث تصانيف كثيرة، وله "المنتظم" في التاريخ، وهو كبير، وله "الموضوعات" في أربعة

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ٥٠٤).

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٤٦٥).

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/٩٢).

(٤) المصدر السابق (٤/٩٤).

(٥) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٤٨٠).

(٦) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢٢/٩٤).

أجزاء، ذكر فيها كل حديث موضوع، وله "تلقيح فهوم الأثر" على وضع كتاب "المعارف" لابن قتيبة، وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد<sup>(١)</sup>.

اشتهر ابن الجوزي رحمته الله بكثرة التصنيف، وقد صنف في فنون مختلفة، يقول معاصره عبداللطيف البغدادي رحمته الله: "له في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف"<sup>(٢)</sup>، ويذكر هو عن نفسه بأن مؤلفاته قد بلغت وقت تأليفه مائتين وخمسين مصنفاً<sup>(٣)</sup>، وقد عدّها بعضهم فأوصلها إلى أربعمئة مؤلف<sup>(٤)</sup>.

توفي عن عمر يناهز السادسة والثمانين في بغداد سنة ٥٩٧هـ<sup>(٥)</sup>.

## ٢- محتوى الكتاب:

تكمن أهمية كتاب "المصباح المضيء في خلافة المستضيء" في كونه كتاباً وعظاً وتذكيراً يحث فيه المصنف الخليفة "المستضيء" الذي جعله عنواناً لكتابه، على أمور يستنير بها في إدارة دولته، وترشده إلى السياسة العادلة التي يؤول بها إلى إصلاح البلاد وبقائها.

فالكتاب بمحتوياته يعالج جوانب عديدة من أمور الدولة وشؤونها، وكذا يهدي السلطان والخليفة إلى سلوك الطريق الصحيح في ذاته ومع خاصته، فهو إذاً يعالج الحياة السياسية

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/١٤١).

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/٩٥)، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٤٨٤).

(٣) انظر: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢٢/٩٦).

(٤) انظر: قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي، تأليف: د. ناجية عبدالله إبراهيم (ص ١٧)، الناشر: دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، د. ط، ٢٠٠٢م؛ وانظر: في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ١١١).

(٥) انظر: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢٢/٩٦-٩٧)، وانظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/١٤٠)، وانظر:

تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/٩٢-٩٣)، وانظر: مرآة الجنان لابن سليمان اليافعي (٣/٣٧٠)، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٤٩٠-٤٩١).

والحلول الناجحة لها، كما يعالج الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإدارية وغيرها من الأمور الأخرى<sup>(١)</sup>، بإدانة مشبعة من النص، والأثر، والنقل، والأخبار، فرّقها على سبعة عشر باباً جاءت على هذا النحو:

### الباب الأول: في بيان شرف الخلافة وتمهئة السلطان بها:

احتوى هذا الباب على ستة عشر فصلاً، تضمنت المقاصد الشرعية والعقلية التي أراد ابن الجوزي أن يرشد الخليفة إليها، وهي تدعو إلى إقامة الخلافة التي تمثل النيابة عن النبوة، وقد أوضح في هذا الباب مكانة قريش في الإسلام، متناولاً مسألة الولاية فيهم. تلا ذلك الحديث في بيان شرف الخلافة، وعظيم أثرها في الناس، وعدها سبباً في سلامة الخلق في أديانهم وأديانهم، وأن الخليفة هو المسؤول عن هذا الأمر، كون أزمة أمور الحكم بيده<sup>(٢)</sup>.

وفي الباب حشد نصي كبير من القرآن العظيم، والسنة المطهرة، ثم من شواهد الشعر والأخبار، والحكم.

### الباب الثاني: في الأمر بالتذكير:

وهو أقل الأبواب في مادته، أورد فيه المصنف نصوصاً تشير إلى أهمية التذكير وفائدته للناس في حثهم عليه وعملهم به<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: ابن الجوزي وكتابه: المصباح المضيء في خلافة المستضيء - دراسة تاريخية تحليلية -، تأليف: د. ناجية عبدالله

إبراهيم (ص ٢٠٣)، د. ن، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.

(٢) انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٨٧ - ١٣٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٣٧ - ١٤٠).

### الباب الثالث: في بيان الحاجة إلى التذكير:

بيّن فيه ابن الجوزي حاجة المكلفين إلى الوعظ والتذكير، موضحاً أن الخليفة أو السلطان أحوج الخلق إليه وأولاهم به، وهو كغيره من الأبواب مشتمل على الآية، والحديث، والأثر<sup>(١)</sup>.

### الباب الرابع: في ذكر من كان يحضر مجالس التذكير من الأكابر ويستدعي التذكرة:

تناول في هذا الباب أهمية حضور الأشراف والوجهاء مجالس الذكر، ولم يقتصر فيه على إيراد النصوص، بل حفّز همّة الخليفة بذكر أخبار الصالحين من سلف الأمة، وذكر حالهم مع مجالس الوعظ والتذكير<sup>(٢)</sup>.

### الباب الخامس: في تذكير السلطان ووعظه:

ربط في هذا الباب بين سماع الموعظة وبين شكر الله تعالى، جاعلاً أن سماع الموعظة شكراً لله على نعمة الخلافة؛ لأنها دليل العبد إلى طاعة ربه، وقد ضمّن هذا الباب اثني عشر فصلاً، وجعل عنوان الفصل الثامن منها: "ومما يوعظ به السلطان"<sup>(٣)</sup>، وعلى الرغم من اختصار هذه الفصول، إلا أن المصنف جعلها في وزن متقارب من حيث الكم المعرفي، كما أظهرت حسن تصنيفه، الذي بدا في تكامل تلك الأبواب فيما بينها<sup>(٤)</sup>.

### الباب السادس: في ذكر فضل العدل:

أوضح المصنف فيه العدل وأهميته، واستشهد بعشرات الأحاديث التي تدل على وجوب العدل وأهميته، ويحذّر من العقاب في اليوم الآخر، مقرونة بآثار الصحابة.

(١) انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ١٤١ - ١٤٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٤٧ - ١٥٦).

(٣) المصدر السابق (ص ١٦٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ١٥٧ - ١٧٦).

وقد أكثر في هذا الباب من ذكر الأقوال المنسوبة لقدماء الفرس والحكام اليونان، وهذا يعني أنه لم يقتصر في النقل والاقْتباس على المصادر الشرعية، فهو بهذا يثبت أن مصنفه ينتمي لمجال نصيحة الملوك - مرايا الأمراء -<sup>(١)</sup>.

### الباب السابع: في ذكر ذم الظلم:

شرح في هذا الباب عواقب الظلم، وحذر من ينحرف عن العدل، واستشهد بنصوص الكتاب والسنة، كما أدرج فيه مقولات من حكم المتقدمين في التحذير من الظلم<sup>(٢)</sup>.

### الباب الثامن: في ذكر ما ينبغي للسلطان استعماله:

أكد في هذا الباب أهمية صلاح ولاة الأمور وأثره في استقرار أحوال البلاد؛ لأن في صلاحه صلاح الرعية، ورغب الإنسان في التفكير والاستبصار، وبيّن أن فساد الرعية هو من آثار فساد الولاية والنواب واضطراب أحوال البلاد، وكعادته حشد فيه نصوصاً كثيرة، ونقلاً من التراث اليوناني عن أفلاطون وسقراط<sup>(٣)</sup>.

وقد اشتمل هذا الباب على سبعة فصول، تضمنت نصوصاً ومقدمات عن ما ينبغي للسلطان استعماله لإصلاح نفسه وولايته، مركزاً فيه على خلقي الحلم والرفق، كما رغب الملك والخليفة في مجالس الذكر ومجالسة العلماء، وملازمة شكر الله وتقواه في السر والعلن<sup>(٤)</sup>.

### الباب التاسع: في ذكر سياسة الرعية ومداراتهم:

أكد في هذا الباب على أمر الاهتمام بالرعايا وتفقد أحوالهم والنظر في مصالحهم، وقد احتوى الباب على اثني عشر فصلاً، عالج فيها أموراً مهمة تتعلق بواجب الولاية، مثل: معرفة

(١) انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ١٧٧ - ١٩٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٩١ - ٢٠٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢١١ - ٢١٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٠٧ - ٢٣٠).

صنوف الرعايا، وموقف السلطان تجاه رعيته وسياسته نحوهم، وموقف رعاياه منه، وَرَبَطَ أثر ذلك كله بمستوى معيشة البلاد واستقرارها، كما تناولت تلك الفصول معالجة المشاكل الاجتماعية والأخلاقية، كستر عيوب الناس، والحرص على عدم إفشائها. ومن الباحث في هذه الفصول، التطرق إلى مسألة العدل في إقامة الحدود، وهذا أمر اعتنى به الكتاب، مؤكداً في نهاية الباب على وجوب العدل ودم الظلم، ولزوم القيام بأمانة مصالح الرعية؛ لأن الولاية خطيرة ومن قام بها نال درجة ليس بعدها إلا النبوة<sup>(١)</sup>.

#### الباب العاشر: في ذكر اجتلاب الأموال ومصادرها:

هذا الباب له أهمية معلومة، وغالب كتب المناصحة تناولته بالبحث والتفصيل، وعده بعضهم ركناً من أركان الدولة<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من اختصار ابن الجوزي رحمته الله لهذا الباب، إلا أنه جاء كافياً في المحتوى، غير مخل مع الاختصار.

قسم ابن الجوزي رحمته الله هذا الباب إلى أربعة أقسام، تناول في القسم الأول: التحذير من فتنة المال، وفي القسم الثاني: بيان أوجه الأموال الداخلة إلى بيت المال، وأوجه إخراجها، وفي القسم الثالث: تناول أموال الفيء، وتعريفها، ومصادرها، والحكم في الوجوه التي تصرف فيها، أما القسم الرابع: فقد أخذ الحديث فيه جانب الأموال المأخوذة من المسلمين، وذكر مصادرها، ثم وجوه صرفها، وختم كتابه هذا بالدعاء لولي أمر المسلمين<sup>(٣)</sup>.

#### الباب الحادي عشر: في ذكر نبذة منتخبة من سير الخلفاء وأخبارهم:

يعد هذا الباب أوسع الأبواب وأكثرها فصولاً، حيث تناول فيه سيرة الخلفاء والأمراء لمدة تزيد على خمسة قرون، وهذا تسبب في طول محتوى الباب؛ وغرض المصنف من ذلك هو أن يجعلهم قدوة للخليفة؛ وليثبت بها فؤاده، يقول في أوله: "وأنا أذكر من سير الخلفاء الأئمة طرفاً

(١) انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٣١ - ٢٥٨).

(٢) انظر: المنهج المسلك للشيزري (ص ٢٢٦).

(٣) انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٥٩ - ٢٧٦).

يجوي طُرفاً يحسن الاحتذاء لها، والاحتذاء بها...<sup>(١)</sup>، وقد ابتدأ بسيرة الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ وانتهى بسيرة الخليفة المقصود بالتصنيف<sup>(٢)</sup>.

#### الباب الثاني عشر: في ذكر من وَعَظَ من الخلفاء:

ذكر في هذا الباب جملة منتخبة من وعظ الخلفاء التي ذكروا بها وأرشدوا، مبتدأ بالخلفاء الراشدين ﷺ، ومنتهاً بالخليفة عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهي عبارة عن مواعظ مختصرة يسوقها المؤلف بسنده إلى الواعظ<sup>(٣)</sup>.

#### الباب الثالث عشر: في ذكر من وُعِظَ من الخلفاء:

ابتدأ ابن الجوزي هذا الباب بحمد الله الذي أمر بالتذكر وإعمال التفكير، ثم ثنى عليه ببيان أهمية هذا الباب، موضحاً أن الخلفاء الصالحين السابقين كانوا يحرصون على سماع المواعظ، ويستدعون أهلها، ثم استطرده في ذكر جملة من المواعظ التي وُعِظَ بها الخلفاء والسلاطين<sup>(٤)</sup>.

#### الباب الرابع عشر: في ذكر من وَعَظَ من الأمراء:

وهو باب مختصر ذكر فيه موعظة لعتبة بن غزوان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأربعة مواعظ للحجاج، وختم الباب بنص للحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(٥)</sup>.

#### الباب الخامس عشر: في ذكر من وُعِظَ من الأمراء:

وفيهما جملة من المواعظ المقدمة للأمراء والملوك القدماء قبل عصر الإسلام، وللمتأخرين من بعده، وفي مضامينها إرشادات تتعلق بحسن تدبير الملك وسياسة الرعية<sup>(٦)</sup>.

(١) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٧٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٧٧ - ٥٠٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٥٠١ - ٥١٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٥١٩ - ٦٦٠).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٦٦١ - ٦٦٨).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٦٦٩ - ٦٨٨).

### الباب السادس عشر: فيه مواعظٌ ووصايا:

يبيّن ابن الجوزي رحمته الله أهمية هذا الباب، واصفاً المواعظ بأنها علاج النفوس عن أسقامها، ونص هذا الباب يحتوي على الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، وعلى تراث اليونان والرومان، وبعض مواعظ وحكم الحكماء<sup>(١)</sup>.

### الباب السابع عشر: في ذكر من تزهد من الملوك والسلطين والأمراء:

وهو خاتمة أبواب الكتاب وآخرها الذي يكمل مرادها؛ إذ غرض المؤلف من هذا هو ربط الملوك عملياً بالآخرة التي يحصل بقصدها صلاح أمر الدارين<sup>(٢)</sup>.  
وبهذا تتم أبواب الباب، وتعد الدراسة هذا الكتاب من أطول الكتب التي ألفت في مناصحة أئمة المسلمين، ومن أثرها مادة.

### ٣- أبرز خصائص الكتاب:

"المصباح المضيء" بما حوى من مضامين سبق بيانها بالعنصر السابق، هو كتاب وعظ وتذكير تكمن أهميته في كونه دعوة للسلطان أو الأمير أو الحاكم لإصلاح شأنه السياسي، فهو "وعظ يعالج الأمور السياسية المختلفة بما يراه ملائماً لعصر الخليفة، وحكم أمرائه، وما ينبغي أن تكون عليه الدولة في مستقبل أيامه من النواحي الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية، وما يجب أن تكون عليه أجهزة الدولة الإدارية من الصلاح وسائر أنظمتها من الدقة، فوضع قواعد وأصولاً يمكن أن يستنير بها الحاكم في حل المشكلات والصعاب التي تواجههم في حكم البلاد، متخذاً دائماً من نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، وسيرة الخلفاء وأعمالهم المثل الأعلى التي بها يعظ الحكّام الجدد المعاصرين له، ولا شيء أكثر تأثيراً في النفوس من قصص الحكماء والفلاسفة والملوك، وسير مشاهير الزهاد، وأعلام الصالحين، وذكر أخبارهم التي تصلح لأن

(١) انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٦٨٩ - ٧٠٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٧٠٣ - ٧٣٩).

تكون نبراساً لوعظ الخليفة وولاته وحاشيته" (١)(٢).

ولأن كتاب المصباح - كما ترى الدراسة - من أجل ما ألف في مناصحة أئمة المسلمين؛ إذ جاء على صيغة تخصصه، بما حواه من مخزون فريد، وطريقة ومسلك امتاز به عن سائر الكتب، فإن من أصيل ما يقال بين يدي ذكر أبرز خصائصه، هو أن تلك السمات التي ظهرت في تضاعيف هذا السفر الضخم - الذي قل نظيره حجماً في كتب المناصحة -، ترجع إلى أسباب هيئت له تلك المكانة، وهي - من وجهة نظر الباحث - ترجع إلى ما يأتي:

١- أن عصر "المستضيء بأمر الله" كان عصرًا حافلاً بنهضة علمية، تغذوها اختلاف التيارات المذهبية والاتجاهات الفكرية، التي أغنت الفكر العربي الإسلامي، كما أن بغداد مسكن ابن الجوزي، كانت حاضرة العلم والثقافة، الأمر الذي أمكنه من الاطلاع على قدرٍ من المؤلفات قبل فقدانها (٣).

كما أن زمن كتاب "المصباح المضيء" كان زمن فورة الكتابة في النصيحة الملوكية، والذي يعد الطور الثاني من أطوارها، "ومن الكتابات التي عاصرتة زمنياً لا مكانياً كتاب الطرطوشي رحمته الله، "سراج الملوك"، وكتاب الشيزري رحمته الله، "المنهج المسلوك في سياسة الملوك"، وكلها كتابات تخوض في شؤون الدولة، وفي قضايا الظلم والعدل، وفي الملك والطاعة، وصحبة السلطان وإدارة شؤون الدولة" (٤)، كما أنها تسير على نفس سياق كتابة الفقيه، على الرغم من

(١) مقدمة تحقيق ناجية عبدالله على المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ١٣).

(٢) لا شك أن أعظم ما يذكر به هو كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر ٣٩]، وهذه المصادر المذكورة هي مصادر تبعية، فلعل القائل لم يُرد "أفعل التفضيل" هنا على وجهه، وإنما أراد به المبالغة.

(٣) انظر: في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ١١٥)، وانظر: ابن الجوزي وكتابه المصباح لناجية عبدالله إبراهيم (ص ٢٣٤)، ومقدمة تحقيق ناجية عبدالله على المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٩).

(٤) في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ١١٤).

تغايرهم المذهبي الفقهي، حيث ينتمي مصنف "المصباح" إلى المذهب الحنبلي، ومؤلف "المنهج المسلولك" إلى المذهب الشافعي، ومصنف "السراج" إلى المذهب المالكي كما تقدم.

٢- يظهر من تسمية الكتاب قوة الصلة بين الراعي والرعية، والحاكم والمحكوم، والتي يمثلها على الصعيد العلمي ابن الجوزي رحمته الله في كتابه هذا، فالخليفة "المستضيء رحمته الله" كان حاكماً حظي بمكانة عالية في نفوس الرعية، يلخص ذلك ابن الأثير رحمته الله في قوله: "وكان عادلاً حسن السيرة في الرعية، كثير البذل للأموال، غير مبالغ في أخذ ما جرت العادة بأخذه، وكان الناس معه في أمن عام وإحسان شامل، وطمأنينة وسكون، لم يروا مثله، وكان حليماً، قليل المعاقبة على الذنوب، محباً للعتو والصفح عن المذنبين، فعاش حميداً، ومات سعيداً"<sup>(١)</sup>.

وهذه الحالة صاغت خصوصية هذا الكتاب، وخلقت فيه طريقة يفارق بها بقية مصنفات المناصحة، خاصة وأن مؤلفه قد خصَّ هذا الخليفة بهذا الكتاب، رغم معاصرته لستة خلفاء من بني العباس<sup>(٢)</sup>.

٣- بالنظر إلى واقع مُصنّف الكتاب، فإن مؤلفة إمام الوعظ والتذكير الذي قل نظيره في التاريخ الإسلامي، فله في الوعظ ما لم يصنف مثله<sup>(٣)</sup>، ولنبوغه الذي بزَّ به الأثر، أُطلق عليه "عالم العراق وواعظ الآفاق"<sup>(٤)</sup>.

(١) الكامل في التاريخ، تأليف: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (٤٤٢/٩)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢) وهم: المسترشد بالله (٥١٢ - ٥٢٩هـ)، والراشد بالله (٥٢٩ - ٥٣٢هـ)، والمقتفي لأمر الله (٥٣٢ - ٥٥٥هـ)، والمستنجد بالله (٥٥٥ - ٥٦٦هـ)، والمستضيء بأمر الله (٥٦٦ - ٥٧٥هـ)، والناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ). انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٤٩٤ - ٤٩٨).

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤٨٧/٢).

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي (٩٢/٤).

وليس بالأمر الهين أن ينبري لهذا الأمر العظيم، بارع الفن وملتقنه، فالكاتبون في "نصائح الملوك" هم من جملة الفقهاء، والأدباء، والقضاة، والسياسيين، ولا يعلم الباحثُ أحداً من مؤلفي كتب المناصحة برع بالوعظ بروع ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ، وهذا بلا شك سيعطي التصنيف ميزة خاصة.

وتأسيساً على هذا فإن أبرز الخصائص التي تستتجها الدراسة من كتاب "المصباح المضيء" ما يأتي:

١. ظهرت براعة المصنف في رسم محوريات الكتاب، وتسخير مادته الزاخرة لخدمة هدف محدد، سبقت في بيانه وتوضيحه نصوص الوحي، وتنوعت في توضيح غايته ما تيسر للمصنف من أثر، وقصة، وخبر، وتاريخ، وشعر، وحكمة، ومنقول فارسي أو فلسفة يونانية، فابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ صمم كتاب وعظه هذا "ليخدم غرضاً واحداً، وهو حث الخليفة على تطبيق الشريعة، وجوهرها إقامة العدل بمقتضى الشرع"<sup>(١)</sup>، وعلى أساس "هذه البنية المحكمة يمكن استخلاص أن ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ صمم كتابه بوعي مدروس، يعكس حساسية الوظيفة المراد تأديتها من خلاله، وهو تطبيق الشريعة باعتبارها السياسة الكافية كما عرفها"<sup>(٢)</sup>.

وقد جاءت طريقة سبك تفاريع الكتاب لخدمة هذا الغرض، فـ "محتويات كل باب من أبواب الكتاب، تنسجم في الأغلب الأعم مع عنوانه ومقامه، وكذلك محتويات الفصول أو الموضوعات ضمن الباب الواحد، ومن جهة أخرى فإن محتويات أبواب الكتاب وفصوله يكمل بعضها بعضاً تقريباً من حيث المعنى، والهدف، والغاية"<sup>(٣)</sup>.

وهذا ليس بمستغربٍ على كتابٍ في الوعظ يؤلفه ابن الجوزي، الذي كان من أحسن الناس

(١) في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ١٢٠).

(٢) في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ١٢٢)، وانظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٥٢).

(٣) ابن الجوزي وكتابه: المصباح المضيء لناجية عبدالله (ص ١٩٤).

كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً<sup>(١)</sup>.

٢. من خصائص هذا الكتاب الانسجام بين مادة النصح وبين المنصوح، حيث أخذت خصوصية الخليفة ما بين دفتيه، وهذه خصيصة لم ترق في كتب المناصحة إلى درجة كتاب "المصباح"، وتبينها الدراسة فيما يأتي:

أ- اقتران اسم الكتاب المصباح المضيء باسم الخليفة المستضيء.

ب- ما ورد في مقدمة أبواب الكتاب وبعض الفصول والخاتمات من مدح، وثناء، ودعاء للخليفة، تقول الدكتورة ناجية: "وهذه الظاهرة لم تتوفر فيما اطلعنا عليها من مؤلفات... أما التي وضعت للخلفاء فإنها اقتصرت على المدح والدعاء في فاتحة الكتاب أو مقدمته فقط دون التكرار مع بقية أبواب الكتاب الأخرى"<sup>(٢)</sup>.

ج- تصريح المؤلف بأن من غايته المقصودة بهذا التأليف تخليد ذكر الإمام وأيامه، يقول في سبب تأليفه: "إن المقصود الأكبر ذكر مناقب هذه الأيام، وما أنعم الله به على جميع الأنام"<sup>(٣)</sup>.

د- إطناب ابن الجوزي رحمته الله في مدح آل العباس، والثناء عليهم؛ لأنهم أصل الخليفة وأهله؛ "ولذلك فإن منهجه وأسلوبه في ذكر أخبارهم وسيرهم يبدوان واضحين، حيث أسهب في أخبار بعضهم، وأوجز في البعض الآخر"<sup>(٤)</sup>.

٣. أن كتاب "المصباح" كتاب مُسند، يسوق فيه مصنفه إسناده إلى النص، بسلسلة من الرواة، ووجه الاختصاص هنا، أن ابن الجوزي رحمته الله يُسند كل مروياته الحديثية، والأثرية،

(١) انظر: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢٢/٩٥)، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٤٨٣).

(٢) ابن الجوزي وكتابه: المصباح المضيء لناجية عبدالله (ص ٢٧٣).

(٣) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٨٤).

(٤) مقدمة تحقيق ناجية عبدالله على المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٥٠).

والقصصية، بل حتى التاريخية، وهذه لا توجد في كل كتب المناصحة<sup>(١)</sup>، خلا كتابي "فضيلة العادلين" لأبي نعيم، و"النصيحة للراعي والرعية" لخير الدين التبريزي<sup>(٢)</sup>، ولكن محتوَاهما مقصور على الحديث النبوي، تقول الدكتورة ناجية: "لقد تضمن المصباح مجموعة من أسماء الرجال تزيد على الألف بكثير، ورد ذكرهم في أسانيد النصوص، وهم يمثلون الرواة"<sup>(٣)</sup>.  
٤. يرى بعض الدارسين أن الكتاب يتمتع بخصوصية المصدرية التاريخية؛ لأنه حوى إلى جانب الوعظ "نبد من الكلام على سير الخلفاء وأخبارهم، ولعل هذا ما دفع بعض المفهرسين إلى وضعه في باب التراجم"<sup>(٤)</sup>.

وهذا أمر قد أصّلت له الدراسة في التمهيد لهذا الفصل، وجعلته سبباً من أسباب الاختصاص داخل دائرة الكتابة في مجال مناصحة أئمة المسلمين<sup>(٥)</sup>.

هذه أبرز ما وقفت عليه الدراسة من خصائص امتاز به هذا الكتاب عن غيره، وتؤكد الدراسة على أهمية هذا الكتاب الذي اصطبغ بصورة خاصة، أخذها من طريقة ومنهجية مصنفه، وموسوعيته التي غلب عليه الوعظ والنقل.

### ثانياً: كتاب "نصيحة الملك الأشرف":

من كتب الخطاب في مناصحة أئمة المسلمين كتاب "نصيحة الملك الأشرف" للحافظ ضياء

(١) شاكل السبط ابن الجوزي جده في هذا، والدراسة تذهب إلى أن غالب كتاب السبط "الجلس الصالح" مستنسخ من كتابي "الشفاء" و"المصباح"، وهو متأخر عنه، وهذا لا ينفي خصوصية ابن الجوزي بهذه الصفة؛ لأنه هو الذي ابتدأ به، وغالب كتب المناصحة بين مبتدئ ومقلد، والتقليد لا ينفي الخصوصية عمن ابتدعها.  
(٢) من الكتب المسندة أيضاً في مناصحة الملوك كتاب "الذهب المسبوك" للحميدي، ولكن محتواه مقصور على القصص، من صدره إلى عجزه، فهو بهذا لا يرفع الخصوصية عن كتاب ابن الجوزي، الذي اتسم بشمولية النص المسند.

(٣) مقدمة تحقيق ناجية عبدالله على المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٧٤).

(٤) ابن الجوزي ومكانته في المصباح المضيء لناجية عبدالله (ص ٢٧٨).

(٥) تمهيد الفصل الرابع من الباب الأول (٥٧٠ - ٥٧٤) من هذه الرسالة.

الدين المقدسي رحمته الله، والذي كتبه كما هو واضح من عنوان الكتاب للسلطان الملك الأشرف صاحب دمشق، مظفر الدين أبي الفتح موسى شاه أرمن، ابن العادل<sup>(١)</sup>، وهو مصنف مختصر فيه رسالة علمية دعوية، توضح حقيقة المنهج الذي التزمه العلماء الصالحون في مناصحة الأئمة والملوك والسلاطين.

وتسلط الدراسة الضوء في هذا المقام على ترجمة المصنف، وتوضيح محتوى الكتاب، مع الوقوف على خصائصه وسماته البارزة فيما يأتي:

#### ١ - ترجمة المصنف:

هو محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن إسماعيل، الحافظ الحجة الإمام ضياء الدين أبو عبدالله السعدي المقدسي الدمشقي الحنبلي، ولد بالدير بقاسيون سنة تسع وستين وخمسة للهجرة، كذا وجد بخطه<sup>(٢)</sup>.

لزم الحافظ عبدالغني رحمته الله وتخرج عليه، وحفظ القرآن وتفقه، ثم رحل إلى مصر سنة خمس وتسعين وخمسة، وسمع به البوصيري رحمته الله وجماعة، ثم قدم بغداد وسمع من ابن الجوزي وطبقته، ورحل إلى أصبهان مرتين، وسمع بها ما لا يوصف كثرة، وحصل شيئاً كثيراً من الأسانيد<sup>(٣)</sup>.

"وهو حافظ، متقن، ثبت، ثقة، صدوق، نبيل الحجة، عالم بالحديث وأحوال الرجال"<sup>(٤)</sup>. له تصانيف كثيرة منها: كتاب "الأحكام" ثلاث مجلدات، و"فضائل الأعمال" مجلد واحد،

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢٢/٢٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢٦/٢٣)، وانظر: فوات الوفيات، تأليف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (٤٢٦/٣)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٤م، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/٣٥٤٣ - ٣٥٤٤).

(٣) انظر: فوات الوفيات لصلاح الدين الكتبي (٤٢٦/٣)، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/٥١٥).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/٥١٦).

و"الأحاديث المختارة" تسعين جزءاً، و"فضائل الشام" ثلاثة أجزاء، و"فضائل القرآن" جزء واحد، و"صفة الجنة والنار"، و"مناقب أصحاب الحديث"، وغيرها<sup>(١)</sup>.

قال عنه ابن الحاجب رحمته: "ورع، تقى، زاهد، عابد، محتاط في أكل الحرام، مجاهد في سبيل الله، ولعمري ما رأيت عيناى مثله في نزاهته وعفته، وحسن طريقته في طلب العلم"<sup>(٢)</sup>. وقال عنه أيضاً: "شيخنا أبو عبدالله شيخ وقته، ونسيج وحده علماً وحفظاً، وفقهاً وديناً، من العلماء الربانيين، وهو أكبر من أن يدل عليه مثلي، كان شديد التحري في الرواية، مجتهداً في العبادة، كثير الذكر، منقطعاً عن الناس، متواضعاً في ذات الله، سهل العارية، رأيت جماعة من المحدثين ذكروه فأطنبوا في حقه، ومدحوه بالحفظ والزهد"<sup>(٣)</sup>.

وصفه الذهبي رحمته بالإمام العالم، الحافظ الحجة، محدث الشام، وشيخ السنة، ضياء الدين، صنف وصحح ولين، وجرح وعدل، وكان المرجع إليه في هذا الشأن<sup>(٤)</sup>. توفي في يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وستمائة بسفح قاسيون، ودفن به رحمته<sup>(٥)</sup>.

## ٢ - محتوى الكتاب:

يُعد كتاب "نصيحة الملك الأشرف" أخصر مصنف في مناصحة أئمة المسلمين وقفت عليه الدراسة، وهو كتاب خال من التقسيمات والأبواب. أصل المؤلف كتابه على آية وثلاثة أحاديث:

(١) انظر: فوات الوفيات لصالح الدين الكتبي (٤٢٦/٣)، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/٥١٨ - ٥١٩).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/٥١٦).

(٣) المصدر السابق (٣/٥١٦ - ٥١٧).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣/١٢٦)، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/٥١٧).

(٥) انظر: فوات الوفيات لصالح الدين الكتبي (٣/٤٢٧)، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/٥٢١).

فآية قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، أما الأحاديث فقول النبي ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))<sup>(٢)</sup>، وقصده من ذلك أن يبين للملك أن الحامل له على النصح هو الحب.

وأما الحديث الثاني فقول النبي ﷺ: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))<sup>(٣)</sup>، وهو يعني بذلك أن النصيحة من حق الجار على الجار، والملك قد جاورهم في الشام، فكان أولى الناس بالنصيحة، يقول في ذلك: "فإذا جاور إنساناً إنساناً فينبغي له أن ينصحه، ويدله على ما يعلم له من الخيرة في أمر دينه ودنياه.

ولمَّا أنَّ سهل الله تعالى مجاورة الملك الأشرف لأهل الشام زاده الله شرفاً مما يقربه إليه، وجعله من حزبه المتوكلين عليه، وجنبه أهوال ما بين يديه، ووفقه توفيق العارفين، وجعله من أولياء الله المتقين... فتحقق عندنا نصحه فيما نعلمه، وندله على ما نراه صواباً"<sup>(٤)</sup>.

وأما الحديث الثالث فقول النبي ﷺ: ((الدين النصيحة، الدين النصيحة)).

وتكمن موضوعات الكتاب في الآتي:

١- الحث على شكر الله، والقيام بحقه في ذلك، والتحذير من الكفران بالنعم، مبيناً أن

دوامها مع الجحود من الاستدراج<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه برقم [١٣]

(١/١٤)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير برقم [٤٥] [١/٦٧].

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصاءة بالجار برقم [٥٦٦٩] [٥/٢٢٣٩]، ورواه

مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه برقم [٢٦٢٥] [٤/٢٠٢٥].

(٤) نصيحة الملك الأشرف للضيء المقدسي (ص ٢٣٧ - ٢٣٨).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٢٣٨).

٢- التحذير من المظالم، وقد أورد في ذلك عدة آيات وأحاديث، مثل قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقول النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا))<sup>(٢)</sup>، وقد أطنب في هذه المسألة كثيراً بإيراد عدة أحاديث يحذر فيها من مغبة الظلم.

٣- بيان عظم خطر الولاية، والتذكير بأمانة مسؤوليتها<sup>(٣)</sup>.

٤- التنبيه على بعض المنكرات الموجودة في البلاد، مثل: دور الخمر والمكوس، ونحوها، يقول المؤلف للملك الأشرف: "فنُعَلِّم لسعادته - جعل الله الخير من عادته - أن بهذه البلدة أشياء لا يحل فعلها، مثل: خمار الخمر، ودار الطعم<sup>(٤)</sup>، وما يؤخذ على الغالة وسوق الغنم، وشبه هذا كله"<sup>(٥)</sup>.

٥- التذكير ببعض الأمور المتعلقة بتدبير الملك، وهي: النظر في أهل السجون<sup>(٦)</sup>، وإعمار الجسور والطرق التي تخدم العباد والرعية<sup>(٧)</sup>، والنهي عن التسعير<sup>(٨)</sup>، والحرص على إقامة الحدود<sup>(٩)</sup>.

(١) سورة الأنبياء، الآية (٤٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم [٢٥٧٧] (٤/١٩٩٤).

(٣) انظر: نصيحة الملك الأشرف للضيء المقدسي (ص ٢٣٨ - ٢٣٩).

(٤) دار الطعم: قال ابن منظور: "يقال: فلان تُجِبى له الطعم، أي: الخراج والإتاوات". لسان العرب لابن منظور، مادة (طعم) (١٢/٣٦٥).

(٥) نصيحة الملك الأشرف للضيء المقدسي (ص ٢٤١).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٢).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٢).

(٨) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٢).

(٩) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٣).

٦- ثم ختم كتابه ببيان خطر شرب الخمر<sup>(١)</sup>، وعظم وزرها وذنبيها عند الله، داعياً ذلك بنصوص الكتاب والسنة، كما قرن خاتمته بوجوب المسارعة للتوبة، ذاكراً جملة من الأحاديث المرغبة فيها، والدالة على سعة رحمة الله<sup>(٢)</sup>، وقد ذُيل الكتاب بأبيات في الوعظ والتذكير<sup>(٣)</sup>.

### ٣- أبرز خصائص الكتاب:

الكتاب رغم اختصاره، إلا أنه مثل حقيقة المنهج الذي سار عليه علماء الأمة، لاسيما أهل الحديث في مناصحة الحكام والسلاطين، والكتاب - كما يبدو - واضحٌ في عنوانه ومحتواه، باشر المصنف فيه النصيحة "للملك الأشرف"، الذي جعله عنوان كتابه، وتابع وصولها إلى الملك بقوله في نهاية الكتاب: "كتبت هذه الوصية نسخة، وبعثتها إلى الأخ الإمام الزاهد أبي عبدالله محمد اليونيني، فذكر لي بعد ذلك أنه قرأ على الملك الأشرف إلى هنا"<sup>(٤)</sup>، ويقصد به إلى آخر الرسالة قبل أبيات الشعر الوعظية التي ألحقها بكتابه.

وتستنتج الدراسة أبرز خصائص هذا المصنف فيما يأتي:

١ - الاختصار والإيجاز، وهذا من دلالة فقه المؤلف، وبركة علمه، وهي سمة علم السلف، فإن الإيجاز مع الوصول للغاية من علامة الفقه والعلم، يقول ابن رجب رحمته الله نصيحة الملك الأشرف للضيء المقدسي: "ففي كلام السلف والأئمة كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق التنبيه على مأخذ الفقه، ومدارك الأحكام بكلام وجيز مختصر، يُفهم به المقصود من غير إطالة

(١) انظر: نصيحة الملك الأشرف للضيء المقدسي (ص ٢٤٣ - ٢٤٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٥ - ٢٤٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٦ - ٢٤٧).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٤٦).

ولا إسهاب"<sup>(١)</sup>، ولم تقف الدراسة على كتاب في نصيحة أئمة المسلمين أشد اختصاراً منه، مع اشتماله على عدة موضوعات، مثل: الشكر والتحذير من ضده<sup>(٢)</sup>، وعظم خطر الولاية<sup>(٣)</sup>، والتحذير من الظلم مع التركيز على بعض الأمثلة<sup>(٤)</sup>، وتناول أمور تدبير الملك<sup>(٥)</sup>، والحث على إقامة الحدود<sup>(٦)</sup>، والنهي عن شرب الخمر مع الحث على المسارعة إلى التوبة<sup>(٧)</sup>، وترى الدراسة أن هذه الخصيصة تزيد فضيلة؛ إذ "يجب أن يعتقد أنه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم، كان أعلم ممن ليس كذلك"<sup>(٨)</sup>، وهذا معنى لا بد من إدراكه.

٢- مباشرة النصح، والبعد عن كل ما يصرف عن الغاية المقصودة، وهذا قد بدا للدراسة فيما يأتي:

أ- ذكر الأحاديث بغير عزو ولا تخريج، مع أن المؤلف من المحدثين، وهذا من حكمته؛ لأن المقصود بالنصيحة لا يحتاج إلى ذلك، فكان ذكره صارفاً لأذن السامع عن مقصود النصح.

ب- متابعة إرسال النصيحة والتأكد من إيصالها للملك، يقول في آخرها: "كتبت بهذه

(١) فضل علم السلف على الخلف، تأليف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي

(ص ٥٥)، تحقيق وتعليق: محمد بن ناصر العجمي، د. ن، د. ط، د. ت.

(٢) انظر: نصيحة الملك الأشرف للضيء المقدسي (ص ٢٣٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٢٣٨ - ٢٣٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٣٩ - ٢٤١).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤١).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٢).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٢).

(٨) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب (ص ٦١).

الوصية نسخة، وبعثتها إلى الأخ الإمام الزاهد أبي عبد الله محمد اليونيني، فذكر لي بعد ذلك أنه قرأ على الملك الأشرف إلى هنا"<sup>(١)</sup>.

ج- البعد عن التقسيم والتبويب، والشروع في المضامين، مع ذكر الأمثلة من الواقع، مثل قوله: "ثم ينظر في أهل السجون..."<sup>(٢)</sup>، وقوله: "وينظر في أمر القناطر..."<sup>(٣)</sup>، وقوله: "ثم إقامة الحدود..."<sup>(٤)</sup>، وقوله: "ثم اجتناب الخمر..."<sup>(٥)</sup>، وهو في كل مسألة يذكر النص، ويعلق بتعليق يسير أحياناً مثل قوله في الشكر: "فينبغي للبعد أن يشكر نعمة الله"<sup>(٦)</sup>، وقوله: "وإذا لم يشكر نعمة الله خيف من زوالها"<sup>(٧)</sup>، والأعم الأغلب أنه يكتفي بذكر النص دون تعليق أو شرح.

٣- من خصائص هذا الكتاب أنه يرتبط بفن الكتابة ارتباط البعض بالكل، فموضوعاته لم تأت شاملة للأبواب التي جرت عند كتب النصيحة، كما أنه هذا الجزء اتصف بسمه خاصة، أخذت صورة الاختصار، والوضوح، والسهولة، ونفي الغموض بإبعاد كل ما لا علاقة له بمقصود المصنف كما مر في الخبيصة السابقة.

٤- ويتضح من اختلاف الموضوعات، وسرعة التحول فيما بينها، مع ابتعاد الرابط الذي يربط بعضها ببعض، أن المصنف قصد معالجة منكرات شائعة في زمنه بأسلوب العالم الذي يكتفي بذكر الحكم مدعوماً بالنص، دون الخوض في تفاصيل قد تجر إلى المشكلات.

(١) نصيحة الملك الأشرف للضيء المقدسي (ص ٢٤٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٤٢).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٤٢).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٤٣).

(٥) المصدر السابق (ص ٢٤٣).

(٦) المصدر السابق (ص ٢٣٨).

(٧) المصدر السابق (ص ٢٣٨).

هذه أبرز سمات الكتاب المختار عند الحنابلة، وهو كتاب جليل، عاصر مؤلفه أبا الفرج ابن الجوزي رحمته الله مصنف كتاب "المصباح المضيء" وتلمذ عليه. ويخلص الباحث مما سبق إلى ما يأتي:

١- برزت مشاركة فقهاء الحنابلة في السياسة الشرعية متمثلة في مصنفات شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وغيرهم، وعُدَّت هذه المصنفات مصدرًا من مصادر الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين، حيث اعتمدها بعض مصنفي الشافعية جزءًا من مادة كتبهم.

٢- لم يؤلف الحنابلة في مناصحة أئمة المسلمين كثيرًا، حيث يأتي ترتيبهم بين المذاهب في الدرجة الرابعة، ولم تقف الدراسة إلا على أربعة مصنفات فحسب، وهي كتابا: "الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء"، و"المصباح المضيء في خلافة المستضيء" كلاهما لابن الجوزي، وكتاب "نصيحة الملك الأشرف" للضياء المقدسي، وكتاب "عزة العلماء" للموجان.

٣- يحتل كتاب "المصباح المضيء" لابن الجوزي منزلة رفيعة بين كتب المناصحة، ويمتاز عنها جميعاً بمساره الخاص الذي يعكس طريقة مؤلفه، المعنوية بالأثر والنقل مع الفقه، فجاء هذا الكتاب ثرياً، مصدرياً، ممتازاً عن غيره في طريقته وترتيبه وتبويبه.

٤- من مؤلفات الحنابلة التي صغرت حجماً، وعظمت قدراً، كتاب "نصيحة الملك الأشرف" للحافظ الضياء المقدسي رحمته الله، والكتاب على اختصاره إلا أنه مثل المنهج العملي الواقعي للعلماء في مناصحة أئمة المسلمين، مكتسباً بحلية أهل الأثر، ومتأسياً بمسلك السلف في الطريقة والتأليف.

وعند آخر هذا الفصل تتم بحمد الله فصول الباب الأول من هذه الدراسة.

## الباب الثاني الجانب التحليلي

وفيه فصلان:

**الفصل الأول: إجراءات الدراسة وتحليلها ونتائجها.**

**الفصل الثاني: تحليل نتائج الدراسة التحليلية ومناقشتها.**

## الفصل الأول

### إجراءات الدراسة وتحليلها ونتائجها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إجراءات الدراسة التحليلية

المبحث الثاني: نتائج الدراسة التحليلية

## المبحث الأول

### إجراءات الدراسة التحليلية

يتناول هذا المبحث الخطوات الإجرائية التي اتبعت للإجابة عن أسئلة الدراسة، من حيث تحديد منهج الدراسة، ومجتمعها، ثم أداة الدراسة التي تم استعمالها، والتحقق من صدق أداة الدراسة وثباتها، والأساليب الإحصائية التي استعمالها الباحث؛ ليتمكن من الإجابة على تساؤلات الدراسة التحليلية، وفيما يأتي عرض لذلك:

#### منهج الدراسة

تهدف دراسة الباحث إلى استخراج واستنباط منهج العلماء في مناقحة أئمة المسلمين من خلال مصنفاتهم، وذلك بتتبع الشواهد والنصوص والمسائل والأساليب التي ضمنها المؤلفون كتبهم واستقرائها، ومن ثم تحليل المحتوى للوصول إلى نتائج إحصائية دقيقة تحدد رسم ذلك المنهج، وعليه فإن الباحث استعمل منهجي البحث الكمي والكيفي في دراسته وفق ما يأتي:

١. المنهج الاستقرائي، ويعرف بأنه: تتبع جزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً<sup>(١)</sup>، ولا يلزم من التتبع الاستقصاء، بل قد يكفي الباحث أن يدرس نماذج متنوعة، يستنبط منها كليات عامة.

٢. منهج تحليل المحتوى: وهو من أنسب المناهج التي يمكن استخدامها في تحليل

(١) انظر: المدخل إلى مناهج البحث العلمي لمحمد قاسم (ص ٦٠).

هذه المصنفات، وذلك بالتحليل الدقيق لمضامين تلك المؤلفات وما اشتملت من شواهد ومسائل وأساليب في تحديد معالم المنهج الصحيح في المناصحة، وهذا المنهج يقوم على شرح موضوعات البحوث العلمية، بتحليل نصوصها، وتأويل متشابهها بحمل بعضها على بعض، وذلك بضم المؤلف، وفصل المختلف، حتى تتضح مشكلاتها، وتنكشف مبهماتهما، ولتبدو في صورة واضحة<sup>(١)</sup>.

### مجتمع الدراسة

المجتمع الذي تهدف الدراسة إليه هو جميع الكتب المطبوعة التي ينص عنوانها على لفظ النصيحة أو ما يرادفها من لفظ الوعظ والتذكير لأئمة المسلمين، فإن لم ينص عليها في عنوان الكتاب وكانت الكتب مندرجة في الموضوع ذاته فإنها تعد داخل إطار الدراسة، شريطة أن ينص المؤلف على لفظ النصيحة أو ما يرادفها في مقدمة كتابه أو سبب تأليفه، ومثال ذلك ما ذكر في مقدمة كتاب " تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك "، حيث نص المؤلف على إرادة النصيحة بقوله: " ورأيت من الواجب في هذا الزمان بذل النصيحة له بقدر الإمكان، بتأليف كتاب يشتمل على فصول يجتمع فيها أنواع مصالح الملك"<sup>(٢)</sup>، وكذلك الكتب التي عنيت بتقعيد منهج المناصحة لأئمة المسلمين وتأصيله.

(١) انظر: أبعديات البحث في العلوم الشرعية، تأليف: فريد الأنصاري (ص ٩٦)، الناشر: مطبعة النجاح الجديدة،

الدار البيضاء - المغرب، د. ط، ١٩٩٧م.

(٢) تحفة الترك للطرسوسي (ص ٦٧).

## حدود الدراسة:

أما حدود الدراسة فقد قسمها الباحث بالاعتبار الزمني والموضوعي والمذهبي:

### الحد الزمني:

- جعل الدارس الحد الزمني للمتقدمين فيها يبدأ من أول القرن الخامس الهجري

حتى نهاية القرن العاشر الهجري، وذلك يرجع إلى أسباب، منها:

- أن هذا الزمن يعد وقت الثراء العلمي في التأليف والتصنيف.
- من خلال الرجوع إلى كتب مصادر التراث السياسي الإسلامي، وأدلة مصنفات السياسة الشرعية<sup>(١)</sup>، لاحظت ازدهار التأليف والتصنيف في هذا الباب، وهو أمر لفتني إليه أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطويل في بحثه: "المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين"<sup>(٢)</sup>.
- المصنفات في تلك الحقبة كانت على المذاهب الأربعة، وهذا مما يثري المادة العلمية في البحث كما لا يخفى.

وأما زمن المتأخرين فيبدأ من بداية القرن الحادي عشر الهجري حتى عصرنا الحاضر.

### الحد المذهبي:

تتناول الدراسة جميع مصنفات المذاهب الأربعة في مناصحة الحكام.

---

(١) للاستزادة انظر: دليل مصنفات السياسة الشرعية ليوסף الخزيم، وانظر: في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف.

(٢) انظر: المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين لعبدالله الطويل (ص ٣).

### الحد الموضوعي:

جميع المؤلفات المتعلقة بمناصحة أئمة المسلمين، سواء أكان منصوصاً عليها في العنوان، أم في مقدمة الكتاب وسبب تأليفه.

- أما مصطلح المتقدمين والمتأخرين في البحث فهو نسبي إضافي بالنسبة لتاريخ الدراسة مع بداية التأليف في هذا الفن، فإن الدارس لم يقف على حد جامع مانع مجمع عليه لمصطلح المتقدمين والمتأخرين في كلام أهل العلم، فمصطلح التقدم والتأخر عند المحدثين مثلاً لا يحمل الحد نفسه عند الفقهاء، وهو عند كل مذهب بحد، بل إنه في بعض الأحيان قد يكون مصطلح التقدم والتأخر خاصاً بمؤلف معين، يقول الشاطبي رحمته الله: "... وأما ما ذكرت لكم من عدم اعتمادي على التأليف المتأخرة فلم يكن ذلك مني - بحمد الله - محض رأي، ولكن اعتمده بسبب الخبرة عند النظر في كتب المتأخرين، وأعني بالمتأخرين: كابن بشير... " <sup>(١)</sup>، فالمقصود هو تعيين الإمام الشاطبي رحمته الله لحد التقدم والتأخر عنده، وهو أمر نسبي إضافي.

وعليه فإن الباحث قد جعل حد التقدم في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين، من القرن الخامس الهجري - مبدأ تأليف العلماء فيه - حتى نهاية القرن العاشر الهجري، ويكون زمن المتأخرين من بداية القرن الحادي عشر الهجري حتى العصر الحاضر.

(١) المعيار المغرب والجامع المغرب للونشريسي (٣/٣٢).

### عينة الدراسة وأدواتها:

وقد حصر الباحث كتب المتقدمين المطبوعة في مناصحة أئمة المسلمين، واختارها وفق المنهج المتبع في هذا البحث، وتم ترشيح عينة عمدية لمجموعة من تلك المصنفات<sup>(١)</sup>.

كما عمد الباحث إلى اختيار عينة عمدية من مجتمع الدراسة لكتب المتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين، وذلك بانتخابها من الكتب المحصورة، بداية من القرن الحادي عشر الهجري حتى عصرنا الحاضر، وفق المنهج المتبع في الدراسة.

### أداة الدراسة:

تتمثل أداة الدراسة في بطاقة تحليل محتوى؛ لتحليل منهج العلماء في مناصحة أئمة المسلمين من خلال مصنفاتهم، وفيما يأتي تفصيل لخطوات بناء بطاقة تحليل المحتوى:

### الصورة الأولية للبطاقة:

بعد الاطلاع على كتب العلماء في مناصحة أئمة المسلمين، تم بناء قائمة لتحليل المحتوى، مكونة من ثلاث فئات رئيسية، تحتوي على العديد من الفئات الفرعية، وجاء توزيعها على النحو الآتي:

- مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب مناصحة أئمة المسلمين.

(١) وقف الباحث على الكتب والمصنفات المؤلفة - على حد علمه - في باب مناصحة أئمة المسلمين من خلال جرد كتب دليل المصنفات في هذا الباب، وزيارة المكتبات، ومعارض الكتب، وقراءة مقدمات التحقيق في بابه، وكذا مراجعة أهل العلم والاختصاص في هذا الشأن، وزيارة بعض دور المخطوطات.

- الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.
- أبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.

- ضبط بطاقة التحليل:

تتمثل إجراءات ضبط بطاقة التحليل في التحقق من صدق بطاقة التحليل وثباتها، وذلك على النحو الآتي:

(أ) صدق بطاقة التحليل:

يشير طعيمة إلى "أن الهدف من الصدق هو أن تؤدي أداة البحث إلى الكشف عن الظواهر والسمات التي يجري من أجلها البحث"<sup>(١)</sup>. ويقصد بالصدق في الدراسات التي تستعمل أسلوب تحليل المحتوى: "صلاحية أسلوب القياس الذي يتبعه الباحث لقياس ظواهر المحتوى المراد قياسها، وتوفير المعلومات المطلوبة في ضوء أهداف التحليل، بمعنى أن يكون التحليل صالحاً لترجمة الظاهرة التي يحللها الباحث بأمانة"<sup>(٢)</sup>.

وللتحقق من صدق الأداة فقد عرضتها على جملة من الأكاديميين، وهم:

(١) تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، مفهومه، أسسه، استخداماته، تأليف: طعيمة رشدي (ص ١١٢)، الناشر:

دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

(٢) تحليل محتوى مناهج اللغة العربية: رؤية نظرية تطبيقية، تأليف: عبدالرحمن الهاشمي، ومحسن علي عطية

(ص ٩٦)، الناشر: دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

م	الاسم	الجامعة	التخصص
١	أ.د. سلطان بن عمر الحصين	الجامعة الإسلامية	دعوة
٢	أ.د. الجوهرة العمراني	جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية	دعوة
٣	د. سعد بن عبدالرحمن الجريد	جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية - سابقاً -.	دعوة
٤	د. حسن بن عائض آل عبدالهادي	جامعة أم القرى	دعوة
٥	د. عبدالله بن حمد العويسي	جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية - سابقاً -.	الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية
٦	د. عبدالإله بن صالح المديميغ	جامعة الملك سعود	التفسير وعلوم القرآن
٧	د. محمد بن علي الصليهم	جامعة المجمعة	الفقه وأصوله
٨	د. خالد بن إبراهيم السعيد	جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية	التربية

كما هو موضح في ملحق (١)، وتبعاً لذلك فقد قام الباحث بإجراء التعديلات اللازمة بعد التحكيم من حذف لبعض المتغيرات، أو إضافة متغيرات جديدة على بطاقة تحليل المحتوى.

### ب) ثبات بطاقة التحليل:

يعرف طعيمة الثبات بأنه: "الوصول إلى نفس النتائج مع اتباع نفس الإجراءات بصرف النظر عن المتغيرات الأخرى"<sup>(١)</sup>، ويشير آخرون إلى أن "الثبات يعني: أن التحليل يعطي نفس النتائج تقريباً إذا تم تطبيقه أكثر من مرة تحت ظروف مماثلة، سواءً كانت إعادة التطبيق من الباحث نفسه أو باحث آخر، ويشير إلى أن هناك أكثر من طريقة لإيجاد ثبات التحليل، تتمثل في ثبات التحليل بين الباحث ونفسه، وثبات التحليل بين الباحث ومحلل آخر، وثبات التحليل الذي يقوم به فاحصان آخران"<sup>(٢)</sup>.

وللتحقق من ثبات أداة البحث قام الباحث بعملية تحليل المحتوى لبعض الموضوعات المختارة من الكتب - عينة الدراسة - مرتين، ومن ثم حساب نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف بين التحليلين، ومن ثم حساب معامل الثبات لكل وحدة عن طريق معادلة هولستي (Holisti)<sup>(٣)</sup>، وهي:  $٢ م \div (٢ ن + ١ ن)$ ، حيث م "تدل

(١) تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية لطعيمة (ص ٩٦).

(٢) تحليل محتوى المنهج في العلوم الإنسانية، تأليف: محمد، وائل عبدالله، وعبدالعظيم، وريم أحمد (ص ٢٢٣)، الناشر: دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، الطبعة الثانية ٢٠١٨ م.

(٣) هو: عدد الفئات التي اتفق عليها المحللان على مجموع الفئات التي توصلوا إليها؛ ليكون الحكم على اتفاق ثبوت

على عدد نقاط الاتفاق بين التحليلين"، ثم حساب متوسط نسب معامل الثبات، كما في الجدول رقم (١)، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (١) نتائج حساب ثبات أداة تحليل المحتوى لعينة عشوائية وبطريقة تحليل الأفراد

التحليل الأول	التحليل الثاني	المجموع	عدد الاتفاق	مرات م <sup>٢</sup>	معامل الثبات
٧٨٩	٧٤٦	١٥٣٥	٧٤٦	١٤٩٢	٠,٩٧

بعد تطبيق معادلة هولستي، بلغت عدد فئات التحليل للباحث في المرة الأولى (٧٨٩)، والمرة الثانية (٧٤٦)، ووفقاً للمعادلة فإن معامل الثبات لأداة الدراسة يبلغ (٠,٩٧)، وهي درجة ثبات عالية يمكن الوثوق بها في تطبيق الدراسة الحالية، وذلك لوضوح المضمون، وتحديد فئات التحليل بشكل دقيق، وتعريفها، مما يعني صلاحية أداة الدراسة للتطبيق.

الصورة النهائية لبطاقة التحليل:

اشتملت بطاقة التحليل بعد ضبطها في صورتها النهائية على ثلاثة أسئلة رئيسية، تشمل (١٧) فئة فرعية، وجاء توزيعها على النحو الآتي:

تحليل المحتوى إذا كان المعامل مساوياً أو يفوق ٨٥٪. انظر: تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية لطعيمة (ص١١٢).

● المحور الأول: مصادر الاستدلال والاستشهاد في مصنفات مناصحة أئمة

المسلمين:

- وتشمل:

○ القرآن.

○ السنة.

○ الإجماع.

○ القياس.

○ أقوال العلماء.

● المحور الثاني: الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين:

- وتشمل:

○ الترغيب.

○ الترهيب.

○ المدح والثناء.

○ التعريض.

○ القصة.

○ التشبيه.

• المحور الثالث: أبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين:

- وتشمل:

○ القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة.

○ القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام.

○ القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ.

○ القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق.

○ القضايا الدعوية المتعلقة بالسياسة الشرعية.

- إجراءات تحليل محتوى مصنفات المتقدمين والمتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين:

تمت عملية تحليل محتوى مصنفات المتقدمين والمتأخرين في مناصحة أئمة

المسلمين، وفقاً للإجراءات الآتية:

أ- تحديد وحدات التحليل:

تحددت وحدة التحليل في هذه الدراسة في الجملة، والتي تمثل " أي وحدة

صغيره ذات معنى، وتحتل مساحة معينة من الصفحة "<sup>(١)</sup>، والتي يمكن أن يطبق

عليها فئات التحليل؛ وذلك لأنها الأنسب لأهداف الدراسة، ولأن دلالة المضمون

أو المفهوم لا تتضح إلا بتمام المعنى.

(١) تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية لطعيمة (ص ١١٢).

ب- ضوابط التحليل:

قام الباحث بالتحليل وفق ضوابط لا بد من مراعاتها عند التحليل؛ وذلك لكي يتم التحليل على أساس سليم، وحتى تسير هذه العملية وفق نسق علمي يساعد على التأكد من صدق التحليل وثباته، وقد أشار بعض المختصين إلى أبرز هذه الضوابط على النحو الآتي:

- أن تكون الفئات المستخدمة لتصنيف المحتوى معرّفة تعريفاً واضحاً، بحيث يستطيع الأفراد الآخرون تطبيقها على المحتوى نفسه لتحقيق النتائج.
- تصنيف المواد المتصلة بالموضوع، بحيث يتم التحليل على أساس سليم يبعد عن العشوائية.
- استعمال الأساليب الكمية في التحليل<sup>(١)</sup>.

مما سبق وفي ضوء أهداف الدراسة، يمكن للباحث أن يوضح الضوابط التي التزم بها في عملية التحليل كما يلي:

- هدف التحليل: تهدف عملية تحليل المحتوى إلى جمع معلومات الدراسة المتعلقة بتحليل محتوى مصنّفات المتقدمين والمتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين.

(١) انظر: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، تأليف: جابر، وعبد الحميد وكاظم، وأحمد (ص ١٦٠)، الناشر: دار

النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

• عينة التحليل: تمثلت عينة التحليل في (١٢) كتاباً من كتب المتقدمين في مناصحة أئمة المسلمين، و(٦) كتب من كتب المتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين، مع مراعاة ما يلي أثناء التحليل:

- تم التحليل في إطار محتوى مصنفات المتقدمين والمتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين.

- تم التحليل في ضوء مصادر الاستدلال والاستشهاد، والأساليب الدعوية، وأبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين، حيث اشتمل التحليل على (٣) فئات رئيسية، تتضمن (١٧) فئة فرعية.

#### ج- قواعد التحليل:

حلل الباحث محتوى مصنفات المتقدمين والمتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين، وفق القواعد الآتية:

■ قراءة كتب المتقدمين والمتأخرين عينة الدراسة بطريقة جيدة، وبشكل تسلسلي لتسهيل مهمة تحديد مصادر الاستدلال والاستشهاد، والأساليب الدعوية، والقضايا الدعوية بتلك المصنفات.

■ تفرغ نتائج التحليل في جداول معدة لهذا الغرض، وقد تم ذلك بإعطاء تكرار لكل فئة في المحتوى المحلل.

#### د - إجراءات عملية التحليل:

- تحديد المصنفات التي حُلل محتواها، وهي (١٢) كتاباً من كتب المتقدمين،

- و(٦) كتب من كتب المتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين.
- قراءة أجزاء الكتب بطريقة متأنية ودقيقة؛ لتحديد مصادر الاستدلال والاستشهاد، والأساليب الدعوية، وأبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.
  - قراءة قائمة تحليل المحتوى بصورتها النهائية بعد الانتهاء من إجراءات التأكد من صدقها وثباتها.
  - اعتبار وحدة الجملة وحدة تحليل؛ لمناسبتها لطبيعة الدراسة الحالية وأهدافها.
  - وضع علامة تكرار في الخانات المحددة لذلك في بطاقة التحليل عند ظهور أي متغير من متغيرات التحليل.
  - تحويل التكرارات من الإشارات إلى أرقام، ومن ثم تفرغ النتائج في جدول خاص.
  - حساب النسبة المئوية لكل مجال، ومن ثم حساب النسبة الكلية لكل متغير.
  - التحليل في ضوء العديد من المتغيرات بكل مصنف، وهي: مصادر الاستدلال والاستشهاد، والأساليب الدعوية، وأبرز القضايا الدعوية.
- تنفيذ البحث:

نُفذ البحث الحالي خلال الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٤٤٢ - ١٤٤٣ هـ، وفق الإجراءات الآتية:

- تحديد أسئلة البحث وأهدافه.
- مراجعة الدراسات السابقة بهدف الاستفادة منها في تكوين خلفية معرفية ونظرية للموضوع.
- قراءة مصنفات المتقدمين والمتأخرين في مناقحة أئمة المسلمين.
- إعداد قائمة بالفئات الخاصة بتلك المصنفات، والتي تتمثل في: مصادر الاستدلال والاستشهاد، الأساليب الدعوية، أبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناقحة أئمة المسلمين.
- عرض القائمة على مجموعة من المحكمين المختصين للتأكد من صدقها، وتعديلها في ضوء آرائهم واقتراحاتهم.
- اعتماد القائمة في صورتها النهائية.
- تحويل القائمة إلى بطاقة تحليل محتوى.
- قيام الباحث بتحليل عينة عشوائية من الموضوعات مرتين؛ للتحقق من ثبات بطاقة تحليل المحتوى.
- تحليل محتوى (١٢) مصنفاً من مصنفات المتقدمين في مناقحة أئمة المسلمين، و(٦) مصنفات من مصنفات المتأخرين في مناقحة أئمة المسلمين.
- جمع البيانات وتفريغها في الجداول المعدة لهذا الغرض.
- إجراء المعالجات الإحصائية المناسبة على عملية التحليل.

- تحليل النتائج وتفسيرها ومناقشتها في ضوء أسئلة الدراسة وأهدافها.
- تقديم التوصيات والمقترحات في ضوء نتائج البحث.

### الأساليب الإحصائية

استعمل الباحث الأساليب الإحصائية في تحليل البيانات التي توصلت إليها الدراسة، وهي كما يلي:

١. التكرارات والنسب المئوية للتعرف على مصادر الاستدلال والاستشهاد، والأساليب الدعوية، وأبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.

٢. معادلة "هولستي" لحساب ثبات أداة الدراسة من خلال معامل الاتفاق.

## المبحث الثاني

### نتائج الدراسة التحليلية

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: عرض نتائج مصادر الاستدلال والاستشهاد في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.
- المطلب الثاني: عرض نتائج الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.
- المطلب الثالث: عرض نتائج أبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.

## المبحث الثاني

### نتائج الدراسة التحليلية

يتناول هذا المبحث عرض نتائج الدراسة التحليلية من خلال عرض نتائج قوائم الاستمارة، وذلك بالإجابة عن أسئلة الدراسة من خلال المطالب الآتية:

#### المطلب الأول

##### عرض نتائج مصادر الاستدلال والاستشهاد في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

تم التعرف على مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب المناصحة عند المتقدمين والمتأخرين بعد إجراءات الدراسة، وقد جاءت على النحو الآتي:

أولاً: مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين:

للتعرف على مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب المناصحة عند المتقدمين،

تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (٢)

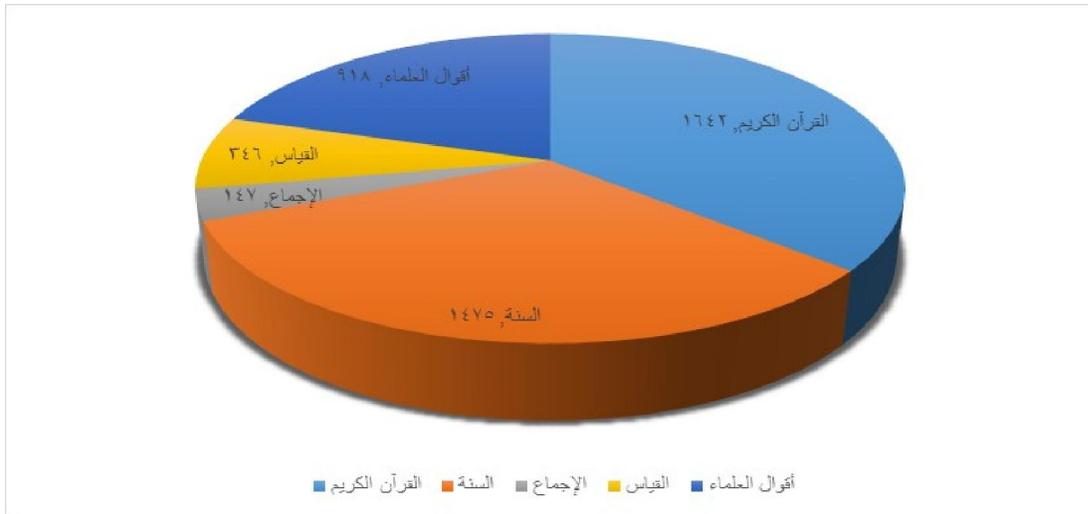
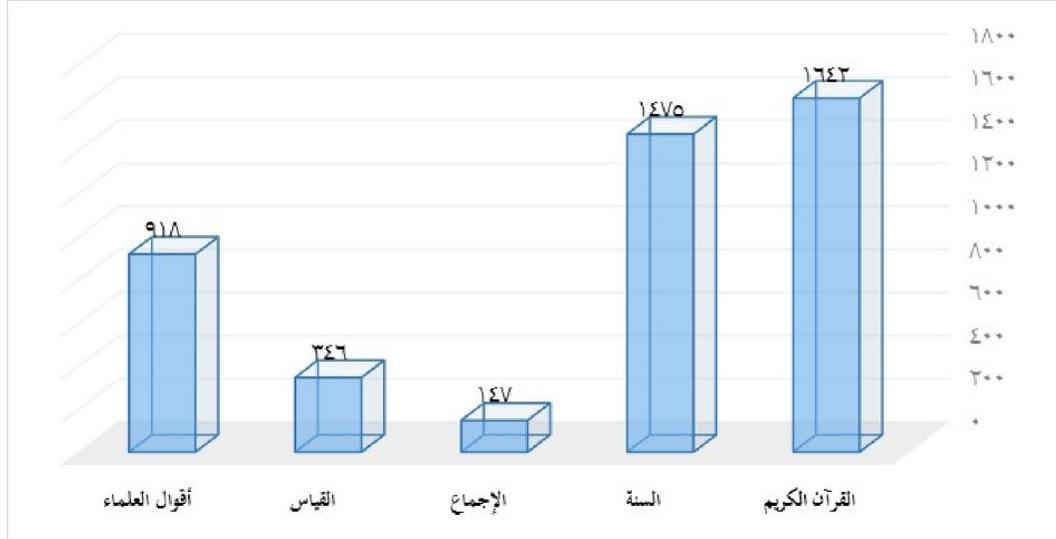
يوضح مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب المناصحة عند المتقدمين

م	اسم الكتاب	مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين			
		القرآن	السنة	الإجماع	القياس أقوال العلماء
١	نصيحة الملوك للماوردي	٤٦١	١٥٢	١٠	٢٨
٢	الذهب المسبوك للحميدي	٦٤	٣٥	٠	٤
٣	سراج الملوك للطرطوشي	٢٧٨	١٩٢	١٧	١٣
٤	المنهج السلوك للشيزري	٢٤	٦٥	١٣	٢١
٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم	١٣٢	٩٢	١٣	١٦
٦	الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي	٦٦	١٦٢	١٢	٩٠
٧	حسن السلوك للموصلي	٤٦	١١٥	٢	٤
٨	واسطة السلوك للزياني	٣	٢٨	٠	٣
٩	إرشاد الملوك للهندي	٦٢	١٥٤	٣	٨
١٠	بدائع السلك لابن الأزرق	٢٦٤	٢٤٣	٥٢	٧٧
١١	بذل النصائح للمقدسي	٦٦	١٤٠	١٣	٥٢
١٢	النصائح المهمة للشيخ علوان	١٧٦	٩٧	١٢	٣٠
	المجموع	١٦٤٢	١٤٧٥	١٤٧	٣٤٦
	النسبة المئوية	٣٦,٣	٣٢,٦	٣,٢	٧,٦

يوضح الجدول رقم (٢) مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب المناصحة عند المتقدمين، حيث يأتي القرآن الكريم بتكرار (١٦٤٢) مرة، وبنسبة (٣, ٣٦٪)، وتأتي السنة بتكرار (١٤٧٥) مرة، وبنسبة (٦, ٣٢٪)، وجاء مصدر الإجماع بتكرار (١٤٧) مرة، وبنسبة (٢, ٣٪)، أما القياس فقد بلغ تكراره (٣٤٦) مرة، وبنسبة (٦, ٧٪)، في حين أن الاستشهاد بأقوال العلماء جاء في العدّ بتكرار (٩١٨) مرة، وبنسبة (٣, ٢٠٪) من إجمالي تكرارات مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين.

شكل رقم (١)

يوضح مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب المناصحة عند المتقدمين



وفيما يلي عرض لمصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين

باختلاف المصنفات، من خلال الجدول التالي:

جدول رقم (٣)

مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين باختلاف المصنفات

م	اسم الكتاب	مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين					الإجمالي	
		القرآن	السنة	الإجماع	القياس	أقوال العلماء	التكرار	النسبة المئوية
١	نصيحة الملوك للماوردي	٤٦١	١٥٢	١٠	٢٨	٣٠	٦٨١	١٥,٠
٢	الذهب المسبوك للحميدي	٦٤	٣٥	٠	٤	٥	١٠٨	٢,٤
٣	سراج الملوك للطرطوشي	٢٧٨	١٩٢	١٧	١٣	١٧٠	٦٧٠	١٤,٨
٤	المنهج السلوك للسيزري	٢٤	٦٥	١٣	٢١	٦٧	١٩٠	٤,٢
٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم	١٣٢	٩٢	١٣	١٦	٧٦	٣٢٩	٧,٣
٦	الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي	٦٦	١٦٢	١٢	٩٠	٢٦	٣٥٦	٧,٩
٧	حسن السلوك للموصلي	٤٦	١١٥	٢	٤	١١٣	٢٨٠	٦,٢
٨	واسطة السلوك للزياني	٣	٢٨	٠	٣	٥١	٨٥	١,٩

م	اسم الكتاب	مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين					الإجمالي	
		القرآن	السنة	الإجماع	القياس	أقوال العلماء	التكرار	النسبة المئوية
٩	إرشاد الملوك للهندي	٦٢	١٥٤	٣	٨	٦٨	٢٩٥	٦,٥
١٠	بدائع السلك لابن الأزرق	٢٦٤	٢٤٣	٥٢	٧٧	١٣٥	٧٧١	١٧,٠
١١	بذل النصائح للمقدسي	٦٦	١٤٠	١٣	٥٢	١٢٣	٣٩٤	٨,٧
١٢	النصائح المهمة للشيخ علوان	١٧٦	٩٧	١٢	٣٠	٥٤	٣٦٩	٨,١
	المجموع	١٦٤٢	١٤٧٥	١٤٧	٣٤٦	٩١٨	٤٥٢٨	١٠٠,٠

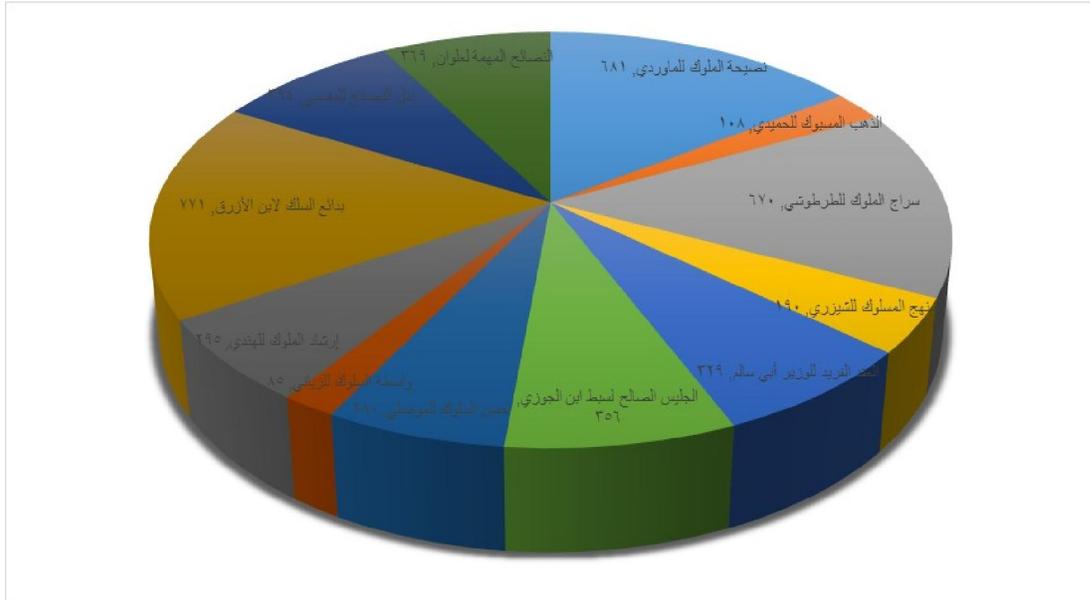
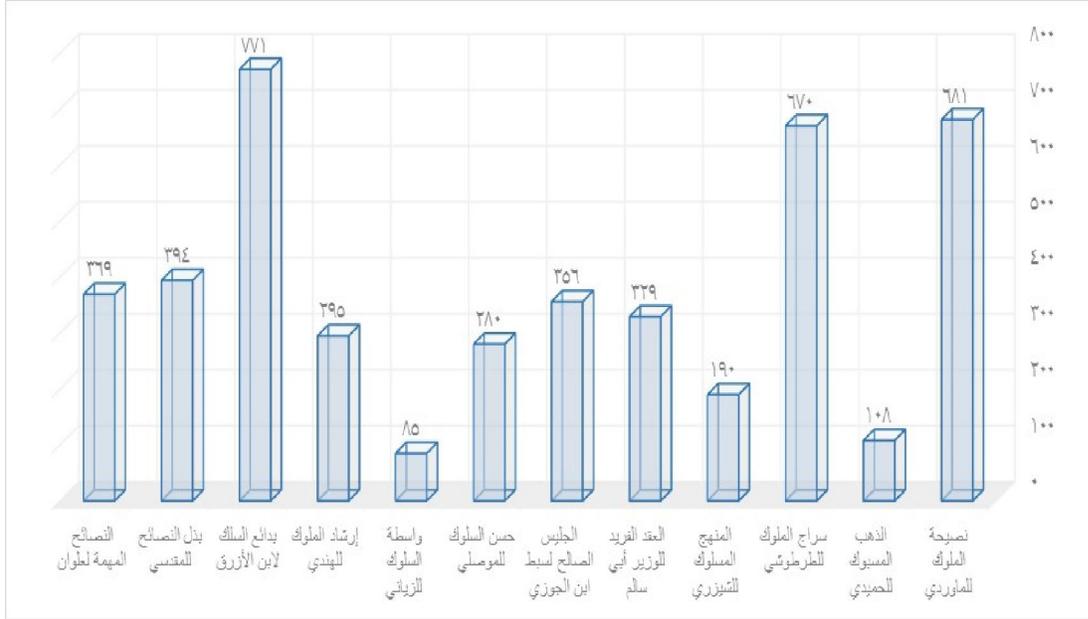
يتضح من خلال الجدول رقم (٣) أن كتاب "نصيحة الملوك" للهاوردي جاء بتكرار (٦٨١) مرة، وبنسبة (١٥٪)، أما كتاب "الذهب المسبوك" للحميدي فقد جاء بتكرار (١٠٨) مرة، وبنسبة (٤, ٢٪)، في حين يأتي كتاب "سراج الملوك" للطروشوي بتكرار (٦٧٠) مرة، وبنسبة (٨, ١٤٪)، كما أوضحت الدراسة نتيجة كتاب "المنهج المسبوك" للشيزري الذي جاء بتكرار (١٩٠) مرة، وبنسبة (٢, ٤٪)، ويليهِ في جدول النتيجة كتاب "العقد الفريد للملك السعيد" للوزير أبي سالم، الذي جاء بتكرار (٣٢٩) مرة، وبنسبة (٣, ٧٪)، أما كتاب "الجلس الصالح" لسبط ابن

الجوزي فقد بلغ تكراره (٣٥٦) مرة، وبنسبة (٩, ٧٪)، كما بلغ تكرار كتاب "حسن السلوك" للموصلي (٢٨٠) مرة، وبنسبة (٢, ٦٪).

وتأتي نتيجة كتاب "واسطة السلوك" للزياني بتكرار (٨٥) مرة، وبنسبة (٩, ١٪)، كما توضح الدراسة نتيجة كتاب "إرشاد الملوك" لأبي زيد الهندي، حيث بلغ التكرار فيه (٢٩٥) مرة، وبنسبة (٥, ٦٪)، يليه في ترتيب الفئات الفرعية "بدائع السلك" لابن الأزرق، حيث جاء تكراره (٧٧١) مرة، وبنسبة (١٧, ١٪)، أما نتيجة كتاب بذل النصائح الشرعية" للمقدسي فقد جاءت بتكرار (٣٩٤) مرة، وبنسبة (٧, ٨٪)، ويأتي كتاب "النصائح المهمة" للشيخ علوان في آخر فروع جدول النتائج، حيث أبرزت الدراسة نتائج تكراره البالغة (٣٦٩) مرة، وبنسبة (١, ٨٪).

شكل رقم (٢)

مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين باختلاف المصنفات



ثانياً: مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري المصنفين:

للتعرف على مصادر الاستدلال في كتب المناصحة عند المتأخرين، تم حساب

التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (٤)

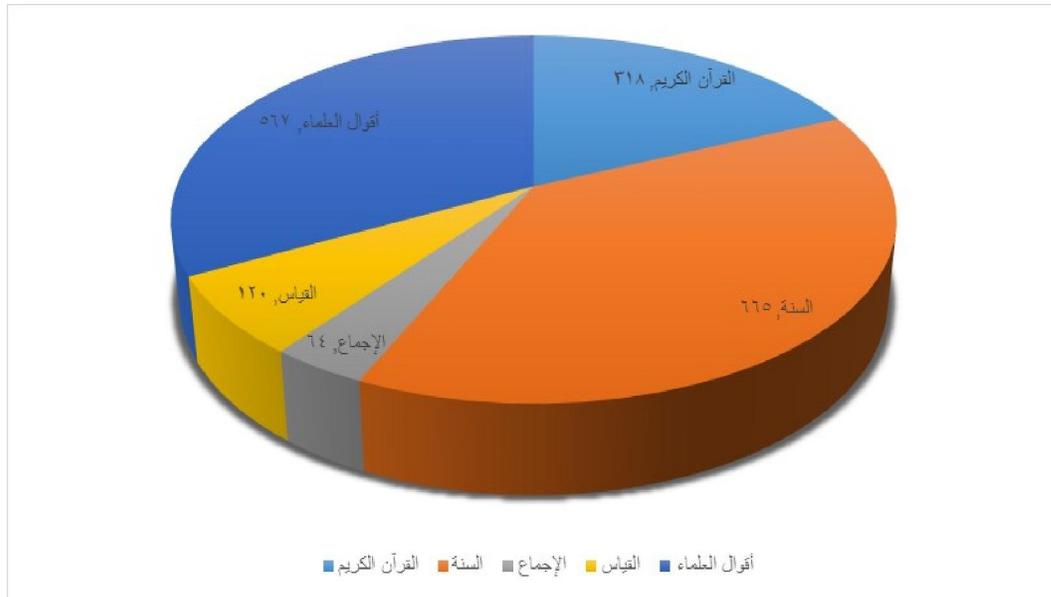
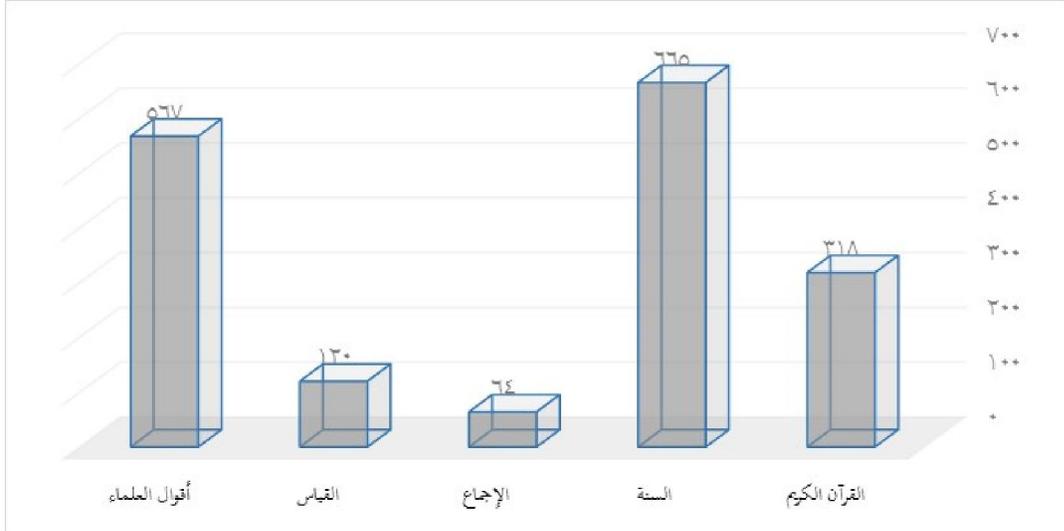
يوضح مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب المناصحة عند المتأخرين

مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري المصنفين					اسم الكتاب	م
أقوال العلماء	القياس	الإجماع	السنة	القرآن		
٨٧	٢٣	١٢	٩٨	٧٥	الجواهر المضية للمناوي	١
٣٥	١٤	٦	١٨	٧	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٢
١٣٤	٢٥	١٥	٣٥٣	٩٨	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	٣
٩٧	٢٤	١٩	٥٨	٤٤	معاملة الحكام للبرجس	٤
٣٩	١٦	٩	٣٢	٢١	شفاء السقام للأثري	٥
١٧٥	١٨	٣	١٠٦	٧٣	عزة العلماء للموجان	٦
٥٦٧	١٢٠	٦٤	٦٦٥	٣١٨	المجموع	
٣٢,٧	٦,٩	٣,٧	٣٨,٤	١٨,٣	النسبة المئوية	

يوضح الجدول رقم (٤) مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب المناصحة عند المتأخرين، حيث يأتي القرآن الكريم بتكرار (٣١٨) مرة، وبنسبة (٣, ١٨٪)، وتأتي السنة بتكرار (٦٦٥) مرة، وبنسبة (٤, ٣٨٪)، وجاء مصدر الإجماع بتكرار (٦٤) مرة، وبنسبة (٧, ٣٪)، أما القياس فقد بلغ تكراره (١٢٠) مرة، وبنسبة (٩, ٦٪)، في حين أن الاستشهاد بأقوال العلماء جاء في العدّ بتكرار (٥٦٧) مرة، وبنسبة (٧, ٣٢٪) من إجمالي تكرارات مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري المصنفين.

شكل رقم (٣)

يوضح مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب المناصحة عند المتأخرين



وفيما يلي عرض لمصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري المصنفين

باختلاف المصنفات من خلال الجدول التالي:

جدول رقم (٥)

مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري المصنفين باختلاف المصنفات

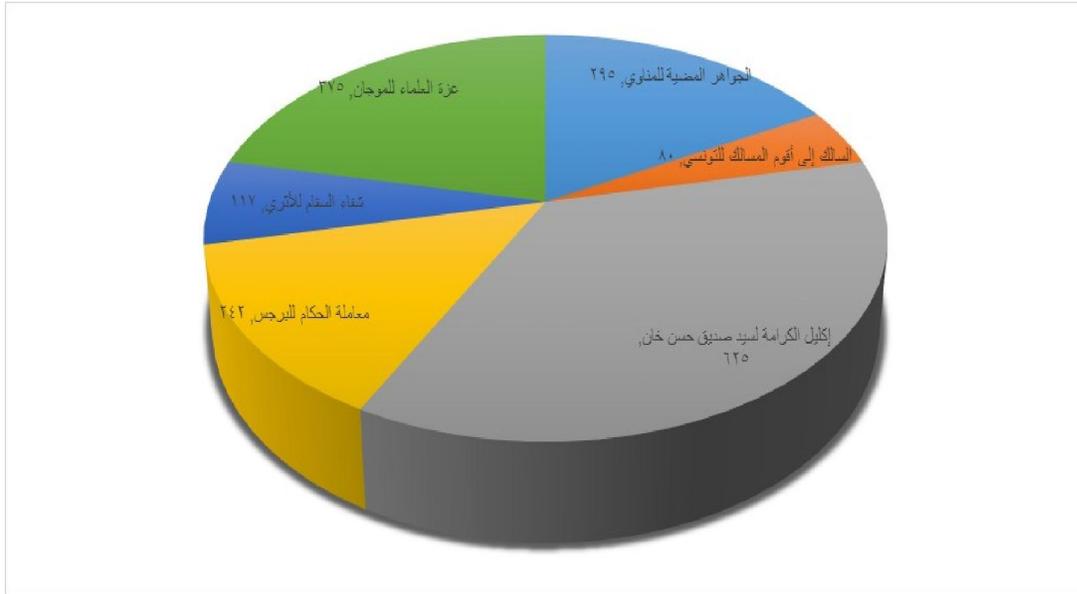
م	اسم الكتاب	القرآن	السنة	الإجماع	القياس	أقوال العلماء	التكرارات	الإجمالي	
								النسبة المئوية	
١	الجواهر المضية للمناوي	٧٥	٩٨	١٢	٢٣	٨٧	٢٩٥	١٧	
٢	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٧	١٨	٦	١٤	٣٥	٨٠	٤,٦	
٣	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	٩٨	٣٥٣	١٥	٢٥	١٣٤	٦٢٥	٣٦	
٤	معاملة الحكام للبرجس	٤٤	٥٨	١٩	٢٤	٩٧	٢٤٢	١٤	
٥	شفاء السقام للأثري	٢١	٣٢	٩	١٦	٣٩	١١٧	٦,٧	

الإجمالي		مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري المصنفين					اسم الكتاب	م
النسبة المئوية	التكرارات	أقوال العلماء	القياس	الإجماع	السنة	القرآن		
٢١,٦	٣٧٥	١٧٥	١٨	٣	١٠٦	٧٣	عزة العلماء للموجان	
١٠٠,٠	١٧٣٤	٥٦٧	١٢٠	٦٤	٦٦٥	٣١٨	المجموع	

يتضح من خلال الجدول رقم (٥) أن كتاب "الجواهر المضية" للمناوي جاء بتكرار (٢٩٥) مرة، وبنسبة (١٧٪)، أما كتاب "السالك إلى أقوم المسالك" للتونسي فقد جاء بتكرار (٨٠) مرة، وبنسبة (٦, ٤٪)، في حين يأتي كتاب "إكليل الكرامة" لصديق حسن خان بتكرار (٦٢٥) مرة، وبنسبة (٣٦٪)، كما أوضحت الدراسة نتيجة كتاب "معاملة الحكام" للبرجس الذي جاء بتكرار (٢٤٢) مرة، وبنسبة (١٤٪)، ويليه في جدول النتيجة كتاب "شفاء السقام" للأثري الذي جاء بتكرار (١١٧) مرة، وبنسبة (٦, ٧٪)، ثم يأتي كتاب "عزة العلماء" للموجان في آخر فروع جدول النتائج، حيث أبرزت الدراسة نتائج تكراره البالغة (٣٧٥) مرة، وبنسبة (٢١, ٦٪).

شكل رقم (٤)

مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري المصنفين باختلاف المصنفات



## المطلب الثاني

### عرض نتائج الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

للتعرف على الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين، تم

حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الأساليب الدعوية في كتب المناصحة عند المتقدمين:

للتعرف على الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين، تم

حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

### جدول رقم (٦)

#### الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين

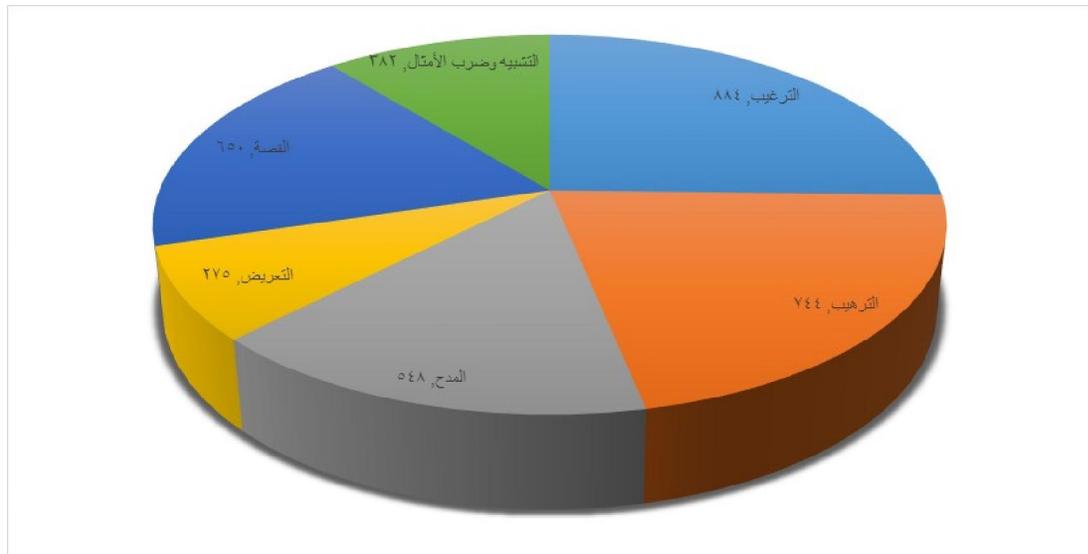
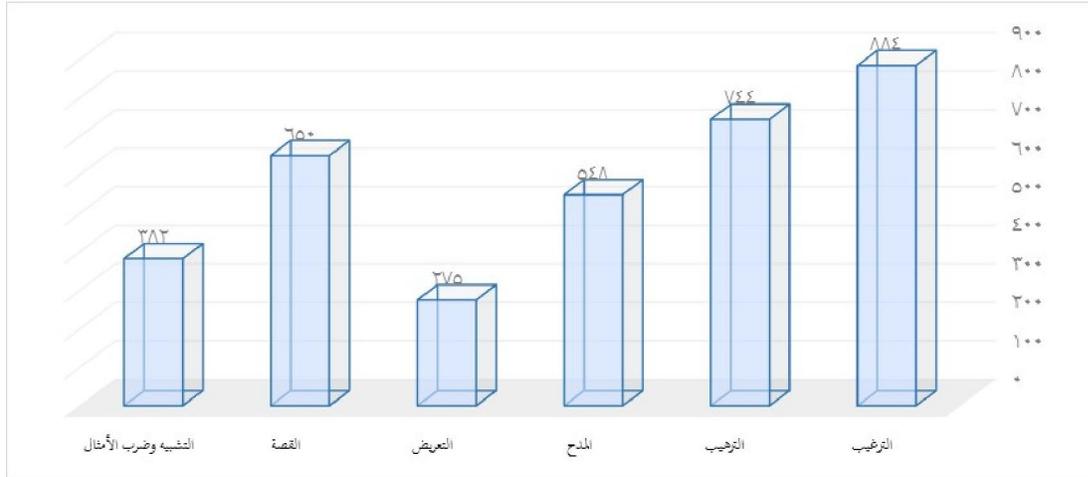
الأساليب						اسم الكتاب	م
التشبيه	القصة	التعريض	المدح والثناء	الترهيب	الترغيب		
٣٦	٤٦	١٣	٣٠	١٧	٤٠	نصيحة الملوك للماوردي	١
١٩	٥١	١٠	١٥	١٠	٤٠	الذهب المسبوك للحميدي	٢
٨٣	١٩٢	٥٢	٦٢	١٢٠	١٦٤	سراج الملوك للطرطوشي	٣
٢٧	٣٥	٢٨	٤٣	٣٦	٤٥	المنهج المسبوك للشيزري	٤

الأساليب						م	اسم الكتاب
التشبيه	القصة	التعريض	المدح والثناء	الترهيب	الترغيب		
٥٢	٨٩	٢٨	٤٥	٢٧	٣٦	٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم
٩	٦٠	٢٥	١٢٣	١٦٨	١٣٠	٦	الجلس الصالح لسبط ابن الجوزي
٣٠	٧٢	٢٤	١٥	٢١	٣٥	٧	حسن السلوك للموصلي
١٥	١١	٦	٤١	٥٥	٤٢	٨	واسطة السلوك للزياني
٢٤	٢٦	٥	٢٦	٤١	٥٢	٩	إرشاد الملوك للهندي
٤٨	٣٦	٤٧	٤٦	١٣٠	١٧٠	١٠	بدائع السلك لابن الأزرق
٢٤	٢٦	٢٤	٥٠	٣٢	٦٧	١١	بذل النصائح للمقدسي
١٥	٦	١٣	٥٢	٨٧	٦٣	١٢	النصائح المهمة للشيخ علوان
٣٨٢	٦٥٠	٢٧٥	٥٤٨	٧٤٤	٨٨٤		المجموع
١١	١٨,٧	٧,٩	١٥,٧	٢١,٤	٢٥,٤		النسبة المئوية

يوضح الجدول رقم (٦) الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين، حيث يأتي أسلوب الترغيب بتكرار (٨٨٤) مرة، وبنسبة (٤, ٢٥٪)، يليه أسلوب الترهيب بتكرار (٧٤٤) مرة، وبنسبة (٤, ٢١٪)، أما أسلوب المدح والثناء فقد جاء بتكرار (٥٤٨) مرة، وبنسبة (٧, ١٥٪)، كما أوضحت نتائج الدراسة عدد تكرارات أسلوب التعريض البالغة (٢٧٥) مرة، وبنسبة (٩, ٧٪)، يليه في جدول النتائج أسلوب القصة، حيث بلغ تكراره (٦٥٠) مرة، وبنسبة (٧, ١٨٪)، وتجيء نتيجة أسلوب التشبيه في آخر حقول جدول نتائج التحليل، حيث بلغ تكراره (٣٨٢) مرة، وبنسبة (١١٪).

شكل رقم (٥)

الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين



كما قام الباحث بالتعرف على إجمالي الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين، وذلك من خلال حساب الدرجة الكلية للأساليب الدعوية بكل مصنف من مصنفات المتقدمين عينة الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

### جدول رقم (٧)

إجمالي الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين باختلاف المصنفات

م	اسم الكتاب	الأساليب						الإجمالي	
		الترغيب	الترهيب	المدح والثناء	التعريض	القصة	التشبيه		التكرار
١	نصيحة الملوك للباوردي	٤٠	١٧	٣٠	١٣	٤٦	٣٦	١٨٢	٥,٢
٢	الذهب المسبوك للحميدي	٤٠	١٠	١٥	١٠	٥١	١٩	١٤٥	٤,٢
٣	سراج الملوك للطرطوشي	١٦٤	١٢٠	٦٢	٥٢	١٩٢	٨٣	٦٧٣	١٩,٣
٤	المنهج السلوك للشيزري	٤٥	٣٦	٤٣	٢٨	٣٥	٢٧	٢١٤	٦,١
٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم	٣٦	٢٧	٤٥	٢٨	٨٩	٥٢	٢٧٧	٨,٠
٦	الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي	١٣٠	١٦٨	١٢٣	٢٥	٦٠	٩	٥١٥	١٤,٨
٧	حسن السلوك للموصلي	٣٥	٢١	١٥	٢٤	٧٢	٣٠	١٩٧	٥,٧
٨	واسطة السلوك	٤٢	٥٥	٤١	٦	١١	١٥	١٧٠	٤,٩

م	اسم الكتاب	الأساليب						الإجمالي	
		الترغيب	الترهيب	المدح والثناء	التعريض	القصة	التشبيه		التكرار
	للزياني								
٩	إرشاد الملوك للهندي	٥٢	٤١	٢٦	٥	٢٦	٢٤	١٧٤	٥,٠
١٠	بدائع السلك لابن الأزرق	١٧٠	١٣٠	٤٦	٤٧	٣٦	٤٨	٤٧٧	١٣,٧
١١	بذل النصائح للمقديسي	٦٧	٣٢	٥٠	٢٤	٢٦	٢٤	٢٢٣	٦,٤
١٢	النصائح المهمة للشيخ علوان	٦٣	٨٧	٥٢	١٣	٦	١٥	٢٣٦	٦,٨
	المجموع	٨٨٤	٧٤٤	٥٤٨	٢٧٥	٦٥٠	٣٨٢	٣٤٨٣	١٠٠,٠

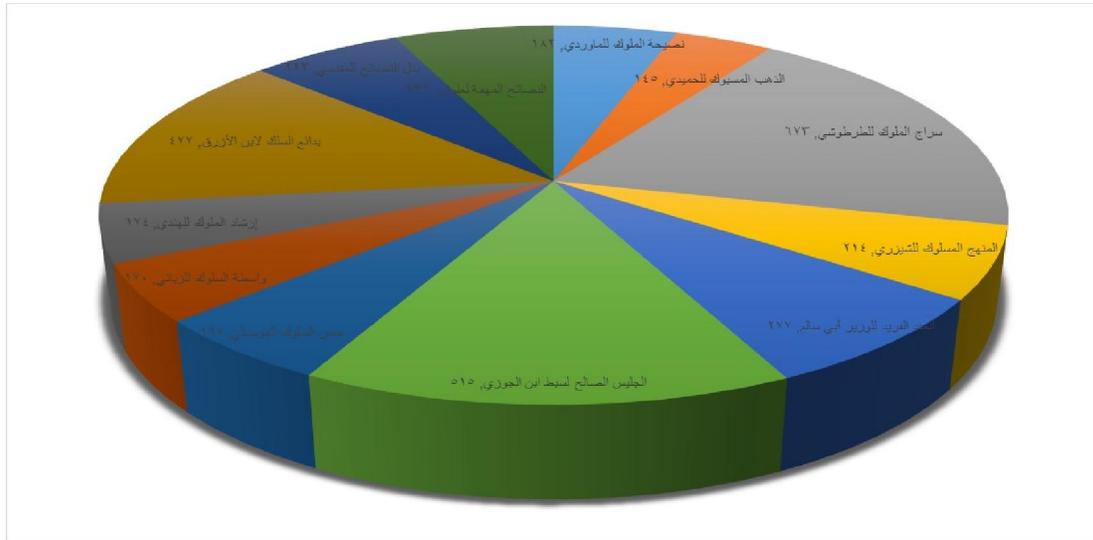
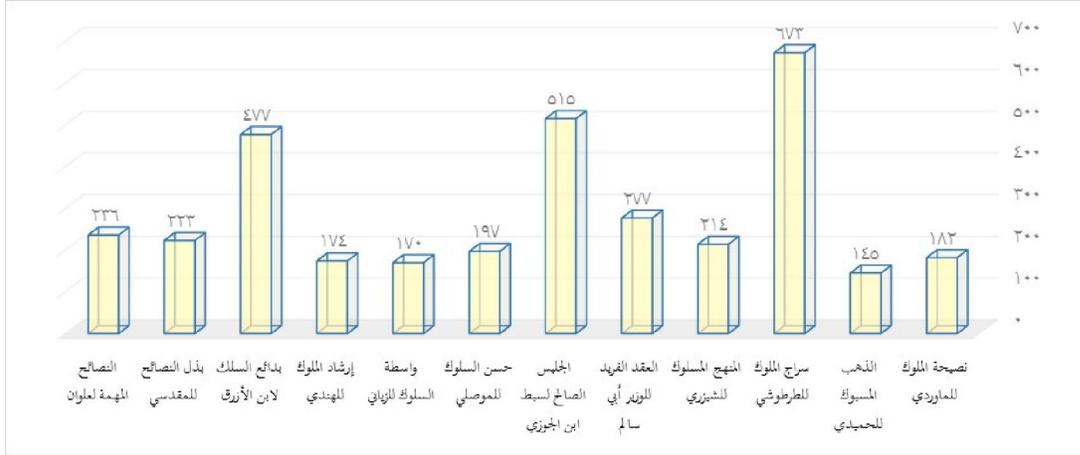
يتضح من خلال الجدول رقم (٧) أن كتاب "نصيحة الملوك" للماوردي جاء بتكرار (١٨٢) مرة، وبنسبة (٢, ٥٪)، أما كتاب "الذهب المسبوك" للحميدي فقد جاء بتكرار (١٤٥) مرة، وبنسبة (٢, ٤٪)، في حين يأتي كتاب "سراج الملوك" للطروشني بتكرار (٦٧٣) مرة، وبنسبة (٣, ١٩٪)، كما أوضحت الدراسة نتيجة كتاب "المنهج المسبوك" للشيزري الذي جاء بتكرار (٢١٤) مرة، وبنسبة (١, ٦٪)، ويليه في جدول النتيجة كتاب "العقد الفريد للملك السعيد" للوزير أبي سالم، الذي جاء بتكرار (٢٧٧) مرة، وبنسبة (٨, ٠٪)، أما كتاب "الجلس الصالح" لسبط ابن

الجوزي فقد بلغ تكراره (٥١٥) مرة، وبنسبة (٨, ١٤٪)، كما بلغ تكرار كتاب "حسن السلوك" للموصلي (١٩٧) مرة، وبنسبة (٧, ٥٪).

وتأتي نتيجة كتاب "واسطة السلوك" للزياني بتكرار (١٧٠) مرة، وبنسبة (٩, ٤٪)، كما توضح الدراسة نتيجة كتاب "إرشاد الملوك" لأبي زيد الهندي، حيث بلغ التكرار فيه (١٧٤) مرة، وبنسبة (٥, ٥٪)، يليه في ترتيب الفئات الفرعية "بدائع السلك" لابن الأزرق، حيث جاء تكراره (٤٧٧) مرة، وبنسبة (٧, ١٣٪)، أما نتيجة كتاب "بذل النصائح الشرعية" للمقدسي فقد جاءت بتكرار (٢٢٣) مرة، وبنسبة (٤, ٦٪)، ويأتي كتاب "النصائح المهمة" للشيخ علوان في آخر فروع جدول النتائج، حيث أبرزت الدراسة نتائج تكراره البالغة (٢٣٦) مرة، وبنسبة (٨, ٦٪).

شكل رقم (٦)

إجمالي الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين باختلاف المصنفات



ثانياً: الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين:

للتعرف على الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين، تم

حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (٨)

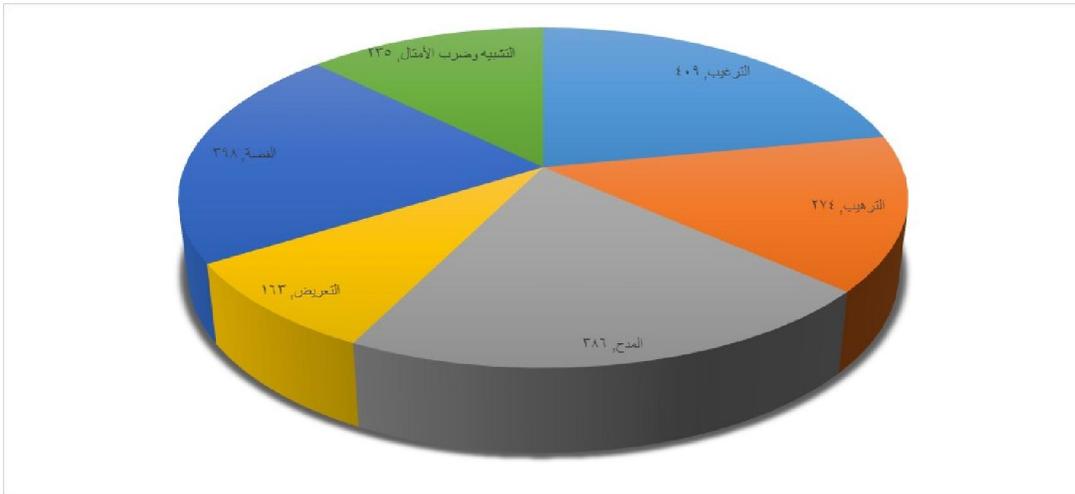
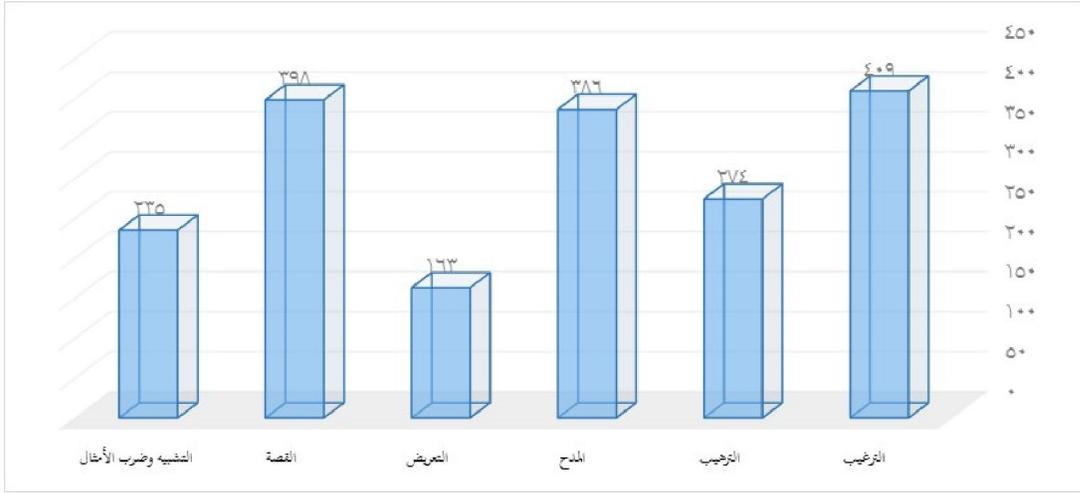
الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين

م	اسم الكتاب	الأساليب					
		الترغيب	الترهيب	المدح والثناء	التعريض	القصة	التشبيه
١	الجواهر المضية للمناوي	٧٦	٤٣	٥٢	٤٧	٨٤	٦٧
٢	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٣٥	٢٢	٤٦	٣١	٧٤	٤٢
٣	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	١٢٩	٩٨	١٣٢	٢٣	٤٥	٣٥
٤	معاملة الحكام للبرجس	٥٦	٣٤	٥٥	١٦	٤٦	٣٧
٥	شفاء السقام للأثري	٢٦	١٥	٢٣	٣٢	٢٨	١٩
٦	عزة العلماء للموجان	٨٧	٦٢	٧٨	١٤	١٢١	٣٥
	المجموع	٤٠٩	٢٧٤	٣٨٦	١٦٣	٣٩٨	٢٣٥
	النسبة المئوية	٢١,٩	١٤,٧	٢٠,٧	٨,٧	٢١,٣	١٢,٦

يوضح الجدول رقم (٨) الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين، حيث يأتي أسلوب الترغيب بتكرار (٤٠٩) مرة، وبنسبة (٩, ٢١٪)، يليه أسلوب الترهيب بتكرار (٢٧٤) مرة، وبنسبة (٧, ١٤٪)، أما أسلوب المدح والثناء فقد جاء بتكرار (٣٨٦) مرة، وبنسبة (٧, ٢٠٪)، كما أوضحت نتائج الدراسة عدد تكرارات أسلوب التعريض البالغة (١٦٣) مرة، وبنسبة (٧, ٨٪)، يليه في جدول النتائج أسلوب القصة، حيث بلغ تكراره (٣٩٨) مرة، وبنسبة (٣, ٢١٪)، وتجيء نتيجة أسلوب التشبيه في آخر حقول جدول نتائج التحليل، حيث بلغ تكراره (٢٣٥) مرة، وبنسبة (٦, ١٢٪).

شكل رقم (٧)

الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين



كما قام الباحث بالتعرف على إجمالي الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين، وذلك من خلال حساب الدرجة الكلية للأساليب الدعوية بكل مصنف من مصنفات المتأخرين - عينة الدراسة - وذلك على النحو الآتي:

### جدول رقم (٩)

إجمالي الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين المتأخرين باختلاف المصنفات

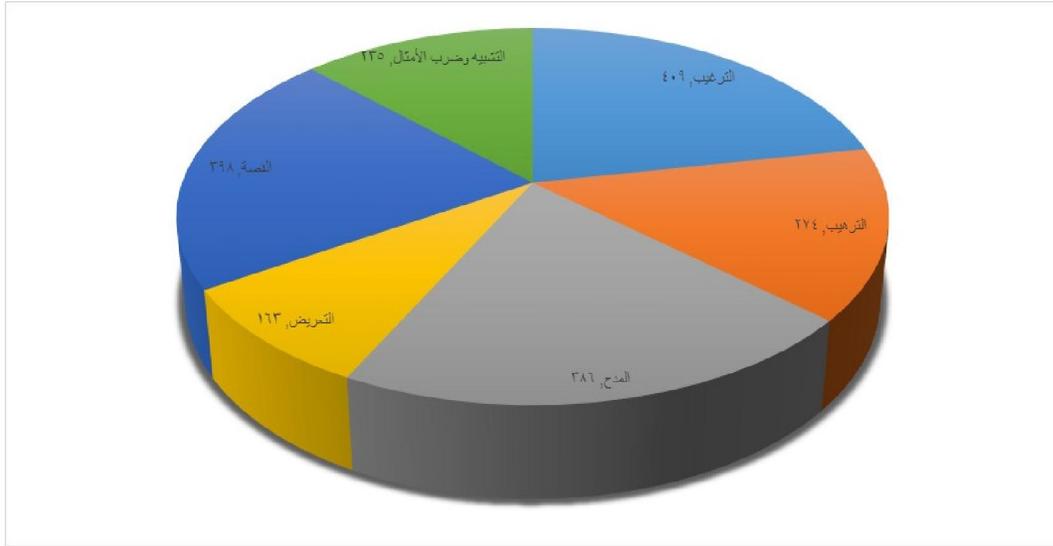
م	اسم الكتاب	الأساليب						الإجمالي	
		الترغيب	الترهيب	المدح والثناء	التعريض	القصة	التشبيه		التكرارات
١	الجواهر المضية للمناوي	٧٦	٤٣	٥٢	٤٧	٨٤	٦٧	٣٦٩	١٩,٨
٢	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٣٥	٢٢	٤٦	٣١	٧٤	٤٢	٢٥٠	١٣,٤
٣	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	١٢٩	٩٨	١٣٢	٢٣	٤٥	٣٥	٤٦٢	٢٤,٨
٤	معاملة الحكام للبرجس	٥٦	٣٤	٥٥	١٦	٤٦	٣٧	٢٤٤	١٣,٠
٥	شفاء السقام للأثري	٢٦	١٥	٢٣	٣٢	٢٨	١٩	١٤٣	٧,٧
٦	عزة العلماء للموجان	٨٧	٦٢	٧٨	١٤	١٢١	٣٥	٣٩٧	٢١,٣
	المجموع	٤٠٩	٢٧٤	٣٨٦	١٦٣	٣٩٨	٢٣٥	١٨٦٥	١٠٠,٠

يتضح من خلال الجدول رقم (٩) أن كتاب "الجواهر المضية" للمناوي جاء بتكرار (٣٦٩) مرة، وبنسبة (٨, ١٩٪)، أما كتاب "السالك إلى أقوم المسالك" للتونسي فقد جاء بتكرار (٢٥٠) مرة، وبنسبة (٤, ١٣٪)، في حين يأتي كتاب "إكليل

الكرامة" لصديق حسن خان بتكرار (٤٦٢) مرة، وبنسبة (٨, ٢٤٪)، كما أوضحت الدراسة نتيجة كتاب "معاملة الحكام" للبرجس الذي جاء بتكرار (٢٤٤) مرة، وبنسبة (١٣٪)، ويليه في جدول النتيجة كتاب "شفاء السقام" للأثري الذي جاء بتكرار (١٤٣) مرة، وبنسبة (٧, ٧٪)، ثم يأتي كتاب "عزة العلماء" للموجان في آخر فروع جدول النتائج، حيث أبرزت الدراسة نتائج تكراره البالغة (٣٩٧) مرة، وبنسبة (٣, ٢١٪).

شكل رقم (٧)

إجمالي الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين المتأخرين باختلاف المصنفات



### المطلب الثالث

#### عرض نتائج أبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

للتعرف على أبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين، تم

حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين:

للتعرف على أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين، تم

حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

١ - القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة:

للتعرف على أبرز القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة في مصنفات المناصحة عند

المتقدمين، تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (١٠)

القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة في مصنفات المناصحة عند المتقدمين

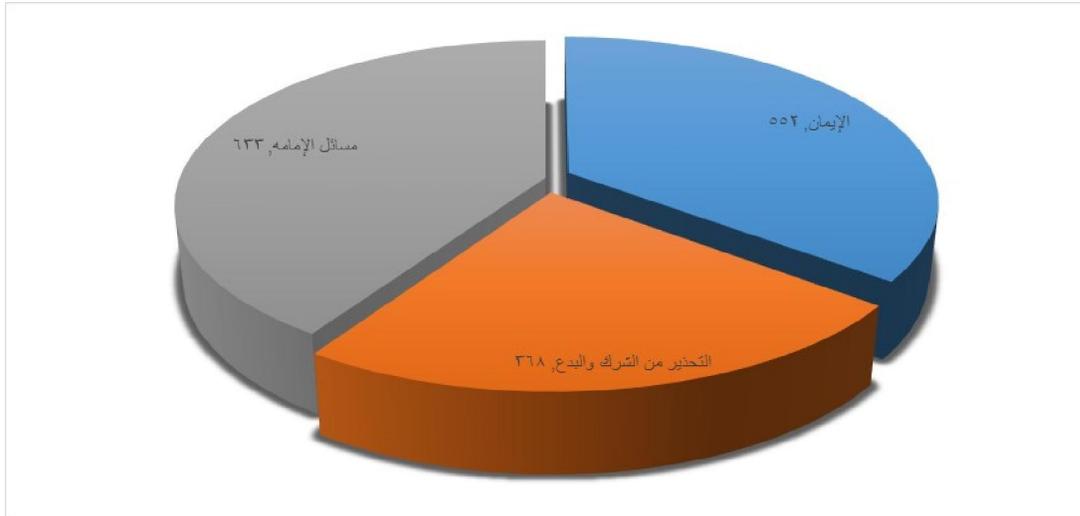
م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة				الإجمالي
		الإيمان	التحذير من الشرك والبدع	مسائل الإمامة	التكرار	
١	نصيحة الملوك للماوردي	٢٧	٢٠	٢٠	٦٧	٤,٣
٢	الذهب المسبوك للحميدي	١٠	٠	٣	١٣	٠,٨
٣	سراج الملوك للطرطوشي	٥٣	٣٠	٦٥	١٤٨	٩,٥
	المنهج المسبوك للسيزري	٥٨	٣٤	٥٤	١٤٦	٩,٤
٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم	٤٦	٢١	٤١	١٠٨	٧,٠
٦	الجلس الصالح لسبط ابن الجوزي	٢٧	١٧	٨	٥٢	٣,٣

الإجمالي		القضايا الدعوية المتعلقة بالعتيدة			اسم الكتاب	م
النسبة المئوية	التكرار	مسائل الإمامة	التحذير من الشرك والبدع	الإيمان		
١٠,٥	١٦٣	٨٧	٣١	٤٥	حسن السلوك للموصلي	٧
٨,٩	١٣٨	٤٦	٢٤	٦٨	واسطة السلوك للزباني	٨
٧,٣	١١٣	٥٢	٢٦	٣٥	إرشاد الملوك للهندي	٩
١٦,١	٢٥٠	١٥٣	٣٣	٦٤	بدائع السلك لابن الأزرق	١٠
٩,٢	١٤٣	٣٧	٤٣	٦٣	بذل النصائح للمقدسي	١١
١٣,٧	٢١٢	٦٧	٨٩	٥٦	النصائح المهمة للشيخ علوان	١٢
١٥٥٣	٦٣٣	٣٦٨	٥٥٢	المجموع		
%١٠٠	٤٠,٨	٢٣,٧	٣٥,٥	النسبة المئوية		

يتضح من خلال الجدول رقم (١٠) أن مسائل الإيمان قد جاءت بتكرار (٥٥٢) مرة، وبنسبة (٥, ٣٥)، أما مسائل التحذير من الشرك والبدع فقد جاءت بتكرار (٣٦٨) مرة، وبنسبة (٧, ٢٣٪)، وتأتي مسائل الإمامة - وهي آخر الفئات الفرعية - بتكرار (٦٣٣) مرة، وبنسبة (٨, ٤٠٪).

شكل رقم (٨)

القضايا الدعوية المتعلقة بالعتيدة في مصنفات المناصحة عند المتقدمين



٢- القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام:

للتعرف على أبرز القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام في مصنفات المناصحة عند المتقدمين، تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (١١)

القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام في مصنفات المناصحة عند المتقدمين

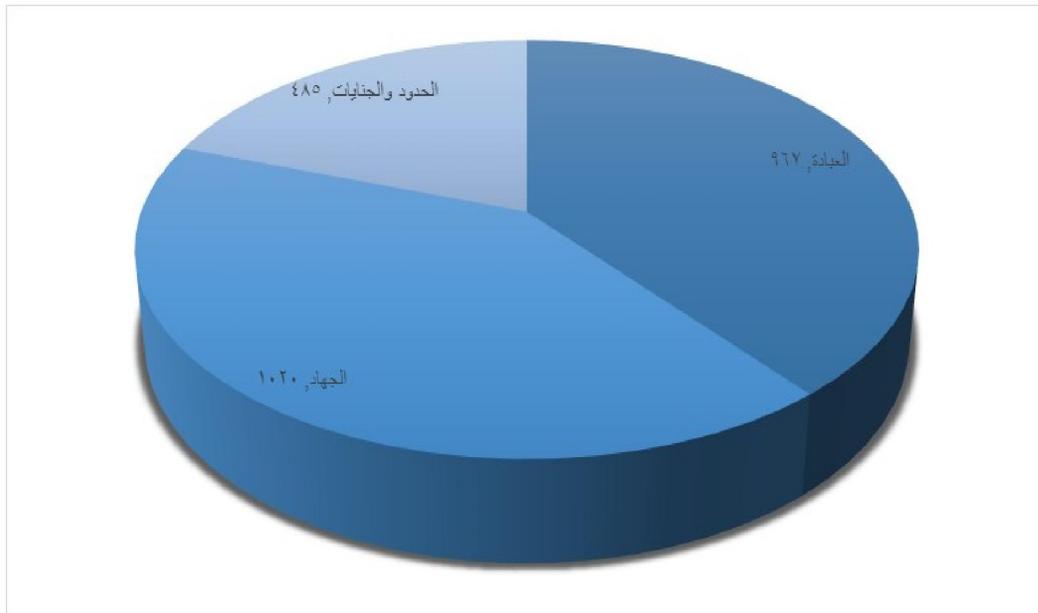
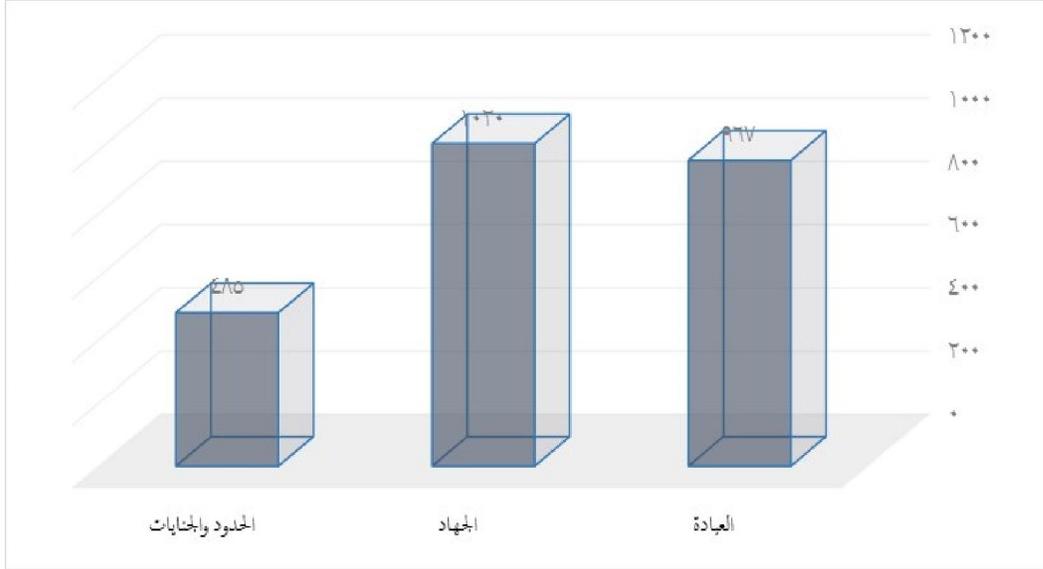
م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام				الإجمالي
		العبادة	الجهاد	الحدود والجنايات	التكرار	
١	نصيحة الملوك للهاوردي	٣٤	٥٨	٥٦	١٤٨	٥,٤
٢	الذهب المسبوك للحميدي	٠	٠	٠	٠	٠,٠
٣	سراج الملوك للطرطوشي	١٣٣	١٥٥	٣٥	٣٢٣	١١,٨
٤	المنهج المسبوك للشيزري	٣١	٤٧	٤٣	١٢١	٤,٤
٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم	٦٢	٥٣	٣٤	١٤٩	٥,٤

م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام				الإجمالي
		العبادة	الجهاد	الحدود والجنايات	التكرار	
٦	الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي	١١١	١٤٩	١٨	٢٧٨	١٠,١
٧	حسن السلوك للموصلي	٥٦	٨٩	٣٤	١٧٩	٦,٥
٨	واسطة السلوك للزياني	١١٥	٨٤	٧٥	٢٧٤	١٠
٩	إرشاد الملوك للهندي	٦٠	٧٢	٢٣	١٥٥	٥,٧
١٠	بدائع السلك لابن الأزرق	١٤٠	١٢٢	٦٣	٣٢٥	١١,٩
١١	بذل النصائح للمقدسي	١٢٦	٦٥	٤٨	٢٣٩	٨,٧
١٢	النصائح المهمة للشيخ علوان	٩٩	١٢٦	٥٦	٢٨١	١٠,٢
المجموع		٩٦٧	١٠٢٠	٤٨٥	٢٢٠٢	
النسبة المئوية		٣١,٧	٤٦,٣	٢٢,٠		%١٠٠

يتضح من خلال الجدول رقم (١١) أن مسائل العبادة قد جاءت بتكرار (٩٦٧) وبنسبة (٣١,٧٪)، أما مسائل الجهاد فقد جاءت بتكرار (١٠٢٠) مرة، وبنسبة (٤٦,٣٪)، وتأتي مسائل الحدود والجنايات - وهي آخر الفئات الفرعية - بتكرار (٤٨٥) مرة، وبنسبة (٢٢٪).

شكل رقم (٩)

القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام في مصنفات المناصحة عند المتقدمين



٣- القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ:

للتعرف على أبرز القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في مصنفات المناصحة عند

المتقدمين، تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (١٢)

القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في مصنفات المناصحة عند المتقدمين

م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ					الإجمالي
		التذكير	الحث على	الترغيب	الحث على	النسبة المئوية	
		بخطر	الشكر	بإقامة العدل	طلب النصيحة واستماعها	الحث على الزهد	التكرار
١	نصيحة الملوك للماوردي	١٥	٤٠	٤٣	١٥	٣٩	١٥٢
٢	الذهب المسبوك للحميدي	٢٥	٣١	٥٠	٢٢	٤١	١٦٩
٣	سراج الملوك للطرطوشي	٣٣	٤٢	١٠٨	٨٧	٦١	٣٣١
٤	المنهج السلوك للشيزري	٢١	٢٤	٥٣	٥٨	٣٥	١٩١

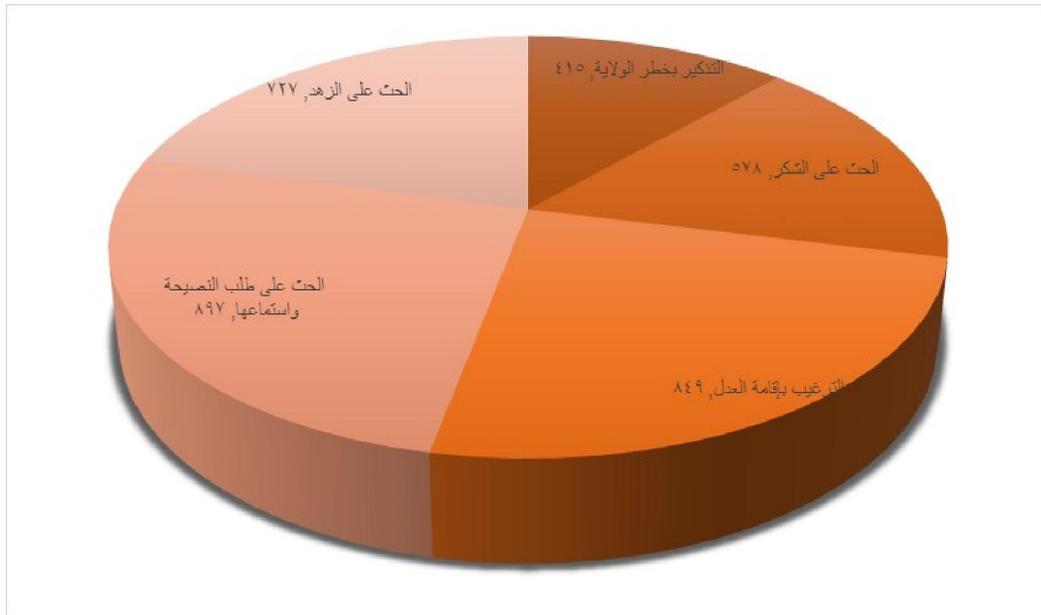
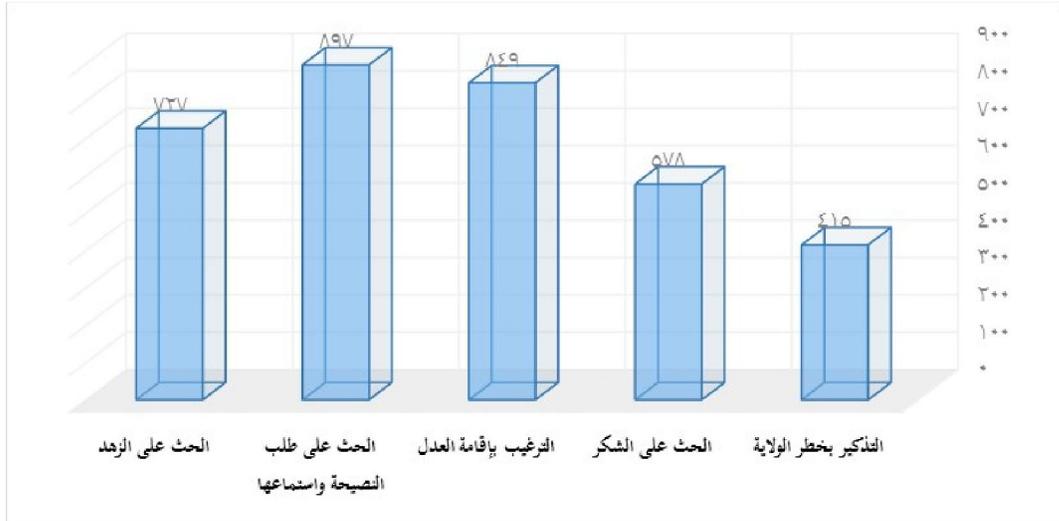
الإجمالي		القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ					اسم الكتاب	م
النسبة المئوية	التكرار	الحث على الزهد	الحث على طلب النصيحة واستماعها	الترغيب بإقامة العدل	الحث على الشكر	التذكير بخطر الولاية		
٤,٩	١٦٩	٢٥	٣٣	٣٥	٤٥	٣١	٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم
٨,٦	٢٩٧	١٤٣	٨٨	٢٥	٢٧	١٤	٦	الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي
٦,٣	٢٢٠	٣٦	٥٣	٦٣	٢٦	٤٢	٧	حسن السلوك للموصلي
١١,٩	٤١١	٦٤	١٤٦	٩٤	٣٥	٧٢	٨	واسطة السلوك للزياني
٦,٢	٢١٤	٢٩	٥٤	٦١	٥٢	١٨	٩	إرشاد الملوك للهندي
١٤,١	٤٩٠	٨٣	٩٣	١٢٣	١١٤	٧٧	١٠	بدائع السلك لابن الأزرق
١٢,١	٤٢٠	٧٢	١٣٥	٩٦	٨٦	٣١	١١	بذل النصائح للمقدسي

م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ					الإجمالي	
		التذكير بخطر الولاية	الحث على الشكر	الترغيب بإقامة العدل	الحث على طلب النصيحة واستماعها	الحث على الزهد	التكرار	النسبة المئوية
١٢	النصائح المهمة للشيخ علوان	٣٦	٥٦	٩٨	١١٣	٩٩	٤٠٢	١١,٦
	المجموع	٤١٥	٥٧٨	٨٤٩	٨٩٧	٧٢٧	٣٤٦٦	
	النسبة المئوية	١٢,٠	١٦,٦	٢٤,٥	٢٥,٩	٢١,٠		٪١٠٠

يتضح من خلال الجدول رقم (١٢) أن التذكير بخطر الولاية قد جاء عند المتقدمين بتكرار (٤١٥) مرة، وبنسبة (١٢٪)، في حين أن موضوع الحث على الشكر قد جاء بتكرار (٥٧٨) مرة، وبنسبة (٦, ١٦٪)، أما قضية الترغيب بإقامة العدل فقد جاءت بتكرار (٨٤٩) مرة، وبنسبة (٥, ٢٤٪)، ويأتي موضوع الحث على طلب النصيحة واستماعها بتكرار (٨٩٧) مرة، وبنسبة (٩, ٢٥٪)، يليه في ترتيب الفئات حسب الجدول المعد موضوع الحث على الزهد حيث جاء بتكرار (٧٢٧) مرة، وبنسبة (٢١٪).

شكل رقم (١٠)

القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في مصنفات المناصحة عند المتقدمين



٤ - القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق:

للتعرف على أبرز القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق في مصنفات المناصحة

عند المتقدمين، تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (١٣)

القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق في مصنفات المناصحة عند المتقدمين

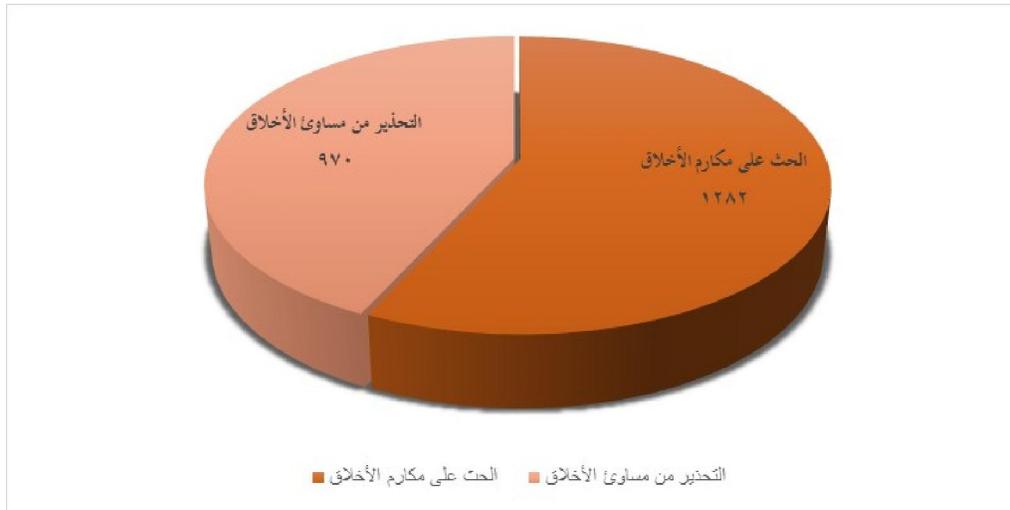
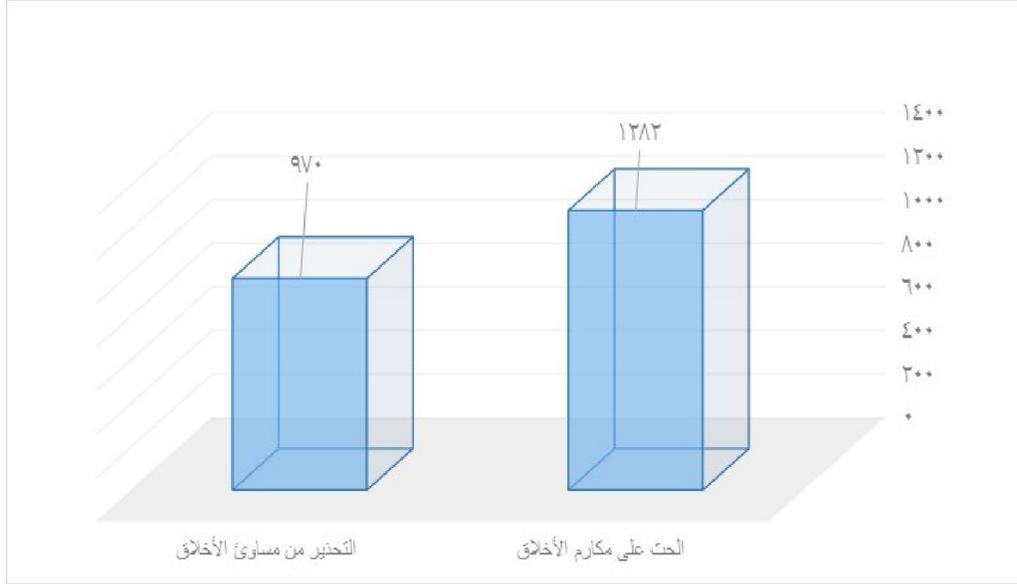
م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق			الإجمالي
		الحث على مكارم الأخلاق	التحذير من مساوئ الأخلاق	التكرار	
١	نصيحة الملوك للماوردي	١٠٥	٧٤	١٧٩	٧,٩
٢	الذهب المسبوك للحميدي	٣	٣	٦	٠,٣
٣	سراج الملوك للطرطوشي	١٢٩	٨٩	٢١٨	٩,٧
٤	المنهج المسبوك للشيزري	١٣٥	١٠٤	٢٣٩	١٠,٦
٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم	٧٧	٥١	١٢٨	٥,٧
٦	الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي	١٠١	٨١	١٨٢	٨,١

م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق		الإجمالي	
		الحث على مكارم الأخلاق	التحذير من مساوئ الأخلاق	التكرار	النسبة المئوية
٧	حسن السلوك للموصلي	٩٢	٧٣	١٦٥	٧,٣
٨	واسطة السلوك للزياني	١١٤	٩٦	٢١٠	٩,٣
٩	إرشاد الملوك للهندي	١٣٩	١٠٣	٢٤٢	١٠,٧
١٠	بدائع السلك لابن الأزرق	١٤٤	١٠٦	٢٥٠	١١,١
١١	بذل النصائح للمقدسي	١١٨	٨٧	٢٠٥	٩,١
١٢	النصائح المهمة للشيخ علوان	١٢٥	١٠٣	٢٢٨	١٠,١
المجموع		١٢٨٢	٩٧٠	٢٢٥٢	
النسبة المئوية		٥٦,٩	٤٣,١		٪١٠٠

يتضح من خلال الجدول رقم (١٣) أن الحث على مكارم الأخلاق عند المتقدمين قد جاء بتكرار (١٢٨٢) مرة، وبنسبة (٩, ٥٦٪)، في حين يأتي التحذير من مساوئ الأخلاق بتكرار (٩٧٠) مرة، وبنسبة (١, ٤٣٪).

شكل رقم (١١)

القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق في مصنفات المناصحة عند المتقدمين



٥- القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية:

لتعرف على أبرز القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات المناصحة عند

المتقدمين، تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (١٤)

القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين

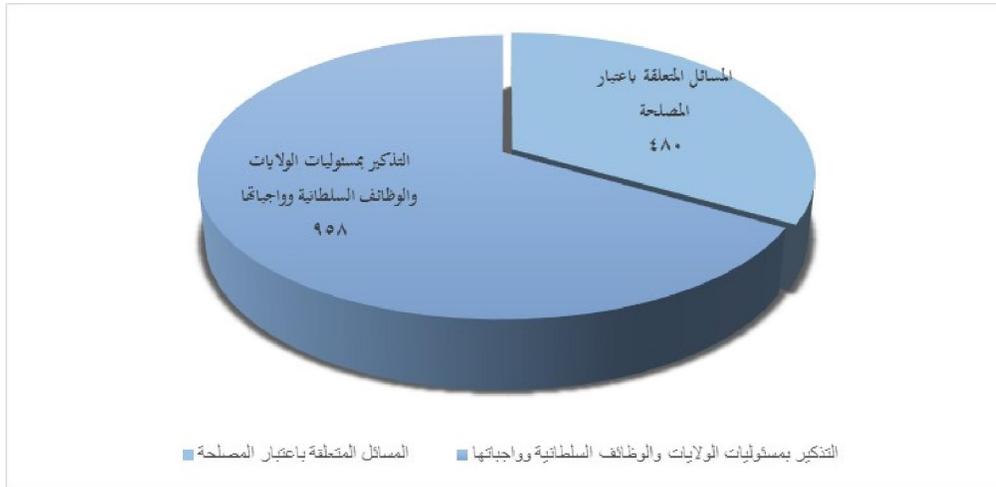
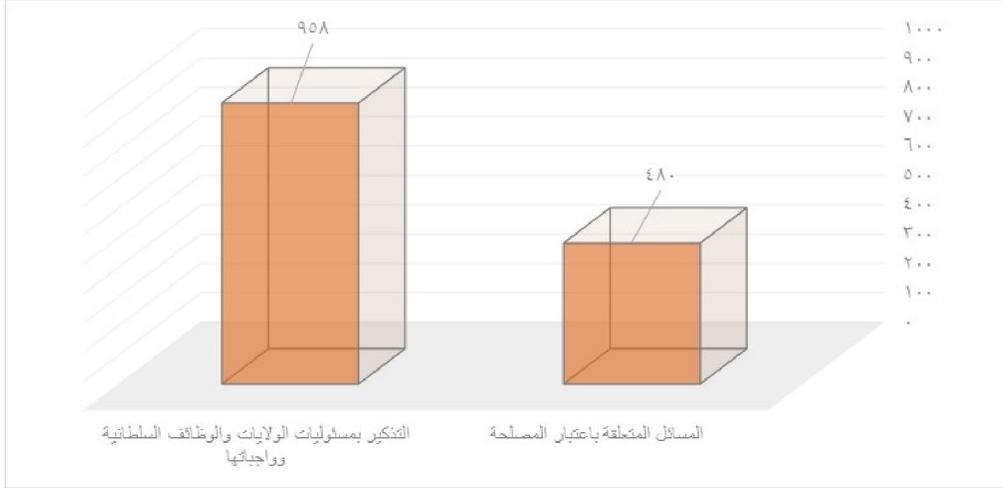
م	اسم الكتاب	القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية		الإجمالي	
		المسائل المتعلقة باعتبار المصلحة	التذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها	التكرار	النسبة المئوية
١	نصيحة الملوك للهاوردي	٨٨	١١٨	٢٠٦	١٤,٣
٢	الذهب المسبوك للحميدي	٠	٠	٠	٠,٠
٣	سراج الملوك للطرطوشي	٢٢	١٢١	١٤٣	٩,٩
٤	المنهج المسلوبك للشيزري	٤٣	١٣٠	١٧٣	١٢
٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم	٢٣	٩٧	١٢٠	٨,٣
٦	الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي	٣	٨	١١	٠,٨
٧	حسن السلوك للموصلي	١٧	٣٦	٥٣	٣,٧

الإجمالي		القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية		اسم الكتاب	م
النسبة المئوية	التكرار	التذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها	المسائل المتعلقة باعتبار المصلحة		
١١,١	١٥٩	١٠٥	٥٤	واسطة السلوك للزياني	٨
٦,٠	٨٦	٥٢	٣٤	إرشاد الملوك للهندي	٩
١٤,٣	٢٠٥	١١٣	٩٢	بدائع السلك لابن الأزرق	١٠
١٢,٤	١٧٨	١١٥	٦٣	بذل النصائح للمقدسي	١١
٧,٢	١٠٤	٦٣	٤١	النصائح المهمة للشيخ علوان	١٢
١٤٣٨		٩٥٨	٤٨٠	المجموع	
٪١٠٠		٦٦,٦	٣٣,٤	النسبة المئوية	

يتضح من خلال الجدول رقم (١٤) أن القضايا المتعلقة باعتبار المصلحة قد جاءت بتكرار (٤٨٠) مرة، وبنسبة (٣٣,٤٪)، في حين أن قضية التذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها قد جاءت بتكرار (٩٥٨) مرة، وبنسبة (٦٦,٦٪).

شكل رقم (١٢)

القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين



ومن خلال العرض السابق للقضايا الدعوية عند متقدمي المصنفين في مناصحة

أئمة المسلمين، تظهر الدراسة نتائجها من خلال الآتي:

جدول رقم (١٥)

أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين

م	اسم الكتاب	القضايا المتعلقة بـ					الإجمالي
		العقيدة	الشرعية والأحكام	الوعظ	الأخلاق	السياسة الشرعية	
١	نصيحة الملوك للباوري	٦٧	١٤٨	١٥٢	١٧٩	٢٠٦	٧٥٢
٢	الذهب المسبوك للحميدي	١٣	٠	١٦٩	٦	٠	١٨٨
٣	سراج الملوك للطرطوشي	١٤٨	٣٢٣	٣٣١	٢١٨	١٤٣	١١٦٣
٤	المنهج السلوك للشيزري	١٤٦	١٢١	١٩١	٢٣٩	١٧٣	٨٧٠
٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم	١٠٨	١٤٩	١٦٩	١٢٨	١٢٠	٦٧٤
٦	الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي	٥٢	٢٧٨	٢٩٧	١٨٢	١١	٨٢٠

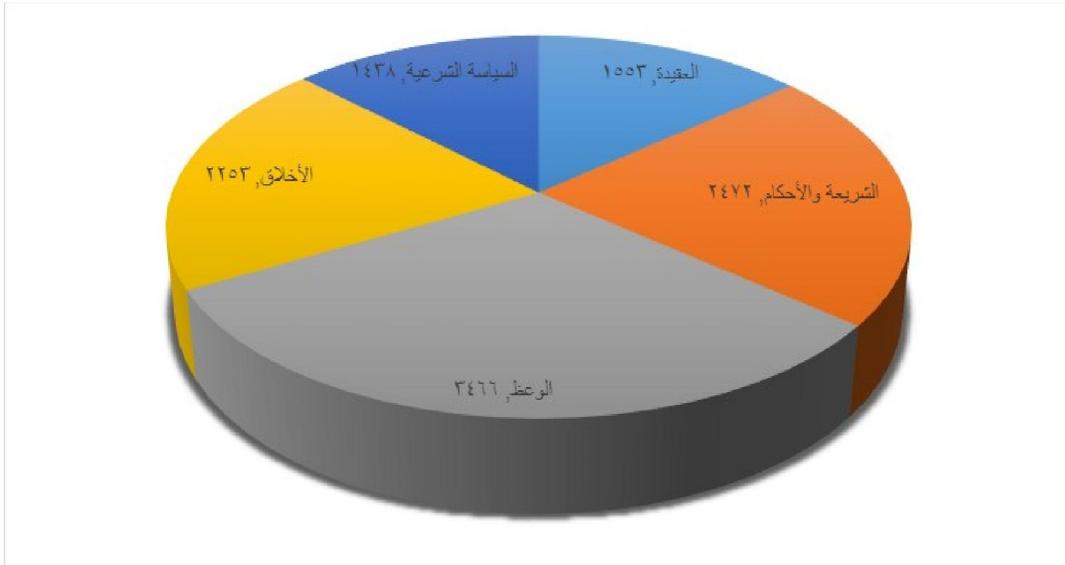
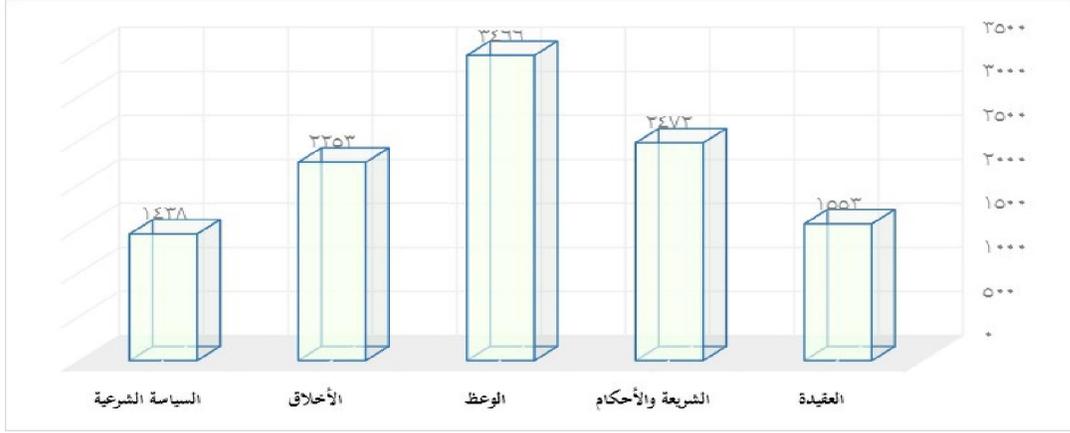
م	اسم الكتاب	القضايا المتعلقة بـ					الإجمالي
		العقيدة	الشرعية والأحكام	الوعظ	الأخلاق	السياسة الشرعية	
٧	حسن السلوك للموصلي	١٦٣	١٧٩	٢٢٠	١٦٥	٥٣	٧٨٠
٨	واسطة السلوك للزياني	١٣٨	٢٧٤	٤١١	٢١٠	١٥٩	١١٩٢
٩	إرشاد الملوك للهندي	١١٣	١٥٥	٢١٤	٢٤٢	٨٦	٨١٠
١٠	بدائع السلك لابن الأزرق	٢٥٠	٣٢٥	٤٩٠	٢٥٠	٢٠٥	١٥٢٠
١١	بذل النصائح للمقدسي	١٤٣	٢٣٩	٤٢٠	٢٠٥	١٧٨	١١٨٥
١٢	النصائح المهمة للشيخ علوان	٢١٢	٢٨١	٤٠٢	٢٢٨	١٠٤	١٢٢٧
المجموع		١٥٥٣	٢٤٧٢	٣٤٦٦	٢٢٥٢	١٤٣٨	١١١٨١
النسبة المئوية		١٣,٩	٢٢,١	٣١	٢٠,١	١٢,٩	٪١٠٠

يتضح من خلال الجدول السابق أن القضايا المتعلقة بالعقيدة قد جاءت بتكرار (١٥٥٣) مرة، وبنسبة (٩, ١٣٪)، في حين أن القضايا المتعلقة بالشرعية والأحكام

قد جاءت بتكرار (٢٤٧٢) مرة، وبنسبة (١, ٢٢٪)، أما القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ فقد جاءت بتكرار (٣٤٦٦) مرة، وبنسبة (١, ٣١٪)، يليها القضايا المتعلقة بالأخلاق، حيث جاءت بتكرار (٢٢٥٢) مرة، وبنسبة (١, ٢٠٪)، في حين تأتي القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في آخر الفئات الرئيسة، حيث بلغ تكرارها (١٤٣٨) مرة، وبنسبة (٩, ١٢٪).

شكل رقم (١٣)

أبرز القضايا الدعوية في كتب المناصحة عند المتقدمين



كما قام الباحث بالتعرف على إجمالي أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين، وذلك من خلال حساب الدرجة الكلية للقضايا بكل مصنف من مصنفات المتقدمين - عينة الدراسة - وذلك على النحو الآتي:

### جدول رقم (١٦)

إجمالي أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين باختلاف

#### المصنفات

م	اسم الكتاب	القضايا المتعلقة بـ					الإجمالي
		العقيدة	الشريعة والأحكام	الوعظ	الأخلاق	السياسة الشرعية	
١	نصيحة الملوك للهاوردي	٦٧	١٤٨	١٥٢	١٧٩	٢٠٦	٦,٧
٢	الذهب المسبوك للحميدي	١٣	٠	١٦٩	٦	٠	١,٧
٣	سراج الملوك للطرطوشي	١٤٨	٣٢٣	٣٣١	٢١٨	١٤٣	١٠,٤
٤	المنهج المسلوب للشيزري	١٤٦	١٢١	١٩١	٢٣٩	١٧٣	٧,٨

م	اسم الكتاب	القضايا المتعلقة بـ					الإجمالي	
		العقيدة	الشرعية والأحكام	الوعظ	الأخلاق	السياسة الشرعية	التكرار	النسبة المئوية
٥	العقد الفريد للوزير أبي سالم	١٠٨	١٤٩	١٦٩	١٢٨	١٢٠	٦٧٤	٦
٦	الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي	٥٢	٢٧٨	٢٩٧	١٨٢	١١	٨٢٠	٧,٣
٧	حسن السلوك للموصلي	١٦٣	١٧٩	٢٢٠	١٦٥	٥٣	٧٨٠	٧
٨	واسطة السلوك للزياني	١٣٨	٢٧٤	٤١١	٢١٠	١٥٩	١١٩٢	١٠,٧
٩	إرشاد الملوك للهندي	١١٣	١٥٥	٢١٤	٢٤٢	٨٦	٨١٠	٧,٢
١٠	بدائع السلك لابن الأزرق	٢٥٠	٣٢٥	٤٩٠	٢٥٠	٢٠٥	١٥٢٠	١٣,٦
١١	بذل النصائح للمقدسي	١٤٣	٢٣٩	٤٢٠	٢٠٥	١٧٨	١١٨٥	١٠,٦

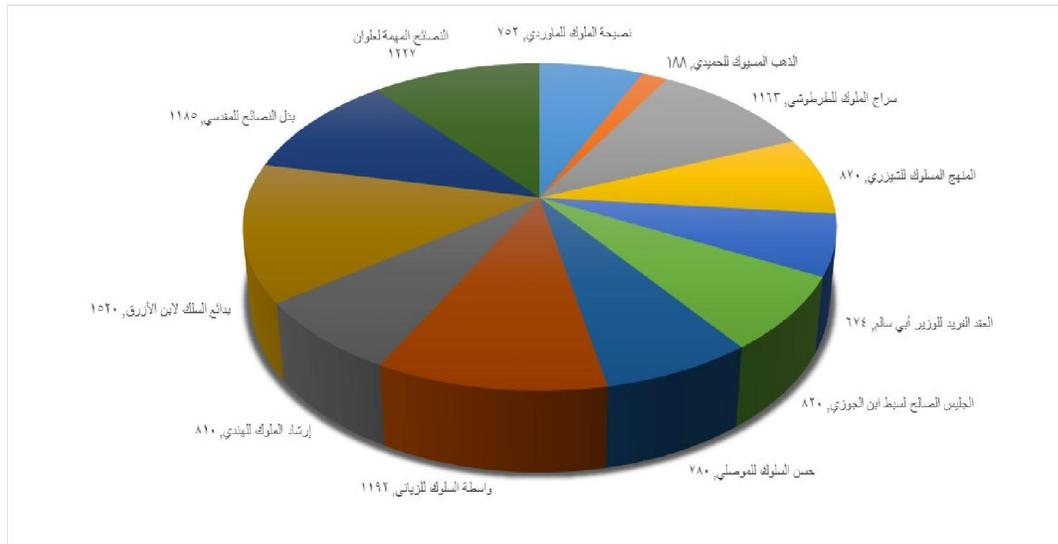
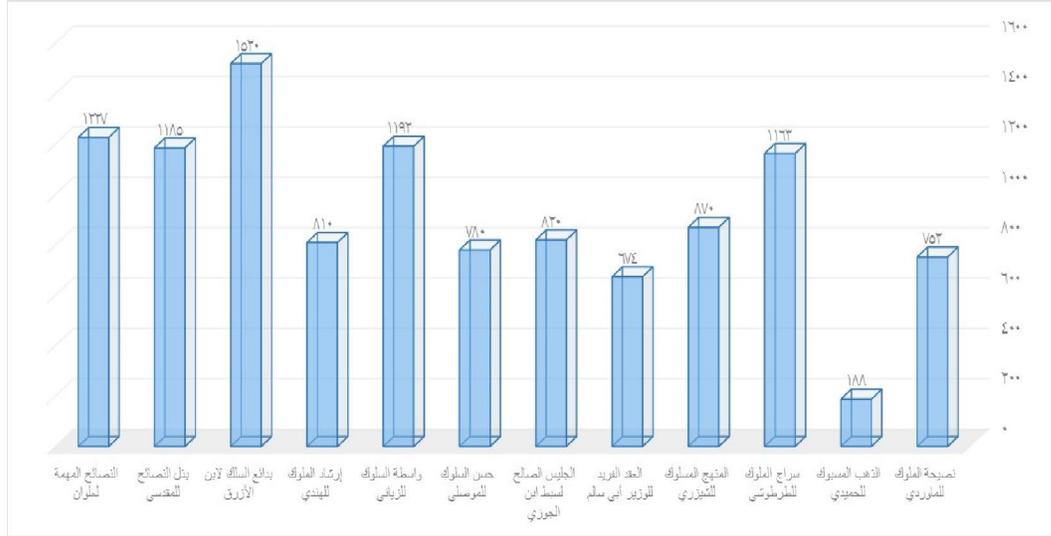
م	اسم الكتاب	القضايا المتعلقة بـ					الإجمالي
		العقيدة	الشرعية والأحكام	الوعظ	الأخلاق	السياسة الشرعية	
١٢	النصائح المهمة لعلوان	٢١٢	٢٨١	٤٠٢	٢٢٨	١٠٤	١٢٢٧
	المجموع	١٥٥٣	٢٤٧٢	٣٤٦٦	٢٢٥٢	١٤٣٨	١١١٨١
	النسبة المئوية	١٣,٩	٢٢,١	٣١,٠	٢٠,١	١٢,٩	١٠٠,٠

يتضح من خلال الجدول رقم (١٦) أن كتاب "نصيحة الملوك" للهاوردي جاء بتكرار (٧٥٢) مرة، وبنسبة (٧,٦٪)، أما كتاب "الذهب المسبوك" للحميدي فقد جاء بتكرار (١٨٨) مرة، وبنسبة (٧,١٪)، في حين يأتي كتاب "سراج الملوك" للطروشني بتكرار (١١٦٣) مرة، وبنسبة (٤,١٠٪)، كما أوضحت الدراسة نتيجة كتاب "المنهج المسلوك" للشيزري الذي جاء بتكرار (٨٧٠) مرة، وبنسبة (٨,٧٪)، ويليه في جدول النتيجة كتاب "العقد الفريد للملك السعيد" للوزير أبي سالم، الذي جاء بتكرار (٦٧٤) مرة، وبنسبة (٦,٦٪)، أما كتاب "الجلس الصالح" لسبط ابن الجوزي فقد بلغ تكراره (٨٢٠) مرة، وبنسبة (٣,٧٪)، كما بلغ تكرار كتاب "حسن السلوك" للموصلي (٧٨٠) مرة، وبنسبة (٧,٧٪).

وتأتي نتيجة كتاب "واسطة السلوك" للزياني بتكرار (١١٩٢) مرة، وبنسبة (٧, ١٠٪)، كما توضح الدراسة نتيجة كتاب "إرشاد الملوك" لأبي زيد الهندي، حيث بلغ التكرار فيه (٨١٠) مرة، وبنسبة (٢, ٧٪)، يليه في ترتيب الفئات الفرعية "بدائع السلك" لابن الأزرق، حيث جاء تكراره (١٥٢٠) مرة، وبنسبة (٦, ١٣٪)، أما نتيجة كتاب "بذل النصائح الشرعية" للمقدسي فقد جاءت بتكرار (١١٨٥) مرة، وبنسبة (٦, ١٠٪)، ويأتي كتاب "النصائح المهمة" للشيخ علوان في آخر فروع جدول النتائج، حيث أبرزت الدراسة نتائج تكراره البالغة (١٢٢٧) مرة، وبنسبة (١١٪).

شكل رقم (١٤)

إجمالي أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين باختلاف المصنفات



ثانياً: أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين:

للتعرف على أبرز قضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين، تم

حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

#### ١ - القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة:

للتعرف على أبرز القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة في مصنفات المناصحة عند

المتأخرين، تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

#### جدول رقم (١٧)

القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة في مصنفات المناصحة عند المتأخرين

م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة				الإجمالي
		الإيمان	التحذير من الشرك والبدع	مسائل الإمامة	التكرار	
١	الجواهر المضية للمناوي	١٠٥	٢٥	١٠٢	٢٣٢	٢٧,٨
٢	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٣	١٧	٦٥	٨٥	١٠,٢

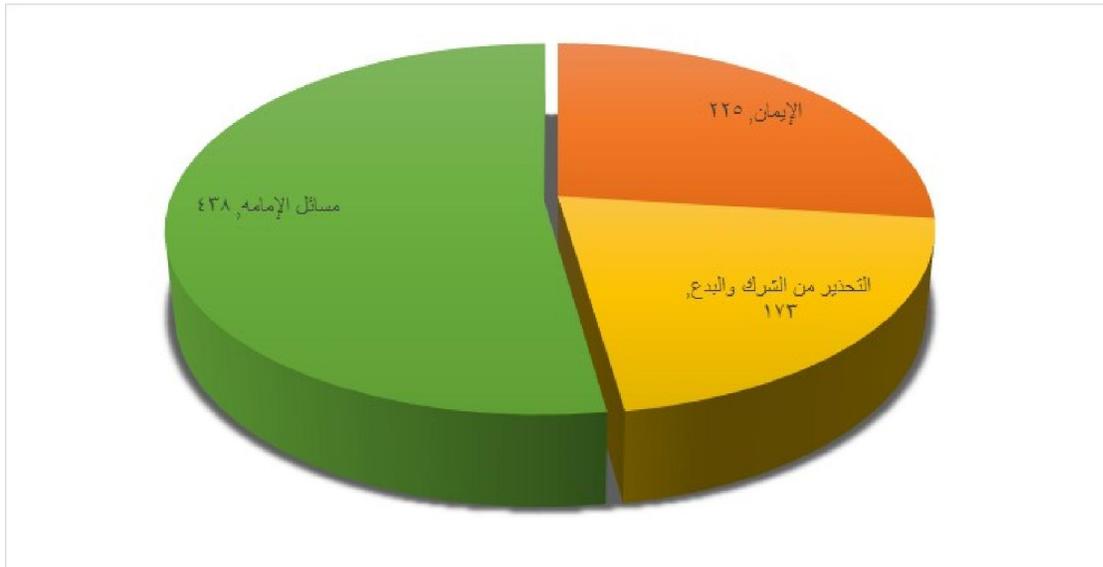
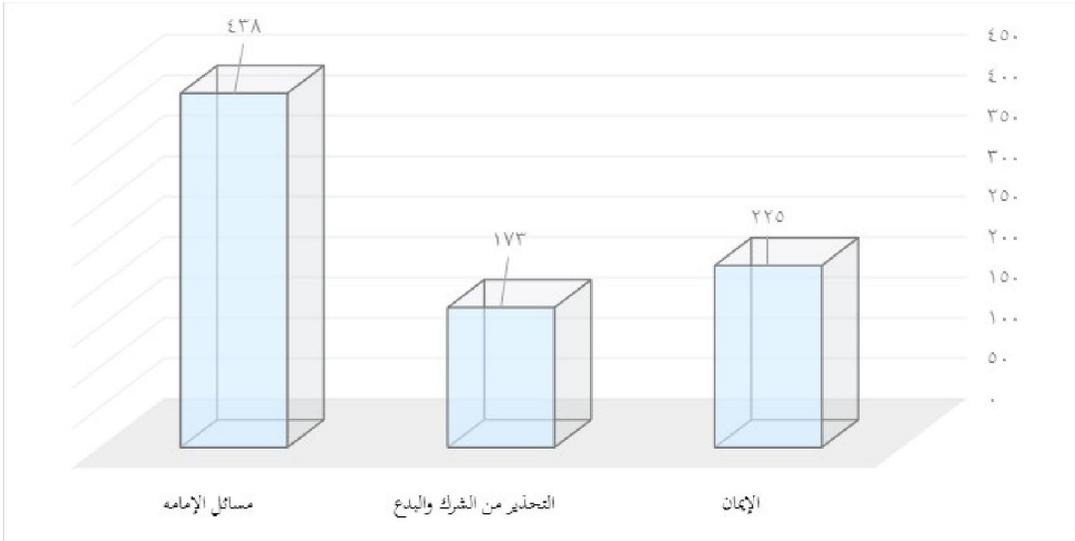
م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالعتيدة			الإجمالي	
		الإيمان	التحذير من الشرك والبدع	مسائل الإمامة	التكرار	النسبة المئوية
٣	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	٢١	٢٤	٦٥	١١٠	١٣,٢
٤	معاملة الحكام للبرجس	٦٢	٥٣	٨٢	١٩٧	٢٣,٦
٥	شفاء السقام للأثري	٨	١٨	٢٦	٥٢	٦,٢
٦	عزة العلماء للموجان	٢٦	٣٦	٩٨	١٦٠	١٩,١
المجموع		٢٢٥	١٧٣	٤٣٨		٨٣٦
النسبة المئوية		٢٦,٩	٢٠,٧	٥٢,٤		١٠٠,٠

يتضح من خلال الجدول رقم (١٧) أن مسائل الإيمان قد جاءت بتكرار (٢٢٥) مرة، وبنسبة (٩, ٢٦)، أما مسائل التحذير من الشرك والبدع فقد جاءت

بتكرار (١٧٣) مرة، وبنسبة (٧, ٢٠٪)، وتأتي مسائل الإمامة - وهي آخر الفئات الفرعية - بتكرار (٤٣٨) مرة، وبنسبة (٤, ٥٢٪).

شكل رقم (١٥)

القضايا الدعوية المتعلقة بالعتيدة في مصنفات المناصحة عند المتأخرين



٢- القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام:

للتعرف على أبرز القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام في مصنفات المناصحة عند المتأخرين، تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (١٨)

القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام في مصنفات المناصحة عند المتأخرين

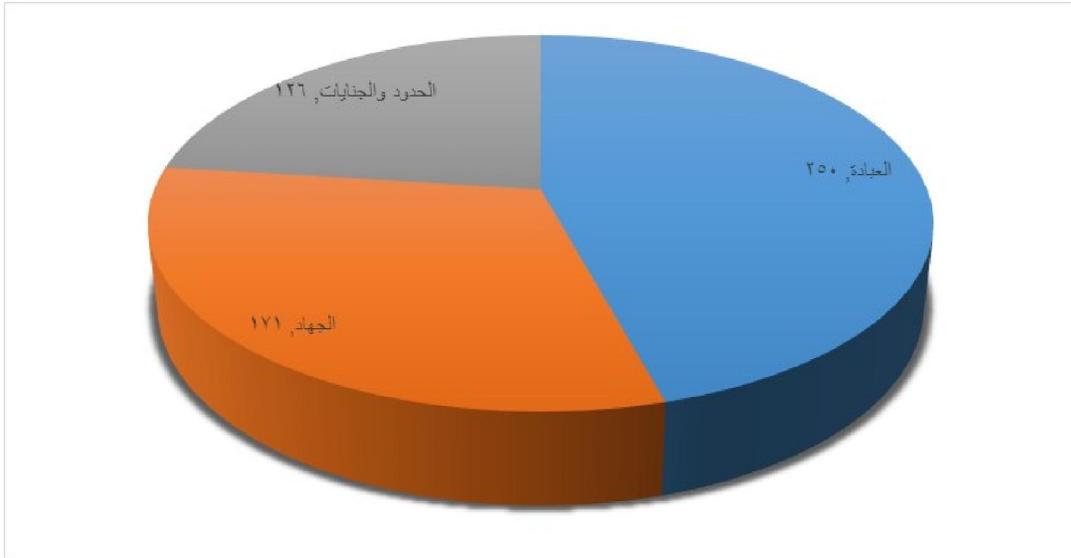
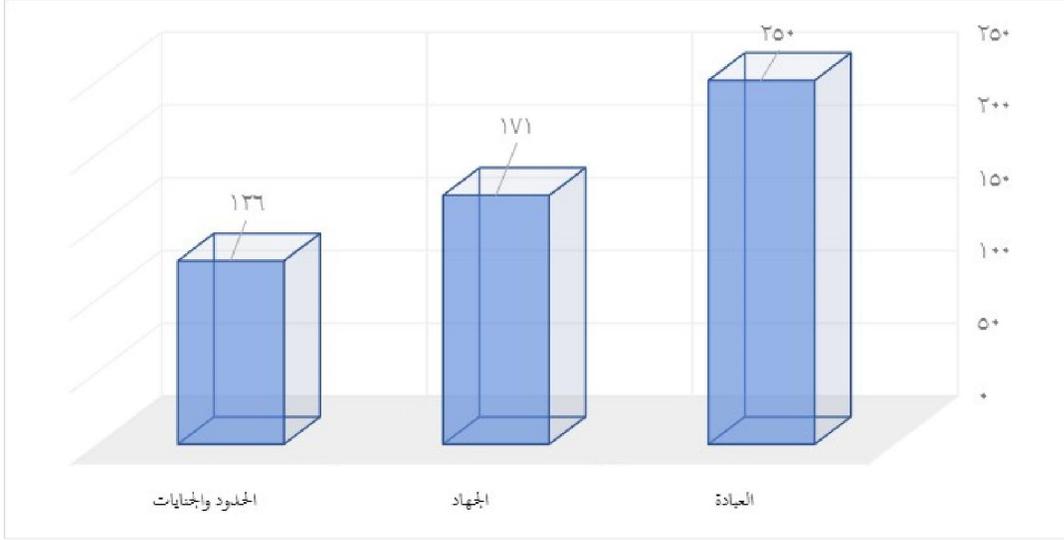
م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام				الإجمالي
		العبادة	الجهاد	الحدود والجنايات	التكرار	
١	الجواهر المضية للمناوي	٦	٢٩	١٣	٤٨	٨,٨
٢	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٢١	١٤	١٢	٤٧	٨,٦
٣	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	٢٩	٤٨	٢٤	١٠١	١٨,٥
٤	معاملة الحكام للبرجس	٤٢	٥٢	٤٢	١٣٦	٢٤,٩
٥	شفاء السقام للأثري	٣٢	١٦	١١	٥٩	١٠,٨
٦	عزة العلماء للموجان	١٢٠	١٢	٢٤	١٥٦	٢٨,٥

الإجمالي		القضايا الدعوية المتعلقة بالشرعية والأحكام			اسم الكتاب	م
النسبة المئوية	التكرار	الحدود والجنايات	الجهاد	العبادة		
٥٤٧		١٢٦	١٧١	٢٥٠	المجموع	
%١٠٠		٢٣	٣١,٣	٤٥,٧	النسبة المئوية	

يتضح من خلال الجدول رقم (١٨) أن مسائل العبادة قد جاءت بتكرار (٢٥٠) مرة، ونسبة (٤٥,٧)، أما مسائل الجهاد فقد جاءت بتكرار (١٧١) مرة، ونسبة (٣١,٣)٪، وتأتي مسائل الحدود والجنايات - وهي آخر الفئات الفرعية - بتكرار (١٢٦) مرة، ونسبة (٢٣)٪.

شكل رقم (١٦)

القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام في مصنفات المناصحة عند المتأخرين



٣- القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ:

لتعرف على أبرز القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في مصنفات المناصحة عند

المتأخرين، تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (١٩)

القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في مصنفات المناصحة عند المتأخرين

م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ					الإجمالي
		التذكير بخطر الولاية	الحث على الشكر	الترغيب بإقامة العدل	الحث على طلب النصيحة واستماعها	الحث على الزهد	
١	الجواهر المضية للمناوي	٩	٣٠	٩٨	٦٣	٢٨	١٩,٩
٢	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٢٤	١٢	٣٦	٣٤	٢١	١١,١
٣	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	٢٣	١٩	٤٠	٢٦	٢٤	١١,٥

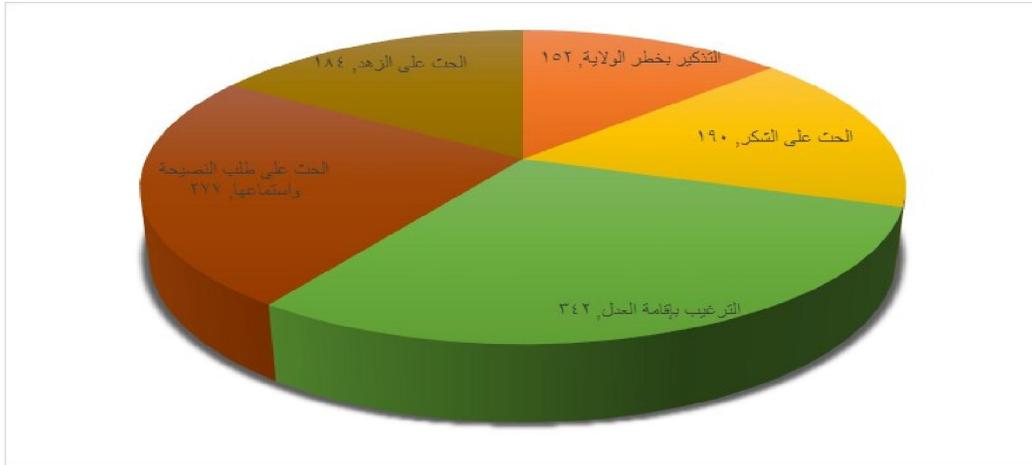
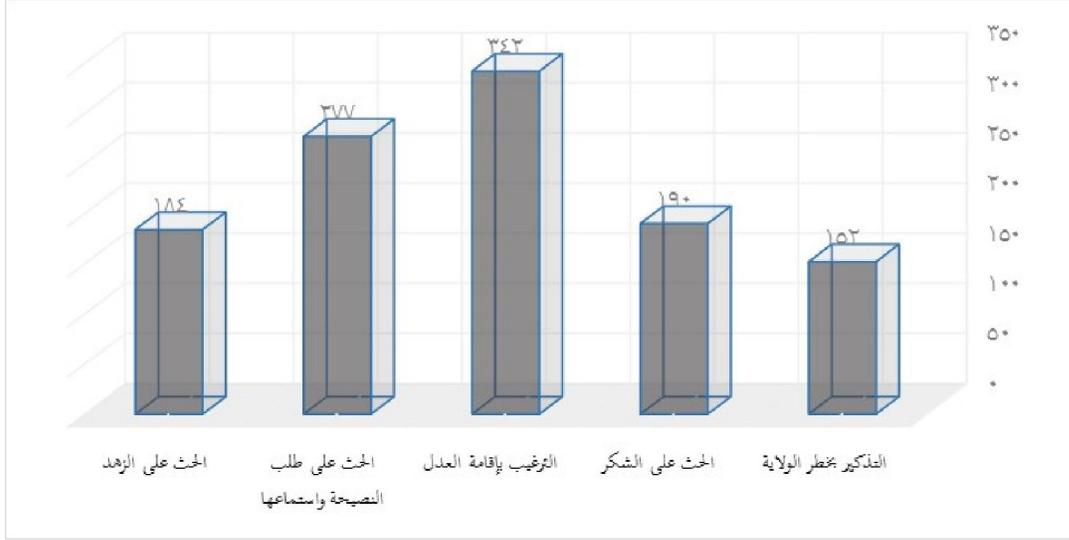
الإجمالي		القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ					اسم الكتاب	م
النسبة المئوية	التكرارات	الحث على الزهد	الحث على طلب النصيحة واستماعها	الترغيب بإقامة العدل	الحث على الشكر	التذكير بخطر الولاية		
١٧,٦	٢٠١	٣٦	٥٤	٥٦	٣٤	٢١	معاملة الحكام للبرجس	٤
٧,١	٨١	٨	١٢	٢٦	٢١	١٤	شفاء السقام للأثري	٥
٣٢,٨	٣٧٦	٦٧	٨٨	٨٦	٧٤	٦١	عزة العلماء للموجان	٦
١١٤٥		١٨٤	٢٧٧	٣٤٢	١٩٠	١٥٢	المجموع	
%١٠٠		١٦,١	٢٤,٢	٢٩,٩	١٦,٦	١٣,٣	النسبة المئوية	

يتضح من خلال الجدول رقم (١٩) أن التذكير بخطر الولاية قد جاء عند المتأخرين بتكرار (١٥٢) مرة، وبنسبة (٣, ١٣٪)، في حين أن موضوع الحث على الشكر قد جاء بتكرار (١٩٠) مرة، وبنسبة (٦, ١٦٪)، أما قضية الترغيب بإقامة

العدل فقد جاءت بتكرار (٣٤٢) مرة، وبنسبة (٩, ٢٩٪)، ويأتي موضوع الحث على طلب النصيحة واستماعها بتكرار (٢٧٧) مرة، وبنسبة (٢, ٢٤٪)، يليه في ترتيب الفئات - حسب الجدول المعد - موضوع الحث على الزهد حيث جاء بتكرار (١٨٤) مرة، وبنسبة (١, ١٦٪).

شكل رقم (١٧)

القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في مصنفات المناصحة عند المتأخرين



٤ - القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق:

للتعرف على أبرز القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق في مصنفات المناصحة عند

المتأخرين، تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (٢٠)

القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق في مصنفات المناصحة عند المتأخرين

م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق		
		التحذير من مساوئ الأخلاق	الحث على مكارم الأخلاق	الإجمالي
١	الجواهر المضية للمناوي	٧٥	٩٦	٢٢,٤
٢	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٦٥	٨٥	١٩,٧
٣	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	٦٥	٧٢	١٨
٤	معاملة الحكام للبرجس	٤٢	٧٢	١٤,٩
٥	شفاء السقام للأثري	١٥	٢٢	٤,٨

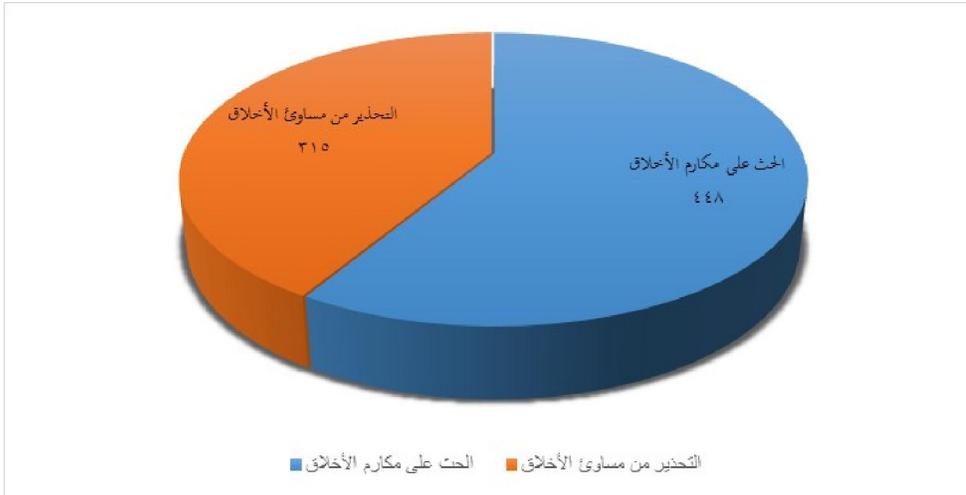
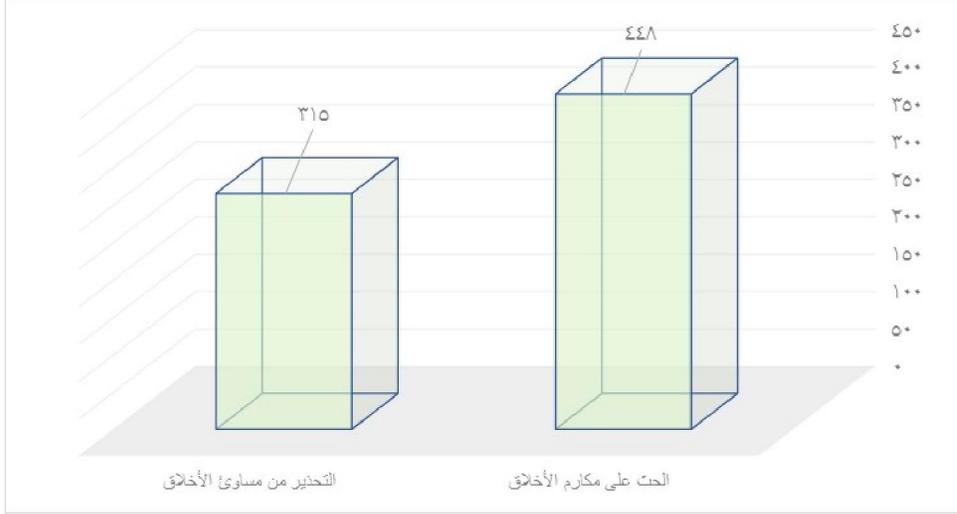
الباب الثاني: الجانب التحليلي

٢٠,٢	١٥٤	٥٣	١٠١	عزة العلماء للموجان	٦
٧٦٣	٣١٥	٤٤٨	المجموع		
%١٠٠	٤١,٣	٥٨,٧	النسبة المئوية		

يتضح من خلال الجدول رقم (٢٠) أن الحث على مكارم الأخلاق عند المتأخرين قد جاء بتكرار (٤٤٨) مرة، وبنسبة (٥٨,٧%)، في حين يأتي التحذير من مساوئ الأخلاق بتكرار (٣١٥) مرة، وبنسبة (٤١,٣%).

شكل رقم (١٨)

القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق في مصنفات المناصحة عند المتأخرين



٥- القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية:

لتتعرف على أبرز القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين، تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (٢١)

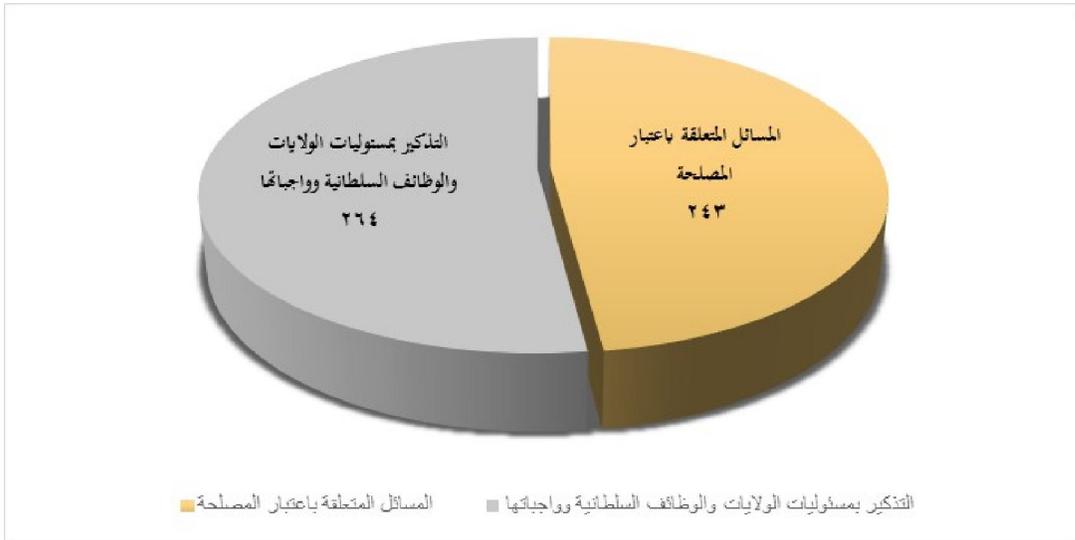
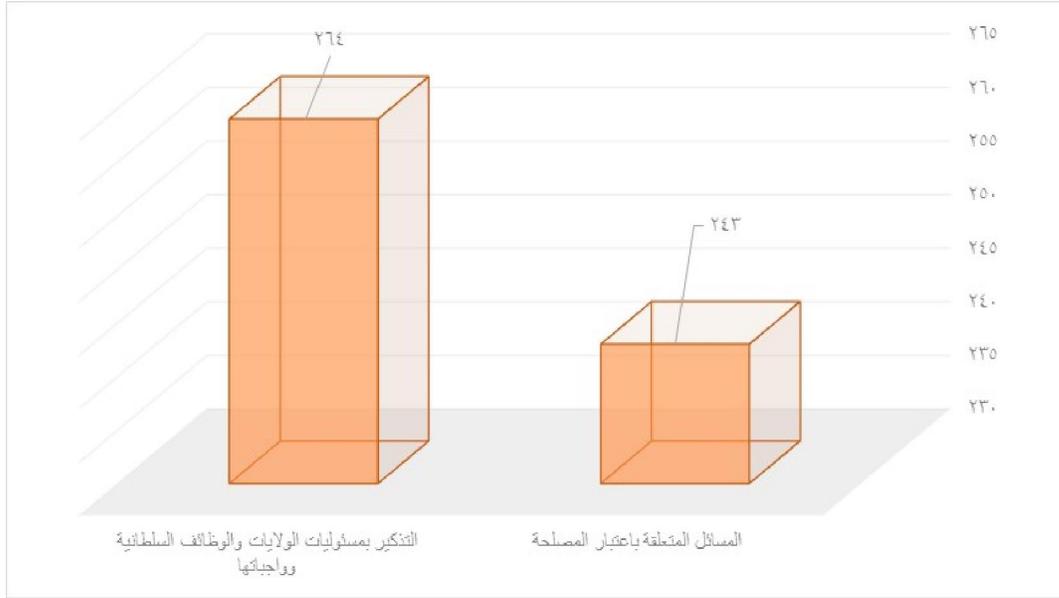
القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين

م	اسم الكتاب	القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية		الإجمالي	
		المسائل المتعلقة باعتبار المصلحة	التذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها	التكرارات	النسبة المئوية
١	الجواهر المضية للمناوي	٢٢	٣٥	٥٧	١١,٢
٢	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٧٠	٧٥	١٤٥	٢٨,٦
٣	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	١٦	٢٦	٤٢	٨,٣
٤	معاملة الحكام للبرجس	٣٣	٤٢	٧٥	١٤,٨
٥	شفاء السقام للأثري	١٥	٢١	٣٦	٧,١
٦	عزة العلماء للموجان	٨٧	٦٥	١٥٢	٣٠
المجموع		٢٤٣	٢٦٤	٥٠٧	
النسبة المئوية		٤٧,٩	٥٢,١	١٠٠	

يتضح من خلال الجدول رقم (٢١) أن القضايا المتعلقة باعتبار المصلحة قد جاءت بتكرار (٢٤٣) مرة، وبنسبة (٩, ٤٧٪)، في حين أن قضية التذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها قد جاءت بتكرار (٢٦٤) مرة، وبنسبة (١, ٥٢٪).

شكل رقم (١٩)

القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين



ومن خلال العرض السابق للقضايا الدعوية عند متأخري المصنفين في  
مناصحة أئمة المسلمين، تجدها الدراسة جاءت على النحو الآتي:

جدول رقم (٢٢)

القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين

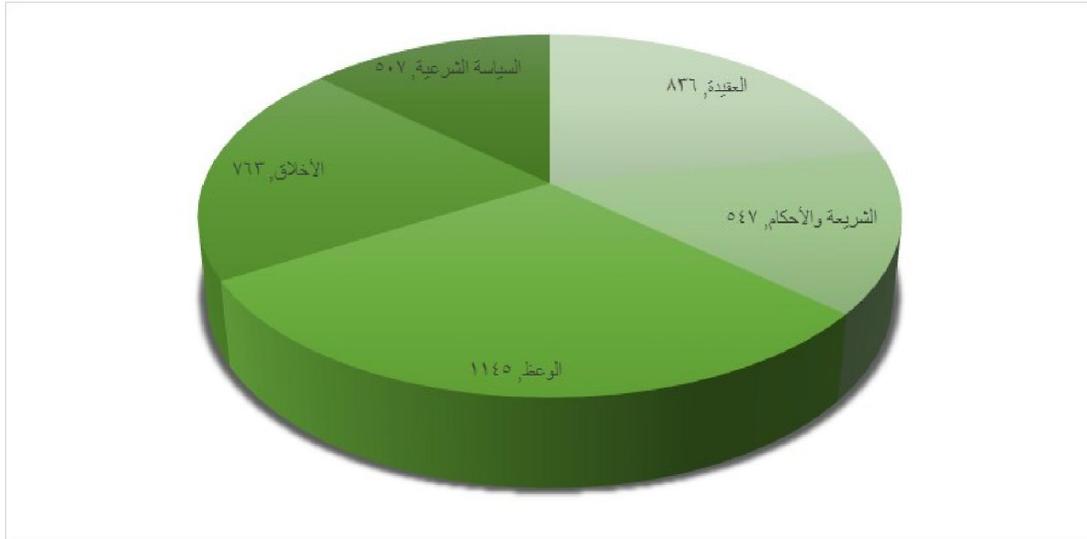
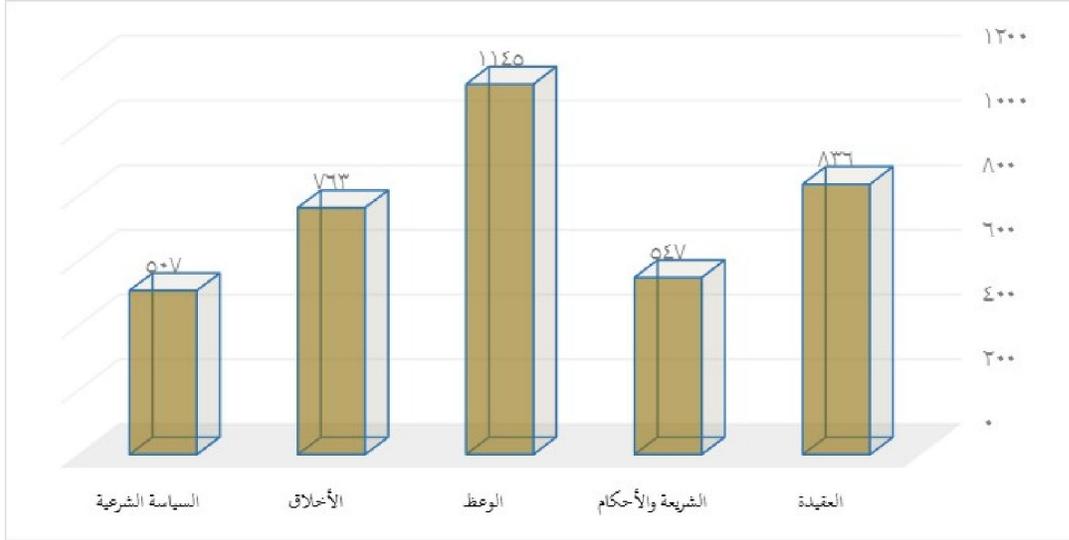
م	اسم الكتاب	القضايا المتعلقة بـ					الإجمالي
		العقيدة	الشريعة والأحكام	الوعظ	الأخلاق	السياسة الشرعية	
١	الجواهر المضية للمناوي	٢٣٢	٤٨	٢٢٨	١٧١	٥٧	١٩,٤
٢	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٨٥	٤٧	١٢٧	١٥٠	١٤٥	١٤,٦
٣	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	١١٠	١٠١	١٣٢	١٣٧	٤٢	١٣,٧

الإجمالي	القضايا المتعلقة بـ						اسم الكتاب	م
	النسبة المئوية	التكرار	السياسة الشرعية	الأخلاق	الوعظ	الشريعة والأحكام		
١٩	٧٢٣	٧٥	١١٤	٢٠١	١٣٦	١٩٧	معاملة الحكام للبرجس	٤
٧	٢٦٥	٣٦	٣٧	٨١	٥٩	٥٢	شفاء السقام للأثري	٥
٢٦,٣	٩٩٨	١٥٢	١٥٤	٣٧٦	١٥٦	١٦٠	عزة العلماء للموجان	٦
٣٧٩٨		٥٠٧	٧٦٣	١١٤٥	٥٤٧	٨٣٦	المجموع	
١٠٠,٠		١٣,٣	٢٠,١	٣٠,١	١٤,٤	٢٢	النسبة المئوية	

يتضح من خلال الجدول السابق أن القضايا المتعلقة بالعقيدة عند المتأخرين قد جاءت بتكرار (٨٣٦) مرة، وبنسبة (٢٢٪)، في حين أن القضايا المتعلقة بالشريعة والأحكام قد جاءت بتكرار (٥٤٧) مرة، وبنسبة (٤, ١٤٪)، أما القضايا الدعوية

المتعلقة بالوعظ فقد جاءت بتكرار (١١٤٥) مرة، وبنسبة (١, ٣٠٪)، يليها القضايا المتعلقة بالأخلاق، حيث جاءت بتكرار (٧٦٣) مرة، وبنسبة (١, ٢٠٪)، في حين تأتي القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في آخر الفئات الرئيسة، حيث بلغ تكرارها (٥٠٧) مرة، وبنسبة (٣, ١٣٪).

شكل رقم (٢٠)  
أبرز القضايا الدعوية في كتب المناصحة عند المتأخرين



كما قام الباحث بالتعرف على إجمالي أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين، وذلك من خلال حساب الدرجة الكلية للقضايا بكل مصنف من مصنفات المتأخرين - عينة الدراسة - وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (٢٣)

إجمالي أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين باختلاف

المصنفات

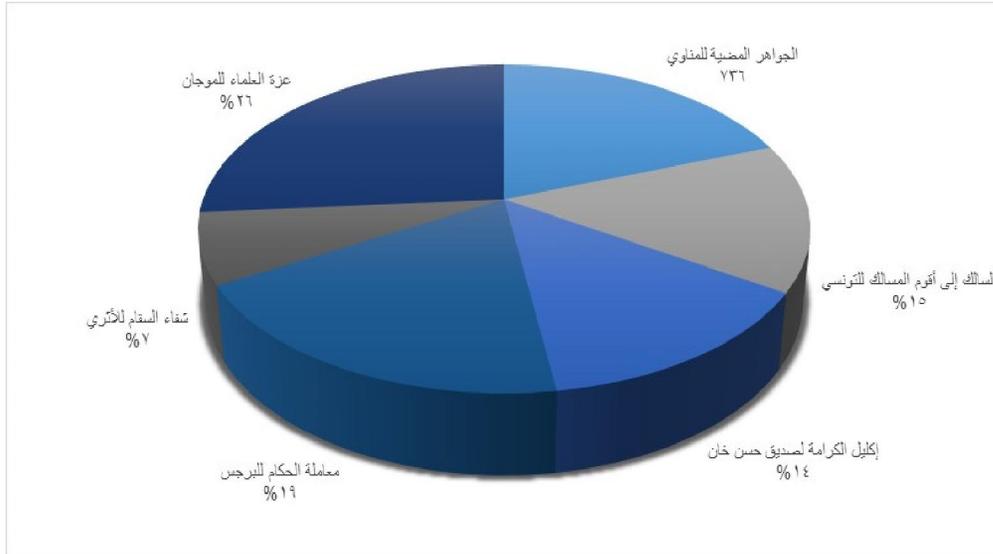
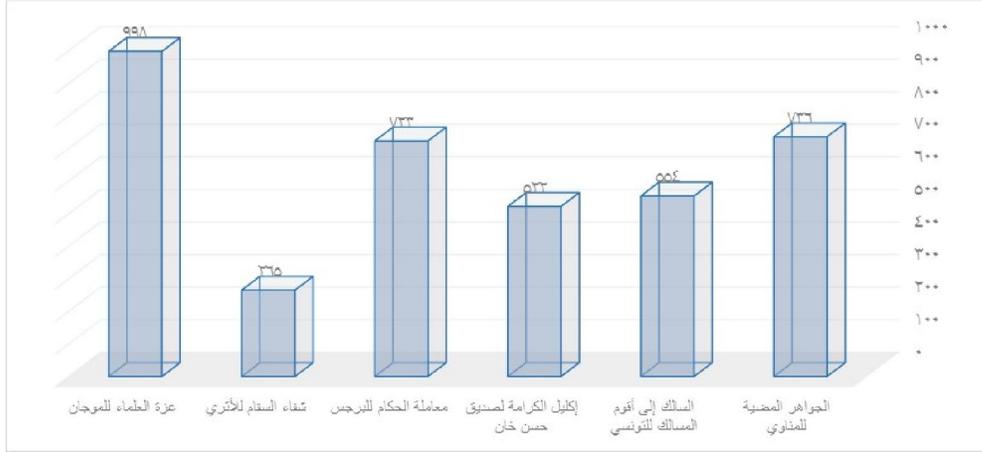
م	اسم الكتاب	القضايا المتعلقة بـ					الإجمالي
		العقيدة	الشرعية والأحكام	الوعظ	الأخلاق	السياسة الشرعية	
١	الجواهر المضية للمناوي	٢٣٢	٤٨	٢٢٨	١٧١	٥٧	١٩,٤
٢	السالك إلى أقوم المسالك للتونسي	٨٥	٤٧	١٢٧	١٥٠	١٤٥	١٤,٦
٣	إكليل الكرامة لصديق حسن خان	١١٠	١٠١	١٣٢	١٣٧	٤٢	١٣,٧
	معاملة الحكام للبرجس	١٩٧	١٣٦	٢٠١	١١٤	٧٥	١٩,٠
٥	شفاء السقام للأثري	٥٢	٥٩	٨١	٣٧	٣٦	٧,٠

الإجمالي		القضايا المتعلقة بـ					اسم الكتاب	م
النسبة المئوية	التكرار	السياسة الشرعية	الأخلاق	الوعظ	الشريعة والأحكام	العقيدة		
٢٦,٣	٩٩٨	١٥٢	١٥٤	٣٧٦	١٥٦	١٦٠	عزة العلماء للموجان	٦
	٣٧٩٨	٥٠٧	٧٦٣	١١٤٥	٥٤٧	٨٣٦	المجموع	
	١٠٠,٠	١٣,٣	٢٠,١	٣٠,١	١٤,٤	٢٢,٠	النسبة المئوية	

يتضح من خلال الجدول رقم (٢٣) أن كتاب "الجواهر المضية" للمناوي جاء بتكرار (٧٣٦) مرة، وبنسبة (٤, ١٩٪)، أما كتاب "السالك إلى أقوم المسالك" للتونسي فقد جاء بتكرار (٥٥٤) مرة، وبنسبة (٦, ١٤٪)، في حين يأتي كتاب "إكليل الكرامة" لصديق حسن خان بتكرار (٥٢٢) مرة، وبنسبة (٧, ١٣٪)، كما أوضحت الدراسة نتيجة كتاب "معاملة الحكام" للبرجس الذي جاء بتكرار (٧٢٣) مرة، وبنسبة (١٩٪)، ويليه في جدول النتيجة كتاب "شفاء السقام" للأثري الذي جاء بتكرار (٢٦٥) مرة، وبنسبة (٧٪)، ثم يأتي كتاب "عزة العلماء" للموجان في آخر فروع جدول النتائج، حيث أبرزت الدراسة نتائج تكراره البالغة (٩٩٨) مرة، وبنسبة (٣, ٢٦٪).

شكل رقم (٢١)

إجمالي أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين باختلاف المصنفات



## الفصل الثاني

### تحليل نتائج الدراسة التحليلية ومناقشتها

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: تحليل نتائج الدراسة التحليلية.
- المبحث الثاني: مناقشة نتائج الدراسة التحليلية.

## المبحث الأول

### تحليل نتائج الدراسة التحليلية

يشتمل هذا المبحث على تحليل نتائج الدراسة التي تم التوصل إليها، وذلك من خلال المطالب الآتية:

**المطلب الأول: تحليل نتائج مصادر الاستدلال والاستشهاد في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.**

**المطلب الثاني: تحليل نتائج الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.**

**المطلب الثالث: تحليل نتائج القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.**

## المطلب الأول

### تحليل نتائج مصادر الاستدلال والاستشهاد في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

تمهيد:

مصادر الاستدلال والاستشهاد هي الفئة الرئيسة لقوائم التحليل، وتتبعها قوائم تحليل فرعية، وهي: مصادر الاستدلال بالقرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، وكذا الاستشهاد بأقوال العلماء.

فالمصادر جمع مصدر، والمصدر في اللغة يقوم على ثلاثة حروف أصول هي: الصاد والذال والراء. قال ابن فارس رحمته الله: "إنهما أصلان صحيحان، أحدهما يدل على خلاف الورد، والآخر صدر الإنسان وغيره، فالأول قولهم: صدر عن الماء، وصدر عن البلاد، إذا كان وردها ثم شخص عنها"<sup>(١)</sup>، وقال الفيروز آبادي: "الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله"<sup>(٢)</sup>.

وفي الاصطلاح: "هو كل وعاء يمكن الاستفادة منه، سواء أكان مصدراً أصلياً أم فرعياً"<sup>(٣)</sup>.

والمقصود بفئة المصادر، أي: الأوعية التي اعتمدها المصنفون واستفادوا منها في المسائل والقضايا والمضامين.

وتشتمل المصادر على الفئات الفرعية وهي:

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (صدر) (٣/٣٣٧).

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة (صدر) (ص ٤٢٣).

(٣) أساليب القصص في الدعوة إلى الله، إعداد: عبدالله بن إبراهيم الطويل (ص ٢١٣)، رسالة غير منشورة، مقدمة

لنيل درجة الدكتوراه، في قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية، عام ١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ.

- ١ - القرآن الكريم: وهو كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ، الموجود بين دفتي المصحف<sup>(١)</sup>.
- ٢ - السنة النبوية: وهي ما أثر عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته<sup>(٢)</sup>. وهذا هو تعريف المحدثين، وهو ما أريده هنا، وإلا فإن الفقهاء لهم تعريف آخر: فهم يطلقون السنة، ويريدون بها ما ثبت عنه ﷺ من حكم دون الفرض والواجب<sup>(٣)</sup>.
- كما أن السنة تطلق فيما يقابل البدعة، فتكون شاملة للدين، سواء أكان اعتقاداً أم عملاً أم قولاً<sup>(٤)</sup>.
- ٣ - الإجماع: وهو "اتفاق مجتهدي عصر من العصور من أمة محمد ﷺ بعد وفاته على أمر ديني"<sup>(٥)</sup>.
- ٤ - القياس: وهو "إلحاق فرع بأصل لعله جامعة بينهما"<sup>(٦)</sup>.
- ٥ - أقوال العلماء: تقدم في التمهيد مرادي بمصطلح "العلماء"، وهم علماء الشريعة<sup>(٧)</sup>، وأقوالهم في هذه الفئة: هي ما أثر ونقل عنهم من عصر الصحابة حتى عصر المؤلف

(١) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/٤١٩).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٢٤٥).

(٣) انظر: العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (١/١٦٦).

(٤) انظر: الاستقامة لابن تيمية (١/٤).

(٥) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، تأليف: أبي محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة (٢/٣٧٦)،

الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٣٣٤هـ.

(٦) تلخيص الأصول، تأليف: حافظ ثناء الزاهدي (ص ٣٩)، الناشر: مركز المخطوطات والتراث والوثائق،

الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

(٧) انظر: التمهيد، المبحث الأول، المطلب الثاني: تعريف العلماء في اللغة والاصطلاح (ص ٣١) من هذه الرسالة.

- صاحب الكتاب -، سواء كان في الاعتقاد، أو التشريع والأحكام، أو الوعظ والأخلاق، أو السياسة الشرعية.

أولاً: مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين:

يوضح الجدول رقم (٢) مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب المناصحة عند المتقدمين، حيث يأتي القرآن الكريم في مقدمة تلك المصادر بتكرار (١٦٤٢) مرة، وبنسبة (٣، ٣٦٪)، يليها السنة بتكرار (١٤٧٥) مرة، وبنسبة (٦، ٣٢٪)، وبالمرتبة الثالثة تأتي أقوال العلماء بتكرار (٩١٨) مرة، وبنسبة (٣، ٢٠٪)، ويأتي القياس بالمرتبة الرابعة بين تلك المصادر بتكرار (٣٤٦) مرة، وبنسبة (٦، ٧٪)، وفي الأخير يأتي الإجماع وهو أقل مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب أئمة المسلمين المتقدمين بتكرار (١٤٧) مرة، وبنسبة (٢، ٣٪) من إجمالي تكرارات مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين.

كما يتضح من خلال الجدول رقم (٣) أن كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرقي يأتي بالمرتبة الأولى من حيث مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي التصنيف بتكرار (٧٧١) مرة، وبنسبة (٠، ١٧٪)، يليه كتاب "نصيحة الملوك" للهاوردي بتكرار (٦٨١) مرة، وبنسبة (٠، ١٥٪)، وبالمرتبة الثالثة يأتي كتاب "سراج الملوك" للطرطوشي بتكرار (٦٧٠) مرة، وبنسبة (٨، ١٤٪)، يليه كتاب "بذل النصائح" للمقدسي بتكرار (٣٩٤) مرة، وبنسبة (٧، ٨٪)، ويأتي كتاب "النصائح المهمة" للشيخ علوان بالمرتبة الخامسة

بتكرار (٣٦٩) مرة، وبنسبة (٨, ١)٪، وبالمرتبة السادسة يأتي كتاب "الجلس الصالح" لسبط ابن الجوزي بتكرار (٣٥٦) مرة، وبنسبة (٧, ٩)٪، يليه كتاب "العقد الفريد" للوزير أبي سالم بتكرار (٣٢٩) مرة، وبنسبة (٧, ٣)٪، وبالمرتبة الثامنة يأتي كتاب "إرشاد الملوك" للهندي بتكرار (٢٩٥) مرة، وبنسبة (٦, ٥)٪، ويأتي كتاب "حسن السلوك" للموصلي بالمرتبة التاسعة بتكرار (٢٨٠) مرة، وبنسبة (٦, ٢)٪، يليه كتاب "المنهج السلوك" للشيزري بتكرار (١٩٠) مرة، وبنسبة (٤, ٢)٪، وبالمرتبة الحادية عشر يأتي كتاب "الذهب المسبوك" للحميدي بتكرار (١٠٨) مرة، وبنسبة (٢, ٤)٪، وفي الأخير يأتي كتاب "واسطة السلوك" للزياني، وهو أقل كتب المتقدمين من حيث مصادر الاستدلال والاستشهاد بتكرار (٨٥) مرة، وبنسبة (١, ٩)٪.

كما بينت النتائج أن كتاب "نصيحة الملوك" للهاوردي كان الأعلى من حيث الاستدلال والاستشهاد بالقرآن الكريم بتكرار (٤٦١) مرة، في حين أن كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق كان الأعلى من حيث الاستدلال والاستشهاد بكل من السنة حيث جاء تكراره (٢٤٣) مرة، والإجماع بتكرار (٥٢) مرة، ويأتي كتاب "الجلس الصالح" لسبط ابن الجوزي الأعلى من حيث الاستدلال بالقياس بتكرار (٩٠) مرة، وفي الأخير يأتي كتاب "سراج الملوك" للطروشاني الأعلى من حيث الاستشهاد بأقوال العلماء بتكرار (١٧٠) مرة.

ثانياً: مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري المصنفين:

يوضح الجدول رقم (٤) مصادر الاستدلال والاستشهاد في كتب المناصحة عند المتأخرين، حيث تأتي السنة مقدمة بين المصادر بتكرار (٦٦٥) مرة، وبنسبة (٤, ٣٨٪)، يليها أقوال العلماء بتكرار (٥٦٧) مرة، وبنسبة (٧, ٣٢٪)، وبالمرتبة الثالثة يأتي استدلالهم بالقرآن الكريم بتكرار (٣١٨) مرة، وبنسبة (٣, ١٨٪)، ويأتي القياس بالمرتبة الرابعة بين تلك المصادر بتكرار (١٢٠) مرة، وبنسبة (٩, ٦٪)، وفي الأخير يأتي الإجماع، وهو الأقل في مصادر الاستدلال بكتب المناصحة عند المتأخرين بتكرار (٦٤) مرة، وبنسبة (٧, ٣٪) من إجمالي تكرارات مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري المصنفين.

كما يتضح من خلال الجدول رقم (٥) أن كتاب "إكليل الكرامة" لصديق حسن خان يأتي بالمرتبة الأولى من حيث مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري التصنيف بتكرار (٦٢٥) مرة، وبنسبة (٠, ٣٦٪)، يليه كتاب "عزة العلماء" للموجان بتكرار (٣٧٥) مرة، وبنسبة (٦, ٢١٪)، وبالمرتبة الثالثة يأتي كتاب "الجواهر المضية" للمناوي بتكرار (٢٩٥) مرة، وبنسبة (٠, ١٧٪)، يليه كتاب "معاملة الحكام" للبرجس بتكرار (٢٤٢) مرة، وبنسبة (٠, ١٤٪)، ويأتي كتاب "شفاء السقام" للأثري بالمرتبة الخامسة بتكرار (١١٧) مرة، وبنسبة (٧, ٦٪)، وفي الأخير يأتي كتاب "السالك إلى أقوم المسالك" للتونسي، وهو أقل كتب المتأخرين من حيث مصادر الاستدلال والاستشهاد بتكرار (٨٠) مرة، وبنسبة (٦, ٤٪).

كما أوضحت النتائج أيضاً بالجدول رقم (٥) أن كتاب "إكليل الكرامة" لصديق حسن خان كان الأعلى من حيث مصادر الاستدلال والاستشهاد فيما يتعلق بكل من: القرآن الكريم (٩٨) مرة، والسنة (٣٥٣) مرة، والقياس (٢٥) مرة، في حين أن كتاب "معاملة الحكام" للبرجس كان الأعلى من حيث الاستدلال بمصدر الإجماع، حيث جاء بتكرار (١٩) مرة، ويأتي كتاب "عزة العلماء" للموجان بالمرتبة الأولى من حيث الاستشهاد بأقوال العلماء بتكرار قدره (١٧٥) مرة.

## المطلب الثاني

### تحليل نتائج الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

تمهيد:

الأساليب الدعوية هي الفئة الثانية الرئيسة لقوائم التحليل، وتتبعها قوائم تحليلية فرعية هي: الترغيب، والترهيب، والمدح والثناء، والتعريض، والقصة، والتشبيه. والأساليب جمع أسلوب، وهو مشتق من: سلب يسلب سلباً، وسلوباً<sup>(١)</sup>. وله في اللغة عدة معانٍ، من أبرزها:

- الطريق، يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم، أي: على طريق من طرقهم<sup>(٢)</sup>.
  - الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: في فن من فنونه<sup>(٣)</sup>.
- أما تعريفه في الاصطلاح فهو: "الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه"<sup>(٤)</sup>.

وهو في اصطلاح الدعاة: عرض ما يراد عرضه من معانٍ، وأفكارٍ، وقضايا، وعبارات، وجمل مختارة؛ لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، وما يجب لكل مقام من مقال<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري، مادة (سلب) (١/١٦٧)، وانظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (سلب) (٣/٩٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة (سلب) (ص ١٢٥).

(٣) انظر: الصحاح للجوهري، مادة (سلب) (١/١٦٧).

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبدالعظيم الزرقاني (٢/١٩٩)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ.

(٥) انظر: الدعوة إلى الله خصائصها ومقوماتها ومناهجها، تأليف: د. أبي المجد السيد نوفل (ص ١٨٩)، الناشر: دار الحضارة العربية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ، وانظر: أسلوب التشبيه في أحاديث الترغيب - دراسة دعوية

أما عن إيضاح معاني فئات القائمة الفرعية فهي كما يلي:

- ١- أسلوب الترغيب: وهو: "الخطاب المفيد في حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى؛ لنيل السعادة في الدنيا والآخرة"<sup>(١)</sup>.
- ٢- أسلوب التهيب، ويراد به: الخطاب المتضمن التحذير والتنفير من الأعمال السيئة، والأقوال القبيحة، والنيات الفاسدة، وما يتبع مقترفها من أليم العقاب، وفوات الثواب<sup>(٢)</sup>.
- ٣- أسلوب المدح، وهو: "الثناء باللسان على الصفات الجميلة، خلقية كانت أو اختيارية"<sup>(٣)</sup>.
- ٤- أسلوب التعريض، وهو خلاف التصريح، بحيث يتكلم المتكلم بعبارات وألفاظ جائزة ومشتركة بين مرادين ومعنيين، وتحتل أكثر من وجه، ويقصد بها المتكلم معنى صحيحاً، فيوهم غيره أنه يقصد معنى آخر، ويكون التعريض بالقول، أو بالفعل، أو بهما معاً<sup>(٤)</sup>.

-، إعداد: أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطويل (ص ٢٦٥)، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثاني عشر، جمادى الأولى ١٤٣٨هـ / فبراير ٢٠١٧م.

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، تأليف: الشيخ علي محفوظ (ص ١٩٢)، الناشر: دار الاعتصام، الطبعة التاسعة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٢) انظر: الترغيب والتهيب، تأليف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبي القاسم، الملقب بقوام السنة (١ / ٥٥)، تحقيق: أيمن بن صالح بن شعبان، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص ٦٤٥)، وانظر: التعريفات للجرجاني (ص ٢٦٥).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (عرض) (٧ / ١٨٣)، وانظر: إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٣ / ١٨٣)، وانظر: التعريفات للجرجاني (ص ١٦٢)، وانظر: رائق التحلية في فائق التورية، تأليف: أبي جعفر أحمد بن

=

٥ - أسلوب القصة، وهو: رواية الأخبار والأحداث المشتملة على ما يهدي إلى

الدين، ويدل على الحق، ويأمر بطلب النجاة<sup>(١)</sup>.

وأما في اصطلاح الدعاة فهو: "سرد لأحداث معينة أثناء دعوة الناس

لتذكيرهم، ووعظهم بالاعتماد على الأخبار والسير الماضية"<sup>(٢)</sup>.

٦ - أسلوب التشبيه، ويراد به: عقد مشاركة بين شيئين في صفة مشتركة، بأداة معينة

لغرض محدد<sup>(٣)</sup>.

وفيما يلي تحليل نتائج الأساليب التي خرجت بها الدراسة.

أولاً: الأساليب الدعوية في كتب المناصحة عند المتقدمين:

يوضح الجدول رقم (٦) الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين،

حيث يأتي أسلوب الترغيب بالمرتبة الأولى بتكرار (٨٨٤) مرة، وبنسبة (٤, ٢٥٪)، يليه

أسلوب الترهيب بتكرار (٧٤٤) مرة، وبنسبة (٤, ٢١٪)، وبالمرتبة الثالثة بين الأساليب

الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين يأتي أسلوب القصة بتكرار (٦٥٠) مرة،

وبنسبة (٧, ١٨٪)، ويأتي أسلوب المدح والثناء بالمرتبة الرابعة بتكرار (٥٤٨) مرة، وبنسبة

(٧, ١٥٪)، وبالمرتبة الخامسة يأتي أسلوب التشبيه بتكرار (٣٨٢) مرة، وبنسبة (١١, ١٪)،

وفي الأخير يأتي أسلوب التعريض، وهو أقل الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة

عند المتقدمين بتكرار (٢٧٥) مرة، وبنسبة (٩, ٧٪).

زرقالة (ص ١٤)، الناشر: دار الحكمة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٠٠م.

(١) انظر: تفسير الرازي (٧٤/٨).

(٢) أساليب القصص في الدعوة إلى الله لعبدالله الطويل (ص ٧).

(٣) انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، تأليف: د. أحمد مطلوب (ص ٣٢٣)، الناشر: مكتبة البيان، بيروت

- لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

كما يتضح من خلال الجدول رقم (٧) أن كتاب "سراج الملوك" للطرطوشي يأتي بالمرتبة الأولى من حيث إجمالي الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين بتكرار (٦٧٣) مرة، وبنسبة (٣, ١٩٪) من إجمالي الكتب عينة الدراسة، يليه كتاب "الجلس الصالح" لسبط ابن الجوزي بتكرار (٥١٥) مرة، وبنسبة (٨, ١٤٪)، وبالمرتبة الثالثة يأتي كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق بتكرار (٤٧٧) مرة، وبنسبة (٧, ١٣٪)، ويأتي كتاب "العقد الفريد" للوزير أبي سالم بالمرتبة الرابعة بتكرار (٢٧٧) مرة، وبنسبة (٨, ٦٪)، يليه كتاب "النصائح المهمة" للشيخ علوان بتكرار (٢٣٦) مرة، وبنسبة (٨, ٦٪)، وبالمرتبة السادسة يأتي كتاب "المنهج المسلك" للشيزري بتكرار (٢١٤) مرة، وبنسبة (١, ٦٪)، ويأتي كتاب "بذل النصائح" للمقدسي بالمرتبة السابعة بتكرار (٢٢٣) مرة، وبنسبة (٤, ٦٪)، إضافة إلى ما سبق فإن كتاب "حسن السلوك" للموصلي قد جاء بالمرتبة الثامنة بتكرار (١٩٧) مرة، وبنسبة (٧, ٥٪)، يليه كتاب "نصيحة الملوك" للهاوردي بتكرار (١٨٢) مرة، وبنسبة (٢, ٥٪)، في حين يأتي كتاب "إرشاد الملوك" للهندي بالمرتبة العاشرة بتكرار (١٧٤) مرة، وبنسبة (٠, ٥٪)، وبالمرتبة الحادية عشر يأتي كتاب "واسطة السلوك" للزياني بتكرار (١٧٠) مرة، وبنسبة (٩, ٤٪)، وفي الأخير يأتي كتاب "الذهب المسبوك" للحميدي، وهو أقل الكتب من حيث الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين بتكرار (١٤٥) مرة، وبنسبة (٢, ٤٪).

إضافة إلى ما سبق فإن كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق يأتي بالمرتبة الأولى من حيث أسلوب الترغيب بتكرار (١٧٠) مرة، أما في أسلوب التهيب فيأتي كتاب "الجلس الصالح" لسبط ابن الجوزي مقدماً على جميع الكتب بتكرار (١٦٨) مرة، كما يأتي الكتاب أيضاً بالمرتبة نفسها من حيث أسلوب المدح والثناء بتكرار (١٢٣) مرة، في حين يأتي كتاب

"سراج الملوك" للطرطوشي بالمرتبة الأولى من حيث استخدام أسلوب القصة بتكرار (١٩٢) مرة، وأسلوب التشبيه بتكرار (٨٣) مرة.

ثانياً: الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين:

يوضح الجدول رقم (٨) الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين، حيث يأتي أسلوب الترغيب بالمرتبة الأولى بتكرار (٤٠٩) مرة، وبنسبة (٩, ٢١٪)، يليه أسلوب القصة بتكرار (٣٩٨) مرة، وبنسبة (٣, ٢١٪)، وبالمرتبة الثالثة بين الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين يأتي أسلوب المدح والثناء بتكرار (٣٨٦) مرة، وبنسبة (٧, ٢٠٪)، ويأتي أسلوب التهيب بالمرتبة الرابعة بتكرار (٢٧٤) مرة، وبنسبة (٧, ١٤٪)، يليه أسلوب التشبيه بتكرار (٢٣٥) مرة، وبنسبة (٦, ١٢٪)، وفي الأخير يأتي أسلوب التعريض، وهو أقل الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (١٦٣) مرة، وبنسبة (٧, ٨٪).

كما يوضح الجدول رقم (٩) أن كتاب "إكليل الكرامة" لصديق حسن خان يأتي بالمرتبة الأولى من حيث إجمالي الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (٤٦٢) مرة، وبنسبة (٨, ٢٤٪) من إجمالي الكتب عينة الدراسة، يليه كتاب "عزة العلماء" للموجان بتكرار (٣٩٧) مرة، وبنسبة (٣, ٢١٪)، وبالمرتبة الثالثة يأتي كتاب "الجواهر المضية" للمناوي بتكرار (٣٦٩) مرة، وبنسبة (٨, ١٩٪)، ويأتي كتاب "السالك إلى أقوم المسالك" للتونسي بالمرتبة الرابعة بتكرار (٢٥٠) مرة، وبنسبة (٤, ١٣٪)، يليه كتاب "معاملة الحكام" للبرجس بتكرار (٢٤٤) مرة، وبنسبة (١٣٪)، وفي الأخير يأتي كتاب "شفاء السقام" للأثري، وهو أقل الكتب من حيث الأساليب الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (١٤٣) مرة، وبنسبة (٧, ٧٪).

إضافة إلى ما سبق فإن كتاب "إكليل الكرامة" لصديق حسن خان يأتي بالمرتبة الأولى من حيث أسلوب الترغيب بتكرار (١٢٩) مرة، وأسلوب التهيب بتكرار (٩٨) مرة، وأسلوب المدح والثناء بتكرار (١٣٢) مرة، وبالنسبة لأسلوب التعريض يأتي كتاب "الجواهر المضية" للمناوي الأكثر تناولاً للأسلوب بتكرار (٤٧) مرة، ويأتي كتاب "عزة العلماء" للموجان الأكثر تناولاً لأسلوب القصة بتكرار (١٢١) مرة، كما يأتي كتاب "الجواهر المضية" للمناوي الأكثر تناولاً لأسلوب التشبيه بتكرار (٦٧) مرة.

### المطلب الثالث

#### تحليل نتائج أبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

القضايا الدعوية هي الفئة الرئيسة لقوائم التحليل، ويتبعها أصول، هي: العقيدة، والشريعة والأحكام، والوعظ، والأخلاق، والسياسة الشرعية، ولكل أصل منها فروع. والقضايا جمع، مفردها: قضية، وأصلها من مادة "قضى" المتعددة المعاني، فتأتي بمعنى أنهى، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾<sup>(١)</sup>، أي: أنهى، وتأتي بمعنى فرض، يقول ﷺ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٢)</sup>، وتأتي بمعنى حَكَم، تقول: تخاصم رجلان وقضيت بينهما<sup>(٣)</sup>.

وفي الاصطلاح: القضية هي المسألة التي يدور عليها البحث والحديث، وتشغل اهتمام الناس. وبمعنى آخر: القضية هي: القواعد الكلية التي يندرج تحتها موضوعات متفرعة<sup>(٤)</sup>.

والمراد بها هنا: المسائل والموضوعات الكبرى التي تناولها مؤلفو كتب مناصحة أئمة المسلمين من المتقدمين والمتأخرين.

أما عن بيان معاني القضايا الرئيسة فهي:

١ - قضايا العقيدة: العقيدة في اللغة: مأخوذة من العقد والربط والشدة بقوة، ومنه

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٢٣).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (قضى) (١٥/١٨٦ - ١٨٧).

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (ص ١٢٣).

الإحكام والإبرام، والتماسك والمراسة، يقال: عقد الحبل يعقده: شده، ويقال: عقد العهد والبيع: شده، وعقد الإزار: شده بإحكام، والعقد ضد الحل<sup>(١)</sup>.

وفي الاصطلاح: تطلق العقيدة على الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه قلبه وضميره من التصديق الجازم بربوبية الله تعالى، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

والمراد بقضايا العقيدة في هذه الدراسة: المسائل التي تبحثها كتب العقيدة وعلم الكلام.

٢- قضايا التشريع والأحكام، والتشريع لغة: مصدر "شرع" أي: سن قانوناً وقواعد<sup>(٣)</sup>، والأحكام في اللغة: جمع حكم، وهو القضاء والمنع، يقال: حكمت عليه بكذا، إذا منعته من خلافه، وحكمت بين الناس، قضيت بينهم وفصلت<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (عقد) (٣/٢٩٦)، وانظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة (عقد) (ص ٣٨٣).

(٢) انظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، تأليف: عبدالله بن عبد الحميد الأثري (ص ٣٠)، مراجعة وتقديم: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٣) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة (شرع) (ص ٩٤٦).

(٤) انظر المصباح المنير للفيومي مادة (حكم) (١/٢٠٠)، وانظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة (حكم) (ص ٩٨/٤).

أما في الاصطلاح، فإن معنى التشريع والأحكام واحد، فكلاهما يطلقان ويراد بهما: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً، أو تخييرًا، أو وضعًا<sup>(١)</sup>.

والمقصود بقضايا التشريع والأحكام: المسائل التي يتناولها العلماء في كتب الفقه.

٣- قضايا الوعظ، ويقصد به: كل ما يشمل المجالات والموضوعات التي يتناولها الواعظ ويجول فيها بتفكيره وتأليفه من الأقوال المشتملة على التذكير والإرشاد، والعبر التي ترقق القلوب، وتهذب النفوس، وتقنعهم بصحة ما تدعوهم إليه، وترغبهم في طاعة الله تعالى، وتحذرهم من معصيته<sup>(٢)</sup>.

٤- قضايا الأخلاق، وهي تعني في اللغة: الطباع والعادات، وكذلك الدين والمروءة<sup>(٣)</sup>.

والأخلاق عند العلماء: هي الحالة الراسخة في النفس، والتي تشكل العامل الأساس للممارسات الحسنة والسيئة<sup>(٤)</sup>.

والقضايا الأخلاقية: هي من الأحكام الشرعية، المتصلة بأعمال القلب والجوارح، وقد أفرد لها علم خاص يسمى بعلم الرقائق والأخلاق<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: تيسير الوصول إلى منهاج الأصول، تأليف: كمال الدين محمد بن محمد بن عبدالرحمن المعروف بابن إمام الكاملية (١/ ٣١١)، دراسة وتحقيق: د. عبدالفتاح أحمد قطب الدخيسي، الناشر: دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤ / ٢٦٠)، وانظر: التفسير الوسيط لمحمد طنطاوي (٨ / ٢٦٢).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (خلق) (١٠ / ٨٦).

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (ص ١٠١).

(٥) انظر: أساليب القصاص في الدعوة إلى الله لعبدالله الطويل (ص ٥).

٥ - قضايا السياسة الشرعية: ويقصد بها: الموضوعات التي تناقش الشؤون العامة في مختلف نواحي الحياة من خلال الإمامة، بما يجلب للعباد الخير لهم، ويدفع الشر عنهم، وفق حكم الشارع، واجتهادات العلماء<sup>(١)</sup>.

أولاً: أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين:

تحلل الدراسة في هذا العنصر أبرز القضايا الدعوية عند متقدمي المصنفين التي خرجت بها تحليل الدراسة من خلال فئات القوائم المقررة.

#### ١ - القضايا الدعوية المتعلقة بالعتيدة:

يتضح من خلال الجدول رقم (١٠) أن مسائل الإمامة تأتي بالمرتبة الأولى بين القضايا الدعوية المتعلقة بالعتيدة في مصنفات المتقدمين بتكرار (٦٣٣) مرة، وبنسبة (٨, ٤٠٪)، يليه الإيمان بتكرار (٥٥٢) مرة، وبنسبة (٥, ٣٥٪)، ويأتي التحذير من الشرك والبدع في أقل القضايا الدعوية المتعلقة بالعتيدة في مصنفات المناصحة عند المتقدمين بتكرار (٣٦٨) مرة، وبنسبة (٧, ٢٣٪).

إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "واسطة السلوك" للزياني بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالإيمان بتكرار (٦٨) مرة، ويأتي كتاب "النصائح المهمة" للشيخ علوان بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالتحذير من الشرك والبدع

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٤/٢٨٣)، وانظر: المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تأليف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبي العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (٣/٣٨٣)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ؛ وانظر: عمدة القاري للعيني (١٦/٤٣)، وانظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، تأليف: زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، المعروف بابن نجيم المصري (٥/١١)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط، د. ت.

بتكرار (٨٩) مرة، كما يأتي كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بمسائل الإمامة بتكرار (١٥٣) مرة.

## ٢- القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام:

يتضح من خلال الجدول رقم (١١) أن الجهاد يأتي بالمرتبة الأولى بين القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام في مصنفات المناصحة عند المتقدمين بتكرار (١٠٢٠) مرة، وبنسبة (٣, ٤٦٪)، يليه العبادة بتكرار (٩٦٧) مرة، وبنسبة (٧, ٣١٪)، وتأتي مسائل الحدود والجنايات في أدنى القضايا المتعلقة بالشريعة والأحكام في مصنفات المناصحة عند المتقدمين بتكرار (٤٨٥) مرة، وبنسبة (٢٢٪).

إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالعبادة بتكرار (١٤٠) مرة، ويأتي كتاب "سراج الملوك" للطروشبي بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالجهاد بتكرار قدره (١٥٥) مرة، كما يأتي كتاب "واسطة السلوك" للزياني بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالحدود والجنايات بتكرار (٧٥) مرة.

## ٣- القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ:

يتضح من خلال الجدول رقم (١٢) أن الحث على طلب النصيحة واستماعها يأتي بالمرتبة الأولى بين القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين من المتقدمين بتكرار (٨٩٧) مرة، وبنسبة (٩, ٢٥٪)، يليه الترغيب بإقامة العدل بتكرار (٨٤٩) مرة، وبنسبة (٥, ٢٤٪)، وبالمرتبة الثالثة بين القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ يأتي الحث على الزهد بتكرار (٧٢٧) مرة، وبنسبة (٠, ٢١٪)، يليه الحث على الشكر بتكرار

(٥٧٨) مرة، وبنسبة (٦, ١٦٪)، ويأتي التذكير بخطر الولاية في الدرجة الأخيرة بين القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في مصنفات المناصحة عند المتقدمين بتكرار (٤١٥) مرة، وبنسبة (٠, ١٢٪).

إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بكل من: التذكير بخطر الولاية بتكرار (٧٧) مرة، والحث على الشكر بتكرار (١١٤) مرة، والترغيب بإقامة العدل بتكرار (١٢٣) مرة، ويأتي كتاب "واسطة السلوك" للزياني بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالحث على طلب النصيحة واستماعها بتكرار (١٤٦) مرة، ويأتي كتاب "الجلس الصالح" لسبط ابن الجوزي في المرتبة الأولى بين الكتب من حيث الموضوعات الدعوية المتعلقة بالحث على الزهد بتكرار (١٤٣) مرة.

#### ٤ - القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق:

يتضح من خلال الجدول رقم (١٣) أن الحث على مكارم الأخلاق يأتي بالمرتبة الأولى بين القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق في مصنفات المناصحة عند المتقدمين بتكرار (١٢٨٢) مرة، وبنسبة (٩, ٥٦٪)، ويأتي التحذير من مساوئ الأخلاق في الدرجة الثانية بين القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين من المتقدمين بتكرار (٩٧٠) مرة، وبنسبة (١, ٤٣٪).

إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق بالنسبة لكل من: الحث على مكارم الأخلاق بتكرار (١٤٤) مرة، والتحذير من مساوئ الأخلاق بتكرار (١٠٦) مرة.

## ٥ - القضايا الدعوية المتعلقة بالسياسة الشرعية:

يتضح من خلال الجدول رقم (١٤) أن التذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها يأتي بالمرتبة الأولى بين القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين بتكرار (٩٥٨) مرة، وبنسبة (٦, ٦٦٪)، وتأتي المسائل المتعلقة باعتبار المصلحة في المرتبة الثانية بين القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين بتكرار (٤٨٠) مرة، وبنسبة (٤, ٣٣٪).

إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرقي بالمرتبة الأولى من حيث القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية بالنسبة للمسائل المتعلقة باعتبار المصلحة بتكرار (٩٢) مرة، ويأتي كتاب "المنهج المسلوك" للشيزري الأكثر تكراراً للقضايا المتعلقة بالتذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها بتكرار (١٣٠) مرة.

ومن خلال العرض السابق للقضايا الدعوية عند متقدمي المصنفين في مناصحة أئمة المسلمين، تجدها الدراسة جاءت على النحو الآتي:

يتضح من خلال الجدول رقم (١٥) أن القضايا المتعلقة بالوعظ تأتي بالمرتبة الأولى بين القضايا عند متقدمي المصنفين في مناصحة أئمة المسلمين بتكرار (٣٤٦٦) مرة، وبنسبة (٠, ٣١٪)، يليها القضايا المتعلقة بالشريعة والأحكام بتكرار (٢٤٧٢) مرة، وبنسبة (١, ٢٢٪)، وبالمرتبة الثالثة تأتي القضايا المتعلقة بالأخلاق بتكرار (٢٢٥٢) مرة، وبنسبة (١, ٢٠٪)، يليها القضايا المتعلقة بالعقيدة بتكرار (١٥٥٣) مرة، وبنسبة (٩, ١٣٪)، وفي الأخير تأتي القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية، وهي أقل القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتقدمين بتكرار (١٤٣٨) مرة، وبنسبة (٩, ١٢٪).

إضافة إلى ما سبق فإن كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق يأتي بالمرتبة الأولى من حيث تناول القضايا المتعلقة بكل من: العقيدة بتكرار (٢٥٠) مرة، والشريعة والأحكام بتكرار (٣٢٥) مرة، والوعظ بتكرار (٤٩٠) مرة، والأخلاق بتكرار (٢٥٠) مرة، في حين يأتي كتاب "نصيحة الملوك" للهاوردي الأكثر تناولاً للقضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية بتكرار (٢٠٦) مرة.

ثانياً: أبرز القضايا الدعوية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين:

تحلل الدراسة في هذا العنصر أبرز قضايا مصنفات المتأخرين التي خرجت بها في نتائج التحليل من خلال فئات القوائم المقررة.

#### ١ - القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة:

يوضح الجدول رقم (١٧) القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة، حيث جاءت الموضوعات المتعلقة بمسائل الإمامة في المرتبة الأولى بين القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (٤٣٨) مرة، وبنسبة (٤, ٥٢٪)، يليها الإيمان بتكرار (٢٢٥) مرة، وبنسبة (٩, ٢٦٪)، ويأتي التحذير من الشرك والبدع في أقل القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة في تلك المصنفات بتكرار (١٧٣) مرة، وبنسبة (٧, ٢٠٪).

إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "الجواهر المضية" للمناوي بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بكل من: الإيمان بتكرار (١٠٥) مرة، ومسائل الإمامة بتكرار (١٠٢) مرة، في حين يأتي كتاب "معاملة الحكام" للبرجس بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالتحذير من الشرك والبدع بتكرار (٥٣) مرة.

## ٢- القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام:

يتضح من خلال الجدول رقم (١٨) أن القضايا الدعوية المتعلقة بالعبادة تأتي بالمرتبة الأولى بين القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (٢٥٠) مرة، وبنسبة (٧, ٤٥٪)، يليها الجهاد بتكرار (١٧١) مرة، وبنسبة (٣, ٣١٪)، وتأتي الحدود والجنايات في أدنى القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (١٢٦) مرة، وبنسبة (٠, ٢٣٪). إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "عزة العلماء" للموجان بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالعبادة بتكرار (١٢٠) مرة، في حين يأتي كتاب "معاملة الحكام" للبرجس بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بكل من: الجهاد بتكرار (٥٢) مرة، والحدود والجنايات بتكرار (٤٢) مرة.

## ٣- القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ:

يوضح الجدول رقم (١٩) القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ، حيث إن القضايا المتعلقة بالترغيب بإقامة العدل تأتي بالمرتبة الأولى بين القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (٣٤٢) مرة، وبنسبة (٩, ٢٩٪)، يليها القضايا المتعلقة بالحث على طلب النصيحة واستماعها بتكرار (٢٧٧) مرة، وبنسبة (٢, ٢٤٪)، وبالمرتبة الثالثة تأتي القضايا المتعلقة بالحث على الشكر بتكرار (١٩٠) مرة، وبنسبة (٦, ١٦٪)، وتأتي القضايا المتعلقة بالحث على الزهد بالمرتبة الرابعة بين القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ بتكرار (١٨٤) مرة، وبنسبة (١, ١٦٪)، ويأتي التذكير بخطر الولاية في أقل القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (١٥٢) مرة، وبنسبة (٣, ١٣٪).

إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "عزة العلماء" للموجان بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بكل من: التذكير بخطر الولاية بتكرار (٦١) مرة، والحث على الشكر بتكرار (٧٤) مرة، والحث على طلب النصيحة واستماعها (٨٨) مرة، والحث على الزهد (٦٧) مرة، في حين يأتي كتاب "الجواهر المضية" للمناوي بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالترغيب بإقامة العدل بتكرار (٩٨) مرة.

#### ٤ - القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق:

يتضح من خلال الجدول رقم (٢٠) أن القضايا المتعلقة بالحث على مكارم الأخلاق تأتي بالمرتبة الأولى بين القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (٤٤٨) مرة، وبنسبة (٧, ٥٨٪)، ويأتي التحذير من مساوئ الأخلاق في المرتبة الثانية في القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (٣١٥) مرة، وبنسبة (٣, ٤١٪).

إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "عزة العلماء" للموجان بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالحث على مكارم الأخلاق بتكرار (١٠١) مرة، في حين يأتي كتاب "الجواهر المضية" للمناوي بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية المتعلقة بالتحذير من مساوئ الأخلاق بتكرار (٧٥) مرة.

#### ٥ - القضايا الدعوية المتعلقة بالسياسة الشرعية:

يوضح الجدول رقم (٢١) القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين، حيث إن القضايا المتعلقة بالتذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها تأتي بالمرتبة الأولى بين القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات

المناصحة عند المتأخرين بتكرار (٢٦٤) مرة، وبنسبة (١, ٥٢٪)، وتأتي المسائل المتعلقة باعتبار المصلحة في المرتبة الثانية في القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية في مصنفات المناصحة عند المتأخرين بتكرار (٢٤٣) مرة، وبنسبة (٩, ٤٧٪).

إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "عزة العلماء" للموجان بالمرتبة الأولى من حيث القضايا المتعلقة باعتبار المصلحة بتكرار (٨٧) مرة، في حين يأتي كتاب "السالك إلى أقوم المسالك" للتونسي بالمرتبة الأولى من حيث القضايا المتعلقة بالتذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها بتكرار (٧٥) مرة.

ومن خلال العرض السابق للقضايا الدعوية عند متأخري المصنفين في مناصحة

أئمة المسلمين، يجدها الباحث جاءت على النحو الآتي:

يوضح الجدول رقم (٢٢) القضايا الدعوية عند متأخري المصنفين في مناصحة أئمة المسلمين، حيث تأتي القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ في المرتبة الأولى بتكرار (١١٤٥) مرة، وبنسبة (١, ٣٠٪) من إجمالي القضايا الدعوية عند متأخري المصنفين في مناصحة أئمة المسلمين، يليها القضايا المتعلقة بالعقيدة بتكرار (٨٣٦) مرة وبنسبة (٠, ٢٢٪)، وبالمرتبة الثالثة تأتي القضايا المتعلقة بالأخلاق بتكرار (٧٦٣) مرة، وبنسبة (١, ٢٠٪)، وتأتي القضايا المتعلقة بالشريعة والأحكام بالمرتبة الرابعة بتكرار (٥٤٧) مرة، وبنسبة (٤, ١٤٪)، وفي الأخير تأتي القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية، وهي أقل القضايا الدعوية عند متأخري المصنفين في مناصحة أئمة المسلمين بتكرار (٥٠٧) مرة، وبنسبة (٣, ١٣٪).

إضافة إلى ما سبق يأتي كتاب "الجواهر المضية" للمناوي بالمرتبة الأولى من حيث القضايا الدعوية عند متأخري المصنفين في مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بكل من:

العقيدة بتكرار (٢٣٢) مرة، والوعظ بتكرار (٢٢٨) مرة، والأخلاق بتكرار (١٧١) مرة،  
ويأتي كتاب "معاملة الحكام" للبرجس بالمرتبة الأولى من حيث القضايا المتعلقة بالشرعية  
والأحكام بتكرار (١٣٦) مرة، ويأتي كتاب "السالك إلى أقوم المسالك" للتونسي بالمرتبة  
الأولى من حيث القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية بتكرار (١٤٥) مرة.

## المبحث الثاني

### مناقشة نتائج الدراسة التحليلية

يشتمل هذا المبحث على مناقشة أهم نتائج الدراسة التي تم التوصل إليها من خلال المطالب الآتية:

**المطلب الأول: مناقشة نتائج مصادر الاستدلال والاستشهاد في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.**

**المطلب الثاني: مناقشة نتائج الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.**

**المطلب الثالث: مناقشة نتائج القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين.**

**المطلب الرابع: أوجه الاستفادة من الدراسة في العصر الحاضر.**

## المطلب الأول

### مناقشة مصادر الاستدلال والاستشهاد في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

عند التأمل في عرض نتائج الدراسة التحليلية من خلال عرض نتائج تحليل قوائم الاستمارة، يلحظ التباين النسبي بين مصادر الاستدلال عند متقدمي مصنفي مناصحة أئمة المسلمين ومتأخريهم على النحو الآتي:

أولاً: القرآن الكريم:

أوضحت الدراسة أن الاستدلال بالقرآن الكريم في المصادر عند المتقدمين يأتي في المرتبة الأولى، حيث بلغ عدد الاستدلال في مجموع العينة بالآيات (١٦٤٢) مرة، وبنسبة (٣٦,٣٪)، وهذا راجع إلى كون القرآن هو المصدر الأول في الاستدلال عند العلماء.

وكان لاشتغال العلماء والفقهاء والمفسرين بالتأليف في هذا المجال أثر مباشر في ذلك، فالماوردي على - سبيل المثال - مفسر، وأصولي، وفقهه، أراد في مصنفاته بالمناصحة تصحيح المسار في مصدرية تلك المؤلفات، يقول في كتابه "نصيحة الملوك": "ولكننا أردنا أن نجعل كتابنا هذا كتاباً دينياً نريهم فيه صالح معادهم ومعاشهم، ونظام ممالكهم وأحوالهم، بكتاب الله رب العالمين..."<sup>(١)</sup>، فجعل كتاب الله أول ما تربط به العلوم والأعمال.

وما يدل على استحضر أولية الاستدلال بالقرآن مقاماً وعداً في تلك المصنفات قول الماوردي رحمته الله في تفضيل عنصر الإنسان الذي دلت عليه بديهة العقل: "واتفاق العقلاء

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٣).

عليه، يقول الله جل ذكره: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِّينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾<sup>(٢)</sup> وعاءتكم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا<sup>(٣)</sup>، وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> (٣) (٤).

ولما تكلم عن تفضيل مقام الملك جعل الاستدلال بالقرآن أول الأدلة على ذلك فقال: "منها أنه - جل وعز - أكرمهم بالصفة التي وصف بها نفسه؛ فسيأهم ملوكاً وسمى نفسه ملكاً، فقال: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال ﷻ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾<sup>(٦)</sup> وقال فيما وصف به ملوك البشر: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾<sup>(٧)</sup> وقال ﷻ: ﴿إِذْ جَعَلْنَا فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلْنَاكُمْ مُّلُوكًا﴾<sup>(٨)</sup>، وقال في أثناء المعنى الذي يستحق الإنسان أن يسمى ملكاً إياهم، واصطفائه لنفسه وامتداحه به: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾

(١) سورة الجاثية، الآية (١٣).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٣٣ - ٣٤).

(٣) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

(٤) نصيحة الملوك للماوردي (٥٥).

(٥) سورة الفاتحة، الآية (٤).

(٦) سورة طه، الآية (١١٤).

(٧) سورة البقرة، الآية (٢٤٧).

(٨) سورة المائدة، الآية (٢٠).

لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ ﴿١﴾، وقال ﷺ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ ﴿٢﴾ وقال ﷺ: ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ﴿٣﴾ وقال ﷺ: ﴿وَآتَيْتَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤﴾، وتمدح به إلى خلقه ثم من عليهم به، وأبان فضلهم فيه، فقال: ﴿مَنْ حُنَّ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحَبًا﴾ ﴿٥﴾، فليس أحد في حكم هذا اللفظ أولى بالفضل، ولا أجزل قسماً، ولا أرفع درجة من الملوك، إذ كان البشر مسخرين لهم، وممتهين لخدمتهم، ومتصرفين في أمرهم ونهيهم، ومنها: أن جعل الملوك خلفاءه في بلاده، وأمناءه على عبادته، ومنفذي أحكامه في خليقته، وحدوده في بريته" ﴿٦﴾.

ويبتدئ به الشعالي رحمه الله كتابه "آداب الملوك"، حيث يجعل الفصل الأول من الباب الأول في مصدرية القرآن، بقوله: "فصل: مما نطق به القرآن من ذكر الملوك: فقد قرن الله طاعة الملوك بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، فقال ﷺ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ﴿٧﴾، وذكر نعمته في استخلافهم، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلِيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾، وقال حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿يَقَوْمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ

(١) سورة غافر، الآية (١٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢٦).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٥١).

(٤) سورة النساء، الآية (٥٤).

(٥) سورة الزخرف، الآية (٣٢).

(٦) نصيحة الملوك للهاوردي (ص ٥٥-٥٦).

(٧) سورة النساء، الآية (٥٩).

اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَدَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾<sup>(١)</sup>، وقال وقد بعثه وأخاه إلى أطمى الملوك وأغواهم: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾<sup>(٢)</sup> (٣).

كما يعقد الشيخ علوان رحمته الله في "النصائح المهمة" أبواباً وفصولاً مرتبة على آي القرآن، فيذكر الباب ثم يسوق فيه الآيات الواردة في موضوعه مع تذييلها بشيء من الشرح، مثل قوله: "فصل: ولنعطف على الآية التي منها خرجنا إلى هذا، وهي قوله حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾<sup>(٤)</sup>، فنقول كما اعترف يوسف لربه بالربوبية، وعرف نفسه بالعبودية، كذلك يجب على غيره من ملوك الدنيا ألا يفارقهم هذا الاعتراف والمعرفة، فإذا اعترف الملك أنه عبد من جملة عبيد سيده ومولاه، وأن المولى هو الذي تفضل عليه بتمييزه وتخصيصه بالتمكين في الأرض والسلطان والملك، فيقابل هذا الإحسان بالإحسان؛ لقوله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾<sup>(٥)</sup>، فإذا رفق بالرعية وأحسن إليهم زاده الله في الرفعة والرفق وزيادة الإحسان إليه؛ لقوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدَ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾<sup>(٦)</sup>، فكفاه دنياه وأخراه، وأيده وسدده ونصره على من عاداه، كيف وقد قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ

(١) سورة المائدة، الآية (٢٠).

(٢) سورة طه، الآية (٤٣ - ٤٤).

(٣) آداب الملوك للثعالبي (ص ٣٥).

(٤) سورة يوسف، الآية (١٠١).

(٥) سورة الرحمن، الآية (٦٠).

(٦) سورة الشورى، الآية (٢٣).

لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٢﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ (٢) (٣)، وهو على هذه الطريقة في كل كتابه.

أما من المتأخرين فصاحب "إكليل الكرامة" الذي أفرد فصلاً "في آيات كريمات وردت في الخلافة والإمارة وإطاعة أهلها، والحكم بما أنزل الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (٤)، ومضى في ذكر الآيات الواردة في الخلافة، والطاعة، والحكم، والحسبة، متبعاً كل آية بشيء من الشرح (٥).

لقد شمل الاستدلال بأي القرآن العظيم جميع قضايا الدعوة ومجالاتها وأساليبها، فهو الحاضر الأول في العقيدة، والأحكام، والمعاملات، والأخلاق، وفي السياسة الشرعية، ولا غرو فالتذكير بالقرآن والوعظ أحسن الوعظ، وأكملها، وأتمه، وهو الذي سارت عليه كتب المناصحة تاولاً لقول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٦)، قال ابن عطية رحمه الله: "هذه آية خوطب بها جميع العالم، والموعظة: القرآن؛ لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوعده ويوعده، وهذه صفة الكتاب العزيز" (٧).

(١) سورة الطلاق، الآية (٢ - ٣).

(٢) سورة الحج، الآية (٤٠).

(٣) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٧٩).

(٤) إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٧١).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٧١ - ١٠٢).

(٦) سورة يونس، الآية (٥٧).

(٧) تفسير ابن عطية (٣/ ١٢٦).

كما أن في ذلك عملاً بقوله ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾<sup>(١)</sup>، قال الإمام الطبري رحمه الله: "فذكر يا محمد بهذا القرآن الذي أنزلته إليه من يخاف الوعيد الذي أوعده من عصائي وخالف أمري"<sup>(٢)</sup>.

لم تُبعد كتب المتأخرين في درجة الاستدلال بالقرآن في قضايا الدعوة ومجالات مناصحة أئمة المسلمين، وإن كان استدلالهم يأتي في الدرجة الثالثة من حيث العد، حيث بلغ تكرار آي القرآن من مجموع العينة (٣١٨) مرة، وبنسبة (٣، ١٨٪) والدراسة ترجع أسباب ذلك إلى ما يأتي:

١- أن كتب المتقدمين كانت كتب تأصيل لهذا الباب، حيث أخذت بزمام هذا الفن من مجال الأدب والفلسفة إلى وجهة الشريعة، فمن البدهي أن تأخذ مصادر الاستدلال محلها الذي لها.

٢- أن المنزلة العلمية التي تبوأها المتقدمون فوق منزلة المتأخرين المشاركين في هذا الباب، فالماوردي، والطرطوشي، والغزالي، والطرطوسي، وابن الجوزي، وابن الأزرق، - رحمهم الله - كلهم علماء وفقهاء ومجتهدون.

٣- يناقش المتأخرون مسائل تتناولها السنة بالتفصيل أكثر من ذكر القرآن لها، مثل: مسألة الطاعة، والبيعة، ولزوم الجماعة، ومحاربة الأفكار الضالة، وهذه جعلت النصاب الإحصائي للسنة مقدماً فيها كما سيأتي.

وتبدو علاقة كتب المتقدمين بكتب المتأخرين في موضوع الاستدلال بالقرآن علاقة

(١) سورة ق، الآية (٤٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/٣٨٥).

تفاضل، حيث يبرز التقدم الاستدلالي بالقرآن عند المتقدمين أكثر من المتأخرين.

ثانياً: السنة:

أظهرت الدراسة أن الاستدلال بالسنة النبوية عند متقدمي المصنفين جاء في العدد في المرتبة الثانية مطابقاً لترتيبها المصدرية في الشريعة، حيث بلغ تكرار الاستدلال بالسنة في مجموع العينة (١٤٧٥) مرة، وبنسبة (٦, ٣٢٪)، أي بعد النسبة المئوية للاستدلال بالقرآن العظيم.

إن الاهتمام بالسنة النبوية باتخاذها مصدراً في الاستدلال والوعظ والتذكير برز عند المتقدمين في صور، وهي:

١ - ربط تلك الكتب بمصادر الشريعة كما فعل ذلك الماوردي رحمته الله وغيره، يقول في كتابه "نصيحة الملوك": "ولكننا أردنا أن نجعل كتابنا هذا كتاباً دينياً نريهم فيه مصالح معادهم ومعاشهم، ونظام ممالكهم وأحوالهم، بكتاب الله رب العالمين، وسنن الرسول صلى الله عليه وسلم..."<sup>(١)</sup>.

٢ - مشاركة المحدثين في التصنيف بهذا الباب، حيث صنف الحافظ أبو نعيم رحمته الله جزءه الحديثي "فضيلة العادلين من الولاة"، وهو كتاب حديثي مسند من صدره إلى عجزه، وقد ابتدأ مصنفه بقوله: "أما بعد: فمن أسبغ الله تعالى عليه نعمه بالتمكين والتأييد، ومد باعه بالقدرة والتمهيد، وفوض إليه سياسة رعيته للتهذيب والتسديد، جدير بأن يولي الأمر أهله، ومن أكمل الله فيما تقلد عقله وعدله، وتولية جسام الأمور العاجز عن النهوض بها؛ لخلوه من العلم بمصادرها ومواردها،

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٥).

خلل في السياسة، وفتق في المحوط من تحصين الرعاية، والراعي مسؤول عن رعايته، هل أقام فيمن استرعى أمر الله أم أضاعه، ومن أعظم الإضاعة: أن يُسند الأمر إلى غير أهله"<sup>(١)</sup>، ثم شرع في سوق أسانيد الباب، قائلاً: "ثنا سليمان بن أحمد، ثنا أبو زرعة الدمشقي، ثنا أبو اليمان، أنبا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري عن سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته))"<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

كما صنف الحافظ التبريزي رحمه الله كتابه "النصيحة للراعي والرعية"، وقد نحى في ذلك منحنى فقهاء المحدثين الذين يبوبون على فقه الحديث، فيقول مثلاً: "باب ذكر الطاعة لمن ولاه الله الأمر، والحث على الوفاء ببيعته، وامتنال أمره، واجتناب معصيته ما لم يأمر بمعصية الله: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر، قال: أخبرتنا فاطمة الجوزدانية، قالت: أنبا أبي بكر بن ريدة، قال: أنبا أبو القاسم الطبراني، ثنا علي بن عبدالعزيز، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا شعبة عن يحيى بن الحصين عن جدته قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: ((اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد يقودكم بكتاب

(١) فضيلة العادلين لأبي نعيم (ص ٨٧).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن برقم [٨٥٣] (١/٣٠٤)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم برقم [١٨٢٩] (٣/١٤٥٩).

(٣) فضيلة العادلين لأبي نعيم (ص ٨٨).

الله))<sup>(١)</sup>""<sup>(٢)</sup>.

ويقاربهما الحافظ الضياء المقدسي رحمته الله في "نصيحة الملك الأشرف" غير أنه يكتفي بذكر نص الحديث في موضع الشاهد.

٣- الاستدلال في موطن الأحكام، وهذه المسألة عامة في كتب المناصحة، حيث يذكر الدليل من السنة عند ذكر موضوع المدلول، ومثاله قول الشيخ علوان رحمته الله: "وأما رجم المحصن فيثبت بالسنة فيما نزل ونسخ لفظه لا حكمه: ((الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله))<sup>(٣)</sup>""<sup>(٤)</sup>، وهذا كثير جداً فيها.

تفارق كتب المتأخرين كتب المتقدمين في نسبة الاستدلال بالسنة النبوية، حيث يجيء الاستدلال بالسنة في المقام الأول من حيث العدد، فقد بلغ تكرارها (٦٦٥) مرة، وبنسبة (٤, ٣٨٪) وترجع الدراسة سبب ذلك إلى أن الموضوعات التي تناولها المتأخرون قد فصلتها السنة ووردت فيها أكثر من ذكر القرآن لها كما تقدم.

وفي كلا الطبقتين: طبقة المتقدمين والمتأخرين، يلحظ سلامة المنهج الاستدلالي، فالقرآن والسنة هما مصدرتا الشريعة الرئيسان، وهما المقدمان عندهما، وأما عن تأخر المتأخرين في الدرجة النسبية للاستدلال بالقرآن، فإن هذا لا يخرجهم من ميزان الكثرة، كما

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم [٣٨٤] [١٥٨/٢٥]، وأصله في صحيح مسلم بلفظ: ((ولو استعمل عليكم عبد يهودكم بكتاب الله، فاسمعوا له وأطيعوا))، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية برقم [١٨٣٨] [١٤٦٨/٣].

(٢) النصيحة للراعي والرعية للتبريزي (ص ٦٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه معلقاً، كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته القضاء أو قبل ذلك للخصم (٦/٢٦٢٢).

(٤) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٤٨).

أن موضوع الكتاب قد لا يُسَعَفه الاستدلال المباشر بالقرآن، الأمر الذي يصيرُه إلى صريح السنة في المسألة، والسنة شارحةٌ للقرآن كما لا يخفى، يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "عليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له" (١).

### ثالثاً: الإجماع:

أوضحت نتائج الدراسة أن المصدر الثالث من مصادر الاستدلال جاء في المرتبة الرابعة من حيث التكرار، حيث بلغ التكرار عند المتقدمين من مجموع العينة (١٤٦) مرة فحسب، وبنسبة (٢, ٣٪) من إجمالي تكرار مصادر الاستدلال عندهم.

كما أن المصدر نفسه يأخذ الدرجة نفسها عند المتأخرين حيث بلغ تكراره فيها (٦٤) مرة فقط، أي بنسبة (٧, ٣٪) من إجمالي تكرارات مصادر الاستدلال عند متأخري المصنفين، وهذا يدل على أن العلاقة بين المتقدمين والمتأخرين في هذا الأمر علاقة تماثل.

وتعزو الدراسة قلة هذا المصدر في تلك الكتب إلى أن تلك المصنفات في عامتها كتب وعظ وإرشاد وتذكير، وتناولها لمسائل الخلاف التي يشار فيها إلى موضوع الإجماع قليل، بل إن بعضها لا تُذكر فيها المسألة الفقهية البتة، كما في كتاب "الذهب المسبوك" للحميدي رَحِمَهُ اللهُ، وبعضها لم يُشر إلى الإجماع في طي كتابه أبداً، كما في "واسطة السلوك" لأبي حمو رَحِمَهُ اللهُ.

ومن شواهد مسائل ذكر الإجماع في تلك المصنفات قول الماوردي رَحِمَهُ اللهُ في تحريم الزنا: "فأما الفواحش المحرمة في الدين بالاتفاق، والتي يقع فيها قطع النسل وفساد

(١) تفسير ابن كثير (٤/١).

الأنساب...<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً في الخمر: "وأما الشرب فقد أجمعت الأمة ونطقت الآية<sup>(٢)</sup> بتحريم الخمر"<sup>(٣)</sup>، وقول الطرطوشي رحمته الله في وجوب هدم الكنائس التي بنيت بعد الإسلام: "وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين"<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك أيضاً الاتفاق على منزلة السلطان في الأرض، يقول الوزير أبو سالم رحمته الله في "العقد الفريد": "وهو بالاتفاق ظل الله في أرضه، وبه تقام الشرائع سننه وفرضه، وعلى الحملة فشراف السلطنة جسيم، وقدرها عظيم، ومحملها كريم، ونفعها عميم"<sup>(٥)</sup>.

ومن استدل بالإجماع في تصنيفه الخرميتي رحمته الله في مسألة حرمة مال الخراج وتقييد التصرف فيه، يقول في ذلك: "من رأى أن الخراج ملك السلطان فقد كفر، لو ترك السلطان لرجل خراج أرضه يجوز عند أبي يوسف، وعليه الفتوى، وعند محمد لا يجوز، ولو وهب العشر منه لا يجوز بالإجماع..."<sup>(٦)</sup>. وفي حكم ربا النسب يقول أبو حامد المقدسي رحمته الله في "بذل النصائح": "... وهو ذريعة إلى ربا النساء المتفق على تحريمه..."<sup>(٧)</sup>.

ومن أبرز الكتب التي أكثرت من الاستدلال بالإجماع كتاب "بدائع السلك" لابن الأزرق رحمته الله؛ لأن هذا الكتاب موسوعة في الفقه، والوعظ، والأحكام، والسياسة

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٩).

(٢) يقصد قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

(٣) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٩)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ١٨١).

(٤) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٥٨).

(٥) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٥).

(٦) الدررة الغراء للخرميتي (ص ٢٧١).

(٧) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ٢٦٣).

الشرعية، وهو من أطول كتب المناصحة في المضمون والمحتوى، حيث بلغت مسائل الإجماع فيه اثنتين وخمسين مسألة، ومن شواهد ذلك قوله: "اتفق العلماء في أن التعزير مشروع في كل معصية ليس فيها حد بحسب الجناية في العظم والصغر، وحسب الجاني في الشر وعدمه"<sup>(١)</sup>.

أما كتب المتأخرين فيأتي في مقدمتهم صاحب "إكليل الكرامة"، ومن الشواهد فيه قوله: "والقصاص في الجراح أيضاً ثابت في الكتاب والسنة والإجماع"<sup>(٢)</sup>، وقوله في حكم تنصيب الأئمة: "... وهذا معلوم لا يخالف فيه أحد، بل هو إجماع المسلمين أجمعين منذ قبض رسول الله ﷺ إلى هذه الغاية..."<sup>(٣)</sup>، ويليه رتبة كتاب "معاملة الحكام" للدكتور عبدالسلام البرجس رحمته الله، ومثاله نقله في وجوب مبايعة الإمام المتغلب وطاعته إجماع العلماء، في قوله: "وقد حكى الإجماع على ذلك الحافظ ابن حجر... وقد حكى الإجماع أيضاً شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب"<sup>(٤)</sup>.

ويبقى الإجماع من أقل الأدلة استعمالاً عند مصنفي كتب المناصحة.

#### رابعاً: القياس:

أبانت نتائج الدراسة أن القياس جاء عند المتقدمين في المرتبة الثالثة قبل الإجماع، حيث بلغ عدد تكراره من مجموع العينة (٣٤٦) مرة، وبنسبة (٦,٧٪) وهو يماثل المتأخرين في مرتبة الاستدلال بالقياس، حيث بلغ عدد تكراره عندهم (١٢٠) مرة،

(١) بدائع السلك لابن الأزرق (٢/١٥٥).

(٢) إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٢٣٧)

(٣) المصدر السابق (ص ١٠٤).

(٤) معاملة الحكام لعبدالسلام البرجس (ص ٢٧).

وبنسبة (٩، ٦٪).

إن وجود الاستدلال بالقياس في تلك المصنفات من الأهمية بمكان؛ ذلك أنها تناقش مسألة الإمامة المرتبطة بكثرة النوازل وتحقيق المصالح ودفع المفسد، وقد كان القياس حاضراً في بديهة مؤلفي تلك المصنفات، ويكفي شاهداً على ذلك أن الماوردي رحمته الله استهل كتابه بقياس الأولى قائلاً: "فالملوك أولى الناس بأن تهدي إليهم النصائح، وأحقهم بأن يتخولوا بالمواعظ؛ إذ كان في صلاحهم صلاح الرعية، وفي فسادهم فساد البرية.."<sup>(١)</sup>، وهذا هو قياس الأولى.

ومن أمثلة القياس قول الثعالبي رحمته الله في "تحفة الوزراء": "قد جرت عادة الملوك باستيزار الواحد والاثنين فصاعداً من الوزراء والجمع بينهم في زمان واحد، وذلك خطل من الرأي، وخطأ في التدبير، وفيه خطر على المملكة، إذ لا يسع الغمد سيفين، وكثرة الأيدي في الصلاح فساد، وفي أمثال العامة: من كثرة الملاحين غرقت السفينة، وأجل الأقوال وأحسنها وأصدقها قول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(٢)</sup>، وإذا كانت الوزارة تالية للملك، فكما لا يصلح ملكان في مملكة لا يصلح وزيران في دولة"<sup>(٣)</sup>.

كما يجيء القياس حاضراً في جمهور المسائل الفقهية المتعلقة بالأحكام، والعبادات، والمعاملات، والسياسة الشرعية، ومن المصنفات التي غلبت عليه مسحة الفقه كتاب "تحفة الترك" و"الدرة الغراء" و"العقد الفريد للملك السعيد" و"بدائع السلك"، ولم يخل

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٣ - ٣٤).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٢٢).

(٣) تحفة الوزراء للثعالبي (ص ٥٣).

جميعها من هذا المصدر إلا تلك الكتب التي اقتصرت على الأثر، مثل: "فضيلة العادلين" للحافظ أبي نعيم رحمته الله، أو التي قصرت القول على القصص والحكاية الرمزية، مثل: كتاب: "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" لابن عربشاه، وغيره.

ومن شواهد بديع القياس في تلك الكتب قول الماوردي رحمته الله: "فإذا ولد المولود فإن أول كراماته له، وبره به أن يحلّيه باسم حسن، وكنية لطيفة شريفة، فإن للاسم الحسن موقعاً في النفوس مع أول سماعه. وكذلك أمر الله عباده وأوجب عليهم أن يدعوه بالأسماء الحسنى فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾<sup>(١)</sup>، ... واختيار النبي صلى الله عليه وسلم أسماء أولاده اختياراً، وأثرها إثارةً، ونحل محمد ابن الحنفية اسمه بعد ذلك، تشريفاً له وإجلالاً وإكراماً وإفضالاً"<sup>(٢)</sup>.

ومن قياسهم قول الخرميتي رحمته الله في "الدرة الغراء": "المرأة الباغية تُقاتل! أخذت وحبست ولا تقتل، وإن قتلت في المحاربة جاز كما في الحربية ..."<sup>(٣)</sup>، وقول الطرسوسي رحمته الله في حكم قتل الفئة الباغية: "... ومن أسر من أهل البغي فليس للإمام أن يُبيح قتله إذا كان يعلم أنه لو لم يقتله لم يلحق إلى فئة ممتعة، أما إذا كان يعلم أنه لو لم يقتله للحق إلى فئة ممتعة جاز له ذلك؛ لأن في هذه الصورة ما يندفع به قتاله معنى، وهو نظير الأسير المشرك إذا علم الإمام منه أنه لو استرقه يعود إليهم فإنه يقتله - كذا بها"<sup>(٤)</sup>.

ومن القياس عند المتأخرين قول خير الدين التونسي رحمته الله وهو يبحث ولاية الأمر على

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٠٠ - ٢٠١).

(٣) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٥٥).

(٤) تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٣٥ - ١٣٦).

الاستفادة من حضارة الغرب في أمور الدنيا: "وكل متمسك بديانة وإن كان يرى غيره ضالاً في ديانته، فذلك لا يمنعه من الاقتداء به فيما يستحسن في نفسه من أعماله المتعلقة بالمصالح الدنيوية، كما تفعله الأمة الإفرنجية؛ فإنهم ما زالوا يقتدون بغيرهم في كل ما يرونه حسناً من أعماله، حتى بلغوا في استقامة نظام دنياهم إلى ما هو مشاهد... ولما أشار سلمان الفارسي عليه السلام على رسول الله ﷺ بأن عادة الفرس أن يطوقوا مدنهم بخندق حين يحاصرهم العدو اتقاء من هجومه عليهم، أخذ رسول الله ﷺ برأيه، وحفر خندقاً للمدينة في غزوة الأحزاب، عمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين..."<sup>(١)</sup>.

إن اهتمام كتب المتقدمين والمتأخرين بهذا المصدر في مصنفاتهم يعكس أهلية القائمين في هذا الباب العظيم، ويدل على قدرتهم على استيعاب مسائل المصلحة وقيامهم بحق النازلة، كما يدل على قوتهم على ضم مستجدات المجال الذي يصوغون فيه منهجهم.

خامساً: أقوال العلماء:

أبرزت الدراسة في نتائجها التحليلية أن الاستشهاد بأقوال العلماء عند المتقدمين يأتي في المرتبة الثالثة بتكرار قدره (٩١٨) مرة، وبنسبة مئوية قدرها (٣،٢٠٪)، بينما يتقدم ترتيبه عند المتأخرين إلى المرتبة الثانية بتكرار قدره (٥٦٧) مرة، وبنسبة مئوية قدرها (٧،٣٢٪)، فالعلاقة بين المتقدمين والمتأخرين هنا علاقة تفاضل.

تمتلى مضامين مصنفات المناصحة بشواهد النقل عن علماء الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وعن الأئمة الأربعة، وجمهور الفقهاء، ومجتهدي المذاهب الفقهية، وعن فقهاء المحدثين، ومحدثي الفقهاء، ويُعدُّ النقل عن العلماء في تلك الكتب من السمات

(١) السالك إلى أقوم المسالك لخير الدين التونسي (ص ٨٨)، والقصة رواها البخاري في صحيحه، كتاب الشروط،

باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط برقم [٢٥٨١] (٢/٩٧٤).

التي يستدل بها على مذهب مصنفها الفقهي.

ومن شواهد استشهاد المصنفين بأقوال الصحابة قول الماوردي رحمته الله في النبذ: "وردت الرخصة والروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأهل القدوة من الصحابة والتابعين، والعلماء المتقدمين دلالة وتصريحاً في إباحة بعضه والزبيبي خاصة؛ فالأحوط في الدين تركها بكليتها، ومجانبتها بجملتها لما يتوقع فيها من الفساد، ومن لم يسلك هذا المسلك فالمختلف فيه أقرب من الحق، وأشبه من المتفق على تحريمه"<sup>(١)</sup>، وفي هذا النص شاهد على قول الصحابي، والتابعي، وسائر العلماء.

كما ينقل الماوردي رحمته الله أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أخلاق الولاة قوله: "لا يصلح أن يلي أمر الأمة إلا حصيف العقدة"<sup>(٢)</sup>، قليل الغرة، بعيد الهممة، لا يخشى في الله لومة لائم، ثم يكون شديداً من غير عنف، ليناً من غير ضعف، جواداً من غير سرف"<sup>(٣)</sup>. وفي حكم هدم الكنائس بعد الإسلام يستدل الطرطوشي رحمته الله بحكم عمر رضي الله عنه فيقول: "فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام، ومنع أن تحدث كنيسة، وأمر ألا تظهر عليّة<sup>(٤)</sup> خارجة من كنيسة، ولا يظهر صليب خارج من كنيسة إلا كسر على رأس صاحبه"<sup>(٥)</sup>، وعندما تطرق الحسن العباسي رحمته الله في "آثار الأول" إلى حكم الشطرنج قال: "والشطرنج مختلف فيه، والأظهر من مذهب الشافعي إباحته، إذ لم يثبت فيه نص،

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٦٠).

(٢) أي: ما عقد عليه من رأي وعزم. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٣٩٦).

(٣) درر السلوك للماوردي (ص ١٠٦).

(٤) العليّة معناها: الغرفة. انظر: تهذيب اللغة للأزهري، مادة (علي) (٣/١١٩).

(٥) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٥٨).

ونقل أن الصحابة كانت تلعب به، كعبدالله بن جعفر، وغيره" (١).

أما مثال الاستشهاد بقول التابعي، فينقل الطرطوشي رحمته الله عن الحسن رحمته الله قوله في هدم الكنائس: "قال الحسن رحمته الله: من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثه" (٢)، كما ينقل عن عمر بن عبدالعزيز رحمته الله في الحلم قوله: "ما قرن شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة" (٣)، وكذا نقل ابن الأزرق رحمته الله في "بدائع السلك" عن سفيان الثوري رحمته الله في فقه الفتيا قوله: "إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد" (٤).

ومن منهج الاستشهاد عندهم أنهم يقدمون قول أئمة مذاهبهم في النقل، سواء أكان صاحب المذهب كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، أم كان من كبراء علماء مذاهبهم كأبي يوسف، والحسن في مذهب الحنفية - رحمهم الله -، ومن ماثلهم في المذاهب الأخرى، ومن شواهد استشهادهم بقول الأئمة الكبار، قول الطرطوشي رحمته الله في تقدير الجزية: "وقال مالك رحمته الله: يؤخذ من الموسرين أربعون درهماً، ومن الفقير دينار وعشرة دراهم" (٥).

وفي حكم الدف يبتدأ الحسن العباسي رحمته الله باختيار الشافعي رحمته الله بقوله: "فأما المباح منه والمنهي عنه فللفقهاء فيه اختلاف، فمذهب الإمام الشافعي رحمته الله يباح الدف واليراع، وهي الشبابة... " (٦)، وفي شرائط الجمعة يستفتح الخرميتي رحمته الله الفصل بقوله: "ويشترط

(١) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٢٥٨).

(٢) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٥٨).

(٣) المصدر السابق (ص ١٩٢).

(٤) بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢٤٣).

(٥) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٥٦).

(٦) آثار الأول للحسن العباسي (ص ٢٤٩).

لأداء الجمعة المصر عند أبي حنيفة ...<sup>(١)</sup>.

ومن شاهد نقلهم عن أئمة مذاهبهم قول الطرسوسي رحمته الله في حكم الفرار: "قال محمد بن الحسن رحمته الله: لا أحب للرجل من المسلمين أن يفر من رجلين من المشركين، ولا بأس بأن يفر من ثلاثة أو أكثر"<sup>(٢)</sup>، وقوله في تحريم اختصاص الملوك بهدايا الحربيين: "وهذه المسألة منقولة عن أصحابنا منتقلاً صريحاً لا خفاء فيه، قال في شرح "السير الكبير" لمحمد بن الحسن الشيباني: "باب هدية أهل الحرب": "وإذا بعث ملك العدو إلى أمير الجند بهدية فلا بأس بأن يقبلها وتصير فيئاً للمسلمين ..."<sup>(٣)</sup>، وقال الخرميني رحمته الله في حد البلد الذي تقام فيه الجمعة: "وعن أبي يوسف رحمته الله: كل موضع له أميرٌ، وقاضٍ ينفذ الأحكام، وهو مختار الكرخي. وعنه أيضاً يبلغ سكانه عشرة آلاف"<sup>(٤)</sup>.

كما أن المصنفين يستحضرون النقل عن متأخري المحققين كالشاطبي، وشيخ الإسلام بن تيمية، وابن القيم وغيرهم، ومن شاهد ذلك قول ابن الأزرق رحمته الله في أدب الفتيا: "قال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي: المفتي البالغ ذروة الدرجة، هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط، فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال"<sup>(٥)</sup>، ومثله ما نقل ابن طوغان الحنفي رحمته الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في مسألة عذاب القبر، هل هو على الروح أو على البدن؟ وصدر ذلك بقوله: "قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن سئل عن هذه المسألة، فأجاب: بل العذاب والنعيم

(١) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٦٦).

(٢) تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٤٦).

(٣) المصدر السابق (ص ١٢٦).

(٤) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٦٧).

(٥) بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٢٤٢).

على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة...<sup>(١)</sup>.

ومن طرائق نقلهم عن العلماء إيهام الأسماء في صيغة الجمع، مثل قول الماوردي رحمته الله في حكم الحُجَّاب: "وأجازه آخرون..."<sup>(٢)</sup>، وقوله في حكم السماع: "وأما السماع من المزامر، والطنابير، والمعازف، فإن الناس قد اختلفوا فيه، فحرمه كثيرٌ منهم، وتحرَّج عنه عامة أهل الدين والورع والفضل..."<sup>(٣)</sup>، وقول الطرطوشي رحمته الله في تقدير الجزية: "وقال بعضهم: يجوز أن يساوي بينهم من كل واحد دينار"<sup>(٤)</sup>، وقول ابن طوغان رحمته الله في مكان أرواح المؤمنين: "وذهب طائفة من العلماء إلى أن أرواح المؤمنين في بئر زمزم، ولم أطلع على دليل يدل على هذا القول"<sup>(٥)</sup>.

لا يرجئ المصنفون النقل عن سائر المذاهب الفقهية الأخرى في المسألة التي يذهبون إليها، أو أن يшиروا إلى الخلاف فيها، وهي قضية لا ترتفع إلى درجة الظهور، ومن أمثلة ذلك قول ابن الأعرج الشافعي رحمته الله: "وأما الحج فلا يتصور تأخيره عن الوقت إلا بالموت عند من يقول بوجوبه على التراخي كالشافعي، وعند القائلين بوجوبه على الفور كأبي حنيفة، ومالك في المشهور عنهم، وأحمد في أظهر روايته - وإن كان يتصور تأخيره عن وقته - لا يقتل به ولا يعزر على إهماله؛ لأن فعله بعد الوقت الأول يكون أداءً لا قضاءً، فإن مات قبل أدائه حج عنه في ماله..."<sup>(٦)</sup>، ومثله الطرسوسي الحنفي رحمته الله الذي نقل عن

(١) البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١٥٠).

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٥٧).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٦٠).

(٤) سراج الملوك للطرطوشي (٣٥٦).

(٥) البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١٣٤).

(٦) تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٦٠ - ٦١).

السبكي وبدر الدين بن جماعة وهم شافعية<sup>(١)</sup>، وعن ابن تيمية والمرداوي وهم من الحنابلة<sup>(٢)</sup>.

أما المتأخرون فلم يخرجوا عن طريقة المتقدمين في الاستشهاد بقول الصحابة والتابعين، وشاهد ذلك قول صديق حسن خان رحمته الله في قوله رحمته الله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>: "قال أهل العلم: لفظ (من) من صيغ العموم، فيفيد أن هذا غير مختص بطائفة معينة، بل لكل من ولي الحكم وهو الأولى، وبه قال السدي رحمته الله، وقيل: إنها مختصة بأهل الكتاب، وقيل: بالكفار مطلقاً؛ لأن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبيرة، وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة رحمته الله والضحاك رحمته الله، وقال ابن مسعود والحسن رحمته الله والنخعي رحمته الله: هذه الآيات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الأمة..."<sup>(٤)</sup>، ومثال شاهده في النقل عن أئمة المذاهب، قوله في ضابط السياسة: "قال الشافعي رحمته الله: لا سياسة إلا ما وافق الشرع"<sup>(٥)</sup>، وأما النقل عن علماء المذاهب والمحققين ففي قوله: "قال أبو الوفاء ابن عقيل رحمته الله: السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يصنعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحياً"<sup>(٦)</sup>، ونقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في تعطيل الحدود قوله: "أجمعوا على أن تعطيل الحد بهال يؤخذ لا يجوز، وأجمعوا على أنه مال سحت خبيث، وأن ذلك سبب سقوط حرمة السلطان،

(١) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٢٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٩٣).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٤).

(٤) إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٧٧).

(٥) المصدر السابق (ص ١٢٩).

(٦) المصدر السابق (ص ١٢٩).

وسقوط قدره من القلوب، وانحلال أمره<sup>(١)</sup>، وهو يكثر في النقل عن الشوكاني رحمته الله<sup>(٢)</sup>.  
ومن الشاهد عن المتأخرين نقل خير الدين التونسي رحمته الله عن العلماء في جواز الأخذ  
عن غير المسلمين فيما يخص أمر الدنيا: "وفي "سنن المهتدين" للعلامة الشيخ المواق المالكي  
ما نصه: إن ما نهينا عنه من أعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا، أما ما فعلوه  
على وفق الندب، أو الإيجاب، أو الإباحة، فإننا لا نتركه لأجل تعاطيهم إياه؛ لأن الشرع لم  
ينه عن التشبه بمن يفعل ما أذن الله فيه. وفي حاشية "الدر المختار" للشيخ العلامة الشيخ  
محمد بن عابدين الحنفي رحمته الله ما نصه: إن صورة المشابهة فيما تعلق به صلاح العباد لا  
تضر..."<sup>(٣)</sup>.

إن مسألة الاستشهاد بقول العالم بينة الظهور، حاضرة وبكثرة في تلك المصنفات،  
فالمؤلف لا يتأخر عن استدعاء قول العالم من الصحابة، والتابعين، وأئمة المذاهب،  
وجمهور الفقهاء، حال قيام المقتضي لذلك، واستدعاء حاجة المقام إليه.

ويستنتج الباحث من خلال مناقشة نتائج تحليل المحور الأول ما يأتي:

أولاً: يأخذ الاستدلال بالقرآن الصدارة عند المتقدمين عدداً ومحلاً؛ وذلك أنهم استحضروا  
حال تأليفهم تصحيح مسار الكتابة في هذا الباب؛ فأثمر ذلك سلامة المنهج الاستدلالي  
عندهم.

ثانياً: تأخر الاستدلال عند المتأخرين بالقرآن لا يعني إرجاءه، فالأمر عندهم متعلق بعدد

(١) إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ١١٨ - ١١٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٥٢، ٩١، ١٠٥، ١١٦، ١١٧، ٢٦٧).

(٣) السالك إلى أقوم المسالك للتونسي (ص ٨٩).

الآيات، وهذه مسألة يفرضها سببان:

١- أن المسألة التي يستدل بها المتأخر قد لا يكون في صريح القرآن ما يدل عليها، وهي مسائل تكثر عند المتأخرين مثل: مسألة البيعة، ولزوم الجماعة، ومحاربة الإرهاب، ونحو ذلك.

٢- امتاز المتقدمون - كما هو معلوم في غالب الفنون - بالاستطراد في ذكر الآيات موضع الاستدلال، فالماوردي رحمته الله - على سبيل المثال - استدل على فضيلة الملك بنحو عشر آيات متتالية.

ثالثاً: أخذت السنة المرتبة الثانية عند المتقدمين، وهذا مطابق لترتيبها المصدرى بعد القرآن، والمصنفون أنفسهم أرادوا بذلك ربط تلك الكتب وتصحيح المرجعية فيها، بينما تقدم المتأخرون عليهم في الترتيب العددي، وهذا راجع إلى طبيعة الموضوعات مع طريقة الاستشهاد.

رابعاً: كان لطبيعة الكاتين أثر في ظهور السنة بين طياتها، فالمحدثون قد شاركوا في كتب المناصحة، كما شارك الفقهاء، والقضاة، والوزراء، والأدباء، والملوك وغيرهم، الأمر الذي أظهر شأن السنة فيها، سواء أكانت منفصلة في كتاب كما هو الحال مع "فضيلة العادلين" لأبي نعيم رحمته الله، و"النصيحة للراعي والرعية" للتبريزي رحمته الله، أم مضمنة في طياتها كما فعل الحافظ المقدسي رحمته الله في "نصيحة الملك الأشرف"، أو الشيخ صديق حسن خان رحمته الله في "إكليل الكرامة"، والدكتور عبدالسلام البرجس رحمته الله في "معاملة الحكام".

خامساً: خلصت الدراسة إلى قلة الاستدلال بالإجماع عند المتقدمين والمتأخرين، وهذا راجع إلى سببين:

١ - أن الكتب ليست محلاً للبحث الفقهي.

٢ - أن الدليل الظاهر يغني عن ذكر الإجماع؛ ذلك أن الإجماع في حقيقته مبني على دليل ولو خفي<sup>(١)</sup>.

سادساً: حضور القياس في مصنفات المتقدمين والمتأخرين ظاهر، وقد جاء عند المتقدمين والمتأخرين على نفس الدرجة، مما يدل على أن وجه العلاقة بينهما علاقة تماثل وتطابق في المنهج الاستدلالي به.

سابعاً: تكشف طبيعة الكاتبين عن سبب حضور القياس في كتاباتهم، فالماوردي، والطرطوشي، والطرسوسي، والخرميني، وابن الأزرق، كلهم من كبار فقهاء مذاهبهم، كما أن طبيعة المجال الذي يكتبون فيه - أعني مجال السياسة الشرعية - يقضي بوجوده في مسائلهم.

ثامناً: غني عن الإثبات ظهور الاستشهاد عند المتقدمين والمتأخرين بأقوال العلماء من الصحابة، والتابعين، وأئمة المذاهب، وجمهور الفقهاء، وفقهاء المحدثين، ومحدثي الفقهاء، وهذا يعكس إيمان الكاتبين بعظم السبيل الذي سلكوه وأهميته، فالحديث عن الإمامة مرتبط بمصلحة العامة، وهذا لا يفسح الطريق لبنيات الأفكار، وشذوذات الأقوال، وبدع الاجتهاد التي لا سالف لها.

(١) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (٢/٢٧٨).

## المطلب الثاني

### مناقشة نتائج الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

يشتمل هذا المطلب على مناقشة أهم النتائج لتحليل دراسة محور الأساليب الدعوية في مناصحة أئمة المسلمين وفق عناصر الاستمارة المقررة على ضوء الآتي:

أولاً: الترغيب:

توضح نتائج التحليل أن أسلوب الترغيب عند المتقدمين يأتي في المرتبة الأولى بتكرار (٨٨٤) مرة، وبنسبة (٢٥،٤٪)، ويقال ذلك أيضاً في كتب المتأخرين حيث يتبوأ أسلوب الترغيب المرتبة الأولى في الكم العددي بواقع تكراره (٤٠٩) مرة، وبنسبة (٢١،٩٪)، وهذا يعطي نتيجة بأن العلاقة هنا بين المتقدمين والمتأخرين علاقة تماثل.

إن رجحان كفة أسلوب الترغيب في مصنفات المناصحة يكشف للمتأمل الفقه الدعوي الذي يتسم به أولئك العلماء في مصنفاتهم، ومراعاتهم لمقام من يخاطبون، وهذا يثبت حضور الحكمة في دعوتهم.

لم يكن تغليب جانب الترغيب وتقدمه بين تلك العناصر كلها في عامة المصنفات نتيجة تترجها المزاولة العملية لتلك المصنفات فحسب، بل إنها كانت مبدأً يصرحون به في كتبهم، خاصة في مناصحة الملوك والأئمة، يقول سبط ابن الجوزي رحمته الله: "وينبغي لمن يذكر السلطان أن يجعل موعظته ممزوجة بذكر فضل الولاية، كما قال بعض القدماء لبعض الخلفاء: إن الله تعالى لم يجعل أحداً فوقك، فلا ترض أن يكون أحد الله أشكر منك"<sup>(١)</sup>.

ومن بديع الحكمة في ترجيح باب الترغيب أنهم لا يكادون يذكرون تحذيراً إلا به،

(١) المجلس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٠١).

ولا يُجعل ترهيباً إلا بعده، ومن أمثلة ذلك أن ابن الجوزي رحمته الله لم يعقد باباً في التحذير من الظلم، حتى عقد باباً قبله فجعله ترغيباً في العدل، وهذا في كتبه "المصباح المضيء"<sup>(١)</sup>، و"الشفاء"<sup>(٢)</sup>، وتبعه على ذلك سبط ابن الجوزي رحمته الله في "الجلس الصالح"<sup>(٣)</sup>.

ومن صور ترجيح الترغيب أن المصنفين يستعملون فيه كل ما يستميل قلب المنصوح إلى قبول الحق من صالح الأقوال وجميل الأحوال، يقول سبط ابن الجوزي رحمته الله في توصية الواعظ بترغيب الملك: "وخصوصاً إن كان الواعظ في جمع، فإنه يجب عليه أن يعظم سلطانه، فإن السلاطين إنما استتروا عن العوام لتبقى هيبتهم، ولتكن الموعدة للسلطان في خلوة، ولو كانت في مكتوب كان أصلح، وليُحذر من كاف المخاطبة، أو من التويل في الكلام، وليبالغ في حفظ الأدب"<sup>(٤)</sup>.

ومنه بيان عظم منزلة الولاية عند الله إذا استقاموا على أمره، وقد عقد الطرطوشي رحمته الله باباً في ذلك وسمه بـ: "في فضل الولاية والقضاة إذا عدلوا"<sup>(٥)</sup>، ثم ساق الأدلة والأحاديث في فضلهم وأجرهم عند الله متبعاً ذلك بقوله: "واعلم - أرشدك الله - أن الإنسان أعز جواهر الدنيا وأعلاها قدراً وأشرفها منزلة، وبالسلطان صلاح الإنسان، إذا فهو أعز أعلق الدنيا وأعمها بركة، وكذلك خلق الله تعالى دارين: دار الدنيا ودار الآخرة، ثم كان السلطان صلاح الدارين، فأخلق بشخص يعم نفعه البلاد والعباد، ويصلح بصلاحه الدنيا والآخرة، أن يكون شرفه عند الله عظيماً، كما كان قدره في العقول جسيماً، ومقامه

(١) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ١٧٧ - ٢٠١).

(٢) الشفاء لابن الجوزي (ص ٤٥ - ٥٤).

(٣) المجلس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٦٣ - ٨٥).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٠١).

(٥) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٠٦).

عند الله كريماً، كما كان نفعه للعباد عميماً، وعلى قدر عموم المنفعة تشرف الأعمال، وعلى قدر النعمة تكون المنة"<sup>(١)</sup>.

ويقاربه ابن الجوزي رحمته الله في قوله: "وإذ قد بان شرف الخلافة، فليعلم أنه ليس بعد النبوة رتبة أشرف منها، فهي أشرف الولايات، ومراعاة حقوقها أفضل العبادات، ومن أراد أن يعرف شرف الخلافة فلينظر في ثمرتها؛ فإنما يعرف شرف الشيء بثمرته"<sup>(٢)</sup>.

ومن شواهد الترغيب في مصنفتهم حث الولاة والسلاطين على الإنفاق، يقول صديق حسن خان في "الإكليل": "ومن الترغيب الإنفاق العام الصادق على كل نوع من أنواعه، ما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قوله عن دعاء الملكين: ((اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً))<sup>(٣)</sup>، وقوله: ((أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك))<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنْ رَّبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، فهذا ترغيب في

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٠٧-١٠٨).

(٢) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ١٣٤).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٧﴾ فَسَنبَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٩﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿١٠﴾ فَسَنبَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٥-١٠] برقم [١٣٧٤/٢] (٥٢٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب المنفق والممسك برقم [١٠١٠/٢] (٧٠٠).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج فهو جائز إذا لم تكن سفيهة فإذا كانت سفيهة، لم يجوز برقم [٢٤٥١] (٩١٥/٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء برقم [١٠٢٩] (٧١٣/٢).

(٥) سورة سبأ، الآية (٣٩).

الإنفاق العام الذي يحصل الامتثال بنوع من أنواعه"<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن تغليب الترغيب واللطف في مجال مناصحة الأئمة أسد وأوفق وأولى، وهو منهج القرآن وهدى النبي ﷺ.

ثانياً: الترهيب.

خلصت الدراسة إلى أن استعمال أسلوب الترهيب دون استعمال أسلوب الترغيب في مناصحة أئمة المسلمين، على تباين في الترتيب بين كتب المتقدمين والمتأخرين، حيث يجيء عند المتقدمين في المرتبة الثانية بعد أسلوب الترغيب بتكرار قدره (٧٤٤) مرة، وبنسبة (٢١،٤٪)، أما عند المتأخرين فيأتي متأخراً في المرتبة الرابعة بتكرار (٢٧٤) ونسبة (١٤،٧٪)، وهذا يكشف تقديم المتقدمين والمتأخرين للترغيب عليه، فالعلاقة بين المتقدمين والمتأخرين في هذا الأسلوب علاقة تفاضل.

لا يستعمل المصنفون أسلوب التحذير مستقلاً في مصنفاتهم، فهم يزاوجون بينه وبين الترغيب؛ لأنهم يقصدون بذلك استنهاض هممة الملك للعمل بطاعة الله ثم القيام بمصلحة الملك، ومن ذلك أنهم كانوا لا يعقدون باباً في التحذير من الظلم إلا بعد بيان فضيلة القسط، والترغيب في العدل، وذكر بركته على الملك والمملك كما سبق.

كما أنهم يستعملون أسلوب التحذير في أفانين البلاغة لاستمالة سمع الإمام وقلبه، مع اجتناب مباشرة الخطاب في ذلك، ومنه استعمال الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ لأسلوب الالتفات في الباب الأول الذي جعله في مواعظ الملوك حيث صدره قائلاً: "لقد خاب وخسر من كان حظه من الله الدنيا.

(١) إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٣٠١-٣٠٢).

اعلم أيها الرجل - وكلنا ذلك الرجل -: أن عقول الملوك وإن كانت كباراً، إلا أنها مستغرقة بكثرة الأشغال، فتستدعي من الموعظة ما يتولج على تلك الأفكار...<sup>(١)</sup>.

إن عامة المجالات التي يستعمل فيها المصنفون أسلوب التحذير ترجع إلى ثلاث قضايا:

١ - التحذير من تقلب الدنيا بأهلها، ولفت النظر إلى حقيقتها، ومن شواهد ذلك قول الطرطوشي رحمته الله: "قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾"<sup>(٢)</sup>، فوصف الله تعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل، وأنت أيها الإنسان تعلم أنك ما أوتيت من ذلك القليل إلا قليلاً، ثم ذلك القليل إن تمتعت به ولم تعص الله فيه فهو لهو ولعب، قال الله ﷻ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ﴾"<sup>(٣)</sup>، ثم قال: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾"<sup>(٤)</sup>، فلا تتبع - أيها العاقل - هوأ قليلاً يفنى بحياة الأبد حياة لا تفنى، وشباب لا يبلى، كما قال الفضيل رحمته الله: لو كانت الدنيا ذهباً يفنى، وكانت الآخرة خزفاً يبقى، لوجب أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى؟!، تأمل بعقلك: هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أتى سليمان بن داود - عليها السلام -، حيث آتاه ملك جميع الدنيا، والإنس والجن، والطير والوحش، والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ثم زاده الله ما هو أعظم منها، فقال له ﷻ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾"<sup>(٥)</sup>، فوالله ما عدها نعمة كما

(١) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٩).

(٢) سورة النساء، الآية (٧٧).

(٣) سورة الحديد، الآية (٢٠).

(٤) سورة العنكبوت، الآية (٦٤).

(٥) سورة ص، الآية (٣٩).

عددتموها، ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها، بل قال عند ذلك: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا فصل الخطاب لمن تدبر أن يقول له ربه في معرض المنة: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدراجاً من حيث لا يعلم، هذا وقد قال لك ولسائر أهل الدنيا: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَعْلَنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>، يقاربه الغزالي رحمته الله في "التبر المسبوك" قائلاً: "ومن سحرها أنها تزين ظاهرها بمحاسنها، وتخفي محنها ومقابحها في باطنها؛ لتغر الجاهل بما يرى من ظاهرها، ومثلها مثل عجوز قبيحة المنظر، تخفي وجهها، وتلبس أحسن الثياب، وتزين وتتجمل لتفتن الخلق من بعيد، فإذا كشفوا غطاءها أو خمارها، وألقوا عنها إزارها، ندموا على محبتها؛ لما شاهدوا من فضائحها وعانوا من قبائحها"<sup>(٦)</sup>.

ومن جمع بين الترغيب والترهيب في هذا الباب الطوسي رحمته الله حين عقد فصلاً جعله "في أحوال الناس، وتقلب الأيام، ومدح سلطان العالم"<sup>(٧)</sup>، ثم أرفده قائلاً: "يتخير الله تعالى في كل عصر وزمان واحداً من بين خلقه فيضفي عليه فضائل الملك، ويزينه بها،

(١) سورة النمل، الآية (٤٠).

(٢) سورة ص، الآية (٣٩).

(٣) سورة الحجر، الآية (٩٢ - ٩٣).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٤٧).

(٥) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٩ - ٢٠).

(٦) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٤٦).

(٧) سير الملوك للطوسي (ص ٤٩).

ويكل إليه مصالح البلاد وراحة العباد، ويوصد به أبواب الفساد والاضطراب والفتنة، ويث هيبته ووقاره في أعين الورى وأفئدتهم؛ ليقضي الناس أيامهم في ظل عدله، ويعيشوا آمنين متمنين دوام ملكه، فإذا ما بدا - والعياذ بالله - من العباد عصيان واستخفاف بالشرعية، أو تقصير في طاعة الله تعالى واتباع أوامره، وأراد أن يعاقبهم ويجازيهم بأعمالهم - لا أرانا الله مثل هذه الأيام، وجنبنا هذا الإدبار - فإنه تعالى يصب عليهم جام غضبه وخذلانه بأن يجرمهم من ملك صالح يختطفه من بينهم، فتشب الفتن، وتشرع السيوف، وتهرق الدماء، ويفعل الأقوياء ما يشاؤون إلى أن يهلك المجرمون والعاصون جميعاً في أتون تلك الفتن ونزيف الدماء، ويخلو العالم منهم ويصفو، ولا مناص من أن يهلك - والحال هذه - عدد من الأبرياء بجريرة المذنبين، فحين تشتعل النار في المقصبة فإنها تلتهم اليابس كله، وقسماً كبيراً من الأخضر أيضاً بالمجاورة"<sup>(١)</sup>.

٢- الحث على النظر في أحوال الأمم السابقة، والدول الماضية، ومن شواهد ذلك أن الماوردي رحمته الله عقد باباً في "الإبانة عن الأسباب التي من جهتها يعرض الاختلال والفساد في الممالك وفي أحوال الملوك"<sup>(٢)</sup>، واستهله بقوله: "نقول إن أحوال الأمم المعروفة أخبارها، والممالك المشهورة آثارها، والملوك المنقولة إلينا أوائل أيامها وأواخرها متقاربة ومتشابهة؛ ولذلك ما روي عن نبينا ﷺ فيما وصف به حال أمته: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب

(١) سير الملوك للطوسي (ص ٤٩).

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٧٧).

تبعتموهم))<sup>(١)</sup>... " (٢).

٣- التشديد على عظم خطر الولاية، مع التحذير من الظلم ومغبته، وهذا كثير في كتب المناصحة، يقول ابن الجوزي رحمته الله: "فلأجل ما ذكرنا من وجوب العدل وعقوبة الظلم كانت الولاية خطرة، فجاءت فيها أحاديث شديدة، لكنها محمولة على من جار وظلم دون من أحسن وعدل" (٣).

وشاهد ذلك عند المتأخرين قول صاحب كتاب "إكليل الكرامة": "وقد أخبر الله صلى الله عليه وسلم عن الذي يؤتى كتابه بشماله أنه يقول: ﴿مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ۖ هَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ﴾<sup>(٤)</sup>، وغاية مرید الرياسة أن يكون كفرعون، وجامع المال أن يكون كقارون... " (٥).

ويتضح من خلال ما سبق أن كتب المتأخرين أقل استعمالاً لأسلوب التهيب من المتقدمين في خطاب مناصحتهم للملوك.

### ثالثاً: المدح والثناء:

توضح نتائج الدراسة أن أسلوب المدح والثناء يأتي عند المتقدمين في المرتبة الرابعة من أساليب تلك المصنفات المنتخبة، حيث بلغ تكراره (٨٨٤) مرة، وبنسبة (١٥،٧٪)، كما يجيء عند المتأخرين في المرتبة الثانية بتكرار قدره (٣٨٦) مرة، وبنسبة (٢٠،٧٪)،

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لتبعن سنن من

كان قبلكم)) برقم [٦٨٨٩] (٦/٢٦٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى

برقم [٢٦٦٩] (٤/٢٠٥٤).

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٧٩).

(٣) الشفاء لابن الجوزي (ص ٥٣).

(٤) سورة الحاقة، الآية (٢٨ - ٢٩).

(٥) إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ١٢).

فالعلاقة بين المتقدمين والمتأخرين في هذا الأسلوب علاقة تفاضل.

إنَّ أسلوب المدح والثناء أظهر من أن يُدَلَّ عليه عند المتقدمين والمتأخرين، فهو ديباجة الكتب ومستهلها، حتى لا تكاد تخلو مقدمات الكتب من عبارات التفضيم، وأوصاف التبجيل والإجلال للملك المنصوح، ومن شواهد ذلك قول ابن الحداد رحمته الله في مقدمة "الجوهر النفيس": "وكان الذي حداني على ذلك: ما انتشر في البلاد واشتهر بين العباد، من حسن سيرة المولى الأمير الكبير، الأسعد الأجدد، العالم، العادل، الكامل، الزاهد، العابد، المجاهد، أنخص الخواص، العامل بالإخلاص، كهف الفقراء والمساكين، ملك الأمراء والمقدمين، خالصة أمير المؤمنين، سعد الدنيا والدين، ولي الدولة البدرية، وصفي المملكة الرحيمية، خلد الله سلطانها، وأعلى في الدارين مكانها وإمكانها، أحسن الله عاقبته، وأيد ولايته في البلاد، وجميل سيرته ومعدلته بين العباد..."<sup>(١)</sup>.

ومن صور عرض الثناء عند المصنفين اقترانه بالخطاب، حيث يُرَّصَّ القول بأبهة الملك، وإجلال وصف الحكم، ومن ذلك قول الغزالي رحمته الله مخاطباً ملكشاه: "اعلم يا سلطان العالم، وملك الشرق والغرب..."<sup>(٢)</sup>.

ومن المصنفين من يجعل بقاء الذكر مقصداً من مقاصد التصنيف، وهذا من أعمقهم استعمالاً لتلك الوسيلة، يقول القلقشندي رحمته الله في تمهيد "مآثر الإنافة": "أحببت أن أخدم خزائنه العالية بتأليف في معالم الخلافة، يشتمل على دقائق حقائقها، ويتكفل بذكر لوازمها المتظرفة ولو احقها، محلياً له من جواهر المناقب المعتضدية بما يعلو به قدره، وتغلو به قيمته ويرتفع به ذكره؛ ليسير هذا التأليف بانتسابه إليه في الآفاق سير المثل، ويخلد بذكر مناقبه

(١) الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ٧٦-٧٧).

(٢) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٢-٩٣).

الشريفة ذكره على مر الدهور وتعاقب الدول، وسميته "مآثر الإنافة في معالم الخلافة"<sup>(١)</sup>، ومثله قول ابن الجوزي رحمته في "المصباح المضيء": "غير أن المقصود الأكبر ذكر مناقب هذه الأيام..."<sup>(٢)</sup>. يعني بذلك أيام الخليفة المستضيء بالله رحمته.

ومنهم من يستصحب مدح السلطان أو الملك من أول الكتاب إلى آخره، فيجعله في صدره وآخره وبين ثناياه، ومن شاهده فعل ابن الجوزي رحمته في "المصباح المضيء"، تقول الدكتورة ناجية إبراهيم: "على أن الملاحظ من كل ما تقدم أن ابن الجوزي انفرد بكتاب "المصباح المضيء" في شيء آخر، فهو إضافة إلى كونه ألفه للخليفة المستضيء بأمر الله، فقد ضمنه في أغلب أبوابه وفي بعض فصوله ذكر الخليفة المستضيء بأمر الله، والدعاء له، والإشارة إلى عهده، وذكر في مواعظه إشارات اشتملت على مديح ودعاء للخليفة المستضيء بلغ حد الإطناب، وهذه الظاهرة لم تتوفر فيما اطلعنا عليه من مؤلفات وحتى التي ذكرناها أعلاه، أما التي وضعت للخلفاء فإنها اقتصر على المدح والدعاء في فاتحة الكتاب، أو مقدمته فقط، دون التكرار مع بقية أبواب الكتاب الأخرى"<sup>(٣)</sup>.

كما يؤكد المتأخرون على أهمية المدح في النصيحة، يقول المناوي رحمته في "الجواهر المضية": "يجب على من يعاشر الملوك والرؤساء من عموم الناس ألا يقصروا في النصيحة، وإرادة الخير بالقلب واللسان، وأن يبذلوا غاية مجهودهم في إفشاء محامدهم وستر معائبهم... وينبغي أن يمدح المخدم بكل ما صدر عنه بالصدق والصواب؛ فإن كل أمر في الدنيا لا بد له من وجهين: جميل وقبيح، فيطلب الجميل في كل شيء وينسبه إلى مخدمه، ويتوفر

(١) مآثر الإنافة للقلقشندي (١/٤).

(٢) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٨٤).

(٣) ابن الجوزي وكتابه المصباح المضيء لناجية إبراهيم (ص ٢٧٣).

على ذكر محامده دائماً، حضوراً وغيبة...<sup>(١)</sup>.

لا شك أن أسلوب المدح من الأساليب الدعوية النافعة "إذا تحققت ضوابط المدح، فإن الممدوح لا يزداد بها إلا كمالاً، إما بالنشاط في الخير والازدياد منه، أو بالدوام عليه، خاصة إذا كان المادح من ذوي المكانة والحكمة الذين يقدرون الأمور بقدرها، ويحرصون على درء المفسد وجلب المصالح"<sup>(٢)</sup>.

وإن مما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنه قد ورد في السنة ما يدل على إباحة المدح من فعل النبي ﷺ وقوله، ومن ذلك ما ثبت عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كنت غلاماً شاباً، وكنت أنام في المسجد على عهد الرسول ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعود بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر، فقال لي: لم ترع، فقصصتها على حفصة فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال: ((نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل))، فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً"<sup>(٣)</sup>، وهذا صريح في إباحة المدح.

كما ورد في ذلك أيضاً النهي عنه، فعن أبي معمر رضي الله عنه قال: "قام رجل يشني على أمير من الأمراء، فجعل المقداد رضي الله عنه يحثي عليه التراب، وقال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب"<sup>(٤)</sup>.

والجمع بين القولين - والله أعلم - أن المدح المذموم ما كان كذباً خلاف الواقع، أو

(١) الجواهر المضية للمناوي (ص ٣١١).

(٢) أهمية أسلوب المدح في الدعوة إلى الله وضوابطه، إعداد: د. حمود بن جابر بن مبارك الحارثي (ص ٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل برقم [١٠٧٠] (١/٣٧٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط برقم [٣٠٠٢] (٤/٢٢٩٧).

خشي منه فتن الممدوح ولو صدق المادح، أما إن كان المدح من رجل صادق لإنسان لا تخشى عليه الفتنة فلا بأس<sup>(١)</sup>، ويأخذ بعده المباح حكم غايته، فإن أدى المدح إلى حمل الممدوح على فعل مستحب، استحب، أو على واجب، وجب، وهكذا<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن يُضبط المدح المشروع بثلاثة ضوابط هي:

١- أن يكون الممدوح أهلاً لما يقال فيه على الحقيقة<sup>(٣)</sup>.

٢- التوسط في المدح وعدم مجاوزة الحد فيه، قال رحمه الله: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا عبدالله ورسوله))<sup>(٤)</sup>.

٣- الأمن من فتنة الممدوح، فإن كان هذا المدح يدعو إلى كبر الممدوح وإعجابه حرم، وكل ما أدى إلى حرام فهو حرام، يقول النووي رحمته الله: "قال العلماء: وطريقة الجمع بينهما - أي التحريم والإذن - أن النهي محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهى في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كتشيطه للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به، كان مستحباً"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/٢٣٠).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/١٢٥).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/٤٧٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب {واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها} [مريم: ١٦] برقم

[٣٢٦١] (٣/١٢٧١).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/١٢٦).

ولا يشك من معه مسكة من عقل، أن مدح الملوك مع العدل والصدق من الوسائل التي يتحقق بها مصالح العباد؛ لما يتركه ذلك من إعزازهم، والتأكيد على هيبتهم، ثم استمالة قلوبهم لمحبة رعيتهم، ومحبة رعيتهم لهم.

#### رابعاً: التعريض:

توضح نتائج تحليل الدراسة أن أسلوب التعريض في كتب مناصحة أئمة المسلمين عند المتقدمين يأتي في المرتبة الأخيرة، فهو أقل الأساليب المستخدمة عند المتقدمين، حيث بلغ تكراره (٢٦٥) مرة، وبنسبة (٧،٩٪)، كما أنه يجيء عند المتأخرين في المرتبة نفسها، حيث بلغ تكراره (١٦٧) مرة، وبنسبة مئوية قدرها (٧،٨٪)، فالعلاقة بين كتب المتقدمين والمتأخرين في استعمال هذا الأسلوب علاقة تماثل.

لم يُكثر العلماء في مناصحة أئمة المسلمين من استخدام هذا الأسلوب، وإن كانوا يؤكدون عليه عند الحاجة إليه، يقول ابن الجوزي رحمته الله: "ينبغي لمن وعظ سلطاناً أن يبالغ في التطفل، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم، فإن السلاطين حظهم التفرد بالقهر والغلبة، فإذا جرى نوع توبيخ لهم، كان إذلالاً، وهم لا يحتملون ذلك، وإنما ينبغي أن يمزج وعظه بذكر شرف الولاية، وحصول الثواب في رعاية الرعايا، وذكر سير العادلين من أسلافه" <sup>(١)</sup>.

وعند التأمل في كتب المناصحة فإن غالب أسلوب التعريض المستخدم فيها هو الإشارة بالمثل، والذي تفسره قصة أبي حازم مع الزهري عند سليمان بن عبد الملك - رحمهم الله -، يقول الحميدي في "الذهب المسبوك" عندما ساق القصة بطولها: "فقال أبو

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ٣١٣).

حازم: إن بني إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء، فكانت العلماء تفر بدينها من الأمراء، فاستغنت الأمراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية، فسقطوا وانتكسوا، ولو كان علماءنا هؤلاء يصونون علمهم لم تزل الأمراء تهابهم، قال الزهري: كأنك إياي تريد وبني تعرض؟ قال: وهو ما تسمع...<sup>(١)</sup>.

ومن استخدم هذا الأسلوب الماوردي رحمته الله في "نصيحة الملوك" حيث سار عليه في حث الملوك على إقامة العدل والحرص على طاعة الله قائلاً: "ومهما شككنا في شيء، فلا شك أنه كان لله أنبياء ومرسلون وأولياء ملكوا الدنيا وقادوا العساكر والجيوش، ودوخوا البلدان بالجنود، فما منعهم جلاله حالهم، وعظم ملكتهم، وكثرة جيوشهم، وكثافة جنودهم، وسواد جموعهم من إيثار طاعة الله والعدل في خليقته وبريته، فعاشوا ملوكاً وماتوا ملوكاً، ونعت آثارهم ألسنة الصدق عنهم كأنهم أحياء وإن ماتوا، وشهودٌ وإن غابوا"<sup>(٢)</sup>.

وقال وهو يعظ بأحوال الأمم وسنة الله فيمن عبر: "وهي سنن ماضية على كل أحد ﴿وَعَادَا وَتَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّيِّسِ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ ٣٨ وَكُلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ٣٩ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَتِيْرًا﴾ ٤٠"<sup>(٣)</sup> هذا خبر صدق، وقول حق، وقد جعل الله بكل ما شاهد في أيامه، وعين في زمانه ممن رفعهم الدهر ثم وضعهم، وأعلاهم ثم صرعهم، ودارت عليهم دوائره، ونابتهم نوائبه ما في بعضه مقنع لمعتبر، وبلاغ لمذكر...<sup>(٤)</sup>.

(١) الذهب المسبوك للحميدي (ص ١٧١).

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٩٣).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٣٨ - ٣٩).

(٤) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٠٧).

ومن صور استعماهم لهذا أسلوب، حثهم الملوك على فعل ما لا يجب من كمالات الأحوال، كالزهد في الدنيا، ومن ذلك أن ابن الجوزي رحمته الله وسبطه عقداً أبواباً في ذكر أحوال الملوك الذين زهدوا، وكأنهم يريدون حث الملوك على الزهد والتقلل من الدنيا<sup>(١)</sup>.

كما يستعمله بعضهم في الحث على سيرة العدل وترك الظلم، ومن ذلك الغزالي رحمته الله في "التبر المسبوك"، حيث يورد قصصاً وأخباراً عن الملوك المتقدمين من المسلمين وغير المسلمين، ويذيلها بأقوال إشارية، مثل قوله: "فإن شئت أن تعلم أن عدل السلطان وتقيته سبب لجميل ذكره، ونيل فخره، فانظر في أخبار عمر بن عبدالعزيز رحمته الله؛ فإنه لم يكن لأحد من بني أمية وبني مروان مثل مدحه ومحمدته، ولا يدعى إلا له ولا يثنى إلا عليه؛ لأنه كان عدلاً تقياً كريماً حسن السيرة"<sup>(٢)</sup>.

ويقاربه المناوي رحمته الله - وهو من المتأخرين - حيث عقد باباً كاملاً "في تواريخ بعض الملوك وذكر بعض سيرهم"<sup>(٣)</sup>.

ومن صور التعريض أن الحميدي رحمته الله صنف كتابه في ذكر مواضع علماء السلف من المتقدمين دون مباشرة خطاب الأئمة والسلاطين، مكتفياً بإيراد الموعظة، مع أن الكتاب نفسه في نصيحة الملوك.

إن أسلوب التعريض يرتبط بجل أساليب الدعوة إلى الله ارتباطاً وثيقاً، كما أنه يتسم بمراعاته لأحوال المدعويين، من خلال التلميح والإيحاء دون الحاجة إلى مس هيبته، أو

(١) انظر: الشفاء لابن الجوزي (ص ٩١ - ٩٤)، وانظر: الجليس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٤٩ - ٣٠١).

(٢) التبر المسبوك للغزالي (ص ٢١٠).

(٣) الجواهر المضية للمناوي (ص ٢٥٥).

جرح مشاعرهم، وهذا هو هدي النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

خامسا: القصة:

أبرزت نتائج الدراسة أن أسلوب القصة عند المتقدمين يأتي في الدرجة الرابعة بتكرار قدره (٦٥٠) مرة، ونسبة (١٨,٨٪) وهذا في النسبة الإحصائية تعد تقدماً بين الأساليب المستعملة في نصيحة الملوك، بينما يجيء عند المتأخرين في المرتبة الثانية بتكرار قدره (٣٩٨) مرة، ونسبة (٢١,٣٪)، فالقصة عند المتقدمين والمتأخرين قد أخذت مكاناً واسعاً في نصيحة أئمة المسلمين، غير أن العلاقة بينهما من حيث الإحصاء الكمي علاقة تفاضل. تحضر القصة في كتب مناصحة أئمة المسلمين حضوراً أغلبياً، فهي الأسلوب اللطيف الذي يستطيع الناصح من خلاله إيصال فكرته دون الحاجة إلى التفصيل أو الربط.

ومن أساليب الوعظ بالقصة في تلك المصنفات أن الحميدي رحمه الله في "الذهب المسبوك" اقتصر على العرض القصصي لأحوال العلماء مع الملوك في الوعظ والنصيحة، مسنداً تلك الحكايات بسنده إلى أصل مصدرها، وقد حوى كتابه إحدى وخمسين قصة.

كما يضمن الماوردي رحمه الله كتابه "نصيحة الملوك" بذكر شيء من أحوال الملوك وقصص المتقدمين<sup>(٢)</sup>، وقد ختم كتابه بذكر قصة وعظية حصلت بين الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله ورجل مجهول<sup>(٣)</sup>، ثم ذيل ذلك بقوله: "هذه موعظة جامعة تبين عن كثير من

(١) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، تأليف: د. سعيد بن وهف القحطاني (٢٨٩٠)، الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٥٣ - ٢٦٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٣٧٧ - ٣٨٠).

أصول فساد الممالك والأديان وصلاتها، رأينا أن نختم به كتابنا هذا الذي جمعنا فيه جمل ما أوجب الله على ملوك أهل الملة وأمرائها وأئمتها وخلفائها، وامتحنهم بها في أنفسهم قد أسرف فيها وتعدى حدودها وعدل عن طريقها، وقد أشبعت لهم الموعدة، وبذلت لهم النصيحة، وأديت إليهم الأمانة ديناً ودنياً، وآخرة وأولى، فلينظر ناظر وليتعظ متعظ، وفقهم الله وإيانا للسداد، وهدانا وإياهم سبل الرشاد"<sup>(١)</sup>.

ومن أكثر من السرد القصصي الغزالي رحمته الله في "التبر المسبوك"، حيث يذكر بعد كل أصل أو مسألة قصة عن المتقدمين أو المتأخرين تحت عنوان حكاية أو خبر"<sup>(٢)</sup>.

أما ابن الجوزي رحمته الله فقد كان له طريق في سرد القصص والأخبار يخصه، حيث كان يفرد لها أبواباً خاصة، وفصولاً مستقلة، فمن ذلك فعله في "المصباح المضيء"، حيث عقد الباب الحادي عشر "في ذكر نبذة منتخبة من سير العلماء وأخبارهم"<sup>(٣)</sup>، يقول في مقدمته: "أما بعد: فإن عادات السادات سادات العادات، وشيم الأحرار أحرار الشيم، وأنا أذكر من سير الخلفاء الأئمة طرفاً يحوي طرفاً يحسن الاحتذاء لها، والافتداء بها، ولعمري إن قدر السابق لا ينكر، غير أنه رب مسبوق في الوجود سبق من قبله في المقصود"<sup>(٤)</sup>، وهذا الباب مشحون بالقصص الوعظية، ومن ذلك قوله فيه "ذكر قصص جرت للمنصور مع الصالحين"<sup>(٥)</sup>، ثم قام بذكر أخبار جرت لابن أبي ذئب، وعبد الرحمن الإفريقي، وغيرهم

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٨٠-٣٨١).

(٢) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ٣١، ١٦٢، ١٩١، ٢٠٤-٢٠٦، ٢٠٧-٢١٨، ٢٢٠-٢٢٣، ٢٢٩-٢٤٠).

(٣) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٧٧).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٧٩).

(٥) المصدر السابق (ص ٣٣٧).

مع المنصور - رحمهم الله أجمعين -<sup>(١)</sup>، وقد قاربه في الصنيع سبط ابن الجوزي رحمته الله في كتابه "الجلس الصالح"، حيث عقد باباً "في ذكر جماعة تزهّدوا من السلاطين والأمراء" وهي جملة من الأخبار والقصص<sup>(٢)</sup>.

ومن المصنفات التي حوت سيراً وأخباراً طويلاً، كتاب "مآثر الإنافة" للقلقشندي رحمته الله، حتى كاد أن يكون كتابه كتاب تاريخ وسير، يقول في مطلع الباب الثاني: "في ذكر من ولي من الخلافة من أول الإسلام وهلمّ جرا إلى زماننا، وتفصيل حال كل خليفة..."<sup>(٣)</sup>، وقد مضى في ذلك القول إلى نهاية الكتاب.

وإن مما تجدر الإشارة إليه ما شارك به بعض المصنفين في هذا الباب من القصص الرمزية التي يعرضون فيها النصيح والوعظ على الأئمة والسلاطين، مثل كتاب "الأسد والغواص" لمؤلف مجهول، وكتاب "سلوان المطاع" للفقير ابن ظفر الصقلي رحمته الله، وكتاب "فاكهة الخلفاء" لابن عربشاه رحمته الله.

ومن أظهر كتب المتأخرين التي اعتمدت الأسلوب القصصي كتاب "عزة العلماء ومناصحة السلاطين والأمراء" للموجان<sup>(٤)</sup>.

لم يكن الأسلوب القصصي ترفاً علمياً عند هؤلاء، فابن الجوزي رحمته الله شيخ الوعاظ، وصاحب كتاب "القصاص والمذكرين"، هو من ألف "المصباح المضيء" وكتاب "الشفاء"، والماوردي والطرطوشي وغيرهم فقهاء وعلماء، لهم في ذكر القصة غاية ومرام

(١) انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٣٣٨).

(٢) انظر: المجلس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٤٩ - ٣٠١).

(٣) مآثر الإنافة للقلقشندي (١/ ٨١).

(٤) انظر: عزة العلماء للموجان (ص ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٥، ٥٧، ٥٨ - ٦٠).

دعوي يهدف إلى نصح الحاكم أو نوابه.

إن "القصة طريق من طرق البشارة والإنذار، والهداية والإرشاد، وهي إحدى الوسائل الناجحة، والسبل الناجعة لعرض تعاليم الدعوة سهلة واضحة، ولذلك اعتنى القرآن والسنة النبوية بالقصة عناية عظيمة، بل إن أهمية القصص تبرز بقدر اتصاله بالقرآن والسنة"<sup>(١)</sup>؛ ولهذا سلكها مصنفو تلك الكتب؛ لما فيها من ترفق وإمتاع لسمع المنصوح.

#### سادساً: التشبيه:

أبرزت نتائج الدراسة أن أسلوب التشبيه يجيء في المرتبة الخامسة بين أساليب المصنفين المنتخبة، حيث بلغ تكراره في مجموع العينة (٣٨٢) مرة، ونسبة (١١٪)، أما عند المتأخرين فيأتي في المرتبة الرابعة بتكرار قدره (٢٣٥) مرة، ونسبة (٦،١٢٪)، فالعلاقة بين المتقدمين والمتأخرين هنا من حيث العد الكمي متقاربة.

اهتمت كتب المناصحة بهذا الأسلوب في نصيحة أئمة المسلمين؛ "لأنه من الأساليب الدعوية المؤثرة في نفوس المدعوين، إذ به تتضح العبارة، ويظهر المراد منها، ولا سيما إذا قدم التشبيه بصورة صحيحة، وطريقة سليمة"<sup>(٢)</sup>.

وإن من أصيل القول أن يذكر بأن جملة من الكاتبين في مجال مناصحة أئمة المسلمين هم من أئمة البديع؛ حتى اتخذت كتبهم محلاً للدراسة في تخصص الأدب والبلاغة

(١) أساليب القصص في الدعوة إلى الله، لعبدالله الطويل (ص ١٩).

(٢) أسلوب التشبيه في أحاديث الترغيب لعبدالله الطويل (ص ٢٦٦).

والنقد<sup>(١)</sup>، بل إن بعضهم يؤصل في كتبه للبديع، ومن ذلك أن الوزير أبا سالم لما تكلم عن وظيفة كتابة الإنشاء كونه: "من مقومات الدولة وقواعد المملكة، وصاحبها المباشر لها في خدمة السلطان معدود من أكبر الأعضاد والأعوان، قائم في إتمام مقاصده وأغراضه مقام الترجمان"<sup>(٢)</sup> أخذ في بسط القول عن أفانين الكلام من استعارة، وتشبيه، وكناية، وإيجاز، وإطناب، ومغالطة، وتضمنين، واستدراج، ومبادي، ومخالص، يقول عن التشبيه: "وهو الدلالة على أن شيئين اشتركا في معنى هو ثابت لما دخلت عليه أداة التشبيه في نفسه، وهو أشهر معانيه، فيجعل المنشئ أحدهما الذي لم تدخل عليه الأداة مثل الآخر التي دخلت عليه، كقول القائل: رجل كالأسد، ووجه كالقمر، ومثاله من القرآن الكريم في وصف العالم عند خروجهم من القبور يوم البعث والنشور قوله ﷺ: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾"<sup>(٣)</sup>، فإنه كما يكون الناس عند خروجهم من القبور مضطرين متحيرين، قد طبقوا الجهات بكثرتهم، وأسرعوا إلى إجابة الداعي بحركتهم، لا يلوي بعضهم على بعض، شبههم بالجراد المنتشر، وجعلهم مثله؛ نظراً إلى ما ذكرناه من المعنى"<sup>(٤)</sup>.

لقد أبدع مصنفو تلك الكتب في إيصال المعنى المراد إلى الملوك والأمراء من خلال

(١) انظر على سبيل المثال: حجاج التمثيل في الآداب السلطانية لهاجر مدقن، وانظر: الكتابات في نصيحة الملوك "مضامينها وأساليبها وجنسها الأدبي"، إعداد: خديجة بنت ناصر بن محفوظ المعولية، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، عام ٢٠١٥ م.

(٢) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٥٧).

(٣) سورة القمر، الآية (٧).

(٤) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٦١).

هذا الأسلوب البلاغي، ووظفه في الموضوعات الرئيسة التي تخص الولاية والإمامة، فمن ذلك قول الماوردي رحمته الله وهو يحث الملك على الاجتهاد بإصلاح شأن الرعية: "هذا مع أنه جعلهم عمار بلاده، وسماهم رعاة عبادته، تشبيهاً لهم بالرعاة الذين يرعون السوائم والبهائم، وتمثيلاً لرعاياهم بالإضافة إليهم بها؛ ولهذا المعنى سماهم الحكماء ساسة، إذ كان محلهم من مسوسيتهم محل السائس مما يسوسه من البهائم والدواب الناقصة الحال من القيام بأمر أنفسها، والعلم بمصالحها ومفاسدها، وسموا أفعالهم الخاصة بهم سياسة؛ ولذلك ما كانت الأمم الماضية في الأيام الخالية، والعرب بخاصة، يسمونهم أرباب الأرض، والأرباب مطلقاً ومقيداً؛ لأنهم كانوا يتوقعون منهم ويرجون من قبلهم أن يقوموا لهم وفيهم من تنفيذ أحكام الله، وإمضاء حدوده، وإقامة فرائضه وسننه، وفي النظر في مصالحهم وحوائجهم، ومضارهم ومنافعهم"<sup>(١)</sup>.

وفي هذا المعنى يقارب الطرطوشي رحمته الله الماوردي رحمته الله فيقول: "متى أراد السلطان إصلاح رعيته وهو متماد على سيء أخلاقه، كان كمن أراد بقاء الجسد مع فقد رأسه، أو أراد استقامة الجسد مع عدم حياته، وكمن أراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص، وكيف يحيا النون مع فساد الماء؟"<sup>(٢)</sup>.

ويُقرب الملك أبو حمو رحمته الله لولده أهمية الجند والجيش في الدولة مستعملاً أسلوب التشبيه في قوله: "واعلم يا بني أن الملك بلا جيش كالأرض لا نبات لها، والطائر لا ريش له يوشك يؤخذ لحينه"<sup>(٣)</sup>.

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٥٦-٥٧).

(٢) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٠٥).

(٣) واسطة السلوك لأبي حمو الزباني (ص ١١٩).

كما استعمل أسلوب التشبيه في موضوعات أخلاقية ووعظية، فمن الأخلاق قول الشيزري رحمه الله نقلاً عن بعض الحكماء: "العقل كالزوج والنفس كالزوجة، والجسم كالبيت لهما، فإذا كان سلطان العقل غالباً قاهراً للنفس اشتغلت النفس بمصالح الجسم، إما لمنفعة تجلبها أو لمضرة تجتنبها، كما تشتغل الزوجة التي قهرها زوجها بمصالح بيتها العائدة عليها وعلى زوجها، وإن كان سلطان النفس على العقل غالباً كان سعي النفس فاسداً ونزعاتها مذمومة كفعل الزوجة التي قهرت زوجها"<sup>(١)</sup>.

وفي الوعظ بالإيمان والعمل به يؤصل الغزالي رحمه الله كتابه على أسلوب التشبيه، فيجعل الإيمان بذرة، تسقى بماء الطاعة، ثم تثمر شجرة لها فروع، يقول في ذلك عندما تحدث عن أصل النعم: "وهي نعمة الإيمان بالله الذي به بذر السعادة المؤبدة والنعمة المخلدة، والله - جلت قدرته وعلت كلمته وآلاؤه - قد خولك بهذه النعمة وزرع بذر الإيمان في صفاء صدرك، وأودعه في قلبك وسيرك، وممكنك من تربية ذلك البذر وأمرك أن سقيه ماء الطاعة، حتى تصير شجرة أصلها في قعر الأرض السفلى، وفرعها في السموات العلى، كما قال الله عز وجل: ﴿الَّذِي كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>، وإذا لم يثبت أصل الشجرة بالإيمان ولم يكمل فرعها، يخاف عليها من هبوب رياح الموت وعواصف الفوت، فتقلع عند النفس الأخير، فيبقى العبد - والعياذ بالله تعالى - بغير إيمان، ويلقى ربه بغير إحسان، واعلم أيها السلطان أن لهذه الشجرة عشرة أصول وعشرة فروع، فأصلها الأول الاعتقاد بالجنان وفرعها بالأركان"<sup>(٣)</sup>، ثم يذكر أصل

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ١٨٩).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٢٤).

(٣) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٣-٩٤).

الشجرة وفروعها، والعينين اللتين بهما مشرب شجرة الإيمان<sup>(١)</sup>.

أما كتب المتأخرين فقد أخذت منه بحظ وافر، ومن شواهد تأكيد المناوي رحمته الله على مسألة إعزاز السلطان وحفظ هيئته في قوله: "ومما يتعين على الناس - سيما الرعية - أن الواحد منهم لا ينبسط إلى السلطان، بل يخاطبه بالتوقير والمهابة والإعظام، فمن انبسط على الملوك فقد ظلم نفسه وتعرض للتلف، ولو كان أعظم خواص السلطان بل أو ولده، فالانبساط عليهم محذور كبير، ومثل من انبسط على السلطان كمثل الحواء الذي يكون دهره مع الحيات يأكل معها، ويقوم ويقعد وينام معها، أو كرجل يكون بين التماسيح التي تبتلع الآدمي، فلا يزال مخاطراً بروحه"<sup>(٢)</sup>.

ويبقى هذا الأسلوب من وجهة نظر الدراسة من أهم الأفانين البلاغية التي تستعملها الدعوة إلى الله، وكفى بذلك أهمية اشتغال الوحيين عليهما<sup>(٣)</sup>.

ويستنتج الباحث من خلال مناقشة نتائج تحليل المحور الثاني ما يأتي:

أولاً: أن الترغيب هو السمة الغالبة في المصنفات، وأنه مقدم عدداً، ومحلاً، وموضوعاً عند المتقدمين والمتأخرين.

ثانياً: شمول أسلوب الترغيب لموضوعات المناصحة ومجالاتها، سواء ما كان منها متعلقاً بذات الملك أو السلطان، أو ما كان متعلقاً بمؤسسة الدولة.

ثالثاً: خلصت الدراسة إلى أن كتب المتأخرين أقل استعمالاً لأسلوب التهيب في

(١) انظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٣-١٤٠).

(٢) الجواهر المضية للمناوي (ص ١٤٦-١٤٧).

(٣) انظر: أسلوب التشبيه للطويل (ص ٢٦٢-٢٦٣).

خطاب مناصحتهم للملوك، وهذا يكشف عن عمق الحكمة والفهم بالواقع الذي يكتبون فيه.

رابعاً: لم يستعمل المتقدمون والمتأخرون أسلوب التحذير إلا في حالتين:

١- اقترانه مع الترغيب.

٢- مجانبته المباشرة في الخطاب.

خامساً: اعتنى المصنفون من المتقدمين والمتأخرين بأسلوب المدح والثناء عند مناصحة الملوك على تفاوت بين الدرجتين من حيث العد الكمي، فالتأخرون سبقوا في الكم، والمتقدمون كانوا أوضح عبارة، وأجلى في المقصود باستعمال هذا الأسلوب، حيث يظهر استعمالهم له على عناوين الكتب، وأسباب التأليف، ومقاصد الكتاب، وفي مضامينه وتضاعيفه.

سادساً: لم يكن أسلوب المدح والثناء أسلوباً رديفاً، بل كان من الأساليب الرئيسة التي يقصدها المؤلفون في خطب كتبهم، ويرمون من خلاله إلى تحقيق مقاصد عليا في هذا الباب، مثل: تقرير المهابة، وتعزيز الإمامة، وتحبيب الأئمة إلى الرعية.

سابعاً: يُعد أسلوب التعريض من أقل الأساليب المستعملة عند المتقدمين والمتأخرين في مصنفاتهم.

ثامناً: اقتصر أسلوب التعريض - في الغالب - على الإشارة بالمثال، وبيان فضيلة الأعمال، وقد تناوله المصنفون في مسألتين:

١- في الحث على فعل ما لا يجب من كمالات الأمور، كالزهد في أمور الدنيا.

٢- مجانبته مباشرة الخطاب في التحذير من التقصير في واجبات الإمامة.

تاسعاً: أخذت القصة عند المتقدمين والمتأخرين مساحة واسعة في المصنفات؛ فهي بين استئثار كامل بالكتاب كله، كما هو الحال في "الذهب المسبوك" للحميدي رحمته الله، أو في غالبه كما في "التبر المسبوك" للغزالي رحمته الله وغيره، وهي في جميع الأحوال الحاضر الأكبر بين المضامين.

عاشراً: تنظر كتب المناصحة إلى القصة على أنها مطية التعريض الأديب، ولا أدل على ذلك من أن منشأ هذا الفن قد بدأ في مرحلته الأولى مع جلسات المسامرة، التي تروى فيها الحكايات والمأثورات للسلطين، يقول ابن قتيبة رحمته الله: "وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة، ولأهل العلم تذكرة، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً، وللملوك مستراحاً من كد الجد والتعب"<sup>(١)</sup>.

حادي عشر: لا يكتفي المصنفون بالعرض المجرد للقصة، فهم إما أن يجعلوها تحت باب كما يفعل ابن الجوزي والسبط، أو يوردونها بعد قضية كما يفعل الغزالي في عامة كتابه، أو أن يعلقون على فوائدها كما فعل الماوردي في "نصيحة الملوك".

ثاني عشر: يحضر أسلوب التشبيه عند المتقدمين والمتأخرين في نسب متفاوتة، وذلك راجع إلى طبيعة الناصح، والمنصوح، وموضوع النصيحة.

ثالث عشر: تبرز أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة والمناصحة من خلال ارتباطه بحسن عرض الدعوة، وتحسينها، وتوضيحها للمتلقي.

رابع عشر: يزيد التأكيد على موضوع التشبيه في كتب المناصحة؛ لكونه مرتبطاً ببعض الوظائف السلطانية، وهم فئة الكتاب؛ ولذا مارسه الكاتبون في نصيحة الملوك بالفعل

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (٤٣/١).

حال المناصحة، وبالتأصيل حال التعليم والتدريب، كما فعل الوزير أبو سالم في "العقد  
الفريد للملك السعيد".

## المطلب الثالث

### مناقشة نتائج القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

تناقش الدراسة في هذا المطلب أبرز نتائج التحليل لعناصر الاستمارة المتعلقة بالقضايا الدعوية، وهي القضايا المتعلقة بالعقيدة، والقضايا المتعلقة بالشرعية والأحكام، والقضايا المتعلقة بالوعظ، والقضايا المتعلقة بالأخلاق، وأخيراً القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية، ويكون عرضها كما يلي:

أولاً: القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة:

يتضح من خلال نتائج الدراسة أن مرتبة تناول مصنفات المتقدمين للقضايا المتعلقة بالعقيدة تأتي في الدرجة الرابعة بتكرار (١٥٣٣) مرة، ونسبة مئوية (٩, ١٣٪) بينما ترتقي مرتبة تناولها عند المتأخرين إلى الدرجة الثانية بتكرار قدره (٨٣٦) مرة، ونسبة مئوية قدرها (٢٢٪) وهذا يكشف تمايزاً واضحاً في تناول الطبقتين لمسائل العقيدة والتوحيد، وقد كان تحليل محتوى الكتاب العقدي من خلال عناصر الاستمارة المنتخبة وهي: الإيمان، والتحذير من البدع، ومسائل الإمامة.

١ - الإيمان:

أوضحت الدراسة أن مسائل الإيمان عند المتقدمين أخذت الدرجة الثانية في الترتيب العددي بين سائر الموضوعات العقدية، حيث بلغ تكرارها (٥٥٥) مرة، ونسبة (٥, ٣٥٪)، كما أخذت عند المتأخرين المرتبة نفسها بتكرار قدره (٢٥) مرة، ونسبة (٩, ٢٦٪).

ومن شواهد مسائل الإيمان في كتب المناصحة قول الماوردي رحمته الله عن التقوى: "وهي

تنقسم إلى خمسة أقسام:

أولها: معرفة الله جل وعز حق معرفته، واحداً، قديماً، أحداً، فرداً، حكيماً، جواداً...  
ويسميه بأسمائه الحسنى، ويصفه بصفاته العلى...<sup>(١)</sup>، ويتضح من طريقة عرض  
الماوردي رحمته الله إجماله لذكر المسائل دون تفصيل، وهي عامة طريق المصنفين، يقول  
الطرطوشي رحمته الله في تمهيد كتابه: "وأشهد له بالربوبية، وبالوحدانية، وبما شهد به لنفسه من  
الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والنعوت الأوفى، ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب  
العالمين"<sup>(٢)</sup>، وفي "الجواهر المضية" للمناوي رحمته الله - وهو من المتأخرين - قريب من هذا  
التناول<sup>(٣)</sup>.

وفي الإيمان بالملائكة يقول الماوردي رحمته الله: "ثم الإيمان بملائكته..."<sup>(٤)</sup>، ويقول  
الطرطوشي رحمته الله: "وأؤمن بالله وملائكته..."<sup>(٥)</sup>، ويقول الغزالي رحمته الله في التبر المسبوك:  
"خلق الله تعالى بحكم فضله وقدرته ورحمته وطوله ومنتته ملائكة..."<sup>(٦)</sup>.

أما الإيمان بالكتب الذي هو الأصل الثالث من أصول الإيمان وأركانه فيقول أبو  
سالم القرشي رحمته الله في العقد الفريد: "القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة، والقرآن  
الكريم مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب"<sup>(٧)</sup>، ويقول الماوردي

(١) نصيحة الملوك (ص ١٣٨).

(٢) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢).

(٣) انظر: الجواهر المضية (ص ٣٨٣ - ٣٨٤).

(٤) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٩).

(٥) سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢).

(٦) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٧) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٤).

ﷺ: "ثم الإيمان بملائكته وكتبه..."<sup>(١)</sup>.

وفي الإيمان بالرسول يقول الغزالي ﷺ: "خلق الله تعالى بحكم فضله وقدرته ورحمته وطوله ومنته ملائكة، وبعثهم إلى أشخاص قد حكم لهم بالسعادة في الأزل، وهم الأنبياء صلوات الله عليهم، فأرسلهم إلى الخلق؛ ليوضحوا لهم طرق السعادة والشقاوة؛ لئلا يكون للناس على الله حجة..."<sup>(٢)</sup>.

وفي الإيمان بالقدر يفرد الطرطوشي ﷺ باباً مستقلاً في كتابه "سراج الملوك" يقول فيه: "الباب الثاني والستون في القضاء والقدر والتوكل والطلب: اعلم - وفقك الله - أن مذاهب أهل الحق في القضاء والقدر وخلق الأفعال وإرادة الكائنات متيسرة، ولا يخرج من علمه وقضائه وقدره وحكمه حادث، فمن خالفنا في القضاء والقدر وافقنا في العلم، وقد تباين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم... ولم نضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتجاج لكل فريق؛ لأن ذلك يستدعي مجلدات وأسفاراً، وإنما نذكر في هذا الكتاب أحكاماً ظاهرة قريبة من العقول؛ لتقريب الفائدة على الناظر فيه"<sup>(٣)</sup>، وقد أعادها نقلاً ابن طوغان الحنفي ﷺ في كتابه "البرهان في فضل السلطان"<sup>(٤)</sup>.

## ٢- التحذير من الشرك والبدع:

يأتي التحذير من الشرك والبدع عند المتقدمين في المرتبة الأخيرة بين الموضوعات

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٩)، وانظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢).

(٢) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٠٤-١٠٥)، وانظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٩)، وانظر: سراج الملوك

للطرطوشي (ص ١٢)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٤).

(٣) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٤٦٦).

(٤) انظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ٧٤-٨٢).

المنتخبة للتحليل في مجال العقيدة، حيث بلغ تكراره (٣٦٨) مرة، وبنسبة (٧, ٢٣٪)، كما جاء عند المتأخرين في المرتبة نفسها بتكرار (١٧٣) مرة، وبنسبة (٧, ٢٠٪)، فالعلاقة بين المتقدمين والمتأخرين من حيث تناول علاقة تماثل.

تدخل هذه القضية في كتب المناصحة من باب الاحتساب والإنكار، حيث يُبين المصنفون للولاء خطورة الشرك والكفر، ووجوب مجابته، والطرق المفضية إليه، فمن ذلك ما ذكره ابن الأزرق رحمته الله في "واجبات ما يلزم السلطان سياسة القيام بها وفاء بعهدة ما تحمله وطلب منه والمذكور منها جملة"<sup>(١)</sup>، ثم سرد الواجبات العقدية على الإمام تجاه رعيته، وكان منها واحدٌ متعلق بفعل الإمام وهو قوله: "التاسع: تكفير من قام الدليل على تكفيره، إما لصراحة البدعة بالكفر، كالإباحة، والقول بالحلول والاختيار لتكفير ما يؤول منها إلى الكفر، كما ذهب إليه القاضي أبو بكر في جملة من الفرق"<sup>(٢)</sup>، كما عقد مبحثاً كاملاً في الرد على مدعي علم الغيب وتحذير السلطان منهم، وسد الطرق المفضية إلى ذلك، وغالب ما تناوله في كتابه هو نقل عن الشاطبي رحمته الله وابن العربي المالكي رحمته الله<sup>(٣)</sup>.

كما يُبين المصنفون للولاء بعض صور الشرك الأصغر مثل: مسألة التحذير من الطيرة، فقد عقد الماوردي رحمته الله في كتابه "تسهيل النظر" فصلاً من باب "أخلاق الملك" يقول فيه: "وليعلم الملك أن من أقوى الأمور في نقض العزائم: اعتقاد الطيرة، فإنه لا شيء أضر بالرأي، ولا أفسد للتدبير منها، مع ورود السنة باجتنابها، والنهي عنها، فما

(١) بدائع السلك لابن الأزرق (٢/١٢٧).

(٢) المصدر السابق (٢/١٢٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/١٥٣).

الأقدار إلا بقضاء محتوم، وأجل معلوم...<sup>(١)</sup>، وقد أعاد فيها القول في كتابه "درر السلوك"<sup>(٢)</sup>.

ومنها: التحذير من التصاوير، يقول صديق حسن خان رحمته الله - وهو من المتأخرين - : "ويُغير تمثال كل حيوان لأدلة في تحريم التصوير كثيرة جداً..."<sup>(٣)</sup>، وكذا التحذير من التسمي بملك الأملاك، يقول المناوي في ذلك للملوك: "لكن يحذر أن يتلقب بملك الأملاك، ونحوه كسلطان السلاطين، أو شاه شاهان، أو شاهان شاه؛ لقول المصطفى رحمته الله: ((إن أخنع الأسماء عند الله، رجل تسمى ملك الأملاك)) زاد ابن أبي شيبة في روايته: ((لا مالك إلا الله))<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

ومن المسائل أيضاً نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان الكهان، حيث عده ابن الأزرق رحمته الله من جملة المنكرات التي نهى عنها الأئمة، وأبان عن معتقد الموحدين فيه<sup>(٦)</sup>.

أما ما يتعلق بالبدع فيقول الدكتور عبدالسلام البرجس رحمته الله: "لقد كان موقف سلفنا الصالح من المنكرات الصادرة من الحكام وسطاً بين طائفتين:

إحدهما: الخوارج والمعتزلة، الذين يرون الخروج على السلطان إذا فعل منكراً.

والأخرى: الروافض الذين أضفوا على حكامهم قداسة، حتى بلغوا بهم مرتبة

(١) تسهيل النظر للماوردي (ص ٢٣٦ - ٢٣٧).

(٢) انظر: درر السلوك للماوردي (ص ٨٣).

(٣) إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٩٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك برقم [٢١٤٣] (١٦٨٨/).

(٥) الجواهر المضية للمناوي (ص ١٧٨).

(٦) انظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/١٥١)، (٢/١٣٣).

العصمة.

وكلا الطائفتين بمعزل عن الصواب، وبمنأى عن صريح السنة والكتاب.

ووفق الله أهل السنة والجماعة - أهل الحديث - إلى عين الهدى والحق، فذهبوا إلى وجوب إنكار المنكر، لكن بالضوابط الشرعية التي جاءت بها السنة، وكان عليها سلف هذه الأمة"<sup>(١)</sup>.

### ٣- مسائل الإمامة:

تأتي مسائل الإمامة في المرتبة الأولى بين القضايا المتعلقة بالعتيدة عند المتقدمين والمتأخرين أيضاً، حيث بلغ تكرار ورودها عند المتقدمين (٦٣٣) مرة، وبنسبة (٨, ٤٠٪) كما جاءت عند المتأخرين بتكرار قدره (٤٣٨) مرة، وبنسبة (٤, ٥٢٪)، فالعلاقة بينهما هنا علاقة تماثل.

والحديث عن مسائل الإمامة المتعلقة بحكمها ومشروعيتها، وحقوق أهلها وكل ما يتناوله العلماء في علم العتيدة عنها.

وهنا يجب الإيضاح والبيان لمسألة مهمة، وهي ارتباط مسألة الإمامة بأصول الدين ومسائل الاعتقاد؛ وكونها من السمات الظاهرة التي هدي فيها أهل السنة والجماعة للحق الذي خالفهم فيه أهل البدع بين الإفراط والغلو كما هو حال الإمامية الاثني عشرية، أو التفريط والإضاعة كما يفعله الخوارج أو العلمانيون، فهدي الله فيها أهل السنة والجماعة للطريق الوسط المستقيم.

إن إدراج مسائل الإمامة في مصنفات العقائد، وكتب التوحيد، كان نتيجة انحراف

(١) معاملة الحكام لعبد السلام البرجس (ص ١١٠).

أهل البدع الذين زاغوا عن منهج الحق، فاحتيج إلى بيان وجه الحق فيه؛ ولذا ذهب بعض العلماء إلى أن الأصل في أبواب الإمامة أنها من علم الفقه، يقول الكمال بن الهمام رحمته الله في المسامرة: "ومباحث الإمامة ليست منه، أي: من علم العقائد"<sup>(١)</sup>. قال الكمال بن أبي الشريف رحمته الله في شرحه: "وبيان ذلك أن مباحث الإمامة من الفقه بالمعنى المتعارف؛ لأن القيام بها من فروض الكفايات، وذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية، وكل بيانها كتب الفروع، وهي مسطورة فيها، وإنما كانت متممة في علم الكلام؛ لأنه لما شاعت الإمامة من أهل البدع اعتقادات فاسدة مخلة بكثير من القواعد الإسلامية، مشتملة على قدح في الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، أدرجت في علم الكلام؛ لشدة الاعتناء بالمناضلة عن الحق فيها، تمييزاً لفائدة علم الكلام"<sup>(٢)</sup>.

فالإمامة على هذا الرأي جاءت تبعاً لانحراف تلك الفرقة في هذه المسألة التي مسوا بها أصل الدين، ويقرب من هذا إدراج مسائل المسح على الخفين في كتب العقائد كما يقول الطحاوي رحمته الله: "ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما ورد في الأثر"<sup>(٣)</sup>؛ لأن الذين ردوا هذا الحكم قد كذبوا بقطعي الثبوت، فتعلقت بأبواب الاعتقاد من هذا الوجه. ويرى الباحث أن علاقة الإمامة بأصول الدين والاعتقاد تأتي على صورتين:

١ - أن بعض مسائل الإمامة هي من أصول الدين ومسائل العقيدة التي يخالف بها أهل السنة أهل البدع والضلال؛ ولذا فعلماء السلف يتناولونها في كتب العقائد، فلا يكاد يخلو مصنف في الاعتقاد من النص على التبريع بالخلفاء الأربعة، وترتيبهم في

(١) المسامرة في شرح المسامرة للكمال ابن الهمام (ص ١٤).

(٢) المصدر السابق (ص ١٤).

(٣) العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي (ص ٤٩).

الخلافة والفضل، وكذا النص على الصلاة خلف كل إمام بر أو فاجر، والجهاد والحج معه، وعلى تحريم الخروج على الأئمة، وبيان وجوب السمع والطاعة لهم في غير معصية، وكذا قيام الإمامة بمسألة الحكم بما أنزل الله، وتطبيق شرع الله في قضائها وأحكامها، وثبوت البيعة في عنق كل مؤمن لإمام؛ إذ به يسلم من حال الجاهلية، فهذه الأمثلة وغيرها تدل على أن الإمامة من مباحث أصول الدين ومسائل الاعتقاد أصلاً<sup>(١)</sup>؛ ولهذا ينصون عليها في آخر كتبهم<sup>(٢)</sup>.

٢- ما كان تعلقه بمسائل الاعتقاد على وجه التبع، وهي المسائل التي خاض فيها أهل البدع واحتجج إلى الرد عليهم، مثل: بدعة الروافض واعتقاداتهم الفاسدة في الإمامة، وكونها من أركان الدين، واعتقاد العصمة، والرجعة، وعلم الغيب ونحو ذلك في أئمتهم، فترى علماء السلف يذكر ونهم للرد عليهم، ونقض أقوالهم، وتبيين ضلالهم، ويأتي على طرف النقيض من ذلك الخوارج الذين لا يراعون حرمةً لإمام، ولا يوفون بعهد لذي ولاية، وكذلك بعض المعاصرين الذين يخرجون أصل الإمامة من دائرة الشرع مثل: العلمانيين والليبراليين ونحوهم.

(١) انظر: على سبيل المثال: العقيدة، تأليف: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/١٢٤)، تحقيق: عبدالعزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، ط ١، ١٤٠٨هـ؛ وانظر: شرح السنة للبرهاري (ص ٥٦)؛ وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تأليف: أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (١/١٧٦)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م؛ وانظر: مختصر الحججة على تارك المحجة، تأليف: الإمام أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، القسم الثاني (ص ٣٩٨)، تحقيق وتخرّيج ودراسة: الدكتور محمد إبراهيم محمد هارون، الناشر: أضواء السلف، د. ط، د. ت؛ وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/١٣٢).

(٢) انظر: الفروق للقرافي (٢/١٦١)، والإشارات الإلهية للطوفي (ص ١٠٣)، ومنهاج السنة لابن تيمية (١/١٢٠).

وجميع تلك المسائل قد سبقت في كتب الاعتقاد للرد على أصحابها، وبيان وجه الحق فيها عند أهل السنة والجماعة.

وقد أطالت كتب المناصحة في الحديث عن مشروعية الإمامة وموقف أهل السنة حيالها، فمن ذلك فعل القلقشندي في مقدمته<sup>(١)</sup>، والخرميني في تمهيد "الدرة الغراء"<sup>(٢)</sup>، والمقدسي في صدر كتابه "بذل النصائح الشرعية"<sup>(٣)</sup>، وصاحب "إكليل الكرامة"<sup>(٤)</sup>، والمناوي في "الدرر المضية"<sup>(٥)</sup>.

كما تناولت كتب المناصحة مسؤولية الإمامة في موضوعات العقيدة باعتبارها لا تقوم إلا بها، مثل مسألة الحكم بما أنزل الله، يقول الموصلي رحمته الله في "حسن السلوك": "الفصل الأول: العدل... دليله في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٨)</sup><sup>(٩)</sup>.

ويقول الشيخ علوان رحمته الله: "فإذا تبين له حكم الله تعالى من كتاب أو سنة، أو غير ذلك من القواعد المعمول بها في الشريعة تحتم عليه إنفاذه وإمضاؤه، ولذلك خلفه الله

(١) انظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (ص ٥ - ٨٠).

(٢) انظر: الدرّة الغراء للخرميني (ص ٩٠ - ٢٢٣).

(٣) انظر: بذل النصائح الشرعية للمقدسي (ص ١٠٦ - ١٢٠).

(٤) انظر: إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ١٧ - ٧٠).

(٥) انظر: الدرر المضية للمناوي (ص ٦٥ - ١٥٠).

(٦) سورة المائدة، الآية (٤٤).

(٧) سورة المائدة، الآية (٤٥).

(٨) سورة المائدة، الآية (٤٧).

(٩) حسن السلوك للموصلي (ص ٥٥).

تعالى" (١).

ومن القضايا المتعلقة بمسؤولية الإمامة العقديّة تجاه محاربة البدع:

١- تعظيم أمر الشريعة والقيام على الدين، يقول المناوي رحمته الله في الواجبات على الإمام:

"... ومنها: أن يعظم شأن الشريعة. فقد قال الحسن البصري: كل ملك عظم أمر

الدين كان عند رعيته عظيم الأمر، ومن عرف الله تعالى عرف به الخلق، فكانوا

كلهم معارفه... (٢).

٢- قيام السلطان بما شرع من تبجيل السنة وقمع البدع؛ ليعظم ذلك في قلوب الرعية،

يقول ابن الأزرق: "تنبه سلطانه على إمضاء التغيير لما يخل بحفظ الشريعة، بإحياء

سننها وقمع البدع فيها، مع إحالة ذلك عليه بعد مبادرته هو لواجب التغيير بنفسه؛

ليظهر للناس أن عناية السلطان بذلك فوق ما أهمه هو من العناية به" (٣).

٣- حرص الأئمة على تبجيل علماء السنة وإكبارهم، وتكليفهم بالعمل والتعليم،

يقول أبو الحسن العباسي رحمته الله في "آثار الأول": "فأما العلماء وحفاظ الشريعة الذين

على السنة فيجب على الملك احترامهم وإكرامهم؛ لأنهم يحفظون قواعد الشرع

الذي هو يجرسه، ويذب عنه، ويقا تل من يعانده، فيرفع طبقاتهم على مقاديرهم من

العلوم والتبحر فيها" (٤).

٤- اجتناب الملوك علماء السوء، ودعاة البدع، وتذكير الأئمة بوجوب إبعادهم

(١) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٤٦).

(٢) الدرر المضية للمناوي (ص ١٧٤).

(٣) بدائع السلك لابن الأزرق (٢/٩٣).

(٤) آثار الأول للحسن العباسي (ص ١١٦).

وزجرهم، يقول أبو الحسن العباسي رحمته الله: "ثم ينظر في المتفهمة الذين يتحلون البدعة ويدعون إليها، ويخالفون ما عليه الجمهور، ويردعهم، ويفرق جمعهم، وكذلك يمنع من التعصب للمذاهب والمغالاة في ذلك؛ فإنها تؤدي إلى فتن عظيمة وخطوب جسيمة، وقد خرب كثيرٌ من بلاد المشرق بهذا السبب"<sup>(١)</sup>، كما أن في إبعادهم إهانةً ووضعاً للبدع حتى لا تقوى في النفوس بقوة السلطان<sup>(٢)</sup>.

٥- معرفة حقيقة المذاهب الخبيثة، والبدع المضللة، وقد عقد نظام الملك الطوسي فصلاً كاملاً في ذلك يقول فيه: "الفصل الثالث والأربعون في عرض أحوال ذوي المذاهب الخبيثة أعداء الملك والإسلام"<sup>(٣)</sup>، وقد استهل كلامه بالإفصاح عن محبته وولائه للملك، وأن ما يكتبه هو مقتضى محبته وصدق وولائه للملكة<sup>(٤)</sup>.

٦- الالتزام بالمنهج الشرعي في كف أهل البدع والضلال، وقد عقد ابن الأزرقي في ذلك خمسة عشر طريقاً لإيضاح ذلك الأمر، مثل: التعليم، وإقامة الحجّة، والهجران، والضجر، وترك عيادة مرضاهم، وتكفير من قامت الحجّة عليه، وغير ذلك<sup>(٥)</sup>.

٧- تجريد الأنظمة والقوانين عن كل ما يلابس البدع، يقول ابن الأزرقي رحمته الله في إكرام الجند يوم العيد: "وشرط ذلك أن يسلم من الوقوع في البدعة والمنكر المنهي عنه،

(١) آثار الأول للحسن العباسي (ص ١١٦).

(٢) انظر: بدائع السلك لابن الأزرقي (٢/١٣١).

(٣) سير الملوك للطوسي (ص ٢٢٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٢٧).

(٥) انظر: بدائع السلك لابن الأزرقي (٢/١٢٧ - ١٣٠).

ولا يخفى من أين يدخل ذلك على ذي بصيرة بالسنن والشرعيات"<sup>(١)</sup>.

ثانيا: القضايا الدعوية المتعلقة بالشرعة والأحكام:

أوضحت الدراسة أن القضايا الدعوية المتعلقة بالشرعة والأحكام عند المتقدمين جاءت في المرتبة الثانية بتكرار قدره (٢٤٧٢) مرة، وبنسبة (١, ٢٢٪)، بينما تأخرت عند المتأخرين إلى المرتبة الرابعة بتكرار قدره (٥٤٧) مرة، وبنسبة (٤, ١٤٪)، فالعلاقة بين كتب المتقدمين والمتأخرين علاقة تفاضل كمي في التناول الموضوعي لهذا القضية، وتناقش الدراسة نتائج التحليل وفق عناصر الاستمارة فيما يأتي:

#### ١ - العبادة:

يتضح من نتائج تحليل الدراسة أن موضوع العبادات من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وما يتبعها من نوافل قد أخذت المرتبة الثانية بين موضوعات التشريع والأحكام بتكرار قدره (٩٦٧) مرة، وبنسبة (٧, ٣١٪)، أما المتأخرون فقد أخذت موضوعات العبادة المرتبة الأولى من بين المسائل المختارة من العينة، حيث بلغ تكرارها (٢٥٠) مرة، وبنسبة (٧, ٤٥٪)، فالعلاقة بينهما علاقة تفاضل.

تنظر كتب المناصحة إلى تلك الموضوعات بعين الاعتبار التام؛ لسببين:

الأول: كون الملوك والأئمة من المكلفين شرعاً، والعلماء هم مصدر علومهم

وتلقيهم.

الثاني: أنه يتعلق بالعلم بها القيام بواجب الحكم والقضاء والفصل، يقول

الماوردي رحمته الله: "ولا غنية بالملوك والأئمة خصوصاً عنه؛ لأنه لا بدّ لهم من النظر في مظالم

(١) بدائع السلك لابن الأزرق (١/١٩٩).

الرعية والبرية، وسماع دعاويهم وبيناتهم وأيمانهم وشهاداتهم، والأمر بها، وربما أمر الأمير بالصلاة، وكتب إليه بأحد الزكوات والصدقات، وُرُفِعَ إليه في المناكح، والتزاويج، والبيوع، والمواريث، وسائر فنون الأحكام، وربما رفع إليه في شيء من قسمة المغنم والفنيء، ووضع أموال المملكة مواضعها، فالملك أحق الناس باقتناء هذه الفضيلة؛ لئلا يجل محل الجاهل المحتاج إلى فقيه وقاضٍ في العلم الذي هو خاصٌ به وعامٌ لجميع رعيته، وفيه قوائم سياسته، ولا يتكل على قاضٍ أو مُفْتٍ في كل نازلةٍ وحادثة" (١).

ومن شواهد تناول المصنفين لأحكام العبادة، قول الوزير أبي سالم رَحِمَهُ اللهُ فِي أَحْكَامِ الصَّلَاةِ: "الركن الثاني: الصلاة: ولا بد من التعرض للطهارة قبلها؛ فإنها شرطها فنقول: الطهارة تنقسم إلى قسمين: طهارة من الخبث وهو النجاسة، وطهارة من الحدث وهو ما ينقض الوضوء ويمنع الصلاة" (٢)، ثم تطرق مُتَّصِرًا إلى أحكام إزالة النجاسة ورفع الحدث، وذكُرَ صفة الغسل والوضوء، وفروضهما، وسننهما، وآدابهما، وأنواع الغسل المشروع في الإسلام، وأحكام المسح على الخفين في الحضر والسفر (٣)، خاتماً تلك المسائل بقوله: "فهذا ما يتعلق بالطهارة، وقد منا ذكرها لكون الصلاة تتوقف عليها" (٤).

ومن المسائل المتعلقة بالعبادة في أبواب كتاب الصلاة التي أشارت إليها كتب مناصحة أئمة المسلمين أحكام صلاة الجمعة، يقول الخرميني رَحِمَهُ اللهُ فِي "الدرة الغراء": "فصل: في شرائط الجمعة: ويشترط لأداء الجمعة المصر عند أبي حنيفة، وهو: كل بلدة بها

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٥٠).

(٢) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٥٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٥٦-٥٩).

(٤) المصدر السابق (ص ٥٩).

سك وأسواق، ولها رساتق - أي: قرى - ووال لدفع المظالم، وعالم يرجع إليه في الحوادث، وهذا هو الأصح، كذا في "التبيين" ...<sup>(١)</sup>، ثم أخذ في عرض جملة من المسائل المتعلقة بشرطها<sup>(٢)</sup>، كما تناولت بعض تلك المصنفات مسائل صلاة العيدين<sup>(٣)</sup>، وأحكام الأذان والإقامة، ومسائل صلاة الجماعة<sup>(٤)</sup>، وأحكام صلاة أهل الأعذار<sup>(٥)</sup>، وبعض مسائل صلاة الجنابة<sup>(٦)</sup> وأحكام غسل الميت<sup>(٧)</sup> ودفنه<sup>(٨)</sup>.

أما أحكام الزكاة فكانت الأكثر تناولاً في تلك الكتب؛ لأن تعلم أحكام الزكاة بالنسبة للإمام أو من يقوم مقامه من الواجب العيني عليه، فهي من عمله وفرض الله في ولايته، وقد تطرقت كتب مناصحة أئمة المسلمين إلى بعض مسائل الزكاة وأحكامها بهذا الاعتبار مع الاختصار الشديد، يقول الحسن العباسي رحمته الله في "آثار الأول في ترتيب الدول": "فوالي الصدقات والساعي في تحصيلها ينبغي أن يكون فقيهاً عارفاً بما أوجب الله على عباده في أموالهم من الزكوات، وكيف أوجبها؟ ومتى تؤخذ؟ ومقدار النصاب من كل صنف، وأخذ القيم فيما يجوز الأخذ، والحرص فيما يجوز الخرص فيه، وزكاة الخليطين،

(١) الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٦٦).

(٢) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٦٧-٢٦٩)، وانظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ٢٢٤ - ٢٢٥).

(٣) انظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧٥)، وانظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٦٥ - ٢٦٦).

(٤) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٤٩ - ٢٥٠).

(٥) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٩٥)، وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٥١).

(٦) انظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٢٧٠)، (ص ٣١٨)، وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٧٦).

(٧) انظر: حسن السلوك للموصلي (ص ٩١)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٢٩٣) و(٢/٣٨٣).

(٨) انظر: البرهان في فضل السلطان لابن طوغان (ص ١٢٣).

والركاز، والمعدن، والتجارة، والفترة، ثم يأمر الملك بجمع ذلك وتفرقة وقسمته على أهله، كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾<sup>(١)</sup> الآية، فمن أخذها بحقها وقسمها على مستحقها كان منصفاً لرعيته، عادلاً في سياسته، تابعاً لسنة شريعته وفرضها"<sup>(٢)</sup>.

وفي حكم الزكاة وشرط وجوبها وبيان مصارفها يقول الوزير أبو سالم القرشي رضى الله عنه: "فمن جحد وجوبها فقد كفر، ويجب على من وجبت عليه إخراجها من ماله، وصرفها إلى مستحقها، وقد بين الله - سبحانه - مصارف الزكاة في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾"<sup>(٣)</sup>، فمن امتنع من إخراجها أخذها منه السلطان وصرفها إلى أهل استحقاقها.

ولا تجب الزكاة إلا في نصاب كامل بعد حولان الحول، ونصاب الذهب عشرون مثقالاً وزكاته نصف مثقال، ونصاب الفضة مئتا درهم وزكاته خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه وهو ربع العشر"<sup>(٤)</sup>، وقد أطنب في أحكامها - من المتأخرين - صاحب كتاب "إكليل الكرامة"<sup>(٥)</sup>.

وأما المسائل المتعلقة بالصيام فهي من أندر المسائل التي تطرقت لها كتب المناصحة،

(١) سورة التوبة، الآية (٦٠).

(٢) آثار الأول للحسن العباسي (ص ١٦٢-١٦٣)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي (ص ٣٣٢).

(٣) سورة التوبة، الآية (٦٠).

(٤) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٦١).

(٥) انظر: إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ١٥٦-١٧٨).

وهذا راجع - من وجهة نظر الباحث - إلى ضعف ارتباط أحكام الصيام بمسؤولية الإمامة، مقارنة بفريضة الصلاة، والزكاة، والحج، التي يُعد القيام عليها داخلياً في أعمال الولاية.

ومن مسائل الصيام التي أشارت إليها كتب المناصحة، فريضة صيام شهر رمضان، ووجوب أدائه بشرطه، ووقته، وصورته عند الإمكان، واستنفاذ القدرة عليه مع ارتفاع المعاذير دونه<sup>(١)</sup>، يقول الوزير أبو سالم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الركن الرابع: صوم شهر رمضان: والصوم فرضه عظيم، وثوابه جسيم... والصوم ينقسم إلى فرض ونفل، فأما الفرض فصوم رمضان، ويثبت شهر رمضان بشهادة عدل واحد، فإن غمّ كمل شعبان ثلاثين..."<sup>(٢)</sup>، ثم تطرق بعد ذلك إلى أحكام النية في الصيام، وأحكام القضاء، وعدّ بعض مفطرات الصيام، ثم ختم قوله بذكر قسيم الفرض وهو النفل، وما يتضمنه من مسائل وأحكام يفارق بها صيام الفريضة<sup>(٣)</sup>.

وباستقراء مسائل الحج في تلك المصنفات فإن الباحث لم يخلص فيها إلى شيء سوى استدراقات يسيرة في آخر كتابي "العقد الفريد" للوزير أبي سالم القرشي<sup>(٤)</sup>، و"تحرير السلوك" لابن الأعرج<sup>(٥)</sup>، وترجع الدراسة سبب ذلك إلى قيام كتب الأحكام السلطانية بها، حيث أشبعتها بالبحث والتفصيل<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٩).

(٢) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٦١).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٦١-٦٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٩٢).

(٥) تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٦٠).

(٦) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٧٢-١٧٨)، وانظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ١٠٨-١١٤).

## ٢- الجهاد:

أوضحت الدراسة أن مسائل الجهاد قد أخذت المرتبة الأولى عند المتقدمين في قضايا التشريع والأحكام، حيث بلغ تكرارها (١٠٢٠) مرة، وبنسبة قدرها (٤٦,٣٪)، في حين أنه يجيء عند المتأخرين في المرتبة الثالثة بعد قدره (١٧١) مرة، وبنسبة مئوية حسابها (٣١,٣٪)، فالعلاقة بين المتقدمين والمتأخرين من حيث العدد الكمي علاقة تفاضل.

اهتمت مصنفات مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الجهاد وأحكامه، وسلطت الضوء على جانبه: السياسي الشرعي المتعلق بتدبير الحروب ومكائدها، والجانب الفقهي المتصل بأحكام القتال، والأسرى، والفداء، والغنائم، والفيء وما يلحق به من الجزية، والخراج، والعشر، ونحو ذلك، يوضح ذلك الطرسوسي رحمته الله في الفصل الأخير من كتابه بقوله: "في الجهاد وقسمة الغنائم: الكلام في هذا الفصل في مواضع: أحدها: في بيان وقت وجوبه، والثاني: في الجعائل، والثالث: في الفرار من الزحف، والرابع: من يجوز قتله من المشركين ومن لا يجوز، الخامس: في بيان ما ينتهي به أمر القتال، السادس: فيما يجب من طاعة الإمام وما لا يجب ويندرج فيه صلاة الخوف، السابع: في الأمان، الثامن: في المحاصرين من الكفار إذا طلبوا الإسلام أو عقد الذمة وأبى الإمام، التاسع: السبايا، العاشر: في الشهيد وما يصنع به، الحادي عشر: في مفاداة الأسرى بالأسرى، الثاني عشر: الغنائم وكيفية قسمتها.." <sup>(١)</sup>، ثم تابع الحديث في بيان هذه المسائل وإيضاحها على وفق مواضعها <sup>(٢)</sup>.

كما توسع مصنف كتاب "المنهج المسبوك" في ذكر المسائل المتعلقة بأحكام القتال، وأفرد لذلك بابين كاملين جعل عنوانهما "فيما ينبغي لأهل الجيش ويلزمهم من حقوق

(١) تحفة الترك للطرسوسي (ص ١٤٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٤٥-١٥٥).

الجهاد"<sup>(١)</sup>، و"في مصابرة المشركين"<sup>(٢)</sup>، وتطرق في البابين إلى عدة مسائل منها: وجوب مصابرة العدو، وحكم الفرار عند لقاء الصفيين، وتحريم الانهزام من العدو إذا كان مثلين فما دون، وحكم التحرف والتحيز في القتال، وطاعة أمير الجيش، وأحكام المبارزة، وحكم الانغماس في العدو، وأحكام النية، ووجوب أداء الأمانة، وغيرها من المسائل<sup>(٣)</sup>.  
ومن المتأخرين كتاب "إكليل الكرامة" الذي قصر القول على أحكام مصارف الغنيمة والفبيء<sup>(٤)</sup>.

### ٣- الحدود والجنايات:

تبين من خلال نتائج التحليل أن قضية الحدود والجنايات أخذت المرتبة الثالثة والأخيرة بين فئات المحور، حيث بلغ تكرار مسألها (٩٦٧) مرة، وبنسبة (٧, ٣١٪)، في حين أنها قد أخذت المرتبة نفسها عند المتأخرين، بتكرار قدره (١٢٦) مرة، وبنسبة (٢٣٪)، فالعلاقة بين المتقدمين والمتأخرين علاقة تماثل.

وفي الحدود والجنايات عرضت كتب المناصحة مسائل الحدود وأحكامه في سياق ترتيب مؤلفيها لمصنفاتهم وتقسيمهم لها، بعيداً عن النظم الفقهي المعلوم، فحيثما وجد محل عرض المسألة من التبويب أو التنظيم وجدتها حاضرة فيه، وقد عقد الماوردي رحمته الله في ذيل كتابه "نصيحة الملوك" باباً "في تدبير الأعداء وأهل الجنايات"<sup>(٥)</sup>، مصدراً هذا الباب

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ٦١٦).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٣٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٦١٦-٦٤٥).

(٤) انظر: إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ١٧٢-١٨٨).

(٥) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٠٣).

بحديث مائع عن حرمة الأنفس والأعراض، ومقصود الشارع من إقامة الحدود والتعزيرات، ثم شرع في الحديث عن حكم قتال المرتدين والبغاة، وذكر حد الحرابة، والقصاص، والزنا، والخمر، وشرط وجوب الحدود<sup>(١)</sup>، وختم ذلك بقوله: "فهذه جمل أصول ما أباح الله فيه القتال والقتل، والحد وسفك الدم والجلد، ولها فروع يطول ذكرها عما عرضناه في كتابنا، وهي معروفة عند الفقهاء، مسطورة في كتب العلماء"<sup>(٢)</sup>.

ومن المصنفات التي أولت أحكام الحدود بشيء من الذكر، كتاب "بذل النصائح الشرعية" لأبي حامد المقدسي<sup>(٣)</sup>، وكتاب "النصائح المهمة" للشيخ علوان، وقد ناقش الأخير مسائل منها: ثبوت رجم المحسن في السنة، والعدل في تنفيذ الحد<sup>(٤)</sup>، وكتاب "إكليل الكرامة" - وهو من المتأخرين -، حيث عقد فصلين كاملين، جعل الأول في الحدود، والثاني في العقوبات التي جاءت بها الشريعة لمن عصى الله ورسوله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

### ثالثاً: القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ:

يتضح من خلال نتائج تحليل الدراسة أن الموضوعات الدعوية المتعلقة بالوعظ عند المتقدمين تأتي بالمرتبة الأولى بين مجموع القضايا، حيث بلغ تكرارها (٣٤٦١) مرة، وبنسبة (٣١٪) كما تجيء عند المتأخرين في نفس الدرجة، حيث بلغ تكرار مجيئها (١١٤٥) مرة، وبنسبة (١, ٣٠٪) من إجمالي القضايا الدعوية عند متأخري المصنفين في مناصحة أئمة

(١) انظر: نصيحة الملوك للباوردي (ص ٣٠٥-٣١٣).

(٢) المصدر السابق (ص ٣١٣).

(٣) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٤٠-١٤٣).

(٤) انظر: النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٤٦-١٥٩).

(٥) انظر: إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٢٠٢-٢٤٤).

المسلمين.

ولا غرابة في غلبة موضوع الوعظ على تلك المصنفات، فلولاها لم يكن لاتصاله بقسم الدعوة معنى، كما أنه الغاية التي يفصح عنها المصنفون على عناوينهم مثل: "الذهب المسبوك في وعظ الملوك" للحميدي، و"الشفاء في مواعظ الملوك" لابن الجوزي، أو ما يرادفها من الألفاظ، كلفظ التذكرة في "التذكرة الحمدونية" لابن حمدون، أو الإرشاد كما هو الحال في كتاب "إرشاد الملوك" لأبي زيد الهندي، وأشمل منه لفظ النصيحة كما سمي به الماوردي كتابه "نصيحة الملوك"، أو الغزالي في "التبر المسبوك في نصيحة الملوك"، كل ذلك يدل على رئاسة هذا المحور في تلك المصنفات.

يضاف إلى ذلك تصريح المصنفين في تبوياتهم ومقدماتهم كما فعل الطرطوشي رحمته الله حيث عقد الباب الأول وجعله في مواعظ الملوك<sup>(١)</sup>، مستهلاً مضامينه بقوله: "لقد خاب وخسر من كان حظه من الله الدنيا، اعلم أيها الرجل - وكلنا ذلك الرجل - أن عقول الملوك وإن كانت كباراً إلا أنها مستغرقة بكثرة الأشغال، فتستدعي من الموعدة ما يتولج تلك الأفكار..."<sup>(٢)</sup>، وهذه مسألة غنية عن القول.

ركزت كتب المناصحة عند المتقدمين والمتأخرين في مجالات الوعظ على أربعة قضايا

هي:

### ١- التذكير بخطر الولاية:

يأتي التذكير بخطر الولاية وعظم أمرها في المرتبة الخامسة عند المتقدمين بتكرار قدره

(١) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٩).

(٢) المصدر السابق (ص ١٩).

(٤١٥) مرة، وبنسبة (١٢٪)، كما يجيء عند المتأخرين في الدرجة نفسها بتكرار (١٥٢) مرة، وبنسبة (٣، ١٣٪)، وهذا يدل على أن علاقة المتقدمين بالتأخرين في المرتبة الكمية علاقة تماثل وتطابق.

ينطلق الناصح في هذا الباب من أثر إحساس الإمام بعظم المسؤولية، وانعكاس ذلك على قيامه بحقها، وقد تسابقت أقلام مصنفي كتب المناصحة في بيان خطر أمر الملك وجسامته، وما أعدده الله من الثواب والعقاب لمن أصاب سببها، يقول الغزالي رحمته الله مخاطباً السلطان في أصول العدل: "هو أن تعرف أولاً قدر الولاية وتعلم خطرها، فإن الولاية نعمة من نعم الله - عز وجل -، من قام بحقها نال من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة من بعده، ومن قصر عن النهوض بحقها حصل في شقاوة لا شقاوة بعدها إلا الكفر بالله تعالى"<sup>(١)</sup>، ثم يعيد النداء عليه بعد وصيته بمصاحبة العلماء قائلاً: "أيها السلطان: خطر الولاية عظيم، وخطبها جسيم، والشرح في ذلك طويل، ولا يسلم الوالي إلا بمقاربة علماء الدين؛ ليُعلموه طرق العدل، ويسهلوا عليه خطر هذا الأمر"<sup>(٢)</sup>.

وفي الفصل الرابع عشر من كتاب "حسن السلوك" يسمي مؤلفه هذا الفصل بـ "خطر الولاية"<sup>(٣)</sup> ويستهله مخاطباً السلطان بقوله: "اعلم أن خطر الولاية عظيم، وأمرها جسيم، وخطرها جاءت الأحاديث في التغليظ في شأنها، كما ثبت عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضر ببيده على منكبي، ثم قال: ((يا أبا ذر! إنك رجل ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى

(١) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٠٨ - ١٠٩)، وانظر: الدرر الغراء للخرميتي (ص ١١١).

(٢) التبر المسبوك للغزالي (ص ١١٧ - ١١٨).

(٣) حسن السلوك للموصلي (ص ١٧٥).

الذي عليه فيها))<sup>(١)</sup>.

ومن المتأخرين يوضح صديق حسن خان حقيقة الولاية في الإسلام، وواجب المكلف فيها، فيقول: "فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله تعالى، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ من أفضل القربات. وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها..."<sup>(٢)</sup>، ثم ساق بعدها جملة من الآيات والأحاديث والآثار الدالة على عظم خطرها<sup>(٣)</sup>.

## ٢- الحث على الشكر:

يجيء موضوع الحث على الشكر عند المتقدمين كما أثبتت الدراسة في المرتبة الرابعة بين مجموع القضايا، حيث بلغ تكراره (٥٧٨) مرة، وبنسبة (٦, ١٦٪)، بينما يتقدم عند المتأخرين بمرتبة واحدة يبلغ عدد تكرارها (١٩٠) مرة، وبنسبة (٦, ١٦٪)، فالعلاقة بين المتقدمين والمتأخرين علاقة تفاضل.

يعالج المصنفون موضوع الشكر بالصيغة التي تلائم المنصوح من حيث ذكر النعمة وطريقة شكرها، فهم لا يتحدثون عنها بعموم معناها ومتعلقاتها، فالملك نعمة من الله، وتشريف مع التكليف الذي هو فيه، فلا ينبغي أن يكون أحد أشكر الله من الملوك، وحق الله على من عرف هذا الفضل أن يُعقبه بالحمد والشكر، يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ فِي "المصباح المضيء": "فإن الله تعالى رفع قدر خليفته على جميع خليقته، وأمر الكل بطاعته، فأوجب

(١) حسن السلوك للموصلي (ص ١٧٥).

(٢) إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ١٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٣ - ١٨).

هذه الإنعام تضاعف الشكر<sup>(١)</sup>، ويذكر ابن طباطبا الملك بوجوب الاعتراف والإقرار بالنعمة مع لزوم شكرها قائلاً: "ويجب للملك أن يعرف نعمة الله عليه بأن اصطفاه لهذه المرتبة العلية دون سائر الخلق، وبأن جعله يفزع منه كل أحد، ولم يجعله يفزع من أحد، فلا يزال لها ذاكرًا شاكرًا، فأما الذكر فلامثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾<sup>(٢)</sup>، وأما الشكر فلطلب المزيد لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

والحث على الشكر من الموضوعات الرئيسة التي ملأت كتب المناصحة من صدورهم، كما فعل الغزالي في استهلال مصنفه قائلاً: "اعلم يا سلطان العالم، ملك الشرق والغرب، أن الله عليك نعمًا ظاهرة، وآلاءً متكاثرة، يجب عليك شكرها، ويتعين عليك إذاعتها ونشرها، ومن لم يشكر نعم الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، فقد عرض تلك النعمة للزوال، وخجل من تقصيره يوم القيامة"<sup>(٥)</sup>، وفي مضامينها، كما صنع الماوردي في كتابه "التحفة الملوكية" حين عقد فصلاً كاملاً في الشكر، متحدثاً فيه عن أدلة وجوبه، وكيفية قيامه، وخطر التقصير فيه على زوال الدول، وجزاء أهله عند ربهم إذا قاموا به<sup>(٦)</sup>.

ومن شاهد الوعظ بقضية الشكر عند المتأخرين قول المناوي رحمته الله: "فعلى المتولي أن يشكر نعمة الولاية، وأن يعلم أنه والرعية سواء لم يتميز عنهم بنفسه بل بفعله - تعالى - الذي لو شاء لفضلهم عليه، وملكهم أمرهم، فإذا أعطاه الولاية دونهم، فلا ينبغي أن

(١) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ١٥٩ - ١٦٠).

(٢) سورة الضحى، الآية (١١).

(٣) سورة إبراهيم، الآية (٧).

(٤) الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٣٥)، وانظر: الذهب المسبوك للحميدي (ص ١٨٠ - ١٨١).

(٥) التبر المسبوك للغزالي (ص ٩٣).

(٦) انظر: التحفة الملوكية (ص ١٠٠ - ١٠١).

يتجبر، ويستعين بنعمة على معصية، فلا أقل من أن يتجنب أذاهم، ويكف عنهم شره، ونعمة الله بالولاية لا تطلب منه غير ذلك...<sup>(١)</sup>.

والدراسة تكتفي بهذه الشواهد دليلاً على وجودها.

### ٣- الترغيب في إقامة العدل:

أبرزت نتائج الدراسة أن قضية العدل جاءت في المرتبة الثانية بين قضايا الوعظ عند المتقدمين، بتكرار قدره (٨٤٩) مرة، ونسبة عدّها (٥, ٢٤٪)، بينما جاءت عند المتأخرين بتكرار (٣٤٢) مرة، ونسبة (٩, ٢٨٪)، فالقضية مقدمة عند المتقدمين وعند المتأخرين حيث تأخذ قضية العدل الصدارة بين سائر القضايا.

غني عن التعريف ذكر أهمية هذه القضية في هذا المجال، كما أن وجودها فيه واجب الوجوب؛ ذلك أن العدل أساس الأحكام والسياسة، وميزان التشريع وصراطه المستقيم، وقوام الدول والسلاطين<sup>(٢)</sup>.

وتتوسط قيمة العدل موضوعات الوعظ في كتب المناصحة، ويستوعب بها بعض المصنفين مادة الكتاب من أوله إلى منتهاه، كما فعل الحافظ أبو نعيم في "فضيلة العادلين من الولاة"، الذي أفصح عنوانه عن بطونه، كما يُبرزه آخرون عياناً للناظر في تسميات الأبواب والفصول، مثل: صنيع ابن الجوزي في الباب الثاني الذي وسمه بـ "في فضل

(١) الجواهر المضية للمناوي (ص ٣٢٠).

(٢) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢٦)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان الملقبي (ص ٨٥)، وانظر:

بدائع السلك لابن الأزرق (١/٢٢٩).

العدل"<sup>(١)</sup>، والتبريزي في "باب ذكر العدل بالقسط، وثواب العادلين"<sup>(٢)</sup>، وأبي حمو في "الفصل الأول: توصية ترشد إلى الإنصاف بالعدل والتحلي بالفضل"<sup>(٣)</sup>، والغزالي في "الباب الأول: في ذكر العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم"<sup>(٤)</sup>، وابن الجوزي في البابين "السادس: في ذكر فضل العدل"<sup>(٥)</sup>، و"السابع: في ذكر ذم الظلم"<sup>(٦)</sup>، وغيرها<sup>(٧)</sup>.

ومن المتأخرين المناوي في "الجواهر المضية" حيث عقد الباب السادس وسماه: "في العدل وشرفه"<sup>(٨)</sup>، حاشداً فيه جملة من الآيات، والأحاديث، والحكم المنقولة، والأمثال السائرة، شأنه في ذلك شأن كتب المناصحة عند المتقدمين، ومن كتب المتأخرين أيضاً كتاب "إكليل الكرامة" لصديق حسن خان، حيث عقد فصلاً كاملاً في تحريم الظلم مطلقاً، متناولاً فيه خطر هذه الجريمة على أصحابها في الدنيا والآخرة، والفصل مليءٌ بالآيات والأحاديث الصحيحة<sup>(٩)</sup>.

#### ٤- الحث على طلب النصيحة واستماعها:

من العجب تركيز كتب المتقدمين على موضوع طلب النصيحة واستماعها، حيث

(١) الشفاء لابن الجوزي (ص ٤٥).

(٢) النصيحة للراعي والرعية للتبريزي (ص ٢٧).

(٣) واسطة السلوك لأبي حمو الزياتي (ص ٨٥).

(٤) التبر المسبوك للغزالي (ص ١٧١).

(٥) المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ١٧٧).

(٦) المصدر السابق (ص ١٩١).

(٧) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٢٦)، وانظر: بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٢٢٩ - ٢٣٦).

(٨) الجواهر المضية للمناوي (ص ١٠٩).

(٩) انظر: إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٣٠٦ - ٣٤٨).

أخذت المرتبة الأولى في قضايا الوعظ، بتكرار قدره (٨٩٧) مرة، وبنسبة (٩, ٢٥٪)، كما يجيء عند المتأخرين في الدرجة الثانية بتكرار قدره (٢٧٧) مرة، وبنسبة (٢, ٢٤٪) الأمر الذي يعكس فهم العلماء للمجال الذي يكتبون فيه، واستيعابهم الراسخ لغاية الوسيلة التي ينتهجونها وهدفها، والعلاقة بين المتقدمين والمتأخرين هنا متقاربة نسبياً في تقديم التناول.

ينظر المؤلفون إلى هذا الموضوع على أنه الباب الذي يُدخل منه إلى بقية الموضوعات؛ ولذا يحرص المصنفون على التأكيد عليه من خلال عدة صور منها:

- إثبات حاجة الإمام والخليفة والملك إلى النصح يقول الماوردي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "فليس أحد - وإن جل خطره، وعظم قدره - ممن يجب أن يرتفع عن استماع الموعدة وقبول النصيحة؛ لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظّه الأجل، واستحقّ من الله البشري في العاجل، والثواب في الآجل، ومن عقلاء خلقه الثناء والمدح والإكرام والدعاء، فإن الله عز ذكره يقول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾<sup>(١)</sup>، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup>.

- الحث المباشر على استماعها يقول الشيزري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "اعلم أن استيلاء الدنيا على الملوك، وإقبالها عليهم ربما شغلهم عن أمر الآخرة، وأغفلهم عن مهمّات الدين، فيجنحون إلى اللذات، ويهملون الديانات؛ لأن النفوس مطبوعة على الميل إلى الترف، وإيثار التمتع، وكراهة التكليف، فلا ينبغي أن تخلو مجالسهم من علماء الدين، وأصالح

(١) سورة الزمر، الآية (١٧ - ١٨).

(٢) سورة الزمر، الآية (١٨).

(٣) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٠٥)، وانظر: التبر المسبوك للغزالي (ص ١٢٠ - ١٢٦).

المتنسين؛ لينهوههم عند طريان الغفلة، ويذكروهم عند ضراوة الشهوة، ويوضحون لهم نهج الآخرة، ومعالم الشريعة، وقد كان ذلك شعار الملوك الغابرين، والخلفاء الراشدين في مجالسهم الحكماء، واستماع مواعظ العلماء"<sup>(١)</sup>.

- ذكر القصص والأخبار التي استدعى فيها الخلفاء العلماء والوعاظ لنصحهم، وخير شاهد على ذلك كتاب "الذهب المسبوك" للحميدي الذي ضمنه قصصاً عن ذلك<sup>(٢)</sup>، وكتاب "عزة العلماء" للموجان<sup>(٣)</sup> - وهو من المتأخرين - .

#### ٥- الحث على الزهد:

أوضحت الدراسة أن الحث على الزهد قد جاء في المرتبة الثالثة عند المتقدمين بتكرار (٧٢٧) مرة، وبنسبة (٢١٪) كما أتى عند المتأخرين في المرتبة نفسها حيث بلغ تكراره (١٩٠) مرة، وبنسبة (٦, ١٦٪)، وهذا يعطي نتيجة بأن العلاقة بين الطبقتين هنا علاقة محاكاة وتمائل.

إن الوعظ بالزهد في الدنيا، والتبصير بحقيقتها، والتحذير من فتنتها، والاعتبار بحال أهلها، من الموضوعات التي طفحت بها كتب المناصحة وموعظة الملوك، يقول أحمد السري عن طبيعة الوعظ السياسي عند السلف: "ثم رأينا تلازماً بين الوعظ والزهد، ووقفنا على عمق فلسفة الوعظ المتصلة بطبيعة السلطة والنفس الإنسانية، وكان الزهد هو الموضوع الأعظم للوعظ، مضافاً إليه الحث على العدل ... ومن أفكار الوعظ المتكرر، إبرازه لفكرة الصيرورة في الزمان وتقلب الأحوال، وكشفه للخلفاء أضرار وهم الخلود

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ٦٩٠).

(٢) انظر: الذهب المسبوك للحميدي (ص ١٤٠، ١٤٥، ١٤٧، ١٦٥).

(٣) انظر: عزة العلماء للموجان (ص ٤٣، ٤٩ - ٥٠، ٦١ - ٦٢، ٧٥ - ٧٦).

للأنفس والملوك، وبيان أن ما يظنه المرء خاصاً به من ملك وقوة، إنما انتهى إليه ممن فني قبله، وأن الخليفة سيفنى وسيصير الملك إلى غيره"<sup>(١)</sup>.

ومن شواهد ذلك أن الماوردي رحمته الله عقد لذلك باباً سماه بـ"في المواعظ التي تبصر غرور الدنيا، وتنفع من نظر فيها واستمع لها، وتهديه إلى العدل في ملكه"<sup>(٢)</sup>، يقول فيه: "فيجب على الملك الفاضل والسائس الكامل الذي ربما أنفق الأموال وعمل الأعمال ليمدحه به مخلوق جاهل، أو شاعر كاذب، أو ماجن مترخص أن يرغب في هذه المنزلة التي يمدحه بهاربُ العالمين ثم فضلاء المسلمين، وإن الله جل ذكره جعل الخير في الاعتبار، والاعتبار بالتفكير، وحث عليه في غير موضع من كتابه فقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾"<sup>(٣)</sup>... فمن قريب ما يجب أن يتفكر فيه ويتدبره أن يتذكر أحوال القرون الماضية، والملوك الأولين، الذين كانوا أشد منه قوة وأكثر جمعاً، وأبين آثاراً وأطول أعماراً، الذين بنوا المدائن وجمعوا الخزائن، وحفروا الأنهار وعمروا الديار، وشيدوا القصور ودبروا الأمور، وجمعوا الجموع وقادوا الجيوش وساقوا الخيول، ودوخوا البلاد وأذلوا العباد، ومشوا في الأرض مرحاً واختالوا بما أوتوا فرحاً، فأخذهم الله بما كانوا يكسبون، فأصبحوا بعد العزّ، والمنعة، والملك، والرفعة والصوت، والسطوة، والذكر، والصلوة، عظاماً رمياً، ورُفاتاً هسياً، وأصبحت منازلهم خاويةً، وقصورهم خالية، وأجسادهم بالية، وأصواتهم هادئة، تُنبئ آثارهم معاناةً،

(١) في الوعظ السياسي لأحمد السري (ص ٥٩).

(٢) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٠٣).

(٣) سورة الروم، الآية (٨).

وتقرع أسماعك أخبارهم مجاهرةً... " (١).

وأبين من الماوردي رحمته الله ابن ظفر الصقلي رحمته الله الذي ختم سلواناته بسلوانة الزهد، يقول فيها: "السلوانة الخامسة: وهي سلوانة الزهد، قال الله ربنا - تقدر اسمه - مخاطباً أصلح من استخلفه في أرضه، وأعلم من كلفه ما يرتضيه، الذي كان عاضده على ما يستكفيه وعاصمه فيما يبيده ويخفيه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ثُمَّ زَهَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُ فِيهِ﴾" (٢)، هذا بعد أن خيره بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فاختر فقَد الملك على غنى الملك... " (٣)، ثم أسهب في ذكر الآثار والحكم، والأشعار، والقصص، والأخبار، الحائثة على الزهد في الدنيا (٤).

ومن المتأخرين يفرد المناوي رحمته الله باباً كاملاً "فيما ينبغي أن يكون الملك عليه في خاصة نفسه" (٥)، وهو عبارة عن حكم مختصرة، ووصايا موجزة، تتعلق بخاصة الملك في نفسه، ومنها قوله: "وينبغي أن يُظهر للعامة التقشّف مع اعتقاده ذلك؛ لأنه متى أظهر خلاف ما أضمره ظهر عليه" (٦).

وتبقى هذه القضية قضية كمال في حق الملوك، يُحمد عليها الفاعل، ولا يلحق التارك

تثريب.

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٠٥-١٠٦).

(٢) سورة طه، الآية (١٣١).

(٣) سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي (ص ٢٧١).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٧١-٣٠٣).

(٥) الجواهر المضية للمناوي (ص ١٨٧).

(٦) المصدر السابق (ص ١٨٨).

#### رابعاً: القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق:

توضح نتائج الدراسة أن القضايا المتعلقة بالأخلاق عند المتقدمين جاءت في المرتبة الثالثة بتكرار قدره (٢٢٥٢) مرة، ونسبة (١, ٢٠٪)، كما جاءت عند المتأخرين في نفس المرتبة بتكرار (٧٦٣) مرة، ونسبة (١, ٢٠٪)، وهذا يعني أن العلاقة بين المتقدمين والمتأخرين في هذه القضية علاقة تماثل وتطابق في المقدار الكمي.

تهيمن الرؤية الأخلاقية على مصنفي هذا المجال في تحليلهم السياسي، وهو ما يؤكد على ربط الأخلاق بالحفاظ على الملك<sup>(١)</sup>، باعتبارها إحدى دعائم استقراره ودوامه وفق مراد خطاب الشارع، يقول الشيزري رحمته الله للملك: "واعلم أن الأدب أحد الأوصاف الأربعة التي يشترط قيامها بالملك في تدبير المملكة... فإذا عري الملك عنه اختلت سياسته وتديره"<sup>(٢)</sup>، وقد شكلت هذه الخلفية الأخلاقية داخل هذا المجال من التصنيف طبقه من طبقات الخطاب المعلنة والظاهرة، وهو ما يبالغ به بعضهم فيزعم أن هذا الخطاب السياسي في أصله ومرماه لم يبرح دائرة الخطاب الأخلاقي<sup>(٣)</sup>.

يتنوع التصنيف الموضوعي لمجال الأخلاق في كتب مناصحة أئمة المسلمين، حيث قصد بعضهم النظر في فلسفة الأخلاق، وتحليل ماهيتها، واستخلاص قواعدها، كما فعل ابن أبي الربيع رحمته الله في "سلوك المالك"، والماوردي رحمته الله في "تسهيل النظر"<sup>(٤)</sup>، واكتفى

(١) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ١٢٩).

(٢) المنهج السلوك للشيزري (ص ١٦٩-١٧٠).

(٣) انظر: الآداب السلطانية لعز الدين العلام (ص ٤٦).

(٤) انظر: الباب الأول، الفصل الثالث، البحث الثالث، المطلب الأول: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين

بموضوعات الوعظ من (ص ٤٧٧-٤٩٤) من هذه الرسالة.

بعضهم بالسرد العام مستقلاً في بابه، أو مدرجاً في تضاعيف مادة الكتاب، وبعض هؤلاء الصنف ابتكروا طريقاً في العرض، وهو فصل الأخلاق المحمودة في مباحث تفصلها عن مذموم الخصال<sup>(١)</sup>، ووصفوها بالصفات الوجودية أو العدمية كما يقول ابن طباطبا: "وأما الخصال التي يُستحب أن تكون معدومة فيه فقد ذكرها ابن المقفع في كلام له..."<sup>(٢)</sup>.

وقد اقتصرَت الدراسة على ذكر الأخلاق من جانبي الوجود والعدم، وتناقش نتائجها من خلال الآتي:

### ١- الحث على مكارم الأخلاق:

يتضح من نتائج الدراسة أن الحث على مكارم الأخلاق عند المتقدمين يأتي بالمرتبة الأولى بتكرار (١٢٨٢) مرة، وبنسبة (٩, ٥٦٪)، كما يأخذ الدرجة نفسها عند المتأخرين بتكرار (٤٤٨) مرة، وبنسبة (٧, ٥٨٪)، فالعلاقة بين المتقدمين و المتأخرين من حيث درجة التناول، علاقة تماثل وتطابق.

ولما كانت الولاية والسلطنة عالية الرتب، رفيعة المقام، منتظماً بها مصلحة الخاصة والعامّة، مرفوعة القدم على القمم، كان جديراً لمن لبس أثوابها، وأحرز رقابها، أن يأخذ نفسه برعاية أحوالها، ويروضها في أفعالها، حتى لا يسبقه أحد إلى شرف، مدركاً أنه متى ما قدر على سياسة نفسه كان على سياسة الرعية أقدر<sup>(٣)</sup>؛ إذ "لا ينبغي لذي عقل ولب أن

(١) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٤١، ٣٥٨)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٨).

(٢) الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٧).

(٣) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٧٢)، وانظر: عين الأدب لابن هذيل (ص ١٠٥)، العقد الفريد للملك

السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٧)، (ص ٥٧).

يطمع في طاعة غيره، وطاعة نفسه عليه ممتنعة"<sup>(١)</sup>، ومن بدأ بسياسة نفسه إصلاحاً، أدرك حسن سياسة الناس<sup>(٢)</sup>.

ومن شواهد تناول المصنفين لقضية الحث على مكارم الأخلاق أن الشيزري رحمته الله عقد الباب الخامس من كتابه "في معرفة الأوصاف الكريمة وفضلها وحث الملك عليها"، ثم مهد لذلك بقوله: "ينبغي للملك المنتصب لتدبير الرعية، أن يتصف بالأوصاف الكريمة، ويتلبس بها، ويجعلها له خلقاً مطبوعاً، ولا يهمل منها وصفاً واحداً، إذ بها قوام دولته، ودوام مملكته، وهي خمسة عشر وصفاً.

العدل، والعقل، والشجاعة، والسخاء، والرفق، والوفاء، والصدق، والرافة، والصبر، والعفو، والشكر، والأناة، والحلم، والعفاف، والوقار. وسنشرح فضل هذه الأوصاف وما يتعلق بها من المصالح الكلية في تدبير المملكة"<sup>(٣)</sup>.

وقد أفرد لكل خلق موضعاً جعله تحت عنوانٍ يخصه، فيقول مثلاً: الوصف الأول: العدل، ثم يأخذ في ذكر مشروعيته، والحكم والآداب والقصص التي تدل على فضيلته، مع ذكر شيء من أحكامه<sup>(٤)</sup>، وهذا في جميع الأوصاف المأمور بها<sup>(٥)</sup>.

ومن طرق المصنفين في عرض الموضوع الخلقى، طريقة العرض المرسل دون تبويب أو ترتيب، ومن ذلك ما فعله الماوردي في "نصيحة الملوك"، حيث جعل الباب الثاني منه:

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٣٧)، وانظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ١٤٦)، وانظر:

درر السلوك للماوردي (ص ٥٨).

(٢) انظر: درر السلوك للماوردي (ص ٥٨).

(٣) المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٤١).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٢ - ٢٥٥).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٢٤٢ - ٣٥٧).

"في فضل الملوك في علو مراتبهم، وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من اجتلاب الفضائل واجتناب الرذائل"<sup>(١)</sup>، وهو يذكر الصفة الحسنة وضدها، أو يكتفي بالشيء عن ضده، وهكذا<sup>(٢)</sup>، ومثله ابن الأعرج في كتابه: "تحرير السلوك"، فبعد أن أنهى القول في الزجر عن رذائل الأخلاق أتبع ذلك بقوله: "فواجب على السلطان إذا تخلى عن هذه النقائص أن يتحلى من الخصائص الحسان بما يزداد به مهابة ووقاراً، ويكسبه عظمة وفخاراً، ويعلي له في العالم شأنًا ومناراً، ويبقى له على الأبد ذكراً وفخاراً..."<sup>(٣)</sup>، ثم أخذ في عدّ شيء من صالح الأخلاق القولية والعملية<sup>(٤)</sup>.

ومن المتأخرين المناوي الذين أفرد الباب التاسع من كتابه "فيما ينبغي أن يكون الملك عليه في خاصة نفسه"<sup>(٥)</sup>، متناولاً فيه جملة من الأخلاق الحسنة، مثل: الوقار، والأناة، والسخاء، والشجاعة، والحلم، وغيرها<sup>(٦)</sup>.

والمتقدمون والمتأخرون مشتركون في تناول الموضوعي لقضية الخلق والوعظ به؛ لكونه يشكل محوراً رئيساً من محاور الوعظ في نصيحة أئمة المسلمين.

## ٢- التحذير من مساوئ الأخلاق:

تخلص نتائج الدراسة إلى أن نتائج التحذير من مساوئ الأخلاق تأتي في المرتبة الثانية، حيث بلغ تكرار تناولها (٩٧٠) مرة، وبنسبة (١, ٤٣٪)، وهي الدرجة نفسها

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٥٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٥٣ - ٧٥).

(٣) تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٣٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٣٣ - ٣٧).

(٥) الجواهر المضية للمناوي (ص ١٨٧).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ١٨٧ - ٢٠٧).

عند المتأخرين، حيث بلغ تكرار مجتمعتها (٣١٥) مرة، وبنسبة (٣، ٤١)، فالعلاقة بين المتقدمين والمتأخرين علاقة مماثلة.

إن تأخير استعمال التحذير من مساوىء الأخلاق عند الطبقتين يؤيد ما ذهب إليه الدراسة من ترجيح جانب الترغيب وغلبته على جانب التحذير والترهيب في تلك المصنفات.

يفرد المصنفون موضوعاً خاصاً في معرفة الأوصاف الذميمة والأخلاق المنهي عنها، ويكون هذا في الغالب بعد ذكر المأمور به من الأخلاق، يقول الشيزري رحمته الله في الباب السادس من كتابه: "لما ذكرنا من مكارم الأخلاق أوصافاً جميلة، وأخلاقاً حميدة، يزداد المتصف بها إجلالاً وتعظيماً، أحببنا أن نوضح ما ذكرناه من محاسن بشرح قبائح أضرارها الخارجة بالنفس عن حد الاعتدال إلى ما يعقبها من الاضطراب في تأتي الحال؛ ليجتنبها الملك... أما الأوصاف فهي: الجور، والجهل، والبخل، والسرف، والخلف، والكذب، والغيبة، والغضب، والعجب، والكبر، والحسد، والعجلة، والمزاح، والضحك، والغدر..."<sup>(١)</sup>، ثم شرع في شرح كل واحدة على حدة<sup>(٢)</sup>.

وقد يقرن المصنفون في الباب نفسه بين الصفة وضدها، يقول ابن الأزرق رحمته الله في: "القاعدة الخامسة: السخاء والجود: وفيها منهجان: الأول: في بيان هذا الوصف، والآخر في تقرير نقيضه، وهو البخل"<sup>(٣)</sup>، وإلى هذا المنهج يشير أبو سالم في قوله: "وقد استقصينا تفاصيل الأخلاق والخلال المرغوبة المستحسنة، والشيم المستقحبة المستهجنة، وشرحنا ما

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ٣٥٨)، وانظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٣١).

(٢) انظر: المنهج السلوك للشيزري (ص ٣٥٨ - ٤٧٤).

(٣) بدائع السلك لابن الأزرق (١/ ٤٤٤).

يتعين اكتسابه، وما يجب اجتنابه، وبسطنا القول في أقسام ذلك في القاعدة الأولى...<sup>(١)</sup>.

وقد درج على ذلك المتأخرون أيضاً<sup>(٢)</sup>.

خامساً: القضايا الدعوية المتعلقة بالسياسة الشرعية:

أظهرت النتائج أن القضايا المتعلقة بالسياسة الشرعية عند المتقدمين جاءت في المرتبة الخامسة بتكرار عده (١٤٣٨) مرة، وبنسبة (٩, ١٢٪)، كما أخذت عند المتأخرين المرتبة نفسها حيث بلغ عدد التكرار فيها (٥٠٧) مرة، وبنسبة (٣, ١٣٪)، وهذا يدل على أن العلاقة هنا بين الطبقتين علاقة تطابق في المعيار الكمي.

إن موضوع السياسة الشرعية ظاهر في تلك المصنفات ظهور الشمس، فالكتاب يؤلفه الفقيه للملك أو الدولة، قاصداً بذلك إعانته على حسن التدبير، ومناصرته في القيام بواجب الإمامة وفق مراد الشارع، فالمصنفون في الحقيقة يمارسون السياسة الشرعية التي يؤصلون لها في محلها.

وتناقش الدراسة في هذا المنتخب عنصري الاستمارة: المسائل المتعلقة باعتبار المصلحة، والتذكير بواجبات الإمامة.

#### ١- المسائل المتعلقة باعتبار المصلحة:

يتضح من خلال نتائج الدراسة أن المسائل المتعلقة باعتبار المصلحة في باب السياسة الشرعية جاءت في المرتبة الثانية عند المتقدمين بتكرار (٤٨٠) مرة، وبنسبة (٤, ٣٣٪) كما أنها جاءت عند المتأخرين على نفس الترتيب بتكرار قدره (٢٤٣) مرة، وبنسبة (٩, ٤٧٪).

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص٢٣٦).

(٢) انظر: الجواهر المضية للمناوي (ص١٨٧ - ٢٠٧).

وهذا يعني بأن العلاقة بين الفتين هنا علاقة تماثل.

وإن من أظهر مسائل السياسة الشرعية التي تناولتها كتب المناصحة في اعتبار المصلحة، مسائل الأهلية في الولاية؛ لأن من مسؤولية الإمام "أن يتخير ولاته وعماله؛ لتعذر مباشرته لجميع الأمور، ولئلا يشتغل عن التدبير بأعظم من ذلك"<sup>(١)</sup>، فاقضى ذلك أن يبذل الوسع في تولية الأصلح على كل عمل من أعمال المسلمين و"عليه أن يبحث عن المستحقين للولايات من نوابه في سائر الأمصار التي في عمله من القضاة، والأمراء، والأجناد، ومقدمي العساكر، والوزراء، والكتاب، والشادين والسعاة على الخراج والصدقات، وأئمة الصلاة والمؤذنين، والخطباء، والمقرئين، وأمراء الحاج، وخزان الأموال، وحراس الحصون، والبوابين، وغيرهم، وعلى كل من ولي شيئاً من أعمال المسلمين من هؤلاء، وغيرهم أن يستعمل فيما تحت يديه في كل موضع أصلح من يقدر عليه"<sup>(٢)</sup>.

ولا يحل لولاية الأمور أن يعدلوا عن الأصلح؛ فإن عدلوا عنه إلى غيره لأجل مصلحة خاصة فقد خانوا الله ورسوله والمؤمنين، ودخلوا فيما نهى الله عنه في قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمَلَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ومتى تعذر الأصلح

(١) بدائع السلك لابن الأزرقي (١/ ٣٣٥)، وانظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٥١).

(٢) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ١١٢ - ١١٣)، وانظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٢٧).

(٤) انظر: العقد الفريد للملك السعيد لابن طلحة (ص ٢٤٦)، وانظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية

(ص ٨) وانظر: تحفة الترك للطرسوسي (ص ٨٦)، وانظر: حسن السلوك للموصلي (ص ٨٢ - ٨٤، ٨٧).

اجتهد في اختيار الأحق، الأمثل فالأمثل<sup>(١)</sup>.

ومن المسائل التي يؤكد عليها مؤلفو المناصحة عدم تولية طالب الولاية والإعراض عنه؛ لأن هذا من الريبة فيه<sup>(٢)</sup>، يقول الطرطوشي رحمته الله: "اعلموا - أرشدكم الله تعالى - أن معظم ما يدخل على الدول من الفساد من تقليد الأعمال أهل الحرص عليها؛ لأنه لا يخطبها إلا لص في ثوب ناسك، وذئب في مسلاخ عابد، حريص على جمع الدنيا، نابذ لدينه ومروءته، يبتغى عرض الحياة الدنيا"<sup>(٣)</sup>، وتولية مثله من الطرق المفضية إلى الجنف والظلم، والحيدة عن العدل.

ومن شواهد اعتبار المصلحة مشروعية الممازجة بين الأحوال في فهم منازل السياسة الناجحة، وتحقيق العدل التام بها، يقول ابن هذيل رحمته الله في ذلك: "فالسياسة أن يخلط الوعد بالوعد، والعطاء بالمنع، والحلم بالإيقاع، فإن الناس لا يصلحون إلا على الثواب والعقاب، والإطعام والإخافة، ومن أخاف ولم يوقع وعرف بذلك كان كمن أطمع ولم ينجز، فخير الخير ما كان ممزوجاً، وشر الشر ما كان صرفاً، وإذا كان الناس إنما يصلحون على الشدة واللين، والعفو والانتقام، وعلى البذل والمنع، وعلى الخير والشر عاد ذلك الشر خيراً، وذلك المنع عطاءً، وذلك المكروه نفعاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فأسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها، وقلوبها

(١) انظر: المصباح المضيء لابن الجوزي (ص ٢٣٥)، وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ١١٥)،

وانظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٣٦).

(٢) انظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/ ١١٣ - ١١٤).

(٣) سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٦٦).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٨٩).

بخواطرها، وخواطرها بأسبابها من الرغبة الرهبة"<sup>(١)</sup>.

ويقعد لذلك المتأخرون فيقول المناوي رحمته: "والسياسة: هي التدبير المؤدي إلى صلاح الدارين، وذلك إنما يكون بلين من غير ضعف، وشدة من غير عنف، ووضع كل في محله اللائق به، فوضع أحدهما محل الآخر يفسد التدبير"<sup>(٢)</sup>، وهذا كلام يؤصل لمعنى اعتبار المصلحة، التي انتشرت مسائلها في كتب المتقدمين والمتأخرين.

ومن أقام مسائل السياسة على هذه القاعدة - من المتأخرين - صديق حسن خان، حين تحدث عن أحكام ولاية العهد للأبناء قائلاً: "ولا يُتهم الإمام في هذا الأمر وإن عهد إلى أبيه أو ابنه؛ لأنه مأمون على النظر لهم - أي الرعية - في حياته، فأولى ألا يحتمل فيها تبعاً بعد مماته، خلافاً لمن قال باتهامه في الولد والوالد، أو لمن خصص التهمة بالولد دون الوالد، فإنه بعيد عن الظنة في ذلك كله، لاسيما إذا كانت داعية تدعو إليه من إثارة مصلحة أو توقع مفسدة، فتنتفى الظنة عند ذلك رأساً..."<sup>(٣)</sup>، وشواهد هذه المسألة أكثر من أن تحصر.

## ٢ - التذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها:

يتضح من خلال نتائج الدراسة أن هذه القضية أخذت المرتبة الأولى عند المتقدمين، حيث بلغ تكرار عدّها (٩٥٨) مرة، وبنسبة (٦, ٦٦٪)، وهي المنزلة نفسها عند المتأخرين التي وصل عدّ تكرارها إلى (٢٦٤) مرة، وبنسبة (١, ٥٢٪)، وهذا يعني مماثلة المتأخرين

(١) عين الأدب لابن هذيل (ص ١٦٥)، وانظر: آداب الملوك للثعالبي (ص ١٠٣ - ١٠٤).

(٢) الجواهر المضية للمناوي (ص ١٧٨ - ١٧٩).

(٣) إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٣٣ - ٣٤).

هنا لمنهج المتقدمين الموضوعي.

يتصدر ذكر الواجبات السلطانية مقدمات المصنفات<sup>(١)</sup> ومضامينها، فمن ذلك قول الشيزري رحمته الله في "المنهج السلوك": "واعلم أن العدل لا يتحقق من الملك إلا بلزوم عشر خصال:

أحدها: إقامة منار الدين، وحفظ شعائره، والحث على العمل به، من غير إهمال له، ولا تفريط بحقوقه.

الثاني: حراسة البيضة، والذب عن الرعية، من عدو في الدين، أو باغ في النفس والمال.

الثالث: عمارة البلدان، باعتماد المصالح وتهذيب السبل والمسالك.

الرابع: النظر في تعدي الولاة، وأهل العز من الأعوان على الرعية لأن تعديهم منسوب إليه...

الخامس: النظر في أحوال الجند، وغيرهم من أهل الرزق لئلا تبخسهم العمال أرزاقهم، أو يؤخرون العطاء فيجحف الانتظار بهم.

السادس: الجلوس لكشف المظالم والنظر بين المتشاجرين من الرعية، والفصل بينهم بالنصفة على وجه الشرع.

السابع: تقدير ما يخرج من بيت المال على طبقات أربابه من غير إسراف ولا إقتار.

(١) انظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (ص ٥٩ - ٦٢)، وانظر: بذل النصائح الشرعية للمقدسي (ص ١٠٦ - ١٠٧)،

وانظر: إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٥٢ - ٧٠).

الثامن: إقامة الحدود على أهل الجرائم بالشرع المطهر على قدر الجريمة.

التاسع: اختيار خلفائه في الأمور، وولاته، وقضاته، وعماله بأن يكونوا من أهل الكفاية، والأمانة، والحدق، والدراية فيما هم بصدد.

العاشر: تنفيذ ما وقف من أحكام القضاة وأهل الحسبة، وما عجزوا عن تنفيذه لقوة يد المحكوم عليه وتعززه، فينفذ الملك ما حكموه عليه بالشرع.

فإذا فعل الملك هذه العشرة خصال كان مؤدياً لحق الله تعالى في الرعية بالعدل الذي أمر الله تعالى به، وكان مستوجبا لطاعتهم، ومستحقاً لمناصحتهم، وإن ترك شيئاً من ذلك كان عن العدل ناكباً، وفي الجور راغباً<sup>(١)</sup>.

وعموم هذه الواجبات والمسؤوليات محل اتفاق الكاتبين من المتقدمين والمتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين<sup>(٢)</sup>.

ويستنتج الباحث من خلال مناقشة نتائج تحليل المحور الثالث ما يأتي:

١ - قلة إيراد مسائل الإيمان في كتب المناصحة عند المتقدمين والمتأخرين، وهذه - بلا شك - من المآخذ عليها؛ ذلك أن الكتب اعتنت بكل موضوع من شأنه أن يصلح

(١) المنهج السلوك للشيزري (ص ٢٤٩-٢٥٤)، وانظر: نصيحة الملو للماوردي (ص ٢٣٥ - ٢٧٢)، وانظر: تسهيل

النظر للماوردي (ص ٢٥٦ - ٢٨٢)، وانظر: تحرير السلوك لابن الأعرج (ص ٢٥ - ٢٦).

(٢) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤٠)، و(ص ٦٢)، وانظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٢٤١-٢٦٦)،

وانظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ٢٧)، و(ص ٣٤)، وانظر: الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي

(ص ٧٤)، وانظر: مآثر الإنافة للقلقشندي (١/٥٩-٦٠)، وانظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ١٢٠ - ١٩٦)،

وانظر: بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/١٠٦-١٠٧)، وانظر: الجواهر المضية للمناوي (ص ٦٥

- ٩٢)، وانظر: إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ٥٢ - ٧٠).

حال الملك، سواء أكان في خاصة نفسه، أم في تدبير الملك، ومن التقصير البيّن أن تتناول تلك الكتب ما يتعلق بشأن السياسة الخاصة من لباس، ومركب، ومطعم، وزوجة، وولد، وخادم، ومتاع، ثم ترجى مسائل الاعتقاد.

٢- أن إيراد مسائل الإيمان إيراداً إجمالاً بغير تفصيل، وهذه طريقة صالحة؛ لأن تفصيل تلك المسائل وشرحها في كتب العقيدة.

٣- حسن توظيفها في الجانب الوعظي، وهذا مما امتازت به كتب المناصحة؛ لأن ثمرة الإيمان العمل، ومن ذلك قول الشيخ علوان رحمته الله: "ثم إذا عرف الملك نفسه بالعبودية، ومولاه بالربوبية، لا يزال مفتقراً إليه أشد من فقر غيره إليه؛ لأنه مضطر إليه من كل وجه وبكل حال"<sup>(١)</sup>.

٤- وتستنتج الدراسة أيضاً أن تناول مصنفات مناصحة أئمة المسلمين لموضوعات التحذير من الشرك والبدع قليلة جداً، والسبب في ذلك يعود إلى التركيز على الجانب السياسي المتعلق بأحكام الإمامة بكل فروعها.

٥- أن أكثر القضايا الدعوية المتعلقة بمسائل الاعتقاد التي تناولتها كتب المناصحة هي المسائل المتعلقة بأبواب الإمامة، سواء أكانت من كتب المتقدمين أم من المتأخرين.

٦- من المسائل المدرجة في هذه الفئة: مسألة الحكم بما أنزل الله، وإقامة الدين، ومحاربة البدع، وهي المسائل المتعلقة بمهام الملك.

٧- لا يعتمد المصنفون أفراد مسائل العقيدة في أبواب مستقلة غالباً، كما لا ينصون على تعلقها بمسائل الاعتقاد.

(١) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ١٨٢).

٨- لا يلزم من كثرة إيراد مسائل الأحكام في تلك الكتب ظهورها للرأي مبوبة في باب، أو معزولة في فصل، فوجود تلك المسألة متعلق بشخص الكاتب، واحتياج المنصوح، وظرفية الزمان، فالماوردي فقيه الشافعية، أو الطرطوسي والخرميني من فقهاء الحنفية، لا يتوانون في إيراد الحكم عند ورود مقتضيه في كل تبويبات الكتاب، ويقال ذلك عند جميع المصنفين - وأعني بذلك مصنف ما بعد القرن الخامس الهجري - سوى من اختط طريق الأدباء الخالصة كابن عربشاه، وصاحب كتاب "الأسد الغواص" ونحوهم.

٩- تنظر كتب المناصحة إلى المسألة الفقهية في تلك الكتب نظرة تكامل مع المصنفات الأخرى المتعلقة بالسياسة الشرعية، فالماوردي حينما يصنف كتاب "الأحكام السلطانية"، مريداً بذلك تقريب الحكم الفقهي لرجل الدولة، لا يعيد القول فيه في كتب المناصحة إلا على سبيل التذكير والتبع؛ لاستغناء كتب المناصحة بها.

١٠- بالتأمل في نتائج الدراسة عند المتقدمين والمتأخرين في مسائل التشريع والأحكام، يُرى أن مسائل الجهاد أخذت المرتبة الأولى عند المتقدمين بتكرار قدره (١٠٢٠) مرة، وبنسبة (٣, ٤٦٪)، يليها مسائل العبادة، ثم مسائل الحدود والجنايات، أما عند المتأخرين، فإن مسائل العبادة أخذت المرتبة الأولى بين باقي العناصر، في حين أن مسائل الجهاد قد تأخرت إلى المرتبة الثانية، واتفقت مع كتب المتقدمين في القدر التناولي لمسائل الحدود والجنايات، وهذا يكشف الفقه بواقع احتياج الراعي والرعية عند المصنفين، فإن مسائل الجهاد عند المتقدمين كانت مسألة يُحتاج إليها، أما عند المتأخرين فإن الأمر مختلف عنهم، فاتهم الأولون والآخرون بسمة الواقعية في كتابتهم، وتناولهم لهذه الأبواب، وإن اختلفت طبيعة العلاقة الحسابية

بينهم.

١١- يعد موضوع التذكير بخطر الولاية من أهم الموضوعات؛ لأن إيمان الملك به يحمله على إقامة أمر الإمامة والاجتهاد في تبرئة الذمة بحسن القيام عليها وأداء حقها.

١٢- يتقارب عرض قضية الحث على الشكر عند المتقدمين والمتأخرين.

١٣- يركز الجميع في موضوع الشكر على موضوع الولاية؛ لأنهم يستحضرون ارتباطه بالمنصوح والمقام الذي يلائمه.

١٤- يبدو للباحث أن موضوع الشكر مربوط بأسلوب الترغيب والترهيب، وهذا ملاحظ في عرض المضامين والنصوص عند المتقدمين والمتأخرين.

١٥- لا خلاف في توسط قضية العدل بين قضايا الوعظ في مصنفات المتقدمين والمتأخرين، فهي قضية الإمامة والمُلك الكبرى.

١٦- لحظت الدراسة أن معالجة قضية العدل في تلك الكتب كانت معالجة وعظية، مكتفية فيها بإيراد النصوص والآثار الحاثثة على العدل، والزاجرة عن الظلم، سوى استثناءات يسيرة، مثل: الاعتناء بمسألة دلالة الملك على الأمور التي يحصل بها إقامة العدل، كما فعل الموصلي رحمته الله في "حسن السلوك"، والشيزري رحمته الله في "المنهج المسلوك"، وصدیق حسن خان رحمته الله في "إكلیل الكرامة" وغيرهم.

١٧- مع أفراد المصنفات لقضية العدل في الأبواب والفصول، إلا أنها حاضرة في متشور الحُكم، ووصايا العرب، وكذا في تطبيقات السياسة الشرعية في تلك المصنفات.

١٨- اعتبرت الدراسة موضوع طلب النصيحة والحث على استماعها كاشفاً عن حكمة المؤلفين، وفهمهم للمجال الذي يكتبون فيه، فإن هذه القضية ارتبطت

بالمصنفات ارتباط الشرط بالمشروط، كما أنها دلت على أهمية هذه الكتب التي لبّت احتياج هذا العنصر.

- ١٩ - تماثل المتقدمون والمتأخرون في طرح قضية الزهد وتناولها في المقدار الكمي.
- ٢٠ - ظهر اهتمام المصنفين بقضية الزهد؛ لأنهم نظروا إلى كون محبة الدنيا والركون إليها سبباً في نسيان الآخرة والغفلة عنها، وهذا - بلا شك - من أسباب التفريط في حق الإمامة.
- ٢١ - تعد قضية الأخلاق من بين القضايا الكبرى في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين، وربما غلبت على بعض مضامينها واستغرقتها بالكلية، فكتاب "تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملوك" للماوردي، وكتاب "الجوهر النفيس في سياسة الرئيس" لابن الحداد، وكتاب "الإشارة إلى أدب الإمارة" للمرادي، وغيرها دليل واضح على ذلك.
- ٢٢ - يعالج المصنفون قضية الأخلاق بجانبها الوجودي والعدمي، غير أن التركيز الغالب هو في المأمور به من الأخلاق، كما ثبت ذلك بنتائج التحليل في هذه الدراسة.
- ٢٣ - تجلّ التناول الموضوعي لمسائل السياسة الشرعية في مصنفات أئمة المسلمين من خلال تطبيق اعتبار المصلحة في مسائل المصنفات وموضوعاتها، فحيث تعلق الأمر بالدولة أو بشخص الملك - من حيث هو ملك - فثمّ أمر السياسة الشرعية، ولا غرابة إذاً من وجودها في آداب اللباس، أو في قضايا الأخلاق، كما فعل

الشييزري رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ (١) وغيره.

٢٤- من مسائل السياسة الشرعية التي أعادها المصنفون في كتبهم نقلاً عن كتب الأحكام السلطانية، واجبات الإمامة، وهذا أمر تؤكد عليه كتب المناصحة في مقدماتها غالباً، كما فعله القلقشندي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، والخرميني رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وأبو حامد المقدسي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وصديق حسن خان رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، والمناوي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، أو تضمنه في بطونها، كما هو صنيع الماوردي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ في كتابيه "نصيحة الملوك" و"تسهيل النظر"، وهي مسألة تساوى فيها المتقدمون مع المتأخرين.

(١) انظر: المنهج السلوك للشييزري (ص ٣٩٠ - ٣٩١)، وانظر: حسن السلوك للماوردي (ص ٦٥).

## المطلب الرابع

### أوجه الاستفادة من نتائج الدراسة التحليلية في العصر الحاضر

#### تمهيد:

إن دراسة منهج العلماء في مناصحة أئمة المسلمين من خلال مصنفاتهم، والوقوف على معالمه الكبرى: من مصادر، وأساليب، وقضايا، مأرب ذو بال عند كل ذي علم وبصيرة حمل في قلبه النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ ذلك أن النصح للإمامة والقائمين عليها يتضمن النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولعامة المسلمين.

وبعد التأمل في المسلك الذي انتهجه العلماء في هذا الباب العظيم، والبحث والقراءة في المضامين التي حوتها مصنفاتهم، خرجت الدراسة برؤية متكاملة تستوجب الاستفادة منها في الواقع المعاش، وتبلورت معها معالم هذا النهج من مصدره إلى غايته وهدفه، بما لا يترك مقالاً لذي شغب، ولا حجة لمكابري، أراد أن يفرق جمع الأمة باتباع الأهواء وجهالة الآراء. ولا شك أن كمال الانتفاع في اتباع السالف المصيب، والبداية من حيث انتهى إليه اجتهاده، مع تميم ما فاتته، واجتناب ما جانبه فيه الصواب.

وتتناول الدراسة هذا المطلب من خلال المحاور الثلاثة الكبرى الرئيسة محل التحليل، وهي: المصادر، والأساليب، والقضايا.

أولاً: أوجه الاستفادة من مصادر الاستدلال والاستشهاد:

تناولت الدراسة مصادر الاستدلال الأصلية عند مؤلفي مصنفات المناصحة، كما

وقفت على مصدر الاستشهاد بأقوال العلماء المرقومة فيه، وتجميل الدراسة أوجه الاستفادة من هذا المحور فيما يأتي:

### الفائدة الأولى: الاعتماد على الكتاب والسنة:

لا ريب أن الكتاب والسنة هما مصدر التشريع الرئيسان، وركناه الركبان التي اعتمدها المصنفون مطلع القرن الخامس الهجري في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين، حيث جعلت القرآن والسنة قاعدة الكتاب، وأصل مسائله، وميزان نهجه، وضابط مرامه وغايته، يقول الماوردي رحمته الله: "ولكننا أردنا أن نجعل كتابنا هذا دينياً نريهم فيه مصالح معادهم ومعاشهم، ونظام ممالكهم وأحوالهم بكتاب الله رب العالمين، وسنن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين..."<sup>(١)</sup> كما يعرب عن ذلك الشيخ علوان رحمته الله في "النصائح المهمة" بقوله في مقدمة كتابه: "ولنفتتح الكلام بقول الملك العلام، قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾"<sup>(٢)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾"<sup>(٣)</sup>، وقال الله تعالى حاكياً عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾"<sup>(٤)</sup>، وقال حاكياً عن

(١) نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٣).

(٢) سورة الحج، الآية (٤١).

(٣) سورة النحل، الآية (٩٠).

(٤) سورة يوسف، الآية (١٠١).

سليمان عليه السلام: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> والآيات في هذا المعنى كثيرة<sup>(٢)</sup> ثم عطف على ذلك بذكر جملة من الأحاديث النبوية في فضيلة العدل وأهله<sup>(٣)</sup>.

ويُقيم أبو حامد المقدسي رحمته الله كتابه كله على حديث النبي ﷺ: "الدين النصيحة"، مفصلاً عن منهاجه بقوله في مقدمته: "فجعلت هذا الحديث الشريف أصلاً لهذا التصنيف المنيف، فاقتديت به، ورتبته عليه، ووسمته ببذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاية الأمور وسائر الرعية..."<sup>(٤)</sup>.

إن إقامة هؤلاء العلماء كتبهم على الكتاب والسنة، وتقديمهم للوحي فيهما على كل شيء، يهدي السائلين عن الحق إلى أن السيادة للشريعة كما قال ﷺ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله ﷺ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله ﷺ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾<sup>(٧)</sup> قال الطبري رحمته الله: "إن

(١) سورة النمل، الآية (٤٠).

(٢) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ٧٣-٧٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٧٤-٧٥).

(٤) بذل النصائح الشرعية لأبي حامد المقدسي (١/٨٦).

(٥) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

(٦) سورة النور، الآية (٥١).

(٧) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

سيدكم ومصالح أموركم أيها الناس، هو المعبود الذي له العبادة من كل شيء، الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام"<sup>(١)</sup>.

وسيادة الوحيين في هذا الباب تتمثل في أمور منها:

أ- أن يكون الوحي والشرع هو المصدر المهيمن والضابط الحاكم في نهج الناصح، فالقضايا والموضوعات - التي تُعد عنصر البلاغ - لا بد أن يكون الوحي هو مصدرها والحاكم عليها، فلا واجب إلا ما أوجبه الله، ولا حرام إلا ما حرمه الله، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "وكل ما أحبه الله ورسوله، من واجب ومستحب، من باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله الأمر به، وكل ما أبغضه الله ورسوله، من باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله النهي عنه، لا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله، وبترك ما أبغضه الله، سواء كان من الأقوال أو الأعمال، الباطنة أو الظاهرة"<sup>(٢)</sup>.

وفي الأساليب والطرائق كذلك، كما قال رحمته الله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فالشريعة جاءت كاملة تامة بما يصلح أمر الناس في شأن معاشهم ومعادهم، وهذا أمر يعلمه العالم بالشريعة بما علمه الله من ظاهر الوحيين،

(١) تفسير الطبري (١٢/٤٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٩/١٧٧).

(٣) سورة النحل، الآية (١٢٥).

أو بالاستنباط منهما، فلا يحل لناصح أن يحمل منصوحاً على هوى رآه، أو اجتهاد ضعيف لا يُعلم وجه الأخذ فيه، يقول الشوكاني رحمته الله: "فالدليل على كون ذلك الشيء معروفاً أو منكرأ هو الكتاب والسنة"<sup>(١)</sup>.

ب- ومن سيادة الشريعة في ذلك صحة الاعتماد على الوحيين في تأصيل المسائل وبناء القضايا، والقياس الصحيح فيما نزل على الأمة من الوقائع والحوادث، فليس كل قائل بالدليل مصيباً في المدلول، فأصحاب البدع يقولون كلام خير البرية، غير أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، وينزلون الأدلة في غير محلها، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فتراهم حال الفتن يغمضون أعينهم عن صريح دلالة النصوص الحاتة على لزوم الجماعة، والالتزام بالطاعة، والوفاء بالبيعة، والصبر على جور الحكام؛ ليعطوا أهوائهم حرية الآراء المأفونة، والاجتهادات المردودة، مما ليس لهم فيه علم ولا هدى ولا كتاب منير.

ومن أظهر البيّنات على هذا ما مرت به الأمة فيما يسمى بـ "الربيع العربي"<sup>(٢)</sup>، حيث انبرى لشب ضرامها دعاة الفتنة، مضللين بذلك دهاء الناس وغوغائهم؛ فلم تجن الأمة من ذلك إلا كل وبال وخسارة، من ضياع الدين، وانتهاك الأعراض، وسفك الدماء وغير ذلك، والشر لا يأتي بالخير، يقول أ.د. محمد الزهراني رحمته الله: "عندما بدأت ثورات الربيع

(١) إرشاد الفحول للشوكاني (١/٢٠٦).

(٢) للاستزادة انظر: مسؤولية الدعاة تجاه الوقاية من ثورات الربيع العربي، إعداد: أ.د. محمد بن إبراهيم بن أحمد

الزهراني، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد الخامس عشر، رجب ١٤٣٨ هـ.

العربي ركب بعض المحسوبين على الدعوة موجة الثورات، فأيدوا الثورة، وأصدروا بيانات يؤيدون فيها خروج العوام في مسيرات ومظاهرات، زعماً منهم أن هذا الأفعال من وسائل الدعوة... وإن تعجب فعجب تأييد هؤلاء لخراب المجتمعات المسلمة، وقد استيقنت أنفسهم أن هذه الثورات صنيعة الغرب...<sup>(١)</sup>.

وليس في بطلان هذا الزور شك عند ذوي الحجا والعلم، فإن هذه الفتنة لا تحجب نور الهدى الذي شع من شمس الوحيين، يقول شيخ الإسلام رحمته الله: "وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمر وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديماً وحديثاً"<sup>(٢)</sup>.

وإن من حرف الحقائق ولبس الحق بالباطل على الناس، أن تقدم هذه الثورات على أنها من صور مناصحة أئمة المسلمين، وأنها درجة من درجات إنكار المنكر، يقول ابن القيم رحمته الله في ذلك: "إذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه، ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولادة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟

(١) مسؤولية الدعاة تجاه الوقاية من ثورات الربيع العربي لمحمد الزهراني (ص ٦٦)، وانظر: شفاء السقام في صفة

مناصحة الحكام وحكم التظاهر والاعتصام، تأليف: أبي حازم محمد بن حسني القاهري السلفي (ص ٨٩ -

١١٠)، الناشر: دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

(٢) مجموع الفتاوى، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٢/٣٥).

فقال: ((لا، ما أقاموا فيكم الصلاة)) وقال: ((من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعته))، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها...<sup>(١)</sup>.

ولم تقف مسؤولية العلماء مكتوفة الأيدي أمام هذه المزاعم الواهية، حيث صدر بيان هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بتاريخ ١ / ٤ / ١٤٣٢ هـ؛ ليستبين سبيل المجرمين، وينكشف زيفُ المبطلين، ونصه: "الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: فلقد أخذ الله ﷻ على العلماء العهد والميثاق بالبيان، قال - سبحانه - في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَشُبِّهِنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرْنَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

على الجهات الشرعية والرقابية التنفيذية الاضطلاع بواجبها ومحاسبة كل مقصر، للنصيحة أسلوبها الشرعي البعيد عن إصدار بيانات التهويل وإثارة الفتن وجمع التواقيع، المملكة لم ولن تسمح بأفكار وافدة من الغرب أو الشرق تنتقص من هويتها الإسلامية، ويتأكد البيان على العلماء في أوقات الفتن والأزمات؛ إذ لا يخفى ما يجري في هذه الأيام من أحداث واضطرابات وفتن في أنحاء متفرقة من العالم، وإن هيئة كبار العلماء إذ تسأل الله

(١) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (١٢/٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٨٧).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٥٩).

ﷺ لعموم المسلمين العافية والاستقرار والاجتماع على الحق حكماً ومحكوماً، لتحمد الله - سبحانه - على ما من به على المملكة العربية السعودية من اجتماع كلمتها وتوحيد صفها على كتاب الله ﷺ، وسنة رسول الله ﷺ في ظل قيادة حكيمة، لها بيعتها الشرعية أدام الله توفيقها وتسديدها، وحفظ الله لنا هذا النعمة وأتمها.

وإن المحافظة على الجماعة من أعظم أصول الإسلام، وهو مما عمت وصية الله - تعالى - به في كتابه العزيز، وعظم ذم من تركه، إذ يقول ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تُرِيبْتُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا الأصل الذي هو المحافظة على الجماعة مما عظمت وصية النبي ﷺ به في مواطن عامة وخاصة، مثل قوله ﷺ: ((من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية))، وقوله ﷺ: ((إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان))<sup>(٤)</sup>،

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٠٥).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٥٩).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع برقم [١٨٥٢]

وما عظمت الوصية باجتماع الكلمة ووحدة الصف إلا لما يترتب على ذلك من مصالح كبرى، وفي مقابل ذلك لما يترتب على فقدانها من مفسد عظمى يعرفها العقلاء، ولها شواهدا في القديم والحديث، ولقد أنعم الله على أهل هذه البلاد باجتماعهم حول قادتهم على هدي الكتاب والسنة، لا يفرق بينهم، أو يشتت أمرهم تيارات وافدة، أو أحزاب لها منطلقاتها المتغايرة لقوله ﷺ: "﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾"<sup>(١)</sup>، وقد حافظت المملكة على هذه الهوية الإسلامية، فمع تقدمها وتطورها، وأخذها بالأسباب الدنيوية المباحة، فإنها لم ولن تسمح - بحول الله وقدرته - بأفكار وافدة من الغرب أو الشرق تنقص من هذه الهوية أو تفرق هذه الجماعة.

وإن من نعم الله عز وجل على أهل هذه البلاد حكماً ومحكومين أن شرفهم بخدمة الحرمين الشريفين اللذين - وله الحمد والفضل سبحانه - ينالان الرعاية التامة من حكومة المملكة العربية السعودية عملاً بقوله ﷺ: "﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَنَتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾"<sup>(٢)</sup>، وقد نالت المملكة بهذه الخدمة ميزة خاصة في العالم الإسلامي، فهي قبلة المسلمين وبلاد الحرمين، والمسلمون يؤمنونها من كل حذب وصوب في موسم الحج حجاجاً وعلى ومدار العام عماراً وزواراً.

وهيئة كبار العلماء إذ تستشعر نعمة اجتماع الكلمة على هدي من الكتاب والسنة في ظل قيادة حكيمة، فإنها تدعو الجميع إلى بذل كل الأسباب التي تزيد من اللحمة وتوثق

(١) سورة الروم، الآية (٣١).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٢٥).

الألفة، وتحذر من كل الأسباب التي تؤدي إلى ضد ذلك، وهي بهذه المناسبة تؤكد على وجوب التناصح والتفاهم والتعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، وتحذر من ضد ذلك من الجور والبغي، وغمط الحق، كما تحذر من الارتباطات الفكرية والحزبية المنحرفة، إذ الأمة في هذه البلاد جماعة واحدة متمسكة بما عليه السلف الصالح وتابعوهم، وما عليه أئمة الإسلام قديماً وحديثاً من لزوم الجماعة والمناصحة الصادقة، وعدم اختلاق العيوب وإشاعتها، مع الاعتراف بعدم الكمال ووجود الخطأ وأهمية الإصلاح على كل حال وفي كل وقت.

وإن الهيئة إذ تقرر ما للنصيحة من مقام عال في الدين، حيث قال النبي ﷺ: ((الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)). ومع أنه من أكد من يناصح ولي الأمر حيث قال ﷺ: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم))، فإن الهيئة تؤكد أن للإصلاح والنصيحة أسلوبها الشرعي الذي يجلب المصلحة ويدرك المفسدة، وليس بإصدار بيانات فيها تهويل وإثارة فتن وأخذ التواقيع عليها؛ لمخالفة ذلك ما أمر الله ﷻ به في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ﴾<sup>(١)</sup>، وبما أن المملكة العربية السعودية قائمة على الكتاب والسنة والبيعة ولزوم الجماعة والطاعة، فإن الإصلاح

(١) سورة النساء، الآية (٨٣).

والنصيحة فيها لا تكون بالمظاهرات والوسائل والأساليب التي تثير الفتن وتفرق الجماعة، وهذا ما قرره علماء هذه البلاد قديماً وحديثاً من تحريمها، والتحذير منها.

والهيئة إذ تؤكد على حرمة المظاهرات في هذه البلاد، فإن الأسلوب الشرعي الذي يحقق المصلحة ولا يكون معه مفسدة هو المناصحة، وهي التي سنها النبي ﷺ، وسار عليها صحابته الكرام وأتباعهم بإحسان، وتؤكد الهيئة على أهمية اضطلاع الجهات الشرعية والرقابية والتنفيذية بواجبها كما قضت بذلك أنظمة الدولة وتوجيهات ولاية أمرها، ومحاسبة كل مقصر، والله تعالى نسأل أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه، وأن يجمع كلمتنا على الحق، وأن يصلح ذات بيننا، ويهدينا سبل السلام، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يهدي ضال المسلمين، وهو المسؤول - سبحانه - أن يوفق ولاية الأمر لما فيه صلاح العباد والبلاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين" (١).

وفي بيان هيئة كبار العلماء هذا موافقةً للمنهج الذي سار عليه مصنّفو كتب المناصحة التي حاولت القراءات المعاصرة إقصاءها وإبعادها من خلال وصفها بنعوت كاذبة، حتى تنطلي على فهم بادي الرأي من العامة والدهماء، فهم يصورون لزوم الجماعة، ورعاية حق الإمامة، ولزوم السمع والطاعة؛ حماية للاستبداد، ورعاية للظلم؛ ليخرجوا بذلك عن هيمنة الوحي، وينأوا عن سلطان الشريعة وسيادتها، ولا شك أن الحديث في هذا الباب العظيم - الذي أصل له العلماء في مباحث العقيدة - من المسائل التي لا يحل ولا يجوز أن

(١) البيان الصادر من هيئة كبار العلماء، منشور في مجلة البحوث الإسلامية (ص ٣٧٧ - ٣٨٨)، العدد [٩٣]، ربيع

يخوض فيها غير الراسخين في العلم، الذين خصهم الله بعلم تأويله، واجتباهم لـ ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فالحديث عن الإمامة، وخطاب الإمامة، حديث عن مصير الأمم التي لا تفسح لحدثاء الأسنان وصغار الأحلام مكاناً للقول فيها.

### الفائدة الثانية: لزوم الإجماع ومجانبة الآراء الفقهية الشاذة:

من المعلوم أن إجماع الأمة حجة قاطعة<sup>(٢)</sup>، ودليل من الأدلة الشرعية الثابتة؛ لأن الأمة لا تجتمع على الضلالة والزلل، ولا شك أن مخالفة الإجماع القطعي من الشذوذ المردود على أهله<sup>(٣)</sup>.

وأسباب الشذوذ عادة ما تكون راجعة إلى خفاء الدليل، أو الغفلة عنه، أو التساهل بأخذ مقتضاه، أو لهوى المخالف، يقول الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: "الشرعية راجعة إلى قول واحد كما تبين قبل هذا، والاختلاف في مسائلها راجع إلى دورانها بين طرفين واضحين أيضاً يتعارضان في أنظار المجتهدين، وإلى خفاء بعض الأدلة وعدم الاطلاع عليه، أما هذا

(١) سورة النساء، الآية (٨٣).

(٢) انظر: إحكام الفصول في أحكام الأصول (ص ٤٣٥)، تأليف: أبي الوليد الباجي، حققه وقدم له ووضع فهارسه: عبدالمجيد تركي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م؛ وانظر: المحصول، تأليف: أبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (٢/ ١٠٤)، دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م؛ وانظر: الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: أبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الآمدي (١/ ٢٥٤)، تحقيق: د. سيد الجميلي الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

(٣) انظر: الفقيه والمتفقه، تأليف: أبي بكر بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (١/ ١٥٤)، تحقيق: أبي عبدالرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

الثاني فليس في الحقيقة خلافاً؛ إذ لو فرضنا اطلاع المجتهد على ما خفي عليه لرجع عن قوله، فلذلك ينقض لأجله قضاء القاضي.

أما الأول، فالتردد بين الطرفين تحر لقصده الشارع المستبهم بينهما من كل واحد من المجتهدين، واتباع للدليل المرشد إلى تعرف قصده<sup>(١)</sup>.

ولما كانت كتب المناصحة متعلقة باباب عظيم من أبواب الدين، وكان به قيام مصلحة الكافة في شأن معاشهم ومعادهم، كان خطر الزلل فيه عظيماً، وشره مستطيراً، ولزم من ذلك أخذ الحيطة التامة فيه بسد كل الطرق المفضية إلى الأخذ بشذوذ الرأي، وخطل القول، وسيء الاختيار، ولما تناول القلقشندي رحمته الله حكم الإمامة في كتابه "مآثر الإنافة" قال: "في وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها، قال الماوردي: وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع وإن شذ عنه الأصم، يعني: حيث لم يقل بوجوب ذلك، مشيراً بذلك، إلى أنه لو ندر المخالف مع كثرة المجمعين لم تنقطع حجة الإجماع، كما هو الراجع في أصول الفقه"<sup>(٢)</sup>، وحينما توجه الماوردي رحمته الله بنصيحته للملوك في حكم تعاطي بعض الرخص أردفها بقوله: "فالأحوط في الدين تركها بكليتها، ومجانبتها بجملتها؛ لما يتوقع فيها من الفساد، ومن لم يسلك هذا المسلك، فالمختلف فيه أقرب من الحق وأشبهه من المتفق على تحريمه"<sup>(٣)</sup>.

إن مغزى القول من ذلك هو تأصيل المسار المنهجي عند المعاصرين في التعاطي مع الأقوال المتصلة بأحكام الإمامة بكل متعلقاتها، والحذر الشديد من التهوك في مزلة زلل

(١) الموافقات للشاطبي (٥/٢١٨ - ٢١٩).

(٢) مآثر الإنافة للقلقشندي (١/٢٩)، وانظر: الدرّة الغراء للخرميتي (ص ٩١).

(٣) نصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٦٠).

العلماء، وغفلة بعض الفقهاء الذين ساروا في بعض المسائل سيراً مخالفاً لمنهج السلف، والمؤسف حقاً أن تلك الأقوال المتروكة تجد طريقها إلى ألسنة الأغرار وقت الفتن والمحن، ويتولى إذكاء نارها دعاة الفتن، الذين يقولون ما لا يعلمون، ويفعلون ما لا يؤمرون.

ولا يلزم من شاذ الرأي أن يخالف صاحبه الإجماع، فإن المسألة قد تكون من نوازل العصر التي لم يجمع عليها أهله بعد، فيفتي فيها من لا ناقة له ولا جمل في علم الشريعة، حتى يأتي بالعجب العجيب، ويورث أمتة المهالك، وكم شهد الواقع المعاش من ويلات تلك الجهالات، ومن أمثلة المتقولين على الله ورسوله ﷺ في ذلك ما انتشر بين الأغرار من حمل قول النبي ﷺ: ((سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فنهاه وأمره، فقتله))<sup>(١)</sup>، على جواز الخروج على الإمام، مع أن الحديث لا يدل على ذلك لا بمنطوقه ولا بمفهومه<sup>(٢)</sup>، ومنه أيضاً تخريج صاحب كتاب "الفريضة الغائبة" جواز قتل الرئيس المصري على فتوى شيخ الإسلام في جواز قتل التتار، مع أن المؤلف لا يمت إلى علم الشريعة بصلة<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم [٤٠٧٩] [٤/٢٣٨]، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: "لم يرو هذا الحديث عن عكرمة إلا أبو حنيفة، ولا عن أبي حنيفة إلا الحسن بن رشيد، ولا عن الحسن بن رشيد إلا سعيد، تفرد به: أبو الدرداء" والحاكم في المستدرک على الصحيحين برقم [٤٨٨٤] [٣/٢١٥] عن جابر ﷺ وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٧١٦).

(٢) انظر: حكم الخروج على الحكام، إعداد: عبدالرحمن السحيم، مقال منشور على الإنترنت: شبكة مشكاة الإسلامية / <https://www.almeshkat.net/fatwa>، ١٧١٠، تاريخ الدخول: ١٥/٧/١٤٤٣هـ.

(٣) انظر: متاهة الحاكمية لهاني نسيرة (ص ١٩٩ - ٢٠٠).

والمعاصر لهذه الأزمان يرى من ذلك شيئاً كثيراً، الأمر الذي يستوجب على أهل العلم مضاعفة الجهد وبذل كامل الوسع في معالجة هذا الخطر العظيم.

### الفائدة الثالثة: الرجوع إلى العلماء:

أبرزت الدراسة كثرة استشهاد المصنفين بأقوال أهل العلم من زمن الصحابة حتى عصر المؤلف، خاصة في مسائل التشريع والأحكام، وهذا مسألة غنية عن الإيضاح، غير أن ما يستوقف المتأمل عند هذا المصدر، هو أن نظر المؤلفين إلى هذه المسألة لم يقف عند تناولهم له فحسب، حيث أخذوا منه ثلاث شعب:

**الأولى:** في مرجعية التصنيف والتأليف - وهو أهمها - حيث يعتمد المصنفون قول العالم كونه من أصول الفتوى، كما قال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لبعض أصحابه: "إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام"<sup>(١)</sup>، وهذه المسألة تتأكد جداً في هذا المجال الذي يُعنى بمصالح الأمة عامة، والمصنفون في ذلك لا يكادون يذكرون مسألة إلا وهم ينسبون القول فيها، إما إلى إجماع الأمة، أو جمهور الفقهاء، أو أئمة مذهب المصنف أو غيرهم، حتى إنَّ صاحب "تحفة الترك" الذي حاول إقناع الخليفة باتباع مذهب الأحناف، لم يعد اجتهاده إقناع الدولة بالانتقال من قول عالم إلى قول أخيه.

**الثانية:** ربط الخلفاء والملوك أنفسهم بأهل العلم، وهذه كانت حاضرة في تصنيفهم، يقول الغزالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أصول العدل: "الأصل الثاني: أن تشتاق أبداً إلى علماء الدين،

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/٢٩٦).

وتحرص على استماع نصحهم...<sup>(١)</sup>.

الثالثة: ربط العامة بالعلماء في هذا الباب العظيم، ومن ذلك أن الشيخ علوان رحمته الله جعل سبب تصنيف كتابه الاستجابة لطلب العامة في تأليف كتاب نصيحة للأئمة، يقول في مقدمته: "فهذه رسالة لطيفة، مشتملة على نصائح شريفة، ومواعظ ظريفة، التمسها مني بعض الأحاب، وندب إلى تأليفها أخص الأخلاء، لما أسمع الله من الكتاب والسنة ما أسمع، فأحب لمخاديمه حصة من ذلك صالحة، وأظهر ذلك بعزيمة مصممة ونية ناصحة...<sup>(٢)</sup>".

إن قضية الرجوع إلى العلماء الراسخين والفقهاء الربانيين في المسائل العظمى التي تختار عندها أحلام ذوي النهى، هو أمر الله في كتابه، وحكمه على عباده، قال ﷺ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، قال بعض المفسرين: "ثم اختلف في أولي الأمر، ومعلوم أنهم هم الذين يرجع إليهم تدبير أمور الدين، وعن آرائهم يصدر، وهم الذين تضمنتهم آية أرجو أن يكون فيها الكفاية في تعريف المقصود بها، وهي قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، فجعل أولي الأمر من عندهم علم الاستنباط، وشهد لهم بالعلم فيما رد إليهم، فثبت أنهم الفقهاء المعروفون بالاستنباط

(١) التبر المسبوك للغزالي (ص ١١٨).

(٢) النصائح المهمة للشيخ علوان (ص ٧٠-٧٢).

(٣) سورة النساء، الآية (٨٣).

ورعاية أمور الدين...<sup>(١)</sup>.

ولم تعظم فتنة في هذه الأمة قط إلا كان من أسبابها بُعد العامة عن قول علمائها، يقول أ.د. محمد الزهراني رحمته الله: "إن العالم يرى بعلمه وبصيرته ما لا يراه الجاهل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾"<sup>(٢)</sup>، وقال الحسن البصري رحمته الله: الفتنة إذا أقبلت عرفها العالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل<sup>(٣)</sup>، وهذا يدل على أن كل دعوة إلى الفتنة يكون ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، وهذا ما يحدث في ثورات الربيع العربي التي دعت الشعوب إلى الثورة على حاكمها لنيل مزيد من رغد العيش والازدهار والتقدم، والحقيقة أن هذه كانت ظاهر تلك الدعوات، وأما باطنها فهو مشروع غربي لتدمير البلاد الإسلامية، وإدخال بلاد المسلمين في صراعات وحروب لا يراد لها أن تهدأ؛ ولهذا حذر الصحابة والعلماء الراسخون في العلم من هذه الثورات والفتن، قال قتادة السدوسي رحمته الله: قد رأينا أقواماً يسرعون إلى الفتن ويتزعمون يداً فيها، وأمسك أقوام عن ذلك هيبة لله ومخافة منه، فلما انكشفت إذا الذين أمسكوا أطيب نفساً من الذين أسرعوا إليها ويتزعمون يداً فيها، وصارت أعمال أولئك حزازات على قلوبهم كلما ذكروها، وأيم الله، لو أن الناس كانوا يعرفون منها إذ أقبلت ما عرفوا منها إذ أدبرت، لعقل فيها جيل كثير من

(١) تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي، تأليف: محمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي (٣/ ٢٣١)،

تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

(٢) سورة الزمر، الآية (٩).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٩/ ٢٤).

الناس<sup>(١)</sup> (٢).

إن العالم أمان للأمة من الهلاك، ودليل الناس إلى ربهم، وهو برهان الله في أرضه و حجته عليهم.

ثانياً: أوجه الاستفادة من الأساليب الدعوية:

لا شك أن الإفادة من منهج المصنفين في مسلك الأساليب والطرائق ذو شجون، فالمصنفون تمثلوا أدب النصيحة في صورة المثال الذي وازن بين إيصال الحق وصيانة حق الملك، وأساليب الدعوة وطرائق النصح لا تقل أهمية عن القضية التي أقامها الشارع غاية لها؛ لأن الأسلوب إذا لم يكن موصلاً إليها لم يكن للقضية والموضوع محلّ واعتبار عند المدعو؛ ولهذا تولى المشرع الأمر فيها كما اختص بموضوع الدعوة دون خلقه، قال ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمِ الْبَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْتَنِي﴾<sup>(٤)</sup> وقال ﷺ: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾<sup>(٥)</sup>، إلى غير ذلك من الأدلة.

وتكمن أهمية الأساليب هنا في تعلقها بصلاح الأئمة وولاية الأمور، كما قال الماوردي رحمه الله: "فالملوك أولى الناس بأن تهدي إليهم النصائح، وأحقهم بأن يتخولوا

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢/٣٣٦).

(٢) مسؤولية الدعاة تجاه الوقاية من ثورات الربيع العربي لمحمد الزهراني (ص ٦٩).

(٣) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٤) سورة طه، الآية (٤٤).

(٥) سورة النساء، الآية (٦٣).

بالمواعظ؛ إذ كان في صلاحهم صلاح الرعية، وفي فسادهم فساد البرية ... ففي نصيحة السلطان نصيحة الكافة، وفي نصيحة الكافة هداية إلى مصلحة العالم بأسره، ونظام أمور الكل بجملته ... لأن شخص الملك وحده يقفي بجميع من في ضمن مملكته وتحت سياسته؛ ولأن الراعي إذا مال إلى مذهب مالت إليه رعيته، والملك إذا زهد في سيرة زهدت فيه العامة"<sup>(١)</sup>.

فالإصابة إذاً في نصح الملوك عظيمة الأجر ثقيلة الميزان، كما أن مجانبة الصواب فيه - بمفهوم المخالفة - عظيم الوزر والمأثم؛ لأن الأمر في ذلك متصل بالفساد العام الذي يشمل أديان الخلق ومعاشهم، وهذا يوجب الاحتراز التام، والتوقي الشديد في طريقة إيصال الحق وكيفية تبليغه.

ومن خلال الاطلاع على نهج المصنفين في حسن تناولهم لأساليب النصح، وتفننهم في إنزال حسن الأقوال على جميل الأحوال، وتلبسهم بالحكمة المقتضية بتقديم طريقة على أختها، وتغليب مسلك على آخر، مراعاةً لمقتضى المصلحة الموزونة بالشرع، فإن الباحث رأى الإفادة من ذلك في واقعنا المعاش من خلال العنصرين التاليين:

#### الفائدة الأولى: مراعاة مقتضى الحال:

إن من مسلمات العلم في هذا الباب، أن يعلم أن القول مع الخلفاء والأمراء ليس كالقول مع غيرهم، وأن صيانة أبهة الحكم وهيبته واجب شرعي، وفرض سنني، تعارفت عليه العقول، وتواطأت عليه الفطر، ونزل به الشرع، وفي كتاب النبي ﷺ - سيد ولد آدم

(١) نصيحة الملوك للهاوردي (ص ٣٣-٣٥).

- إلى هرقل الذي جاء فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم...))<sup>(١)</sup>، دليل على ذلك، يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ((إلى هرقل عظيم الروم)): "أي: الذي تعظمه الروم، وهو مفاتحته بخطاب استلطاف، ويقتضي التأنيس والاستئلاف، مع أنه حق في نفسه، فإنه كان معظماً في الروم، وكان أعظم ملوكهم"<sup>(٢)</sup>.

ويعد الباحث أن مراعاة حال الملك، وصيانة هيبة السلطان هو ضابط تناول أساليب الدعوة وطريقة النصح للملوك، يقول سبط ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ فِي شَأْنِهَا: "وخصوصاً إن كان الواعظ في جمع فإنه يجب عليه أن يعظم سلطانه فإن السلاطين إنما استتروا عن العوام لتبقى هيبتهم، ولتكن الموعدة للسلطان في خلوة، ولو كانت في مكتوب كان أصلح، وليحذر من كاف المخاطبة، أو من التطويل في الكلام، وليبالغ في حفظ الأدب"<sup>(٣)</sup>، ويدل على ذلك: "أن ابن عامر - وكان والياً - صعد المنبر يوم الجمعة وعليه ثياب رفاق فقال أبو بلال: انظروا إلى أميركم يلبس ثياب الفساق! فقال أبو بكره رَحِمَهُ اللهُ: اسكت، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من أهان سلطان الله في الأرض أهان الله))، وفي توجيه أبي بكره رَحِمَهُ اللهُ استصحاباً بين لمقام حفظ الهيبة والتوقير حال النصيحة والدعوة للأئمة والملوك.

ولما صنف ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ كتابه "السلطان" - وهو من مصنفات المناصحة الأولى -

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام برقم [١٧٧٣] (٣/١٣٩٣).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٣/٦٠٨).

(٣) المجلس الصالح لسبط ابن الجوزي (ص ٢٠١).

عقد فصلاً كاملاً في "التلطف في مخاطبة السلطان وإلقاء النصيحة إليه"<sup>(١)</sup>، موضحاً في ذلك الأدب اللازم في التعاطي مع مديح الملوك، وشكرهم، وطلب عفوهم، والدعاء لهم<sup>(٢)</sup>، وهو بهذا يقرر مسألة مراعاة مقتضى الحال في خطاب الملوك والسلاطين.

وتبقى مراعاة مخاطبة الملوك في كتب المناصحة معنى مستفاداً من كيفية التعامل مع الأساليب الدعوية وإن لم يصرح المصنفون بذلك، فتغليب الترغيب على التحذير، واجتناب مباشرة الخطاب بالاعتياض عنه بالتعريض والسرد القصصي، وكذا قصد أساليب التفخيم في النداء والثناء وغير ذلك، أبين دليل وأقطع برهان على هذا. ويرى الباحث الإفادة من ذلك في الواقع المعاصر من خلال النقاط الآتية:

#### أ- الالتزام بأدب الخطاب:

ينبغي حين مخاطبة الملوك أو مكاتبتهم الالتزام بالأدب الواجب في ذلك، صيانة لحرمة الملك، ومراعاة لمقتضى المقام الذي ينبغي لهم، وفي منهج العلماء المعاصرين الذين أجمعت الأمة على فضلهم وإمامتهم خير شاهد على ذلك؛ ولهذا تبوأ أولئك العلماء مكاناً علياً عند الأئمة والعامّة؛ لما جباهم الله به من القيام بالقسط في إعطاء كل ذي حق حقه، ومن شواهد ذلك مكاتبة الإمام محمد بن إبراهيم رحمته الله للملك سعود رحمته الله حين استفتاه في حكم بعض المسائل مصدراً إجابته بقوله: "حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم أيده الله

(١) السلطان لابن قتيبة الدينوري (ص ٢٠٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢١٢-٢٣٣).

.... بشأن ما رفعه لجلالتكم...<sup>(١)</sup>، ولما سُئِلَ ﷺ عن حكم وصف الملك بـ "جلالة الملك المعظم" أجاب قائلاً: "لا يظهر لي أن فيهما بأساً؛ لأن له جلالة تناسبه"<sup>(٢)</sup>.

إن مسألة التزام العلماء بهذا الأدب واضح بين، وهو دليل على سلامة النية والإرادة في بذل النصيحة؛ إذ ليس في سوء الأدب مع الملوك إلا الخسارة، يقول عبد الله بن المبارك ﷺ: "من استخف بالعلماء ذهب آخرتة، ومن استخف بالأمرء ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته"<sup>(٣)</sup>، ومن تطف في خطابه مع سلطانه، وبذل ما ينبغي له من احترام وتوقير، آل أمر نصيحته إلى القبول والاستجابة، ولا يهضم السلطان حقه إلا جاهل بحقائق الأمر، لم تلبسه الحكمة من لباسها، ولم يهده حسن الرأي إلى الصواب والرشاد.

#### ب- الإسرار بالنصيحة وستر العيوب:

إن من حق الأمراء على رعاياهم ستر معائبهم، وتحسين سيرتهم عند رعيّتهم، وهو مقتضى النصيحة "ووجه هذا: أنه ليس من النصيحة أن يقوم بنشر معائبهم، لما في ذلك من ملأ القلوب غيظاً وحقداً وحنقاً على ولاة الأمور، وإذا امتلأت القلوب من ذلك حصل التمرد وربما يحصل الخروج على الأمراء ليحصل بذلك من الشر والفساد ما الله به

(١) فناوى ورسائل ساحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ (٨/ ١٢١)، جمع وترتيب وتحقيق:

محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ.

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٠٦).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ٢٥١).

عليم" (١).

ولا ريب أن الجهر بالنصح في غيبتهم، ودعوى القائل بأن ذلك من النصيحة، هو من أشنع الكذب، وأكذب النصح، وهو ما يفعله كثير من المستترين تحت عباءة الدعوة، وهم في حقيقة الأمر ينشرون الفساد، ويدعون إلى الخروج على أمراء البلاد، وقد ذكر ابن حجر رحمته الله أن هناك طائفة من الخوارج يقال لهم "القعدية" كانوا يهيجون الناس على الخروج على ولاية الأمر ويزينونه ولا يخرجون<sup>(٢)</sup>، وقال: "والقعد: الخوارج، كانوا لا يرون الحرب بل ينكرون على أمراء الجور حسب الطاقة، ويدعون إلى رأيهم، ويزينون مع ذلك الخروج ويمسونه"<sup>(٣)</sup>.

وإن مما يزيد الطين بلة والمرض علة، أن تلك الثلة وجدت لنفسها مسالك تصل بها إلى سفاء الأحلام وحدثاء الأسنان، من خلال بث شرورهم ودجلهم عبر القنوات الفضائية أو الشبكة العنكبوتية بكل سبلها، ويرفعون لذلك شعارات كاذبة، مثل: دعوى الإصلاح والتحذير من الفساد، وجمع الأمة ونحو ذلك، وقد فضح العلم زورهم، فإن الإصلاح له سبيله المستقى من نص الوحيين وعمل سلف الأمة، الذين جعلهم الله أفهم أهل الإسلام بمراد الله ومراد رسوله ﷺ.

إن الصادق في نصيحته هو المسر بها، الساتر على إخوانه، قال يحيى بن معين رحمته الله: "ما

(١) الضوابط العشر في معاملة ولي الأمر لمحمد بازمول (ص ١٠٧).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٤٣٢).

(٣) تهذيب التهذيب، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨/١٢٩)، الناشر:

مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ.

رأيت على رجل خطأ إلا سترته وأحببت أن أزين أمره، وما استقبلت رجلاً في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك وإلا تركته" (١)، وإذا كان هذا في حق المسلمين فيما بينهم، فكيف والحال مع من تعلق بأمره أمر الكافة، يقول ابن النحاس رحمته الله: "ويختار الكلام مع السلطان في الخلوّة على الكلام معه في رؤوس الأشهاد، بل يود لو كلمه سراً ونصحه خفية من غير ثالث لهما" (٢)، ويوضح ذلك كله الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله وهو يؤدّب الناصحين بقوله: "والجامع لهذا كله: أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره: أن ينصح برفق - خفية -، ما يشرف عليه أحد؛ فإن وافق، وإلا استلحق عليه رجال يقبل منهم بخفية؛ فإن ما فعل؛ فيمكن الإنكار ظاهراً، إلا إن كان على أمير ونصحه، ولا وافق واستلحق عليه، ولا وافق فيرفع الأمر إلينا خفية" (٣).

وقد أنكر فضيلة الإمام عبد العزيز بن باز رحمته الله على المجاهرين بانتقاد الولاية على المنابر بقوله: "ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاية وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع؛ ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به؛ حتى يوجه إلى الخير، أما إنكار المنكر - بدون ذكر الفاعل -: فينكر الزنا، وينكر الخمر، وينكر الربا، - من دون ذكر من فعله -؛ فذلك واجب لعموم الأدلة، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن يذكر من فعلها، لا حاكماً

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/٢٨٩).

(٢) تنبيه الغافلين لابن النحاس (ص٧٦).

(٣) الدرر السنينة، جمع: عبدالرحمن بن قاسم (٨/٥٠).

ولا غير حاكم"<sup>(١)</sup>.

### ج- التلطف وتجنب المصارحة:

ومما يستفاد من منهج المصنفين في تأليفهم، مجانية مباشرة ولاة الأمور في وجوههم بما يكرهونه من المصارحة والمخاشنة، فإن في المعارض مندوحة عن كثير من صريح القول، والحر تكفيه الإشارة كما قيل؛ لأن المقصود من النصيح مع الملوك هو بلوغ الحجة وليس الإلزام بها، يقول الغزالي رحمته الله: "قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف، وأن أوله التعريف، وثانيه الوعظ، وثالثه التخشين في القول، ورابعه المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة؛ والجائز من جملة ذلك مع السلاطين: الرتبتان الأوليان، وهما التعريف والوعظ، وأما المنع بالقهر؛ فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان؛ فإن ذلك يحرك الفتنة، ويبيع الشر، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر؛ وأما التخشين في القول؛ كقوله: "يا ظالم"، "يا من لا يخاف الله" وما يجري مجراه؛ فذلك إن كان يتعدى شرها إلى غيره؛ لم يجز..."<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد على ذلك الدكتور زيد العثمان قائلاً: "فالواجب هو بذل النصيحة، وليس من حق الناصح الإلزام بما ينصح؛ بل هو حق للحاكم في رعيته، فهو أمر بفعل الخير، وناه عن فعل الشر ملزم بذلك، وأما الناصح من الرعية، فهو دال على الخير، وليس بملزم بفعله"<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز، جمع وترتيب: محمد الشويعر (٨/ ٢١٠ - ٢١١).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٣٤٣)، وانظر: غياث الأمم للجويني (ص ٢٣٧ - ٢٣٨).

(٣) المنهج الدعوي في مناصحة أئمة المسلمين لزيد العثمان (ص ٤١٣).

كما يبين ابن الجوزي رحمته الله المنهج الوعظي الذي ينبغي أن يسير عليه الناصح للملوك في قوله: "فإن وعظ سلطاناً؛ تطف غاية ما يمكن، ولم يواجهه بالخطاب؛ فإن الملوك إنما اعتزلوا الناس ليبقى جاههم، فإذا وجهوا بالخطاب؛ رأوا ذلك نقصاً، فليذكر الوعظ عاماً؛ ليأخذ السلطان منه نصيباً، وقد كان في السلاطين من يواجهه بالإنكار فيصبر، وليس ذلك يجرم في الرأي؛ بل التطف أولى، قال الله ﷻ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾<sup>(١)</sup> فإن قيل: فما تقول في قوله ﷺ: ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر))<sup>(٢)</sup>؟ فالجواب: أنه إذا كان الجائر لا يقبل الحق، جاز أن يوري عن الحق؛ خوفاً على النفس، والأفضل أن يبدأه بالحق، ومتى أمكن التطف فلا وجه للعنف، وكان ابن عقيل رحمته الله يقول: ما استحسنت إقدام الحسن على الحجاج - مع علمه بجرأة الحجاج على السيف -"<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت الحكمة هي سبيل الدعوة، والإصلاح غايتها، فإن اللطف والرفق هو الطريق الذي لا يتشعب في دعوة الملوك والسلاطين، و"المسيء في طريقة النصح أمام السلطان جان على نفسه ومخاطر بها، وقد يحتج محتج بصنيع بعض الصحابة وأئمة الدين مع بعض الأمراء والسلاطين والقسوة عليهم في مجالسهم، ولكن هذا لا يستقيم الاستدلال به؛ لأنه مخالف لأصل الدعوة وهو اللطف والرفق واللين قال ﷻ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ

(١) سورة طه، الآية (٤٤).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي برقم [٤٣٤٤] (٤/١٢٤)، والترمذي في سننه، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر برقم [٢١٧٤] (٤/٤١)، وقال: "وهذا حديث حسن غريب"، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم [٤٠١١] (٢/١٣٢٩)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٨٨٩).

(٣) القصص والمذكرين لابن الجوزي (ص ٣٦٨ - ٣٦٩)، وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١/١٩٦).

فَطَّاعِلِيْظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾، وشرع الله مقدم على صنيع كل أحد، وما جرى من أولئك الأفاضل من الصحابة وغيرهم جرى على عادة عصرهم في إجلال الملوك والأمراء للعلماء، وهيبتهم في قلوبهم، مع صدق النصح من الناصح لا بقصد الإهانة والإذلال<sup>(٢)</sup>، مع أنهم ﷺ كانوا ينكرون على الجريء كما صنع أبو بكره ﷺ مع أبي بلال عندما أنكر على ابن عامر فعله على رؤوس الأشهاد بقول فيه إهانة للأمير.

### الفائدة الثانية: الحرص على الوضوح :

استعمل المصنفون أسلوب التشبيه في مصنفاتهم للدلالة على المراد وإيضاح المقصود، ونفي الغموض والاشتباه على السامعين، وهذا الأسلوب أسلوب قرآني بليغ، يُثبت اتصاف القرآن بالبيان والوضوح؛ لأن "الحكم والأمثال تصوّر المعاني تصور الأشخاص، فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان؛ لاستعانة الذهن فيها بالحواس بخلاف المعاني المعقولة، فإنها مجردة عن الحس؛ ولذلك دقت"<sup>(٣)</sup>، والتشبيه إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

(٢) وصيتي للإخوان بمنهج أهل السنة في نصيحة السلطان، تأليف: أبي عبدالرحمن بدر بن علي بن طامي العتيبي (ص ٣٤)، قدم له وعلق عليه: عبدالله بن سليمان المنيع، ١٤٢٠ هـ.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٤٨٨).

(٤) انظر: الكشاف للزخشري (١/١١١).

والفائدة المستخرجة من هذا أن يكون الناصح واضحاً في عبارته، سهلاً في إيصال المعنى إلى المنصوح، خاصة مع الأمراء والملوك ومن في حكمهم؛ لانشغال أذهانهم بعظيم الأشغال، وكلما أدت العبارة غرض قائلها، وأوصلت إلى المعنى المقصود مع ترك التكلف في ذلك، قضى الناصح ما عليه ومُحَمَّد، يقول الجاحظ: "وعلى قدر وضوح العبارة، وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقت المدخل، يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع... وبذلك تفاعرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم"<sup>(١)</sup>.

إن الوضوح في المعنى شرط في إقامة الحجة يقول ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانٍ قَوْمِهِ يُبَيِّنُ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، قال البغوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "بلغتهم ليفهموا عنه"<sup>(٣)</sup>، ولذا فلا داعي إلى التكلف في إيصال المعنى، واستخدام أساليب البديع في دعوة الناس، بل إن رأى الناصح أن الحجة لا تقوم إلا باستخدام الكلام العامي لم يكن له أن يتجاوز ذلك، وقد مرَّ في كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: "والجامع لهذا كله: أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره أن ينصح برفق - خفية - ما يشرف عليه؛ فإن وافق، وإلا استلحق عليه رجال يقبل منهم بخفية؛ فإن ما فعل، فيمكن الإنكار ظاهراً، إلا إن كان على أمير، ونصحه ولا وافق، واستلحق عليه، ولا وافق، فيرفع الأمر إلينا خفية"<sup>(٤)</sup>، وقد استخدم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مفردات

(١) البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٧٥).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٤).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٣٣٥).

(٤) الدرر السننية، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (٨/ ٥٠).

عامية مستعملة في نجد، ويؤيد ذلك قول أبي حامد الغزالي رحمته الله: "ومقصود الكلام التفهيم والغرض، وما وراء ذلك من تصنع مذموم"<sup>(١)</sup>.

وإن مما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، هو أن الوضوح في الأسلوب تابع لوضوح الهدف عند الناصح، فإن الناصح الصالح الذي يهدف إلى غاية مشروعة، لا يجد في نفسه حرجاً مما يقول، وكلما تذبذب الناصح في غايته ولم يصدق، لم تكن عبارته واضحة عند المتلقي والسامع، والمقصود من ذلك أن أناساً - على سبيل المثال - كانوا يدعون إلى السمع والطاعة حال السلم، فلما خرجت تلك الثورات قالوا قولاً غيره، وقد أحدث هذا عند السامعين اضطراباً، حتى وصف بعضهم الشريعة بالتناقض، والسبب في ذلك أن الناصح نفسه لم يكن واضح الهدف في نصيحته؛ ولذا كانت وسيلته القولية غير واضحة ولا صريحة، الأمر الذي أحوجه بعد تناقضه إلى تحميل كلامه السابق معنى لا تحمله دلالة الألفاظ .

إن للكلام أوجهاً واحتمالاً، فعلى المتكلم أن يتعد عن اللفظ المحتمل المشتبه، كما أن على السامع أن يحمل كلام المتكلم على أحسن الوجوه وأقربها لمراد الشارع، وقد علمنا القرآن لزوم الكلام الصريح الواضح البعيد عن الاحتمال الرديء، فقال رحمته الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا نُنْظَرْنَا﴾<sup>(٢)</sup>. قال السعدي رحمته الله: "فنهى الله المؤمن عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب - يعني إرادة المعنى الفاسد -، ففيه النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم؛ وفيه الأدب؛ واستعمال الألفاظ التي لا تحمل إلا الحسن، وعدم الفحش،

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ١٢١).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٠٤).

وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تتحمل إلا الحسن" (١).

والتأمل في كلام الأئمة المعاصرين من أمثال محمد بن إبراهيم رحمته الله، وعبد العزيز بن باز رحمته الله وغيرهم، يجد عندهم وضوحاً في العبارة، وبعداً عن التكلف وهذا - بلا شك - من أسباب بركة الانتفاع بعلمهم عند العامة والخاصة.

### ثالثاً: أوجه الاستفادة من القضايا الدعوية:

استوعبت كتب مناصحة أئمة المسلمين بمجموعها المحاور الكبرى لمجالات الدعوة وموضوعاتها وهي: العقيدة، والتشريع والأحكام، والمواعظ والأخلاق، والسياسة الشرعية، على تفاوت اقتضاه التمايز المنهجي والظرف الآني في النازلة الدعوية. بيد أن الثراء المعرفي عند المصنفين، والحكمة الدعوية التي صاغت القضية والموضوع، مع نُبل المقصد الدعوي في القيام بواجب النصح، أكسب تلك الكتب والمصنفات وزناً وثقلاً في مسار علم الدعوة والاحتساب، وجعل منها مناراً يهتدى، ومثالاً يحتذى، خاصة وأن تلك الكتب تشكلت من مجموع معارف وعلوم وتجارب مؤلفيها، وكفى بذلك المزيج العظيم دليلاً على أهميتها وفائدتها.

ويبرز الباحث من وراء قراءة تلك المضامين، وتحليل نتائج تلك القضايا، أهم الفوائد المستقاة، التي تفيد المعني بهذا الأمر دراسة وتطبيقاً، وهي - بلا شك - سترسم في تصوره قدرة على تحديد مدار الموضوع الدعوي الذي يتناوله الناصح في واقعه المعاش،

(١) تفسير السعدي (ص ٦١).

وتمنحه ملكة في صياغة القضية التي تشكل الركن الأهم في البنية الدعوية.

### الفائدة الأولى: مراعاة الأولويات في تناول القضايا:

لا شك أن ملاحظة الأهم في الدعوة، وتقديم الأولى على ما دونه، من أصول الدعوة، وهو المعيار الرئيس في انتخاب الموضوع الدعوي، يدل على ذلك وصية النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن التي قال فيها: ((إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)).

والحديث في الأولوية عن الموضوع من حيث هو، لا من حيث الواقعة والنازلة، "كتقديم الأصول على الفروع، والفرائض على النوافل، والفاضل على المفضول ونحو ذلك"<sup>(١)</sup>، فيجب على الناصح - مصنف الكتاب - أن يبدأ في أمره ونصحه من حيث بدأ الله ورسوله ﷺ.

وإذا كانت العقيدة هي أول أمر الله وشرعه، فإن كتب مناصحة أئمة المسلمين لم تستوف البحث في عرض القضايا العقدية كما ينبغي، سواء ما كان متعلقاً بفعل المكلف في نفسه، أو ما كان متصلاً بمسؤولية الإمامة، وليس عند من أخرها عذر يقبل؛ ذلك أن

(١) أساليب الفُصَّاص في الدعوة إلى الله لعبدالله الطويل (ص ٥٩).

اتصال العقيدة بشأن قوة الملك والتمكين بين، قال رحمته الله: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: "فإذا قام العبد بعبادة الله مخلصاً له في أقواله وأفعاله وإرادته لا يريد بها إلا وجه الله والدار الآخرة، ولا يريد جاهاً ولا ثناءً من الناس ولا مالاً ولا شيئاً من الدنيا، واستمر على هذه العبادة المخلصة في السراء والضراء والشدة والرخاء، مكن الله له في الأرض. وإذا فالتمكين يستلزم وصفاً سابقاً عليه، وهو عبادة الله وحده لا شريك له"<sup>(٢)</sup>.

وإن مما لا يحل كتمه هو ما حبا الله به أهل هذه البلاد - ملوكاً وعلماء على مر القرون الثلاثة في دولها الثلاث - من الحرص الشديد على الحفاظ على التوحيد ومحاربة الشرك والبدع، فكانت مكاتبة العلماء للأمرأة غنيةً بالوصية والحث على هذا الأمر، ومن ذلك ما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمته الله إلى الإمام فيصل بن تركي رحمته الله يقول فيه: "وقع في آخر بني العباس ما وقع من الخلل والزلل، واشتدت غربة الإسلام، وظهرت البدع العظام، وأظهر الكفر أعلامه وشعاره، وبنيت المساجد على القبور، وأسرجت عليها السرج، وأرخيت عليها الستور، وهتف أكثر الناس في الشدة بسكان القبور، وذبحوا لها القرابين ونذرت لها النذور، وبنيت الهياكل للنجوم، وخاطبها بالحوائح كل مشرك ظلوم، وسرى هذا في الناس حتى فعله من يظن أنه من الأخيار والأكياس، وكثير منهم يظن أن

(١) سورة النور، الآية (٥٥).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع وترتيب: فهد السليمان (٣١٩/٢٠).

هذا هو الإسلام، وأنه مما جاء به سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وهل وقع ذلك وصار على تطاول الدهر والأعصار إلا بسبب إهمال الرؤساء والملوك الذين استكبروا في الأرض، ولم يرفعوا رأساً بما جاءت به الأنبياء، وقنعوا بمجرد الاسم والانتساب من غير حقيقة<sup>(١)</sup>، والشواهد من هذه المكاتبات كثيرة مرقومة<sup>(٢)</sup>.

ومن مراعاة الأولويات في كتب المناصحة التأكيد على مسائل أصول الحكم، وعلى رأسها العدل والتحذير من ضده، والقيام بحق الأمانة والاتصاف بالقوة في الأموال وتديير الحكم، وهذه المسائل لا يكاد يخلو منها كتاب، بل تكاد أن تأخذ عناوين غالب المصنفات، وفي هذا فائدة للداعي، وهي أن يعي معنى الأولوية في الموضوع الدعوي، فإن من الأولوية ما يكون متصلاً بذات أمر الشارع المتعلق بأفعال المكلفين، كالأمر بالتوحيد والنهي عن ضده، والوصية بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال ﷺ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهْمُ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٣)</sup>، ومن الأولويات ما يكون متصلاً بحال المدعو، فالأولوية هنا نسبية إضافية، فالأمر بالعدل، والحزم في الحكم، والأمانة على المال، وسياسة الحروب ونحوها هي قضايا السياسة الشرعية الكبرى، وهذه عند العامة ليست مقدمة باعتبار حالهم، ولا شك أن فهم هذا الأمر يضبط القضايا التي يتناولها مؤلفو مناصحة أئمة المسلمين، بل تعد هي العلامة الفارقة التي يمتاز بها الكتاب

(١) الدرر السنية، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن قاسم (١٤/٦٥ - ٦٦).

(٢) للاستزادة انظر: منهج أئمة الدعوة في نصيح الحاكم لمحمد العمري (ص ٢٠-٦١).

(٣) سورة الحج، الآية (٤١).

المصنف في نصيحة الملوك والآداب السلطانية عن غيرها؛ لأن كتب المناصحة لو سارت كبقية الكتب في الأولوية الموضوعية لم يكن في تعيينها وتخصيصها معنى يراد ولا يذكر. وإن من فقه الأولوية في كتب المناصحة التي تفيد المشتغل بهذا الفن من التصنيف، التفريق بين الموضوعات المتعلقة بذات الملك وصفته، والقضايا المتصلة بمهامه، والتي تتجسد في الشخصية الاعتبارية ممثلة في مؤسسات الدولة ومرافقها العامة، فكتب المناصحة جمعت بين الأمرين، حيث خاطبت ذات الملك كما فعل الماوردي في البابين الخامس والسادس اللذين جعلهما في سياسة النفس<sup>(١)</sup>، وسياسة الخاصة<sup>(٢)</sup>، والغزالي رحمته الله في عامة كتابه "التبر المسبوك" وغيرهم، كما مدت القول في مسائل تدبير الحكم، وحسن سياسة الدولة، وبناء الهيكل الإداري، وهذا هو السمة الغالبة التي لا يخلو منها كتاب ولو أوجز.

لكن ما يؤخذ على بعض الكتب هو الاختلال في الموازنة بين القضيتين، حيث جعلت من المسألة الخلقية - على سبيل المثال - أصلاً من أصول الحكم، وركناً من أركان بقاء الدول، وجعلت هذا الموضوع هو محور الكتاب ومادة النص، كما فعل الماوردي رحمته الله في "تسهيل النظر"، وابن الحداد رحمته الله في "الجواهر النفيس"، وابن ظفر الصقلي رحمته الله في "سلوان المطاع"، مع أن المفترض أن يكون الحاكم المهيم هو مصلحة السياسة الشرعية، فالامتثال التام في شخص الإمام والأمير لا يعد الهدف الأول في هذا المجال، بل إن الاختلال النسبي فيه لا ينافي مقصود الشرع في إقامة الملك؛ لتعذر الكمال، يقول شيخ

(١) انظر: نصيحة الملوك للماوردي (ص ١٣٥-١٩٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٩٣-٢٣٢).

الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وهو يؤصل لهذا الأمر: "اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: اللهم أشكوا إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها؛ فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة؛ قدم أنفعها لتلك الولاية، وأقلها ضرراً فيها، فيقدم في إمارة الحرب الرجل القوي الشجاع - وإن كان فيه فجور -، على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أميناً، كما سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يُغزى، فقال: أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع القوي الفاجر..."<sup>(١)</sup>.

وتأسيساً على ما سبق فإن الباحث يُوضح ميزان الأولوية في القضايا الدعوية التي ينبغي أن تستعمل في مناصحة أئمة المسلمين فيما يأتي:

- ١ - تقديم ما قدمه الله ورسوله ﷺ في الشريعة من أصول الدين وفرائضه، فالعقيدة أولاً ثم أركان الإسلام، ثم ما ندب الشرع إليه من المستحبات وهكذا.
- ٢ - أن تراعى أولوية موضوعات السياسة الشرعية في ذاتها، فالعدل، ورعاية المصلحة - على سبيل المثال - من المسائل الكبرى فيها التي لا يحل إرجاؤها في هذا المجال.
- ٣ - لا بد من التفريق بين مسائل السياسة الشرعية المتعلقة بأهلية الحاكم، ومسائلها المتصلة بعمل الإمامة، فالحديث عن أخلاق الحُكَّام، وإصلاح شأن بيوتهم، ونحو

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية (ص ١٥).

ذلك لا بد أن يأخذ الدرجة الثانية بعد مصالح الدولة الكبرى المتعلقة بعمل السياسة، والحديث هنا يأخذ الأولوية النسبية الإضافية في مجال التصنيف بمناصحة أئمة المسلمين.

وتعد الدراسة الفقه بهذا الباب من أهم المهام في صياغة القضية الدعوية المعاصرة عند المصنفين في الآداب السلطانية ومناصحة أئمة المسلمين.

#### الفائدة الثانية: الواقعية في اختيار القضايا ومعالجتها:

لم تكن مصنفات مناصحة أئمة المسلمين قولاً مكرراً، ولا نقلاً مجرداً - كما يزعم بعض المعاصرين -، بل كانت تمتلك هدفاً محدداً يقرؤه المنصف في دوافع الكتاب وأسبابه، ويلمسه واضحاً في التغيرات الضمني بين مضامين تلك المصنفات، فالمؤلفون يستجيبون في مصنفاتهم إلى احتياج واقعهم المعاش، ونداء عصرهم الذي زامنوه، يقول أ. د محمد نصر عارف: "لذلك كان هناك تقليد شبه دائم أن يقدم الكتاب إلى حاكم، أو يؤلف بناء على رغبته في إيجاد خطة علمية عملية لتنظيم مملكته أو دولته، ومن ثم فقد ارتبط هذا الفكر أشد الارتباط بالواقع بصورة تجعل من العسير فهمه وتحليله دون فهم واقعه وظروفه التاريخية وطبيعة الحاكم"<sup>(١)</sup>.

لقد قدمت تلك المصنفات حلولاً لمشكلات زمانها، وساهمت بصدق في تقديم المقترحات اللازمة لحل الأزمات التي تعصف بالدول في وقتها، كما أنها شاركت في رسم نظم الحكم وقواعده، ووقفت مع الملوك في حركة التنمية والنهوض، فالماوردي رحمته الله في

(١) في مصادر التراث السياسي الإسلامي لمحمد نصر عارف (ص ٨٢).

"نصيحة الملوك" والطوسي رحمته الله في "سياسة نامه"، ومعاصروهم صنفوا كتبهم "لإرشاد الأمراء الجدد إلى معنى السياسة وكيفية ممارستها باتجاه إنشاء تقاليد للملك والسلطان، وسبل معاملة الرعية والجند، كما كان ينبغي ربط السياسة بالشريعة لمحاولة تجاوز التقاليد والأعراف التي جلبها الترك من مواطنهم الأصلية"<sup>(١)</sup>، كما رام الطرسوسي رحمته الله في "تحفته" توحيد نظام الأمة على مذهب فقهي واحد تتبناه الدولة في سياستها الشرعية، وتقديم حلول في محاربة الفساد الإداري ممثلاً في محاسبة السلطة التنفيذية والسلطة القضائية، واستنهض ابن الأزرق الأمة في "بدائعه" محاولاً لم الشعث، ورأب الصدع، وتدارك الأمر قبل انفلاته.

كما سار على هذا النهج بعض كتب المعاصرين - التي انتخبها الدراسة -، حيث عالج صديق حسن خان بعض القضايا التي يشغب فيها بعض المعاصرين، مثل: مشروعية الملك في الإسلام<sup>(٢)</sup>، وحكم ولاية العهد<sup>(٣)</sup> ونحو ذلك، وتبصر التونسي رحمته الله بأمر واقعه، فناقش مسائل تهم الحكومات المسلمة في واقعنا، وهي مشروعية الإفادة من التقدم الغربي الحضاري؛ للحقوق بركب النهضة المعاصرة فيما لا يخالفه شرع<sup>(٤)</sup>.

إن فهم الواقع الذي يعيشه الناصح شرط في الوصول إلى الحل الشرعي الذي يرومه، يقول ابن القيم رحمته الله: "ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين

(١) مقدمة رضوان السيد على الجوهر النفيس لابن الحداد (ص ٢٢-٢٣).

(٢) انظر: إكليل الكرامة لصديق حسن خان (ص ١٩ - ٢٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٣٣ - ٣٨).

(٤) السالك إلى أقوم المسالك للتونسي (ص ٨٧ - ٨٨).

من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقهاء فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات؛ حتى يحيط بها علما.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع ثم تطبيق أحدهما على الآخر...<sup>(١)</sup>، ولا شك أن النصح في هذه المصنفات نوع من الفتوى؛ إذ يروم مصنفوه معالجة المخالفة الشرعية، فهم بين قائل بها، أو مقلد للحكم فيها، وفي كلا الحالتين لا بد من فهم الواقع الذي يطابق شرع الله في نظر الناصح، يقول الخرميني رحمته في "درته": "مشملة بضبط قواعد السلاطين والقضاة والأمراء والوزراء والولاة، ومما لا بد للناس من المسائل الشرعية من الملتقط والمشكلات والواقعات"<sup>(٢)</sup>.

وإذا لم يفهم الناصح واقعه الذي يعيشه، أو فهمه ولم يكن عنده ملكة إنزال حكم الله عليها، لم يجد قوله شيئاً، وأصبحت نصيحته خالية الوفاض من الانتفاع، وهذا وصف اتصفت به بعض المصنفات بعد القرن التاسع الهجري، حيث صارت إلى هذا النوع من التأليف صيرورة الكاتب فيه لذاته، فلم يتجاوز طريقها تكرار حكم السابقين، وإعادة قول السالفين.

وتأسيساً على ما سبق، فإنه ليس من شرط المتناول لهذا المجال الكتابي أن يستوفي جميع

(١) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (١/٦٩).

(٢) الدرر الغراء للخرميني (ص ٨٥ - ٨٦).

المحاور الدعوية إذا لم تدع حاجة المقام إلى ذلك، كما أنه - بطبيعة الحال - لن يناقش ذات القضايا التي ناقشها السالف قبل عشرة قرون، ولا أن يبني مادته من المزيج المرجعي الذي اتسمت به تلك الكتابات، كما يجب عليه وجوباً أن يستوعب حاجة العصر الذي يعيشه، وحقيقة المقصود في النصح، فمن الواقعية في ذلك أن يعقل ويفهم الناصح أن المقصود بالمناصحة يتسع لكل مرافق الدولة على مراتبها، وأن يفهم أن المخاطب بالنصح قد يكون متمثلاً في نيابة ولي الأمر، أو في الشخصية الاعتبارية المتجسدة في مؤسسات الدولة ومرافقها، وتعدُّ حركة التصحيح ومحاربة الفساد التي تقوم بها الحكومة السعودية في واقعنا المعاصر فرصة سانحة للناصحين والموجهين والواعظين والزاجرين عن مراتع الفساد، من خلال تأليف المصنفات التوعوية الموضحة لحقيقة المسؤولية التي يتسنىها كل موظف في الدولة، وهذا الأمر قد سبق إليه أبو حامد المقدسي رحمته الله في "بذل النصائح الشرعية"، حيث قام بتقديم توجيه كاف شامل للعاملين في دولة الإسلام من رأسها إلى قاعدتها؛ لأن لكل عامل في الدولة مسؤولية في الولاية تأتي على قدر ما فوضه فيه ولي أمر المسلمين وأنبأه وأتمنه عليه.

وما أحسن أن تُؤلف المؤلفات التي تقوي وازع الدين والأخلاق في ضمائر المسؤولين، وأن تناقش قضايا الدعوة المستوحاة من أرض الواقع مثل: قضايا الرشوة، والتزوير، والانضباط في العمل، وسوء استخدام السلطة، والعدل في الحكم ونحو ذلك، كما يُضاف إلى ذلك تقديم الرؤى وحسن المشورة في كل أمر من شأنه أن يحافظ على قوة الحكم وتطوره ونهائه وفق مراد الشريعة.

إن رأس القضية كامن في فهم معنى النصح وحسن الإرادة فيه، وتقدير المصلحة وفق الشرع، مع حسن أدائه وبذله، ومتى صاغ المصنف قضيته على ضوء تلك الضوابط أورد عود كتابه وأينع.

## الخاتمة

فيها:

- أبرز النتائج.

- التوصيات.

## الخاتمة

الحمد لله الذي له الأمر من قبل ومن بعد، لا أحصي ثناء عليه ولو حرصت هو كما أثنى على نفسه، أحمده - سبحانه - على ما امتن به علي من المعونة والتمكين في إنهاء مراحل هذا البحث على قدر جهدي وطاقتي، ثم إنني أسجل في خاتمتي أبرز ما انتهى إليه علمي من النتائج التي توصلت إليها، وأجزها فيما يأتي:

- ١ - بينت الدراسة أن مفهوم النصيحة لأئمة المسلمين ذو معنى عام شامل يتسع لكل خير يمكن بذله إليهم، ويشمل كل حق يجب أن يؤدي معهم وفيهم، وأن مفهوم الوعظ والتذكير والإرشاد يرتبط به ارتباط الجزء بالكل.
- ٢ - أوضحت الدراسة حكم الإمامة في الإسلام، واتفاق علماء الإسلام على فرضيتها ووجوبها، بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والقياس ومقاصد الشرع مع العقل والفطرة، ولم يخالف في ذلك إلا شاذ في قوله لا يعتد بخلافه.
- ٣ - أثبتت الدراسة أن للأئمة حقوقاً يجب القيام بها نحوهم، ومن أبرزها: حق البيعة، وحق الطاعة، وحق التوقير والمناصرة، وحق المناصحة.
- ٤ - وقفت الدراسة على المقاصد الدينية والدنيوية العليا للإمامة، كما بينت حكمة الشارع من تشريعها، فحفظ الدين، وإقامة العدل، والحفاظ على الجماعة رأس مقاصد الدين، كما أن حفظ الأمن وتوفير العيش الكريم أهم مقاصد سياسة الدنيا فيها.

- ٥- بيّنت الدراسة أنّ حكم مناصحة أئمة المسلمين ينقسم إلى قسمين: عام، وهو واجب على جميع الرعية تجاه ولاة أمرها، وخاص قولي، وهو فرض كفائي على القادرين من العلماء والوجهاء بحسب علمهم وقدرتهم.
- ٦- خلصت الدراسة إلى أنّ لمناصحة أئمة المسلمين ضوابطاً يجب أن تقوم في الناصح والموضوع والمنصوح، وأن تخلف تلك الضوابط يسلب من النصيحة معناها أو ينقصها.
- ٧- كشفت الدراسة عن تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين، وسبرت ميلاده ومنشأه، كما تتبعت سياق تطوره التاريخي في بلاد المشرق والمغرب، ابتداء من القرن الثاني الهجري وحتى الواقع المعاصر.
- ٨- أثبتت الدراسة أن المشاركين بالتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين عند العلماء لم يتبدى إلا مع بداية القرن الخامس الهجري على يد الفقيه الماوردي رحمته الله، وأنه هو أول من أصل للقول فيه.
- ٩- وقفت الدراسة على مراحل تطور الكتابة في مناصحة أئمة المسلمين، مثبتة أنه قد مر بثلاث مراحل هي: النشأة، وتأسيسه على ميزان الشريعة في القرن الخامس الهجري، ثم استواء النص فيه على يد الطرطوشي رحمته الله صاحب كتاب "سراج الملوك" إلى قول ابن الأزرق رحمته الله في كتابه "بدائع السلك"، وأن الكتابة بعد هذا التاريخ اتسمت بالركود إلا قليلاً.
- ١٠- استنتجت الدراسة أسباب تأليف كتب مناصحة أئمة المسلمين من خلال فحص مقدماتها، ومضامينها، وعناوينها، ودراسة الظرف التاريخي الذي تعيشه،

وخلصت إلى أن تلك الأسباب ترجع إلى نوعين: عام، يشمل جميع الكتب أو غالبها، وخاص، اختصت بها بعض المصنفات دون بعض.

١١- كشفت الدراسة عن محاور الموضوعات الكبرى التي يكتب فيها المؤلفون في هذا الباب وهي: العقيدة، والشريعة والأحكام، والمواعظ، والأخلاق، والسياسة الشرعية.

١٢- برهنت الدراسة على غلبة عنصري الوعظ والأخلاق على مضامين تلك الكتب، مرجعة ذلك إلى أنهما أساس هذا الفن منذ النشأة والتأسيس، كما أوضحت أن أبرز القضايا التي تناولتها تلك الكتب في الوعظ هي: قضية العدل، والتذكير بخطر الإمامة، والحث على شكر الله تعالى بأداء حقه فيها.

١٣- وقفت الدراسة على أبرز المصنفات عند علماء المذاهب الأربعة الفقهية، مثبتة من خلاله حسن العلاقة القائمة بين علماء الشريعة وأئمة المسلمين وملوكهم.

١٤- أبرز البحث خصائص أشهر مصنفات كل مذهب، ووقف على السمات المنهجية الظاهرة فيه، مدلاً على ذلك بمضامينه ومحتواه.

١٥- بينت الدراسة سلامة المنهج الاستدلالي عند مصنفي تلك الكتب، واعتماد أولئك العلماء على تقديم المصادر الرئيسة من كتاب وسنة وإجماع وقياس في مضامين المناصحة، على غيرها من مصادر الاستشهاد التي كان يستعملها الكاتبون قبل مشاركة الفقهاء إبان القرن الثاني الهجري وحتى بداية القرن الخامس الهجري.

١٦- كشفت الدراسة عن قوة الأصرة والارتباط بين تلك الكتب وبين المصادر العلمية الأخرى، والتي تتجلى في حشد النقل عن العلماء، والاستشهاد بأقوالهم في مسائل

الشريعة والفقه، وهو أمر يكشف بوضوح كامن الخطر عند المنفصلين برأيهم عن مرجعية العلماء في واقعنا المعاصر.

١٧- كشفت الدراسة عن السمو الأدبي الرفيع في كتابة مناصحة أئمة المسلمين، والذي تجلّى في حسن عرض الأساليب المستعملة في مخاطبة الملوك والسلاطين.

١٨- أبرزت الدراسة من خلال دراسة الأساليب الدعوية في تلك المناصحة مراعاة العلماء لهيئة الحكم، وأبهة السلطان، والذي بدا في استخدام بعض الأساليب مثل: المدح والثناء، والتعريض، والتشبيه، وغلبة جانب الترغيب على التحذير والترهيب، وكل هذه يجمعها تجنب المباشرة في خطاب الملوك؛ مراعاة للحال والمآل.

١٩- بيّنت الدراسة التقارب الضمني - الكيفي - والكمي بين كتب المتقدمين والمتأخرين، وأن علاقة الطبقتين علاقة امتداد واقتفاء، فكتب المتأخرين تنهج منهج الأوائل في صيانة حق الإمامة، ورعاية حق الإمام، وقراءة مقاصد الشريعة فيهما.

#### التوصيات:

في ضوء نتائج البحث التي خلصت إليها، فإنني أعرض على نظر القارئ الكريم أهم التوصيات، وهي:

١- ضرورة تعزيز مقام الإمامة والأئمة في نفوس العامة، وإبراز منزلتها من الدين، والكشف عن المصالح والمعاني والآثار المترتبة على بقائها في دنيا الناس ودينهم.

٢- تتابع عقد المؤتمرات على الصعيدين العلمي الخاص والاجتماعي العام، اللذين يستهدفان جميع فئات المجتمع؛ لمحاربة الأفكار الضالة، والكشف عن زيف الشبه المتعلقة بهذا الباب العظيم.

٣- ضرورة التأكيد على العلماء والدعاة وأصحاب الرأي بإيضاح المنهج الشرعي الصحيح في التعامل مع أئمة المسلمين.

٤- أوصي الجامعات ودور النشر ومجالسها العلمية عامة وطلاب العلم خاصة بالاعتناء بهذا الموروث العظيم في باب الدعوة والسياسة الشرعية، حيث تضم دور المخطوطات وخراناتها كماً هائلاً من هذه المصنفات التي لم يحقق منها إلا القليل.

٥- أوصي المؤسسات التعليمية والجامعات في تخصصات الدعوة والسياسة الشرعية بالقيام على دراسة تلك المصنفات وتحليلها ونقدها وتقويمها، ومواجهة الفكر المضاد الذي حاول من خلال قراءاته لها تضليل المفاهيم الشرعية في باب الإمامة وحقوق الأئمة.

ختاماً:

فإني أثنى بالحمد آخراً كما بدأت به، وأرد الفضل في إصابتي إلى الله، وفي خطأي إلى نفسي والشيطان، ولا أزعم أني قد أتيت بما يجب، ولكنني بذلت منتهى وسعي وجهدي - وحمل الضعيف على قدره -، وإني أسأل الله أن يقبل عملي، وأن يغفر لي خطأي وزللي، وأن يجعل عملي له خالصاً، وصى الله وسلم على نبينا محمد.

# الملاحق

## الملاحق الأول

كتاب التحكيم، واستمارته، وبيان أسماء المحكمين



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
المعهد العالي للدعوة والاحتساب  
قسم الدعوة

استبانة تحكيم

**منهج العلماء في مناصحة أئمة المسلمين من خلال مصنفتهم  
دراسة تحليلية على عينة من مصنفات المتقدمين والمتأخرين**

إعداد الطالب

خالد بن عبدالرحمن الصبيح

الرياض

١٤٤٣ هـ الموافق ٢٠٢١ م

اسم المحكم: .....

الدرجة العلمية: .....

التخصص: .....

الجامعة: .....

هاتف/ جوال: .....

بسم الله الرحمن الرحيم

سلمه الله

فضيلة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فأسأل الله لكم التوفيق والسداد، ثم إنه ليشرفني أن أعرض على نظركم الكريم استمارة تحليل محتوى لدراسة "منهج العلماء في مناصحة أئمة المسلمين من خلال مصنفاتهم - دراسة تحليلية على عينة من مصنفات المتقدمين والمتأخرين" استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب، والتي يشرف عليّ فيها فضيلة أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطويل.

ولما عرف من فضيلتكم من خبرة وحسن دراية بهذا المجال، فإني ألتمس من مقامكم الكريم التفضل عليّ بإبداء رأيكم في الاستبانة المعدة لهذه الدراسة.

شاكرًا لكم سلفاً حسن تجاوبكم وكريم لطفكم.

الباحث

خالد بن عبدالرحمن الصبيح

مصادر الاستدلال في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

الملاحظات	الوضوح		المناسبة		المصدر
	غير واضح	واضح	غير مناسب	مناسب	
					الكتاب
					السنة
					الإجماع
					القياس
					أقوال العلماء

الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

الملاحظات	الوضوح		المناسبة		الأسلوب
	غير مناسب	مناسب	غير مناسب	مناسب	
					الترغيب
					الترهيب
					المدح
					التعريض
					القصة
					التشبيه

القضايا الدعوية في مناصحة أئمة المسلمين

الملاحظات	الوضوح		المناسب		الأبعاد	القضايا
	واضحة واضحة	غير واضحة	مناسبة غير مناسبة	مناسبة غير مناسبة		
					الإيمان	القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة
					التحذير من الشرك والبدع	
					مسائل الإمامة	
					العبادة	القضايا الدعوية المتعلقة بالشريعة والأحكام
					الجهاد	
					الحدود والجنايات	
					التذكير بخطر الولاية	القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ
					الحث على الشكر	
					الترغيب بإقامة العدل	
					الحث على طلب النصيحة واستماعها	
					الحث على الزهد	
					الحث على مكارم الأخلاق	القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق
					التحذير من مساوئ الأخلاق	
					المسائل المتعلقة باعتبار المصالح	القضايا الدعوية المتعلقة بالسياسة الشرعية
					التذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف	
					السلطانية وواجباتها	

بيان بأسماء محكمي الاستبانة ودرجاتهم، وتخصصاتهم

م	الاسم	الجامعة	التخصص
١	أ.د. سلطان بن عمر الحصين	الجامعة الإسلامية	دعوة
٢	أ.د. الجوهرة العمراني	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	دعوة
٣	د. سعد بن عبدالرحمن الجريد	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - سابقاً.	دعوة
٤	د. حسن بن عائض آل عبدالهادي	جامعة أم القرى	دعوة
٥	د. عبدالله بن حمد العويسي	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - سابقاً.	الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية
٦	د. عبدالإله بن صالح المدينيغ	جامعة الملك سعود	التفسير وعلوم القرآن
٧	د. محمد بن علي الصليهم	جامعة المجمعة	الفقه وأصوله
٨	د. خالد بن إبراهيم السعيد	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	التربية

## الملاحق الثاني

**استمارات تحليل محتوى مصنفات مناصحة أئمة المسلمين عند**

**المتقدمين والمتأخرين**

المحول الأول : استمارة تحليل محتوى مصنفات المتقدمين في مناصحة أئمة المسلمين

ت	اسم الكتاب	مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متقدمي المصنفين			
		القرآن	السنة	الإجماع	القياس
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					
١٠					
١١					
١٢					
	المجموع				

المحول الأول: استمارة تحليل محتوى مصنفات المتأخرين في مناصحة أئمة المسلمين

ت	اسم الكتاب	مصادر الاستدلال والاستشهاد عند متأخري المصنفين				
		القرآن	السنة	الإجماع	القياس	أقوال العلماء
١						
٢						
٣						
٤						
٥						
٦						
	المجموع					

## المحور الثاني : الأساليب الدعوية عند المتقدمين في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

الأساليب						اسم الكتاب	ت
التشبيه	القصة	التعريض	المدح	الترهيب	الترغيب		
							١
							٢
							٣
							٤
							٥
							٦
							٧
							٨
							٩
							١٠
							١١
							١٢
						المجموع	

## المحور الثاني: الأساليب الدعوية عند المتأخرين في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين

الأساليب						اسم الكتاب	ت
التشبيه	القصة	التعريض	المدح والثناء	الترهيب	الترغيب		
							١
							٢
							٣
							٤
							٥
							٦
						المجموع	

المحور الثالث: القضايا الدعوية عند متقدمي المصنفين في مناصحة أئمة المسلمين

م	اسم الكتاب	القضايا الدعوية المتعلقة بالعبادة			القضايا الدعوية المتعلقة بالأحكام							القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق		القضايا الدعوية المتعلقة بالسياسة الشرعية	
		الإيمان	التحذير من الشرك والبدع	مسائل الإمامة	العبادة	الجهاد	الحدود والجنايات	التذكير بخطر الولاية	الحث على الشكر	الحث على طلب النصيحة واستئذانها	الزهد	الحث على مكارم الأخلاق	التحذير من مساوئ الأخلاق	المسائل المتعلقة باعتبار المصالح	التذكير بمسؤوليات الولايات السلطانية وواجباتها
١															
٢															
٣															
٤															
٥															
٦															
٧															
٨															
٩															
١٠															
١١															
١٢															
	المجموع														

المحور الثالث: القضايا الدعوية عند متأخري المصنفين في مناقحة أمة المسلمين

القضايا الدعوية المتعلقة بالسياسة الشرعية		القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق		القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ						القضايا الدعوية المتعلقة بالشرعية والأحكام			القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة		اسم الكتاب	م
التذكير بمسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها	المسائل المتعلقة باعتبار المصالح	التحذير من مساوئ الأخلاق	الحث على مكارم الأخلاق	الحث على الزهد	الحث على طلب النصيحة واستماعها	الترغيب بإقامة العدل	الحث على الشكر	التذكير بخطر الولاية	الحدود والجنايات	الجهاد	العبادة	مسائل الإمامة	التحذير من الشرك والبدع	الإيمان		
																١
																٢
																٣
																٤
																٥
																٦
															المجموع	

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
<b>سورة الفاتحة</b>			
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	الفاتحة	٤	١٧١
<b>سورة البقرة</b>			
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	٣٠	٦٧
﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾	البقرة	٦٦	٤١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنظِرْنَا﴾	البقرة	١٠٤	٩٢٦
﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَنَتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهٖمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَهٖمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	البقرة	١٢٥	٩٠٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلْهَدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾	البقرة	١٥٩	٣٣٥

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٤٠٥	١٧٧	البقرة	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾
٥٣٥	١٨٩	البقرة	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
٢٤٣	٢٠٦	البقرة	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾
٨٠٥	٢٤٧	البقرة	﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾
٤٩٤	٢٤٧	البقرة	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾
٨٠٦	٢٥١	البقرة	﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾
١٥٢	٢٥٨	البقرة	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
			فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٣﴾
١٥٣	٢٥٨	البقرة	﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾
١٥٣	٢٥٨	البقرة	﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾
١٥٥	٢٥٨	البقرة	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾
٢١٣	٢٦٩	البقرة	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾
٤١١	٢٨٥	البقرة	﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
<b>سورة آل عمران</b>			
١٧٢	١٩	آل عمران	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾
٨٠٦	٢٦	آل عمران	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
١٣٥	٢٨	آل عمران	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾
٩٠٥	١٠٣	آل عمران	﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
١١٢	١٠٤	آل عمران	﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
٩٠٥	١٠٥	آل عمران	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
٥١١	١٣٤	آل عمران	﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
١٥٩	١٥٩	آل عمران	﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
			وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٥٨﴾
٢١٤	١٥٩	آل عمران	﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفُضِّقَ لِقَابُكَ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾
٣٣٧	١٥٩	آل عمران	﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفُضِّقَ لِقَابُكَ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾
٩٢٤	١٥٩	آل عمران	﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفُضِّقَ لِقَابُكَ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾
٩٠٤	١٨٧	آل عمران	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾
<b>سورة النساء</b>			
٤٠١، ٤٢٩	٤٨	النساء	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
٨٠٦	٥٤	النساء	﴿وَأَتَيْنَاهُمُ مَلَكًا عَظِيمًا﴾
١٢٠	٥٨ - ٥٩	النساء	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
			يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تَوَّابُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾
٤١٩ ٥٥٧	٥٨	النساء	﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾
٧١، ٦٨ ٨٧	٥٩	النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تَوَّابُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾
٢٣٦	٦٣	النساء	﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمُ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾
٤١٢	٦٥	النساء	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
٨٣١	٧٧	النساء	﴿قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾
٩٠٧	٨٣	النساء	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَالْيَأْيُ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبِطُونَهُ ۗ﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
			مِنْهُمْ <sup>ط</sup> وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، لَا تَتَّبِعْتُمْ الشَّيْطَانَ الْإِقْلِيلَا ﴿﴾
٩٠٣	٨٣	النساء	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَوْا بِهِ <sup>ط</sup> ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَالْيَأَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ <sup>و</sup> مِنْهُمْ﴾
٣٧٤	٨٣	النساء	﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَالْيَأَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ <sup>و</sup> مِنْهُمْ﴾
٩٠٩	٨٣	النساء	﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ <sup>و</sup> مِنْهُمْ﴾
٢٢٥	٩٤	النساء	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾
٦٩	١٠٥	النساء	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾
٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٩	١٣٦	النساء	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ، وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٤١٣	١٣٦	النساء	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾
٤١٠	١٦٤	النساء	﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾
<b>سورة المائدة</b>			
٨٥	١	المائدة	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾
٤٨	٢	المائدة	﴿وَلَا ءَامِنِ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾
٨٨	٢	المائدة	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾
١٧٠، ١٧٣	٣	المائدة	﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾
٨٠٧	٢٠	المائدة	﴿يَقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾
٨٠٥	٢٠	المائدة	﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾
١٥٣	٣٢	المائدة	﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾	المائدة	٤٢	١٢٢
﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	المائدة	٤٢	٤١٩
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	المائدة	٤٤	٤٢٠، ٨٦١، ٨٢٣
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	المائدة	٤٥	٤٢٠، ٨٦١
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	المائدة	٤٧	٤٢٠، ٨٦١
﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	المائدة	٤٨	٢٨، ٢٥
﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾	المائدة	٤٨	٤١٠، ٦٩
﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾	المائدة	٤٨	٤١٩

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
١١١،٦٩	٤٩	المائدة	﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾
٤٠١	٧٢	المائدة	﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾
٤٦٧، ٨١٤	٩٠	المائدة	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
<b>سورة الأنعام</b>			
١٣١	٨٢	الأنعام	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾
١٥٥	٨٣	الأنعام	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾
٤٠١	٨٨	الأنعام	﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
١٥٤	١٠١	الأنعام	﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٩٠٥	١٥٩	الأنعام	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴿١٥٩﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦٠﴾﴾
<b>سورة الأعراف</b>			
٢٠٩	٣٣	الأعراف	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴿٣٣﴾ وَأَلْتَمَّ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾
٩٠٠	٥٤	الأعراف	﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴿٥٤﴾﴾
٣٩٨	٥٥	الأعراف	﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾
١٤٦	٥٧-٦٢	الأعراف	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٥٧﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ ﴿٦١﴾ مَنِ اللَّهُ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾
٣٣٦	٥٩	الأعراف	﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾
٣٦	٦٢	الأعراف	﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴿٦٢﴾﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
١٤٥	٦٢	الأعراف	﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
١٤٨	٦٢	الأعراف	﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
١٤٨	٦٥ - ٦٨	الأعراف	﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾
١٤٩، ١٤٥	٦٨	الأعراف	﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾
١٤٩	٧٣	الأعراف	﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾
١٤٩	٧٧	الأعراف	﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ أَنتُمَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾
١٤٥	٧٩	الأعراف	﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
١٥٠	٧٩	الأعراف	﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾
١٥١، ١٥٠	٩١	الأعراف	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾
١٥١	٩٣	الأعراف	﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾
٤٩٤	١٢٨	الأعراف	﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾
٥١٣	١٣٧	الأعراف	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾
٨١٧	١٨٠	الأعراف	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾
٥١١	١٩٩	الأعراف	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾
٢٤١	٢٠٤	الأعراف	﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
<b>سورة الأنفال</b>			
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ؕ وَعَلِّمُوا أَنْتَ اللَّهُ يَمُوتَ بَيْنَ الْمَرَّةِ وَقَلْبِهِ ؕ وَأَنَّهُ ؕ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ؕ﴾	الأنفال	٢٤	٢٤٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعَاْمُونَ ؕ﴾	الأنفال	٢٧	٥٣٢ ٨٨٨
﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قُوَّةِ خِيَانَةٍ فَاِنْدِ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ؕ﴾	الأنفال	٥٨	٥٢٠
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ ؕ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ؕ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ؕ وَمَا تُفْقَهُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ؕ﴾	الأنفال	٦٠	١٣٣
﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ ؕ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ؕ﴾	الأنفال	٦٠	١٣٤
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ؕ﴾	الأنفال	٦١	١٣٥
﴿هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ؕ﴾	الأنفال	٦٢	٩٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
<b>سورة التوبة</b>			
﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾	التوبة	٢٩	١٧١
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾	التوبة	٦٠	٨٦٧، ٤٣٩
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾	التوبة	٦٠	٤٣٩، ٨٦٧
﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾	التوبة	٦٢	٤٨٠
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾	التوبة	٦٧	٢١٠
﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾	التوبة	٩١	١٤٥
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	التوبة	١٠٣	١٣٧
<b>سورة يونس</b>			
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	يونس	٥٧	٨٠٨

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٢٢٠	٥٩	يونس	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَإِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾
٤٦	٧١	يونس	﴿ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾
<b>سورة هود</b>			
٢٠٧، ٣٢٨	٢٩	هود	﴿ وَيَقَوْمِ لَا سَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآءِ أَنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾
١٥٥	٣٢	هود	﴿ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا ﴾
١٥٦، ١٥٥	٣٢	هود	﴿ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا ﴾
١٥٦	٣٤	هود	﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾
١٤٥	٣٤	هود	﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي ﴾
٣٢٨	٥١	هود	﴿ يَقَوْمِ لَا سَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾
١٣٧	٦١	هود	﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٢٠٥	٨٨	هود	﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾
٤٢٤	١١٢	هود	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
<b>سورة يوسف</b>			
١٤٥	١١	يوسف	﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾
١٧٣	٧٦	يوسف	﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾
٨٩٩	١٠١	يوسف	﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾
٨٠٧	١٠١	يوسف	﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾
٢٠٥ ٢٠٩	١٠٨	يوسف	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
١١٣	١٠٨	يوسف	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾
١٧٦ ١٨٧	١٠٨	يوسف	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
<b>سورة إبراهيم</b>			
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	إبراهيم	٤	٩٢٥
﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِهِ اللَّهُ﴾	إبراهيم	٥	٤٦
﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	إبراهيم	٧	٨٧٥، ٤٩٥
﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ﴾	إبراهيم	١٠	١٥٣
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾	إبراهيم	٢٤	٦٤٤ ٥٧٨
﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾	إبراهيم	٣٣-٣٤	٨٠٥
﴿وَأَجْبُنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾	إبراهيم	٣٥	٤٠٠
<b>سورة الحجر</b>			
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾	الحجر	٤٧	١٨٨
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾	الحجر	٩٢-٩٣	٨٣٢

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
<b>سورة النحل</b>			
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	النحل	٣٦	١٨٠ ٣٨٦
﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	النحل	٤٣	
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	النحل	٩٠	٨٩٩
﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾	النحل	٩١	٨٥
﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾	النحل	١١٦	٢١٠
﴿ وَجَدَلْتَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	النحل	١٢٥	١٥٥
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾	النحل	١٢٥	١٥٨ ٩١٥
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْتَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾	النحل	١٢٥	١١١ ٢١١ ٩٠١، ٢١٢



الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
١٥٨، ٨٠٧	٤٣ - ٤٤	طه	﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لِيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾
١٥٩، ٩١٥، ٢١٥	٤٤	طه	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لِيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾
٩٢٣	٤٤	طه	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لِيْنَا﴾
١٥٧	٤٧	طه	﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾
١٥٩	٤٧	طه	﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾
٨٨١	١٣١	طه	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾
<b>سورة الأنبياء</b>			
٨١٦، ٥٣٣	٢٢	الأنبياء	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾
٦٧٣	٤٧	الأنبياء	﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾
٨٣٢	٤٧	الأنبياء	﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	الأنبياء	١٠٧	٣٣٧
<b>سورة الحج</b>			
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾	الحج	٣٨	١٣١
﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ﴾	الحج	٤٠	٨٠٨
﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾	الحج	٤١	١٠٨، ٧٠، ١١٠، ٨٩٩
﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾	الحج	٤١	٤١٨، ٩٧
<b>سورة النور</b>			
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يُقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُقْتَدِرُونَ ﴾	النور	٥١	٩٠٠
﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾	النور	٥٤	١٨٥
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ	النور	٥٥	١٣١

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
			دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿١٠٠﴾
٣٩٤ ٩٢٩	٥٥	النور	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٠﴾﴾
<b>سورة الفرقان</b>			
٢٠٥	٢٣	الفرقان	﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾
٨٤٠	٣٩-٣٨	الفرقان	﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّيِّسِ وَقُرُونًا بَيِّنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ﴿٣٩﴾ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٤٠﴾﴾
<b>سورة الشعراء</b>			
٤١١	١٠٥	الشعراء	﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾
<b>سورة القصص</b>			
١٤٥	١٢	القصص	﴿وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١٢﴾﴾

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿أُولَئِكَ نُمِكِّنَ لَهُمْ حَرَمًا مَّأْمُونًا يُجَبِّيٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	القصص	٥٧	١٢٧
<b>سورة العنكبوت</b>			
﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾	العنكبوت	١٤	١٤٧
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	العنكبوت	٢٣	٤٠١
﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾	العنكبوت	٦٤	٨٣١
﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُونًا وَيَتَحَفَّطُوا النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَقْبَالَ بَطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾	العنكبوت	٦٧	١٣٢
<b>سورة الروم</b>			
﴿أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	الروم	٨	٣٩٠، ٨٨٠
﴿فَاقْمِرٌ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ	الروم	٣٠	٣٨٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿الَّذِينَ أَلْفَقُوا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾			
﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	الروم	٣١	٩٠٦
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾	الروم	٦٠	٢١٨
<b>سورة لقمان</b>			
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	لقمان	١٣	٣٩٧
﴿يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	لقمان	١٧	٢١٧
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾	لقمان	٣٣	٤١٣
<b>سورة السجدة</b>			
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ﴾	السجدة	٢٤	١٧٩

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٥١٣	٢٤	السجدة	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾
<b>سورة فاطر</b>			
٣٤	٢٨	فاطر	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
<b>سورة الصافات</b>			
١١٠	١٦٧ - ١٧٠	الصافات	﴿وَأَن كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾
<b>سورة ص</b>			
١٦٨	٢١	ص	﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾
٥٨٩	٢٦	ص	﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾
٨٣١، ٨٣١	٣٩	ص	﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
٤٥	٤٣	ص	﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾
٥٩٠	٤٤	ص	﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾
٤٤	٤٦	ص	﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٣٢٨	٦٨	ص	﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾
٢٠٧	٨٦	ص	﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾
<b>سورة الزمر</b>			
٩١٤	٩	الزمر	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٥١٣	١٠	الزمر	﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
٤٩٢ ٨٧٨	١٧-١٨	الزمر	﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾
٤٩٢ ٨٧٨	١٨	الزمر	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ سَبِيلًا وَأُولَئِكَ هُمْ أُؤْتُوا الْأَلْبَابِ﴾
٦٤	٢١	الزمر	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾
٤٠٠	٦٥	الزمر	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
<b>سورة غافر</b>			
٨٠٦	١٦	غافر	﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾
١٦١	٢٨	غافر	﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
١٦١	٢٨	غافر	﴿ اتَّقَتُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾
١٦٢	٢٨	غافر	﴿ اتَّقَتُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾
١٦٣	٢٨	غافر	﴿ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ ﴾
١٦٣	٢٩	غافر	﴿ يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا آرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾
١٦٥	٢٩	غافر	﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾
١٦٣	٣٠	غافر	﴿ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾
١٦٣	٣٤	غافر	﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾
٥٢١	٣٥	غافر	﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾
١٦٤	٣٨	غافر	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾
١٦٥	٣٨	غافر	﴿ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
١٦٦	٤١	غافر	﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾
١٦٦	٤٢	غافر	﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾
١٦٦	٤٣	غافر	﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾
١٦٦، ١٦٧	٤٤	غافر	﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾
١٦١	٢٨-٤٥	غافر	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ إلى قوله ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾
<b>سورة فصلت</b>			
١١٣	٣٣	فصلت	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٤٠٨	٣٨	فصلت	﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾
<b>سورة الشورى</b>			
٣٩٨،٣٩٣	١١	الشورى	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
١١٧	١٣	الشورى	﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾
٨٠٧	٢٣	الشورى	﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾
٥١١	٤٣	الشورى	﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾
<b>سورة الزخرف</b>			
٨٠٦،٨١	٣٢	الزخرف	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾
<b>سورة الأحقاف</b>			
٢١٨	٣٥	الأحقاف	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾
<b>سورة محمد</b>			
٣٨٩	١٩	محمد	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
<b>سورة الفتح</b>			
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	الفتح	١٠	٨٥
<b>سورة الحجرات</b>			
﴿وَأَقْسَطُوا <sup>ط</sup> إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	الحجرات	٩	١٢٢
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ <sup>ط</sup> وَلَا تَجَسَّسُوا﴾	الحجرات	١٢	٢٢٣
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِبْحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾	الحجرات	٦	٢٢٤، ٥١٠
<b>سورة الذاريات</b>			
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الذاريات	٥٥	٣٣٣،٤٥ ٦٧٢،٣٥٧
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات	٥٦	٤١٨
<b>سورة القمر</b>			
﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾	القمر	٧	٨٤٦
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	القمر	٤٩	٤١٥،٤٠٥

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
<b>سورة الحديد</b>			
٨٣١	٢٠	الحديد	﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ﴾
٦٩	٢٥	الحديد	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
٤١٦	٢٢-٢٣	الحديد	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾
<b>سورة الحشر</b>			
١٨٨	١٠	الحشر	﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
<b>سورة التحريم</b>			
٣٧	٨	التحريم	﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
<b>سورة الملك</b>			
﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾	الملك	٢	٢٠٤
<b>سورة القلم</b>			
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم	٤	٥٠٣
<b>سورة نوح</b>			
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾	نوح	٥	١٤٧
﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾	نوح	٨	١٤٧
<b>سورة المدثر</b>			
﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾	المدثر	٤٩	٤٥
<b>سورة القيامة</b>			
﴿ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قَوْلَهُ ﴾	القيامة	١٨	٢٤١
<b>سورة النازعات</b>			
﴿ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ ۗ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۗ ﴾	النازعات	١٨ - ١٩	١٥٨
﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ ۗ ﴾	النازعات	١٨	١٥٩
<b>سورة عبس</b>			
﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۗ ﴾	عبس	١١	٤٥

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
<b>سورة الانفطار</b>			
﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾	الانفطار	١٥	١٧١
<b>سورة الضحى</b>			
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾	الضحى	١١	٤٩٤، ٨٧٥
<b>سورة البينة</b>			
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	البينة	٥	٢٠٥
<b>سورة العصر</b>			
﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾	العصر	١-٣	١١٤

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
٥١٣	...واعلم أن النصر مع الصبر...
٤٥٧	اجتنبوا السبع الموبقات
١٣٩	أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام
٤٠٣	أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: ((الرياء))
١٩٤	إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإذا ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكره لم يعنه
٢٤٠	إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه...
٧٢	إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم
٣٢٧	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له
٨١٢	اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد يقودكم بكتاب الله
٨٨	اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة
٢٢٣	أعرضوا عن الناس، ألم تر أنك إن اتبعت الريبة في الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم؟

الصفحة	طرف الحديث
١٧٣	الأعمال بالنيات
٩٢٣	أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر
٢٣٤	أفلا نقاتلهم؟ فقال: ((لا ما أقاموا الصلاة)) وقال: ((من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزع يداً من طاعته))
٢٢٤	أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود
١٣٤	ألا إن القوة الرَّمِي
٨٥٧	إن أخنع الأسماء عند الله، رجل تسمى ملك الأملاك
١٨٦	إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال
١٠٠	إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا
١٨٦	إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال

الصفحة	طرف الحديث
١٢٢	إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا
٣٢٧	أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه
٨٢٩	أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك
٢١١	إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب
٢٣٥	إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جتتهم فادعهم إلى أن يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة
٥٠٧	إنك فيك خصلتين يجبهما الله: الحلم، والأناة
٣٢٦	إنما الأعمال بالنيات
٥٠٩	إنما الحلم بالتحلم
٧٣	إنه من يعش منكم فسيري اختلافاً كثيراً، فعليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور
٨٨	إنها ستكون أثره وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم
٣٤	إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي

الصفحة	طرف الحديث
٢٢٣	إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث
٤٠٥	الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره
١٨٢	بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة - فلقنني - فيما استطعت، والنصح لكل مسلم
١٨٢	بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم
١٨٢	بايعت رسول الله ﷺ فاشترط علي: والنصح لكل مسلم
٩١٧	بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم...
٢٢٥	التأني من الله، والعجلة من الشيطان
٨٨	تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم
١٠٠	ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم
٥١٨	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم - قال أبو معاوية -: ولا ينظر إليهم - ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر
٨٦	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنياه

الصفحة	طرف الحديث
١٧٣	الحج عرفة
٥١٩	الحرب خدعة
٢٣٩	حق المسلم على المسلم ست، إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه...
٣٤١	خمس من فعل واحدة منها كان ضامناً على الله عز وجل: من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازياً، أو دخل على إمامه يريد تعزيره، وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم الناس منه، وسلم من الناس
٣٣٦	خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟
١	الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم
١٢٢	سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل...
٩١١	سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فنهاه وأمره، فقتله

الصفحة	طرف الحديث
٩٣	سيكون بعدي سلطان فأعزوه، من التمس ذلك، ثغر ثغرة في الإسلام، ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت
٨١٢	الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله
٥٢١	العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة
٥٤	فلينفضه بصنفة إزاره؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه
١١٣	فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم
١١٨	كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في الجاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟
١٩٢	كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون
	كفى بالموت واعظاً
٨١١	كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته
٨٣٨	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا عبدالله ورسوله

الصفحة	طرف الحديث
٤٥٢	لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة
٤١٥	لا يجل لامرأة، تؤمن بالله واليوم الآخر، تسافر مسيرة ثلاث ليال، إلا ومعها ذو محرم
٦٧٢	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه
٨٣٤	لتبتعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم
٨٢٩	اللهم أعط منقفا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا
٤٢٥	لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد
٧٣	لينقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة
٩٨	ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى
٥١٣	ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً
٦٧٢	ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه

الصفحة	طرف الحديث
٥٣٧	من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار
١١٨	من أراد بحبوحه الجنة فليزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد
٨٨	من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني
٩٢	من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله
٤٠٣	من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك
٨٦	من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية
٣٣٥	من كان عنده علمٌ فكتمه أجمه الله بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة
٤١٥	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت
٧١	من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية
٩٨	من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه
٤٢٤	نعم بمثل هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين

الصفحة	طرف الحديث
٢١٥	ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف
٤٨٢	يا أبا ذر! إنك رجل ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها
٤٦١	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا
٦٧٣	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا
٣٢	يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي
٤٢٦	يقولون من خير قول البرية
٨٥	ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة

فهرس الآثار

الصفحة	القائل	الأثر
٢٤١	عبدالله بن عباس	﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، فاستمع وأنصت
٤٦	عبدالله بن عباس وغيره	﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: "بنعم الله"
٣٩٠	الفضيل بن عياض	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾: فازدد علماً على علمك
٢٠٤	الفضيل بن عياض	أحسن عملاً: أخلصه وأصوبه
٢٣٧	أسامة بن زيد	ألا تدخل على عثمان لتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعتمكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه
٨١	عبدالله بن مسعود	إن الإمام يفسد قليلاً ويصلح الله به كثيراً، وما يصلح به أكثر مما يفسد، فما عمل فيكم من طاعة الله فله الأجر وعليكم الشكر، وما عمل فيكم من معصية الله فعليه الوزر وعليكم الصبر

الصفحة	القائل	الأثر
٢٢٥	أنس بن مالك	أن النبي ﷺ إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزوا بنا حتى يصبح ويتنظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم
٢٢٢	عمر بن الخطاب	إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم،
٤٣٣	عمر بن الخطاب	إن أهم أمركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها، حفظ دينه، ومن ضيعها، فهو لما سواها أضيع
١٨٤	جرير بن عبدالله	أن غلامه اشترى له فرساً بثلاثمائة، فلما رآه جاء إلى صاحبه فقال: إن فرسك خير من ثلاثمائة
٩٤	أبو موسى الأشعري	إن من إجلال الله، إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط
٨٩	عبادة بن الوليد	بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا
٣٦٩	عمر بن الخطاب	تفقهوا قبل أن تسودوا
٢٤٠	عمر بن الخطاب	رحم الله من أهدى إلي عيوبي...

الصفحة	القائل	الأثر
١٨٤	زياد بن علاقة	سمعت جرير بن عبدالله <small>رضي الله عنه</small> يقول يوم مات المغيرة بن شعبة <small>رضي الله عنه</small> قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له
٨٣٧	أبو معمر	قام رجل يثني على أمير من الأمراء، فجعل المقداد <small>رضي الله عنه</small> يحثي عليه التراب، وقال: أمرنا رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> أن نحثي في وجوه المداحين التراب
٥١١	عبدالله بن عباس	قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يدينهم عمر
٥٣٧	المغيرة بن شعبة	قيام المغيرة على رأس النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
١٣٢	قتادة	كان لهم في ذلك آية - يعني قريش - أن الناس يغزون ويتخطفون وهم آمنون
٨٣٧	عبدالله بن عمر	كنت غلاماً شاباً، وكنت أنام في المسجد على عهد الرسول <small>صلى الله عليه وسلم</small> ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار
٩٥	سهل بن عبدالله	لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم

الصفحة	القائل	الأثر
٨٣	الأحنف بن قيس	لا ينبغي للعاقل أن ينزل بلدا ليس فيها خمس خصال: سلطان قاهر، وقاض عدل، وسوق قائمة، ونهر جار، وطبيب عالم
١٧١	عائشة	لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين
٩٣	معاوية بن أبي سفيان	لما خرج أبو ذر إلى الربذة، لقيه ركب من أهل العراق، فقالوا: يا أبا ذر، قد بلغنا الذي صنع بك، فاعقد لواء يأتك رجال ما شئت
١٠٣	الفضيل بن عياض	لو كانت لي دعوة مستجابة ما جعلتها الا في السلطان، قيل له: يا أبا علي فسر لنا هذا، قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني
	الفضيل بن عياض	ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة
٩٤	حذيفة بن اليمان	ما مشى قوم شبراً إلى السلطان ليدلوه إلا أذهم الله
٩٥	ابن المبارك	من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته
٩٥	طاووس بن كيسان	من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد

الصفحة	القائل	الأثر
٤٢٦	عبدالله بن عباس	مناظرة عبدالله بن عباس مع الخوارج
٤٧٨	عمر بن عبدالعزيز	هيهات هيهات، أشتم ولا أُشتم، أضرب ولا أُضرب، أوذى ولا أُوذى
٢٣٩	الفضيل بن عياض	وأما النصيحة، فمرغب فيها غير واجبة، لكنه إذا استنصح وجب عليه النصيحة
٨٥	عبدالله بن عمر	وإننا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله

فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة

الصفحة	المصطلح أو اللفظة الغريبة
٤٦٨	الإبريسم
٧٧	أخيف
٧٨٥	الأساليب
٧٧	أصواب
٧٧	اعتساف
١٢٣	الإيالة
٤٧	الأئمة
٤٥٢	البابا
٣٧٠	البحيحة
٣٤٦	البرود
٥٦	التأليف
٦٠٤	التأمور
٤٤	التذكير
٧٨٦	الترغيب

الصفحة	المصطلح أو اللفظة الغريبة
٧٨٦	الترهيب
٧٨٧	التشبيه
٧٨٦	التعريض
٣٤٠	التعزيز
٢٥٨	التناص
٣٤٠	التوقير
٤٤٣	الجعائل
٤٥٤	الحفلة
٦٧٣	دار الطعم
٢٥٠	الدهائيات
٢٥١	الديوانية
٤٦١	الذعار
٦٠٠	رندقة
٦١٤	السابقة
٤٥٤	السابلة

الصفحة	المصطلح أو اللفظة الغريبة
٧٩	سراة
٤٦٩	السكة
٣٠٨	السلوانات
٥٣٠	السوقي
٥٣١	الشادين
٤٦٧	الشنار
٢٠١	الضابط
٧٩	طغام
١٢٣	طلس الذئاب
٢٤٦	عصر التدوين
٧٩٢	العقيدة
٣١	العلماء
٤٨٧	القصة
٧٩١	القضية
٢٦٠	الكتابات الرمزية

الصفحة	المصطلح أو اللفظة الغريبة
٥٥١	كشف قصص المظلومين
٣٠٨	اللاحب
٣٧٣	المخاديم
٥٥٤	المداجاة
٦٤١	المدارس النظامية
٧٨٦	المدح
٢٥١	مرايا الأمراء
٢٧١	المشرق الإسلامي
٧٧٩	المصادر
٥٣	المصنف
٣٠٢	بلاد المغرب
٣٦	المناصحة
٥١	مناصحة أئمة المسلمين
٢٥	المنهج
٦٢٣	الميكافيلية

الصفحة	المصطلح أو اللفظة الغريبة
٢٥١	نصائح الملوك
٣٧٠	الهش
٣٩	الوعظ

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البيت
٨٢	الناس للناس من بدو ومن حضر
٨٢	لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
١١٥	وفعل معروف وترك نكر
١٢٩	لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
١٣٠	والظلم من شيم النفوس فإن تجد
١٦٧	بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى
١٧٢	أطعنا رسول الله إذ كان حاضراً
٢٠٧	كلكم يطلب صيد
٢٠٧	غير عمرو بن عبيد
٢٣٨	يهوى الشاء مبرز ومقصر
٣٧٧	وإن أولى البرايا أن تواسيه
٣٧٧	إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا
٥٠٨	ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم تكن له
٥٠٨	ولا خَيْرَ في جَهْلٍ، إذا لم يكن له
٥١٠	قد يدرك المتأني بعض حاجته
٥٢٣	ولا أحمل الحقد القديم عليهم
٥٢٣	لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب

الصفحة	البيت
٥٢٧	الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى
٥٣٠	لما سمعت القول قولاً منكراً أجمت ناري ودعوت قنبرا

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: الكتب:

(أ)

- ١- أبجد العلوم، تأليف: أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.
- ٢- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، تأليف: فريد الأنصاري، الناشر: مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب، د. ط، ١٩٩٧ م.
- ٣- ابن الجوزي وكتابه: المصباح المضيء في خلافة المستضيء - دراسة تاريخية تحليلية -، تأليف: د. ناجية عبدالله إبراهيم، د. ن، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.
- ٤- ابن القيم الجوزية حياته وآثاره، تأليف: بكر بن عبدالله أبو زيد، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م.
- ٥- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تأليف: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: د. أحمد معبد عبدالكريم، الناشر: دار الوطن، د. ط، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م.
- ٦- الإتيقان في علوم القرآن، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.
- ٧- آثار الأول في ترتيب الدول، تأليف: الحسن بن عبدالله العباسي، قام بتحقيق نصوصه، وتخرّيج أحاديثه، والتعليق عليه: الدكتور عبدالرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل، بيروت

- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- ٨- آثار البلاد وأخبار العباد، تأليف: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- ٩- إجماع السلف في الاعتقاد، تأليف: حرب الكرمانى، تحقيق: أسعد الزعتري، الناشر: مكتبة دار الإمام أحمد، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ١٠- الأحكام السلطانية، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، د. ط، د. ت.
- ١١- الأحكام السلطانية، تأليف: القاضي أبي يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.
- ١٢- إحكام الفصول في أحكام الأصول، تأليف: أبي الوليد الباجي، حقه وقدم له ووضع فهارسه: عبدالمجيد تركي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م
- ١٣- أحكام أهل الذمة، تأليف: محمد بن أبي بكر، بن أيوب، شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، وشاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادي للنشر، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
- ١٤- الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: أبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الآمدي، تحقيق: د. سيد الجميلي الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
- ١٥- أحوال الرجال، تأليف: أبي إسحاق، إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي

- الجوزجاني، تحقيق: عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، الناشر: حديث اكادمي، فيصل آباد، باكستان، د. ط، د. ت.
- ١٦- إحياء علوم الدين تأليف: أبي حامد محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- ١٧- أخلاق الملوك، تأليف: محمد بن الحارث الثعلبي، الناشر: مكتبة دار الطليعة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- ١٨- أخلاق الوزيرين، تأليف: أبي حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، حققه وعلق عليه: محمد بن تاويت الطنجي، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ١٩- الآداب السلطانية - دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي - تأليف: عز الدين العلام، الناشر: عالم المعرفة، د. ط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م
- ٢٠- الآداب الشرعية والمنح المرعية، تأليف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبي عبدالله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالح الحنبلي، الناشر: عالم الكتب، د. ط، د. ت.
- ٢١- آداب الملوك، تأليف: أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: د. جليل العطية، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- ٢٢- آداب الملوك، تأليف: مؤلف مجهول، منشور في بحث بعنوان: "من الفكر السياسي المصري: دراسة وتحقيق ومناقشة حول إشكالية التراث"، إعداد: د. محمد نصر مهنا، قدمه في ندوة العلوم السياسية في الوطن العربي، لارنكا، قبرص، عام ١٩٨٥م.
- ٢٣- أدب الدنيا والدين، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الناشر: دار مكتبة الحياة د. ط، ١٩٨٦م.

- ٢٤- الأدب الصغير والأدب الكبير قام بتحقيقها ودراستهما: د. إنعام فوّال، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، وقد حصلت على الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٢٥- الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ٢٦- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني القتيبي المصري، أبي العباس، شهاب الدين، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ.
- ٢٧- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: أحمد عزو عناية، قدم له: الشيخ خليل الميس، ود. ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- ٢٨- إرشاد الملوك لسداد السلوك، تأليف: إبراهيم بن أبي زيد الهندي، تحقيق: د. حسن يشو، الناشر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.
- ٢٩- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبي العباس المقرئ التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإياري، عبدالعظيم شلبي، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - مصر، د. ط، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.
- ٣٠- أساس البلاغة، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله،

- تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.
- ٣١- أسباب التأليف، تأليف: يوسف بن إسماعيل النبهاني، وهو ملحق بالطبعة القديمة من مصنفه "جامع كرامات الأولياء"، الناشر: مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، د. ط، ١٣٢٩ هـ.
- ٣٢- الاستفتاء الشعبي بين الأنظمة الوضعية والشريعة الإسلامية، تأليف: د. ماجد راغب الحلو، الناشر: مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.
- ٣٣- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، تأليف: نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
- ٣٤- الإشارة إلى أدب الإمارة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني المرادي، تحقيق: رضوان السيد، منشورات: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٣٥- الإشارة إلى أدب الوزارة، تأليف: محمد بن عبدالله بن سعيد الغرناطي الأندلسي، المعروف بابن الخطيب، تحقيق: د. محمد كمال شبانة، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.
- ٣٦- الأشاعرة في ميزان أهل السنة، نقدٌ لكتاب "أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم"، تأليف: أبي عثمان فيصل بن قزار الجاسم، الناشر: المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ٣٧- الأشباه والنظائر، تأليف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، الناشر: دار

الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣٨- الأشباه والنظائر، تأليف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٣٩- الأشباه والنظائر، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٤٠- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٤١- أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، تأليف: أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق وتخرّيج وتعليق: عبدالله بن محمد عبدالرحيم بن حسين البخاري، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٤٢- الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، تأليف: د. عبدالرحمن بدوي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ومطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٩٥٤م

٤٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤٤- الاعتصام، تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي،

- تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٤٥ - اعتقاد أهل السنة، تأليف: الحافظ أبي بكر أحمد إبراهيم الإسماعيلي الشافعي، تحقيق: جمال عزون، الناشر: دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ٤٦ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف: مصطفى صادق بن عبدالرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ (١/١٣٤).
- ٤٧ - أعلام الحديث، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٤٨ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- ٤٩ - الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
- ٥٠ - أعيان الأعصر وأعوان النصر، تأليف: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، تحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عشمة، د. محمد موعده، د. محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبدالقادر المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- ٥١- إغاثة الأمة بكشف الغمة، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريري،  
دراسة وتحقيق: الدكتور كرم حلمي فرحات، الناشر: عين للدراسات والبحوث  
الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.
- ٥٢- الاقتصاد في الاعتقاد، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وضع  
حواشيه: عبدالله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة  
الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- ٥٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تأليف: شيخ الإسلام تقي الدين  
أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة  
السنة المحمدية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ.
- ٥٤- الإقناع في مسائل الإجماع، تأليف: علي بن محمد بن عبدالمملك الكتامي الحميري  
الفاسي، أبي الحسن ابن القطان، تحقيق: حسن فوزي الصعيدي، الناشر: الفاروق  
الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- ٥٥- إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة، تأليف: محمد صديق بن حسن بن علي الحسيني  
البخاري، المشهور بصديق حسن خان القنوجي، تحقيق: مجموعة من المحققين، د. ن،  
الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- ٥٦- إكمال المعلم بفوائد مسلم، تأليف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي  
السبتي، أبي الفضل، تحقيق: يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى  
١٤١٩هـ.
- ٥٧- الأم، تأليف: الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، الناشر: دار  
المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- ٥٨- الإمامة في الإسلام، أسس ومبادئ وواجبات، تأليف: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن الطريقي، الناشر: مؤسسة الجريسي للتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ٥٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٦٠- الأموال، تأليف: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه، تحقيق: د. شاكر ذيب فياض، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ٦١- الإنباء في تاريخ الخلفاء، تأليف: محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، تحقيق: قاسم السامرائي، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- ٦٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تأليف: جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٢م.
- ٦٣- الانتصاف، حاشية الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تأليف: ابن المنير الأسكندري، مطبوع مع الكشاف للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
- ٦٤- أنجم السياسة، تأليف: عبدالله بن محمد بن عيسى الأنصاري، المعروف بأبي محمد المالقي: عبدالله كنون، وطبعها مجلة اللغة العربية بدمشق، المجلد الثامن والأربعون،

١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.

٦٥- الأنس الجليل، تأليف: عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العليمي المقدسي الحنبلي،  
أبي اليمن، مجير الدين، تحقيق: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس،  
عمان، د. ط، د. ت.

٦٦- الأنساب، تأليف: عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، تحقيق:  
عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر  
آباد، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

٦٧- أهلية الولايات السلطانية في الفقه الإسلامي، تأليف: د. عبدالله بن عبدالمحسن  
الطريقي، الناشر: مؤسسة الجريسي للتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦٨- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تأليف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير  
سليم الباباني البغدادي، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين  
بالتقايأ رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، الناشر: دار إحياء التراث  
العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

٦٩- الإيمان، تأليف: أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندهخ العبدي،  
تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان،  
الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٧٠- الإيمان، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله  
بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر الدين  
الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان - الأردن، الطبعة الخامسة  
١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(ب)

٧١- البحث العلمي، تأليف: د. محمد شفيق، الناشر: المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية - مصر، د. ط، ٢٠٠١م.

٧٢- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، تأليف: زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، المعروف بابن نجيم المصري، الناشر: دار المعرفة، بيروت، . ط، د. ت

٧٣- بحر الفوائد = معاني الأخبار، تأليف: أبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٧٤- البحر المحيط الشجاع في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، تأليف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٧٥- البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: أبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، الناشر: دار الكتبي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٧٦- البدء والتاريخ، تأليف: المطهر بن طاهر المقدسي، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، د. ط، د. ت.

٧٧- بداية المجتهد، تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، الناشر: دار الحديث - القاهرة، د. ط، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٧٨- البداية والنهاية تأليف: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الناشر: هجر للطباعة والنشر - الجزيرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

- ٧٩- بدائع ابن الأزرق في السياسة والأخلاق، تأليف: د. زينب عفيفي شاكر، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٩هـ.
- ٨٠- بدائع الزهور في وقائع الزهور، تأليف: ابن إياس الحنفي، د. ط، طبعة مصر ١٣١١هـ.
- ٨١- بدائع السلك في طبائع الملك، تأليف: أبي عبدالله محمد بن علي الأصبحي الغرناطي، المشهور بابن الأزرق، تحقيق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام، بغداد، د. ط، الجزء الأول عام ١٩٧٧هـ، والجزء الثاني عام ١٩٧٨هـ.
- ٨٢- بدائع السلك، تأليف: أبي عبدالله محمد بن علي الأصبحي الغرناطي، المشهور بابن الأزرق، تحقيق: محمد عبدالكريم، الناشر: الدار العربية للكتاب، د. ط، د. ت.
- ٨٣- بدائع الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران الناشر، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- ٨٤- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تأليف: ابن الملقن، سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- ٨٥- البرهان في علوم القرآن، تأليف: أبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، د. ط، د. ت.
- ٨٦- البرهان في فضل السلطان، تأليف: شهاب الدين أحمد بن طوغان المحمدي الأشرفي

- الحنفي، دراسة وتحقيق: أحمد الجعيد، تقديم: أ. د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- ٨٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: دار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د. ط، ١٩٩٢م.
- ٨٨- البغداديون وأخبارهم ومجالسهم، تأليف: إبراهيم عبدالغني الدروي، الناشر: مطبعة الرابطة، بغداد - العراق، د. ط، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
- ٨٩- بغية الإربة في معرفة أحكام الحسبة، تأليف: وجيه الدين عبدالرحمن بن علي الشيباني المعروف بـ «ابن الديبع»، دراسة وتحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، الناشر: معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ٩٠- بهجة المجالس، وأنس المجالس، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- ٩١- بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأختيار في شرح جوامع الأخبار، تأليف: أبي عبدالله، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبدالكريم بن رسمي ال دريني، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(ت)

- ٩٢- تاج التراجم، تأليف: أبي الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطُوبغا السودوني،

- الجمالي الحنفي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم، دمشق - سوريا،  
الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- ٩٣- تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تأليف: محمد بن عبدالكريم المغيلي  
التلمساني، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم للنشر والتوزيع،  
الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- ٩٤- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني،  
أبي الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار  
الهداية، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.
- ٩٥- التاج في أخلاق الملوك، تأليف: أبي عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، تحقيق: أحمد  
زكي باشا، الناشر: المطبعة الأميرية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٩١٤م
- ٩٦- تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من  
ذوي الشأن الأكبر، تأليف: عبدالرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي  
الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية  
١٩٨٨م.
- ٩٧- تاريخ آداب اللغة العربية، تأليف: جرحى زيدان، الناشر: مطبعة دار الهلال، الفجالة  
- مصر، د. ط، ١٩١١م.
- ٩٨- تاريخ الأدب العربي، تأليف: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، القاهرة - مصر،  
الطبعة الحادية عشرة، د. ت.
- ٩٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن  
أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، الناشر: دار الكتاب

العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

١٠٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

١٠١- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك حتى منتصف القرن الخامس الهجري، تأليف: محمد جمال الدين سرور، الناشر: دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

١٠٢- تاريخ الخلفاء، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

١٠٣- تاريخ الغرب الإسلامي، تأليف: د. إبراهيم القاري بوتشيش، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م.

١٠٤- تاريخ الفلسفة العربية، تأليف: د. حنا الفاخوري وآخرين، الناشر: دار الجليل، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٣ م.

١٠٥- التاريخ الكبير، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبدالمعيد خان

١٠٦- التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، تأليف: مجير الدين العليمي عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن المقدسي الحنبلي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، إشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ / ٢٠١١ م.

١٠٧- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، تأليف: د. السيد عبدالعزيز سالم، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية - مصر، الطبعة

الثانية ١٩٨٤م.

١٠٨- تاريخ المغرب والأندلس، تأليف: د. عصام عبدالرؤوف الفقي، الناشر: مكتبة نهضة الشرق، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٨٤م.

١٠٩- تاريخ بغداد وذيوله، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١١٠- تاريخ بغداد، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١١١- تاريخ دمشق، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١١٢- تأويلات أهل السنة = تفسير الماتيري، تأليف: محمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١١٣- التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دراسة وتحقيق: د. محمد أحمد دمج، الناشر: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١٤- التبر المنسبك في تدبير الملك، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد الأهوازي الحنفي، الناشر: مطبعة التمدن بالقاهرة - مصر، عام ١٣١٧هـ/ ١٩٠٠م.

- ١١٥- تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، تأليف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ١١٦- التبيان في آداب حملة القرآن، تأليف: أبي زكريا محيي الدين النووي، تحقيق: محمد الحجار، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
- ١١٧- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تأليف: أبي عبدالله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، قدم له: عبدالله بن زيد آل محمود، تحقيق ودراسة وتعليق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، الناشر: دار الثقافة، قطر - الدوحة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- ١١٨- تحرير السلوك في تدبير الملوك تأليف: أبي الفضل محمد بن عبدالوهاب السنباطي المشهور بابن الأعرج، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية - مصر، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- ١١٩- التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية، تونس، د. ط، ١٩٨٤م.
- ١٢٠- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تأليف: نجم الدين إبراهيم بن علي الطوسي، تحقيق: أ. د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م.
- ١٢١- تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، تأليف: سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي المصري الشافعي، الناشر: دار الفكر، د. ط، ١٩٩٥م.
- ١٢٢- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، تأليف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحقيق:

- لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.
- ١٢٣- تحفة الوزراء، تأليف: أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: حبيب الراوي وابتسام مرهون الصفرار، الناشر: وزارة الأوقاف، بغداد - العراق، د. ط، ١٩٧٧ م.
- ١٢٤- تحليل الخطاب الشعري، تأليف: محمد مفتاح، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة ١٩٩٢ م.
- ١٢٥- تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، مفهومه، أسسه، استخداماته، تأليف: طعيمة رشدي، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م.
- ١٢٦- تحليل محتوى المنهج في العلوم الإنسانية، تأليف: محمد، وائل عبدالله، وعبدالعظيم، وريم أحمد، الناشر: دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، الطبعة الثانية ٢٠١٨ م.
- ١٢٧- تحليل محتوى مناهج اللغة العربية: رؤية نظرية تطبيقية، تأليف: عبدالرحمن الهاشمي، ومحسن علي عطية، الناشر: دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.
- ١٢٨- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تأليف: أبي الحسن الخزاعي التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ.
- ١٢٩- تذكرة الحفاظ، تأليف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قਿਆز الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.
- ١٣٠- التذكرة الحمدونية، تأليف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي، لم

- يحقق منه إلا الجزء الأول، قام بتحقيقه: د. إحسان عباس، الناشر: معهد الإنشاء العربي، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٣١- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تأليف: بدر الدين محمد بن جماعة الكناني، تحقيق: عبدالسلام عمر علي، الناشر: مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م،
- ١٣٢- تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأليف: عبدالله القصير، الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١٣٣- تراث الإسلام "الفكر السياسي الإسلامي"، تأليف: آن لامبتون، ترجمة: د. حسين مؤنس وآخرون، الناشر: سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د. ط، ١٩٧٨م.
- ١٣٤- التراث السياسي في المغرب والأندلس، تأليف: د. محمود علي مكي، الناشر: معهد المخطوطات العربية، القاهرة - مصر، د. ط، ٢٠٠٢م.
- ١٣٥- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تأليف: أبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، وعبد القادر الصحراوي، ومحمد بن شريفة، وسعيد أحمد أعراب، الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى، د. ط.
- ١٣٦- الترغيب والترهيب، تأليف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبي القاسم، الملقب بقوام السنة، تحقيق: أيمن بن صالح بن شعبان، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ١٣٧- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق ودراسة: د. رضوان

السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الأولى  
١٤٣٢هـ/٢٠١٢م.

١٣٨- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك  
الصفدي، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: الدكتور  
رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى،  
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٣٩- تطور الفكر السياسي عند أهل السنة، تأليف: خير الدين يوجه سوي، الناشر: دار  
البشير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٤٠- التعريف بأداب التأليف، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي،  
تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، د. ط، د. ت.

١٤١- التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف  
الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

١٤٢- تعظيم قدر الصلاة، تأليف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبي عبدالله، تحقيق:  
عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى  
١٤٠٦هـ.

١٤٣- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر:  
دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى  
١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٤٤- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبي محمد عبدالحق  
ابن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد الناشر: دار

الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

١٤٥- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف: أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت.

١٤٦- تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن، تأليف: محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٤٧- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف: ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

١٤٨- تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تأليف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

١٤٩- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، تأليف: أبي عبدالله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

١٥٠- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

- ١٥١- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- ١٥٢- تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
- ١٥٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ١٥٤- تفسير آيات من القرآن الكريم "مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس"، تأليف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، تحقيق: الدكتور محمد بلتاجي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.
- ١٥٥- تلخيص الأصول، تأليف: حافظ ثناء الزاهدي، الناشر: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ١٥٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، د. ط، ١٣٨٧ هـ.
- ١٥٧- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، تأليف: محيي

الدين أبي زكريا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي، تحقيق وتعليق: عماد الدين عباس سعيد، إشراف: المكتب السلفي لتحقيق التراث، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

١٥٨- تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

١٥٩- تهذيب التهذيب، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ.

١٦٠- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تأليف: محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، الناشر: مكتبة النار، الزرقاء - الأردن، د. ط، ١٩٨٥ م.

١٦١- تهذيب السنن، تأليف: الإمام ابن القيم أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، تحقيق: الدكتور إسماعيل بن غازي مرحبا، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

١٦٢- تهذيب اللغة، تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.

١٦٣- تهذيب ذهن الداعي في إصلاح الرعية والراعي، تأليف: شيث أو شبيب بن إبراهيم ابن محمد بن حيدرة القناوي، المعروف بابن الحاج، ترجمة وتحقيق: جليل العطية، الناشر: دار البرق، الطبعة الأولى ٢٠١٢ م.

- ١٦٤- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تأليف: ابن الملقن، سراج الدين أبي حفص عمر ابن علي بن أحمد الشافعي، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- ١٦٥- التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- ١٦٦- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تأليف: سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ١٦٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ١٦٨- تيسير الوصول إلى منهاج الأصول، تأليف: كمال الدين محمد بن محمد بن عبدالرحمن المعروف بابن إمام الكاملة، دراسة وتحقيق: د. عبدالفتاح أحمد قطب الدخيسي، الناشر: دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ١٦٩- التيسير بشرح الجامع الصغير، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ١٧٠- التيسير والاعتبار والتحريم والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والنصيحة في

التصرف والاختيار، تأليف: محمد بن محمد بن خليل الأسدي، تحقيق: عبدالقادر طليبات، الناشر: مطبعة مخيمر، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٩٦ م.

(ج)

١٧١- جامع البيان في تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م.

١٧٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م.

١٧٣- الجامع الكبير = سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبدالباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ،

١٧٤- جامع المسائل، المجموعة الخامسة، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

١٧٥- جامع بيان العلم وفضله، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي،

- الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ١٧٦- جامع شروح العقيدة الطحاوية، تأليف: الإمام ابن أبي العز الحنفي، والعلامة صالح آل الشيخ، مع تعليقات الشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ صالح الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- ١٧٧- الجذور التاريخية للشعوبية، تأليف: د. عبدالعزيز الدوري، الناشر: دار الطليعة بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
- ١٧٨- الجرح والتعديل، تأليف: أبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٢٧١هـ.
- ١٧٩- المجلس الصالح والأئیس الناصح، تأليف: سبط ابن الجوزي الناشر: دار الرياض الريس، لندن - المملكة المتحدة.
- ١٨٠- جمل من أنساب الأشراف، تأليف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- ١٨١- جمهرة اللغة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار المعلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- ١٨٢- جمهرة خطب العرب، تأليف: زكي صفوت، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.
- ١٨٣- جمهرة رسائل العرب تأليف: د. أحمد زكي، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٨٤- جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها: محمد الطاهر الميساوي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م.

١٨٥- جنة الرضا في التسليم على ما قدر الله وقضى، تأليف: أبي يحيى محمد بن محمد بن عاصم القيسي: د. صلاح الجرار، الناشر: دار البشر للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، د. ط، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.

١٨٦- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

١٨٧- الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية، تأليف: زين الدين عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: أ. د. عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الناصر، الناشر: النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، د. ط، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.

١٨٨- الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تأليف: محمد بن منصور الحداد الموصللي، تحقيق: د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرقي لدراسات التراث السياسي، الطبعة الثانية ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٢ م.

(ح)

١٨٩- حاشية الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، تأليف: عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم الحنبلي النجدي، الناشر: دار الزاحم، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

١٩٠- حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبي الحسن، نور الدين السندي، الناشر: دار الجيل -

بيروت، الطبعة الأولى، د. ت.

١٩١- حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين، تأليف: شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٩٢- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٩٣- الحجاب، تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، ضمن رسائل الجاحظ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.

١٩٤- حجاج التمثيل في الآداب السلطانية، تأليف: د. هاجر مدقن، الناشر: دار الناغبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

١٩٥- حجة الله البالغة، تأليف: أحمد بن عبدالرحيم، المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي، تحقيق: السيد سابق، الناشر: دار الجليل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٩٦- حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تأليف: محمد بن عيسى بن محمود بن محمد بن كنان الحنبلي، تحقيق: عباس صباغ، دار النفائس، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١٩٧- الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، تأليف: تقي الدين أبي العباس

- أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، د. ت.
- ١٩٨ - حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، تأليف: محمد بن محمد بن عبدالكريم بن رضوان بن عبدالعزيز البعلي شمس الدين، ابن الموصل، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
- ١٩٩ - الحضارة الإسلامية في المغرب، تأليف: د. حسن السانح، الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ٢٠٠ - الحضارة العربية في إسبانيا، تأليف: ليفي بروفنسال، ترجمة: د الطاهر أحمد مكي، الناشر: دار العالم العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.
- ٢٠١ - حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، تأليف: بكر بن عبدالله أبو زيد، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- ٢٠٢ - حكم الإنكار في مسائل الخلاف، تأليف: د. فضل إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان الإسلام، ججرانواله - باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- ٢٠٣ - الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، تأليف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.
- ٢٠٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الناشر: دار السعادة، مصر، د. ط، ١٣٩٤ هـ.

(خ)

- ٢٠٥- الخراج وصناعة الكتابة، تأليف: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبي الفرج، الناشر: دار الرشيد، بغداد - العراق، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- ٢٠٦- الخراج، تأليف: أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، سعد حسن محمد، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، د. ط، د. ت.

(د)

- ٢٠٧- درء تعارض العقل والنقل، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
- ٢٠٨- الدراري المضية شرح الدرر البهية، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ٢٠٩- دراسات في تاريخ المغرب العربي، تأليف: د. إبراهيم فرغلي، الناشر: مكتبة دار العلم، الفيوم، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.
- ٢١٠- دراسة في الفكر السياسي الإسلامي، تأليف: د. خضر عيد السرحان، الناشر: الآن ناشرون وموزعون، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م.
- ٢١١- درة الحجال في أسماء الرجال، تأليف: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، تحقيق: د. محمد الأحمد أبو النور، الناشر: دار التراث، القاهرة - مصر، والمكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

- ٢١٢- الدرّة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، تأليف: محمود بن إسماعيل الخيرميّ، تحقيق ودراسة: أحمد الزعبي، تقديم: د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- ٢١٣- درر السلوك في سياسة الملوك، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٢١٤- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، د.ن، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- ٢١٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق ومراقبة: محمد عبدالمعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الهند، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م.
- ٢١٦- الدعوة إلى الله خصائصها ومقوماتها ومناهجها، تأليف: د. أبي المجد السيد نوفل، الناشر: دار الحضارة العربية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.
- ٢١٧- دليل مصنّفات السياسة الشرعية والأحكام السلطانية، تأليف: اللجنة العلمية بمركز ابن الأزرق، إشراف: د. يوسف بن عثمان الخزيم، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- ٢١٨- دوافع البحث والتأليف عند المسلمين، تأليف: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، د. ط، ٢٠٠٥م.
- ٢١٩- دولة الإسلام في الأندلس، تأليف: محمد عبدالله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.

- ٢٢٠- الدولة الإسلامية في العصر العباسي - قضايا ومواقف، تأليف: د. صابر محمد دياب حسين، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٢٢١- دولة الخلافة: دراسة في التفكير السياسي عند أبي الحسن الماوردي، تأليف: سعيد بن سعيد العلوي، الناشر: دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د. ط، ٢٠١٠م.
- ٢٢٢- دولة سلاطين المماليك في مصر، تأليف: أيمن فؤاد سيد، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ٢٠٢٠م.
- ٢٢٣- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: د. محمد الأحمدى أبي النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.
- ٢٢٤- ديوان الأفوه الأودي، صلاة بن عمرو بن مالك اليميني، تحقيق: د. محمد التونجي، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٢٢٥- ديوان عبدالله بن المبارك، تحقيق: سعد كريم الفقي، الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر - المنصورة، د. ط، د. ت.
- ٢٢٦- ديوان القطامي، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، الناشر: دار الثقافة بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.
- ٢٢٧- ديوان المتنبي، تأليف: أبي البقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- ٢٢٨- ديوان المقنع الكندي، جمع وتحقيق ودراسة: أ. د. أحمد سامي زكي منصور، الناشر: جامعة طنطا، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثانية والثلاثون

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

٢٢٩- ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: الدكتور واضح الصمدي، الناشر: دار صادر، بيروت

- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢٣٠- ديوان دريد ابن الصمة، تحقيق: د. عمر عبدالرسول، الناشر: دار المعارف، القاهرة

- مصر، د. ط، ١٩٨٥م.

٢٣١- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، تأليف: دعبل بن علي الخزاعي، شرح: حسن حمد،

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٢٣٢- ديوان عنتر بن شداد، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، الناشر: دار المعرفة، بيروت

- لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(ذ)

٢٣٣- الذخيرة، تأليف: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: د. إحسان عباس،

الناشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢٣٤- الذخيرة، تأليف: أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن المالكي

الشهير بالقرافي، تحقيق: محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بوخبزة، الناشر: دار

الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٢٣٥- الذهب المسبوك في وعظ الملوك، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي،

تحقيق: أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، الناشر: دار الكتب، الرياض - المملكة

العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٢٣٦- ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي،

تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض -

المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

(ر)

٢٣٧- رائق التحلية في فائق التورية، تأليف: أبي جعفر أحمد بن زرقالة، الناشر: دار الحكمة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٠٠م.

٢٣٨- رحلات علماء المغرب الأقصى والأوسط، وآثارهم العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، تأليف: د. الناجي لمن، الناشر: دار الحكمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٢٣٩- رسالة الراعي والرعية، تأليف: محمد خيامي الحجاجي الحسيني، الناشر: مطبعة العدالة والنهج القومي لصاحبها محمد الخيامي، القاهرة - مصر، د. ط، ١٣١٦هـ.

٢٤٠- رسالة الصحابة، تأليف: أبي محمد عبدالله بن المقفع، قام بجمعها: محمد كرد علي، الناشر: دار الكتب العربية الكبرى، الطبعة الثانية ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م.

٢٤١- الرسالة الصغرى، تأليف: الحسن بن محمد بن علي اليوسي المراكشي، نشرتها محققة: فاطمة خليل القبلي، ضمن رسائل ابن علي الحسن اليوسي، مكتبة دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، د. ط، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٤٢- الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تأليف: عثمان ابن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، الناشر: دار الإمام أحمد، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٤٣- رسالة إلى المسلمين عامة وإلى ولاية الأمور خاصة في المحافظة على الصلاة، تأليف: شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، تحقيق: عمرو بن محمد بن أحمد آل حسين، الناشر: دار التوحيد للنشر، الرياض - المملكة العربية

السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٢٤٤- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق ابن سالم الأشعري، تحقيق: عبدالله شاكر محمد الجنيدى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٤٥- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، تأليف: محمود شاكر، الناشر: مكتبة الأسرة، القاهرة، د. ط، ١٩٩٧م.

٢٤٦- رسائل ابن حزم الأندلسي، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٢٤٧- رسائل البلغاء، تأليف: محمد كرد، الناشر: دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩١٣م.

٢٤٨- رسائل سالم بن عبدالله، جمع إحسان عباس، ضمن كتاب: عبدالحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم بن أبي العلاء، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع، د. ط، ١٩٨٨م.

٢٤٩- رسائل وفتاوى، تأليف: عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي، الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٥٠- رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلطين، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي، الناشر: دار الجليل، اليمن، د. ط، د. ت.

٢٥١- روائع التفسير، تأليف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، البغدادي، ثمّ الدمشقي، الحنبلي، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٢٥٢- روضة الطالبين وعمدة المفتين، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٢٥٣- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، تأليف: أبي محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٣٣٤هـ.

٢٥٤- رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، تأليف: محمد بن أبي العلي بن محمد بن سمالك العاملي الأندلسي، تحقيق: د. سليمان القرشي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٢٥٥- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الناشر: دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٥٦- ریحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تأليف: محمد بن عبدالله بن سعيد الغرناطي الأندلسي، المعروف بابن الخطيب، تحقيق: د. محمد عبدالله عنان، الناشر: مطبعة الخانجي بالقاهرة- مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(ز)

٢٥٧- زاد الداعية، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة

- المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٢٥٨- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- ٢٥٩- زاد المعاد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٢٦٠- الزهد، تأليف: أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- ٢٦١- الزهد، تأليف: أبي سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس الرؤاسي، حققه وقدم له وخرج أحاديث وآثاره: عبدالرحمن عبدالجبار الفيرواني، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٢٦٢- الزهد، تأليف: أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، وضع حواشيه: محمد عبدالسلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- ٢٦٣- زهر الآداب وثمره الألباب، تأليف: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبي إسحاق الحصري القيرواني، تحقيق: أ. د. يوسف علي طويل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٢٦٤- الزهراء المثورة في نكت الأخبار المأثورة، تأليف: أبي القاسم محمد بن أبي العلاء

ابن السباك، تحقيق: د، محمود علي مكّي، الناشر: المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، د. ط، ١٩٧٩م.

٢٦٥- زهرة الآداب وثمرّة الألباب، تأليف: أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، د.ت.

(س)

٢٦٦- السالك إلى أقوم المسالك في معرفة أحوال أهل الممالك، تأليف: خير الدين باشا التونسي، الناشر: دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٢٦٧- سر الأسرار لإخوان الصفاء، تأليف: أرسطو، تحقيق: أحمد التركي، الناشر: دار الكلمة، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٨٣م.

٢٦٨- سر الأسرار لأرسطو، تحقيق: سامي سليمان الأعور، الناشر: دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٦٩- سراج الملوك، تأليف: محمد بن الوليد بن محمد القرشي الفهري الأندلسي، المشهور بأبي بكر الطرطوشي، الناشر: دار الاستقامة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

٢٧٠- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، تأليف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، الناشر: مطبعة بولاق "الأميرية"، القاهرة - مصر، د. ط، ١٢٨٥هـ.

٢٧١- سلسلة أعلام الاقتصاد، تأليف: د. شوقي دنيا، الناشر: مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، د. ط، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- ٢٧٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- ٢٧٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، تأليف: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، الناشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٢٧٤- السلطان، تأليف: أبي محمد عبدالله بن عبدالمجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، قام بدراسته وتحقيقه: أيمن عبدالجابر البحيري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د. ط، ٢٠٠٢م.
- ٢٧٥- السلطة الثقافية والسلطة السياسية، تأليف: د. علي أومليل، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ٢٠١٩م.
- ٢٧٦- السلطة والسياسة في الأدب السلطاني، تأليف: عز الدين العلام، الناشر: دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، د. ط، ١٩٩١م.
- ٢٧٧- سلوان المطاع في عدوان الطباع، تأليف: محمد بن محمد بن ظفر الصقلي، تحقيق: عبدالغني محمد علي مستو، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٧هـ.
- ٢٧٨- السنة، تأليف: أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي، تحقيق: عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٢٧٩- السنة، تأليف: أبي بكر بن أبي عاصم الضحاك، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٨٠- سنن ابن ماجة، تأليف: أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د. ط، د. ت.

٢٨١- سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، د. ت.

٢٨٢- سنن الدارمي، تأليف: أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبدالصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ٢٠٠٠م.

٢٨٣- السنن الكبرى، تأليف: أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبدالمنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م،

٢٨٤- السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢٨٥- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، تأليف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

- ٢٨٦- سوسولوجيا - طور الانهيار -، تأليف: تأليف: د. محمود إسماعيل، الناشر: سينا للنشر، مؤسسة الانتشار للنشر العربي، د. ط، ٢٠٠م.
- ٢٨٧- السياسة الشرعية - دراسة في أصول المصطلح وتطوراته التاريخية والفقهية، تأليف: عبدالغني محمد علي مستو، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٦هـ.
- ٢٨٨- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٢٨٩- السياسية الشرعية في الفكر الإسلامي، تأليف: د. برهان زريق، د. ن، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
- ٢٩٠- سياست نامه "سير الملوك" تأليف: الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، ترجمه عن الفارسية: الدكتور يوسف بكار، الناشر: وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، د. ط، ٢٠١٢م.
- ٢٩١- سير أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.
- ٢٩٢- سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، تأليف: الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ضبطه وشرحه وعلق عليه، نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(ش)

٢٩٣- شجرة النور الزكية، تأليف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبدالمجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٩٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تأليف: أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م

٢٩٥- شرح أصول الإيمان، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٩٦- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تأليف: تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، الناشر: مؤسسة الريان، الطبعة السادسة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٩٧- شرح الأربعين النووية، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار الثريا، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ.

٢٩٨- شرح الأصول الخمسة، تأليف: القاضي عبدالجبار، تعليق: الإمام أحمد بن الحسين ابن أبي هاشم، حققه وقدم له: الدكتور عبدالكريم عثمان، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٩٩- شرح الإمام بأحاديث الأحكام، تأليف: تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب ابن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه:

- محمد خلوف العبد الله، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ/  
٢٠٠٩م.
- ٣٠٠- شرح السنة، تأليف: أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق:  
شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق -  
بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ٣٠١- شرح السنة، تأليف: الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبي محمد، تحقيق: د. محمد  
سعيد سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم، الدمام - المملكة العربية السعودية،  
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٣٠٢- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح = الكاشف عن حقائق السنن، تأليف: شرف  
الدين الحسين بن عبدالله الطيبي، تحقيق: د. عبدالحميد هندراوي، الناشر: مكتبة نزار  
مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ٣٠٣- شرح العقيدة الأصفهانية، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق:  
إبراهيم سعيداي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة  
الأولى ١٤١٥هـ.
- ٣٠٤- شرح العقيدة السفارينية - الدررة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية - تأليف: محمد  
بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية  
السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
- ٣٠٥- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز  
الحنفي، تحقيق: مجموعة من العلماء، تخريج: الإمام الألباني، الناشر: دار السلام  
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة "عن مطبوعة المكتب الإسلامي"، الطبعة المصرية

الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٠٦- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث، العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.

٣٠٧- شرح العقيدة الواسطية، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ.

٣٠٨- شرح المقاصد في علم الكلام، تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، الناشر: دار المعارف النعمانية، باكستان، د. ط، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٠٩- شرح النووي على صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٣٩٢هـ.

٣١٠- شرح تنقيح الفصول، تأليف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: طه عبدالرؤوف، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٣١١- شرح رياض الصالحين، تأليف: شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الحنفي، الناشر: وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ.

٣١٢- شرح رياض الصالحين، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، د. ط، ١٤٢٦هـ.

- ٣١٣- شرح سنن أبي داود، تأليف: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف: خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- ٣١٤- شرح صحيح البخاري، تأليف: ابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- ٣١٥- شرح مختصر الروضة، تأليف: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبي الربيع، نجم الدين، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- ٣١٦- شرح مشكل الآثار، تأليف: أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك، المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٤٩٤م.
- ٣١٧- شرح مصابيح السنة، تأليف: محمد بن عز الدين عبداللطيف بن أمين الدين الرومي، المشهور بابن الملك، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- ٣١٨- الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة، تأليف: أبي عبدالله عبيدالله بن بطة العكبري، تحقيق: د. رضا بن نعيان معطي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ٣١٩- الشريعة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري البغدادي، تحقيق: د.

عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٣٢٠- شعب الإيمان، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسر وجردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بيومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٣٢١- شفاء السقام في صفة مناصحة الحكام وحكم التظاهر والاعتصام، تأليف: أبي حازم محمد بن حسني القاهري السلفي، الناشر: دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

٣٢٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبيص، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٣٢٣- الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، تأليف: عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي، المعروف بابن الجوزي، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية - مصر، د. ط، ١٩٧٨م.

٣٢٤- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تأليف: عبدالله بن يوسف بن رضوان المالقي، تحقيق: د. علي سامي النشار، الناشر: دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، د. ط، ١٩٨٤م.

- ٣٢٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تأليف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- ٣٢٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.
- ٣٢٧- صحيح ابن حبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أس حاتم، الدارمي، البستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.
- ٣٢٨- صحيح الأدب المفرد، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.
- ٣٢٩- صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
- ٣٣٠- صحيح الترغيب والترهيب محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٣٣١- صحيح الجامع الصغير وزيادته، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.
- ٣٣٢- صحيح سنن أبي داود، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

- ٣٣٣- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ،  
تأليف: مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد  
عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- ٣٣٤- صحيح وضعيف سنن الترمذي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: برنامج  
منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن  
والسنة بالإسكندرية.
- ٣٣٥- صفة الصفوة، تأليف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق:  
محمود فاخري، ود. محمد رواس قلعه جي، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان،  
الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٣٣٦- الصلة في تاريخ الأندلس، تأليف: أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، عني  
بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: مكتبة  
الخانجي، الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.
- ٣٣٧- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تأليف: أحمد بن محمد بن  
علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبي العباس،  
تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي، وكامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة  
الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٣٣٨- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، تأليف:  
عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبي عمرو، تحقيق: موفق عبدالله  
عبدالقادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
- ٣٣٩- صيد الخاطر، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي،

عناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى  
١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(ض)

٣٤٠- ضحى الإسلام، تأليف: أحمد أمين، الناشر: مطبعة الاعتماد، الطبعة الأولى  
١٣٥١هـ/١٩٣٣م.

٣٤١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين أبي الخير محمد بن  
عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، الناشر: منشورات دار  
مكتبة الحيات، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

٣٤٢- الضوابط العشر في معاملة ولي الأمر، تأليف: محمد بن عمر بن سالم بازمول، الناشر:  
دار أضواء السلف المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

(ط)

٣٤٣- طاعة السلطان وإغاثة اللهفان، تأليف: صدر الدين السلمي، تحقيق: أسعد محمد  
الطيب، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٣٤٤- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين بن علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق:  
د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو السبكي، الناشر: هجر للطباعة  
والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ.

٣٤٥- طبقات الشافعية، تأليف: أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق:  
د. الحافظ عبدالعليم خان، الناشر: عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى  
١٤٠٧هـ.

٣٤٦- طبقات الفقهاء الشافعية، تأليف: عثمان بن عبدالرحمن، أبي عمرو، تقي الدين،

- المعروف بابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م.
- ٣٤٧- طبقات الفقهاء، تأليف: أبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، هذبه: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م.
- ٣٤٨- الطبقات الكبرى، تأليف: أبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ٣٤٩- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.

(ع)

- ٣٥٠- العبودية، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٣٥١- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- ٣٥٢- العدة في أصول الفقه، تأليف: القاضي أبي يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المبارك، د. ن،

الطبعة الثانية ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.

٣٥٣- عزة العلماء ومناصحة السلاطين والأمراء، تأليف: أ. د. عبدالله بن حسين الموجدان، الناشر: مركز الكون، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠ م.

٣٥٤- عقد الجمان، تأليف: بدر الدين العيني، تحقيق: محمد محمد أمين، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى ٢٠١٠ م.

٣٥٥- العقد الفريد للملك السعيد، تأليف: الوزير محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي، تحقيق: د. يوسف بن عثمان الحزيم، الناشر: مركز ابن الأزرقي لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م.

٣٥٦- العقد الفريد، تأليف: أبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبدربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، د. ت

٣٥٧- العقيدة التدمرية = تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تأليف: شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م.

٣٥٨- العقيدة السفارينية "الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية"، تأليف: شمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبدالمقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

٣٥٩- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تأليف: أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، تحقيق: أبي اليمين المنصوري، الناشر: دار المنهاج، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٦٠- العقيدة الطحاوية، تأليف: أبي جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، د. ط، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣٦١- العقيدة، تأليف: أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: عبدالعزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، ط ١، ١٤٠٨هـ

٣٦٢- علم الاجتماع الأدبي منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، تأليف: أنور عبدالحميد الموسى، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، د. ط، ٢٠١١م.

٣٦٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. ط، د. ت.

٣٦٤- العناية شرح الهداية، تأليف: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبي عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي، الناشر: دار الفكر، د. ط، د. ت.

٣٦٥- عهد أردشير، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت- لبنان، د. ط، ١٩٦٧م.

٣٦٦- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تأليف: محمد بن إبراهيم بن علي ابن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي، أبي عبدالله، عز الدين، من آل الوزير، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/

١٩٩٤م.

٣٦٧- عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، تأليف: أبي الحسن علي بن عبدالرحمن، المشهور بابن هذيل الأندلسي، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٦٩م.

٣٦٨- العين، تأليف: أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت.

٣٦٩- عيون الأخبار، تأليف: أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، د. ط، ١٤١٨ هـ.

٣٧٠- عيون الإمامة ونواظر السياسة، تأليف: عبدالجبار بن عبدالله بن أحمد بن أصبغ، المعروف بأبي طالب المرواني، تحقيق جزء منه: د. بشار عواد، وصلاح محمد جرار، وقد طبعته دار الغرب الإسلامي بتونس، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

(غ)

٣٧١- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، تأليف: شمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

٣٧٢- غريب الحديث، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر - دمشق، د. ط، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.

٣٧٣- غريب الحديث، تأليف: أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: الدكتور حسين

محمد محمد شرف، مراجعة: عبدالسلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية،  
الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/  
١٩٨٤ م.

٣٧٤- غمز عيون البصائر، تأليف: أحمد بن محمد مكّي، أبي العباس، شهاب الدين الحسيني  
الحموي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.  
٣٧٥- غياث الأمم في التياث الظلم، تأليف: عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد  
الجويني، أبي المعالي، ركن الدين، تحقيق: عبدالعظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين،  
ط٢، ١٤٠١هـ.

( ف )

٣٧٦- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تأليف: أحمد بن محمد بن عربشاه، تحقيق: أيمن  
عبدالجبار البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، د. ط، د. ت.  
٣٧٧- فتاوى السبكي، تأليف: أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، الناشر:  
دار المعارف، د. ط، د. ت.  
٣٧٨- الفتاوى السعدية، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الناشر: مكتبة المعارف،  
الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م.  
٣٧٩- الفتاوى الكبرى، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق:  
حسنين محمد مخلوف، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ.  
٣٨٠- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع: أحمد بن عبدالرزاق الدويش،  
الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، د. ط، د. ت.  
٣٨١- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، جمع

- وترتيب وتحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- ٣٨٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د.ط، ١٣٧٩هـ.
- ٣٨٣- فتح القدير، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٣٨٤- الفتح المبين بشرح الأربعين، تأليف: أبي العباس، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، عني به: أحمد جاسم محمد المحمد، وقصي محمد نورس الحلاق، وأبو حمزة أنور بن أبي بكر الشخي الداغستاني، الناشر: دار المنهاج، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.
- ٣٨٥- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، تأليف: أ. د. موسى شاهين لاشين، الناشر: دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ٣٨٦- فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، وأم إسراء بنت عرفة بيومي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٣٨٧- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تأليف: محمد علي بن طباطبا بن الطقطقي، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، د.ط، ١٩٦٦م.
- ٣٨٨- الفرق بين النصيحة والتعير، تأليف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب

- الحنبلي، علق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، الناشر: دار عمان، عمان، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- ٣٨٩- الفروق = أنوار البروق في أنواع الفروق، تأليف: أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، تحقيق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- ٣٩٠- الفروق اللغوية، تأليف: أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.
- ٣٩١- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.
- ٣٩٢- فضل علم السلف على الخلف، تأليف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، تحقيق وتعليق: محمد بن ناصر العجمي، د. ن، د. ط، د. ت.
- ٣٩٣- فضيلة العادلين من الولاة، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، الناشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ٣٩٤- الفقه السياسي عند المالكية في الغرب الإسلامي، تأليف: د. عماد المرزوق، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- ٣٩٥- الفقيه والمتفقه، تأليف: أبي بكر بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن

- الجوزي، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.
- ٣٩٦- الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تأليف: د. عبدالغني مغربي، الناشر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ط ١٩٨٨ م.
- ٣٩٧- الفكر الأصولي وإشكالية السلطة في الإسلام - قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة -، تأليف: عبدالمجيد الصغير، الناشر: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٣٩٨- الفكر التربوي عند ابن الأزرق، تأليف: د. صفاء التميمي، الناشر: دار دجلة، العراق، الطبعة الأولى ٢٠١٢ م.
- ٣٩٩- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تأليف: محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٤٠٠- الفكر السياسي الإسلامي، تأليف: د. عادل الثابت، الناشر: دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية - مصر، د. ط، ٢٠٠٢ م.
- ٤٠١- الفكر السياسي الإسلامي، تأليف: مونتغمري وات، ترجمة: صبحي حديدي، الناشر: دار الحدائث، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٨١ م.
- ٤٠٢- الفكر السياسي عند أبي الحسن الماوردي، تأليف: د. أحمد مبارك البغدادي، الناشر: مؤسسة الشراع للنشر والتوزيع، الكويت، ودار الحديث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م.
- ٤٠٣- الفكر السياسي عند الماوردي، تأليف: صلاح الدين بسيوني رسلان، الناشر: دار الثقافة، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٨٣ م.

- ٤٠٤- الفكر السياسي عند المسلمين - تراث الإسلام -، تأليف: آن لامبتون، ترجمة: د. حسين مؤنس وآخرين، الناشر: سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د. ط، ١٩٧٨ م.
- ٤٠٥- فلسفة الأخلاق، تأليف: د. إمام عبدالفتاح إمام، الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د. ط، ١٩٨٥ م.
- ٤٠٦- الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، تأليف: د. أحمد صبحي، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ١٩٩٢ م.
- ٤٠٧- الفلسفة السياسية عند العرب، تأليف: أحمد بن الداية، تقديم وتحقيق: عمر المالكي، الناشر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، د. ت.
- ٤٠٨- الفلسفة السياسية عند الفارابي، تأليف: عبدالسلام بن عبدالعالي، الناشر: دار الطليعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.
- ٤٠٩- فهارس المخطوطات العربية في العالم، تأليف: كوركيس عواد، الناشر: معهد المخطوطات العربية، الكويت، د. ط، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٤١٠- الفهرست، تأليف: أبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي، المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٤١١- فوات الوفيات، تأليف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون ابن شاكر الملقب بصلاح الدين، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٤ م.
- ٤١٢- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تأليف: أبي الحسنات محمد عبدالحفي اللكنوي الهندي، عنى بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس

- النعساني، الناشر: طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد إسماعيل، الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ.
- ٤١٣ - في السياسة الإسلامية، تأليف: هادي العلوي، الناشر: صحارى للصحافة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٩١ م.
- ٤١٤ - في الوعظ السياسي، العدل والدولة، تأليف: أحمد السري، الناشر: دار العين للنشر، الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ/ ٢٠١٩ م.
- ٤١٥ - في مصادر التراث السياسي الإسلامي - دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل - تأليف: محمد نصر عارف، الناشر: منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م.
- ٤١٦ - فيض التقدير شرح الجامع الصغير، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبدا الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ.
- (ق)
- ٤١٧ - قاعدة اليقين لا يزول بالشك - دراسة نظرية تأصيلية تطبيقية -، تأليف: أ. د. يعقوب بن عبدالوهاب الباحسين، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.
- ٤١٨ - القاموس المحيط، تأليف: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥ م.
- ٤١٩ - القانون الدستوري والنظم السياسية، تأليف: د. سعد عصفور، ود. عبدالحميد

- متولي، ود. محسن خليل، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية - مصر، د. ط، د. ت.
- ٤٢٠ - القانون الدولي وحظر التعصب الديني، تأليف: د. محمد ثامر السعدون، الناشر: المركز العربي للنشر والتوزيع، ومكتبة دار السلام القانونية، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.
- ٤٢١ - قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي، تأليف: د. ناجية عبدالله إبراهيم، الناشر: دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، د. ط، ٢٠٠٢م.
- ٤٢٢ - القصاص والمذكرين، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- ٤٢٣ - قطع المراء في حكم الدخول على الأمراء، تأليف: عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، د. ن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٤٢٤ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تأليف: أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، الناشر: دار المعارف بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- ٤٢٥ - القواعد الأربعة "مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء الأول"، تأليف: الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي، دراسة وتحقيق: عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد وغيره، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.
- ٤٢٦ - قواعد الفقه، تأليف: محمد عميم الإحسان الجدي البركتي، الناشر: الصدف ببلشرز، كراتشي - باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

- ٤٢٧- القواعد الفقهية، تأليف: أ. د. يعقوب بن عبدالوهاب الباحسين، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
- ٤٢٨- قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة، تأليف: د. حمود بن أحمد الرحيلي، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، <https://www.moia.gov.sa/Pages>، تاريخ الدخول: ٢٠/٧/١٤٤٢ هـ.
- ٤٢٩- القواعد والضوابط الفقهية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابي الطهارة والصلاة، تأليف: ناصر بن عبدالله الميمان، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٤٣٠- قوانين الدواوين، تأليف: أسعد بن المهذب مماتي، تحقيق: د. عزيز سوريال عطية، وطبع في مصر سنة ١٩٤٣ م على نفقة الأمير طوسون - راعي الجمعية الزراعية الملكية -.
- ٤٣١- قوانين الوزارة وسياسة الملك، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الثالثة ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٤٣٢- القول السديد شرح كتاب التوحيد، تأليف: أبي عبدالله، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة الثالثة، د.ت.
- ٤٣٣- القول المستظرف في سفر الملك الأشرف قايتباي، تأليف: بدر الدين أبي البقاء محمد ابن يحيى بن شاكر، المعروف بابن الجيعان، يليه كتاب تاريخ الملك الأشرف قايتباي، تحقيق: د. محمد زعيم، الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م.

٤٣٤- القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٤ هـ.

(ك)

٤٣٥- الكامل في التاريخ، تأليف: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م.

٤٣٦- الكامل في اللغة والأدب، تأليف: أبي العباس، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م.

٤٣٧- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تأليف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، دراسة وتحقيق: عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد وغيره، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ط. د. ت.

٤٣٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.

٤٣٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد، د. ط. ١٩٤١ م.

- ٤٤٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- ٤٤١- كليله ودمنة، تأليف: أبي محمد عبدالله بن المقفع، تحقيق: عبدالوهاب عزام وطه حسين، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د. ط، ٢٠١٢م.
- ٤٤٢- الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر ابن داود الحنبلي الدمشقي الصالحي، تحقيق: مصطفى عثمان صميده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(ل)

- ٤٤٣- اللباب في علوم الكتاب، تأليف: أبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- ٤٤٤- اللزوميات، تأليف: أبي العلاء المعري، تحقيق: أمين عبدالعزيز الخانجي، الناشر: مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ومكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.
- ٤٤٥- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى د. ت.
- ٤٤٦- لسان الميزان، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

- ٤٤٧- لطف التدبير في سياسة الملك، تأليف: محمد بن عبدالله، المعروف بالخطيب الإسكافي، تحقيق: أحمد عبد الباقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ / ١٣٧٩م.
- ٤٤٨- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، تأليف: عثمان بن إبراهيم النابلسي، الناشر: مطبعة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.
- ٤٤٩- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، تأليف: عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- ٤٥٠- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، تأليف: شمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكبتها، دمشق - سوريا، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٤٥١- اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاية الأمور، تأليف: علي بن عبدالله بن أحمد السمهودي، تحقيق: محمد الزاهي، الناشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، منشور على صفحتهم في الإنترنت: <https://www.mominoun.com/articles/2004>. تاريخ الدخول على الموقع: ١٦/٤/٢٠٢١م.

(م)

- ٤٥٢- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تأليف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، الناشر: مطبعة حكومة الكويت، الكويت،

الطبعة الثانية ١٩٨٥ م.

٤٥٣- المبدع في شرح المقنع، تأليف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، أبي إسحاق، برهان الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٤٥٤- متاهة الحاكمية، أخطاء الجهاديين في فهم ابن تيمية، تأليف: هاني نسيرة، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٥ م.

٤٥٥- متن العقيدة الواسطية، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، اعتنى بها وحقق نصوصها ونسقها وقدم لها: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، الناشر: أضواء السلف، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

٤٥٦- المجالسة وجواهر العلم، تأليف: أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، الناشر: دار ابن حزم، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

٤٥٧- مجاني الأدب في حدائق العرب، تأليف: زرق الله بن يوسف بن عبدالمسيح بن يعقوب شيخو، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت - لبنان، د. ط ١٩١٣ م.

٤٥٨- مجمع الأمثال، تأليف: أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

٤٥٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، د. ط، ١٤١٤ هـ/

١٩٩٤ م.

٤٦٠ - مجمل اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين، دراسة وتحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

٤٦١ - المجموع شرح المذهب، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الفكر، د. ط، د. ت.

٤٦٢ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وإعداد: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

٤٦٣ - مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن، ودار الثريا، د. ط، ١٤١٣ هـ.

٤٦٤ - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، تأليف: عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن باز لابن باز، جمع وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، الناشر: دار القاسم للنشر، من مطبوعات رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢ هـ.

٤٦٥ - مجموعة الرسائل البلقينية - المجموعة الثانية، تأليف: سراج الدين أبي حفص عمر ابن رسلان البلقيني، تحقيق: أحمد فؤاد الحمير، الناشر: دار أروقة، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.

٤٦٦- مجموعة الرسائل والمسائل، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، ومحمد الأنور أحمد البلتاجي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٦٧- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية "الدولة العباسية"، تأليف: الشيخ محمد الخضري بك، تحقيق: الشيخ محمد العثماني، الناشر: دار القلم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٦٨- المحصول، تأليف: أبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

٤٦٩- المحنة على إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، عبدالغني المقدسي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٧٠- مختار الصحاح، تأليف: زين الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، والدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة ١٩٩٩م.

٤٧١- مختصر الحجة على تارك المحجة، تأليف: الإمام أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، تحقيق وتخرىج ودراسة: د. محمد إبراهيم محمد هارون، الناشر: أضواء السلف، د. ط، د. ت

٤٧٢- المخصص، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- ٤٧٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٤٧٤- المدخل إلى السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، د. ط، د. ت.
- ٤٧٥- مدخل إلى الفلسفة السياسية - رؤية إسلامية - تأليف: د. محمد وقيع الله، الناشر: دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- ٤٧٦- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: الشيخ عبدالقادر بن أحمد، المعروف بابن بدران، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه: محمد أمين ضناوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ٤٧٧- المدخل إلى مناهج البحث العلمي، تأليف: محمد محمد قاسم، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- ٤٧٨- المدخل، تأليف: أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، الناشر: دار التراث، د. ط، د. ت.
- ٤٧٩- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تأليف: أبي محمد عفيف الدين عبدالله بن أسعد بن علي ابن سليمان اليافعي، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٤٨٠- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تأليف: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي

ابن عبدالله، سبط ابن الجوزي، تحقيق وتعليق: محمد بركات، كامل محمد الخراط،  
عمار رجاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو،  
محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزبيق، الناشر: دار  
الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.

٤٨١ - مراعاة أحوال المخاطبين، تأليف: فضل إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان الإسلام،  
ججرانواله - باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.

٤٨٢ - مرايا الأمراء، أو الحكمة السياسية والأخلاق والتعاملية في الفكر الإسلامي  
الوسيط، تأليف: د. محمد أحمد دمج، الناشر: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع،  
بيروت - لبنان، ودار المنال، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤ / ١٤١٥ م.

٤٨٣ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تأليف: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي  
العدوي العمري، شهاب الدين، الناشر: الجمع الثقافي، أبوظبي - الإمارات العربية  
المتحدة، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

٤٨٤ - المسامرة في شرح المسامرة تأليف: الكمال بن أبي شريف بن الهمام، الناشر: المكتبة  
الأزهرية للتراث، مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م.

٤٨٥ - مسائل وفتاوى نجدية "طبع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم  
الأول"، تأليف: عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، الناشر: دار  
العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.

٤٨٦ - المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن  
حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق:

مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى  
١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٤٨٧- المستصفي، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد  
عبدالسلام عبدالشافى، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٤٨٨- مسند أبي داود الطيالسي، تأليف: أبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي  
البصري، تحقيق: محمد بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث بدار  
هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى  
١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٤٨٩- مسند البزار، تأليف: أبي بكر أحمد بن عمرو البصري البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن  
زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبدالحالق، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة  
المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٤٩٠- المصباح المضيء في خلافة المستضيء، تأليف: عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي،  
المعروف بابن الجوزي، تحقيق: د. ناجية عبدالله إبراهيم، الناشر: شركة المطبوعات  
للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

٤٩١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم  
الحموي، أبي العباس، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.

٤٩٢- مصنف عبدالرزاق، تأليف: أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني  
الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت -  
لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٤٩٣- المصنف، تأليف: أبي بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٩٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٩٥- معالم السنن، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، الناشر: المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى ١٩٣٢م.

٤٩٦- معالم تاريخ المغرب والأندلس، تأليف: د. حسين مؤنس، الناشر: دار الرشاد، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤٩٧- معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: د. عبدالسلام برجس العبدالكريم، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة السابعة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٤٩٨- معاني القرآن، تأليف: أبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي، ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٤٩٩- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- ٥٠٠- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، تأليف: محمد أحمد دهمان، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٥٠١- المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، د. ت
- ٥٠٢- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، تأليف: د. أحمد مطلوب، الناشر: مكتبة البيان، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.
- ٥٠٣- معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، تأليف: سامي محمد الصلاحيات، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
- ٥٠٤- معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية، تأليف: د. خليل أحمد خليل، الناشر: دار الفكر اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- ٥٠٥- معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المشي، بيروت - لبنان، ودار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- ٥٠٦- المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى وآخرين، تحقيق: مجمع اللغة العربية، الناشر: دار الدعوة، القاهرة - مصر.
- ٥٠٧- المعجم الوسيط، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني في المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد،

- عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، د. ط، د. ت.
- ٥٠٨- معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، دمشق، د. ط، ١٩٧٩ م.
- ٥٠٩- المعرفة والتاريخ، تأليف: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبي يوسف، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- ٥١٠- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تأليف: أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق: محمد حجي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ.
- ٥١١- معيد النعم ومبيد النقم، تأليف: تاج الدين عبدالوهاب السبكي، تحقيق: محمد علي النجار، وأبي زيد شلبي، ومحمد وأبي العيون، الناشر: دار الكتب العربي، مصر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م.
- ٥١٢- مغني المحتاج إلى معرفة المنهاج، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٥١٣- المفاتيح في شرح المصابيح، تأليف: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الشيرازي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٥١٤- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أبي

بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: محمد  
أجل الإصلاحي، سليمان بن عبدالله العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة،  
الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ.

٥١٥- المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب  
الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، والدار الشامية،  
دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

٥١٦- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تأليف: أبي العباس أحمد بن عمر بن  
إبراهيم القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين أديب مستو وآخرون،  
الناشر: دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق وبيروت، الطبعة  
الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.

٥١٧- مفهوم الدولة، تأليف: د. عبدالله العروي، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار  
البيضاء - المغرب، الطبعة التاسعة ٢٠١١ م.

٥١٨- مفيد العلوم ومبيد الهموم، تأليف: أبي بكر الخوارزمي، محمد بن العباس، الناشر:  
المكتبة العنصرية، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤١٨ هـ.

٥١٩- مقاصد التأليف عند المسلمين، تأليف: عباس أرحيلة، الناشر: دار ثقيف للنشر  
والتأليف، د. ط، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م.

٥٢٠- مقاصد الشريعة الإسلامية، تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن  
عاشور التونسي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف  
والشؤون الإسلامية، قطر، د. ط، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م.

- ٥٢١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتز، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن- ألمانيا، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
- ٥٢٢- ملاحظات سياسية عن التنظيمات اللازمة للدولة العلية، تأليف: محمد بيرم الخامس، مطبوع في القاهرة، بدون دار نشر، وبدون تاريخ، موجود في مكتبة جامعة القاهرة.
- ٥٢٣- الملامح السياسية في حكاية ألف ليلة وليلة، تأليف: أحمد محمد الشحاذ، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- عراق، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م.
- ٥٢٤- ملامح يونانية في الأدب العربي، تأليف: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٣ م.
- ٥٢٥- الملل والنحل، تأليف: محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاي، الناشر: دار المعرفة، بيروت- لبنان، د. ط، ١٤٠٤ هـ.
- ٥٢٦- الممتع في شرح المقنع، تأليف: المنجي بن عثمان ابن المنجي، الناشر: مكتبة النهضة الحديثة، مصر، الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م.
- ٥٢٧- من أصول الفكر السياسي الإسلامي، تأليف: د. محمد فتحي عثمان، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.
- ٥٢٨- من بلاغة القرآن، تأليف: أحمد أحمد عبدالله البيلى البدوي، الناشر: نهضة مصر- القاهرة، د. ط، ٢٠٠٥ م.
- ٥٢٩- من تاريخ الإلحاد في الإسلام، تأليف: د. عبدالرحمن بدوي، الناشر: المؤسسة العربية

- للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٨٠ م.
- ٥٣٠ - مناهج البحث في التربية وعلم النفس، تأليف: جابر، وعبد الحميد وكاظم، وأحمد، الناشر: دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩ م.
- ٥٣١ - مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأليف: فاروق عبد المجيد حمود السامرائي، الناشر: مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، د. ط، ١٤٠٧ هـ.
- ٥٣٢ - مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبدالعظيم الزرقاني، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ.
- ٥٣٣ - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٥٣٤ - منع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه، تأليف: تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق: الدكتور سعد بن علي محمد الحميري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- ٥٣٥ - المنقذ من الضلال، تأليف: أبي حامد الغزالي، الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر، د. ط، د. ت.
- ٥٣٦ - منهاج الإسلام في الحكم، تأليف: محمد أسد، نقله إلى العربية منصور محمد ماضي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٧٨ م.
- ٥٣٧ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تأليف: تقي الدين أبي العباس

- أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني  
الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود  
الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- ٥٣٨- منهج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تأليف: سليمان بن سحمان  
ابن مصلح بن حمدان العسيري، تحقيق: عبدالسلام بن برجس العبدالكريم، الناشر:  
مكتبة الفرقان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.
- ٥٣٩- منهج ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري، تأليف: محمد إسحاق كندو،  
الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.
- ٥٤٠- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، تأليف: عثمان بن  
علي حسن، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
- ٥٤١- منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، تأليف: أ. د. عبد الحميد هندراوي، الناشر: دار  
الآفاق العربية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م.
- ٥٤٢- المنهج السلفي، تأليف: مفرح بن سليمان القوسي، الناشر: دار الفضيلة، الرياض،  
الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٥٤٣- المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تأليف: عبدالرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق:  
عبدالله الموسى، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
- ٥٤٤- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تأليف: يوسف بن تغري بردي بن عبدالله  
الظاهري الحنفي، أبي المحاسن، جمال الدين، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد

- محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، د. ت.
- ٥٤٥- المهذب في فقه الإمام الشافعي، تأليف: أبي اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، الناشر: دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت.
- ٥٤٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تأليف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبي العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- ٥٤٧- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- ٥٤٨- المواقف، تأليف: عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، الناشر: دار الجليل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
- ٥٤٩- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تأليف: يوسف بن تغريب بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، أبي المحاسن جمال الدين، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز أحمد، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.
- ٥٥٠- موسوعة الأعمال الكاملة، تأليف: محمد الخضر حسين، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ.
- ٥٥١- موسوعة القواعد الفقهية، تأليف: محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٢٣ م.

- ٥٥٢- الموطأ، تأليف: الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م،
- ٥٥٣- مؤلفات الغزالي، تأليف: د. عبدالرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٧٧ هـ.
- ٥٥٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م.
- (ن)
- ٥٥٥- نصاب الاحتساب، تأليف: عمر بن عوض السنامي، تحقيق: د. مريزن سعيد مريزن عسيري، الناشر: مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ٥٥٦- نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب من حقوق آل بيت الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، تأليف: أبي يحيى محمد بن محمد بن عاصم القيسي، تحقيق: محمد ناجي بن عمر، الناشر: المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الثانية ٢٠٢٠ م.
- ٥٥٧- النصيحة السياسية - دراسة مقارنة بين آداب الملوك الإسلامية ومرايا الأمراء المسيحية - تأليف: د. عز الدين العلام، الناشر: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى ٢٠١٧ م.
- ٥٥٨- النصيحة العامة لملوك الإسلام والعامة، تأليف: أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين، طبع في مصر، بدون تحديد تاريخ أو دار نشر.

٥٥٩- نصيحة الملك الأشرف، تأليف: الحافظ ضياء الدين المقدسي، تحقيق وتعليق: علي حسن عبد الحميد الحلبي الأثري، نشر في مجلة الحكمة، العدد [٣]، سنة ١٤١٥هـ/ الموافق ١٩٩٤م.

٥٦٠- نصيحة الملوك، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: أ. د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.

٥٦١- النصيحة للراعي والرعية من الأحاديث النبوية والآثار المروية، تأليف: أبي الخير بدل بن أبي المعمر بن إسماعيل التبريزي، تحقيق وتعليق: عبدالله الأثري، الناشر: دار الصحابة للتراث، طنطا - مصر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٥٦٢- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي - الحياة الدستورية -، تأليف: ظافر القاسمي، الناشر: دار النفائس، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٥٦٣- النظريات السياسية في الإسلام، تأليف: د. محمد ضياء الرئيس، الناشر: دار التراث، القاهرة، الطبعة السادسة ١٩٧٦م.

٥٦٤- النظم المستعذب في تفسير غرائب ألفاظ المهذب، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطلال الركبي، أبي عبدالله، المعروف بابن بطلال، تحقيق: مصطفى عبد الحفيظ سالم، الناشر: المكتبة التجارية، مكة المكرمة، د. ط، ١٩٩١م.

٥٦٥- نفائس الأصول في شرح المحصول، تأليف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٥٦٦- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،  
تأليف: شهاب الدين أحمد ابن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: إحسان عباس،  
الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٥٦٧- النكت والعيون = تفسير الماوردي، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن  
حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن  
عبدالرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

٥٦٨- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تأليف: أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي،  
تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب اللبنانيين، بيروت - لبنان، الطبعة  
الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٥٦٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن  
الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية،  
بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٧٩م.

٥٧٠- نواذر الأصول في أحاديث الرسول، تأليف: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبي  
عبدالله، الحكيم الترمذي، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، د. ط،  
د. ت.

٥٧١- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تأليف: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر  
بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبي العباس، عناية وتقديم: الدكتور  
عبدالحמיד عبدالله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة الثانية  
٢٠٠٠م.

(هـ)

- ٥٧٢- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، تأليف: الشيخ علي محفوظ، الناشر: دار الاعتصام، الطبعة التاسعة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
- ٥٧٣- الهدية الأولى الإسلامية للملوك والأمراء في الداء والدواء، تأليف: مصطفى المصري الإياضي، الناشر: المطبعة الباروني، القاهرة - مصر، د. ط، ام ١٩١٨م.
- ٥٧٤- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المؤلفين، تأليف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي البغدادي، الناشر: وكالة المعارف الجليلة، الطبعة الأولى ١٩٥١م.
- ٥٧٥- هبة ولي الأمر واجب شرعي وضرورة دنيوية، تأليف: د. دغش بن شبيب العجمي، الناشر: دار الخزانة، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

(و)

- ٥٧٦- واسطة السلوك في سياسة الملوك، تأليف: موسى بن يوسف بن عبدالرحمن بن زيان، المعروف بأبي حمو الزياتي، تحقيق: عبدالغني محمد علي مستو، تقديم: أ. د. رضوان السيد، الناشر: مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، د. ط، ١٤٣٦هـ.
- ٥٧٧- الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤط، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، د. ط، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ٥٧٨- الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة ٢٤٧-٦٥٦هـ / ٨٦١م - ١٢٥٨م، تأليف: د. محمد ماهر حمادة، سلسلة وثائق الإسلام، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٨م.

٥٧٩- وصيتي للإخوان بمنهج أهل السنة في نصيحة السلطان، تأليف: أبي عبدالرحمن بدر بن علي بن طامي العتيبي، قدم له وعلق عليه: عبدالله بن سليمان المنيع، ١٤٢٠هـ.  
٥٨٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٥٨١- الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، تأليف: أحمد بن يحيى الونشريسي، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، الناشر: لافوميك، الجزائر، د. ط، د.ت.

### ثانياً: الرسائل العلمية:

٥٨٢- ابن الأزرق وفلسفته الاجتماعية، إعداد: الرباكي، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب، جامعة الكوفة، عام ١٤١٨هـ/ ١٩٧٧م.

٥٨٣- أدب السياسة في بلاد المغرب في القرنين الثامن والتاسع الهجريين - الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، إعداد: نشوى أنور السيد الرشيدى، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم التاريخ، كلية البنات، جامعة عين شمس، عام ٢٠١٩م.

٥٨٤- أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي - دراسة تحليلية - إعداد: هيام عبدالفتاح عزب، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية عام ٢٠٠٦م.

- ٥٨٥- أساليب القصاص في الدعوة إلى الله، إعداد: عبدالله بن إبراهيم الطويل، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، في قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ.
- ٥٨٦- بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاية الأمور وسائر الرعية، إعداد: محب الدين أبي حامد محمد بن أحمد المقدسي الشافعي، تحقيق: سالم بن طعمه بن مطر الشمري، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم الاحتساب - كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤١٦ هـ.
- ٥٨٧- التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم، إعداد: محمد زهير عباس، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم اللغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد - باكستان، عام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٤م.
- ٥٨٨- الحسبة على ذوي الجاه والسلطان، إعداد: محمد بن حسن بن إسماعيل عطيف، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الماجستير في المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٢هـ.
- ٥٨٩- الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، تأليف: شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني، تحقيق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- ٥٩٠- الدرر النضير في آداب الوزير، إعداد: جاد الله الغنيمي الفيومي الشافعي أبي

الإخلاص، تحقيق: محمد أبو الفتح البسيوني رسالة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر الشريف ١٩٨١م.

٥٩١- العلماء المشاركة ببلاد المغرب ودورهم في الحركة الفكرية، إعداد: خديجة طاهر منصور، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران، الجزائر، عام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨-٢٠١٩م.

٥٩٢- الفكر السياسي الإسلامي في العصر الوسيط في كتابات الآداب السلطانية المغربية والأندلسية خلال القرنين (٥ و ٨ / ١١ و ١٤)، إعداد: ياسين شبابي، أطروحة غير منشورة، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في تخصص: التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، عام ١٤٣٨ - ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧-٢٠١٨م.

٥٩٣- الكتابات في نصيحة الملوك (مضامينها وأساليبها وجنسها الأدبي)، إعداد: خديجة بنت ناصر بن محفوظ المعولية، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، عام ٢٠١٥م.

٥٩٤- المقاصد الشرعية في عمارة الأرض، إعداد: ضحية قطرون، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة الوادية، كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، عام ١٤٣٤ - ١٤٣٥هـ.

٥٩٥- منهج الدعاة في وعظ الحكام، إعداد: محمد عبدالواحد شلتوت، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الأزهر، كلية أصول الدين

- والدعوة، المنصورة، مصر، عام ١٩٩٥ م.
- ٥٩٦- منهج الدعوة السلفية في بناء عقيدة المسلم، إعداد: محمد عبدالرزاق خير الدين، رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدعوة بكلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٢ هـ.
- ٥٩٧- المنهج الدعوي في مناصحة أئمة المسلمين في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: زيد بن عبدالرحمن العثمان، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢٩-١٤٣٠ هـ.
- ٥٩٨- منهج السلف في الوعظ، إعداد: أبي يزيد سليمان العربي بن صفية، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.
- ٥٩٩- منهج الشيخ عبدالرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إعداد: أحمد بن علي الزاملي عسيري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية عام ١٤٣١ هـ.
- ٦٠٠- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، إعداد: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.
- ٦٠١- منهج أئمة الدعوة في النصيح للحاكم، إعداد: محمد بن غالب العمري، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية ١٤٣٢ هـ.
- ٦٠٢- النصائح المهمة للملوك والأئمة، إعداد: علي بن عطية بن الحسن الهيتي الحموي، المشهور بالشيخ علوان، تحقيق: موفق بن عبدالله العوض بتحقيق هذا الكتاب

بتحقيق هذا الكتاب في أطروحتة للماجستير، قسم الدعوة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٨هـ.

٦٠٣- هببة الدولة وأثرها في أمن الدول واستقرارها، إعداد: د. محمد عبدالله حسن الحمادي، الناشر: جمعية دار البر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

### ثالثاً: البحوث والمقالات:

٦٠٤- ابن رضوان وكتابه في السياسة، إعداد: إحسان عباس، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت - لبنان، العدد [٢٢] ١٩٨١م.

٦٠٥- أخلاقيات الحاكم، إعداد: د. عز الدين العلام، بحث منشور في مجلة الباب، المغرب، العدد [٥] ٢٠١٥م.

٦٠٦- أسلوب التشبيه في أحاديث الترغيب، دراسة دعوية، إعداد: أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطويل، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثاني عشر، جمادى الأولى ١٤٣٨هـ.

٦٠٧- الأسلوب الشرعي في مناصحة الولاة والحكام، إعداد: د. عبدالله الصامل، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢م.

٦٠٨- الانهيار الحضاري للمالك عند الماوردي في كتابه "نصيحة الملوك" دراسة منهجية تاريخية، إعداد: أ. م. د. محمد عايد الحسيني، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، جامعة القادسية - العراق، المجلد ٢٣، العدد [٤]، السنة ٢٠٢٠م.

٦٠٩- تأصيل علم الضوابط الفقهية وتطبيقاتها عند الحنابلة، إعداد: أ. د. عبدالله بن مبارك

- آل سيف، بحث منشور في مجلة الجمعية الفقهية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [٢٨] محرم ١٤٣٧ هـ.
- ٦١٠- التناص والأجناسية في النص الشعري إعداد: خليل موسى، بحث منشور في مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتب العرب بدمشق، العدد [٢٠٥] أيلول ١٩٩٦ م.
- ٦١١- التنظير الحربي في الاستراتيجية والتكتيك عند أبي بكر الطرطوشي من خلال كتابه: سراج الملوك، إعداد: بولعراس خميسي، مقال منشور في مجلة معرفة، المجلد الثامن، العدد [٢٣]، ٢٠١٦ م.
- ٦١٢- التواصل الثقافي بين الأندلس والمشرق، إعداد د. سهى بعيون، بحث مقدم لمؤتمر فيلادلفيا الدولي الرابع عشر، جامعة فيلادلفيا - الأردن ٢٠٠٩ م.
- ٦١٣- الثقافة وتبليغها بالأندلس في عصر الريادة من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري، إعداد: إبراهيم حركات، مقال منشور في مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد [٦] عام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- ٦١٤- جوانب من حياة قاض المرابطين الإمام الحضرمي، إعداد: د. الناني ولد الحسين، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد [٦]، عام ١٩٩٩ م.
- ٦١٥- الحكم الشرعي للنصيحة وضوابطها، إعداد: عبدالفتاح خضر، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢ م.
- ٦١٦- خطاب مؤمن آل فرعون في القرآن الكريم - دراسة بلاغية تحليلية - إعداد: د. بدرية بنت محمد بن حسن العثمان، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر، العدد [٣٥] أكتوبر عام ٢٠١٣ م.

٦١٧-دراسة الدكتور رضوان السيد لكتاب "سراج الملوك للطروشوي"، منشورة في: مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت - لبنان، العدد [١٢] السنة الثالثة، صيف العام ١٩٩١م/١٤١٢هـ.

٦١٨-الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة، إعداد: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [٤]، جمادى الثانية ١٣٩٨هـ.

٦١٩-الدعوة إلى الله، إعداد: عبدالله بن محمد بن حميد، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [١]، رمضان ١٣٩٥هـ.

٦٢٠-دوافع التأليف في كتب أدب الملوك في العصر العباسي الأخير، إعداد: نوفل محمد نوري، بحث منشور في مجلة التربية والعلم، المجلد (١٨)، جامعة الموصل - العراق، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد [٤]، سنة ٢٠١١م.

٦٢١-ركائز منهج السلف في الدعوة إلى الله، إعداد: د. عبدالله بن محمد المجلي، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد [٨٨]، عام ١٤٣٠هـ.

٦٢٢-الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان المالقي (عرض وتحليل)، إعداد: عبدالقادر زمامة، بحث منشور في مجلة عالم الكتب، المجلد السادس، الناشر: دار ثقيف للنشر والتأليف، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد الأول رجب ١٤٠٥هـ.

٦٢٣-العلامة الشيخ عبدالرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي، إعداد: د. عبدالرحمن بن

- عبدالعزیز بن عبد اللہ السدیس، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، دار الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [٥٨] ١٤٢٠هـ.
- ٦٢٤-مراجعة سراج الملوك للطرطوشي، إعداد: د. رضوان السيد، بحث منشور في مجلة الاجتهاد، الناشر: دار الاجتهاد، بيروت - لبنان، العدد [١٢]، السنة الثالثة، ١٩٩١م/١٤١٢هـ.
- ٦٢٥-مسؤولية الدعاة تجاه الوقاية من ثورات الربيع العربي، إعداد: د. محمد بن إبراهيم بن أحمد الزهراني، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد الخامس عشر، رجب ١٤٣٨هـ.
- ٦٢٦-مع ابن الأزرق في مخطوطته، إعداد: د. عبد الهادي التازي، بحث منشور في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد [٢٢]، ١٩٨٤م.
- ٦٢٧-ملاحظات حول الرعية في الأدب السلطاني، إعداد: عز الدين العلام، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت - لبنان، العدد [٢٢]، السنة السادسة عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ٦٢٨-منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية "ابن أبي الربيع أنموذجاً" إعداد: خليف مصطفى غرايبة، بحث منشور في المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد الثامن، العدد الأول، عام ٢٠١٥م.
- ٦٢٩-المؤدبون في التراث التربوي الإسلامي، إعداد: د. محمد مريني، مقال منشور في جريدة المحجة، العدد [٣٩٩] عام ٢٠١٣م.
- ٦٣٠-المؤلفات في مناقحة أئمة المسلمين "تاريخها، أسبابها، موضوعاتها"، إعداد: أ. د.

عبدالله بن إبراهيم الطويل، بحث محكم، منشور في: مجلة الدراسات الدعوية، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [٩]، شعبان ١٤٣٨ هـ.

٦٣١- المؤلفات في مناصحة أئمة المسلمين، إعداد: أ.د. عبدالله الطويل، بحث محكم منشور في مجلة الدراسات الدعوية، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، العدد [٩]، شعبان ١٤٣٨ هـ.

٦٣٢- نصح الولاية والحكام، أصوله وضوابطه، إعداد: الدكتور صغار باحسوين، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢ م.

٦٣٣- نصح الولاية والحكام، أصوله وضوابطه، إعداد: د. هيفاء بنت أحمد باخشوين، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢ م.

٦٣٤- النصيحة حكمها وأهميتها ودواعيها وشرطها، إعداد: دكتور أحمد دهشان، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢ م.

٦٣٥- النصيحة لأولي الأمر وأعوانهم ورعيته من خلال القرآن الكريم، إعداد: صالح عسكر، بحث مقدم لمؤتمر "النصيحة... المنطلقات والأبعاد"، المنعقد في جامعة الإمام، كلية الدعوة والإعلام خلال الفترة من ١١-١٢/١٢/٢٠١٢ م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

٦٣٦- التناص عربياً وغريباً، إعداد: بو طاهر بو سدر، مقال منشور على الإنترنت، شبكة الألوكة بتاريخ ٢٩/٣/١٤٣٩هـ: <https://www.alukah.net>، تاريخ الدخول على الموقع: ١٥/٨/١٤٤٢هـ.

٦٣٧- شرح الشيخ ابن باز رحمته الله لهذا الحديث، موقع الشيخ ابن باز: <https://binbaz.org.sa/audios/> ٢٥٤/٢٢٤ تاريخ الدخول على الموقع: ٧/٨/١٤٤٢هـ.

٦٣٨- الطاعة في الفكر السياسي الإسلامي "قراءة في كتاب "سراج الملوك"، إعداد: بشرى الشقوري، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية: <https://www.aljabriabed.net/n> ٠٧\_٦٤chkuri.htm، تاريخ الدخول: ٥/٣/١٤٤٣هـ.

٦٣٩- الفرق بين المصنف والمؤلف، إعداد: محمد شوقي، جواب على سؤال، منشور على موقع الألوكة، تاريخ الزيارة: ٢٢/١٢/٢٠١٩م: <https://www.alukah.net/fatawa-counsels/0/83596/>

٦٤٠- الفكر السياسي الإسلامي، مدارسه واتجاهاته، إعداد: د. رضوان السيد، مقال منشور على الإنترنت، موقع د. رضوان السيد <http://www.ridwanalsayyid.com>، تاريخ الدخول: ١٣/٨/١٤٤٢هـ.

٦٤١- محاضرة بعنوان: عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان، منشورة على الشبكة العنكبوتية، الموقع الرسمي لمعالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان [www.alfawzan.af.org.sa](http://www.alfawzan.af.org.sa)، تاريخ الدخول ١/١/١٤٤٣هـ.

٦٤٢- معنى العقيدة لغة واصطلاحاً والفرق بينها وبين التوحيد، إعداد: الشيخ عبدالله بن

صالح القصير، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية، موقع شبكة الألوكة:

www.alukah.net بتاريخ: ١٩/٧/١٤٣٧هـ، تاريخ الدخول:

١/٥/١٤٤٢هـ.

٦٤٣- [https://www.alukah.net/literature\\_language/٠/١٢٣٨٠١/](https://www.alukah.net/literature_language/٠/١٢٣٨٠١/)

#### خامساً: الأنظمة:

٦٤٤- النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية، الصادر المرسوم الملكي رقم

[أ/٩٠] بتاريخ ٢٧/٨/١٤١٢هـ.

#### سادساً: الكتب الأجنبية:

٦٤٥- J. W. Allen، “A history of political Thought in the sixteen century”، London: Methuen، ١٩٦٠، pp٤٤٧- ٤٩٤.

٦٤٦- James L. Wiser، “Political Philosotphy” A History of the search for order، Prentic – Hall، INC، Englewood Cliffs، New Jersey، ١٩٨٣، pp١٣٤- ١٤٣.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	<b>المقدمة</b>
١	أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره
٣	- أسباب اختيار الموضوع
٣	ثانياً: أهداف الدراسة
٤	ثالثاً: تساؤلات الدراسة
٥	رابعاً: الدراسات السابقة
١١	خامساً: منهج الدراسة
١٢	سادساً: مجتمع الدراسة وحدودها
١٤	سابعاً: عينة الدراسة وأدواتها
١٨	ثامناً: تقسيات الدراسة
٢١	شكر وتقدير
٢٣	<b>التمهيد</b>
٢٤	المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة
٢٥	المطلب الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً

الصفحة	الموضوع
٢٥	أولاً: المنهج لغة
٢٦	ثانياً: تعريف المنهج في الاصطلاح العام
٢٩	ثالثاً: تعريف المنهج في اصطلاح الدعاة
٣١	المطلب الثاني: تعريف العلماء في اللغة والاصطلاح
٣١	أولاً: تعريف العلماء لغة
٣٢	ثانياً: العلماء اصطلاحاً
٣٦	المطلب الثالث: تعريف المناصحة في اللغة والاصطلاح
٣٦	أولاً: المناصحة لغة
٣٧	ثانياً: المناصحة اصطلاحاً
٣٩	ثالثاً: علاقة التعريف الاصطلاحي بالمعنى اللغوي
٣٩	رابعاً: الألفاظ ذات الصلة
٣٩	١- الوعظ
٤٤	٢- التذكير
٤٧	المطلب الرابع: تعريف الأئمة في اللغة والاصطلاح
٤٧	أولاً: الأئمة لغة

الصفحة	الموضوع
٤٨	ثانياً: الأئمة اصطلاحاً
٥١	المطلب الخامس: التعريف بمناصحة أئمة المسلمين
٥٣	المطلب السادس: المصنف لغة واصطلاحاً
٥٣	أولاً: المصنف لغة
٥٤	ثانياً: التصنيف اصطلاحاً
٥٥	ثالثاً: المصنفات في مناصحة أئمة المسلمين
٥٦	رابعاً: الألفاظ ذات الصلة بالتصنيف
٥٦	التأليف
٥٩	الفرق بين التصنيف والتأليف
٦٢	المبحث الثاني: منزلة الإمامة في الإسلام
٦٣	تمهيد
٦٥	المطلب الأول: مشروعية الإمامة
٨٤	المطلب الثاني: حقوق الإمامة
١٠٧	المطلب الثالث: مقاصد الإمامة الدينية والدنيوية
١٠٨	أولاً: مقاصد الإمامة الدينية

الصفحة	الموضوع
١٢٥	ثانياً: مقاصد الإمامة الدنيوية
١٤٢	<b>الباب الأول: الجانب النظري</b>
١٤٣	<b>الفصل الأول: مشروعية مناصحة أئمة المسلمين وضوابطها</b>
١٤٤	المبحث الأول: مشروعية مناصحة أئمة المسلمين
١٤٥	المطلب الأول: مشروعية مناصحة أئمة المسلمين في ضوء القرآن الكريم
١٤٦	أولاً: النصيحة وظيفة الأنبياء
١٥١	ثانياً: نصيحة ذوي الجاه والسلطان
١٦٩	المطلب الثاني: مشروعية مناصحة أئمة المسلمين في السنة المطهرة
١٦٩	أولاً: النصيحة في أصول الإسلام العظام
١٨٢	ثانياً: النصيحة أحد الشروط في بيعة الإمام
١٨٥	ثالثاً: النصيحة لأئمة المسلمين سبب لمرضاة الله وسلامة الصدر
١٩١	المطلب الثالث: حكم مناصحة أئمة المسلمين
١٩١	القسم الأول: حكم مناصحة أئمة المسلمين بمعناه العام
١٩٤	القسم الثاني: حكم مناصحة أئمة المسلمين بمعناه الخاص
١٩٩	المبحث الثاني: ضوابط مناصحة أئمة المسلمين

الصفحة	الموضوع
٢٠٠	تمهيد
٢٠٠	الضوابط لغة
٢٠١	الضوابط في الاصطلاح
٢٠٤	المطلب الأول: ضوابط مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بالناصح
٢٠٤	الضابط الأول: الإخلاص
٢٠٨	الضابط الثاني: العلم الصحيح
٢١٢	الضابط الثالث: الحكمة
٢١٤	الضابط الرابع: الرفق
٢١٧	الضابط الخامس: الصبر
٢٢٠	المطلب الثاني: ضوابط مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بالمنصوح به
٢٢٠	الضابط الأول: أن يكون المنصوح به في دائرة المشروع
٢٢٢	الضابط الثاني: تحقق حصول المنصوح به
٢٢٦	الضابط الثالث: أن يكون المنصوح به معلوماً بغير اجتهاد
٢٣٠	الضابط الرابع: اعتبار مبدأ الموازنة في المنصوح به
٢٣٦	الضابط الخامس: أن يكون عرض المنصوح به سراً

الصفحة	الموضوع
٢٣٩	المطلب الثالث: ضوابط مناصحة أئمة المسلمين المتعلقة بالمنصوح
٢٣٩	الضابط الأول: تحري النصيحة
٢٤١	الضابط الثاني: الاستماع للنصيحة وحسن الإصغاء إلى قائلها
٢٤٢	الضابط الثالث: الاستجابة والقبول
٢٤٥	<b>الفصل الثاني: تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره وأسبابه</b>
٢٤٦	تمهيد
٢٤٦	الصف الأول: كتب الأحكام السلطانية
٢٤٨	الصف الثاني: كتب الفلسفة السياسية
٢٥٠	الصف الثالث: كتب نصيحة أئمة المسلمين - الآداب السلطانية -
٢٥٦	المبحث الأول: تاريخ التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره
٢٥٧	المطلب الأول: نشأة التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين
٢٧١	المطلب الثاني: السياق التاريخي للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره في بلاد المشرق
٣٠٢	المطلب الثالث: السياق التاريخي للتأليف في مناصحة أئمة المسلمين وتطوره في بلاد المغرب

الصفحة	الموضوع
٣٢٣	المبحث الثاني: أسباب التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين
٣٢٣	تمهيد
٣٢٦	المطلب الأول: الأسباب العامة للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين
٣٢٦	الدافع الأول: طلب الأجر والمثوبة في التأليف
٣٢٩	الدافع الثاني: عظم منزلة نصيحة أئمة المسلمين من الدين
٣٣٣	الدافع الثالث: القيام بالواجب الكفائي
٣٣٦	الدافع الرابع: محبة أئمة المسلمين والإشفاق عليهم
٣٤٠	الدافع الخامس: إعزاز أئمة المسلمين ومناصرتهم
٣٤٨	الدافع السادس: الحفاظ على الدولة
٣٥٤	المطلب الثاني: الأسباب الخاصة للتصنيف في مناصحة أئمة المسلمين
٣٥٤	الدافع الأول: تكليف الحاكم للعلماء بالتصنيف في مناصحته
٣٦١	الدافع الثاني: الإهداء إلى الحكام
٣٦٤	الدافع الثالث: الإمتاع والمؤانسة
٣٦٨	الدافع الرابع: تنشئة أبناء الملوك وتهيتهم للحكم
٣٧٣	الدافع الخامس: الاستجابة لطلب الأصحاب

الصفحة	الموضوع
٣٧٤	الدافع السادس: الإثراء العلمي لمجالس الملوك
٣٧٦	الدافع السابع: التعزية والسلوان
٣٨٠	<b>الفصل الثالث: مجالات التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين وأنواعها</b>
٣٨	تمهيد
٣٨٢	الضابط الأول: محورية الإمام
٣٨٣	الضابط الثاني: إسداء النصيحة
٣٨٦	المبحث الأول: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد
٣٨٦	تمهيد
٣٨٩	المطلب الأول: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد المتعلقة بذواتهم.
٣٩٠	أولاً: تذكير أئمة المسلمين بالتوحيد وأهميته، والتحذير من الشرك ووسائله
٤٠٤	ثانياً: تذكير أئمة المسلمين بأصول الإيمان
٤١٨	المطلب الثاني: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الاعتقاد المتعلقة بمسؤوليتهم

الصفحة	الموضوع
٤١٩	أولاً: التذكير بمشروعية الحكم بما أنزل الله
٤٢١	ثانياً: حث أئمة المسلمين على إقامة الدين ومحاربة البدع
٤٢٤	ثالثاً: حث أئمة المسلمين على معالجة الغلو
٤٢٨	المبحث الثاني: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بالمسائل المتعلقة بالتشريع والأحكام
٤٢٨	تمهيد
٤٣٢	المطلب الأول: مجال مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الأحكام المتعلقة بأمر الشارع
٤٣٣	أولاً: ذكر المسائل المتعلقة بأحكام الصلاة
٤٣٨	ثانياً: ذكر المسائل المتعلقة بأحكام الزكاة
٤٤١	ثالثاً: ذكر المسائل المتعلقة بأحكام الصيام
٤٤٢	رابعاً: ذكر المسائل المتعلقة بأحكام الحج
٤٤٣	خامساً: ذكر المسائل المتعلقة بأحكام الجهاد
٤٤٥	سادساً: ذكر المسائل المتعلقة بالحدود والجنايات

الصفحة	الموضوع
٤٥٠	المطلب الثاني: مجال مناصحة أئمة المسلمين بمسائل الأحكام المتعلقة بنهي الشارع
٤٥٢	أولاً: ذكر المنهيات الشرعية المتعلقة بمسائل العبادات
٤٥٧	ثانياً: ذكر المنهيات الشرعية المتعلقة بمسائل الجهاد
٤٦٠	ثالثاً: ذكر المنهيات المتعلقة بمسائل المكاسب والمعاملات
٤٦٣	رابعاً: ذكر المنهيات المتعلقة بمسائل الحدود والجنايات
٤٦٥	خامساً: ذكر المنهيات الشرعية المتصلة بهيئات الملوك وأحوالهم ورسومهم
٤٧٢	المبحث الثالث: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بموضوعات الوعظ والأخلاق
٤٧٧	المطلب الأول: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بموضوعات الوعظ
٤٧٨	أولاً: الحث على تعظيم الله وتعظيم محارمه
٤٨١	ثانياً: التذكير بخطر الولاية وجسامة أمرها
٤٨٤	ثالثاً: الترغيب في إقامة العدل والترهيب من مغبة الظلم
٤٨٨	رابعاً: التبصير بحقيقة الدنيا والحث على الزهد فيها

الصفحة	الموضوع
٤٩٢	خامساً: الحث على طلب النصائح وقبولها
٤٩٤	سادساً: التذكير بنعم الله والحض على شكرها
٤٩٦	سابعاً: تسليية المصاب
٤٩٨	المطلب الثاني: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بموضوعات الأخلاق
٤٩٨	تمهيد
٥٠٠	أولاً: التناول الفلسفي لموضوعات الأخلاق
٥٠٤	ثانياً: التناول الموضوعي للأخلاق المأمور بها شرعاً
٥١٧	ثالثاً: التناول الموضوعي للأخلاق المنهي عنها شرعاً
٥٢٦	المبحث الرابع: مجال التصنيف في مناصحة أئمة المسلمين بمسائل السياسة الشرعية
٥٢٦	تمهيد
٥٢٨	أولاً: تقرير اعتبار المصلحة في مسائل السياسة الشرعية
٥٣٨	ثانياً: تدوين الولايات والوظائف السلطانية
٥٥٧	ثالثاً: مسؤوليات الولايات والوظائف السلطانية وواجباتها

الصفحة	الموضوع
٥٧٠	الفصل الرابع: التصنيف عند أصحاب المذاهب الأربعة في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها
٥٧٠	تمهيد
٥٧٥	المبحث الأول: مصنفات الحنفية في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها
٥٧٦	أولاً: كتاب "تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك"
٥٨٦	ثانياً: كتاب "الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء"
٥٩٨	المبحث الثاني: مصنفات المالكية في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها
٥٩٩	أولاً: كتاب "سراج الملوك"
٦٠٩	ثانياً: كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك"
٦٢٦	المبحث الثالث: مصنفات الشافعية في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها
٦٢٨	أولاً: كتاب "نصيحة الملوك"
٦٣٩	ثانياً: كتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك"
٦٥٣	المبحث الرابع: مصنفات الحنابلة في مناصحة أئمة المسلمين وخصائصها
٦٥٤	أولاً: كتاب "المصباح المضيء في خلافة المستضيء"
٦٦٩	ثانياً: كتاب "نصيحة الملك الأشرف"

الصفحة	الموضوع
٦٧٨	الباب الثاني: الجانب التحليلي
٦٧٩	الفصل الأول: إجراءات الدراسة وتحليلها وتناؤها
٦٨٠	المبحث الأول: إجراءات الدراسة التحليلية
٦٨٠	منهج الدراسة
٦٨١	مجتمع الدراسة
٦٨٢	حدود الدراسة
٦٨٤	عينة الدراسة وأدواتها
٦٨٤	الصورة الأولية للبطاقة
٦٨٨	الصورة النهائية لبطاقة التحليل
٦٩٣	تنفيذ البحث
٦٩٥	الأساليب الإحصائية
٦٩٦	المبحث الثاني: نتائج الدراسة التحليلية
٦٩٧	المطلب الأول: عرض نتائج مصادر الاستدلال والاستشهاد في مصنفات مناصرة أئمة المسلمين

الصفحة	الموضوع
٧١١	المطلب الثاني: عرض نتائج الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين
٧٢٥	المطلب الثالث: عرض نتائج أبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين
٧٧٧	<b>الفصل الثاني: تحليل نتائج الدراسة التحليلية ومناقشتها</b>
٧٧٨	المبحث الأول: تحليل نتائج الدراسة التحليلية
٧٧٩	المطلب الأول: تحليل نتائج مصادر الاستدلال والاستشهاد في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين
٧٨٥	المطلب الثاني: تحليل نتائج الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين
٧٩١	المطلب الثالث: تحليل نتائج أبرز القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين
٨٠٣	المبحث الثاني: مناقشة نتائج الدراسة التحليلية
٨٠٤	المطلب الأول: مناقشة مصادر الاستدلال والاستشهاد في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين
٨٠٤	أولاً: القرآن الكريم

الصفحة	الموضوع
٨١٠	ثانياً: السنة
٨١٣	ثالثاً: الإجماع
٨١٥	رابعاً: القياس
٨١٨	خامساً: أقوال العلماء
٨٢٧	المطلب الثاني: مناقشة نتائج الأساليب الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين
٨٢٧	أولاً: الترغيب
٨٣٠	ثانياً: الترهيب
٨٣٤	ثالثاً: المدح والثناء
٨٣٩	رابعاً: التعريض
٨٤٢	خامساً: القصة
٨٤٥	سادساً: التشبيه
٨٥٣	المطلب الثالث: مناقشة نتائج القضايا الدعوية في مصنفات مناصحة أئمة المسلمين
٨٥٣	أولاً: القضايا المتعلقة بالعتيدة

الصفحة	الموضوع
٨٦٤	ثانياً: القضايا العقدية المتعلقة بالشريعة والأحكام
٨٧١	ثالثاً: القضايا الدعوية المتعلقة بالوعظ
٨٨٢	رابعاً: القضايا الدعوية المتعلقة بالأخلاق
٨٨٧	خامساً: القضايا الدعوية المتعلقة بالسياسة الشرعية
٨٩٨	المطلب الرابع: أوجه الاستفادة من نتائج الدراسة التحليلية في العصر الحاضر
٨٩٨	تمهيد
٨٩٨	أولاً: أوجه الاستفادة من مصادر الاستدلال والاستشهاد
٩١٥	ثانياً: أوجه الاستفادة من الأساليب الدعوية
٩٢٧	ثالثاً: أوجه الاستفادة من القضايا الدعوية
٩٣٨	<b>الخاتمة</b>
٩٣٩	النتائج
٩٤٢	التوصيات
٩٤٤	الملاحق
٩٤٥	الملحق الأول: كتاب التحكيم، واستمارته، وبيان أسماء المحكمين

الصفحة	الموضوع
٩٥٢	الملحق الثاني: استمارات تحليل محتوى مصنفات مناصحة أئمة المسلمين عند المتقدمين والمتأخرين
٩٥٩	الفهارس
٩٦٠	فهرس الآيات القرآنية
٩٩٤	فهرس الأحاديث النبوية
١٠٠٣	فهرس الآثار
١٠٠٨	فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة
١٠١٣	فهرس الآيات الشعرية
١٠١٥	فهرس المصادر والمراجع
١١٠٩	فهرس الموضوعات